المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة



آراء محمد بن جعفر الكتاني الاعتقادية

عرض ونقد

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

إعداد:

خلود بنت خالد الداود

إشراف:

أ.د/شريفة بنت مصلح السنيدي

الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة

العام الجامعي: ١٤٤٣هـ - ١٤٤٤هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: (آراء محمد بن جعفر الكتاني الاعتقادية عرض ونقد)

تناول البحث في هذه الرسالة آراء محمد بن جعفر الكتاني المتوفى سنة ١٣٤٥هـ الاعتقادية، وقد احتوت هذه الرسالة على: مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة:

المقدمة: وفيها: أهمية الموضوع وأسباب اختياره، الدراسات السابقة، خطة البحث ومنهجه.

التمهيد، وفيه: ترجمة محمد بن جعفر الكتاني، تحدثت فيه عن عصره من الناحية السياسية والعلمية والاجتماعية، وعن سيرته الشخصية والعلمية.

- الفصل الأول: مصادر محمد بن جعفر الكتاني ومنهجه في تقرير العقيدة.
- الفصل الثاني: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالله تعالى، وقد اشتمل على آرائه في توحيد الربوبية، والألوهية، وتوحيد الأسماء، والصفات.
- الفصل الثالث: آراء محمد بن جعفر الكتاني في بقية أركان الإيمان، وقد اشتمل على آرائه في الإيمان بالملائكة والكتب والرسل، واليوم الآخر، وأراءه في القضاء والقدر.
- الفصل الرابع الأخير: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الصحابة، والإمامة، ومسائل الأسماء الأحكام.
- **الخاتمة:** وتتضمن أهم نتائج وتوصيات البحث.

وقد خلصت الدراسة إلى أشعرية محمد بن جعفر الكتاني وتصوفه على طريقة الغلاة، مع اضطرابه كلامه في كثير من المسائل الاعتقادية.

وقد ذيلت البحث بخاتمة ذكرت فيها أن نتائج البحث التي توصلت إليها، وبفهارس علمية.

والله أعلم.

Title

Thesis title: (The Doctrinal and Theological Opinions of Muḥammad ibn Ja‘far al-Kattānī, Presentation and Criticism)

This thesis addresses the doctrinal and theological opinions of al-Imam Muḥammad ibn Ja‘far al-Kattānī, who died in the year 1345 AH. It is composed of an introduction, a preface, four chapters, and a conclusion.

The introduction presented the importance of the topic and the reasons for choosing it, previous studies, research plan and methodology.

The preface was incepted by the biography of al-Imam Muḥammad ibn Ja‘far al-Kattānī, in which I spoke about his era from the political and scientific opinions, and about his personal and scientific biography.

The first chapter: Muhammad bin Jaafar al-Kattani's sources and his methodology in establishing the doctrine.

The second chapter: the views of Muhammad bin Jaafar al-Kattani on the belief in Allah the Almighty, and it includes his views on Tawḥīd al-rubūbīyah, al-ulūhīyah, and tawḥīd al-asmā’ wa-al-ṣifāt (names and attributes of Allah).

The third chapter: the views of Muhammad bin Jaafar al-Kattani on the rest of the pillars of faith, and it includes his views on believing in angels, books, messengers, and the day of judgement, and his views on fate and destiny.

The last chapter: the opinions of Muhammad bin Jaafar al-Kattani on the Companions, the Imamate, and issues of names and rulings.

Conclusion: It includes the most important results and recommendations of the research.

The study concluded that Muhammad bin Jaafar al-Kattani's Ash'ariyyah and his Sufism are of the extremists, in addition, his opinions on the theological issues are incoherent and inconsistent.

I appended the research with a conclusion and the concluded results, and with scientific indexes.

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن أحسن الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة(١).

وبعد: فإن علم العقيدة الإسلامية أشرف العلوم وأجلّها على الإطلاق؛ فالاشتغال بفهمه وصيانته من الدخل والأهواء والبدع اشتغالٌ بأعلى المطالب، وأشرف المواهب.

وقد أنعم الله عليّ بأن هيأ لي فرصة الالتحاق بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة والدراسة فيه، ولّما كان من متطلبات القسم تقديم موضوع لمرحلة الدكتوراه، فقد استخرت الله تعالى بأن أجمع آراء

---

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يعلمها أصحابه، وقد أخرج حديثها أبو داود في كتاب النكاح، باب: خطبة النكاح، حديث رقم: (٢١٢٠)، والترمذي في كتاب النكاح، باب: ما جاء في خطبة النكاح، حديث رقم: (١١٠٥)، والنسائي في كتاب النكاح، باب: ما يستحب من الكلام عند النكاح، حديث رقم: (٣٢٧٧)، وابن ماجه في كتاب النكاح، باب: في خطبة النكاح، حديث رقم: (١٨٩٢)، والإمام أحمد في مسنده (ج١/ص٣٩٢/حديث رقم: ٣٧٢١)، من طرق عن أبي إسحاق السبيعي، عن أبي الأحوص وأبي عبيدة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه. قال الترمذي: «حديث عبد الله حديث حسن، رواه الأعمش عن أبي إسحق عن أبي الأحوص عن عبد الله عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ورواه شعبة عن أبي إسحق عن أبي عبيدة عن عبد الله عن النبي -صلى الله عليه وسلم- وكلا الحديثين صحيح»، وقد توسع الألباني رحمه الله بتخريج هذا الحديث وجمع طرقه في رسالة مفردة بعنوان: خطبة الحاجة، وخلص فيها إلى الحكم بصحته.

محمد بن جعفر الكتاني الاعتقادية، وأنقدها وفق منهج أهل السنة والجماعة، وأن يكون عنوان الموضوع هو:

آراء محمد بن جعفر الكتاني الاعتقادية عرض ونقد.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

- **تكمن أهميته في أمور منها:**

١- دراسة الأعلام المشهورين وآراءهم الاعتقادية، وعظم الفائدة المرجوة من ذلك؛ فإن البحث في آراء هؤلاء الأعلام يفيد الباحث من حيث قراءته للكتب الكثيرة في الفنون المختلفة، ودراسته لأغلب مسائل العقيدة، ويفيد الباحثين من حيث جمع آراء هؤلاء الأعلام الاعتقادية المتناثرة ونقدها.

٢- إن الرد على الشبهات العقدية، والتنبيه على الأخطاء العلمية، والكشف عن الآراء العقدية عند المصنفين، من منهج أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان؛ نصيحة لله ولرسوله، ودفاعاً عن العقيدة الإسلامية.

٣- أهمية دراسة آراء محمد بن جعفر الكتاني الاعتقادية على وجه الخصوص ويتجلى ذلك في أمور:

أ- مكانته العلمية المنوه بها، فقد أبرزت شخصيته في علم الحديث، ويحسن إبراز شخصيته في الجانب العقدي كذلك.

ب- كثرة مصنفاته وتنوع فنونها، فله نحو ٨٠ كتابا، من المطبوع والمخطوط، وله تعليقات كثيرة.

ت- إن مصنفاته اشتهرت وانتشرت، ولقيت عناية كبيرة.

ث- كثرة تلاميذه المتلقين عنه من المغرب والحجاز والشام.

ورغم ذلك لم يفرد في هذا الموضوع بحث علمي، فرغبت أن يكون بحثي في جمع آرائه العقدية ودراستها.

– **هدف البحث:**

يهدف البحث إلى عرض آراء محمد بن جعفر الكتاني في المسائل العقدية مع دراستها وفق منهج أهل السنة والجماعة.

– **الدراسات السابقة للموضوع:**

أشرت إلى أني لم أقف على رسالة علمية في هذا الموضوع–حسب بحثي وسؤالي–، ولا يعني هذا أنه لم يبحث فيه بوجه ما، بل هناك جهود، منها:

– **المحدث الكبير، العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي، شيخ مشايخ العصر في المغرب والحجاز وبلاد الشام**، تأليف الدكتور محمد ابن عزوز، وهو كتاب في مجلدين، ومما عرض له فيما يتعلق بعقيدته: أسانيده في التصوف، وعلاقته بأمراء عصره، ومنهجه في التعامل مع الكفار والمنافقين.

– **منهج الحافظ أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني ت ١٣٤٥ هـ وجهوده في السنة النبوية**، للباحث: ديان سوفهمي بن عبد الله، الأندونيسي، وهي رسالة ماجستير في جامعة أم درمان الإسلامية، في السودان، وهي كما يظهر مقتصرة على جهوده بالسنة النبوية، وقد عرض لشيء من عقيدته في مبحث: جهوده في التصوف، ومبحث: موقفه من الاحتفال بالمولد النبوي.

– **الطريقة الكتانية عرض ونقد**، للباحثة: بدرية بنت حمدان الدوسري، وهي رسالة ماجستير في جامعة أم القرى، نوقشت عام ١٤٤١هـ، وقد يُتوهم بأنها بحثت في محمد بن جعفر الكتاني، إلا أن مدار بحثها على محمد بن عبد الكبير الكتاني ت١٣٢٧هـ وطريقته.

– **التراجم، والتحقيقات العلمية لكتبه:**

ترجم الكثير لمحمد بن جعفر الكتاني، وترجم هو لنفسه وشيوخه في كتابه"النبذة اليسيرة النافعة التي هي جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة"، و"الرحلة السامية للإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية"، وترجم له ابنه محمد الزمزمي في كتابه: "عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد"، كما ترجم له الكثير ممن ترجم للكتانيين، إلا أنهم لم يفصلوا فيما يتعلق بعقيدته، كما هو معروف في كتب التراجم، ومجمل ما ذكروه: أنه صوفي معروف بملازمته للسنة!

أما التحقيقات العلمية لكتبه فهي كثيرة جدا، وجُلّها لم يفصّل في عقيدته، فحفيده محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني –على سبيل المثال– في تحقيقه على كتاب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، نقل عن والده بأنه يقول عنه: "كان سلفي العقيدة لا يؤول الأسماء والصفات، ويثبت ما ورد في ذلك، من ذكر يد ورجل واستواء، ويقول الله أعلم بمراده، ويقول عن الأشعرية والماتريدية: إنهم يؤولون المتشابه لا على أن ما يقولونه هو الحق جزما، وإنما كانت اللغة قوالب للمعاني، ومعاني الصفات لا تحتملها تلك القوالب، فأولوها خوف الوقوع في التشبيه"، ويقصد بذلك أنه يفوض الأسماء والصفات وأن هذا هو مذهب السلف الصالح– كما يرى–!

- **الموازنة بين الدراسات السابقة وموضوع الرسالة:**

هذه بعض الجهود التي بحثت في محمد بن جعفر الكتاني، ولا أعني بذكر هذه الدراسات الحصر أبدا، وليس بخاف أن هذه الجهود لم يفصّل مصنفوها في عقيدته، وهذه الدراسة شملت جمع آراء محمد بن جعفر الكتاني الاعتقادية من كتبه المخطوطة والمطبوعة، ومن نقل عنه بحول الله تعالى!

- **منهج البحث:**

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، وذلك بجمع أراء محمد بن جعفر الكتاني الاعتقادية من كتبه–المخطوطة والمطبوعة–، ونقدها وفق منهج أهل السنة والجماعة، فأبين ما وافق فيه الحق وما خالف.

- **أما المنهج في دراسة المسائل، فكما يلي:**

١- ذكر رأي محمد بن جعفر الكتاني في المسألة موجزا، ثم إيراد كلامه فيها بنصه وبتمامه إن كان قصيرا، وإن كان قد تكلم في المسألة بأكثر من موضع، فإني أقارن بين تلك المواضع، وأنقل أكثرها تحقيقا للمقصود.

٢- وبعد إيراد رأي محمد بن جعفر الكتاني يتم ذكر موافقته لمنهج السلف أو مخالفته لهم:

أ. فإن كانت المسألة مما وافق فيه منهج السلف الصالح، فيتم ذكر ما يدل على ذلك من كلامهم وبعض أدلتهم باختصار.

ب. وإن كانت المسألة مما خالف فيه منهج السلف، فيتم ذكر ما يدل على مخالفته، مع نقده ومناقشته، بحسب رأيه وتقريراته إجمالا وتفصيلا.

٣- في دراسة المسائل لم أتعرض لاختلاف الطوائف الأخرى في المسألة المقصودة بالبحث، إلا إذا تعرض لها، أو إذا كانت المسألة تقتضي ذلك.

٤- قد أحيل على موضع قد نقدت فيه رأيه في هذه الرسالة؛ تحاشيًا للتكرار، وقد اضطر لتكرار بعض المعاني أو الألفاظ في العرض أو النقد؛ لتضمن كثير من النصوص عددًا من المعاني التي تندرج تحت أكثر من مسألة، ولتداخل البحث وارتباط ببعضه ببعض.

- **المنهج في توثيق البحث:**

١. عزو الآيات إلى سورها، بذكر السورة ورقم الآية، وجعل ذلك في متن البحث، خشية إثقال حواشي البحث.

٢. تخريج الأحاديث النبوية بعزوها إلى مصادرها الأصلية، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك، وإن كان في غيرهما فإني أجتهد بإذن الله في تخريجها من مصادرها، وأذكر حكم الأئمة عليه، وأذكر في تخريجي للحديث عنوان الكتاب والباب ورقم الحديث إن كان في الكتب الستة، وإن كان في غيرها فأذكر رقم الجزء والصفحة والحديث.

٣. توثيق النقول المقتبسة بعزوها إلى مصادرها -ما أمكنني ذلك-.

٤. ترجمة الأعلام غير الصحابة -رضوان الله عليهم-، والأئمة الأربعة، وأصحاب الكتب الستة، ومن ورد عرضا في سياق أسانيد الأحاديث المتكلم فيها، بذكر اسم المترجم، وشيئا من مؤلفاته، وتاريخ وفاته.

٥. التعريف بالأماكن، والبلدان، والفرق والطوائف، والألفاظ الغريبة الواردة في البحث.

خطة البحث:

وتشمل على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

❖ **المقدمة: وتشمل على:**

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- الدراسات السابقة.
- منهج البحث.
- خطة البحث.

❖ **التمهيد، وفيه:** ترجمة محمد بن جعفر الكتاني.

❖ **الفصل الأول: مصادر محمد بن جعفر الكتاني ومنهجه في تقرير العقيدة، وفيه مبحثان:**

- المبحث الأول: مصادره في تلقي العقيدة.
- المبحث الثاني: منهجه في تقرير العقيدة.
- **الفصل الثاني: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالله تعالى، وفيه ثلاثة مباحث:**
- المبحث الأول: آراؤه في توحيد الربوبية، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: آراؤه في معنى توحيد الربوبية.
- المطلب الثاني: آراؤه في دلائل معرفة الله وإثبات وحدانيته.
- المبحث الثاني: آراؤه في توحيد الألوهية، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: آراؤه في معنى توحيد الألوهية.
- المطلب الثاني: آراؤه في معنى العبادة وما يتعلق بها.
- المطلب الثالث: موقفه مما يناقض توحيد العبادة أو ينقصه.
- المبحث الثالث: آراؤه في توحيد الأسماء والصفات، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: آراؤه في أسماء الله تعالى.
- المطلب الثاني: آراؤه في صفات الله تعالى.

❖ **الفصل الثالث: آراء محمد بن جعفر الكتاني في بقية أركان الإيمان، وفيه أربعة مباحث:**

- المبحث الأول: آراؤه في الإيمان بالملائكة والكتب، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: آراؤه في الإيمان بالملائكة.
- المطلب الثاني: آراؤه في الإيمان بالكتب.
- المبحث الثاني: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالرسل، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: آراؤه في النبي والرسول، والفرق بينهما.
- المطلب الثاني: آراؤه في الإيمان بالأنبياء والرسل.
- المطلب الثالث: آراؤه في الإيمان بنبينا محمد –صلى الله عليه وسلم–.
- المبحث الثالث: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان باليوم الآخر، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: آراؤه في معنى الإيمان باليوم الآخر وأشراط الساعة.
- المطلب الثاني: آراؤه في الحياة البرزخية.
- المطلب الثالث: آراؤه في مسائل اليوم الآخر.
- المبحث الرابع: آراء محمد بن جعفر الكتاني في القضاء والقدر، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: آراؤه في معنى الإيمان بالقضاء والقدر وما يتضمنه.
- المطلب الثاني: آراؤه في مسائل القضاء والقدر.

❖ **الفصل الرابع: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الصحابة، والإمامة، ومسائل الأسماء الأحكام، وفيه مبحثان:**

- المبحث الأول: آراؤه في الصحابة والإمامة، وفيه مطلبان:
- المطلب الأول: آراؤه في الصحابة.
- المطلب الثاني: آراؤه في الإمامة.
- المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الأسماء والأحكام، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: آراؤه في مسائل الإيمان.
- المطلب الثاني: آراؤه في مسائل الكفر والبدعة.
- المطلب الثالث: موقفه من الفرق والطوائف.

❖ **الخاتمة:**

وتتضمن أهم نتائج وتوصيات البحث.

❖ **الفهارس**، وتشمل على:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الفرق والطوائف، والألفاظ والمصطلحات الغريبة.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

هذه هي الخطة والمنهج في كتابة هذا البحث، ولا يخلو أي عمل من مصاعب ومشاق، إلا أن الاستعانة بالله وتذكير النفس بفضل طلب العلم، يدفع إلى الصبر والهمة لبلوغ الغاية، ومن الصعوبات:

- استطراد محمد بن جعفر الكتاني في بعض المسائل وإكثاره من المنقولات، حتى يتبنى الرأي وخلافه، وقد يعرض الأقوال والأدلة دون تأييد أو رد، مما يجعل الباحث متحيرًا في معرفة حقيقة رأيه وعقيدته التي يدين الله بها.

- تملُّك أحفاد محمد بن جعفر الكتاني لبعض مخطوطاته، وتحفظهم الشديد عليها، مما جعل الحصول عليها يطول-مع الحصول عليها كلها بحمد الله-.

- صعوبة خط محمد بن جعفر الكتاني المغربي، وقلّة النساخ له.

هذا والحمد لله على ما منّ الله به عليّ من إتمام هذا البحث، وإخراجه على هذه الصورة وإن كانت جُهد المقلّ، وعمل الضعيف، وأشكر له فضله وإنعامه، فله الحمد أولا وآخرا، وأبرأ من الحول والقوة إلا به جل جلاله، وأسأله أن يجعله خالصا لوجهه، نافعا يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وأن يعفو عما وقع لي فيه من خطأ أو تقصير، وأحسن الله تعالى إلى من دلني على خطئي ونبهني عليه مشكورا مأجورا!

وأشكر بعد شكر الله تعالى من قرن شكرهم بشكره، وهما والدَيّ الكريمان-حفظهما الله وأمدّ عمرهما على طاعته- على حسن تربيتهما وكريم عنايتهما، فقد كانا نعم المعين لي على التحصيل والطلب.

كما أشكر كلّ من له بذل ونفع لي ولهذا البحث، وعلى رأسهم مشرفتي على هذا البحث الدكتوره الفاضلة شريفة بنت مصلح السنيدي-حفظها الله-، وقد استفدت من نصائحها وتوجيهاتها، التي كان لها عظيم الأثر في نفسي، كما أشكرها على طول تحمّلها وصبرها وحرصها على إخراج الرسالة بهذا النسق الطيب، فأسأل الله أن يجزيها خير الجزاء، وأن يبارك لها في عمرها وعملها، وأن يجعله في موازين حسناتها ومن العلم النافع الذي ينتفع به.

كما أشكر زوجي الفاضل فهد بن سعود العتيق-حفظه الله-الذي أعانني على تحمل أعباء أسرتنا الصغيرة لأتفرغ للبحث، فجزاه الله عني خير الجزاء.

والشكر موصول للجنة المناقشة الموقّرة على قبولهم مناقشة الرسالة، وتجشّم عناء قراءتها ونقدها؛ سائلة المولى عز وجل أن يجزيهم خير الجزاء.

وأخيرا لا يسعني إلا أن أتوجه بالشكر لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، التي منحتني هذه الفرصة، وصلى الله على نبينا محمد وعلى أله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

خلود بنت خالد الداود
١٤٤٤/٨/٥هـ
kkaldawood@imamu.edu.sa

تمهيد

ترجمة محمد بن جعفر الكتاني

أولا: عصر محمد بن جعفر الكتاني

عاش محمد بن جعفر الكتاني رحمه الله جزءاً من حياته في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وبقية حياته في النصف الأول من القرن الرابع عشر، - أواخر القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين-؛ ونظراً لتأثر الإنسان بما في عصره من الأحداث، فإن من الأهمية بمكان دراسة النواحي الرئيسة لهذا العصر وبيان أثرها على شخصيته، وهذه المعرفة تمكن من فهم الكثير من أفعاله وأفكاره ومعتقداته، كما تبين مدى التمسك بمنهج الكتاب والسنة، ومدى القرب منه أو البعد عنه.

وحتى يتم التعرف على عصره لابد من إلقاء الضوء على أهم المتغيرات في الحقبة الزمنية التي عاش فيها وسأكتفي بالحديث عن نواح ثلاث، أولها:

الناحية الأولى: الحالة السياسية:

عاش محمد بن جعفر الكتاني بداية حياته في المغرب، ثم رحل إلى المدينة النبوية، ثم رجع إلى المغرب-كما سيتبين في رحلاته-وعاد مرة أخرى إلى المدينة، ثم رحل إلى الشام، وزار تركيا، ومصر، ثم عاد إلى المغرب وبقي فيها حتى وفاته، وعلى هذا فسيتم توضيح الناحية السياسية في: المغرب، والحجاز، والشام، -بحول الله تعالى-.

فقد مر العالم الإسلامي في هذه الحقبة الزمنية بكوارث؛ حيث سقط كثير من بلاد المسلمين في قبضة المحتلين، وتفككت وحدة المسلمين، وفيما يلي بيان لمجملها، وموقف محمد ابن جعفر الكتاني منها:

أحوال العصر في المغرب:

وُلد محمد بن جعفر الكتاني في عهد الدولة العلويّة[1] ، وتحديدا في بداية حكم المولى

---

(١) الدولة العلوية: هي الدولة التي تحكم المغرب منذ مبايعة أهل الحل والعقد لمحمد بن الشريف بن علي الشريف المراكشي أول حكامها عام ١٠٥٠هـ، إلى هذا الوقت، وهي تمثل مذهب الإمام مالك في الفقه، ينظر: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد الناصري (٣/٧)، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، عبد الكريم الفيلالي (٤/٨٨)، المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات (٣/٢٠).

عبد الرحمن بن هشام (١)، وتوفي في عهد السلطان يوسف بن الحسن (٢)، وترتيبه العشرون من حكام الدولة العلوّية (٣)، وفي هذه المدة مرت المغرب بمآسي؛ وهذا العصر هو عصر الانتقال من الاستقلال التام إلى الاحتلال، كما تغلغلت أوربا في بلاد المغرب، وتزاحمت عليها دول الاحتلال من أجل نهبها (٤)، وخاضت المغرب في هذه المدة حربين ضد قوتين أجنبيتين هما:

- **الأولى**: عام ١٢٦٠هـ وهي حرب إيسلي(٥)، حيث تعرضت المغرب لانهزام شنيع، واستسلمت المغرب لشروط فرنسا، فاستطال عليها النصارى المحتلين وزالت هيبتها وانكسر المسلمون.
- **الثانية**: في عام ١٢٧٥هـ وهي حرب تطوان(٦)، وقد هُزم فيها الجيش المغربي، ودخلتها الجيوش الإسبانية، حتى احتلّ النصارى الأسبان مدينة تطوان، وقد كان جدّ محمد بن

---

(١) هو: أبو زيد عبد الرحمن بن هشام، ثالث حكام الدولة العلوية بالمغرب، حكم المغرب ما بين عام ١٢٣٧هـ-١٢٧٥هـ، توفي عام ١٢٧٥هـ، ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٣/٩) الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، لمحمد مصطفى المشرفي (٥٨/٢)، الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، لعبد الرحمن ابن زيدان (١٢٥-١٢٦).

(٢) هو: أبو المحاسن يوسف بن الحسن، يعتبر ثاني سلاطين المغرب في عهد الاحتلال الفرنسي، حيث تولى الحكم بعد تنازل المولى عبد الحفيظ عن الحكم، وتولى الحكم ما بين عام ١٣٣٠هـ-١٣٤٥م، توفي عام ١٣٤٥هـ وتولى الحكم بعده ولده محمد الخامس، ينظر: الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة (١٢٥-١٢٦)، ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، لأمين محمد سعيد (٤٤١)، معجم الأعلام، للزركلي (٢٢٦/٨).

(٣) ينظر: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (ج٩).

(٤) التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، عبد الكريم الفيلالي (٢٣٥/٥)، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، شوقي عطا الله الجمل (ص٣١٣).

(٥) معركة إيسلي هي: معركة قامت بالقرب من مدينة وجدة بين جيوش المغرب وفرنسا في ١٢٦٠هـ بسبب مساعدة السلطان المغربي المولى عبد الرحمن للمقاومة الجزائرية ضد فرنسا واحتضانه للأمير عبد القادر الشيء الذي دفع الفرنسيين إلى مهاجمة المغرب عن طريق ضرب ميناء طنجة ثم ميناء تطوان ثم ميناء أصيلة، انتهت المعركة بانتصار الفرنسيين، ينظر: تاريخ المغرب تحيين وتركيب؛ لمحمد القبلي (٤٦٢)، سلوة الأنفاس (١٥/٣).

(٦) حرب تطوان: وقعت بين إسبانيا والمغرب ما بين عامي١٢٧٥- ١٢٧٦هـ. في تطوان شمال المغرب، سببها احتلال الأسبان لجزر مغربية متخذة غارة شنتها قبائل مغربية ذريعة لاحتلال تلك الجزر، وقد شجعها على القيام بذلك الانتصارات التي حققتها فرنسا بالمنطقة وتزايد التأثير البريطاني، وخسرت المغرب خسارة فادحة واحتل الأسبان تطوان. ينظر: تاريخ المغرب تحيين وتركيب؛ لمحمد القبلي (٤٦٨).

جعفر الكتاني وهو إدريس بن الطائع الكتاني[١] مشاركا في هذه الحرب، ومن بين أسراها[٢].

ومن أبرز آثار هاتين الهزيمتين استباحة الأعداء لحمى المغرب، وجُرأتهم على انتهاك حرماته، وتسُّرب جواسيسهم وعملائهم في مختلف الميادين، مع تظاهرهم بالنصيحة والإخلاص وهو الأمر الذي جعل الحق يلتبس بالباطل[٣]، فاعتدى الإنجليز على المغرب عام ١٢٩٧هـ؛ لأخذ جزء من أراضيها، كما ظهر الألمان -المعادين للفرنسيين والأسبان- بقوة في المغرب، عندما استطاعوا أن يرسلوا بعثة من الضباط إليها عام ١٣٠٣هـ، فتصارع على المغرب الفرنسيون والألمان والأسبان[٤].

وقد كان السلطان الحسن[٥] قد اهتمّ بمسألة التدخل الأجنبي وبذل سائر جهده لتوطيد دعائم الأمن في البلاد، ومحاربة القبائل الثائرة عليه، ومع ذلك ذهبت جهوده أدراج

---

(١) هو: أبو العلاء إدريس بن الطائع بن إدريس بن محمَّد الزمزمي، المتوفى عام ١٢٨١هـ، اشتهر بجهاده ضد الأسبان وتصوفه، وقد حكى الكتاني في ترجمته ملازمته وتعظيمه لبعض مدعي الولاية المبتدعة واعتقاده فيهم، ينظر: سلوة الأنفاس (٢/٢٨٤)، وقد ثبت أنه عُزل عن الشهادة، عزله آخر قضاة العدل بفاس وهو الطالب ابن الحاج، ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/٥٧٥)، سلوة الأنفاس (٢/٢٢٠)، النبذة اليسيرة النافعة (٢٩٤-٢٩٥)، اتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع (١/٢٢٩)، منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٣٢)، وقد أثبت عزله عن القضاء عبد الحي الكتاني في إعلام الحاضر والآت (ل ٦٤/أ)، وأشار لعزله محمد بن جعفر الكتاني على صورة كرامة مع إبهام اسمه في النبذة اليسيرة النافعة (١٤٣، ١٦٢).

(٢) ينظر: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمر أقبر من العلماء والصلحاء بفاس (٢/٢٢٠).

(٣) ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٩/١٠١-١٠٣)، التاريخ السياسي للمغرب (٥/٢٠٥-٢١٢)، المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات (٣/٢١٢-٢٣٥)،).

(٤) ينظر: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (٩/١٧٤-١٨٣)، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية (٢/١٩٣)، التاريخ السياسي للمغرب (٥/٣٤١-٣٧٤).

(٥) هو: أبو علي، الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام ابن الشريف، ولي الحكم بعد وفاة والده عام ١٢٩٠هـ، يعد من السلاطين السلفيين في المغرب، وقد عمل جاهدا في إخماد الفتن حتى لم يبق من يحرك للشر يدا، توفي عام ١٣١١هـ، ينظر: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية (٢/١٠٤)، سلوة الأنفاس (٣/٢٨٧)، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (٢/١٤٥)، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، زكي محمد مجاهد (١/٢١)، معجم الأعلام (٢/٢٢١).

الرياح بوفاته؛ إذ تولى الحكم بعده ابنه عبد العزيز في عام ١٣١١هـ، وعمره لا يتجاوز أربع عشرة سنة[١].

وقد كان لمحمد بن جعفر الكتاني مواقف مع حُكّام عصره في المشرق والمغرب؛ لقربه منهم، فله موقف مع السلطان الحسن، حيث استفتَى السلطان الحسن علماء المغرب في حكم شرب الدخان، وتولّى محمد بن جعفر الكتاني كتابة الفتوى وتبييضها عام ١٢٩٩هـ، وجعلها بعنوان: "شرح كتاب للسلطان مولاي الحسن"، وقد اشتملت على النصوص الشرعية، والقواعد الأصولية في تحريم شرب الدخان، ووجوب حرقه وإتلافه، والضرب على يد مستعمليه[٢]، ونتج عن هذه الفتوى أن نفّذ السلطان ما تقرر فيها فأمر بحرق الدخان، وأوعد كل من اقترف شيئا منه[٣].

وقد شكّلت مرحلة المولى عبد العزيز حالة خاصة في تاريخ المغرب، فقد استبدّ بأمور المغرب أثناء توليه للحكم الحاجب أحمد موسى، الملقّب: أبا حمّاد[٤] لمدة ست سنوات؛ لصغر المولى عبد العزيز، وقد أحكم باحماد السيطرة على المغرب، وتمكن من إرساء الأمن نسبيًا في أرجائها، وقمع الحركات الانفصالية، لكنه أهمل غالب الإصلاحات التي قام بها المولى الحسن، وبعد وفاته تبدّلت أحوال المغرب، ووجد السلطان نفسه وسط دوّامة من المشاكل الداخلية

---

(١) هو: أبو فارس عبد العزيز بن الحسن، سلطان المغرب الثامن عشر من العلويين، حكم المغرب بعد وفاة والده الحسن عام ١٣١١هـ، وهو أول من أدخل نور الكهرباء إليها، ونزل عن الملك عام ١٣٢٦هـ، ينظر: الدرر الفاخرة (ص١١١)، سلوة الأنفاس (٢٨٨/٣)، معجم الأعلام (١٦/٤)، معلمة المغرب (٥٩٠٦/٢٠).

(٢) ينظر: المخطوط كاملا تحت: [٢٠٠جك-٠٧١-] في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، المجلد التاسع، مجموعة محمد بن جعفر الكتاني (رصيد حرف جك) (ص٥٤٤).

(٣) ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة وغيرهم، لمحمد بن جعفر الكتاني (ص١٦٢)، منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني، لمحمد حمزة الكتاني (١٥٢).

(٤) هو: أحمد بن موسى بن أحمد بن مبارك، تولى الحجابة للسلطان المولى الحسن بفاس، ثم رياسة الوزارة في عهد عبد العزيز. كان داهية، انفرد بسياسة البلاد، توفي عام ١٣١٨، ينظر: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية (٢١٧/٢)، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبد الرحمن بن زيدان (٤٢٩/١-٤٥٨)، معجم الأعلام (١٦٢/١).

والخارجية، ومن المنافسات على النفوذ بين الوزراء، واستغلال الوسطاء الأجانب لهذه الظروف، وقد حاول حينها جاهدًا إنقاذ ما يمكن إنقاذه، عبر سلسلة من الإصلاحات في شتى المجالات، وما كان الإصلاح الذي يقصده سيتم إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم- حسب فهم السلف الصالح وهو ما حاول فعله، إلا أن محاولته للنهوض كانت لوحده، وهي على مرأى ومسمع من فرنسا التي تسعى لمزيد من الزعزعة السياسية عبر تغذية النزاع على الحكم بين الأخوين المولى عبد العزيز وعبد الحفيظ(١) (٢)، إلى أن خُلع المولى عبد العزيز، حيث عُزل بناء على فتوى المتعالمين الصوفية(٣) (٤)، وبويع بعده أخيه المولى عبد الحفيظ؛ الذي حاول طرد المحتلين، إلا أن الأمور تفلتت من يده فلم يمكنه فعل شيء؛ بسبب عدم تكافؤ القوى بينه وبين فرنسا، ووقع في ضغوط داخلية وخارجية فضاقت عليه الحال، إلى أن تم فرض

---

(١) هو: أبو المواهب عبد الحفيظ بن الحسن، جعله أخوه عبد العزيز خليفة له في مراكش، ثم انفصل عن أخيه وأعلن الملك شهر رجب من عام ١٣٢٥هـ، وهو العدو الأول للفرنسيين وأصحاب الطرق الضالة، له كتاب سجل سلفيته وهو كشف القناع عن اعتقاد طوائف الابتداع، توفي عام ١٣٥٦هـ، ينظر: الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين (١١٧-١٢٥)، التاريخ السياسي للمغرب (٩/٩٦، ١١٣-١٣٣)، معجم الأعلام (٣/٢٧٧)، معلمة المغرب (٢٠/٥٨٩١).

(٢) ينظر: التاريخ السياسي للمغرب (٦/١٠٢)، مقدمة مفاكهة ذوي النبل والإجادة، عبد الحي الكتاني، (ص٢٨-٣٩).

(٣) الصوفية: طائفة ظهرت في القرن الثالث الهجري، وقد تنازع العلماء في سبب تسميتها بالصوفية ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية أنها نسبة إلى الصوف، وهي دخيلة على الإسلام، كانت في البداية نزعات فردية تدعو إلى الزهد وشدة العبادة، ثم تطورت تلك النزعات حتى صارت طرقا مميزة تعرف باسم الصوفية، يجمعهم الزهد البدعي والتعبد لله بما لم يشرعه، ينظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي (ص٧٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١١/٥-٧)، للاستزادة ينظر: الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، لعبد الله السهلي، وهذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل.

(٤) من الحجج التي احتجوا بها: أنه نصب التليفون والسكّة الحديدية بين كبريات المدن، ولأنه يلعب التينيس ويركب العربات، بدعوى أن ذلك مخالف للدين وأنه من عمل أعدائه، ينظر: تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي (١٦)، المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات (٣/٣٢٩).

وينظر في نص فتوى بعض المتعالمين بوجوب عزله: ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد (٣٨٤-٣٨٩)، وفتوى عبد الحي الكتاني وهي منشورة بعنوان: مفاكهة ذوي النبل والإجادة في الرد على مدير جريدة السعادة، ينظر: التاريخ السياسي للمغرب (٦/٢١١-٢١٤).

الاحتلال الفرنسي على المغرب عام ١٣٣٠هـ، وتنازل عن الحكم بعدها لأخيه يوسف بن الحسن، وهو الذي في عهده توفي محمد بن جعفر الكتاني [١].

وقد ساهم بعض علماء المغرب بعدة توجيهات وتنبيهات من مخاطر الاحتلال الأجنبي والركون إلى المحتلين، حتى ألّف محمد بن جعفر الكتاني كتابه "نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام" في ذلك [٢].

وفي عهد يوسف بن الحسن توغلت فرنسا في الجنوب الغربي من جهة الجزائر، انتهت باحتلال إسبانيا للجزء الغربي من شنقيط، عام ١٣١٩هـ، ثم بسطت فرنسا نفوذها على باقي شنقيط وما يسمى اليوم بموريتانيا عام ١٣٢٨هـ[٣].

وقد كانت تولية المولى عبد الحفيظ ومبايعة أهل مراكش له في السادس من شهر رجب عام ١٣٢٥هـ[٤]، وكانت مبايعة أهل فاس له في ذي الحجة من العام نفسه[٥]، وقد حج

---

(١) ينظر: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (١٢٨/٩)، الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية (٢١٧/٢-وما بعدها)، الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين (١١٧-١٢٥)، عمدة الراوين (١٠١/٢)، اتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (٤٥٨/١) التاريخ السياسي للمغرب (٢٤٩/٦، ٢٠٠/٧ وما بعدها)، المغرب عبر التاريخ (٢٨٧/٣-٢٩٠، ٣٢٩، ٣٤٤)، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، شوقي عطا الله الجمل (ص٣٢٦).

(٢) ينظر: عمدة الراوين في تاريخ تطاوين لأبي العباس أحمد الرهوني (٤/٩)، منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٣)، مظاهر يقظة المغرب الحديث (٣٧٦/٢)، وينظر: نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام، محمد بن جعفر الكتاني (ص٢٨).

(٣) ينظر: المغرب عبر التاريخ (٣٠٨/٣)، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، أحمد بن الأمين الشنقيطي (٣٦٥).

(٤) فاس: هي مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب، تعد ثالث أكبر مدن المغرب العربي بعد الدار البيضاء والرباط، تشتهر بكونها مركزًا علميا وثقافيا لوجود جامع القرويين فيها. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي (٢٣٠/٤)، موسوعة المدن العربية والإسلامية؛ ليحيى شامي (٢١٦).

(٥) ينظر: الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين (١١٧)، اتحاف أعلام الناس (٥١٩/١)، التاريخ السياسي للمغرب (٢٢٠/٦، ١١٤/٩)، الأعلام (٢٧٧/٣)، معلمة المغرب (٥٨٩١/٢٠)، مقدمة مفاكهة ذوي النبل والإجادة، لعبد الحي الكتاني (٣٥).

محمد بن جعفر الكتاني في هذا العام[١]، حيث قال في ترجمته لنفسه: "ثم لما كانت سنة خمس وعشرين، هاجرت بعيالي إلى المدينة المنورة؛ خوفا من استيلاء العدو على فاس، لما رأيت من مخايل ذلك، وأسبابه، وحججت فيها ثانيا، وأحججتهم معي، وأقمت بالمدينة المنورة قريبا من السنة، ثم رجعت إلى فاس بعدما قام أهلها على السلطان المولى عبد العزيز وخلعوه، ونصروا أخاه المولى عبد الحفيظ؛ رغبة في قيامه بوظيفة الجهاد وإبعاد العدو عنهم"[٢]، فلم يشاركهم في مبايعة المولى عبد الحفيظ بعد عزل المولى عبد العزيز، وإنما ذهب للحج وعاد بعد أن صار عبد الحفيظ واليا عليها[٣].

وقد جاء بأن المولى عبد الحفيظ استدعاه عام ١٣٢٧هـ لوداع الجيش الذاهب لقتال الثائر عليه وهو بو حماره[٤] المتعاون مع المحتل، طالبا منه أن يدعو لهم، ويحضّهم على القتال[٥]، وكان المولى عبد الحفيظ من تلاميذ محمد بن جعفر الكتاني، يتردد إليه ويخدمه[٦]،

---

(١) ينظر: جواهر البحار (١٦٣٢/٣)، فهرس الفهارس (٥١٦/١)، سل النصال (٤٥).

(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٤-٣٨٥).

(٣) وقد ذكر الدكتور محمد بن عزوز بأنه شارك في الخروج بدون ذكر مرجعه في ذلك، ينظر: تقديمه على كتاب الرحلة السامية (٥٠)، وذكر ابنه إدريس في مقدمة نصيحة أهل الإسلام بأنه كان في المدينة النبوية أثناء هذه الأحداث، ينظر: نصيحة أهل الإسلام (٣١)، وينظر: منطق الأواني (١٥٣).

(٤) هو: الثائر الفتان الجيلاني بن عبد السلام الزرهوني المدعو: أبي حمارة، وهو أحد كبار الثوّار الذين دمّروا استقلال المغرب، وكانوا يد المحتل، قُتِل غيلة ١٣٢٧هـ وقد دعمه ابن عم الكتاني، وهو محمد بن عبد الكبير الكتاني المتآمر مع الاحتلال، ينظر: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية (٢٧٤/٢)، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (٤٦٥/١)، عمدة الراوين (٩٨/٢)، التاريخ السياسي للمغرب (٢٧/٨)، المغرب عبر التاريخ (٣٣٢/٣ وما بعدها)، أعلام المغرب العربي، عبد الوهاب منصور (٣٠٣/١)، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، (ص٣٢٧).

(٥) ينظر: منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٣)، مقدمة ابنه إدريس على نصيحة أهل الإسلام (٣٦)، الأربعون الكتانية (٢٩)، وينظر مقدمة محمد حمزة الكتاني على الدعامة في أحكام سنة العمامة (٢٦).

(٦) ينظر: المثنوني والبتّار في نحر العنيد المعثار الطاعن فيما صح من السنن والآثار، لأحمد الغماري (ص٦٦).

وهو الذي أمر بطبع كتابه "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" بفاس[(١)]، وكان بينهما مراسلات ومناصحات[(٢)].

ولم يبايع ابن عمته محمد بن عبد الكبير الكتاني[(٣)]المولى عبد الحفيظ، وإنما اشترط شروطا كتب نصها له، وكان هو اليد المحركة وراء ثورته على المولى عبد العزيز، فلم يقبل المولى عبد الحفيظ هذه البيعة المشروطة، حتى صرح محمد بن عبد الكبير بعدها "بأن عبد الحفيظ فعل أفعالًا استوجب بها الخلع شرعًا، وأن بيعته مقيدة بشروط لم يوفِ بها للأمة، ومن أجل ذلك بقيت معلقة لم تستقر على أساس"[(٤)]، فأصبح ينكر على السلطان علانية في مجالسه، حتى رفع علماء فاس أمره للمولى عبد العزيز؛ إنكارًا لما أشاعه من منكر، وتحذيرًا مما ينويه من فتنة، حاكمين على محمد بن عبد الكبير الكتاني بالقتل؛ لزندقته، حيث كان يرى بأنه خاتم الأولياء، وأنه أخذ طريقته من رسول الله–صلى الله عليه وسلم–مشافهة من غير واسطة، ويجتمع معه– صلى الله عليه وسلم– يقظة، ويتلقى عنه مباشرة، إلى غير ذلك من العقائد المخالفة للكتاب والسنة[(٥)]، مع محاولته الانقلاب على الحكم[(١)]، "وقد كتبوا بذلك وثيقة من نسخ متعددة،

---

(١) ينظر: الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة (١٢٢)، مقدمة إدريس الكتاني على نصيحة أهل الإسلام (٣١)، تصحيح عبد الرحمن بن جعفر الكتاني على نظم المتنتاثر (٢٤٤).

(٢) ينظر: المراسلات مصورة بخطيهما ومنسوخة، في كتاب: المحدث الكبير العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي شيخ مشايخ العصر في المغرب والحجاز وبلاد الشام، لمحمد بن عزوز (١/١٨٣—٢٠٧).

(٣) هو: شيخ الطريقة الكتانية الأحمدية بالمغرب، وشقيق محمد عبد الحي صاحب فهرس الفهارس، نُسب إلى قبح الاعتقاد، وقد افتى العلماء بزندقته –بعد مناظرات طويلة– بسبب أقواله الكفرية التي يدعوا لها والعمالة لفرنسا، فجلد بأمر من السلطان المولى عبد الحَفِيظ وتوفي بعد ذلك، ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني (١/٤)، معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، عبد الحفيظ بن محمد الفاسي(٤٠-٤٤)، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، لابن سودة (٢/٣٨١)، معجم الأعلام (٦/٢١٤)، التاريخ السياسي للمغرب (٩/٩٨، ١٢٨-١٣٣)، ترجمة محمد الكتاني الشهيد لمحمد الباقر (١٧٩)، مقدمة مفاكهة ذوي النبل والإجادة، عبد الحي الكتاني (ص٦٢).

(٤) ترجمة محمد الكتاني الشهيد (٤٢٩).

(٥) وهذا هو السبب في امتحانه أيام المولى عبد العزيز حيث امتحنه بعض علماء مراكش بأسئلة عجز عن الجواب عنها، فأعلن التبرؤ من المشيخة وجميع ما كان عليه وشهدوا عليه بذلك، ثم في عهد المولى عبد الحفيظ أظهر كل ما كان يعلن التبرؤ منه، ينظر: الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة (١٩)، التاريخ السياسي للمغرب (٦/١٤٨-

وُزعت على جهات مختلفة"[٢]، ثم بعد ذلك هرب محمد بن عبد الكبير بأهله وأولاده وخدمه من فاس قاصدا بعض القبائل حتى تسانده وتتبع طريقته- كما ثبت-[٣]، حتى بلغ السلطان عبد الحفيظ ذلك وأرسل ورائهم جيشا حتى حبسهم أجمع، إلا أمّه وهي فضيلة بنت إدريس الكتانية[٤]؛ لعلمه بأنها عمّة محمد بن جعفر الكتاني، ولمقامه عنده أرسل عمته إليه، ثم أمر بجلد محمد بن عبد الكبير، حتى توفي بعدها[٥].

وقد جاء بأن من العلماء الذين أنكروا عليه في ذلك الوقت محمد بن جعفر الكتاني[٦]، يقول محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي[٧] عن محمد بن عبد الكبير الكتاني: "زعم أنه يجتمع بالنبي-صلى الله عليه وسلم- يقظة، ويتلقى منه مباشرة، وأنه غوث الأغواث، وقطب

١٥٤، ٩٣/٩ وما بعدها)، الرحلة المراكشية، أو مرآة المساوئ الوقتية (٢٠٦-٢٠٨)، محمد بن عبد الله المؤقت، للاستزادة في آرائه العقدية وطريقته ينظر: الطريقة الكتانية-عرض ونقد- بدرية بنت حمدان الدوسري.

(١) ينظر: التاريخ السياسي الكبير للمغرب العربي؛ عبد الكريم الفيلالي (١٤٧/٦، ١٥٧) معجم الشيوخ (٤٢/١)، ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد (٤٢٩)، الزاوية الكتانية والمخزن لزهير شمشوب (٦٠).

(٢) التاريخ السياسي الكبير للمغرب العربي (١٣٣/٩).

(٣) وهي قبائل بني مطير، يذكر الفيلالي أنه ذبح أمام خيام أسيادها ذبائح؛ مما يعد في عرفهم طلب للاستجارة بهم، ينظر: التاريخ السياسي الكبير للمغرب العربي (١٦٩/٦).

(٤) هي: فضيلة بنت إدريس بن الطائع بن إدريس الكتانية، توفيت عام ١٣٣٧هـ، ينظر منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٤٨)، معلمة المغرب (٦٧٥٩/٢٠)، وقد أفردها بالترجمة ولدها عبد الحي الكتاني في كتاب سمّاه:" ترقية المريدين بما تضمنته سيرة الوالدة من أحوال العارفين".

(٥) ينظر: معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب (٤٠-٤٤)، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (٣٨١/٢)، النبذة اليسيرة النافعة (٢٢٦-٢٣٠)، ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد المسماة: أشرف الأماني بترجمة سيدي محمد الكتاني (٤٠٢).

(٦) ينظر: الحق المبين والخبر اليقين، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ص١٠٨)، الرحلة المراكشية (٢٠٦)، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير (٩٨/٩).

(٧) هو: محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي، الثعالبي الجعفري الفلالي الفاسي، من المالكية السلفية في المغرب، أسندت إليه سفارة المغرب في الجزائر، ولي وزارة العدل ووزارة المعارف في عهد الاحتلال الفرنسي، من مؤلفاته: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، النظام في الإسلام، توفي عام ١٣٧٦هـ، ينظر: الأعلام (٩٦/٦)، الفكر السامي له (٩/١)، التاريخ السياسي للمغرب للفيلالي (٩٨/٩)، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (٢٩٧/١).

لأقطاب[١]، ونقلت عنه مقالات منافية لأصول الدين، واستعمل صلاة نبوية جعلها ورد لأصحابه إلى الآن، يقتضي ظاهرها الحلول والاتحاد والتجسيم[٢]، وأنكر عليه علماء الوقت إذ ذاك، كخاله سيدي جعفر[٣]، وابنه سيدي محمد بن جعفر الكتاني وغيرهما"[٤].

فذكر بأن محمد بن جعفر الكتاني من المنكرين عليه، وهذا مما يُحمد له، لكنه منقوض بمدحه لمحمد بن عبد الكبير الكتاني، ولتصوفه، وعدم إنكار خروجه على الحاكم المسلم، حيث ترجم له في "النبذة اليسيرة النافعة" وقال: "طبّق ذكره الآفاق، وشاع صيته في الحواضر والبوادي وسائر الرفاق، العلامة الأبهر، والصوفي الأكبر، من تفجرت ألسنته وأقلامه بالعلوم، وبهر ما بيديه الخصوص والعموم، المربي النفاع، الكثير الأتباع: أبو عبد الله مولانا محمد بن عبد الكبير الكتاني، وهو ابن عمتي شقيقة والدي، ... حبب إليه الخلوات، والاشتغال بعلوم السادات، فحصل منها النصيب الأوفر، في أقرب مدة، ثم تفجر بالعلوم اللدنية، والمواهب العرفانية، ...خرج إلى الصحراء داعيا إلى الله، فأشيع عنه أنه يطلب الملك والولاية الظاهرة والجاه، فألقى نفسه إلى السلطان المولى عبد العزيز بمراكش لدفع هذه الإشاعة"[٥].

فأثنى على محمد بن عبد الكبير وعلى تصوفه، وقرر بأنه ما خرج للصحراء إلا للدعوة إلى الله–برأيه–، وما سوى ذلك إشاعة عنه، وهذا في الحقيقة يخالف كل الوثائق التاريخية

---

(١) القطب في اللغة: ما عليه مدار الشيء وملاكه، ومنه قطب الرحى، ينظر مادة (قطب): المخصص لابن سيده (٣٦٣/٢)، النهاية لابن الأثير (٧٩/٤)، تاج العروس (٥٦/٤)، والقطب عند الصوفية: رجل واحد هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان، يُسمى غوثا باعتبار التجاء الملهوف إليه، خُلق على قلب محمد–صلى الله عليه وسلم–ويسمى بقطب الأقطاب، وقطب العالم، ينظر: معجم اصطلاحات الصوفية للحنفي (٢٠٧)، مجموع الفتاوى (٩٦/٢٧).

(٢) ينظر: تفصيل هذه العقائد في (ص ٢٦٤) وما بعدها.

(٣) وهو من مشائخ الطريقة المحمدية الكتانية، ينظر: ترجمته (ص ٣٥).

(٤) الحق المبين والخبر اليقين، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي (ص١٠٨)، وينظر: التاريخ السياسي للمغرب (٩٨/٩).

(٥) النبذة اليسيرة النافعة (٢٢٣–٢٢٤).

والكتابات التي تناولت تلك المرحلة عن محمد بن عبد الكبير الكتاني[(١)]، والمدح والثناء على محمد بن عبد الكبير يبين أنه من الموالين له، فقد قال أيضا في ترجمته: "شاع عنه أنه ينتسب لمقام الختمية الكبرى، الواسطة بين الولاية والنبوة والممد لجميع الأولياء، من لدن آدم إلى النفخ في الصور، بل وذكر ذلك هو عن نفسه في بعض تآليفه"(٢) فلم يُنكر عليه عقائده، وقال أيضا: "ثم إنه وقع ما وقع مما هو مشهور من بيعته للجناب الحفظي بفاس، بعد خلع أخيه المولى عبد العزيز، واشتراطه عليه في أصل البيعة شروطا وافقه عليها الكل، فيقال إنه حنق عليه بسببها، وأيضا فإن صاحب الترجمة أطلق لسانه في مجالسه بالإنكار عليه، في أشياء كانت تبلغه عنه، وكان ذلك يبلغ الجناب المذكور، فزاد حنقا بسببه، وتأكد ذلك عنده، بما كان يدسه أهل السوء تقربا إليه، من أنه قال كذا، وقال كذا، من المقالات التي ينكر ظاهرها، بل ربما يكفر صاحبها، وأدى الحال إلى خروج صاحب الترجمة من فاس، ومعه أبوه وأخوه عبد الحي الكتاني[(٣)] بأهاليهم وخدمهم وكثير من أصحابهم، ذاهبين ناحية البرابر، حيث لا سلطة للجناب الحفظي، بغير إذن منه ولا علم، فتوهّم أنهم ما خرجوا إلا للخروج عليه، فأرسل ورائهم جيشا فأرجعهم من الطريق، ثم حبسهم أجمع إلا أم صاحب الترجمة فإنه أرسلها إليّ؛ لما علم أنها عمتي، ولم تطب نفسه بما فعل بهم وبأصحابهم وبما كتبه لأهل الآفاق في شأنهم حتى أخذ صاحب الترجمة فضربه ضربا عظيما كان موته منه بعد نحو من سبعة عشر يوما من الضرب، ومات رحمه الله شهيدا عن نيّف وثلاثين سنة، ...وأنت ترى ما أحلّه الله بالقوم الظالمين، من شتاتهم، وزوال ملكهم، وخراب ديارهم، وذهاب أموالهم، واستيلاء العدوّ على بلادهم وغير

---

(١) ينظر على سبيل المثال: التاريخ السياسي الكبير للمغرب العربي؛ عبد الكريم الفيلالي (٦/١٤٨-١٥٤، ٩/٩٩)، الزاوية الكتانية والمخزن (٦٠) متصوفة استهوتهم السلطة الرابعة؛ لمصطفى الريس، مجلة الصباح، ١١ يوليو ٢٠١٢، مقدمة مفاكهة ذوي النبل والإجادة، عبد الحي الكتاني (٧٨-٨٥).

(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٢٢٧).

(٣) صاحب فهرس الفهارس، ترأس الطريقة الكتانية الأحمدية، ستأتي ترجمته (ص٤٤).

ذلك، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢﴾ [سورة هود:١٠٢]، ولا نشك أن ذلك من انتقام الله تعالى لأوليائه وأهل بيت نبيه، وفيه أعظم كرامة ومزية لهم "[١].

وهذا يؤكد كونه من الموالين له، فقد حكم على المنكرين عليه بأنهم أهل سوء، ووصف المولى عبد الحفيظ بالظلم، مع التنبيه على أن محمد بن جعفر الكتاني في هذا الموضع من الترجمة ناقض تقريره السابق؛ حيث علل خروج محمد بن عبد الكبير بأنه خرج هاربا من المولى عبد الحفيظ بسبب حنقه عليه وعلى مقالاته، وهذا التقرير هو الذي قرره أهل التاريخ، وهو خروج ابن عمته على الحاكم، لا السابق- بأنه خرج للصحراء داعيا إلى الله-!

وقد قال في ترجمة والده عبد الكبير[٢]:"نزلت به وبأولاده وعيالهم وأصحابهم الداهية العظمى، التي حُبسوا فيها، وسُجنوا، وقُيّدوا، وضُرب ولده الشهير الذكر، العظيم القدر، حتى مات بعد من ذلك الضرب"[٣]، مما يبين موالاته له.

أما ما جاء بأنه من المنكرين عليه، فيحتمل منه-لو ثبت- بأن إنكاره عليه إنما هو لأجل كون محمد بن عبد الكبير أظهر عقائد صوفية باطنة لا تُظهر عندهم إلا للخاصة، وهي عقائد يُكفّر ظاهرها، ويرى الصوفية صحتها وعدم إفشاؤها للعوام، ومحمد بن جعفر الكتاني ممن يرى ذلك[٤]، وقد قال في تقريره السابق في ترجمة محمد بن عبد الكبير: "المقالات التي ينكر ظاهرها، بل ربما يكفر صاحبها"[٥]، فقرر بأن مقالاته يُنكر ظاهرها، ويُكفّر صاحبها، وقرر بأن أهل السوء-برأيه- نقلوا ذلك للحاكم! فلم ينكر حقيقة مقالاته، كما لم ينكر خروجه، بل عدّه من الأولياء

كما يحتمل-والله أعلم- بأن إنكاره على محمد عبد الكبير هو ووالده جعفر هو إنكار تعاونه مع المحتل الكافر ضد المولى عبد الحفيظ؛ لأن محمد بن جعفر الكتاني كان شديد

---

(١) النبذة اليسيرة النافعة (٢٢٩-٢٣٠)، وينظر المرجع نفسه (١٦١).

(٢) مؤسس الطريقة الكتانية المحمدية، ينظر ترجمته: ص (٤٠) من هذا البحث.

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٢٢٠).

(٤) ينظر: ص (٢٢٠) من هذا البحث.

(٥) النبذة اليسيرة النافعة (٢٢٩).

الإنكار على من يستنصر بالمحتلين ضد ولاة المسلمين، وله رسالة في تحريم ذلك[1]، هو ووالده[2]، ومحمد بن عبد الكبير اشتُهر بعمالته للفرنسيين في ذلك الوقت[3].

هذا مجمل لأحوال العصر في بلاد المغرب، تبين فيها تصوّف محمد بن جعفر الكتاني، ومواقفه من بعض الحكّام.

أحوال العصر في الحجاز والشام:

في عصر محمد بن جعفر الكتاني كانت الحجاز والشام تحت نفوذ الدولة العثمانية[4]، وكان حكّام مكة هم الأشراف[5] الذين أقرتهم الدولة العثمانية في حكم مكة، حتى استقلت بعد زمن عن الدولة العثمانية، وبعد عدة أعوام دخلت الحجاز تحت حكم الملك عبد العزيز آل سعود-رحمه الله-، فقد أدرك محمد بن جعفر الكتاني حكم الأشراف وحكم آل سعود، فأدرك من الأشراف ثلاثة، وهم: عون الرفيق باشا[6]، وعلي عبد الله باشا[1]، والحسين بن علي[2]،

---

(١) وهي: رسالة في حكم الاحتماء بالنصارى، وينظر: تقييد في أحكام خلع الحاكم (ل ١-٢) -وهي فتوى له منشورة على الشبكة باسمه-، نصيحة أهل الإسلام (١١١-١١٥).

(٢) ينظر: الدواهي المدهية للفرق المحمية، لجعفر بن إدريس الكتاني (ص١٩٨-٢٠٢).

(٣) ينظر: التاريخ السياسي للمغرب (١٤٧/٦وما بعدها، ٩٩/٩)، ترجمة محمد الكتاني الشهيد (٣٤٣).

(٤) العثمانيون هم: الأتراك، والدولة العثمانية هي: دولة إسلامية أسسها عثمان بن أرطغرل، واستمرت قائمة لأكثر من ٦٠٠ سنة، انقضت بإعلان العلمانية في تركيا عام ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م، ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا(٢٦٣/٢)، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني) (٢٠٩/٨).

(٥) ابتدأ حكم الأشراف لمكة منذ عام (٣٥٨هـ)، وظلوا يتعاقبون في الحكم على طبقات، وكانوا على صلة بالدول الحاكمة إما في مصر أو العراق، ينظر: البداية والنهاية، لابن كثير (٣١٨/١٥)، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، لعلي السنجاري (١٩٩/٢).

(٦) هو: عون الرفيق باشا بن محمد بن عبد المعين بن عوف، ولي مكة عام ١٢٩٩هـ، وتوفي عام١٣٢٣هـ، كان جبارا طاغية خافه الناس، وكُتبت فيه بعض المؤلفات، وقد ذكر الكتاني ظلمه، ينظر: الرحلة السامية (١٤٩، ١٨٦)، ينظر ترجمته في: مرآة الحرمين، إبراهيم رفعت باشا (٢٧٦/٢ وما بعدها)، الأعلام الشرقية (٣٣/١)، تاريخ مكة (٦٢٢/٢)، تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، عبد الفتاح بن حسين راوة (٤٠٠)، جدول أمراء مكة وحكامها من منذ فتحها إلى الوقت الحاضر، مساعد بن منصور (٤٥)، مكة في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد عمر رفيع (ص١٤٦، ٢٣٨)، الشوقيات لأحمد شوقي (٢١١/١).

ومن آل سعود الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود[٣] -رحمه الله-[٤].

كما أدرك في حياته من سلاطين الدولة العثمانية ستة سلاطين، أولهم السلطان عبد العزيز[٥]، وآخرهم ابنه عبد المجيد الثاني[٦] آخر خلفاء بني عثمان، الذي حكم الدولة العثمانية بعد أن تم إلغاء نظام السلاطين وتجريده من جميع امتيازاته عام ١٣٤٠ هـ، وقد تم في عهده تنفيذ شروط الإنجليز وهي: إلغاء الخلافة الإسلامية في البلاد، وطرد جميع بني عثمان من تركيا،

---

(١) هو: علي باشا بن عبد الله بن محمد بن عبد المعين أبو عون، من أشراف مكة، وليها عام١٣٢٣ هـ وعزل عام ١٣٢٦هـ فانتقل إلى مصر، وأقام بالقاهرة إلى أن توفي عام ١٣٦٠هـ، ينظر: مرآة الحرمين (١٥٨/٢)، تاريخ مكة (٦٢٧/٢)، معجم الأعلام (٣٠٩/٤).

(٢) هو: الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين ابن عون، أول من قام في الحجاز باستقلال العرب عن الترك، وآخر من حكم مكة من الأشراف الهاشميين، هُزم أمام الملك عبد العزيز آل سعود، وأخرج الفرنسيون ابنه فيصلا من سورية بعدما أرسله لها فاتحا، توفي عام ١٣٥٥هـ، ينظر: ملوك العرب، أمين الريحاني (٢٣/١)، الأعلام الشرقية (٢٢/١)، معجم الأعلام (٢٤٩/٢).

(٣) هو: عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل بن تركي بن محمد بن سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية، وأول ملوكها، تبنى العقيدة السلفية ودعى إليها ودافع عنها، توفي عام١٣٧٣هـ، ينظر: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، للزركلي (٦٠)، الأعلام (١٩/٤)، تاريخ المملكة العربية السعودية، عبد الله العثيمين (٤٣/١)، ملوك العرب (٤٩٣)، جدول أمراء مكة وحكامها من منذ فتحها إلى الوقت الحاضر (٤٩).

(٤) ينظر: تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعي (٦٢٠/٢وما بعدها)، مرآة الحرمين، إبراهيم رفعت باشا (٢٧٥/٢ وما بعدها)، التاريخ الإسلامي، (العهد العثماني)، محمود شاكر (٢٤٠/٨).

(٥) هو: عبد العزيز بن السلطان محمود الثاني، تولى الحكم بعد وفاة أخيه عبد المجيد في عام ١٢٧٧هـ، ومكث في السلطة خمس عشرة عامًا حتى خلعه وزراؤه، وهو السلطان العثماني الوحيد الذي قام بزيارات خارجية سياسية إلى مصر وإلى ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، ولم يشهد عهده أي حروب خارجية للدولة، توفي بعد أربعة أيام من عزله واختلف في سبب وفاته، ينظر: خطط الشام (٩٨/٣)، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني) (١٨٠/٨).

(٦) هو: عبد المجيد بن السلطان عبد العزيز بن السلطان محمود، الخليفة العثماني الأخير، تولى السلطة عام ١٣٤٠هـ، وقد جرد الخليفة من السلطات السياسية كافة، والتفت حوله الجماعات المناوئة لمصطفى كمال، طويت في عهده صفحة الخلافة العثمانية، وأعلنت الجمهورية التركيا وقامت العلمانية فيها، ينظر: الأعلام الشرقية (٣١/١)، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني) (٢٣١/٨).

ومصادرة كافة أملاكهم في الدولة، وإعلان تركيا دولة علمانية[١]، تم ذلك عام ١٣٤٢هـ، – قبل وفاة محمد بن جعفر الكتاني بثلاث أعوام–، ثم طُرد السلطان إلى فرنسا وانتهى بذلك حكم العثمانيين الذين حكموا لستة قرون[٢].

وقد تأثرت الحجاز والشام بالأحداث التي جرت في تركيا، وظهور حركة تركيا الفتاة[٣]، التي انضم إليها الكثير من المتحمسين إلى الحرية، وقد نجحت الحركة في إصدار فتوى بوجوب عزل السلطان العثماني عبد العزيز وإعلان الحكم الوضعي الدستوري[٤]، وتنصيب السلطان عبد الحميد[٥] مكانه، وهو الابن الثاني للسلطان عبد المجيد، وصاحب فكرة سكّة حديد الحجاز[٦]، وقد كان في البداية طَوع أمر الدستوريين مما أدى إلى سيطرتهم على مقاليد الأمور، حتى اختاروا لمكة شريفا يعتنق مبادئهم، إلى أن حصل خلاف بينهم وبين السلطان،

---

(١) العلمانية هي: ترجمة خاطئة للفظSecularism في الإنجليزية، وهي كلمة لاصلة لها بلفظ العلم ومشتقاته على الإطلاق، والترجمة الصحيحة للكلمة هي: اللادينية، أو الدنيوية، وهو ما لاصلة له بالدين، أو ماكانت علاقته بالدين علاقة تضاد، ينظر: مذاهب فكرية معاصرة، آمال العمرو (ص٧١).

(٢) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا (٢/٢٦٣)، التاريخ الإسلامي (العهد العثماني) (٨/٢٠٩).

(٣) تركيا الفتاة: أو الأتراك الشباب بالتركية، وهي حركة قومية تركية علمانية، تعمل من أجل تحقيق بعض المبادئ المعلنة منها الحرية الفردية، والنظام الدستوري، والتحرر الوطني من السيطرة الأجنبية، ينظر: أسرار الانقلاب العثماني، مصطفى طوران (ص٢٥، ٤٩)، السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، محمد قربان نيازملا (ص٥٩)، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا (٢/١٧١).

(٤) الحكم الدستوري: هو الحكم النيابي الديموقراطي الوضعي، الذي يزعم فيه بأن الأمة تحكم نفسها بنفسها، مع حفظ حقوق الخليفة، وتطبيق أوامر الدستور حرفياً، ينظر: الديمقراطية وموقف الإسلام منها، محمد نور الرهوان (ص١٧)، السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، محمد قربان نيازملا (ص٤٨).

(٥) هو: عبد الحميد بن عبد المجيد الأول، تولى الحكم وهو في الرابعة والثلاثين من عمره، وكان متدينا ذكيا كثير العمل، تولى الحكم في ظروف بالغة الخطورة منها مؤامرات الدول الأوربية، اتبع فيها سياسة التروي وضبط النفس، خلع بمؤامرة من جمعية الاتحاد والترقي، وهي جمعية سرية تعود جذورها لجمعية الاتحاد والترقي التركية الماسونية التي أسست عام ١٣٢٤هـ من شبّان أتراك، ينظر: السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية (٧٣ وما بعدها)، الأعلام الشرقية (١/٢٩)، تاريخ الدولة العثمانية يلماز أوزتانا (٢/١٨٥)، تاريخ الدولة العثمانية، ميمونة ميرغني حمزة (١٨٣).

(٦) ينظر: خطط الشام، محمد عبد الرزاق علي (٣/٩٨)، تاريخ مكة (٢/٦٥٠)، السلطان عبد الحميد وأثره في نشر الدعوة (١٣٩)، مكة في القرن الرابع عشر (٢٤٧).

نتج عنه اغتيال شريف مكة، وخلافات كثيرة متكررة إلى أن تم تعيين عون الرفيق باشا عام ١٢٩٩هـ -الذي أدركه محمد بن جعفر الكتاني[١]- فتوجه إلى الحجاز من تركيا[٢].

وهكذا أصبح تعيين سلطان تركيا وشريف مكة أو عزله بيد الدستوريين في الغالب[٣]، حتى تولى إمارة الحجاز الشريف الحسين بن علي قادما من تركيا عام ١٣٢٦هـ، وقد كان يعرف الكثير من خفايا أصحاب الدستور، إلا أنه لا يميل إلى فكرة الدستور، ولا يعترف بمبادئه، ولم يجاهر بمقتهم، بل ظل يجمع كلمة المسلمين تحت راية العثمانيين، ويدعوا لهم بالتوفيق، وقد كان السلطان عبد الحميد وأكثر الدستوريين لا يريدون توليته، وأرادوا معارضته[٤].

وظل الحسين على نشاطه ضد الحكم الدستوري حتى استطاع عام ١٣٣٤هـ أن يعلن الحرب ضد الدولة العثمانية بدعم من بريطانيا خلال الحرب العالمية الأولى، سعيا وراء تخليص الحجاز من الأتراك، فخلّصها منهم حتى أصبحت له السيادة فيها[٥].

وقد قام الدستوريون بأعمال عنيفة ضد العرب في الشام، يترأسهم أحمد جمال باشا الملقب بالسفّاح، حاكم الشام في تلك المدة[٦]، وكان الأمن قد اختلّ في أرجاء الشام، حيث

---

(١) وقد لقيه بمكة في رحلته، وألمح عن ظلمه للحجاج، ينظر: الرحلة السامية (١٤٩، ١٨٦).

(٢) ينظر: خطط الشام (١١٧/٣)، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا (١٦٨/٢)، تاريخ مكة للسباعي (٦٠٩/٢-٦٢٠)، السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، محمد قربان نيازملا (ص٣٧).

(٣) ينظر: تاريخ مكة (٦٣٠/٢)، التاريخ الإسلامي (٢١٠/٨)، حتى أنهم خلعوا السلطان عبد الحميد كذلك، ينظر: السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، (ص٨٦)، تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا (١٨٤/٢).

(٤) ينظر: الملوك الهاشميون، جيمس موريس (٢١)، تاريخ مكة (٦٣٢/٢)، السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية (ص٨٠).

(٥) ينظر: خطط الشام (١٣٩/٣)، الثورة العربية الكبرى، أمين سعد (١٢٣/١، ١٩٣ وما بعدها)، تاريخ مكة (٦٣٤/٢، ٦٧٠ وما بعدها).

(٦) هو: أحمد جمال باشا، أحد مؤسسي جمعية الإتحاد والترقي الماسونية، اشترك في ثورة تركيا الفتاة والتي أطاحت بالسلطان عبد الحميد، حكم الشام عام ١٣٣٣هـ واشتهر بجرأته على سفك دماء الأبرياء، توفي مقتولا عام ١٣٤٠هـ، ينظر: الأعلام الشرقية (٦٠-٦١)، مذكرات جمال باشا السفاح، تعريب علي شكري (٢٨٦).

اجتمع فيها النصارى واليهود والدروز[١] والنصيرية[٢] وصاروا يتقاتلون فيما بينهم، وكانت فرنسا تساند النصارى، وبريطانيا تساند الدروز، وقد هلك ألوف من النصارى، ومئات من المسلمين والدروز، وخسر أهل المدن والقرى أموالهم، وقد همّ السفاّح بقتل ثلة كبيرة من الشبان والشيوخ، مما أدى إلى اتصال بعض الجمعيات العربية بالحسين ليخبروه بمعاناة العرب، ويستطلعوا رأيه في القيام بحرب يتزعمها، فقام بإرسال ابنه فيصل[٣] إلى سوريا عام ١٣٣٦هـ، لتسوية الخلافات فيها، إلا أن السفاح لم يأبه وقتلهم[٤].

ولم يلبث إلا أن انسحب السّفاح والجيش العثماني منها ومن جميع مدن سوريا، ودخل فيصل سوريا، وقوبل باستقبال شعبي وعسكري؛ احتفاء به، وأيّده جموع الشعب وبايعوه باسم السلطان حسين، وأعلن فيصل تأسيس حكومة عربية في دمشق[٥].

---

(١) الدروز: هي إحدى الفرق الباطنية، تُنسب إلى محمد بن إسماعيل الدرزي، المعروف بتشكين، يؤلهون الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وتجحد كل ما أخبر الله به، وتقول بالتناسخ، نشأت في مصر في القرن الخامس الهجري، وهاجرت إلى الشام، ينظر: جواب عن الدرزية والنصيرية ضمن مجموع الفتاوى (١٦١/٣٥)، خطط الشام (٣٠/١)، وللاستزادة ينظر: عقيدة الدروز عرض ونقد، محمد الخطيب، أضواء على العقيدة الدرزية، أحمد الفوزان.

(٢) النصيرية هي: إحدى الفرق الباطنية الغلاة، تنسب إلى محمد بن نصير النميري الذي ادعى الربوبية، انشقت عن الإمامية الإثنى عشرية، ظهرت في القرن الثالث الهجري، تقوم عقيدتهم على تأليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه، واستحلال المحرمات، والقول بالتناسخ، أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم "العلويين"؛ تمويها وتغطية لحقيقتهم الباطنية الرافضية، وهم وسائر فرق الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، ينظر: فتوى في النصيرية ضمن مجموع الفتاوى (١٤٥/٣٥)، البرهان في معرفة عقائد الأديان، لأبي الفضل السكسكي (ص٦٧).

(٣) هو: أبو غازي فيصل بن الحسين بن علي، ثالث أبناء شريف مكة حسين، وأول ملوك العراق، تولى سوريا لمدة عامين من ١٣٣٨هـ، توفي عام ١٣٥٢هـ ينظر: ملوك العرب (٧٨٣)، ملوك المسلمين المعاصرون (٧٣ وما بعدها)، خطط الشام (١٦٨/٣)، الأعلام الشرقية (٣٤/١)، تاريخ سوريا الحديث، هاشم عثمان (ص٢٠، ٢٣)، الأعلام (١٦٥/٥).

(٤) ينظر: خطط الشام (٧٥/٣ - ١٤٠)، تاريخ بلاد الشام في القرن التاسع عشر، دراسة وتحقيق سهيل ذكار (ص٢٩٣)، تاريخ سوريا الحديث، هاشم عثمان (ص١٥)، مذكرات جمال باشا السفاح (٢٥٧).

(٥) ينظر: منتخبات التواريخ لدمشق، تقي الدين الحصني (٣١٠) ، خطط الشام، محمد عبد الرزاق علي (١٤٤/٣، ١٦٨)، الثورة العربية الكبرى (٣١١/١)، تاريخ سوريا الحديث، هاشم عثمان (ص٢٠، ٢٣)، تاريخ مكة (٦٨١/٢-٦٨٤)، التاريخ الإسلامي (٢٥٠/٨).

وبعد وقت قصير انسحبت بريطانيا التي ساندته ووالده، وزحفت الجيوش الفرنسية باتجاه دمشق عام ١٣٣٨هـ، وأنذرت بعدم المقاومة، وتسليم الخطوط الحديدية، وقبول تداول ورق النقد الفرنسي السوري، وتسريح الجيش العربي، وإلغاء التجنيد الإجباري، وغير ذلك مما فيه القضاء على استقلال البلاد وثروتها، إلى أن أعلن الملك فيصل عن تأليف جيش أهلي يقوم مقام الجيش المنفضّ في الدفاع عن البلاد، فتسارع شباب دمشق وشيوخها إلى ساحة القتال، وقد كانت القوات غير متكافئة مع قوات الجيش الفرنسي المزودة بالدبابات والطائرات، ولم تدم المعركة طويلاً، وعُرفت المعركة فيما بعد بمعركة "ميسلون"، نتج عنها هزيمة العرب، ومغادرة فيصل إلى لندن بدعوة خاصة من العائلة البريطانية المالكة، وبمغادرته انتهت الملكية في سورية، لتبدأ حقبة الانتداب الفرنسي على سورية الذي استمر إلى عام ١٣٦٤هـ (١).

وكان هناك خلاف بين الأشراف وحكام نجد، يرجع إلى بداية ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب(٢)، وقيام الملك عبد العزيز بمناصرتها، وكان العثمانيون يستفيدون من هذا الخلاف لدعم سلطتهم في بلاد العرب، وكانوا يرون أن الحركة الدينية التي قامت في نجد سيصاحبها اتساع في النفوذ، لذا كانوا يساندون أشراف مكة على خصومهم(٣).

ومما نتج عن ذلك ما حصل بين الشريف حسين وآل سعود، فقد حدثت بينه وبين آل سعود غزوات دامية عديدة؛ فقد كان في بداية الأمر يطعن في دينهم وعقائدهم، ويرميهم بالكفر وتكفير المسلمين؛ تمهيداً لقتالهم وأخذ بلادهم، صرح بذلك مراراً في تصريحاته الرسمية،

---

(١) ينظر: منتخبات التواريخ لدمشق (٣٢١)، خطط الشام، محمد عبد الرزاق علي (١٨٠/٣)، تاريخ سوريا الحديث (ص٣٠ وما بعدها)، سوريا والانتداب الفرنسي، فيليب خوري، (٤٩/وما بعدها)، للاستزادة ينظر: المشرق العربي في مواجهة الاحتلال، قراءة في تاريخ سوريا المعاصر، ذوقان قوقوط، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين، وجيه كوثراني، سوريا في العهد الفيصلي، إعداد زوينة بن بلواعر، سمية بلمرابط.

(٢) هو: الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي، إمام الدعوة السلفية النجدية، محدث فقيه، آزره في دعوته الأمير محمد بن سعود، ثم أبناؤه من بعده، من مؤلفاته: كتاب التوحيد، كشف الشبهات، توفي عام ١٢٠٦هـ، ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ (٩/١)، الأعلام (٢٥٧/٦).

(٣) ينظر: تاريخ مكة (٧٠٠/٢).

ومن ذلك أنه صرح بعزمه على محو البدعة الوهابية[1]-كما يرى-؛ خدمة للدين وتنزيهاً له مما فيها من الضلال[2]!

وانتهى أمر هذه الحروب بتاريخ ١٣٤٤/٦/٢٥هـ حيث هُزم الشريف حسين، وتمت مبايعة عبد العزيز آل سعود بالحرم المكي ملكاً على الحجاز ونجد وملحقاتها، وانقضى بذلك حكم الأشراف[3].

هذا مجمل لأحوال الحجاز وبلاد الشام في عصر محمد بن جعفر الكتاني، وفيها يتبين تفكك وحدة المسلمين وضعفهم، وكان لمحمد بن جعفر الكتاني مواقف مذكورة من هذه الأحداث، يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

موقفه من الدولة العثمانية:

يُذكر بأن محمد بن جعفر الكتاني كان يناصح أحمد جمال باشا وزير الحربية العثمانية، ويبعث إليه الرسائل، وكان هو الواسطة بينه وبين الخلفاء العثمانيين[4]، حتى طلبت الحكومة من محمد بن جعفر الكتاني الوساطة للصلح بينها وبين أشراف الحجاز عام ١٣٣٦هـ[5].

وعندما ازدادت أوضاع الحجاز سوءا دعته الحكومة العثمانية على لسان أحمد جمال باشا للهجرة إلى الشام؛ خشية عليه وعلى أسرته، فهاجر واستمرت المكاتبات بينه وبين القادة العثمانيين[1].

---

(١) الوهابية: اشتهر مصطلح الوهابية من خصوم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؛ للتنفير والتنقص منها، بزعم أنها تعادي الرسول-صلى الله عليه وسلم-وتحرم الصلاة عليه، وتهدم القباب التي كانت مبنية على قبور الصحابة، والصواب أنها دعوة تجديدية سلفية، تدعوا إلى نبذ البدع والشرك، والتمسك بالكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة، ينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية لعبد الرحمن بن قاسم (٥٦٦/١)، صيانة الإنسان من وسوسة دحلان، للسهسواني (ص٤٧٤)، دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية، لأحمد الحصين.

(٢) ينظر: الوهابيون والحجاز، طائفة من المقالات التي نشرت في المنار والأهرام، لمحمد رشيد رضا (٣١-٣٢).

(٣) ينظر: تاريخ مكة (٧٣٩/٢)، التاريخ الإسلامي (٢٥٢/٨، ٢٧١).

(٤) ينظر: منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٣)، وينظر في نص المراسلات: المحدث الكبير (٢١٧/١).

(٥) ينظر: منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٤)، وينظر مقدمة محمد حمزة الكتاني على الدعامة في أحكام سنة العمامة (٢٦).

كما كانت له علاقة مع الضابط حسن تحسين باشا(٢)، حتى أمر بطبع كتابه" إرشاد المالك لما يجب عليه من مواساة الهالك" وقد كُتب هذا على غلاف نص الرسالة المطبوع في مكتبة الترقي بدمشق عام ١٣٣٦هـ.

موقفه من الشريف حسين والملك عبد العزيز آل سعود:

يتضح موقفه فيما ذكره ابنه محمد الزمزمي عن أحداث عام ١٣٣٦هـ، حيث قال:" وكان سيدنا الوالد رضي الله عنه يرى أن ابن السُّعود(٣) على ما هو عليه من الغلوّ في الوهّابية، أهون من الحسين وآله؛ وذلك لما صدر منهم من القيام ضد دولة المسلمين، واستعانتهم في ذلك بأعداء الله الكافرين، فكانوا بذلك سببا في استيلاء العدو"(٤).

هذا موقفه من الشريف حسين، فهو يفضل حكم آل سعود على حكم الشريف حسين؛ نظرا لتعاونه مع الكفار في القيام على دولة المسلمين.

وعبارة الزمزمي تؤكد كون محمد بن جعفر الكتاني وابنه في الاتجاه المعارض للسلفية؛ لأنه لمز دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بالغلو، وهذا ما سيتضح في هذا البحث.

ولمحمد بن جعفر الكتاني رسالة أرسلها للملك عبد العزيز ينصحه فيها، ويطلب منه إيواء وإكرام المجاهد أحمد السنوسي(٥) من أجل استيطانه بالمدينة النبوية بعد قيام العلمانية

---

(١) ينظر: منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٣)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٩٦)، الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية، لمحمد بن جعفر الكتاني، (٥١).

(٢) هو: ضابط عسكري عثماني كبير، شارك في عدة معارك، تولى قيادة جيش الملك علي بن الحسين بجدة، أيام حصار الجيش السعودي لها، ولما دخلها الملك عبد العزيز آل سعود، خرج إلى اليمن، ومرض فعاد إلى دمشق، فتوفي بها عام ١٣٦٧هـ، ينظر: منتخبات التواريخ لدمشق (٩٠٠)، الأعلام (١٨٥/٢).

(٣) يعني: الملك عبد العزيز آل سعود.

(٤) عقد الزمرد والزبرجد، نقلا عن: المحدث الكبير (٢١٨/١).

(٥) هو: صفي الدين أحمد بن محمد الشريف السنوسي، سلفي يدعوا إلى العمل بالكتاب والسنة، وينبذ البدع والخرافات الصوفية، اتهم في عصر مصطفى كمال بالاتصال بآل عثمان بعد زوال دولتهم، وطرد من تركيا، فقصد دمشق في عهد احتلال الفرنسيين فلم يأذنوا له بالإقامة، فرحل إلى الحجاز وأكرمه الملك عبد العزيز آل سعود، من مؤلفاته، منها: الأنوار القدسية في ترجمة بعض السنوسيين، توفي عام ١٣٥١هـ. ينظر: فهرس الفهارس (٢٠٧/١)، معجم الشيوخ (ص١٠٥)، الأعلام (١٣٥/١).

بتركيا، يقول الزمزمي عن ذلك:" ولقد دخل آل سعود المدينة المنورة في ٢٠ جمادى الأولى، عام ١٣٤٤هـ، ودخلوا جدة في ٣ جمادى الثانية عام ١٣٤٤، وضاقت بالسيد السنوسي تركيا، فطلب من سيدنا الوالد التدخل مع الملك عبد العزيز آل سعود، بعد استيلائه على مكة وطرده لحسين وأولاده، ليهاجر للمدينة المنورة، فكتب سيدنا الوالد هذه الرسالة من دمشق، وهذا نصها بعد البسملة والتصلية: إلى مقام شريف الجناب، فسيح الرحاب، حضرة السيد المكرم الهمام المعظم الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل المحترم، وفقكم الله وسددكم وعن كل سوء أبعدكم، وسلام عليكم ورحمة الله ما تلا تال بتلذذ كلام الله، أما بعد: ... فقد نزل بكم ضيف كريم وهمام جليل فخيم من آل بيت المصطفى وسلالة العلم والدين والفضل والوفا، ألا وهو السيد الشريف السنوسي، فأحسنوا كما هي عادتكم نزله، وأكرموا ضيافته، وعاملوه بما يناسب مجدكم وفخامتكم، والله يجازيكم، ودمتم في حفظ الله ورعايته والسلام.

العبد الضعيف الجاني محمد بن جعفر بن إدريس الكتاني الحسني المغربي، نزيل المدينة المنورة ثم الشام، كان الله له"(١).

موقفه من الشريف فيصل بن الحسين:

جاء بأن علاقته بالشريف فيصل علاقة قوية، وأن الكتاني كان يوجّهه وينصحه، وهو يستجيب لنصائحه وتوجيهاته برحابة وسعة صدر، بل ويزوره في بيته (٢)، فقد حكى محمد بن جعفر الكتاني في كتابه "إعلان الحجة وإقامة البرهان على منع ما عمّ وفشا من استعمال عشبة الدخان" حكاية وقعت بينهما، حيث قال:" وههنا حكاية وقعت تشتمل على كرامة، وهي: أن الشريف فيصل أمير الشام وقته، أتاني في بيتي زائرا، ولما استقر في مجلسه أراد تناول الدخان، فقلت له: لا يشرب الدخان أحد عندنا، فقال أحرام هو؟ فقلت له: نعم، فقال: أصحابنا الحنفية يحللونه، فقلت له: أما قدمائهم وأهل الورع منهم فأكثرهم أفتى بتحريمه، وأما المتأخرون فتساهلوا مع الوقت لما رأوا أنه قد عمّت به البلوى، وزعموا أنه لم يثبت ضرره ولا تفتيره،

---

(١) نقلا عن المحدث الكبير (٢٢١/١).

(٢) ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٢٢٣)، منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٤).

فسكت وردّه لمحله ولم يستعمله"(١)، فقد أنكر عليه شربه، وامتثل الشريف فيصل بن الحسين لما قرره محمد بن جعفر الكتاني في حكم الدخان وتركه.

وحين احتلال سوريا من طرف الفرنسيين، وانجلاء الشريف فيصل بن الحسين، وانهزام المقاومة الشعبية، حكمت المحاكم الفرنسية بالسجن والإعدام على مئات الوطنيين السوريين، فهرع كبراء البلاد إلى محمد بن جعفر الكتاني يطلبون منه التدخل لدى السلطات الفرنسية، للصفح عنهم، فتدخل لدى قائد الجيش الفرنسي وطلب منه العفو، فقبل وساطته وأطلقهم، مما زاد إعجاب السوريين والتعلق به وبذريته من بعده(٢).

موقفه من مصطفى أتاتورك(٣):

في زيارة محمد بن جعفر الكتاني لأحمد السنوسي أيام وجوده بتركيا عندما استدعته الدولة العثمانية لزيارتها، استقبله الأتراك وأذن له مصطفى كمال -قبل انقلابه على الخلافة- بواسطة السنوسي بأنه حر في زيارة أيّة بقعة من بلاد الترك، وكان ذلك محذورا على غيره (٤).

يقول ابنه محمد في موقفه من حكم مصطفى أتاتورك: "كان سيدنا الوالد يفضّل أن يكون للأمة ملك شورى مفيد، وأن يكون قانون الأمة هو الكتاب والسنة على نحو ما كان عليه الخلفاء الراشدون فمن بعدهم من الملوك والخلفاء في عصور المسلمين الذهبية الأولى، أيام كان العالم مزدهرا وفخورا بالإسلام والمسلمين، نعم إنه لما أعلن مصطفى كمال الجمهورية ونحن بالشام لم يستنكرها الوالد، وقال ما معناه: علمتنا التجارب أن مسلمي عصرنا أقل عدالة،

---

(١) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٢٢٣).

(٢) ينظر: منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٤)، وينظر مقدمة محمد حمزة الكتاني على الدعامة في أحكام سنة العمامة (٢٨).

(٣) هو: مصطفى كامل باشا، المشهور بإلغاء الخلافة الإسلامية، وإعلان العلمانية بتركيا، وهو أول رئيس للجمهورية التركية، أنشأ جريدة اللواء المصرية، توفي عام ١٣٥٧هـ، ينظر: الأعلام الشرقية (١٦٩/١)، الأعلام (٢٣٩/٧).

(٤) ينظر: المحدث الكبير (٢٣٠/١-٢٣١) منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٤)، مقدمة محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني على الرسالة المستطرفة (٣١).

وأضعف أمانة أن تسند إلى أحدهم رعاية الأمة بأسرها، ثم لعله يبيعها بثمن بخس في سبيل مصالحه الشخصية التي قد لا تتجاوز بقاء المُلك الموهوم فيه وفي أولاده"(١).

فقد ذكر بأن والده يُفضّل أن يكون قانون الأمة هو كتاب الله وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم- وأنه لم يستنكر إعلانه للجمهورية، مع أن محمد بن جعفر الكتاني كان يحذر من الحرية الغربية، والحكم بغير ما أنزل الله -كما سيأتي-(٢).

علاقته بالحركات الجهادية:

من أبرز الحركات الجهادية التي عاصرها محمد بن جعفر الكتاني في المغرب: حركة محمد بن عبد الكريم الخطابي(٣)، ومحمد بن حمّو الزياني(٤)، وقد كان كتابه "نصيحة أهل الإسلام" مرجعا لهم يخطب به في المجامع والجيوش؛ لما فيه من الحث على الجهاد والتحذير من الفرار وخذلان المسلمين(٥).

---

(١) المحدث الكبير (٢٣٢/١)، وينظر: منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٤)، مقدمة محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني على الرسالة المستطرفة (٣١).

(٢) ينظر (٨٦٤، ٨٩٦)، من هذا البحث.

(٣) هو: محمد بن عبد الكريم الخطابي، أنشأ جمهورية الريف، وقاد الحركة الوطنية ضد الاحتلال، فخاف الفرنسيون امتداد الثورة الى داخل المغرب وحالفوا الإسبان، وأطبقت عليه الدولتان، وسجن، توفي عام١٣٨٢هـ، ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (١٥٢/٢)، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، علال فارس (١٢٦ وما بعدها)، التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير (٣٢/٨-٥٧ وما بعدها، ٣٥٧/٩)، الأعلام للزركلي (٢١٦/٦)، للاستزادة ينظر: صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار، محمد داهش (٦٧)، محمد بن عبد الكريم الخطابي والكفاح من أجل الاستقلال، لماريا روسا.

(٤) هو: محمد بن حمو الزياني، من أبرز رجال المقاومة في التاريخ المغربي الحديث، اشتهر بنضاله المستميت في معركة لهري التي أباد فيها الكثير من قوات الجيش الفرنسي، توفي عام١٣٣٩هـ، ينظر: العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، أحمد بن قاسم المنصوري (١٢٦)، معركة لهري، صفحات من الجهاد الوطني، محمد بن بلحسن (٣٢وما بعدها)، انتفاضة الشاوية سنة ١٩٠٩هـ، دراسة ووثائق تاريخية، ملاحق أدبية، لأحمد زيادي (ص٢٥)، التاريخ السياسي للمغرب (٢٨١/٧، ٧١/٩).

(٥) ينظر: مظاهر يقظة المغرب الحديث (٣٨٥/٢)، منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٤)، نصيحة أهل الإسلام (١٢٩-١٤٠).

وجاء أنه كان يعمل على الربط والتنسيق بين ابن عبد الكريم الخطابي ومجاهد ليبيا أحمد السنوسي الذي كان يدعو لإصلاح العقيدة وفتح باب الاجتهاد والأخذ بالسلفية –وقائده عمر المختار(١)–(٢) والدولة العثمانية، ويمدهما بالمال والسلاح(٣).

ولم ينقل عن محمد بن جعفر الكتاني أنه انضم لكتائب المجاهدين في سبيل الله، وإنما آثر السفر إلى المدينة النبوية مرات عديدة؛ خوفا من استيلاء الكفار على المغرب، حيث قال في حجته الأولى:" لما خطر لنا في هذه السنة وهي سنة ١٣٢١هـ، خاطر الحج والمجاورة بالمدينة المشرفة، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام بالأهل والأولاد، فرارا من الفتن الحادثة في هذا الأوان بهذا المغرب الأقصى، وخوفا من أجناس الكفار الحائطة به، والداخلة فيه، أن يصير الكل في إيالتهم، وتحت حكمهم بالفعل، وإن كان تحت حكمهم الآن بالقوة"(٤).

وقال في هجرته الأولى للمدينة النبوية وحجته الثانية:" لما كانت سنة خمس وعشرين، هاجرت بعيالي إلى المدينة المنورة؛ خوفا من استيلاء العدو على فاس، لما رأيت من مخايل ذلك، وأسبابه، وحججت فيها ثانيا، وأحججتهم معي، وأقمت بالمدينة المنورة قريبا من السنة، ثم رجعت إلى فاس بعدما قام أهلها على السلطان المولى عبد العزيز وخلعوه"(٥).

---

(١) هو: عُمر بن مختار بن عُمر المنفي الهلالي، أشهر مجاهدي ليبيا في حربهم مع المحتلين الإيطاليين، تولى قيادة الحركة الوطنية وجاهد الإيطاليين لأكثر من عشرين عاما، إلى أن قبضوا عليه وعمره ٧٣ عاما، وحاكموه محاكمة صورية انتهت بإعدامه شنقا عام١٣٥٠ هـ، ينظر: الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشر الهجرية (١٥٨)، عمر المختار لأحمد محمود (ص٥وما بعدها).

(٢) على العكس من موقف والده الذي تصدى للسنوسي ولحركته السلفية، وألّف في الرد عليه رسالة وسماها بعنوان: "القمر المشرق المفلق في الرد على الثرثار المتمشدق المتفيهق"، ينظر: مهمة الحركة السلفية في المغرب، للحسن السايح، مجلة دعوة الحق؛ العدد الثاني (٢١–٣٠).

(٣) ينظر: الرحلة السامية (٧٩)، المحدث الكبير (١/٢٨–٢٩).

(٤) الرحلة السامية (١٠٧).

(٥) النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٤–٣٨٥).

وقال أيضا في هجرته الثانية إلى المدينة النبوية وحجته الثالثة: "ثم رجعت من فاس إلى المدينة المنورة مهاجرا إليها هجرة ثانية بعيالي وأولادي، فدخلتها أول شعبان من سنة ثمان وعشرين، لما زاد الخوف من استيلاء الأعداء -خذلهم الله- وحججت في هذه السنة أيضا"(١).

موقفه من المحتلّين ومن عاونهم:

الثابت عن محمد بن جعفر الكتاني بأنه كان شديد الإنكار على المحتلين، وقد كان يدعوا إلى الله وإلى رفض الأجانب في دروسه وخطبه في مختلف المناسبات، وكان لا يعاملهم ولا يدخل لأحدهم دارا، ويربي أولاده وتلاميذه على ترك مخالطة أهل الدعارة، والمتهمين بموالاة الكفار(٢)، وله عدة خطب في تحذير الناس من خطر المحتلين(٣).

ومن ذلك ما قرره في تمجيد الشريعة الإسلامية وتحذير الناس من خطر المحتلين، حيث يقول:" وإن كثيرا منا يا عباد الله قد دنسوها بالركون لأعداء الدين، وموالاة الكفرة الأشرار المعتدين، والدخول تحت حكمهم وسلطانهم، أو الكون في خدمتهم ومن جملة أعوانهم، والتردد إلى أبوابهم، والتملق بين أعتابهم، نابذين بذلك الغيرة الإسلامية، والطاعات الإمامية، جهلا منهم بما ينشأ عن ذلك من البلايا، وما يترتب عليه من المفاسد العظيمة، والرزايا، وما علموا أن ذلك أصل كل بلوى، وطريق لهدم الإسلام، وخراب أساس التقوى"(٤)، مخالفا في ذلك أغلب الطوائف الصوفية التي كانت من أكبر الأسباب التي مكنت المحتل من السيطرة على البلاد الإسلامية، وقد أدرك المحتل ذلك، ودعم هذه الطوائف، حتى اعترف بذلك الرئيس الفرنسي في ذلك الوقت، فقال: "لقد اضطُر حكامنا الإداريون وجنودنا في أفريقيا إلى تنشيط دعوة الطرق الدينية الإسلامية؛ لأنها كانت أطوع للسلطة الفرنسية، وأكثر تفهما وانتظاما"(٥).

---

(١) المرجع السابق (٣٩٥).

(٢) ينظر: نصيحة أهل الإسلام (٨٨ وما بعدها).

(٣) ينظر: مظاهر يقظة المغرب الحديث، محمد المنوني (٣٢٩/١).

(٤) أوردها محمد المنوني في: مظاهر يقظة المغرب الحديث (٣٣٣/١-٣٣٤).

(٥) الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء، فونداسي فيليب (ص٥٣)، وينظر: التصوف بين الحق والخلق، محمد شفقة (ص٢١٧).

فكثيرا ما أثاروا العامة على الملوك، برفضهم الإصلاحات التي تقدمها الحكومة، بدعوى أن ذلك مخالف للدين، كما أنهم جروا عليهم الهزائم في حروبهم الداخلية والخارجية؛ لأنهم كانوا مأجورين للدول ذات الأغراض في المغرب، فقد " كانت أعمالهم تنفع الأجانب نفعًا مزدوجًا؛ فمن جهةٍ كانوا يُجَهِّلُون الشعب، ويبعدونه عن معرفة مرضه وما يجب أن يُعالج به، ومن جهةٍ أخرى كانوا يُعارضون الإصلاحات التي تقدمها الحكومة للشعب"(١).

هذا مجمل ما يتعلق بالناحية السياسية في عصر محمد بن جعفر الكتاني، وفيها تبين موقفه من الأحداث السياسية، وقربه من سلاطين عصره، وهذا في الحقيقة يعود إلى شهرة الكتانيين بشرفهم وانتسابهم لآل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم-، مما جعل الملوك يظهرون لهم التوقير والاحترام؛ لأن سلاطين المغرب كانوا يصدرون ظهائر التوقير والاحترام لبعض الافراد والمجتمعات، كالشرفاء وأصحاب الزاوايا؛ تشجيعا لهم(٢)، وقد نص الكتاني على هذا، فقد قرر بأن شهرة نسبهم جعلت الملوك تنقاد لهم، وتتواضع وتحسن إليهم، بل تجعل لهم التحكم في المزارات وأخذ صدقاتها، فمما قاله عن الكتانيين: "ولملوكهم أيضا اعتناء بهم وظهائر بتكريمهم وتبجيلهم والإذعان لشرفهم، وذكرهم في غمار المقطوع بنسبهم، والأمر بأن لا تؤخذ منهم زكواتهم، بل يدفعونها إلى الضعفاء من أبناء عمهم، على قاعدة مشاهير الأشراف في ذلك"(٣).

وقال مما قاله في القطع بثبوت نسبهم واتصاله بآل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم-:"الظهائر الملوكية التي بأيديهم المتضمنة لنظمهم في سلك الأشراف المشاهير، وفضلاء آل بيت الجماهير، والحض على ما يجب لهم من المبرة والإكرام، والتوقير والبرور والاحترام"(٤)، إلى أن قال: "قلت: وبأيديهم إلى الآن مزارة يأخذون صدقاتها، ويتصرفون فيها بالدفن وغيره، بظهائر ملوكية، هي تحت أيديهم إلى الآن، كغيرهم من مشاهير الأشراف المنفّذ لهم بعض المزارات؛

---

(١) تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي، الطيب العلوي (ص١٧).

(٢) ينظر: ترجمة محمد الكتاني الشهيد (٤٦٠)، الزاوية الكتانية والمخزن (٣٦).

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٥٨).

(٤) النبذة اليسيرة النافعة (٩٦).

لأخذ صدقاتها تمييزا لهم على غيرهم من العوام، وإيذانا بظهور شرفهم لدى ملوك عصرهم الظهور التام"(١).

كما يعود قرب الكتاني لسلاطين عصره وقربهم منه أيضا إدراك السلاطين خطر المتصوفة السياسي، الذي كان من آثاره في هذا العصر عزل المولى عبد العزيز وإثارة الناس عليه، لا سيما وأن منهم محمد بن عبد الكبير الكتاني ابن عمة محمد بن جعفر الكتاني، وقد أكد ذلك بعض شهداء هذا العصر، حيث قرروا بأن الملوك اضطروا في كثير من الأحيان إلى مداراة المتصوفة درءا لشرهم! (٢)

الناحية الثانية: الحالة الاجتماعية:

الكوارث السابقة التي وقعت على قلب العالم الإسلامي، والفتن الداخلية والخارجية، أثّرت على الحياة الاجتماعية، وما يهم هنا بيان الحالة الاجتماعية في المغرب والحجاز؛ لأن محمد بن جعفر الكتاني قضى أغلب حياته فيهما.

أما المغرب فقد كان المجتمع فيه من العرب والبربر، وأصول أخرى يجمعها الإسلام والمذهب المالكي، وكان اليهود والنصارى قلة نزحت للمغرب بعد الاضطهاد في الأندلس(٣).

وقد تصارعت في هذه المرحلة تحديدًا خرافات التصوف المتفشية في المغرب، مع إصلاحات السلفية القادمة من المشرق، وكانت ظاهرة الخروج على حكم السلطان الفعلي واضحة في المغرب، بحيث كان السلطان يضطر للخروج في حملات لتأديب القبائل الخارجة عن الطاعة.

وكان كثير من مدعي العلم من الصوفية وزراء وقضاة لهم نفوذ قوي على العامة والخاصة، فيتكلمون باسم الدين ويعبرون عن مشاعر العامة بوقوفهم ضد ظلم الولاة، بل

---

(١) المرجع السابق (٩٧).

(٢) ينظر: تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي، الطيب العلوي (ص١٧).

(٣) ينظر: الاستيطان والحماية، لمصطفى بوشعراء (٢٧١/١) فاس قبل الحماية، لروجي لوطورنو (٢٧١/١)، المغرب عبر التاريخ (٤٥٧/٣)، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، خلال قرنين ونصف قبل الحماية، إبراهيم حركات (ص٩٤).

وإعلانهم خلع الوالي الظالم وتنصيب آخر، كما حدث مع السلطان عبد العزيز لما خُلع بفتوى المتعالمين الصوفية [١].

وقد كثرت في هذا العصر الزوايا والطرق الصوفية المنحرفة، ولها أتباع كثر، وكان يُشجَع هذه الطرق كونها معفاة من الضرائب والمكوس، وتيار العلماء متداخل مع الصوفية في الغالب، فما من عالم إلا وله طريقة، أو هو نفسه شيخا لطريقة [٢].

وقد ضعف نفوذ هذه التيارات بعد الاحتلال؛ بسبب تبني الدولة للقوانين الأوربية التي لا علاقة لها بالإسلام، وتبني الحركة الوطنية للدعوة السلفية التي حاربت التيار الصوفي وبيّنت أنه سبب تخلف الأمة، حيث كان الناس يتعلقون بالأموات والأولياء بشكل كبير، ويقدسون المجاذيب[٣]هذا ما يجري في المناطق التي فيها العلم، أما مناطق الجبال البعيدة فقد كان التدين فيها قليلا، مع ما عندهم من العقائد المخالفة للكتاب والسنة [٤].

ولما ظهرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب-رحمه الله- كان لها أثر على العالم الإسلامي ومنه المغرب، وإن كان هذا التأثير ضعيفا في بداية الدعوة؛ لتشويه الخصوم لها[٥].

كما قامت الحركة الوطنية في المغرب حاملة في عمومها راية التمسك بالكتاب والسنة، ومن أهم روادها: السنوسي الذي دعا إلى العودة للكتاب والسنة، وترك التعصب المذهبي والطرقية، وأبو شعيب الدُّكَّالي[٦]، الذي كان من مُعاصري محمد بن جعفر الكتاني [٧].

---

(١) ينظر: تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي (١٦)، المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات (٣/٣٢٩).

(٢) ينظر: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، خلال قرنين ونصف قبل الحماية (ص٥٦-٧٥).

(٣) المجاذيب: أشخاص فاقدون للعقل والتكليف، ينسبون لهم الكرامات وعلم الغيب، ويزعمون أن الجذبة هي أن يجذب الله الصوفي إلى حضرته، ويكشف له من الحجاب، فيكون جسده في الأرض وعقله سابح في ملكوت السماء، ويخبر الناس حوله بالمغيبات، ينظر: معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحنفي (ص٦٢)، أداء الحق الفرض (٣٨).

(٤) ينظر: فاس قبل الحماية (٢/٨٥٩)، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، خلال قرنين ونصف قبل الحماية(ص٦٦)، المغرب عبر التاريخ (٣/٥٣٢، ٥٣٨).

(٥) ينظر: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب (٧٠).

(٦) من أعلام السلف، ينظر ترجمته: ص (٦٩).

(٧) ينظر: الرحلة السامية (ص١٦٦)، التاريخ السياسي للمغرب (٨/٣٢، ٩/٣٥٧).

ومع بسط الاحتلال الفرنسي على المغرب تغيرت الحياة الاجتماعية تغيرا واضحا، في العقائد والأفكار، وطرق المعيشة، واللباس، والخط، فقد تأثر أغلب المغاربة بالأوربيين، فتشبهوا بهم، وانتشر شرب الدخان بين العامة والكبراء(١).

أما الحجاز في هذا العصر فقد كانت إحدى الولايات التابعة للدولة العثمانية، وقد استقرت الحياة فيها أكثر مما كانت عليه في عهودها السابقة؛ لأن المتنافسين على حكمها من الأشراف خضعوا لتنظيم العثمانيين، فتمتع الأهالي بطمأنينة اجتماعية، وأخذوا ينعمون من خيرات العثمانيين، ودخل الحجاج وصدقاتهم، وقد كثُر توافد الحجاج بعد أن علموا باستقرارها، بل ازداد عدد السكان؛ نظرا لتعرض كثير من بلاد المسلمين إلى الفتن والحروب(٢).

وقد عجز الشريف الحسين عن تأمين الطريق بين الحرمين، وأنشأ مديرية للمعارف، وخصص لكل موظف مرتب، ولكل إدارة أو وزارة مكتبا يحوي عدداً من الموظفين، إلا أنه كان على نطاق ضيق، وفي العهد السعودي سارت التشكيلات على ما كانت عليه في عهد الحسين، وتتوسع وتتفرع، وتضاعف عدد الموظفين بها(٣)، ولما تولى الملك عبد العزيز الأمور أنهى ما يرافق الحياة البدوية من سلب ونهب(٤).

هذا ما يتعلق بالناحية الاجتماعية في المغرب والحجاز في عصر محمد بن جعفر الكتاني، وفيه يظهر أن الحجاز كانت أكثر استقرارا من المغرب، بل ومن جميع البلدان الإسلامية في ذلك الوقت على وجه العموم.

الناحية الثالثة: الحالة العلمية والعقدية:

---

(١) وكان أول ما ظهر في مصر عام ١٠١٢هـ، ينظر: أخبار الأول فيمن تصرف في مصر من أرباب الدول (١٢٥)، نقلا عن الأدب المصري في ظل الحكم العثماني (ص٢٣).

(٢) ينظر: مرآة الحرمين (٣٠٩/٢ وما بعدها)، تاريخ مكة (٤٦٦/٢)، صفحات من تاريخ مكة المكرمة، سنوك هورخرونيه (٣١١/٢، ٥٤١)، مكة في القرن الرابع عشر (٢٣١).

(٣) ينظر: مكة في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد عمر رفيع (١٤١-١٦٧، ١٧٤)، صفحات من تاريخ مكة المكرمة (٣١٥/٢)، ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر، محمد علي مغربي (١٦٨).

(٤) ينظر: تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام (٤٧٧).

تدهورت الحالة العلمية والعقدية في هذا العصر، ومن أبرز مظاهرها التساهل بمنح الإجازات، ففي العصور الأولى كان طالب الإجازة يلازم أستاذه مدة طويلة، يحفظ فيها كل ما سمعه من أستاذه الذي لا يمنحه إجازة إلا بعد تدقيق وتحقيق وامتحان، أما في هذا العصر فيكفي أن يقرأ الطالب أوائل كتاب أو كتابين مما يدرسه الأستاذ، حتى ينال إجازة بجميع مروياته[١]!!

بل ذكر محمد بن جعفر الكتاني عن بعض شيوخه، وبعض من لقيهم أنهم ممن استجازهم فأجازوه بإجازة عامة ولم يحضر مجالسهم، وهذا من التساهل بمنح الإجازات[٢]، وكان منح محمد بن جعفر الكتاني للإجازات من هذا القبيل[٣].

وقد كان مرجع العلم في المغرب هو جامعة القرويين[٤] بفاس، فهي المرجع لكل رجال البلاد من خلفاء وملوك ووزراء وعلماء، وهي الجامعة التي تتلمذ فيها محمد بن جعفر الكتاني، وكانت تخرج في سائر العلوم الشرعية، إلا أن هذا العصر يُعد عند المؤرخين عصر الترهل العلمي وشيخوخته، وعصر الاعتماد على المختصرات والحواشي، مع التعصب للمذهب، -وهو المذهب المالكي-، وترك الكتب القديمة واضحة العبارة والاجتهاد، لهذا كانت كتب المالكية المتأخرين في الغالب خالية من الدليل، إلا النادر، وكتب الحديث لا تقرأ إلا للتبرك[٥].

وتوجد بعض الآراء التي ترى بأن جامعة القرويين ازدهرت في القرن الثالث عشر والرابع عشر الهجري، إلا أن هذه الآراء ربما تعني بالازدهار هو أن حلقات العلم كانت مليئة بالطلاب، وأن العلماء يحيطهم الناس بكثير من الإجلال والاحترام، وهذا أمر مسلّم به، لأن العلماء الذين

---

(١) ينظر: الأدب في ظل الحكم العثماني، أحمد كيلاني (ص٤٢).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٩)، الرحلة السامية (١٥٠، ١٥٣، ١٥٩ وغيرها كثير).

(٣) ينظر-على سبيل المثال- إجازته للنبهاني في جواهر البحار (١٦٣٣)، ولراغب الطباخ في مختصر الأثبات الحلبية، المعروف بفهرست الشيوخ (٥٢٩)، وإجازته للرهوني في عمدة الراوين في تاريخ تطاوين (١٦)، وللأيوبي في السفر الصوفي (٥٢).

(٤) وقد ذكر محمد بن جعفر الكتاني أن هذه الجامعة أنشئت في عام ٢٤٥هـ، زمن يحيى بن محمد بن إدريس المتوفى عام ٢٤٩هـ، ينظر: سلوة الأنفاس (٩١/١).

(٥) ينظر: خطط الشام (٤٩/٣)، فاس عاصمة الأدارسة، ضمن الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس٣ (ص٤٠)، فاس قبل الحماية (٦٥٤/٢)، الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد الحجوي (٢٢٥/٢).

يمثلون العلم الشرعي يجلُّهم الناس ويحترمونهم، أما لو قُصد بالازدهار وجود حركة علمية يمكن أن تتيح حركة إسلامية تقود الأمة، فإن جامعة القرويين والمدارس التابعة لها لم تكن في هذا العصر مهيئة لذلك البتّة؛ لأن الناظر في المناهج التي تدرس بالقرويين يعلم بأنها غير مهيئة للقيام بنهضة علمية على أسس عقدية متينة(١).

وقد ظهر في المغرب عدد من العلماء الذين دعوا إلى تغيير هذا الوضع، كأبي شعيب الدكالي وتلاميذه، فكان من تلاميذه من درّس كتب السنة وشرحها، ومنهم من درس "مختصر خليل" وهو أهم مختصر في المذهب المالكي، بالدليل من الكتاب والسنة والنظر(٢).

إلا أن الوضع لم يتغير عن حاله؛ لأن العلوم الشرعية لم تكن تطبق في أرض الواقع منذ حلت محلها القوانين الأوربية(٣).

وقد انتشر في هذا العصر مظاهر الشرك والتصوف، كالبناء على القبور، والتبرك بالأضرحة والأشجار والأحجار، وقد ذكر الكتاني في رحلته التي سماها: "الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية" كثيرا من الأضرحة المتبرك بها في مكة المكرمة وغيرها، وأن هذه الأضرحة عليها قبة وكسوة(٤)، كما ذكر مسألة حكم الادهان بالماء الذي عند قبر الصالح، واختار بأن عمل الناس على الجواز، قصدا للتبرك، مع حسن الاعتقاد وسلامة النية!(٥)

وانتشر الذبح والنذر للأضرحة، فالثائر على المولى عبد الحفيظ -وهو أبا حماره- على سبيل المثال بدأ ثورته بحضور موسم حول مشهد قبر معظّم لإحدى القبائل الكبيرة في المغرب

---

(١) ينظر: الغزو الفكري في مناهج التعليم في مصر والمغرب في القرن ١٤/١٣هـ العلوم الإنسانية، محمد أمين إسماعيلي (ص٢٢٤-٢٥١).

(٢) ينظر: إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علما المغرب المعاصرين، لابن الحاج السلمي (ص٣٥٥).

(٣) ينظر: في تاريخ التشريع الإسلامي، كولسون (ص١٩٥)، الغزو الفكري في مناهج التعليم في مصر والمغرب في القرن ١٤/١٣هـ (٢٥٢ وما بعدها).

(٤) ينظر: الرحلة السامية (١٢٩، ١٣٢، ١٤٨، ١٨٧، ٢٢٦، ٢٤٥، ٢٧٨، ٢٨٩). النبذة الي سيرة النافعة (٣٥٨).

(٥) ينظر: سلوة الأنفاس (٥١/١).

وتحضره قبائل أخرى، فاشترى سبعة ثيران وذبحها قربانا على قبر وليّ؛ لإثارة مشاعر القبائل وسوقهم تحت رايته، فانضم له الكثير واستمرت ثورته سبعة أعوام(١).

بالإضافة إلى ظهور الشرك الأكبر في المدائح النبوية التي انتشرت، والغلو في أهل البيت، حتى وقع الكتاني في تقرير مثل هذا الغلو (٢).

بل كانت الدولة العثمانية والعلوية بالمغرب تشجعان على هذه المظاهر الشركية، فالسلطان عبد الحميد الذي أدركه الكتاني -على سبيل المثال- أمر بتبييض القباب، وتجديد كسوة القبر المنسوب للزبير ووضع قبة من الفضة عليه، وعلى قبر غير واحد من مدعي الولاية(٣)، والسلطان الحسن العلوي أمر ببناء بعض الأضرحة، وتوسعة بعضها، كما أمر بتجديد كثير من قباب الأولياء، وإصلاح ما يحتاج إلى الإصلاح منها(٤).

وكان الكثير من المنتسبين إلى أهل العلم يميل إلى التصوف ويرى السفر لزيارة القبور، والاستغاثة بالنبي -صلى الله عليه وسلم-، و "لا تجد من العلماء من ليس بطرقي؛ لأنه لو بقي حُرا لضاق به العيش، ولنُشرت الدعاية القبيحة حوله، فينعزل حتى يموت جوعا فيضطر إلى الالتجاء إلى طريقة ما، مُرغما"(٥).

يتبين مما سبق بأن الاتجاهات الفكرية بالمغرب المنتشرة في هذه المرحلة، اتجاهين رئيسيين:

١ - الاتجاه الصوفي: الذي نشط بتعدد الطرق الصوفية، ومداراة الرؤساء والملوك لهم.

٢ - الاتجاه السلفي: الذي ظهر بعد قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المشرق، كردة فعل لانتشار مظاهر الانحلال في الفكر الصوفي وأعماله الشركية، وبدعه المنكرة.

---

(١) ينظر: أعلام المغرب العربي (٣٠٨/١).

(٢) ينظر: على سبيل المثال ما ذكره الكتاني في الأربعين الكتانية في فضل آل بيت خير البرية (٤١)، وما أورده من الأبيات في المدح النبوي في إسعاف الراغب الشائق (٥٩، ٧١)، وينظر تفصيل رأيه في الإيمان بالنبي-صلى الله عليه وسلم-، وآل البيت ص (٦٤٦، ٨٠٤).

(٣) ينظر: تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، خليل اينالجيك (ص٢٨٢).

(٤) ينظر: سلوة الأنفاس (٢٩٤/٢، ٢٨٧/٣)، وينظر في غيره ممن شجع على بعض المظاهر الشركية من سلاطين المغرب، سلوة الأنفاس (٢٨٣/٣-٢٨٦).

(٥) تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي، الطيب العلوي (ص١٧).

ثانيا: حياته الشخصية

أولا: اسمه، ولقبه، وكنيته:

- **اسمه:**

هو[1]: محمد بن جَعفر بن إدريس بن الطَّائع بن إدريس بن محمد الزَّمْزمي الكَتَّاني الفاسِي.

وبهذا السياق نسب محمد بن جعفر نفسه[2]، ونسبه أصحاب التراجم، فقد نسب نفسه إلى:

---

(١) ينظر ترجمته في:
- الدرر البهية والجواهر النبوية، لإدريس الفضلي (١١٩/٢).
- جواهر البحار في فضائل النبي المختار، ليوسف النبهاني (١٦٣٢/٣).
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٦١٩/١-٦٢٠).
- الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية (المعروف بفهرست الشيوخ)، لراغب الطباخ (٥٢٩-٥٣١).
- كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية، لمحمد الحجوجي (٣٨٩).
- التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز، محمد زاهر الكوثري (٤٤).
- عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، لأبي العباس أحمد الرهوني (٩/١-٤١).
- المعجم الوجيز للمستجيز، لأحمد الصديق الغماري (٢٦).
- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني (٥١٥/١).
- اتحاف ذوي العناية، محمد العزوزي (١٠، ١٦، ٢٠، ٣٦).
- معجم الشيوخ، لعبد الحفيظ بن محمد الفاسي (٦٤-٦٧).
- معجم الأعلام للزركلي (٧٢/٦-٧٣).
- سل النصال للنضال، بالأشياخ وأهل الكمال، المعروف بفهرس الشيوخ لابن سودة عبد السلام بن عبد القادر (٤٣-٤٦)، وإتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، له (٤٤٤/٢)، وهما ضمن: موسوعة أعلام المغرب، لمجموعة من المؤلفين، تنسيق: محمد حجي (٢٩٦١/٨).
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله (١٥٠/٩).
- الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، زكي محمد مجاهد (٣٦٧/١).
- منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني، لمحمد حمزة الكتاني (١٥٢-١٥٦).
- تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر، لنزار أباظة ومحمد مطيع الحافظ (٤٦١/١-٤٦٤).
- نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، يوسف مرعشلي (ص١١١٠).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة التي هي جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة (٦٦، ٣٠٠).

- **الكتّاني**: نسبة إلى الكتَّان بفتح الكاف؛ وذلك لأن جدُّه الأعلى يحيى بن عمران(١)، يعدُّه المؤرخون أول من استعمل أيام إمارته خيام الكتَّان فنسبوه إليها، وكانت العادة ألا يخيّم إلا بخيام الصوف والشعر، وهو أول من دُعِي بهذه النسبة، واشتُهِر بها بنوه من بعده(٢).
- **الفَاسِي**: نسبةً إلى مدينة فاس، وهي مدينة مشهورة كبيرة على بر بلاد المغرب(٣)، وقد وُلد فيها، ويُنسب إلى هذه المدينة كثير من العلماء(٤).
- **كنيته، ولقبه**: يكنّى محمد بن جعفر الكتاني بأبي عبد الله(٥)، ويلقَّب بالفقيه، والمحدّث، والمؤرّخ، والصوفي(٦)، وقد اتفقت كلمة المؤرخين على كنيته، وتنوعت ألقابه.

- ثانيا: مولده ونشأته:

---

(١) المتوفى في أواخر القرن الرابع، ينظر: النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة، لمحمد بن جعفر الكتاني (١٧٠)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمر أقبر من العلماء والصلحاء بفاس (٨٩/١)، منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٢٥).

(٢) ينظر: الأنوار في نسب آل النبي المختار، لابن جزي الكلبي (٨١)، الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، للقاضي محمد الطالب ابن الحاج (٢١١/١) الدرر البهية والجواهر النبوية (١٠٨/١)، النبذة اليسيرة النافعة (٢٥، ٢٧، ١٢١، ١٧٠).

(٣) ينظر: معجم البلدان، لياقوت الحموي (٢٣٠/٤)، موسوعة المدن العربية والإسلامية؛ ليحيى شامي (٢١٦).

(٤) ينظر: اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير، (٤٠٧/٢)، سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس (٣/١)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (٣٧/١).

(٥) الدرر البهية والجواهر النبوية (١١٩/٢) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٦١٩/١)، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين (١/٩)، معجم الأعلام للزركلي (٧٢/٦)، معجم المؤلفين (١٥٠/٩)، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية (٣٦٧/١).

(٦) ينظر: كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية (٣٨٩)، الدرر البهية والجواهر النبوية (١١٩/٢) إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (٤٤٤/٢)، فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات (٣٧/١)، معجم المؤلفين (١٥٠/٩)، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية (٣٦٧/١)، منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٢)، تاريخ علماء دمشق (٤٦١/١).

ولد محمد بن جعفر الكتاني بفاس من عام ١٢٧٤ هـ باتفاق المؤرخين[١] ، يقول عن نفسه: "لم أعرف سنة ولادتي تحقيقاً، وأظنّها تحزيراً: في شهر ربيع الأول من سنة **أربعة وسبعين ومائتين وألف للهجرة**، بدار جدّي التي بعقبة بن صوّال[٢] من فاس"[٣].

وتربى في أسرة كّتانية صوفية[٤]، وكان كتّانيا من الجهتين، من جهة والده، ومن جهة والدته التي تُوفّيت وهو ابن ستّ سنين[٥]، حتى تكفل والده برعايته وتعليمه، وقد نشأ بالزاوية[٦] الكتانية، التي كانت محج رجال التصوف، وهذه النشأة جعلته يلتقي بكبارهم، حتى أخذ الطرق منهم، وأذنوا له فيها سلوكا وتلقينا، فأخذ عنهم، وأخذوا عنه هم كذلك[٧]، ومن أبرز الكتانيين الذين أدركهم وكان لهم أثر في تكوين شخصيته، من يلي:

-**والدُه: جعفر بن إدريس الكتاني**: وهو المعلم الأول للكتاني، فقد كان محمد بن جعفر الكتاني في ترجمته لنفسه يَعدّ والده من أول شيوخه[٨]، ومما قاله: « قرأت على الوالد قدس الله

---

(١) ينظر: عمدة الراوين (٢/٩)، فهرس الفهارس (١/٥١٥)، معجم المؤلفين (٩/١٥٠)، معجم الأعلام (٦/٧٢)، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية (٣٦٧).

(٢) وهي عقبة مشهورة بعدوة القرويين من فاس، وهو حي من أحيائها لا يزال موجدا إلى الآن، ينظر تعريفه بها في النبذة اليسيرة النافعة (٤٦).

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٣٣١).

(٤) ينظر في تراجمهم: الرياض الريانية في الشعبة الكتانية لجعفر بن إدريس الكتاني(مخطوط)، النبذة اليسيرة النافعة التي هي جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة لمحمد بن جعفر الكتاني، التاج المرصع بالجوهر الفريد، لمحمد الباقر الكتاني، عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد للزمزمي، منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني لمحمد حمزة الكتاني.

(٥) وهي كنزة بنت إبراهيم الكتانية، ينظر: سلوة الأنفاس (٢/٢١٩).

(٦) هي: مكان يرتاده مريدي الصوفية لإقامة حلقات الذكر، والتأمل والاستغراق، والوصول إلى الله والفناء في حب الله ورسوله-كما يدعون- وتسمى رُبَطًا، وخانقاه، وتكية، وغير ذلك، ينظر: الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة، محمد الزمزمي (١٢).

(٧) ينظر: عمدة الراوين (١٠/٢٩)، معجم الشيوخ (٦٦)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٦-٣٨٩)، وقد ذكر محمد بن جعفر الكتاني أسانيده للطرق الصوفية، فعدّ ١٦ طريقة صوفية وذكر أسانيده فيها، وقال بعد سرده لها:"ولنقتصر على هذه الطرق، وإلا فالطرق كثيرة جدا"، ينظر: الإجازة الأيوبية ضمن السفر الصوفي (٣٨-٥١).

(٨) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٣)، الإجازة الأيوبية (ص١٧).

روحه ما شاء الله من نحو ولغة وفقه وحديث وأصول وتوحيد وغيرها، ولازمته، وذاكرته، وسردت الكتب بين يديه، واستفدت منه من صغري إلى أن توفاه الله، واستجزته فأجازني بلفظه مرارا وتكرارا عديدة في كل ماله وإليه من تصنيف وعلوم وطرق وأذكار وغير ذلك، وهو عمدتي وإليه نسبتي»(١).

وهو فقيه مالكي أشعري(٢)، من مشائخ الطريقة المحمدية الكتانية التي أسسها ابن عم محمد بن جعفر الكتاني وهو محمد بن عبد الواحد الكتاني(٣)، وقد كانت هذه الطريقة تابعة للطرق المنتشرة في ذلك الوقت كالطريقة الشاذلية(٤)، والقادرية(٥)، والنقشبندية(٦)، ولم تزد عنهم إلا في بعض الأوراد التي اخترعها محمد بن عبد الواحد(٧)، يقول محمد بن جعفر الكتاني

---

(١) النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٣)، وينظر المرجع نفسه (٣٠٢)، الإجازة الأيوبية (ص١٧).

(٢) الأشاعرة: هم طائفة من طوائف أهل الكلام تنسب إلى أبي الحسن الأشعري -في مذهبه الثاني بعد رجوعه عن الاعتزال-وقد رجع في آخر حياته إلى مذهب أهل السنة في الجملة، بخلاف أتباعه وتلاميذه الذين ظلوا على الانحراف، وهم يخالفون أهل السنة في غالب أبواب الاعتقاد، فهم معطلة نفاة للصفات ما عدا سبع صفات يثبتها جماهيرهم، مرجئة في الإيمان، يميلون للجبر في القدر، ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (٩٣/٢).

(٣) ستأتي ترجمته (ص٣٩).

(٤) الشاذلية: طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي المتوفي عام٦٥٦هـ، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمرًا "هو"، انتشرت في مصر واليمن وبلاد العرب، ومراكش وغرب الجزائر وشمال أفريقيا وغربها بعامة، ينظر: دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير (٢٥١)، فتاوى اللجنة الدائمة (٢٩٢/٢)، الطريقة الشاذلية عرض ونقد؛ لخالد العتيبي.

(٥) القادرية: من طرق الصوفية التي تنسب إلى عبد القادر الجيلاني المتوفى عام ٥٦١هـ وهو منها بريء؛ منتشرة في بلاد أفريقيا والبلدان العربية وشبه القارة الهندية الباكستانية، وقد اشتملت على مخالفات شرعية لا تحصى منها على سبيل المثال: الغلو في الأولياء وعلى رأسهم شيخهم الجيلاني، ينظر: مجموع الفتاوى (٣٦٣/١١)، دراسات في التصوف (٢٦٥)، فتاوى اللجنة الدائمة (٣٥٧/٢).

(٦) النقشبندية: طريقة صوفية نتسب إلى محمد بهاء الدين شاه نقشبند المتوفي عام٧٩١هـ، واشتق اسمها منه، ومن ثم عرفت به، وكانت قبله تنسب إلى عبد الخالق الغجدواني، وسميت كذلك بالمجددية أو الفاروقية نسبة إلى الشيخ أحمد الفاروقي السرهندي، وبالخالدية نسبة إلى خالد النقشبندي الملقب بالطيار ذي الجناحين، وهو الذي نشر الطريقة في بلاد الشام بعد أن تلقاها من الشيخ عبد الله الدهلوي، يعتقد المنتسبون لهذه الطريقة أن المؤسس الأول لها والواضع لأسسها ومبادئها هو أبو بكر الصديق، ينظر: الطريقة النقشبندية عرض وتحليل، لعبد الرحمن دمشقية (٩وما بعدها).

(٧) ينظر: مقدمة خبيئة الكون (٢٤).

عن والده: "أخذ الطريقة المحمدية الكتانية وغيرها من الطرق والأذكار عن ابن عمه البركة الصالح: أبي عبد الله سيدي محمد بن عبد الواحد المدعو الكبير الكتاني صاحب الزاوية"(١).

وكان والده من أعداء السلفية في المغرب، فعلى سبيل المثال تصدى لعبد الله بن إدريس السنوسي(٢) العالم الأثري السلفي ولدعوته، وألّف في الرد عليه رسالة بعنوان: "الفجر الصادق المشرق المفلق في الرد على الثرثار المتمشدق المتفيهق"، وهي في الرد على من يذم العقيدة الأشعرية والتصوف، يقول حفيده حمزة بن علي الكتاني(٣) الذي نهج منهجه في ذكر سبب تأليف هذا الكتاب:" مع بداية القرن الرابع عشر الهجري، بدأت دعاوى متأثرة باصطدامات التيارات في المشرق، تدخل البلاد، دخول نشاز في الأعراف، في وقت وزمان وحالة لا تقبل مثل ذلك، ومن ذلك طالب من طلاب المغرب، من بيت معروف بفاس، سافر مع أهله المشرق، وأخذ بها عن أعلامها، ...كان ذلك الشاب هو عبد الله بن إدريس بن محمد بن أحمد السنوسي، أبو سالم... لما عاد من المشرق عاد بأفكار متشددة، فكان يقول بضلال الأشاعرة واعتقادهم، وكفر الصوفية وشركهم، محرما التبرك، وتسويد النبي-صلى الله عليه وسلم-والتوسل، واتباع الطرق الصوفية، والذكر الجماعي والجهري، الخ، ... فكان بذلك كأنه يدمّر بنائين أساسيين من بناءات المجتمع المغربي المهتز حينه، وهما: مؤسسة العلماء، ومؤسسة الطرق الصوفية، ... فلم يرتض العلماء وأهل الحل والعقد أفعاله، وحذروا منه ومن الجلوس إليه، وكتبوا مبرزين بدعته وشقه للصف الإسلامي، وهم في مقام شيوخه وشيوخ شيوخه، ممن لهم الشورى، والإفتاء في أمور الدين والدنيا، ومن ضمن المؤلفات التي كتبت في الرد عليه هذا

---

(١) النبذة اليسيرة النافعة (٣٠٣).

(٢) هو: أبو سالم عبد الله بن إدريس بن محمد بن أحمد السنوسي الفاسي، عالم أثري ومحدث سلفي، تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لما سافر إلى نجد، فدعا إلى الرجوع للكتاب والسنة، ورفض التأويل، وكان شديدا على المبتدعة والمتصوفة، توفي عام ١٣٥٠هـ، ينظر: فهرسة محمد بن الحسن الحجوي (٤٤)، معجم الشيوخ (١٩٨-٢٠٨)، اتحاف المطالع (١٣٥٠)، مظاهر يقظة المغرب الحديث (٣٧١/٢).

(٣) أشعري صوفي معاصر، ينظر ترجمته (ص ٤٩).

الكتاب: الفجر الصادق المشرق المفلق في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق، لشيخ الإسلام أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني"(١).

وكان والده يدعوا للسماع الصوفي(٢) وإباحة آلات الطرب، يقول عبد الحفيظ الفاسي(٣)في ترجمته له: "كان يعجبه آلات الطرب ويصغي لنغماتها الشجية، وكان هو ومعاصره الشيخ الإمام أبو عبد الله جنون(٤) في هذه المسألة على طرفي نقيض، ووقع بينهما لأجلها شقاق، فألّف الشيخ أبو عبد الله جنون في حرمتها تأليفه المسمى: بالزجر والأقماع المشهور، وألف المترجم في إباحتها كتابه: مواهب الأرب المبرئة من الجرب في السماع وآلات الطرب، وهو في مجلد ضخم، جمع فيه ما لكافّة العلماء في إباحتها فأوعى، وقد دلّنا التأليفان المذكوران على حالة كل واحد منهما، وعلى تأثير الوسط الذي تربيا فيه، فالشيخ أبو عبد الله جنون تربى مع الفقهاء والمحدثين، فكان شديدا على البدع والمبتدعين، وخصوصا أرباب الزوايا والمتنطعين، والمترجم تربى بين أحضان الصوفية وأرباب السماع، فكان على ضده في هذا الباب"(٥).

فقد كان والده ينافح عن بدعه التي يروج لها، وكان هذا العالم السلفي الذي ينكر على والده وهو أبو عبد الله جنون من مشايخ محمد بن جعفر الكتاني الذين يفخر بالتلقي عنهم، وقد تلقى عنه وعن غيره من العلماء السلفيين واجتمع بهم وجالسهم -كما سيأتي-، إلا أنه آثر الأخذ والاقتداء بما عليه معلمه الأول وهو والده، وبما عليه أسرته التي نشأ فيها، وقد توفي والده عام ١٣٢٣هـ (٦).

---

(١) مقدمة الفجر الصادق المشرق المفلق في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق (ص١٥-١٦)، وينظر المرجع نفسه: (٤٣)، مهمة الحركة السلفية في المغرب، للحسن السايح، مجلة دعوة الحق؛ العدد الثاني (٢١-٣٠).

(٢) السماع الصوفي: هو السماع المقيد بالنغم، الذي يخلفه الوجد والتواجد، ثم الحلول والكشف عن الغيب، ينظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٢٠٤)، معجم مصطلحات الصوفية لعبد المنعم الحنفي (١٣٤)، وينظر: الفتوحات المكية (٣٦٧/٢)، إحياء علوم الدين (٢٥٦/٢).

(٣) من تلاميذ الكتاني، ينظر ترجمته ص (٦٤).

(٤) أو: كنون، ينطق بكلا اللفظين، وهو عالم سلفي من شيوخ الكتاني، ينظر ترجمته (ص٥٦).

(٥) معجم الشيوخ للفاسي (١٣١).

(٦) ينظر: معجم المؤلفين (١٣٣/٣)، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، وفيات (١٣١٥هـ-١٤٢٤هـ) لمحمد خير رمضان يوسف (١٤٥/١)، النبذة اليسيرة النافعة (٣١٧).

-جدُّه لأمه: إبراهيم بن محمد الزّمزمي الكتاني: كان ممن يدعي الكشف الصوفي[1] والاطلاع على اللوح المحفوظ، ومن ذلك أنه قال لأحد ورثته- كما حكى عنه الكتاني في ترجمته-:"رأيتك في اللوح المحفوظ أنك المتصرف في تركتي من بعدي"[2]، ومع ادعائه لذلك قال عنه الكتاني: "كانت أحواله جارية على الصراط المستقيم، والنهج القويم"[3]، وقد توفي عام ١٢٦٥هـ[4].

-محمد بن عبد الواحد الكبير بن أحمد بن عبد الواحد الكتاني: ابن عم والده، المشتهر بالكبير بن أحمد بن عبد الواحد مؤسس الطريقة الكتانية المحمدية، المتوفي عام١٢٨٩هـ، من مؤلفاته: المقامات في الإشارات على حروف الهيللة، والعلوم المحمدية[5].

صاحبه الكتاني وأخذ عنه طريقته، حيث قال في ذكر أسانيده للطرق: "وأما الطريقة المحمدية الكتانية فأخذتها عن الوالد عن ابن عمه المولى العارف[6] ذي الكرامات سيدي محمد بن عبد الواحد المدعو: الكبير بن أحمد الكتاني، وهي طريقته التي استقل بها في آخر عمره، ...

---

(١) الكشف: لغة: رفعك الشيء عما يواريه ويغطيه، وكشف الأمر يكشفه كشفا: أظهره، ينظر: لسان العرب مادة (كشف): (٣٠٠/٩)، والكشف في اصطلاح الصوفية: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية، وجودا وشهودا، ينظر: ينظر: التعرف على مذهب أهل التصوف، للكلابذي (ص٧٨ وما بعدها)، اللمع في التصوف، لأبي سراج الطوسي (ص٣٧٥ وما بعدها)، وينظر التفصيل فيه وفي حكمه (ص ١٤٩) من هذا البحث.

(٢) سلوة الأنفاس (٢١٨/٢)، وينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٢٧٥).

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٢٧٤).

(٤) ينظر: سلوة الأنفاس (٢١٨/٢)، النبذة اليسيرة النافعة (٢٧٤-٢٧٥).

(٥) ينظر: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (٢٥٠/١)، الشرب المحتضر (٩٥)، شجرة النور الزكية (٥٧٦/١)، منطق الأواني (١٣٣)، الأعلام (٢٥٥/٦)، وفي الطريقة ينظر: مقدمة خبيئة الكون، لمحمد بن عبد الكبير الكتاني (٢٧، ٣٥)، أداء الحق الفرض لعبد الحي الكتاني (ص٣٢)، ورسالة الطريقة الكتانية عرض ونقد لبدرية الدوسري.

(٦) العارف: العارف عند الصوفية هو من أشهده الله ذاته، وصفاته، وأسماءه، وأفعاله، المستغرق في معرفته ومحبته، ويفرقون بين العارف والعالم أن العارف عرف بشهوده وحسه، والعالم علم بالخبر عن الأنبياء، وبناء على ذلك فالعارف عندهم-كما يقول ابن تيمية رحمه الله-: "الفاني عن حظوظه، في شهود قيوميته، لا يستحسن حسنة ولا يستقبح سيئة"، الاستغاثة (١٦١)، وينظر: معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (١٢٤)، معجم مصطلحات الصوفية للحنفي (١٧٩-١٨١).

وقد أدركته وأنا صغير دون البلوغ، وتبركت به، وكنت في زاويته أقرأ القرآن وأجالس الفقراء زمنا، بل سكنانا معه بدار واحدة، وهو جد ابن عمنا الشريف الشهيد الشهير الصيت في هذا الوقت بالمغرب الأقصى وغيره: السيد محمد بن عبد الكبير الكتاني، صاحب الطريقة الكتانية الجديدة"(١)، وقال: "وقد استجزته عند هجرتي من فاس إلى المدينة المنورة في طريقتهم الكتانية الخاصة به وبولده أبي عبد الله(٢) الآتي وذلك بعد وفاته فأجازني فيها"(٣).

وقال أيضا في ترجمته: "صاحب الزوايا والأحزاب والأوراد، كنا معه بدار واحدة، وكان يحبني كثيرا، ويجلسني إلى جنبه"(٤)، فقد نشأ بين مشايخ الطرق وأخذها عنهم.

ومما قاله عنه في ترجمته مادحا له:" جميل المعاشرة، حميد السيرة، ولوعا بزيارة الضريح الإدريسي(٥)، والذهاب إليه، خصوصا وقت السحر، مع وضع ما تيسّر من الفلوس أو الدراهم في ربيعته؛ لأن ذلك مجرب لقضاء الحوائج، ... ورأيت من جده وبسطه وقيامه في السحر للضريح الإدريسي، ثم مجيئه إلى زاويته عند طلوع الفجر، وتحريضه لأولاده على المجيء إلى الزاوية"(٦)، كما عدّ من كراماته ما يُزعم من اجتماعه بالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة(٧).

-**عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد**: ابن عمته، وهو ولد مؤسس الطريقة الكتانية المحمدية، ووالد مؤسس الطريقة الكتانية الأحمدية، وشيخ الطريقتين الثاني بعد موت مؤسسيها، كان يلقن أوراد أربعين طريقة بفاس وغيرها، وهو المتوفى عام١٣٣٣هـ، من مؤلفاته: نجوم

---

(١) الإجازة الأيوبية (٤٨)، وينظر: أداء الحق الفرض لعبد الحي الكتاني (ص٣٢).

(٢) وهو محمد بن عبد الكبير وستأتي ترجمته بعده.

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٢٢١).

(٤) المرجع السابق (٣٤٨).

(٥) هو: أبو القاسم، إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب، المتوفى عام٢١٣هـ، ثاني ملوك الأدارسة في المغرب، وباني فاس، كان سلفيا عاملا بالكتاب والسنة نابذا للبدع والخرافات، أصبح شخصا مقدسا عند المغاربة، له ضريح كبير يقام له فيه موسم كبير في كل سنة، ينظر: جمهرة أنساب العرب، لابن حزم (٤٩)، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (٢١٧/١)، اتحاف أعلام الناس (٢٧/٢)، دولة الأدارسة في المغرب لسعدون عباس (٧٦)، الأعلام (٢٧٨/١)، سلوة الأنفاس (١٨١/١-٨٥) وشرح على دلائل الخيرات (ل ٤٢).

(٦) النبذة اليسيرة النافعة (٢١٢)، وينظر المرجع نفسه (٢٩٢)، سلوة الأنفاس (١٣٢/١).

(٧) سلوة الأنفاس (١٣٣/١-١٣٤).

المهتدين في دلائل الاجتماع للذكر على طريقة المشائخ المتأخرين برفع الأرجل من الأرض والاهتزاز شوقا إلى رب العالمين، حاول فيه تأصيل السماع والرقص، وقد ملأه كبقية كتبه بالأحاديث الموضوعة والحجج الواهية، وكتاب: تحديد الأسنة في الذب عن السنة، أفاض فيه الحديث عن فضل آل البيت، وقطع لهم بالمغفرة، وناقش قضايا صوفيّة أخرى(١).

وقد كان رفيق محمد بن جعفر الكتاني وصاحبه، حيث يقول في ترجمته:" صاحبُنا ورفيقُنا ومفيدُنا"(٢)، وذكر بأن من شيوخه والده جعفر بن أدريس، وأنه" لازمه لزوم الظل للشاخص في فنون عديدة، وهو عمدته، وهو مع ذلك يبحث عن أهل الطريق ويزورهم، ويتردد إليهم، ويحضر زاوية والده معه صباحا ومساء، ويستفيد منه"(٣).

وقال محمد بن جعفر الكتاني عن محبته للنبي-صلى الله عليه وسلم-:" وأما محبته في الجناب النبوي العظيم فلا تسأل عنها، فاق فيها جميع أقرانه، بل قلّ عصره فيما رأينا وأوانه، وعلامة ذلك لهجه بذكره -صلى الله عليه وسلم- دائما وأبدا، وبما فيه ثناء عليه أو ترفيع لقدره، من شمائله ومحاسنه الظاهرة والباطنة، ومزاياه وخصائصه وخصائص أمته الكريمة، وما لها عند الله من المزايا بسببه، إلى غير ذلك، ويقرر وحدة الوجود فيه، وأن الأكوان كلها أنواره وصور تفاصيله، وما هي إلا هو، لا شيء غيره، وله -رحمه الله-مرائي كثيرة نبوية، وأخرى إدريسية، إذ كانت له محبة عظيمة في الجناب الإدريسي، واعتقاد عظيم فيه، وكثيرا ما كنت أذهب معه لزيارته"(٤).

فمدحه بتقريره لوحدة الوجود بالنبي-صلى الله عليه وسلم- واعتقاده بقبر إدريس باني فاس(٥).

-**محمد بن عبد الكبير الكتاني**: مؤسس الطريقة الكتانية الأحمدية، أخذ عن خاله جعفر بن إدريس الكتاني، وأخذ محمد بن جعفر الكتاني عنه طريقته عن والده، كما أخذها

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٢١٤-٢٢٢)، فهرس الفهارس (٧٤٣/٢)، معجم الشيوخ (١٩٣)، منطق الأواني (١٤٣).

(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٢١٤).

(٣) المرجع السابق (٢١٦).

(٤) النبذة اليسيرة النافعة (٢١٨).

(٥) سيأتي نقد هذا في (ص٣٤٢، ٣٥٥).

عنه مناما -برأيه-، حيث يقول عن الطريقة الأحمدية الكتانية: "وقد أخذتها أخيرا بعد وفاته عن والده عنه، ثم أخذتها عنه مناما مباشرة، وآذنني في إعطائها، وفي سلب وردها، ونزعه عمن رأيته ليس أهلا لها"[1]، وقد سبق ذكر شيء من عقائده المخالفة للكتاب والسنة، كزعمه بأنه أخذ طريقته من رسول الله-صلى الله عليه وسلم- مشافهة من غير واسطة، وأنه كان يجتمع مع النبي-صلى الله عليه وسلم- يقظة، ويتلقى عنه مباشرة، و أنه خاتم الأولياء، وخروجه على المولى عبد الحفيظ، وموقف الكتاني معه وثنائه عليه[2]!

وقد ردّ علماء المالكية على طائفته الكتانية، فقد حكى الشيخ تقي الدين الهلالي[3]- رحمه الله- عند حديثه عن قصة توبته من الطريقة التجانية[4]، أنه كان في مجلس ينتقدون الطريقة الكتانية ويستهزؤون بها ويسخرون من أهلها، وكل منهم يحكي حكاية، حتى قال أحدهم:" عندي حكاية هي أعجب وأغرب مما عندكم، جاءني شاب كان متمسكا بالطريقة الكتانية تمسكا عظيما، فقال لي: أريد أن أتوب على يدك من الطرائق كلها وتعلمني التمسك بالكتاب والسنة، فقلت: وما دعاك إلى الخروج من طريقتك التي كنت مغتبطا بها؟ فقال لي: أنه أمس شرب الخمر وزني، وترك صلاة العصر والمغرب والعشاء، فمر بالزاوية الكتانية وسمع

---

(١) الإجازة الأيوبية (٤٩)، ينظر في اعتماد الصوفية على المنامات ونقده (ص١٨١).

(٢) ينظر (ص ٨)، ينظر ترجمته: النبذة السيرة النافعة (٢٢٣-٢٢٥)، معجم الشيوخ (٤٠)، اتحاف المطالع (٣٨١/٢)، معجم الأعلام (٢١٤/٦)، التاريخ السياسي للمغرب (٩٨/٩، ١٢٨-١٣٣)، أداء الحق الفرض لعبد الحي الكتاني (ص٣٢)، وللاستزادة في عقائده الصوفية الباطنية الغالية، ينظر: الطريقة الكتانية عرض ونقد، بدرية الدوسري.

(٣) هو: محمد تقي الدين بن عبد القادر الهلالي، كنيته: أبو شكيب، عالم سلفي، ولغوي أديب، كان صوفيا على الطريقة التجانية، ثم من الله عليه بالهداية فقام بالرد على أهل البدع، من مؤلفاته: الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية، البدر الساري في شرح صحيح البخاري، توفي عام١٤٠٧هـ، ينظر: التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا (٣١٦/١)، تتمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف (١٣٥).

(٤) التجانية: هي طريقة صوفية مؤسسها أحمد التيجاني المتوفى عام ١٢٣٠هـ، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية ويزيدون عليها الاعتقاد بإمكانية مقابلة النبي ﷺ، مقابلة مادية واللقاء به لقاءً حسيًّا في هذه الدنيا، - ويزعمون - أن النبي ﷺ قد خصهم بصلاة (الفاتح لما أُغلق)، ينظر: الهدية الهادية إلى الطائفة التجانية، التجانية لعلي السويلم، مختصر التجانية له.

المريدين[1] يرقصون ويصيحون بأصوات عالية، والمنشد ينشدهم، وكانت بقية سُكر لا تزال مسيطرة عليه، فهَمَّ أن يدخل الزاوية ويرقص معهم ولكنه أحجم عن ذلك؛ لأنه جُنب ولم يصلِّ شيئا من الصلوات في ذلك النهار، إلا أن سُكره غلب على عقله فدخل الزاوية، ووجد الشيخ محمد بن عبد الكبير في صدر الحلقة والمريدون يرقصون، فاشتغل معهم في الرقص وكان أنشطهم، فلما فرغوا من رقصهم دعاه الشيخ وقبله في فمه، وقال: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- قبلك فاقتديت به، قال: ولما دعاني خِفت خوفا شديدا وظننت أنه قد انكشف له حالي، وهو يريد أن يوبخني على ذنوبي، فلما قال لي ذلك أيقنت أنه كاذب في كل ما يدعيه ويدعوا إليه، وإلاَّ كيف يرضى عنِّي النبي -صلى الله عليه وسلم- ويُقبِّلني في فمي مع تلك الكبائر التي ارتكبتها في ذلك اليوم؟ قال: فهذا سبب مجيئي إليك لأتوب إلى الله من الطرائق كلها وأتَّبع طريقة الكتاب والسنة"[2].

ويقول الشيخ محمد الزمزمي بن محمد بن الصديق[3] في بيان الزاوية الكتانية وعقائدها: "ومنها زاوية الكتانيين المنسوبة إلى الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي المتوفى مقتولا سنة١٣٢٧هـ سبع وعشرين وثلاث مئة بعد الألف، قتله سلطان المغرب لخلاف وقع بينهما، وكان هذا الشيخ عالما، ولكنه ينهج نهج المتصوفة الجاهلين في الأعمال الخرافية، والبدع الباطلة، فلهذا سن لأتباعه ما لا أصل له، ولا دليل له من السنة، ولما تظاهر بالتصوف ادّعى أنه أخذ عن النبي-صلى الله عليه وسلم- بدون واسطة!!" [4].

---

(١) المريد: في اصطلاح المتصوفة -على اختلافهم في ضبطه- هو: المجرد عن الإرادة، وهو من انقطع إلى الله عن نظر واستبصار، وتجرد عن إرادته، إذا علم أنه ما يقع في الوجود إلا ما يريده الله تعالى، لا ما يريده غيره، فيمحوا إرادته في إرادته، فلا يريد إلا ما يريده الحق، ينظر: التعرف على مذهب أهل التصوف للكلابذي (١٣٩)، التعريفات للجرجاني (٢٦٩).

(٢) الهدية الهادية (١٥-١٦).

(٣) هو: محمد الزمزمي بن محمد بن الصديق الغماري، تأثر بالمنهج السلفي فصار من أشهر من رد على التصوف في المغرب، بعد أن تربى ونشأ على الطريقة الصديقية، توفي عام ١٤٠٨هـ، من مؤلفاته: الطوائف الموجودة في هذا الوقت، إلام المسلمين بوجوب مقاطعة المبتدعين، ينظر: إسعاف الإخوان (١٢١)، التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق الطرهوني (٤٧١/١).

(٤) الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة (١٩).

- **عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني**: أخذ عن والده: عبد الكبير الكتاني، وأخيه: محمد بن عبد الكبير، وخاله: جعفر بن إدريس الكتاني، وابن خاله محمد بن جعفر الكتاني، وهو صاحب فهرس الفهارس، اشتهر بمكتبته الضخمة، كان من الموالين للاحتلال الفرنسي، ترأس الطريقة الكتانية الأحمدية، كان مفروضًا من قبل الاستعمار بصفته شيخًا متوجًا للطريقة[1]، وهذا لا يستغرب، وقد قال من عاصر عبد الحي وعرفه وهو محمد بشير الإبراهيمي[2]: "وعرفنا من هذه الطائفة -أي الصوفية- أنها كانت في تاريخ الاستعمار طلائع لجنوده، ...وعرفنا في قائدها الجديد، وحامل رايتها عبد الحي الكتاني، أنه كالدرهم الزائف لا يدخل في معاملة إلا كان الغش والتدليس واضطراب السوق... وأنه تاجر بارع في المقايضات باسم الدين والعلم والطرقية"[3].

وقد روى عن جنّي يدّعي أنه القاضي شمهروش الصحابي! وخصّه بمصنفين: مواهب الرحمن في صحبة القاضي أبي محمد عبد الرحمن، ويعني به شمهروش، والمحاسن الفاشية عن الآثار الشمهروشية!! [4]

عاصره محمد بن جعفر الكتاني وترجم له وامتدحه وعظّمه، ومما قاله في ترجمته له: "المحدث الكبير، العلامة الماهر، التاريخي النسّابه الباهر، ذا التآليف الكثيرة، والفوائد الغزيرة، والنكات العجيبة، والاستنباطات الغريبة، الحاج الأبرّ: أبا عبد الله مولانا محمد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، أخذ عن والده، وأخيه الأكبر منه، وعن غيرهما من الشيوخ، واستجاز عددا كثيرا من

---

(١) ينظر: الهدية الهادية (١٢)، وينظر ترجمته: شجرة النور الزكية (٦٢٠/١)، النبذة اليسيرة النافعة (٢٢٢-٢٢٣)، الأعلام (١٨٨/٦)، منطق الأواني (١٧١)، من أعلام المغرب في القرن الرابع عشر (٦٥)، وقد ترجم عبد الحي لنفسه في المظاهر السامية، المدرجة في كتاب ترقية المريدين بما تضمنته سيرة السيدة الوالدة من أحوال العارفين (١٧١)، التاريخ السياسي للمغرب (١٠١/٩).

(٢) هو: محمد بن بشير بن عمر الإبراهيمي، عالم سلفي ومجاهد جزائري، انتخب رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من مؤلفاته: شعب الإيمان في الأخلاق والفضائل، التسمية بالمصدر، ينظر: مقدمة آثار البشير الإبراهيمي، لأحمد طالب إبراهيمي (٩)، الطرق الصوفية له (٩-١١).

(٣) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٢٠/١).

(٤) ينظر: فهرس الفهارس (٢٣٣/١-٢٣٤، ٤٤٥، ٤٦١، ٤٦٢، ٨٤٨/٢، ٩٧٧)، شرح الشمائل المحمدية المسمى منية السائل خلاصة الشمائل له (١٣٠).

الأكابر وأهل الرسوخ، وحج البيت الحرام، وحصلت له شهرة كبيرة بمصر والحجاز والشام، واستجاز هناك واستفاد، كما أنه حدّث وأجاز وأفاد، وهو حيّ لهذا العهد"(١).

ومما سبق يتبين من نشأة محمد بن جعفر الكتاني ولاؤه الظاهر للصوفية، حيث ترعرع بين مشائخ الطرق، فأخذ منهم، وامتدحهم، وأثنى عليهم

-**إخوة محمد بن جعفر الكتاني:** وهم عبد العزيز (٢)، والحسين(٣)، وأحمد (٤)، وعبد الرحمن الشاعر صاحب الديوان المطبوع، الذي نظم فيه النسب الكتاني وأثنى فيه على أعمدته الصوفية، وذكر أخذه عن أخيه محمد بن جعفر الكتاني(٥)، وقد ترجم لهم الكتاني في "النبذة اليسيرة النافعة"، وأثنى عليهم، وذكر أخذهم عن والدهم جعفر بن إدريس الكتاني وأخذهم عنه أيضا(٦)، كما ذكر في مواضع أخذهم وتلقيهم للطرق(٧).

---

(١) النبذة اليسيرة النافعة (٢٢٢-٢٢٣).

(٢) هو: عبد العزيز بن جعفر الكتاني، من مؤلفاته: ختم الآجرومية، والإعلام بكراهة إفراد الصلاة عن السلام، توفى عام ١٣٢٥هـ، ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣١٨)، معجم المؤلفين (٥/٢٤٤).

(٣) هو: الحسين بن جعفر الكتاني، المتوفى عام: ١٣٣٢هـ، وفيه شيء من البَله كما ذكر الكتاني، ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣١١).

(٤) هو: أحمد بن جعفر الكتاني، عين أستاذا لجامعة القرويين، من مؤلفاته التي تدل على تصوفه: المدد الفائض على همزية ابن الفارض، الفيوضات الإلهية على الهمزية البوصيرية، توفي عام ١٣٤٠هـ، ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣١٢) سل النصال (٢٣)، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (٢/٤٣٠)، الأعلام للزركلي (١/١٠٨)، منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٤٩)، معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، وفيات (١٣١٥هـ-١٤٢٤هـ) لمحمد خير رمضان يوسف (١/٥٤).

(٥) هو: عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، وهو الذي صحح كتابه "نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام"، وقد ختمه بكلمة أثنى فيها عليه وعلى كتابه، ينظر: نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام (٢٧٦-٢٧٨)، توفي عام ١٣٣٤هـ، ينظر: ديوان شاعر فاس عبد الرحمن بن جعفر الكتاني (٤٧)، وفي ترجمته ينظر: إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (٤١٥)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٢٢)، الأعلام للزركلي (٣/٣٠٣)، معجم المؤلفين (٥/١٣٣)، معجم المؤلفين المعاصرين (١/٣٢٢)، منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٤٦).

(٦) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣١٩).

(٧) ينظر: المرجع السابق (٣٢٢، ٣٨٦)، الرحلة السامية (١٥٠، ٢٣٨، ٢٧٢).

والمقصود أن هؤلاء بعض آل بيت محمد بن جعفر الكتاني[1]، الذين تأثر بهم وأثنى عليهم، وتبنى الكثير من آرائهم، كما سيتبين بحول الله تعالى في ثنايا هذا البحث.

أ. **أولاده، وبعض أحفاده:**

-**أولاده:** لمحمد بن جعفر الكتاني سبعة أولاد وبنتان، وهم: الزمزمي[2] [3]، والمكي[4]، والطائع[1]، وإدريس[2]، ومحمد عز الدين[3]، ومحمد يحيى[4]، ومحمد سعد الدين[5]، وخديجة[6]، وحبيبة[7]، أخذوا عن جدهم جعفر، وعن والدهم محمد بن جعفر الكتاني.

---

(١) للاستزادة في تراجم الكتانيين ينظر: الشرب المحتضر من معين أهل القرن الثالث عشر، لجعفر بن إدريس الكتاني، النبذة اليسيرة النافعة التي هي جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة، لمحمد بن جعفر الكتاني، وسلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمر أقبر من العلماء والصلحاء بفاس له، وعقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد، لابنه محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني، منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني، لمحمد حمزة الكتاني.

(٢) هو: محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني، أخذ عن والده كثيرا، وعن جده، وعمه محمد بن عبد الكبير وأجازه، من مؤلفاته: "رحلة الهند الأولى عام ١٣٤٣هـ" في مجلد، و"رحلة الهند الثانية عام ١٣٥٣هـ"في مجلد، و"عقد الزمرد والزبرجد في سيرة الابن والوالد والجد"، توفي عام ١٣٧١هـ، من تلاميذه أحمد الغماري، وأخواه محمد الطائع، وإدريس، وله سبعة أولاد، هم: محمد الكامل، والمنتصر، والناصر، وجعفر، ومحمد، وأحمد، ومحيي الدين، ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٠٢) سل النصال للنضال (١٤٧)، تاريخ علماء دمشق (٢/٨٠٣-٨٠٩)، منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٦٤)، من أعلام المغرب في القرن الرابع عشر (١٠٠-١٠٧)، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (١/٥٣١)، الأعلام للزركلي (٦/١٣١)، معجم المؤلفين (١٣/٤١٩)، معجم المؤلفين المعاصرين لمحمد خير رمضان يوسف وفيات (١٣١٥-١٤٢٤هـ) (٦٠٢).

(٣) في كتب التراجم: محمد الزمزمي، ومحمد المكي، ومن أولادهم محمد الكامل، ومحمد المنتصر، فكلهم يبدأ بمحمد، لأن المتعارف عليه عندهم أن كل مولود ذكر يجب أن يسمى: محمد، ولو كان أبوه اسمه (محمد)، ينظر: فاس عاصمة الادارسة ضمن الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس٣ (ص٥٤).

(٤) هو: محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني، شديد الاعجاب بوالده محمد بن جعفر الكتاني، وله تعليق على كتابه العلم المحمدي، وقد ترأس رابطة علماء سوريا في وقته، وتولّى منصب مفتي المالكية بسوريا، وهو عضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، توفي عام ١٣٩٣هـ، من مؤلفاته: رحلة للمغرب عام ١٣٨٢هـ، ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٠٨)، منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٨١-١٨٤)، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (٢/٦٢٠)، من أعلام المغرب في القرن الرابع عشر (٢٦٢-٢٦٧)، تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر (٢/١٢٢٧-١٢٣٠)، الدليل المشير إلى فك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير، لأحمد بن حسين الحبشي العلوي (٣٩٤)، معجم المؤلفين المعاصرين، وفيات (١٣١٥هـ-١٤٢٤هـ) لمحمد خير رمضان يوسف (١/٦٣٨).

-**أحفاده**: أحفاد محمد بن جعفر الكتاني كُثر، فللزمزمي سبعة، وللمكي سبعة، وغيرهم كثير إلى يومنا هذا، ودراسة عقيدة كل واحد منهم والحكم عليه يحتاج إلى تتبع واستقراء، ومن أشهرهم:

- **محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني**: وهو الفقيه

(١) هو: محمد الطائع بن محمد بن جعفر الكتاني، كان أديبا شاعرا، تولى القضاء بعدة مناطق في بلاد المغرب، له مؤلفات في الإرث والمعاملات، وديوان شعر مطبوع، توفي عام ١٤٠٤هـ، ينظر: حاشية النبذة اليسيرة النافعة (٤٣٠)، منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٩٠-١٩١).

(٢) هو: إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني، نال شهادة الدكتوراه في العلوم الاجتماعية برسالته التي بعنوان: "المحددات الثقافية للشخصية المغربية من خلال الأمثال الشعبية"، من مؤلفاته: المغرب المسلم ضد اللادينية، وبنو إسرائيل في عصر الانحطاط العربي، وله الكثير من المقالات المنشورة في مجلة الرسالة المصرية، بعنوان: "سلطانٌ للطلبة"، توفي عام ١٤٣٩هـ، ينظر: حاشية النبذة اليسيرة النافعة (٤٣٤-٤٤٢) المحدث محمد بن جعفر الكتاني (١/٨٩-٩٤)، حوار الماضي والمستقبل، عبد السلام ياسين (٢٩٥)، مجلة الرسالة المصرية، إصدار أحمد حسن الزيات، عدد: (٣١٠-٣٢٥-٣٢٦).

(٣) هو: محمد عز الدين بن محمد بن جعفر الكتاني، وُلد قبل وفاة والده بعام، وهو أديب لغوي، عيّن أستاذا للغة العربية والمواد الإسلامية، ينظر: حاشية النبذة اليسيرة النافعة (٤٤٣)، المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٩٤/١).

(٤) هو: محمد يحيى بن محمد بن جعفر الكتاني، لم يعرف بعلمه وإنما اشتهر بحسن خلقه، وليس له من المؤلفات شيء، توفي عام ١٤٠٤هـ، ينظر: حاشية النبذة اليسيرة النافعة (٤٤٤)، المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٩٥/١).

(٥) هو: محمد سعد الدين بن محمد بن جعفر الكتاني، كان أديبا شاعرا، عين أستاذا ثم مديرا لمدرسة، اشتهر بأنه مجمع العائلة الكتانية إذا جاؤوا إلى فاس، له ديوان مطبوع بعنوان "العبرات"، وقصيدة منشورة بعنوان: "هذه عواطفنا" توفي عام ١٤١٣هـ، ينظر: حاشية النبذة اليسيرة النافعة (٤٤٤-٤٤٦)، المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (١/٩٥-٩٧)، حاشية من أعلام المغرب العربي في القرن الرابع عشر (٢٦٧).

(٦) هي: خديجة بنت محمد بن جعفر الكتاني، كانت فقيهة ناسخة لعدة كتب، حفظت بعض المتون، وأخذت الإجازة من جدها ووالدها، ينظر: منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٥٩-١٦٠)، المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٩٨/١)، معلمة المغرب (٦٧٥٢/٢٠).

(٧) هي: حبيبة بنت محمد بن جعفر الكتاني، أخذت عن والدها واعتنت بحفظ القرآن الكريم، وتحصلت على إجازات من والدها وجدها وغيرهم، ينظر: منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٥١)، المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٩٧).

المالكي، الذي كان رئيس قسم علوم القرآن والسنة في عموم كليات سوريا، ومفتي المالكية بدمشق، وضع يده في يد عمه المكي رئيس رابطة علماء سوريا فعملا على إصلاح البلاد، واختاره الملك فيصل بن عبد العزيز آل سعود مستشارا له، وعمل أستاذا في الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ودرّس الحديث في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، ثم بجامعة أم القرى، وعمل مستشارا في رابطة العالم الإسلامي بمكة، وكان مواظبا على التدريس في الحرمين الشريفين، توفي بالرباط عام ١٤١٩هـ [١].

وقد كان سلفيا في الجملة، مبغضا للإصلاحيين أمثال الأفغاني[٢] ومحمد عبده[٣]، وهو أقربهم إلى منهج السلف؛ نظراً لنشأته في المدينة النبوية، كما يظهر -والله أعلم-[٤].

له مؤلفات منها: "موسوعة الفقه الإسلامي"، و"معجم فقه السلف" طبعتها جامعة أم القرى عام ١٤٠٦هـ[٥].

---

(١) ينظر: منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٩٨)، ترجمة حمزة بن علي الكتاني له في تحقيق كتابه: نظام الدولة الإسلامية المسمى بفتية طارق والغافقي (١٦ وما بعدها).

(٢) هو: جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني، زعيم المدرسة العقلية الحديثة، ترأس جمعية الماسون العربية، حياته مليئة بالأسرار وأكثر نشاطاته كانت سرية، وهو باطني عميل للسياسة الإنجليزية، توفي عام ١٣١٥هـ، ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، لمحمد رشيد رضا (٢٧/١-١٠٠)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين (٥٩) العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد الناصر (٣٣)، الأعلام (١٦٨/٦).

(٣) هو: محمد عبده بن حسن خير الله، مفتي الديار المصرية عام ١٣١٧هـ، المؤسس الحقيقي للمدرسة العقلية الحديثة بعد جمال الدين الأفغاني المائل لفكر المعتزلة، من مؤلفاته تفسير القرآن الكريم، رسالة في التوحيد، توفي عام ١٣٢٣هـ، ينظر: تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، لمحمد رشيد رضا (١٦/١)، الأعلام (٢٥٢/٦)، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، (٢٨٠)، الشيخ محمد عبده وآراءه في العقيدة الإسلامية عرض ونقد، حافظ محمد حيدر الجعبري (١٨/١ وما بعدها، العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد الناصر (٣٧).

(٤) ينظر: الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس٣، (٢٣)، وتفسيره الصوتي نهج فيه نهج السلف في الصفات ورد فيه على أهل الكلام، وهو مفرغ على الشبكة، ولم يطبع بعد.

(٥) ينظر: إتمام الأعلام، ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، لنزار أباظة (٢٧٠)، معجم المؤلفين المعاصرين، لمحمد خير رمضان يوسف وفيات ١٣١٥-١٤٢٤هـ (٧٢٤)، حاشية النبذة اليسيرة النافعة (٤٥١-٤٥٥)، منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٩٨).

وقد راسله الشيخ عبد العزيز ابن باز [١]-رحمه الله- طالبا منه تعيين درس له في المسجد النبوي بشرح مسند الإمام أحمد، بناء على رغبته [٢]، وله تعليق على إحدى محاضراته يثني فيه عليه وعلى علمه [٣].

-**محمد الفاتح بن محمد المكي بن محمد بن جعفر الكتاني**: حقق كثيرا من مؤلفات جده محمد بن جعفر الكتاني، وأثنى عليه وعلى تصوفه في تقديمه لتحقيقاته، ومنها: تحقيق التدخين عند الأئمة الأربعة، و اليمن والإسعاد بمولد خير العباد، والأقاويل المفصلة، والنبذة اليسيرة النافعة، توفي عام ١٤٤٢هـ من جمادى الأولى، عن مائة وثلاثة أعوام، وقد عيّن مفتيا للمذهب المالكي بدمشق عام ١٣٧٣هـ، وحضر كثيرا من المؤتمرات الإسلامية، منها: مؤتمر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، ومؤتمر رابطة علماء سوريا[٤].

-**حمزة بن علي بن المنتصر بالله بن الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني**: وهو داعية الكتانيين المعاصرين الأشهر، سخر ماله وعلمه وجهده لاستخراج تراث الطريقة الكتانية، وإعلاء شأنها، من مؤلفاته: منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني، أثنى فيها على أعلام الأسرة الكتانية، وحقق الكثير من مؤلفات جده جعفر بن إدريس، ومحمد بن جعفر الكتاني، منها: "الدواهي المدهية للفرق المحمية"، و"الشرب المحتضر من معين أهل القرن الثالث عشر"، كما حقق "الأربعون الكتانية في فضل آل بيت خير البرية"، لمحمد بن جعفر الكتاني، وقد نشر

---

(١) هو: عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله آل باز، فقيه سلفي معاصر، مفتي السعودية وكبير علمائها، من مؤلفاته: الدروس المهمة لعامة الأمة، العقيدة الصحيحة وما يضادها، توفي عام ١٤٢٠هـ، ينظر: معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، وفيات (١٣١٥هـ-١٤٢٤هـ) لمحمد خير رمضان يوسف (٣٥٧)، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية السلسلة الثالثة (٥٥)، وينظر ترجمته في: مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (١/٩-١٢)، وللاستزادة ينظر: الإمام ابن باز لعبد العزيز السدحان، إمام العصر لناصر الزهراني.

(٢) ينظر نص المراسلة:
(https://twitter.com/zugailamm/status/855416458528030720)

(٣) ينظر: موسوعات الفقه الإسلامي، محمد المنتصر الكتاني (٢٣-٢٦).

(٤) ينظر: حاشية النبذة اليسيرة النافعة (٤٦٢-٤٦٦)، جريدة طنجة المغربية، عدد: (٣٥١٨)، عام٢٠١٣م.

تجربته في إحياء تراث الكتانيين في موقعه الرسمي بعنوان: رحلتي مع المخطوط العربي وتحقيق التراث[١].

نشر مؤلفات مؤسس الطريقة الكتانية الأحمدية وهو محمد بن عبد الكبير الكتاني، وجمع بعضها بمجموع سماه: "من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني"، وألّف رسالته الدكتوراه: المباحث العقدية عند أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني وأثرها في التربية الصوفية، التي نوقشت عام٢٠١٦م[٢]، قرر فيها عقائد الصوفية، كالقول بوحدة الوجود وغيرها[٣].

- **الحسن بن علي بن محمد بن المنتصر بن الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني**: داعية معاصر له نشاط ملحوظ، وهو أخ لمحمد حمزة الكتاني السابق، له العديد من المؤلفات، من أشهرها: نظرات في الدعوة النجدية، ينتقد فيها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية[٤].

فأولاد محمد بن جعفر الكتاني وأحفاده في الجملة إلى هذا العصر على منهج أسرتهم الكتانية، كما يظهر للناظر في تراجمهم وكتبهم- عدا محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي-، وقد عنوا بكتب جدهم محمد بن جعفر الكتاني وبالتراث الكتاني جملة.

-ثالثا: وفاته:

لما اشتدت الفتنة في دمشق بين الدروز والجيوش الفرنسية، التي احتلتها بمقتضى الاتفاقات الدولية عام ١٣٤٤هـ، أيقن محمد بن جعفر الكتاني أن الوضع في الشام أصبح كالوضع في المغرب من حيث عموم الاحتلال وتسلطه على البلاد، فقرر الرجوع إلى وطنه وارتحل إلى بيروت ثم الإسكندرية، حتى رجع إلى فاس مسقط رأسه، وبقي حوالي ستة أشهر إلى

---

(١) ينظر صفحته الرسمية على موقع الفيس بوك.

(٢) بإشراف: كريمة بوعمري، مقدمة لنيل الدكتوراه، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط في العام ٢٠١٦م.

(٣) ينظر شهادة الكتاني كاملة مسجلة على صفحته الشخصية الرسمية في الفيس بوك، في سلسلة من المقالات أسماها: رحلتي مع المخطوط العربي وتحقيق التراث، من سبعة أجزاء، وعرضه حول بحثه مسجل على اليوتيوب بعنوان: عرض الدكتور حمزة بن علي الكتاني حول بحثه في الدكتوراة: المباحث العقدية عند أبي الفيض الكتاني.

(٤) انظر: صفحته على موقع التدوين المصغر Twitter: https://twitter.com/hassan-kettani

أن مرِض مرَض الموت، فتوفي في شهر رمضان عام ١٣٤٥هـ، وقد أكمل ستّا وسبعين سنة، وبنيت على قبره زاوية تُعرف باسمه، وصارت محلا لدفن أقاربه(١).

ثالثا: حياته العلمية

أولا: رحلاته ومناصبه:

كان محمد بن جعفر الكتاني كثير الرحلة في المغرب نفسها؛ ولعا بزيارة الأضرحة، وطلبا للعلم، حيث يقول عن نفسه: "كنت أولعت بزيارة الصالحين الأموات بفاس وبغيرها"(٢).

فأخذ عن شيوخ فاس الحديث وعلومه، ومنهم محمد المدني بن علي بن جلون(٣)، شيخه وعمدته في الحديث وعلومه، كما أخذ عنهم علم النحو والتصريف، كمحمد بن عبد الواحد المرّي التاودي(٤)، وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم.

---

(١) ينظر: شجرة النور الزكية (٦٢٠/١)، عمدة الراوين (٧٩/٩-٨٣)، خطط الشام (١٨٨/٣)، معجم الشيوخ للفاسي (٦٧)، سل النصال للنضال (٤٦)، معجم المؤلفين (١٥٠/٩)، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية (٣٦٨)، منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٦).

(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٣٦١)، وقد دوّن الكثير من الأضرحة التي سافر إليها في كتابه: الرحلة السامية، كما ترجم للعديد من أصحاب الأضرحة التي زارها بفاس في كتابه: "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بذكر من أقبر من العلماء بفاس"، وقد قال مبيّنا منهجه في ذكر التراجم، مما يؤكد ترحاله لهم وحثه على ذلك:"ذكرت أولا من بداخل المدينة والسور، ثم انتقلت لمن حولهم من أرباب الروضات التي بالمدينة تدور، ورتبتهم في الذكر على حسب الرحاب والبقاع والأمكنة، من غير مراعاة تقدم أو تأخر في الأعصار والأزمنة، وذكرت الأول فالأول في الطريق؛ لأن ذلك أسهل للزائر الطالب للتحقيق"، سلوة الأنفاس (١٠/١).

(٣) هو: أبو عبد الله محمد المدني بن أبي الحسن علي جلّون، فقيه متصوف، من مؤلفاته: جزء في الأحاديث المتواترة، جزء فيمن غير المصطفى اسمه، توفي عام ١٢٩٨هـ، قال عنه الكتاني: "وهو الذي بث فينا المخالطة لعلم الحديث والقراءة له، والاعتناء بشأنه، وأكسبنا البحث والتدقيق في كل مسألة مسألة"، الإجازة الأيوبية (٢٧)، وينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٧)، سلوة الأنفاس (٤١١/٢)، شجرة النور الزكية (٥٧٩/١)، فهرس الفهارس (١٠٥٣/٢).

(٤) هو: أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد التاودي بن سودة المرّي، المتوفي عام ١٢٩٩هـ، قال عنه الكتاني:" له الباع الكبير في علم النحو وإليه فيه المصير"، سلوة الأنفاس (١٢٨/١)، وينظر: الإجازة الأيوبية (٢٤)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٤).

وفي عام ١٣٢١هـ لما ظهرت الفتن بالمغرب بسبب الاحتلال، وذلك بعد وفاة الوزير أبا حماد، رحل الكتاني إلى الحجاز بأهله وأولاده، وحجّ حجته الأولى، وزار مصر، وبلاد الشام، ثم رجع إلى المغرب(١)، ومما قاله في هذه الرحلة: "وقد منّ الله تبارك وتعالى عليّ بحج بيته المكرم، وزيارة رسول الله المعظم، وذلك سنة إحدى وعشرين، واجتمعت في حجتي هذه من الأخيار، والعلماء الأبرار، من أهل الإسكندرية، ومصر والحجاز، واليمن والشام وغيرها، واستجزت جماعة منهم، فأجازوني بإجازتهم العامة لفظا وكتابة، وإجازاتهم عندي، كما أنه استجازني منهم أيضا جماعة كثيرة، فأجزتهم"(٢).

وقد دوّن تفاصيل هذه الرحلة، ومن التقى بهم من العلماء السلفيين ورؤوس المتصوفة، والأضرحة التي زارها، في كتابه "الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والبلاد الشامية".

وفي عام١٣٢٥هـ هاجر هجرته الأولى بأهله وأولاده إلى المدينة النبوية؛ خوفا من استيلاء العدو على فاس، وحج فيها ثانيا، وأقام في المدينة النبوية قريبا من السنة، ثم رجع إلى فاس بعد تنصيب المولى عبد الحفيظ.

ولما تتابعت الفتن بالمغرب آثر الرجوع من فاس والهجرة ثانية إلى المدينة النبوية بأهله وأولاده فدخلها عام ١٣٢٨هـ، وحج فيها حجته الثالثة، وقد قال عن نفسه: "وحججت في هذه السنة أيضا لأني نويت حين حلولي بالمدينة المنورة أني لا أدع الحج ما دمت بها ما قدرت عليه ووجدت السبيل إليه، ثم أعدت الحج سنة تسع وعشرين، وسنة ثلاثين، وسنة إحدى وثلاثين، وسنة اثنين وثلاثين، ثم لم يتفق أني حججت بعدها؛ لحروب عرضت وموانع طرأت، وبقينا بالمدينة إلى شهر ربيع الثاني من سنة ست وثلاثين"(٣).

ثم رحل بأهله كلهم إلى الشام، حيث قال: "وفيه(٤) وفي أواخره خرجنا إلى الشام بالعائلة كلها لأمر اقتضاه، وخرج الناس كلهم من المدينة، أهالي ومجاورين، ... واتفق أني قرأت

---

(١) ينظر: الرحلة السامية (١٠٧ وما بعدها)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٢-٣٨٤)، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين (٩/٧).

(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٢).

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٣٩٥)، فهرس الفهارس (٥١٦/١)، سل النصال (٤٥).

(٤) أي في نفس عام ١٣٣٦هـ.

بالمدينة كتاب الموطأ، درسا، وكذا صحيح البخاري إلا شيئا يسيرا منه، والهمزية، والبردة[١]، وشيئا من الصغرى للإمام السنوسي[٢]، وكان يحضر دروسي فيها الكثير من العلماء والفقهاء ويترددون إليّ في منزلي، ويستفيدون مني وأستفيد منهم.. وقرأت بالشام طرفا كبيرا من صحيح الإمام البخاري، ومن صحيح مسلم، ومن سنن النسائي، وقد قاربت الآن ختمها، ثم من الله به فختمتها ولله الحمد، وكتبت عليها كتابات تصلح أن تكون شرحا لها، ...وقرأت بها أيضا جملة وافرة من شمائل الترمذي، ومن مسند الإمام أحمد بن حنبل "[٣].

فقد جمع في دروسه كما ذكر بين قراءة كتب الحديث، وشرح العقيدة الأشعرية، مع قراءة الهمزية والبردة!

ولما اشتدت الفتنة بدمشق وأصبحت تحت أيدي فرنسا رجع إلى المغرب، واستأنف درسه في شرح مسند الإمام أحمد من الموضع الذي وقف فيه بالشام، وبقي بها إلى وفاته[٤].

وقد تصدّر محمد بن جعفر الكتاني للتدريس والوعظ في الجامع الأموي، والحرمين الشريفين، أثناء إقامته في الحجاز والشام، وكانت له دروسا منتظمة فيها خاصة في علم الفقه

---

(١) الهمزية والبردة قصيدتان في مدح النبي-صلى الله عليه وسلم- للبوصيري، اشتملتا على الغلو القبيح بالنبي-صلى الله عليه وسلم- والشرك الصريح بالله تعالى، وقد رد العلماء عليها وبينوا مافيها من زلات، ينظر على سبيل المثال: الدرّ النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، للشوكاني، وشروح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب، الرد على البردة لعبد الله البابطين، وهي مطبوعة في آخر كتاب: الشيخ العلاّمة عبد الله بن عبد الرحمن أبا بطين مفتي الديار النجدية، للدكتور علي بن محمد العجلان، وفي ضمن غاية الأماني في الرد على النبهاني للألوسي، وغيرها.

(٢) هو: أبو عبد الله محمد بن يوسف بن عمر السنوسي الحسني التلمساني الأشعري، المتوفى عام ٨٩٥هـ، له كتاب العقيدة الصغرى المسماه: أم البراهين، لخص فيها العقيدة الأشعرية، ينظر شجرة النور الزكية (١/٣٨٤-٣٨٥)، فهرس الفهارس (٢/٩٩٨-٩٩٩)، الأعلام (٧/١٥٤).

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٣٩٦-٣٩٧)، وينظر: المرجع نفسه (٢٨٥)، عمدة الراوين (٩/٨)، معجم الشيوخ (٦٥).

(٤) ينظر: شجرة النور الزكية (١/٦٢٠)، كنز اليواقيت الغالية (٣٩٠)، خطط الشام (٣/١٨٨)، معجم الشيوخ للفاسي (٦٧)، سل النصال للنضال (٤٦)، معجم المؤلفين (٩/١٥٠)، الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية (٣٦٨)، منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٥). الأعلام (٦/٧٢).

والحديث مع التصوف، وقد واضب على فتح بيته لمختلف الدروس العلمية [(١)]، واستمر بالتدريس إلى وفاته عام ١٣٤٥هـ[(٢)].

وكان أول ما شرع به كما يقول: "وأول ما شرعت فيه شمائل الإمام الترمذي تبركا بها"[(٣)]، كما ساهم في تحرير عدة فتاوى في زمن المولى الحسن، وجعله المولى عبد الحفيظ على رأس كبار علماء المغرب الذين يسردون الحديث بالقصر الملكي، وكان يخطب نيابة عن والده[(٤)].

فقد جمع الكتاني بين الحديث والتصوف، كما اشتهر ذلك عنه وقرره مترجموه[(٥)]، بل كان يحدث بالرؤى والمنامات في مجالس الحديث، ومن ذلك أنه حدّث برؤيا في مجلس قراءته لمسند الإمام أحمد، بأن أحد مدعي الولاية الذين يزعمون اجتماعهم بالنبي-صلى الله عليه وسلم-يقظة، حدثه النبي-صلى الله عليه وسلم- بثلاثة أحاديث، الأول: وقفة على ولي حيّ أو ميّت خير من عبادة سبعين سنة، الثاني: حامل السبحة يكتب عند الله من الذاكرين وإن لم يستعملها، وشارب القهوة ليستعين بها على السهر في طاعة الله- تستغفر له الملائكة ما دام طعم القهوة في فيه!!

وقد قامت ضجة بعد ذكره لهذه المبشرة، يقول عبد الحي الكتاني:" وقد كانت قامت بفاس ضجَّة على مؤلِّف "السلوة" لما حدث بهذه المبشرة في درسه العام على الكرسي بالقرويين حين قراءته "المسند" الحنبلي، فعدَّها الشباب إنحراقًا منه في التخريف وتحريشًا بالطلبة ليهاجموه فيشتغل بهم ويشتغلوا به"[(٦)].

---

(١) ينظر: عمدة الراوين (٩/٧-٨)، تاريخ علماء دمشق (٦٢٣/١)، التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز (٤٤)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٤٥-٣٤٧، ٣٩٦).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٤٣-٣٤٤).

(٣) المرجع السابق (٢٨١) وينظر المرجع نفسه (٣٤٤).

(٤) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨١)، منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني (١٥٢-١٥٤).

(٥) ينظر: كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية (٣٨٩)، معجم الشيوخ (٦٤)، فهرس الفهارس (٥١٥/١).

(٦) إعلام الحاضر والآت (ل ٢٨/أ)، وينظر: سلوة الأنفاس (٢٢/١)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٨-٣٨٩).

وهذا من التناقض الذي وقع فيه الكتاني، وكما يقول ابن تيمية(١)-رحمه الله-:"كثير من هؤلاء يتناقض، فيتكلم في الفقه بلون، وفي أصول الفقه بلون، وفي أصول الدين بألوان، ففي الفقه يُثبت الأسباب والحِكَم، وفي أصول الفقه يسمي العلل الشرعية أمارات، خلاف ما يقوله في الفقه، وفي أصول الدين ينفي الحكمة والتعليل بالكلية "(٢)، وذلك لأنه لم ينهج منهج أهل السنة والجماعة في تقرير العقيدة- كما سيتضح في ثنايا هذا البحث-، فكل من خالف منهجهم وقع في التناقض، فيتناقض الرجل مع نفسه، ويتناقضون فيما بينهم، بخلاف أهل السنة والجماعة أهل الحديث، فلا يتناقض الرجل منهم، كما لا يتناقضون فيما بينهم، وهذا دليل على صواب منهجهم، يقول الإمام أبو المظفر السمعاني(٣)-رحمه الله-:" ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحد منهم قطرا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد يجرون فيه على طريقة لا يحيدون عنها، ولا يميلون فيها، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافا، ولا تفرقا في شيء ما وإن قل، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم، ونقلوه عن سلفهم، وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرى على لسان واحد، وهل على الحق دليل أبين من هذا؟ قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [سورة النساء:٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [سورة آل عمران:١٠٣]،

---

(١) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني، تقي الدين، علم من أعلام أهل السنة، له مؤلفات كثيرة منها: درء تعارض العقل والنقل, التدمرية, توفي عام ٧٢٨هـ. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب (٤/٤٩١)، شذرات الذهب (٨/١٤٢).

(٢) الاستغاثة في الرد على البكري (٢١٩).

(٣) هو: منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد السمعاني التميمي المروزي، أبو المظفر، حنفي شافعي، كان إمام عصره، شوكة في عيون المخالفين، حجة لأهل السنة، من مؤلفاته: منهاج أهل السنة، الانتصار لأصحاب الحديث، توفي عام٤٨٩هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/١١٦)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٥/٣٣٥)، وفيات الأعيان (٣/٢١١).

وأما إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعا وأحزابا، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد"(١).

ويقول الإبراهيمي -رحمه الله-: "لقد كان من مقتضى كون الرجل محدِّثًا أن يكون سلفيّ العقيدة وقّافًا عند حدود الكتاب والسنَّة، يرى ما سواهما من وسواس الشياطين، وأن يكون مستقلًّا في الاستدلال لما يؤخذ ولما يترك من مسائل الدين، وقد تعالت همم المحدّثين عن تقليد الأئمة المجتهدين، فكيف بالمبتدعة الدجّالين؛ وعرفوا بالوقوف عند الآثار والعمل بها، لا يعْدونها إلى قول غير المعصوم إلا في الاجتهاديات المحضة التي لا نصّ فيها"(٢)، لكن لما نهج الكتاني منهجهم في تقرير العقيدة واعتمد مصادرهم وقع في هذا التناقض.

- ثانيا: شيوخه:

لقي محمد بن جعفر الكتاني في رحلاته كثيرا من مشايخ عصره، وقد عدّ شيوخه في أكثر من موضع(٣)، وأشهر من أخذ عنهم العلم ما يلي:

- **والده**: وقد ذكره الكتاني أول شيخ له، وقال: "هو عمدتي وإليه نسبتي»(٤).

-**أحمد بن أحمد البنّاني (كلّا)**: وهو أبو العباس، أحمد بن أحمد بن محمد البنّاني، المدعو بكّلا؛ لكثرة جريان هذه اللفظة على لسانه، كان هذا الشيخ من مشائخ الطريقة التجانية بفاس، وهو المتوفى عام ١٣٠٦هـ(٥)، سمع عليه الكتاني الكثير من أوائل كتب الحديث، وقال عنه: "كان رضي الله عنه عاملا بالطريقة التجانية، فانيا فيها، معظما لشيخها

---

(١) نقله عنه تلميذه قوام السنة في كتابه الحجة في بيان المحجة (٢/٢٣٩).

(٢) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٣/٥٤٤).

(٣) ينظر: الإجازة الأيوبية في ذكر مشيخة العلم والأسانيد والطرق الصوفية (ص١٧-٣٧)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٣)، وهم في سلوة الأنفاس بمواضع متفرقة، وينظر: شجرة النور الزكية (١/٦١١)، المعجم الوجيز (٢٦)، فهرس الفهارس (١/٥١٥).

(٤) النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٣)، وينظر المرجع نفسه (٣٠٢)، الإجازة الأيوبية (ص١٧)، وينظر ترجمته: (ص٣٥ من هذا البحث).

(٥) ينظر: اتحاف المطالع (١/٣٠٢)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٣-٣٣٤)، الإجازة الأيوبية (١٨)، سلوة الأنفاس (٣/٣٦)، الفكر السامي (٢/٣٦٣)، فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام للحجوجي (١٩٨).

غاية"(١)، وقال عن أخذه عنه: "فحضرته في الحديث والمصطلح، والأصول وعلم المعاني، وسردت عليه أوائل الكتب الستة الحديثية، وأول الموطأ أيضا، وشمائل الترمذي، واستجزته فيها وفي غيرها، فأجازني بإجازته عامة بلفظه أيضا، واستجزته مرة أخرى في الأذكار والأحزاب والأدعية، وطريقتهم التيجانية، فأجازني في صلاة الفاتح (٢)وفي غيرها من الأذكار المروية عن شيخهم سيدي أحمد التيجاني(٣)-رضي الله عنه-، ما عدا الورد؛ قال: لأنه مشروط عندنا بترك الزيارة وأنت لا تتركها، إذ رآني إذ ذاك ولوعا بزيارة الأولياء، مكثرا للتردد إليهم"(٤).

فقد أخذ عن هذا الشيخ الإجازة بالطريقة التجانية، وعلى تعليمها وأورادها عدا الورد المشروط بترك الزيارة عندهم، فكان هذا الشيخ التجاني مع تصوفه أخفّ تصوفا من الكتاني، غير معظم للأضرحة بشد الرحال لزيارتها، فلم يجز الكتاني بورد الطريقة -مع بدعيته-(٥)؛ لأن محمد بن جعفر الكتاني رفض شرطهم بترك الزيارة وأصرّ عليها ولعا بها كما ذكر في تقريره السابق، مما يدلّ على غلوّه في هذا الباب(٦).

-**محمَّد بن المدني كنّون، أو جنّون:** وهو أبو عبد الله، محمَّد بن المدني بن علي كنّون، المتوفى عام ١٣٠٢هـ(٧)، رأس علماء المغرب في القرن الثالث عشر، سلفي شديد الإنكار على

---

(١) الإجازة الأيوبية (١٨)، وينظر: سلوة الأنفاس (٣٧/٣).

(٢) هي: صلاة مشتهرة عند الطريقة التجانية يزعم أحمد التيجاني أنه تلقاها عن رسول الله ﷺ نصها: اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق والخاتم لما سبق ناصر الحق بالحق والهادي إلى صراطك المستقيم وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم، وهي صلاة مبتدعة، وقد بالغوا في أجورها إلى أن جعلوا تلاوتها تعدل تلاوة القرآن ست مرات والعياذ بالله، ينظر الهدية الهادية (٢٥)، مختصر التجانية، علي السويلم (٣٦)، التاريخ السياسي للمغرب (٨٦/٩).

(٣) هو: أبو العباس أحمد بن محمد المختار بن أحمد بن محمد بن سالم التجاني، التقى في رحلته إلى الحج بكثير من أرباب التصوف وأخذ عنهم طرقهم إلى أن استقل بطريقته الخاصة التي عرفت بالتجانية نسبة إليه، توفي عام ١٢٣٠هـ، من أهم آثاره: كتاب جواهر المعاني، الذي جمعه تلاميذه، ويعد المرجع الأول للتجانية، ينظر: شجرة النور الزكية (٣٧٨/١-٣٧٩)، الأعلام (٢٣٢/١).

(٤) النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٣-٣٣٤)، وينظر: الإجازة الأيوبية (١٨)، سلوة الأنفاس (٣٧/٣).

(٥) ينظر: مناقشة الأدعية والأوراد المبتدعة (ص٣٩٣) من هذا البحث.

(٦) ينظر: رأيه في شد الرحل لزيارة القبور (ص٣٥٥).

(٧) ينظر: شجرة النور الزكية (٦١٠/١)، الأعلام (٩٤/٧).

الصوفية، يقول محمد بن الحسن الحجوي في ترجمته:" هذا الشيخ من أكبر المتضلعين في العلوم الشرعية الورعين، المعلنين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ... دؤوبا على نشر العلم والإرشاد، والنهي عن المناكر والبدع والتي تكاثرت في أيامه، لا يخشى في الحق لومة لائم، يحضر مجلسه الولاة والأمراء أبناء الملوك وغيرهم، وهو يصرح بإنكار أحوالهم وما هم عليه،... شديدا على أهل الطرق وما لهم من البدع التي شوهت جمال الدين، والمتصوفة أصحاب الدعاوى التي تكذبها الأحوال، وما كان أحد يقدر على الرد عليه مع شدة إغلاظه عليهم ومع ذلك هابه علماء وقته ولم يجرؤ على انتقاده"(١).

وقد كان محمد بن جعفر الكتاني يأخذ عن هذا الشيخ السلفي ويجالسه، وقد ذكره مرارا ضمن شيوخه ويفخر بالتتلمذ عليه(٢)، إلا أنه لم يتبع شيخه في نبذ التصوف والبدع، وإنما وقف في حزب والده ضده، فمما قاله في ترجمته: "جالسته مرارا واستفدت من مذاكراته، لكني لم أتملّ من القراءة عليه، مع مروري بمجلسه كثيرا، وسماعي له يدرس، ...كان كبير الصيت، طائر الذكر، مجلسه حفيل بالأعيان من الطلبة وغيرهم، محرّرا نقّادا مطلعا، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر، غير محتش من واحد، ولا ملتفت إليه، معتزلا عن أقرانه من العلماء، كأنه أمة وحده، وللسلاطين والأمراء لا يخالطهم إلا نادرا عند الضرورة، منكرا على أكثر أهل الطرق؛ لما يراه من كثير منهم من الأمور المنكرة، أو التي يرى هو أنها منكر، أو أن صاحبها لم يقصد بها وجه الله، بل الرياء والسمعة.

وأكثر إنكاره على المنتسبين للطريقة الشاذلية فيما يفعلونه من خرق العادات، وعلى من يستعمل آلات الطرب واللهو، أو يستمعها، ويقول: إنها محرمة بالكتاب والسنة والإجماع، وألّف في ذلك مؤلفا، وفي رد ما فيه من التشديدات وحكاية الإجماع على التحريم ألّف الوالد:

---

(١) الفكر السامي من تاريخ الفقه الإسلامي (٣٦٢/٢)، وينظر: التاريخ السياسي للمغرب (١١٨/٩)، مظاهر يقظة المغرب الحديث (٣٧١/٢).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٨)، الإجازة الأيوبية (٣٥)، سلوة الأنفاس (٤١٢/٢).

مواهب الأرب المبرئة من الجرب، في السماع وآلات الطرب، رحم الله الجميع بمنه وشكر سعيهم"(١).

فقد ذكر بأن شيخه أنكر على أهل الطرق الأمور التي يرى شيخه أنها منكرة، فلم يقره على إنكار البدع الطرقية ولم يوافقه عليه، بل نسب الإنكار إلى رأي شيخه، ووصف منهجه في تحريم آلات الطرب واللهو بالتشدد، ووقف في صف والده ضدّه، وذكر تأليفه في الرد عليه.

-ماء العينين الشنقيطي: هو أبو عبد الله محمد مصطفى بن محمد فاضل، الملقب بماء العينين، شيخ الطريقة القادرية بفاس، المتوفى عام ١٣٢٨هـ(٢)، امتدحه محمد بن جعفر الكتاني وعظّمه وعده من شيوخه الذين انتفع بهم، وقد استجازه بطريقته القادرية فأجازه، حيث يقول في ترجمته: "الصوفي الأعرف الولي الصالح المربى المشار إليه بالقطبانية: أبو عبد الله سيدي محمد مصطفى ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل الشنقيطي الحسني الإدريسي، لقيته بفاس وقت وروده عليها أولا وثانيا، وتبركت بمجالسته وتقبيل يديه وبمذاكراته، واستجزته فأجازني بإجازته العامة لفظا كما أجازني قبل ملاقاته كتابة، في العلوم والطرق والأحزاب والأذكار والأدعية وفي خصوص طريقتهم القادرية"(٣).

مع أن هذه الطريقة كما يقول الشيخ تقي الدين الهلالي-رحمه الله- في الحكم عليها وعلى شيخها ماء العينين:" وأهل هذه الطريقة عندهم غلو عظيم في شيوخهم قد اتخذوهم أربابا من دون الله، يستغيثون بهم في الشدائد، ويزعمون أنهم يغيثونهم، و إذا جالست أحدا منهم تراه كالمجنون ممسكا سبحة بيده يعد حباتها و يسرد لا إله إلا الله، بنغمة الغناء و اللحن، ثم ينشد أبياتا ثم يعود إلى سرد لا إله إلا الله، و في أثناء ذلك يصرخ صرخات عظيمة يا

---

(١) الإجازة الأيوبية (٣٦).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٥٢)، سلوة الأنفاس (٤٩٠/٣)، الإجازة الأيوبية (٣٢)، شجرة النور الزكية (٦١٥/١)، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس (٤٦٦/١)، معجم الشيوخ (١٦٨)، الأعلام (٢٤٣/٧)، فهرس الفهارس (٥١٦/١)، بلاد شنقيط المنارة والرباط، الخليل النحوي (٢٨١)، اتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (٣٨٥/١)، المغرب عبر التاريخ (٣٠٨/٣)، الوسيط في تراجم أدباء شنقيط (٣٦٥)، معلمة المغرب (٦٩٣٢/٢٠).

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٣٥٢)، وينظر: الإجازة الأيوبية (٣٢).

شيخنا، فهؤلاء ما لهم عقل و لا دين... وإذا أردت أن تعرف طريقة ماء العينين وتلامذته فعليك بكتابه المسمى: نعمت البدايات، فإنك ترى فيه عجب العجاب من الضلال والغلو"(١).

ومما قاله ماء العينين في هذا الكتاب مما يشهد لهذا الضلال والغلو:" فإذا استمد من شيخه جاء المدد لا محالة، قال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾ [سورة الأنفال:٧٢]"(٢)، وهذا من الغلو الشركي المذموم نسأل الله السلامة والعافية!

- **العربي بن إدريس العلمي، اللحياني**: المعروف بالموساوي، من أعلام الطريقة التجانية، يدعي الكشف الصوفي، والاجتماع بالنبي-صلى الله عليه وسلم- يقظة، أجاز الكتاني وأولاده في الطريقة، وكان يحب الكتاني ويجلّه، توفي عام ١٣٢٠هـ(٣)، قال الكتاني في ترجمته: "استجزته في العلوم والأذكار، وغير ذلك فأجازني في العلوم كلها، وفي جميع الأذكار والأسماء والأحزاب والأدعية، وفي الاسم الأعظم، والطريقة التجانية خصوصا؛ لأنه من خلفائها، وأجاز أيضا لأولادي، وأذنني أن أجيز من شئت في جميع ما ذكر بشروطه، ... ذا كرامات وكشف وإخبار بمغيبات، وله أيضا مرائي نبوية أخبرني ببعضها، وربما يدل بعض كلامه على الرؤية اليقظية، وله أنظام شعرية، وكتاب: الترغيب في الطريقة التجانية، وغير ذلك...

كان-رحمه الله-يحبني غاية المحبة، بل كان يفعل معي غاية الأدب، فلا يجلس مستعليا، بل يحرص على الجلوس تحتي، والمحل الذي أجلس فيه يبقى محترما له، ويقول لمن يدخل عليه: هذا موضع جلوس سيدي فلان"(٤).

هؤلاء بعض مشايخ محمد بن جعفر الكتاني، فقد أخذ عن الشيخ السلفي، كما أخذ عن الطرقي، إلا أنه لم ينهج نهج مشايخه السلفيين، وإنما كان على ما نشأ عليه، فتلقى الطرق، استُجيز بها وأجاز بها تلاميذه كما سيأتي.

---

(١) الدعوة إلى الله في أقطار مختلفة، تقي الدين الهلالي (١٦٦).

(٢) نعت البدايات وتوصيف النهايات (١٩).

(٣) ينظر: إتحاف أعلام الناس (٥/٥١٣)، فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية (١٦٣)، اتحاف المطالع (٣٥٥)، معجم المؤلفين (٦/٢٧٦).

(٤) الإجازة الأيوبية (٣١)، وينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٥٥).

- **ثالثا: تلاميذه، وأشهر من عاصرهم:**

تعدد رحلات محمد بن جعفر الكتاني أتاح لعدد كبير من المشرق والمغرب لقياه والأخذ عنه، مما نتج عنه انتشار أفكاره ومعتقداته، حتى خرّج تلاميذ لهم مكانة وشهرة، يقول: "تخرّج عني جماعة من الطلبة، هم الآن منتصبون للتدريس، ومنهم للتأليف"[١]، ومن أبرز تلاميذه:

-**أحمد بن الصديق الغماري**: هو أبو الفيض أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الحسني الأزهري، عرف بابن الصديق كأبيه، وهو أحد كبار منظري القبورية، يصرح بعقيدة وحدة الوجود، ويسب بعض الصحابة والأئمة والعلماء الكبار، ومن ألد خصوم الدعوة السلفية، رحل لمحمد بن جعفر الكتاني بدمشق، وأخذ عنه، من مؤلفاته: توجيه الأنظار، المنثوي والبتار في نحر العنيد الطاعن فيما صح من السنن والآثار"، توفي عام ١٣٨٠هـ[٢]، ترجم لشيخه محمد بن جعفر الكتاني في عدة مواضع، وكان شديد الإعجاب به[٣]، ومما قاله عنه:" شيخنا الإمام العارف بالله تعالى، بقية السلف الصالح، وخاتمة الطراز السالف؛ أبو عبد الله سيدي محمد بن جعفر الكتاني الحسني – رضي الله عنه ونفعنا به –كانت الملوك والأمراء تخدمه وتتشرف بالانتساب إليه، وهذا معلوم لدى الخاص والعام من أهل البلاد المغربية والحجازية والشامية، ومن وفد إليها من الأقطار البعيدة النائية، وقد كان سلطان المغرب عبد الحفيظ تلميذا لشيخنا المذكور، وكان يتردد إليه أيام حجه ويخدمه بنفسه، وكذلك كان يحترمه ويعظمه أمراء الحجاز والدولة التركية، وعظماء البلاد الشامية، ويفدون لزيارته والتبرك به،

---

(١) النبذة اليسيرة النافعة (٣٤٨)، ينظر: شجرة النور الزكية (٦١٩/١)، المعجم الوجيز (٢٦)، فهرس الفهارس (٥١٥/١).

(٢) ينظر: من أعلام المغرب في القرن الرابع عشر لعبد الرحمن بن محمد الباقي الكتاني (١٢٠) الأعلام (٢٥٣/١)، إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع (٥٧٤)، الأعلام الشرقية (١٥٨)، إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علما المغرب المعاصرين (٣٤)، تنبيه القاري إلى فضائح الغماري (٩١وما بعدها).

(٣) ينظر: المعجم الوجيز للمستجيز (٢٦)، المنثوي والبتار (٦٦).

والاهتداء بهديه"[1]، كما ذكر محمد بن جعفر الكتاني بأنه أخذ عنه فرعا من فروع الشاذلية[2].

-أحمد الرهوني: هو أبو العباس أحمد بن محمد الرهوني التطواني، مؤرخ وأديب، كان شيخا للطريقة التجانية، من أشهر مؤلفاته وأكبرها: عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، وله الرحلة المكية، وتحفة الإخوان بسيرة سيد الأكوان، توفي عام ١٣٧٢هـ [3]، كان معجبا بشيخه محمد بن جعفر الكتاني، وترجم له ترجمة واسعة في "عمدة الراوين من تاريخ تطاوين"، وامتدح تصوفه وما هو عليه، ومما قاله: "هذا السيد من الرجال العظام، الذين لا تفي الدفاتر العديدة بترجمتهم، لما اجتمع فيه من شرف النسب وكرم الحسب، والعلم والأدب، والزهد والورع، والمشاركة في جميع العلوم، وتحرير المنطوق منها والمفهوم، وخصوصا الحديث والتصوف، والتوحيد العام والخاص، والفناء في محبة الله ورسوله، وآل بيته الكرام، وأولياء الله العظام، قد جمع الله له بين الإمامة في علمي الباطن والظاهر، وخصه من الولاية الكبرى بالسر الباهر، ... اشتغل بالطواف على أهل الله، الأحياء والأموات، وجمع ما لديهم من الخوارق والفتوحات، وألف في أولياء فاس وعلمائها وشرفائها وصلحائها تأليفه المعروف بسلوة الأنفاس"[4].

وقد أجازه محمد بن جعفر الكتاني بالطريقة التجانية، حيث قال: "ولقنني هناك-أي: بفاس- الطريقة التجانية وأورادها وأسرارها"[5].

-محمد الحجوجي: هو محمد بن محمد الحجوجي الإدريسي الحسني الفاسي، من مشائخ الطريقة التجانية، له باع في علم الحديث، توفي عام ١٣٧٠هـ[6]، من مؤلفاته: فتح

---

(١) المنثوي والبتار (٦٦).

(٢) ينظر: الإجازة الأيوبية (٤١)، حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم (ل ٥).

(٣) ينظر: اتحاف المطالع (٥٤٠/٢)، تاريخ تطوان، لمحمد داود (٥٠/١)، الأعلام (٢٥٣/١)، وينظر ترجمته جعفر ابن الحاج السلكي في المجلد الأول من عمدة الراوين له.

(٤) عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٣/٩)، وينظر المرجع نفسه (٢٩/١٠).

(٥) المرجع السابق (٧/٩).

(٦) ينظر: سل النصال للنضال (١٤٣)، اتحاف المطالع (٥٢٦/٢)، الأعلام (٨٤/٧)، موسوعة أعلام المغرب (٣٢٥٨/٩).

الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، بلوغ القصد والمرام في قراءة مولد خير الأنام، أخذ عن الكتاني علم الحديث، وترجم لشيخه محمد بن جعفر الكتاني ترجمة موجزة شاملة في كتابه "كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية"، وامتدح براعته في علم الحديث حيث قال:" هذا السيد من العلماء المحققين، المتقين الورعين، جمع الله له من العلوم علوما جمة من تفسير وحديث، وفقه وأصلين، ونحو وتصريف، وبيان ومنطق وتصوف، والغالب عليه علم الحديث وصناعته، فإنه فيه لا يبارى"(١).

-**محمد زاهد الكوثري**: هو محمد زاهد بن الحسن بن علي الكوثري، فقيه حنفي قبوري، اشتهر بعدائه الشديد للسلف من الصحابة والتابعين ومن تبعهم -رضي الله تعالى عنهم- توفي عام ١٣٧١هـ(٢)، وممن رد عليه الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليمني(٣) في كتابه: التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، بيّن ضلاله وتلبيساته على المسلمين، وطعنه على السلف، وفي مقدمتهم صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، حيث قال في فاتحة كتابه:" فرأيتُ الأستاذ-أي: الكوثري- تعدَّى ما يوافقه عليه أهل العلم من توقير أبي حنيفة وحسن الذب عنه إلى ما لا يرضاه عالم متثبت من المغالطات المضادة للأمانة العلمية، ومِن التخليط في القواعد، والطعن في أئمة السنة ونقلتها، حتى تناول بعض أفاضل الصحابة والتابعين، والأئمة الثلاثة مالكا والشافعي وأحمد وأضرابهم، وكبار أئمة الحديث وثقات نقلته، والرد لأحاديث صحيحة ثابتة، والعيب للعقيدة السلفية، فأساء في ذلك جدا، حتى إلى الإمام أبي حنيفة نفسه"(٤).

---

(١) كنز اليواقيت الغالية (٣٩٠).

(٢) ينظر: الأعلام الشرقية (٣٦٨)، الأعلام (١٢٩/٦)، زاهد الكوثري وآراءه الاعتقادية عرض ونقد، علي عبد الله الفهيد (ص١١٦وما بعدها).

(٣) هو: عبد الرحمن بن يحي بن علي المعلمي اليماني، أبو عبد الله، فقيه سلفي من أعلام المحدثين المتأخرين، من مؤلفاته: علم الرجال وأهميته، رسائل في تحقيق بعض المسائل، توفي عام١٣٨٦هـ. ينظر: الأعلام (٣٤٢/٣)، معجم المؤلفين (١٢٦/٢).

(٤) التنكيل لما في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٩/١).

وقد أخذ الكوثري عن الكتاني في الجامع الأموي علم الحديث، وترجم لشيخه الكتاني، ومما قال: "له مؤلفات كثيرة في الحديث وغيره، وكان آية في الورع، وقد سمعت كتاب شمائل الترمذي من لفظه في الجامع الأموي"(١).

-**عبد الحفيظ الفاسي**: هو أبو الفضل عبد الحفيظ بن محمد الطاهر بن عبد الكبير الفاسي، أكد على أن إثبات الصفات على ظاهرها هو مذهب السلف وعليه إجماع العلماء، وأنه لا يستلزم التجسيم والتشبيه كما يزعم المؤولة(٢)، وردّ على بعض المبتدعة، ومما قاله في الرد على الطريقة التجانية: " ومن ذلك افتراء بعضهم كون النبي – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله خص أصحابه بمزايا دون سائر الأمة، وجعل لصلواتهم وأورادهم فضائل تقوم مقام العبادات في السنين العديدة، وتكفر ما ضيعوا من الصلوات، وتغفر من غير توبة ما اجترموا من المعاصي والسيئات، وأمثال هذا مما يضللون به الجهال الذين لا يعرفون حقيقة الإسلام وشرائعه تشويقا لهم وترغيبا للدخول في طريقتهم؛ لأن النفوس متشوفة إلى نيل الأجور الكثيرة على الأعمال الصغيرة، وميالة إلى ترك الشاق من الطاعات والتهاون بالمحرمات والعياذ بالله، ولا شك أن مدعي هذا داخل في الوعيد المذكور في حديثنا المتكلم عليه لما في تلك البشائر والخصائص من الكذب على رسول الله –صلى الله عليه وسلم –"(٣).

من أشهر مؤلفاته: إتقان الصنعة في الرد على مقسمي البدعة، وخبايا الزوايا، معجم الشيوخ، وله اهتمام بعلم التاريخ والحديث والتراجم، توفي عام ١٣٨٣هـ(٤)

أخذ عن محمد بن جعفر الكتاني علم الحديث، فسمع منه موطأ الإمام مالك، وصحيح البخاري، وسنن أبي داود، وجامع الترمذي، وغيرها، ترجم للكتاني في معجم شيوخه، وذكر بأن الكتاني أجازه إجازة عامة في مروياته وتآليفه(١).

---

(١) التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز (٤٤)، وينظر: الأعلام الشرقية (٣٦٧/١)، تاريخ علماء دمشق (٤٦٢/١).

(٢) ينظر: الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات (١٤-١٦).

(٣) المرجع السابق (٢٧٤)، وسيأتي رده على النبهاني (٦٥).

(٤) ينظر: شجرة النور الزكية (٦١٦/١)، سل النصال (١٩٠-١٩٣)، اتحاف المطالع (٥٨١/٢)، الأعلام (٢٧٩/٣).

أشهر من عاصرهم (٢):

- **يوسف النبهاني:** هو يوسف بن إسماعيل النبهاني، أشعري قبوري، جلّ مؤلفاته متعلقة بذكر فضائل النبي-صلى الله عليه وسلم-والغلو فيه وذكر فضائل غيره من رموز التصوف، وهو من خصوم الدعوة السلفية، رد عليه محمود شكري الألوسي(٣) في "غاية الأماني" وبيّن فساد منهجه ومعتقده، من مؤلفاته: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، وحزب الاستغاثات بسيد السادات-صلى الله عليه وسلم-، توفي في ١٣٥٠هـ(٤).

يقول عبد الحفيظ الفاسي-رحمه الله- مشنعا عليه وعلى كتبه: "وهي وإن كانت له فيها حسنات فهي لا تقابل ما له فيها من السيئات؛ وذلك لما خالط بها من الخرافات ونسبة المقامات العظيمة لمن لا قدم له فيها من الطغام، وادعاء الكرامات، حتى لمن عرفوا بعدم التمسك بالتقوى، ولا مستند لهم فيها إلا مجرد التقول والدعوى، أو نقل فلان عن فلان، ولو كان هيان بن بيان، أو الاغترار بظواهر الأحوال وعدم البحث عن حقائق الرجال، وبعكس ذلك عمد إلى علماء الإسلام الذي خدموا السنة والدين خدمة لم يشاركهم فيها غيرهم في

---

(١) ينظر: معجم الشيوخ (٦٧).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٩ وما بعدها)، فهرس الفهارس (٥١٦/١) والرحلة السامية في مواضع متفرقة.

(٣) هو: محمود شكري بن عبد الله بن محمود الخطيب، البغدادي، الحسيني، المشهور بأبي المعالي الألوسي، سلفي حنفي، من مؤلفاته: غاية الأماني في الرد على النبهاني، صب العذاب على من سب الأصحاب، توفي عام ١٣٤٢هـ. ينظر: الأعلام (١٧٢/٧)، معجم المؤلفين (١٦٩/١٢).

(٤) ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار (١٦١٢)، معجم الشيوخ (٢٥٣)، الأعلام (٢١٨/٨)، غاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود شكري الألوسي (٥٤٥/١ وما بعدها)، الأعلام (٢١٨/٨).

عصره بشهادة الموافق والمخالف لهم، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم[١]، فحمل عليهم حملة شعواء في كتابه: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق"[٢].

ومع ذلك فقد أجاز محمد بن جعفر الكتاني النبهاني في مؤلفاته إجازة عامة، حيث يقول النبهاني في هذه الإجازة التي تبين منهج الكتاني: "قد حضر إلى بيروت في شهر رمضان سنة ١٣٢٦هـ، سيدي الإمام الكبير السيد الشريف الشيخ محمد بن الإمام الشهير سيدي الشيخ جعفر الكتاني الفاسي قادما من المدينة المنورة بعد حجه في العام السابق، وإقامته في جوار جده الأعظم-صلى الله عليه وسلم-عدة شهور يقرأ العلم، وينفع الجمهور، وكان حضر إلى بيروت، قبل ذلك بثلاث سنوات مع جملة من أولاده وتلاميذه، وشرفني بزيارته لي في منزلي مع جماعة، وحصلت لي بركته وبركتهم، فلما بلغني قدومه إلى بيروت في هذه المرة زرته في محل إقامته، وفزت بتقبيل يده، ودعوته إلى منزلي، فاستجاب دعوتي واستفدت من علمه وبركته فوائد جمة، أجلّها أنه عانقني وقال لي: أعانقك كما عانقني سيدي السيد أحمد بن حسن العطاس باعلوي[٣] في المسجد الحرام في العام الماضي، وقال لي: أعانقك كما عانقني رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ثم صافحني السيد محمد بن جعفر الكتاني، وقال لي: أصافحك كما صافحني سيدي السيد أحمد بن حسن العطاس، وقال لي: أصافحكم كما صافحني رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ثم شابكني بأصابع يده اليمنى مع أصابع يدي اليمنى سيدي السيد محمد بن جعفر الكتاني، وقال لي: أشابكك كما شابكني السيد أحمد بن حسن العطاس، وقال لي: أشابكك كما شابكني رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ثم ناولني سيدي السيد محمد بن

---

(١) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي، أبو عبد الله، شمس الدين، من أئمة السنة، من مؤلفاته: الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، توفي عام٧٥١هـ. ينظر: ذيل طبقات الحنابلة (١٧٠/٥)، شذرات الذهب (٢٨٧/٨).

(٢) معجم الشيوخ (٢٥٤).

(٣) هو: أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي بن عبد الله العلوي الحسني، صوفي قبوري من أعيان العلويين في حضرموت، يدعي الاجتماع بالنبي-صلى الله عليه وسلم- يقظة، كما يدعي التصرف في قلوب الناس، من مؤلفاته: رسالة في القبائل الحضرمية، توفي عام١٣٣٤هـ، ينظر: الأعلام (١١٣/١)، تاريخ الشعراء الحضرميين (٤/ ١٠١)، طبقات النسابين (١٩٨)، للاستزادة ينظر: هذه هي الصوفية في حضرموت (٢٠٤، ٢٠٨)، وغيرها.

جعفر الكتاني سبحته وقال لي: أناولك السبحة كما ناولنيها سيدي السيد أحمد بن حسن العطاس، وقال لي: أناولك السبحة كما ناولنيها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، ثم إن سيدي محمد بن جعفر الكتاني أجازني إجازة عامة تامة بمؤلفاته ومروياته، وكان قد سبق إجازته لي بذلك في الاجتماع السابق، ومؤلفاته رضي الله عنه كثيرة جدا، وهو ممن سمعت منهم أن شيخنا المذكور أحمد بن حسن العطاس يجتمع بالنبي-صلى الله عليه وسلم يقظة رضي الله عن الجميع"(١).

وقد لقي محمد بن جعفر الكتاني العطاس بمكة وأخذ الإجازة عنه، وأجازه هو كذلك(٢)، كما أن النبهاني أيضا أجاز الكتاني وأولاده وإخوته إجازة عامة، حيث قال عنه محمد بن جعفر الكتاني في رحلته إلى بيروت: "واجتمعنا فيها بالشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني، فأكرم وعظّم وبجّل، وأجاز واستجاز، وأسمع وسمع، وهو رجل كريم الأخلاق، عظيم المحبة للجناب النبوي، وفيه أفنى عمره مدحا وجمعا لفضائله وخصائصه ومزاياه، وتآليفه في ذلك مشهورة في الآفاق، عليها قبول عظيم، وقد ناولنا بعض تآليفه، وأسمعنا حديث الأولية، وأجازنا ولأولادنا وإخوتنا وإخواننا إجازة عامة"(٣).

- **سليم البشري**: هو سليم بن أبي فراج بن سليم بن أبي فراج البِشْري، تولى مشيخة الأزهر مرتين، وهو من فقهاء المالكية الأشاعرة الصوفية، من مؤلفاته: شرح نهج البردة، توفي عام ١٣٣٥هـ (٤)، لقيه محمد بن جعفر الكتاني في القاهرة وقال عنه: "هو من كبار علمائها ومن يشار إليه فيها، بل كان شيخ الإسلام بها"(٥).

---

(١) جواهر البحار (١٦٣٢/٣)، وينظر: الأعلام الشرقية (٣٦٧/١)، تاريخ علماء دمشق (٤٦٣/١).

(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٣٩٠).

(٣) الرحلة السامية (٢٣٨)، وينظر المرجع نفسه (٢٤٢).

(٤) ينظر: الأعلام (١١٩/٣)، الأزهر في ألف عام، محمد خفاجي (٩٢/٢)، معجم المؤلفين (٢٤٩/٤)، شيوخ الأزهر، أشرف فوزي (٨٢/٢).

(٥) الرحلة السامية (١٣٨).

-**محمد سعيد بابصيل**: هو محمد سعيد بن محمد بن سالم بابصيل اليمني المكي، مفتي الشافعية بمكة، توفي عام ١٣٣٠هـ [١]، وأحد تلاميذ أحمد زيني دحلان[٢] المدافعين عنه، انتصر له في كتابه: القول المجدي، من أعداء الدعوة السلفية والطاعنين فيها، وقد ردّ عليه أئمة الدعوة السلفية وبينوا فساد منهجه[٣].

لقيه محمد بن جعفر الكتاني بمكة، وحضر مجالسه، واستجازه فأجازه وأولاده، وقال عنه: "هو شيخ الإسلام بمكة، ومفتي الشافعية بها، وحضرت مجلسه في التفسير في سورة الكوثر، ثم حضرته أيضا يوم الختم، وأتانا لمحلنا، وأتينا إليه في داره، واستجزناه فأجازنا وأولادنا وأخوتنا وإخواننا، وهو أحد تلاميذ الشيخ دحلان، وكثيرا ما يلهج به، ويفتخر بالقراءة عليه"[٤].

وممن عاصر من السلفيين:

- **محمد محمود التركزي الشنقيطي**: المشهور بابن التلاميد، كان محدثا مالكيا لغويا، كارها للطرق محاربا للبدع، من مؤلفاته: الحماسة السنية في الرحلة العلمية، وقصيدة: تحلية كل جيد عاطل بتأييد السنة ونفي الباطل، أنكر فيها الاحتفال السنوي بقبة ضريح الإمام

---

(١) ينظر: مختصر كتاب الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت، لابن جندان، اختصار: عمر باحاذق (٢٤٥)، لوامع النور نخبة من أعلام حضرموت، أبو بكر العدني (٢٧٦)، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع الهجري، عبد الله المعلمي (١/٢٥٠).

(٢) هو: أحمد بن زيني دحلان، فقيه مكي مؤرخ، تولى الإفتاء والتدريس بمكة، وفي أيامه أنشئت أول مطبعة بمكة فطبع فيها بعض كتبه، من أعداء الدعوة السلفية، وقد ألف رسالة في الرد عليها، وهي: رسالة في الرد على الوهابية، وقد تصدى العلماء بالرد عليه، توفي عام ١٣٠٤هـ، ينظر: فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان، لزيد آل سليمان (٥٩)، الأعلام (١/١٢٩)، صيانة الإنسان من وسوسة دحلان، للسهسواني (ص٤٧٤)، للاستزادة ينظر: آراء أحمد زيني دحلان الاعتقادية عرض ونقد، رسالة ماجستير في جامعة أم القرى لسيف حامد العميري.

(٣) ينظر: البيان المبدي لشناعة القول المجدي، لسليمان بن سحمان (ص٢ وما بعدها)، الدرر السنية في الكتب النجدية لعبد الرحمن بن قاسم (١٦/١٨).

(٤) الرحلة السامية (١٥٠)، وينظر: المطالب العزية الوفية في تكلمه-عليه السلام-بغير اللغة العربية (ل ١٩).

الشافعي، توفي في المدينة عام١٣٢٢هـ[(١)]، لقيه محمد بن جعفر الكتاني في مصر، وقال في ترجمته -منكرا لمنهجه السلفي-: "وممن اجتمعنا فيها به من أهل العلم: العالم الأديب الشاعر السيد محمد محمود الشنقيطي أصلا، وهو عالم متضلع لغة وأدبا، ولا كبير تعلق عنده بغير ذلك من الفقه، والحديث، والتصوف، وغيرها.

ورأيناه ينفي كشف الأولياء جملة، وكذا ينفي أيضا زيارتهم، والتبرك بهم والتوسل، وينفي أيضا الاستغاثة بمخلوق ولو النبي -صلى الله عليه وسلم-، وينفي أن سيدنا الحسين أو شيئًا من جسده بمصر، ورأيناه أيضًا يُصلي بالنعل التي يمشي بها في الطريق، ويدخل أيضًا بها إلى المساجد، وذاكرناه في شيء من ذلك فلم يرجع مما يعتقده أصلاً، وأظنه لا يقبل غيره، ولو أتى بحُجج الدنيا، بل لا يقبل غير ما انطوى عليه ضميره أصلاً... ثم إنه مع هذا يزعم التمسك بالسنة، والاقتصار على ماورد فيها، وترك البدع"[(٢)].

- **أبو شعيب الدُّكَّالي**: هو أبوشعيب بن عبد الرحمن الدكالي الصديقي، كبير محدثي المغرب وإمام مسنديه في القرن الرابع عشر الهجري، ينادي بردّ الناس إلى الكتاب والسنة، ويحضّهم على اتباع مذهب السلف الصالح، يقول عنه عبد الحفيظ الفاسي:" عارف بأصول الدين الصحيحة الخالية من البدع والعقائد الزائغة، شديد على المدعين، قامع لأهل الأهواء والمبتدعين، سيف الله القاطع على رقابهم"[(٣)]، وهو الشيخ الذي حثّ على جلد محمد بن عبد الكبير الكتاني في عهد المولى عبد الحفيظ، كما أنه من أبرز مقاومي الاحتلال، توفي عام ١٣٥٦هـ [(٤)]، وقد لقيه محمد بن جعفر الكتاني بالحجاز، وقال: "لازمنا بمنزلنا كثيرا"[(٥)].

---

(١) ينظر: الأعلام الشرقية (٢/٣٩٧)، الأعلام (٧/٩٠)، أعلام الفكر الإسلامي في العصر الحديث، أحمد باشا (٣٦٩)، قطف العناقيد من ترجمة الشنقيطي ابن التلاميد، رائد الشلاحي، مقال: محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي، لأحمد سالم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد١٠، ١٩٩٥م.

(٢) الرحلة السامية (١٣٤-١٣٥)، وينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٢).

(٣) معجم الشيوخ (٢/٢٤١).

(٤) ينظر: اتحاف المطالع بوفيات أهل القرن الثالث عشر والرابع (٢/٤٧٧)، أعلام المغرب العربي (٢/١٩٦) سل النصال (٨٢)، التاريخ السياسي للمغرب (٩/١١٨-١٣٠)، للاستزادة ينظر: شيخ الإسلام أبو شعيب الدكالي لمحمد رياض، ترجمة شيخنا العلامة المحدث أبي شعيب الدكالي، لجعفر الناصري.

(٥) الرحلة السامية (١٦٦).

رابعا: مصنّفاته، وما نُسب إليه.

يُعد محمد بن جعفر الكتاني من جملة المكثرين من التصنيف، وكانت تصانيفه في فنون عدة، قال عنه ابن مخلوف في "شجرة النور الزكية في طبقات المالكية": «له تآليف كثيرة»[(١)]، وقال عبد الحي الكتاني:" صاحب المؤلفات العديدة"[(٢)].

وقد سرد محمد بن جعفر الكتاني مؤلفاته في كتابه "النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة"، الذي كتبه عام ١٣٣٨هـ، - قبل وفاته بسبعة أعوام-[(٣)]، وقال قبل سرده لها: "ثم إنه صدر منّي من الأوضاع[(٤)]في هذه المدّة ما يزيد على الستين عدّة أحببت أن أبيّنها، وفي هذه النبذة بالذكر أعيّنها"[(٥)].

وهذه المؤلفات بعضها جاء في عدة مجلدات، وبعضها أتى في مجلد أو على صفحات قليلة، وسأذكر هنا ما نسبه إلى نفسه، وما نُسِب إليه-مما وقع بين يدي-من المؤلفات، وسأقسمها على حسب العلوم، مع ذكر نبذة مختصرة عن الكتاب.

أولا: الكتب المتعلقة بالعقيدة والتصوف.

الكتب المطبوعة:

١- الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان:

نسبته إليه: نسبه محمد بن جعفر الكتاني إلى نفسه[(٦)]، ونسبه له تلميذه الرهوني، واختصره[(٧)]، وعبد الحفيظ الفاسي[(٨)]، وصاحب الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية[(٩)]، وغيرهم.

---

(١) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٦١٩/١).

(٢) فهرس الفهارس (٥١٥/١).

(٣) ينظر خاتمة النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٦).

(٤) أي من التأليف والمصنفات.

(٥) النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٦).

(٦) ينظر: المرجع السابق (ص٤٧٩).

(٧) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٤/٩، ٣٥).

(٨) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(٩) الأعلام الشرقية (٣٦٨/١).

موضوعه: في تقرير العقيدة الأشعرية، ومن المسائل التي قررها: مسألة أول واجب على المكلف، إيمان المقلد، وبعض مسائل الصفات، والأسباب وتأثيرها، وغير ذلك.

وقد نظم فيه نظم مختصر في عقائد الإيمان على المذهب الأشعري، سماه" عقيدة النجاة"، قال فيه:"وقد كنت قبل هذا بيسير لفقت أبياتا عِدّتها ثمانية عشر، ضمّنتها عقائد الإيمان الواجبة علينا، وأضفت إليها أدلتها الإجمالية فقط؛ تسهيلا وتقريبا على من يريد الحفظ من النساء والصبيان والعامة، فقلت:

قال محمد ابن جعفرا ... لقب كتان عليه قد جرا

حمدا لمن أوجدنا من العدم ... وخصنا بخير من له القدم

صلى عليه ربنا وسلما ... وآله وكل من له انتمنا

يا أيها العبد الضعيف المذنب ... المرتجى تصحيح عقد يجب

أول ما على العباد قد وجب ... معرفة الباري ورسل انتخب

فواجب لربنا الوجود ... قدمه ثم البقا الممدود

وخلقه لخلقه ثم الغنا ... ووحدة مطلقة ولا غنا

وقدرة إرادة ثم الحياة ... والعلم والدليل خلق الكائنات

وسمعه والبصر الكلام ... دليلها نقله الأعلام

وضدها ممتنع ثم الكمال ... لله والنقص قد غدا محال

وجائز له تعالى فعل ما ... يمكن أو ترك له فلتعلما

لأنه سبحانه فريد ... في ملكه يفعل ما يريد

وواجب لرسله الأمانة ... والصدق والتبليغ لا خيانه

كذا باقي ضدها محال ... إذ لهم من ربنا الكمال

وجائز عليهموا محو المرض ... من عرض لا نقص فيه إذ

وكل ذا مستجمع في كلمة ... جعلها الرب لكل خاتمة

صلى على محمد وصحبه ... وآله ومن غدا من حزبه

سميتها عقيدة النجاء ... لكونها تنجي من البلاء

وضعتها لجملة الأطفال ... وقاصر النساء والرجال

والله أعلم اهـ"[١].

وكان إتمام هذا الكتاب كما ذكر في خاتمته بسابع رجب، من عام ١٣٢٦هـ.

-**طبعاته ونسخه:** حققه عبد الرحمن ابن علوش في رسالته الدكتوراه بكلية أصول الدين في جامعة القرويين بالمغرب، بإشراف الدكتور: إدريس خليفة، في العالم الجامعي ١٤٢٢هـ-١٤٢٣هـ، وتوجد نسخه من المخطوط في المكتبة الوطنية العامة بالرباط تحت١٤٧جك-٦٧.[٢].

٢-جلاء القلوب من الأصداء الغينية ببيان إحاطته-عليه السلام- بالعلوم الكونية، المشهور بـ"العلم المحمدي"، أو "العلم النبوي".

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٣]، والرهوني[٤]، وعبد الحي الكتاني[٥].

موضوعه: هذا الكتاب كما قال تلميذه الرهوني: " في التصوف على طريق الحاتمي[٦] وأضرابه"[٧]، أي على طريقة ابن عربي الطائي، وقد ذكر الكتاني هذا في مقدمته وأنه اقتبس كتابه هذا من كتبه، حيث قال: "اقتبست كثيرا من فتوحاته البهية، وتحليت بها ما أمكنني من فصوصه الشهية"[٨]، فحشى كتابه بنقولات كثيرة عن ابن عربي وغيره من رؤساء المتصوفة الغلاة، ووافقه في كثير من تقريراته، -كما سيتبين-بحول الله-، ورتبه على مقصدين:

الأول: فيما يراه من إحاطة الذات المحمدية بالعلوم الجديدة الكونية، وبيان أن لها من علوم الذات الإلهية والصفات ما ليس عند غيرها من جميع المخلوقات.

---

(١) الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان (ص١٦٧-١٧١).

(٢) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٢٢٣/٩).

(٣) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٣).

(٤) ينظر: الرهوني في عمدة الراوين (٣/٩).

(٥) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

(٦) هو: محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي، المعروف بابن عربي، رأس المتصوفة، ويلقب عندهم بالشيخ الأكبر، ومحيي الدين، وله عقائد ابتدعها كفّره عليها علماء المسلمين، كالقول بفضل الولاية على النبوة وغيرها، من مؤلفاته: الفتوحات المكية، فصوص الحكم. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٨/٢٣)، شذرات الذهب (١٩٠/٥).

(٧) عمدة الراوين في تاريخ تطاوين (٣/٩).

(٨) جلاء القلوب لمحمد بن جعفر الكتاني (١١/١).

والثاني: في بيان رأيه أنه -عليه السلام- خليفة الله الأكبر، وصدر المملكة الربانية الأظهر، المصرف فيها بالحلّ، والربط، والتقييد، والإطلاق.

وجعل خاتمته: في بيان أن العوالم كلها مستمدة منه-صلى الله عليه وسلم-، وواقفة لديه، وأنه لا وصول إلى الله تعالى إلا من بابه، ولا معول للخليقة في الدنيا والآخرة إلا عليه- كما يرى-.

بيضه عام ١٣٣٣هـ، وزاد بعض الزيادات عام ١٣٣٨هـ، وهذا الكتاب يعد من أواخر مؤلفاته(١)، وقد قال عن كتابه هذا: "وهي رسالة أظن أني لم أسبق إلى مثلها وضعا وتحريرا، وفوائد جمّة بلسان القوم، وبمطالعتها يُعرف قدرها"(٢)، وذكر أنه رأى رؤيا بأن النبي-صلى الله عليه وسلم-قد رضي عليه في كتابه هذا(٣).

طبعاته: طبع هذا الكتاب بتحقيق باحثي المركز الإسلامي، بإشراف: علي جمعة، عام ١٤٢٥هـ، في ثلاث مجلدات، وطبع في دار الكتب العلمية ببيروت عام١٤٢٦هـ، في مجلدين، وقد اشتهر هذا الكتاب باسم "العلم النبوي"، أو "العلم المحمدي".

٣-بلوغ القصد والمرام ببيان بعض ما تنفر عنه الملائكة الكرام.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٤)، ونسبه له الرهوني واختصره(٥)، ونسبه له تلميذه عبد الحفيظ الفاسي(٦).

موضوعه: هذا الكتاب في بيان الأمور التي توجب نفور ملائكة الرحمة من العبد، مما يجعل العبد يُحرم من استغفارها له، كالتماثيل والصور، والكلاب، وغير ذلك.

طبعاته: طبع في المطبعة الحسينية بمصر عام ١٣٢٥هـ، مع كتاب شفاء الأسقام والآلام بما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام.

---

(١) ينظر: جلاء القلوب (٣/٣٢١)، النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٣).

(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٣).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٣٧٠).

(٤) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٧).

(٥) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٩/٣، ٦٦).

(٦) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

٤-شفاء الأسقام والآلام بما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[١]، ونسبه له الحجوجي[٢]، والرهوني واختصره[٣]، ونسبه له تلميذه عبد الحفيظ الفاسي[٤].

موضوعه: هذا الكتاب في جملة من مكفرات الذنوب، بعضها ثابت بالكتاب والسنة، وبعضها مبتدع لم يثبت، وإنما اعتمد فيه على ما قرره أهل الكشف، كما سيتبين بحول الله تعالى.

طبعاته: طبع في المطبعة الحسينية بمصر عام ١٣٢٥هـ مع كتاب بلوغ القصد والمرام.

٥-سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بذكر من أقبر من العلماء بفاس.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٥]، ونسبه له ابن مخلوف[٦]، والحجوجي[٧]، والرهوني[٨]، وعبد الحفيظ الفاسي[٩]، وغيرهم.

موضوعه: في مزارات وكرامات ومناقب بعض أعيان مدينة فاس، وبعض تراجمهم، قرر فيه جملة من العقائد على طريقة القبورية الغلاة، كتقريره لمشروعية شد الرحال لزيارة القبور، والبناء عليها وإيقاد القناديل، ودفع الأموال عند الأضرحة، والتبرك بالقبور والتمسح بترابها، وتقريره للاستغاثة بالأموات، وغير ذلك، وقد اشتغل به نحو أربع عشرة سنة، أتمه حدود عام ١٣١٦هـ[١٠]، قال في فاتحته: "هذا بحول الله تقييد شريف ومنزع لطيف، أذكر فيه-إن شاء الله-بعض الصلحاء المشاهير، والعلماء الكبراء النحارير،

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٧).

(٢) ينظر: كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية (٣٨٩).

(٣) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٣/٩، ٦٢).

(٤) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(٥) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٢٦، ٤٧٦).

(٦) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٦١٩/١).

(٧) ينظر: كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية (٣٨٩).

(٨) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٣/٩).

(٩) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(١٠) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

الذين قبضوا بهذه الحضرة الفاسية، ذات الأنوار الساطعة والمحاسن الفاشية، وأشير لبيان ضرائحهم، وشيء من تراجمهم على سبيل الاختصار، من غير تطويل ممل ولا إكثار"(١)، وقد ذكر منهجه في هذا الكتاب مما يؤكد كونه كتاب مزارات ومناقب، لا كتاب تاريخ وتراجم، فقال: "ذكرت أولا من بداخل المدينة والسور، ثم انتقلت لمن حولهم من أرباب الروضات التي بالمدينة تدور، ورتبتهم في الذكر على حسب البقاع والأمكنة من غير مراعاة تقدم أو تأخر في الأعصار والأزمنة، وذكرت الأول فالأول في الطريق؛ لأن ذلك أسهل لطالب التحقيق" (٢)، وبدأه بثلاث مقدمات:

الأولى: في الحث على التبرك بذكر الصالحين.

الثانية: في حكم الزيارة، وفوائد وجود أضرحة الأنبياء والأولياء -حسب رأيه-.

الثالثة: كيفية الزيارة وبعض من آدابها-حسب اعتقاده-.

وقد استدرك على هذا الكتاب عبد الحي الكتاني في كتابه: "إعلام الحاضر والآت بما في السلوة من الهنات"، وذكر أن خطأه فيه أكثر من صوابه، وأكد على أنه كتاب زيارة ومزارات، حيث قال: "الدليل القاطع على ذلك ما حدثني المؤلف بنفسه مرارا من أن سبب وضعه واهتمامه بجمعه هو: أنه كان كثير الدوران على مقابر الصالحين والصالحات بفاس الجديد، فكانت المقابر التي يقصِدُ ينسى اسم أصحابها، فصار يقيِّدهم في جريدة، ثم صار يكتب وفاة كل واحد بإزاء اسمه، ثم صار يلحق ما وقع له من كراماتهم وخوارقهم، إلى أن أصبحت الجريدة في كراسة، ثم في كراريس إلى أن صار كتابًا"(٣).

وقد ذكر جملة من المخالفات التي وقع فيها، -على ما فيه من مخالفات عقدية وافقه عليها-، فمن الملاحظات والمخالفات التي استدركها على الكتاني في هذا الكتاب ما يلي:

- تدليس الكتاني في النقل، والإيهام في العزو.

-ذكره لكرامات هي خبل وخرافات.

---

(١) ينظر: سلوة الأنفاس (٣/١)

(٢) ينظر: المرجع السابق (١٠/١)

(٣) إعلام الحاضر والآت (ل ٣/ب).

-عدم وزن كلامه بميزان العلم والشرع.

- أن كتابته في أغلب التراجم باللغة الدارجة، والعبارات العامية.

-تعمده إلحاق نسب بعض العائلات المغربية المتأخرة بنسب النبي-صلى الله عليه وسلم-.

- اعتماده على كتب مبنية على الأحاديث الضعيفة، ونقلها عنهم.

-التزهيد في الحث على طلب العلم.

- أنه ينقل من الغثِّ والسمين، ويخلط بين المبتذل والثمين.

-الاعتقاد بالأشجار والأحجار.

وقد ذكر نماذج على ما قرره من السلوة بأجزائه الثلاث.

طبعاته: طبع هذا الكتاب مرارا، أولها طبعة حجرية في حيات المؤلف وقد أشرف بنفسه على تصحيحها عام ١٣١٦هـ، ومنها في دار الثقافة، والدار البيضاء، عام ١٤٢٥هـ، في ثلاث مجلدات ضخمة.

٦-الورد الشريف:

موضوعه: هو ورد حث الكتاني على قراءته، وقال -برأيه-: "يُقرأ هذا الورد صباحا ومساء، أو على الأقل مرة واحدة في اليوم، وهو يفيد في قراءته عند الملمات، ولتمام الفائدة المرجوة من هذا الورد فعلى قارئه أن يلتزم عند تلاوته بالصيغ الواردة فيه، إذ كل اسم سره في معناه، وخاصيته في عدده، وإجابته على قدر همة صاحبه"(١).

ذكر فيه جملة من الأذكار والأدعية المبتدعة، وفيه استغاثة بالنبي-صلى الله عليه وسلم- كقوله: أدركنا يا رسول الله! اجبر كسرنا يا حبيب الله! خذ بأيدينا يا أكرم الخلق على الله، وأنها تقال ١٢ مرة، وغير ذلك(٢).

نسبته له وطبعاته: نسبه له حفيده أسامة الكتاني.

طبعاته: مطبوع ضمن السفر الصوفي، ويضم خمسة كتب للمؤلف بعناية: د أسامة الكتاني، في دار الكتب العلمية، عام ١٤٢٦هـ.

---

(١) الورد الشريف (١٥٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١٥٣-١٥٦).

٧-إسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(١)، ونسبه له الرهوني(٢)، وعبد الحفيظ الفاسي(٣)، وعبد الحي الكتاني(٤).

موضوعه: هذا الكتاب في كيفية وجود النبي -صلى الله عليه وسلم- على طريقة الصوفية الغلاة، ومن المسائل التي أوردها: أن النبي-صلى الله عليه وسلم- خُلق من نور قبل كل شيء، وأنه المقصود من الخلق والممد لهم، وأن الكون كله خلق من نوره، كما قرر فيه بأن الله أحيا أبويه-صلى الله عليه وسلم- حتى أسلما على يده، وقرر فضل ليلة مولده، ومشروعية الاحتفال والرقص فيها، وهذا الكتاب يحوي على نظمٍ كثير من إنشائه وعن غيره في مدح النبي-صلى الله عليه وسلم-على طريقة الصوفية(٥)، واشتهر هذا الكتاب في المغرب، وتغنّوا بتلاوته في ذكرى المولد، وغيره من المناسبات، فمن النظم فيه:

محمد جُلِّيت بالنور طينته	محمد لم يزل نورا من القدم
محمد زينة الدنيا وبهجتها	محمد كاشف الغمات والظلم(٦)

وقوله:

السلام عليك يا من العوالم كلها في طي قبضته...

السلام عليك يا من صرّفه ربه تعالى في سائر مملكته...

السلام عليك يا كعبة الطواف والمقام	صلى الله عليك وعلى آلك وسلم
السلام عليك قبلة كل موجود	صلى الله عليك وعلى آلك وسلم(٧)

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٧).

(٢) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٣/٩، ٨٢).

(٣) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(٤) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

(٥) ينظر: إسعاف الراغب الشائق (ص٥٩-٧١).

(٦) ينظر: المرجع السابق (ص٥٩).

(٧) ينظر: إسعاف الراغب الشائق (ص٧١).

طبعاته: طبع ضمن مجموعة السفر الصوفي.

٨-نيل المنى وغاية السول بذكر معراج النبي الرسول.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(١)، ونسبه له الرهوني(٢).

موضوعه: هذا الكتاب في معجزة الإسراء والمعراج، ذكر فيه قصة الإسراء والمعراج كاملة، وقرر فضل ليلته، وقرر بأن العمل فيها أفضل من ليلة القدر-برأيه-(٣)، كما عرض لمسألة الاختلاف في الإسراء والمعراج هل هو بروحه وجسده، أو بروحه فقط؟ وهل كان يقظة أو مناما؟ وهل هو معراج واحد أو أكثر؟ والحكمة منه، وهل رأى النبي -صلى الله عليه وسلم- فيه ربه أو لا؟

طبعاته: طبع ضمن مجموعة السفر الصوفي.

٩-اليمن والإسعاد بمولد خير العباد.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه، وذكر بأن والده هو الذي سمّى له هذا الكتاب(٤)، ونسبه له الرهوني(٥)، وعبد الحي الكتاني(٦).

موضوعها: في ولادة النبي -صلى الله عليه وسلم-، قسّمه على فصول، منها: كونه-صلى الله عليه وسلم- أول مخلوق، وأصل خلقته، وفصّل فيمن قام بعمل المولد وبعض أدلة جعله عيدا، وذكر ما يرى من الأدلة على جواز الرقص في هذه المناسبة، وذكر أفضليته-صلى الله عليه وسلم- وسيادته على جميع الخلق، وهو شبيه بكتابه: إسعاف الراغب الشائق.

وقد ردّ الشيخ عبد الرحمن النتيفي الجعفري(١) على هذا الكتاب في كتابه "أصفى الموارد في الرد على غلو المطرين لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأهل الموالد"(٢).

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٧).

(٢) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٣/٩).

(٣) ينظر: نيل المنى وغاية السول (١٣٣-١٣٥).

(٤) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٤).

(٥) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٨٢/٩).

(٦) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

طبعاته: طبع في المطبعة الأهلية بالرباط سنة ١٣٤٥ هـ، وأعيد طبعه سنة ١٤٢٦ هـ ضمن مجموعين؛ الأول بعنوان: مجموع أنسي في صيغ المولد النبوي القدسي، والثاني: ضمن السفر الصوفي.

الكتب المخطوطة:

١٠-إعلام ذوي النهى في سائر الأقاليم بحسن القيام للمولد النبوي.

نسبته إليه ونسخه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٣).

موضوعه: في الحث على الاحتفال بمولد النبي -صلى الله عليه وسلم-.

نسخه: في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت١٧٣جك-٠٧١(٤)، وهي بخطه المعروف، ينقصها عشر صفحات، وقد تكررت هذه المسألة في مؤلفاته(٥)

١١-حاشية على شرح ميارة الصغير للمرشد المعين (شرح عقيدة المرشد المعين).

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٦)، ونسبها له غيره(٧).

موضوعه: هذا الكتاب هو حاشية على شرح محمد بن أحمد ميارة المالكي(١)، واسم شرحه" مختصر الدر الثمين والمورد المعين "، الشهير بميارة الصغير، تمييزا عن الكتاب الأصل غير

---

(١) هو: عبد الرحمن بن محمد بن إبراهيم النتيفي، الجعفري، الحافظ الأصولي السلفي، أغلب مؤلفاته في الرد على أهل البدع، منها: الاستفاضة في أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يُرى بعد وفاته يقظة، الذكر الملحوظ في نفي رؤية اللوح المحفوظ، توفي عام١٣٨٥هـ، ينظر: مختصر ترجمة أبي زيد الحاج عبد الرحمن النتيفي الجعفري لابنه حسن، كما ترجم له الشيخ محمد زحل ترجمة مختصرة في مقالين، نشرتهما مجلة الفرقان المغربية في العدد ١٥ سنة ١٤٠٨ هـ، وفي العدد ١٦ سنة ١٤٠٩هـ.

(٢) ينظر: أصفى الموارد (١٦١ وما بعدها)، وسيأتي بعض ردوده عليه في ثنايا هذا البحث بحول الله تعالى.

(٣) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٥).

(٤) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (١١٣/٩).

(٥) ينظر على سبيل المثال: إسعاف الراغب الشائق، اليمن والإسعاد بمولد خير العباد.

(٦) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٧) ينظر: معلمة الفقه المالكي، عبد العزيز بن عبد الله (ص٨٣).

المختصر، وهو شرح على منظومة المرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لأبي محمد عبد الواحد بن عاشر[٢][٣]، وهو عبارة عن منظومة في أصول الدين، ضمّت ٣١٧ بيتاً في العقيدة الأشعرية والفقه المالكي، قرر محمد بن جعفر الكتاني ما جاء فيها من أصول العقيدة الأشعرية.

نسخه: هذا الشرح من أكبر مخطوطات محمد بن جعفر الكتاني، يوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت١٥٧جك-٦٨٠[٤].

١٢- فتوى في مسألة خلع الحاكم.

نسبتها إليه، نسبها له محمد بن عزوز[٥]، وأحمد المزيدي [٦].

موضوعه: في حكم خلع الحاكم المسلم، قرر فيها ما قرره السلف من تحريم خلعه، والنهي عن الخروج عليه.

نسخه: حصلت على هذه الرسالة من أحفاده، وهي فتوى منشورة باسمه[٧].

١٣-رسالة في حكم الاحتماء بالنصارى.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٨].

موضوعه: في الجواب على سؤال وجه إليه عن حكم الاستنصار بالكفار على من يريد ظلمهم من الولاة، وقد أجاب بأن هذا محرم مطلقا؛ لأن الواجب الصبر على ظلم الولاة

---

(١) هو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد ميارة، فقيه مالكي أشعري، من أهل فاس، من مؤلفاته: الدر الثمين في شرح منظومة المرشد المعين، توفي عام ١١٤٤هـ، ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٤٨٤/١)، سلوة الأنفاس (١٨٠/١)، الأعلام (١١/٦).

(٢) هو: عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر الأنصاري: فقيه مالكي أشعري صوفي، له نظم مشهور وهو المرشد المعين على الضروريّ من علوم الدين، توفي عام ١٠٤٠هـ، ينظر: اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، لمحمد البشير الأزهري (ص٢٣٠)، سلوة الأنفاس (٣١١/٢)، شجرة النور الزكية (١٧٥/٤).

(٣) ينظر: الدر الثمين والمورد المعين، لمحمد بن أحمد ميارة المالكي (ص٥).

(٤) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (١٦٠/٩).

(٥) ينظر: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٢٤٥/١).

(٦) ينظر في تحقيقه على جلاء القلوب للكتاني (٢٦/١).

(٧) تحت: (https://islamsyria.com/site/show_consult/512).

(٨) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٢).

وجورهم ما داموا على الإسلام، وذكر عدة مفاسد من الاستنصار بهم مستدلا على ذلك بالقرآن والسنة والاجماع والرؤى(١)، وقد ذكر نحو هذه المسألة في كتابه "نصيحة أهل الإسلام"(٢).

نسخه: يوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت ١٨٦جك-٠٧١(٣).

١٤- حكم السيادة في الاسم المُعظم.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه، وقال: "يعني اسم نبينا -صلى الله عليه وسلم-"(٤).

موضوعه ونسخه: هذه الرسالة في حكم إطلاق لفظ السيد على نبينا-صلى الله عليه وسلم-، ولم أجد هذه الرسالة ضمن مخطوطاته المحفوظة، وقد ذكر هذه المسألة في مواضع من كتبه(٥).

١٥-جواب في وجوب التناصر بين المسلمين على أعدائهم الكافرين مع الإمكان.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٦).

موضوعه: في وجوب التناصر بين المسلمين على أعدائهم.

نسخه: مع البحث والتحري لم أجد لهذا الكتاب أي نسخة، ولم أجد فيما تيسر بين يدي من مصادر ومراجع إشارة توضح مكان وجوده الآن، إلا أن الكتاب مقطوع بنسبته إليه، ولعله جزء من كتابه: نصيحة أهل الإسلام، لأن هذه المسألة فيه، والله أعلم(٧).

---

(١) ينظر: رسالة في حكم الاحتماء بالنصارى (ل ٢).

(٢) ينظر: نصيحة أهل الإسلام (١٧٩).

(٣) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٩/٣٨٩).

(٤) النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٢).

(٥) ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٥)، حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم (ل ٥).

(٦) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٢).

(٧) ينظر: نصيحة أهل الإسلام (١٢٩ وما بعدها).

١٦- رسالة في حكم التقليد بالعقائد.

نسبتها له: نسبها له الدكتور محمد بن عزوز[١]، وأحمد المزيدي[٢].

موضوعه ونسخه: من عنوانها في حكم التقليد بالعقائد، ومع البحث لم أجدها ضمن مخطوطاته المحفوظة، إلا أن هذه المسألة ضمن كتابه "الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين من عقائد الإيمان"[٣].

١٧- نبذة في زيارة النبي -صلى الله عليه وسلم- وشيء من آدابها.

نسبته إليه ونسخه: هي مسودة رديئة منسوبة إليه في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت١٧٠جك-٠٧٠-[٤].

موضوعه: ظاهرها في أحكام وآداب زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذه المسألة ذكر نحوها في كتابه "سلوة الأنفاس"، وقرر فيها مشروعية شد الرحل للزيارة[٥].

١٨- مسائل تتعلق بسلب الإرادة وطريق القوم.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٦].

موضوعه: في الجواب على سؤال وجّه إليه عن حقيقة سلب الإرادة عند المشائخ، وتشمل على أربع ورقات، ومما قاله فيها: "حقيقة سلب الإرادة عند المشايخ؛ هي: التزام الطاعة، والانقياد لشيخٍ مُحقِّقٍ مُرشدٍ على الصفة التي ذكرها القوم، والتحكيم له في نفسه وماله، وسائر أحواله، وسلب الاختيار معه؛ بحيث لا يخرج عن مراده أصلًا، لا في منشط، ولا في

(١) ينظر: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٢٤٣/١).

(٢) ينظر في تحقيقه على جلاء القلوب للكتاني (٢٦/١).

(٣) ينظر: الكشف والبيان (١٧٢ وما بعدها).

(٤) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (١١٠/٩).

(٥) ينظر: سلوة الأنفاس (١٧/١، ٣٧).

(٦) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٢).

مكره، لا في سخط، ولا في رضى، وهذا هو المريد الحقيق، وعليه تكلَّم القوم"(١)، وقد ذكر فيه بعض أسانيده في الطرق الصوفية(٢).

نسخه: يوجد نسخه منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت١٦٧جك-٠٧٠(٣).

١٩- رسالة في الختم المحمدي:

نسبته إليه: نسبها الكتاني إلى نفسه(٤).

موضوعه: يظهر أن هذه الرسالة مختلفة عن رسالة العلم النبوي، أو العلم المحمدي، لأن محمد بن جعفر الكتاني عدّها مختلفة عنها، وظاهرها في ختم الرسالات بمحمد -صلى الله عليه وسلم-، أو هي في ختم الولاية المحمدية، لأن محمد بن جعفر الكتاني ممن يقر بعض ذلك(٥).

نسخه: مع البحث والتحري لم أجد نسخة من هذه الرسالة ضمن مخطوطاته، ولا من نقلها عنه أو نسبها إليه، ولعلها وضعت ضمن جلاء القلوب، لأن هذه المسألة مذكورة فيه(٦)، والله أعلم!

٢٠- أجوبة خاله العارف محمد الزمزمي بن إبراهيم الكتاني في المعارف اللدنية.

نسبته إليه ونسخه: نسبها له محمد بن عزوز(٧)، وأحمد المزيدي (٨)، ولم أجد حسب بحثي عنها نسخه منها، ولا إشارة إلى مكان وجودها.

٢١- شرح على أبيات للشيخ العارف سيدي الحاج المفضل البقالي(١) في طريقة خاصة الخاصة.

---

(١) رسالة في حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم (ل ١).

(٢) المرجع السابق (ل ٣وما بعدها).

(٣) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٣٨٣/٩).

(٤) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨١).

(٥) ينظر: (ص٦٨٩) من هذا البحث.

(٦) ينظر: جلاء القلوب (٢٧٤/٢).

(٧) ينظر: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٢٤٠/١).

(٨) ينظر في تحقيقه على جلاء القلوب للكتاني (٢٤/١).

نسبته إليه ونسخه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٢)، ولم أجد حسب بحثي وسؤالي أي إشارة إلى مكان وجوده.

٢٢- رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي.

نسبته إليه: نسبها الكتاني إلى نفسه(٣)، ونسبه له عبد الحي الكتاني(٤).

موضوعه: في شرح البسملة على طريقة الغلاة، جاء فيها: "وفي تسميتها بذلك إشعار بالبدء الحقيقي للخلق، وبدء للبدء، وهو النور المحمدي الذي خلق قبل كل شيء، سمي بدءًا، وبدء البدء قيل: لأنه السيد الذي يبدأ به إذا عدت السادات، أو بدء في العد بهم، وقيل: بل لأن الله تعالى بدأ به الوجود، وافتتحه به قبل كل موجود، فكان أول صادر عن الله من الموجودات، وفاتح لهذا الكون من المخلوقات، وبيركاته وجدت، ومنه استمدت"(٥).

نسخه: يوجد نسختان منها في المكتبة الوطنية بالرباط تحت: ١٧٦جك-٠٧١-(٦).

٢٣- نصرة ذوي العرفان فيما أحدثوه لذكر الهيللة جماعة من الطبوع والألحان.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٧).

موضوعه: في الانتصار لاستعمال لفظ الهيللة-قول: لا إله إلا الله- جماعة بالألحان، ووصف المُنكر لهذه المسألة بأنه صاحب فكر جامد؛ لأن شرطها-كما يرى- حسن الظن والقصد بتعظيم الله تعالى، قال في فاتحته:" فهذا بعون الله وتأييده ومنته، وحوله وسلطانه وقوته، تقييد فائق شريف، ومبحث رائق منيف، جعلته كالجواب عمَّا وضع في هذا الوقت من العتاب، على بعض أهل الذكر والعرفان، فيما أحدثوه في ذكر الهيللة جماعة من الطبوع

---

(١) هو: أبو محمد عبد السلام البقالي، المتوفى عام ١٢٩٠هـ، صوفي له منظومة على طريقة الصوفية الغلاة، يقرر فيها وحدة الوجود بالنبي-صلى الله عليه وسلم-، وغيرها من الضلالات ينظر: سلوة الأنفاس (٤٨١/٣).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨١).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٤٨١).

(٤) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

(٥) ينظر: رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ١).

(٦) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (١٠٣/٩).

(٧) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٨).

والألحان، رغب إليّ فيه بعض الأفاضل من الفقراء الأماثل، فأسعفتُ فيه طلبته، ولبَّيتُ دعوته، حماية لكريم حرمتهم الطاهرة، أن ينال منها أحد من المتنطِّعين، أو مغتر ببعض الأقوال الظاهرة.

وليعلم أن غير المنصف وصاحب الفكرة الجامدة، لا ترجع منه كتب الدنيا بفائدة، والحسن الظن والمعتقد يكفيه في طلب المعذرة لأخيه أدنى مستند، لا سيما أن ظهرت عليه آثار الخير والفلاح، أو علم يقينًا أنه من أهل الولاية والصلاح"[١].

نسخه: يوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت ١٤٦جك-٠٦٧[٢].

٢٤- شرح على دلائل الخيرات.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه، وذكر أنه لم يُكمل بعد[٣].

موضوعه: هو شرح على كتاب: "دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار"، لمحمد سليمان الجزولي[٤]، وهو كتاب اشتمل على أوراد تتضمن التوسل بالنبي- صلى الله عليه وسلم-والاستغاثة به، وعلى الكثير من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، ومع ذلك أثنى الكتاني فيه على الجزولي و كتابه، بل أورد بعض المرائي الإلهية والنبوية على فضله[٥]، وقال برأيه:" وكم من واحد انتفع بهذا الكتاب انتفاعًا ظاهرًا، وكان سببًا لحصوله على الفتح الكبير، ورؤية المصطفى -عليه الصلاة والسلام- يقظة!!" [٦]، وأقر ما في هذا الكتاب من الصلوات المبتدعة، ولم يكمل شرحه عليه [٧].

---

(١) نصرة ذوي العرفان (ل ٣)، وينظر المرجع نفسه (ل ٥).

(٢) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٢٤٣/٩).

(٣) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٤) هو: محمد بن سليمان بن داود بن بشر الجزولي السملالي الشاذلي المبتدع صاحب "دلائل الخيرات"، كان أتباعه يسمون الجزولية من الشاذلية، توفي عام سنة ٨٧٠ هـ، ينظر: شجرة النور الزكية (٣٨٠/١)، الأعلام للزركلي (١٥١/٦).

(٥) ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ١-٣، ل ١١)

(٦) شرح على دلائل الخيرات (ل ١١)

(٧) ينظر في نقد دلائل الخيرات: التاريخ السياسي للمغرب (٩٤/٩)، الألفاظ الموضحات لأخطاء دلائل الخيرات، عبد الله الدويش (ص٨ وما بعدها)، وقفات مع الكتاب المسمى دلائل الخيرات، محمد المغراوي (ص١٨ وما بعدها)، مجموع فتاوى ورسائل محمد ابن إبراهيم (٤٣/٩)، فتاوى اللجنة الدائمة (٥٢١/١، ٢١٤/٣) الصلاة على النبي ☜

نسخه: يوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت١٨٣جك-١٠٧١[١]، على اثنين وثلاثين ورقة.

٢٥- جواب عن سؤال السلطان حول رغبة يهود ملاح فاس إقامة محكمة لهم في النزاعات والسرقات.

نسبته إليه ونسخه: منسوب له في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية[٢]، ولم أجد له نسخة، ولم يعرفها أحفاده.

موضوعه: من ظاهره أنه جواب على سؤال وجهه السلطان له في حكم إقامة محكمة لليهود.

٢٦- جواب عن سؤال يتعلق ببيع الزهور لليهود للاحتفال.

نسبته إليه ونسخه: منسوب له في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية[٣]، ولم أجد له نسخة، ولم يعرفها أحفاده.

موضوعه: ظاهره في الجواب على سؤال وجّه له عن حكم بيع الزهور لليهود إذا كان غرضهم الاحتفال.

ثانيا: علوم القرآن:

وكلها مخطوطة:

٢٧- تفسير قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ ۝١٧٧﴾ **[سورة البقرة:١٧٧].**

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٤].

صلى الله عليه وسلم فضلها وكيفيتها، عبد المحسن العباد (٥٧)، الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال، عبد المحسن العباد (١٨-٢٠).

(١) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٩/٤٠٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٩/٣٦٨).

(٣) ينظر: فهرس المخطوطات (٩/٣٦٩).

(٤) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

موضوعه ونسخه: ظاهره في تفسير هذه الآية، ومع البحث لم أجد له نسخة، ولا من نقل عنه، والله أعلم.

٢٨- سؤال وجوابه عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٣].

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[١].

موضوعه: ظاهره في تفسير هذه الآية.

نسخه: يوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت١٩٨جك-٠٧١[٢]، وهذا التفسير مذكور في كتابه: الأزهار العاطرة الأنفاس[٣] وفي النبذة اليسيرة النافعة[٤].

٢٩- تفسير مختصر لسورة الإخلاص والمعوذتين.

نسبته إليه: نسبها الكتاني إلى نفسه[٥].

موضوعه: في تفسير سورة الإخلاص والفلق والناس.

نسخه: يوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط[٦]، تحت ١٩٩جك-٠٧١، ويشتمل على ست ورقات.

ثالثا: علوم الحديث:

الكتب المطبوعة:

٣٠- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة.

نسبته إليه: نسبها الكتاني إلى نفسه، ونسبها له غير واحد[٧].

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٤٨٠).

(٢) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٣٦٣/٩).

(٣) ينظر: الأربعون الكتانية في فضل آل بيت خير البرية (٥٢).

(٤) ينظر (٤٨٩-٥١٥).

(٥) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٩٢).

(٦) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٢٢/٩).

(٧) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (ص٤٧٩)، معجم الشيوخ (٦٥/١)، الأعلام (٧٣/٦).

موضوعه: فهرسة لكتب الحديث وللمحدثين، كما ذكر في مقدمتها[1]، أتمها عام ١٣٢٨ هـ كما ذكر في خاتمته[2].

وقد ألف الكتاني هذه الرسالة بناء على طلب المولى عبد الحفيظ، حيث طلب منه فهرسا شاملا لأسماء الكتب الحديثية حسب تصنيفاتها، لمن يريد الخوض في الحديث الشريف[3].

طبعاته: طبع الكتاب طبعات عدة، أولها في حياته وبإذنه عام ١٣٣٢هـ في بيروت، ومنها طبعة في دار البشائر الإسلامية ببيروت عام ١٤١٤هـ، وأخرى بدار الكتب العلمية بيروت، عام ١٤٣٢هـ.

٣١- نظم المتناثر من الحديث المتواتر.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[4]، ونسبه له الرهوني واختصره[5] والفاسي[6]، وغيرهما.

موضوعه: هذا الكتاب جمع للأحاديث المتواترة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، لفظا أو معنى.

طبعاته: طبع هذا الكتاب مرارا، فقد طبع في حياة المؤلف بفاس بعناية السلطان عبد الحفيظ عام ١٣٢٨هـ[7]، ثم في دار المعارف بحلب، ثم طبع بالمطبعة المولوية بفاس، وطبع

---

(١) ينظر: الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة (ص٢-٣).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٢٢٢).

(٣) ينظر مقدمة إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني على نصيحة أهل الإسلام (ص٣٥)، وقد ذكر الكتاني في خاتمة كتابه أنه ألفها بناء على طلب طالب ولم يصرح به (ص٢٢٢).

(٤) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (ص٤٧٨).

(٥) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٣/٩، ٤٢).

(٦) ينظر: معجم الشيوخ (١/٦٥).

(٧) ينظر: الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة (١٢٢)، ومقدمة إدريس الكتاني على نصيحة أهل الإسلام (ص٣١)، وتصحيح عبد الرحمن بن جعفر الكتاني لنظم المتناثر (٢٤٤)، ومحمد الزمزمي في مقدمة الرسالة المستطرفة (٣٨).

كذلك عن دار الكتب العلمية بيروت عام ١٤٠٣هـ، وأخرى عن دار الكتب السلفية، في القاهرة.

٣٢- الدعامة لمعرفة أحكام سنة العمامة.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[١]،ونسبه له تلميذه الرهوني[٢]، وعبد الحفيظ الفاسي[٣].

موضوعه: هذا الكتاب في بعض مسائل العمامة، وقد بدأه بذكر بعض من ألف فيها، ثم في ضبطها في اللغة وتعريفها، وذكر ما جاء من الأخبار فيها، وحكم الشارع في لبسها، وذكر أفضل لونها، وبعض الآداب التي تتعلق بلباسها، وغير ذلك من المسائل.

طبعاته: طبع في مطبعة الفيحاء بدمشق، عام ١٣٤٢هـ، كما طبع بدار الكتب العلمية، ببيروت.

٣٣- الأقاويل المفصلة لبيان حديث الابتداء بالبسملة.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٤]، والرهوني[٥]، وعبد الحي الكتاني[٦].

موضوعه: جمع فيه طرق حديث الابتداء بالبسملة، واختلاف العلماء في درجة الحديث، وبيّن ما رجّحه فيه، ومن المسائل التي ذكرها: مسألة العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، وطرق الترجيح بين أقوال أهل العلم في الحديث، وغيرها.

طبعاته: طبع لأول مرة في المطبعة العلمية بالمدينة النبوية عام ١٣٢٩ هـ، وطبع مرة ثانية عام ١٤١٩في مطبعة الرازي بدمشق.

٣٤- مسلسلات حديثية.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[١].

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٨).

(٢) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٣/٩).

(٣) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(٤) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (ص٤٧٨).

(٥) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٨٢/٩).

(٦) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

موضوعه: في أحاديث مسلسلة، جلّها أحاديث ضعيفة، ورؤى منامية عن النبي-صلى الله عليه وسلم- يرويها عن أشياخه الصوفية، عرض فيها لمسألة لخضر واجتماعه بالأولياء، وصحبة الجني شمهروش.

طبعاته: مطبوع ضمن مجموع مسلسلات في الحديث، عن دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ بعنوان: رسالة المسلسلات.

الكتب المخطوطة:

٣٥- تعجيل البشارة للعامل بالاستخارة.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه، وذكر أنه أول مؤلفاته[٢]، ونسبه له عبد الحفيظ الفاسي[٣].

موضوعه: ظاهرها في بشائر المستخير بالله -عز وجل-.

نسخه: مع البحث والتحري لم أجد لهذا الكتاب أي نسخة، ولا هي عند أحفاده، ولم أجد فيما تيسر بين يدي من مصادر ومراجع إشارة توضح مكان وجوده.

٣٦- الرسالة المختصرة فيما لا يسع المحدث جهله من الكتب التي لها تعلق وارتباط بالسنة المطهرة.

نسبته إليه: نسبها الكتاني إلى نفسه[٤].

موضوعه: هذا الكتاب في أهم الكتب التي ألفت في السنة النبوية، وهو أصل كتاب الرسالة المستطرفة[٥].

نسخه: توجد نسخة منه بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم ١٧٩ جك[٦].

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٦).

(٣) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(٤) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٩).

(٥) ينظر: الرسالة المستطرفة (ص١٢)، النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٩).

(٦) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٥٨/٩).

٣٧- المطالب العزيزة الوفية في تكلمه -صلى الله عليه وسلم- بغير اللغة العربية.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[١]، وعبد الحفيظ الفاسي[٢].

موضوعه: في الجواب على سؤال وجه له وهو: هل كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يكتب إلى طوائف العجم وملوكهم باللغة العربية اعتمادا منه في إبلاغ ما في الكتاب على من يترجم لهم بلسانهم؟ أو كان يكتب إلى كل جيل من الناس بلغته ولسانه؟ لأنه -عليه السلام- كما يرى -كان عالما بجميع الألسن واللغات.

لكنه إما أنه لم يكن مأمورا بإظهارها، وإما أنه أراد أن يبين أن الكلام بالعربية هو السنة، أو خاف أن ينسب إلى العجمة ونحوها، وختم كتابه في حكم التكلم بالأعجمية للقادر على العربية[٣].

نسخه: توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت ١٧٥جك-٠٧١- بخطه كتبها عام ١٢٩٩هـ[٤].

٣٨- شرح ختم الموطأ.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٥]، والرهوني[٦]، وعبد الحي الكتاني[٧].

موضوعه ونسخه: في شرح ختم موطأ الإمام مالك -رحمه الله-، وتوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط ، تحت: ١٧٨جك-٠٧،٣، على٦ ورقات[٨]، ترجم فيه بالإمام مالك ترجمة مفصلة.

٣٩- حاشية على مسند الإمام أحمد:

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٨).

(٢) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(٣) ينظر: المطالب العزيزة الوفية (ل ٣ وما بعدها).

(٤) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (١٠١/٩).

(٥) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٦) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٨٢/٩).

(٧) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

(٨) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٥٧/٩).

نسبته إليه: نسبه له الرهوني، وذكر أنه مشغول بكتابة شرح أو حاشية على مسند الإمام أحمد(١).

نسخه: لم أجد شيئا منه حسب بحثي وسؤالي لأحفاده وغيرهم، والله أعلم.

٤٠- شرح أول حديث في صحيح البخاري.

نسبته له ونسخه: منسوب له في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، تحت١٨١جك٠٧١(٢) وهو بخطه.

موضوعه: في شرح أول حديث من صحيح الإمام البخاري، افتتحه بترجمة للإمام البخاري-رحمه الله-، وهو على خمس ورقات.

٤١- شرح ختم البخاري:

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٣).

موضوعه ونسخه: في شرح ختم صحيح الإمام البخاري، وتوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت: ١٧٧جك-٠٧١، بمجموع ١٧ ورقة(٤).

٤٢- ختم صحيح مسلم.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٥)، والرهوني(٦)، وعبد الحفيظ الفاسي(٧)، وعبد الحي الكتاني(٨).

موضوعه ونسخه: في شرح ختم صحيح الإمام مسلم، وتوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت: ١٧٩جك-٠٧١، على ٥ ورقات(١).

---

(١) ينظر: عمدة الراوين في تاريخ تطاوين (٤/٩)،

(٢) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٥٩/٩).

(٣) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٤) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٥٦/٩).

(٥) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٦) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٨٢/٩).

(٧) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(٨) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

٤٣- شرح أول ترجمه في جامع الترمذي:

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٢].

موضوعه ونسخه: في شرح أول ترجمه من جامع الإمام الترمذي، توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت ١٨٢جك-٠٧١-[٣]، على خمس صفحات.

٤٤- التعريف بالإمام الترمذي.

موضوعه: في ترجمة الإمام الترمذي، وبيان منهجه في جامعة، وتوضيح مصطلحاته فيه.

نسبته إليه ونسخه: هو في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، وتوجد نسخة منه على ٥ ورقات بخطه، تحت (١٨٢جك) [٤].

٤٥- شرح ختم شمائل الترمذي.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٥].

موضوعه ونسخه: في شرح ختم شمائل الإمام الترمذي، وتوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت- ١٨٠جك-٠٧١- وهو غير تام على ٥ ورقات[٦].

٤٦- شرح سنن الإمام النسائي.

نسبته إليه ونسخه: نسبه له محمد الزمزمي [٧].

موضوعه ونسخه: في شرح سنن الإمام النسائي-رحمه الله-، ولم أجد لهذا الشرح أي نسخة حسب بحثي وسؤالي.

٤٧- الفوائد.

---

(١) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٩/٥٦).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٣) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٩/١٠١).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٩/٤٨٠).

(٥) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٦) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٩/١٢٢).

(٧) ينظر: مقدمة محمد الزمزمي على الرسالة المستطرفة (٣٦)، المحدث الكبير (١/٢٤٤).

نسبته إليه ونسخه: نسبها له الدكتور محمد بن عزوز(١)، وأحمد المزيدي (٢)، ولم أجدها حسب بحثي وسؤال أحفاده.

٤٨- تخريج أحاديث الشهاب القضاعي(٣).

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه وذكر أنه لم يكمله(٤)، ونسبه له الرهوني(٥)، وعبد الحي الكتاني(٦).

موضوعه ونسخه: في تخريج أحاديث مسند الشهاب، لأبي عبد الله القضاعي، وتوجد نسخة منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت: ١٤٨جك- ٠٦٧(٧).

٤٩- رفع الملامة ودفع الاعتساف عن المالكي إذا بسمل في الفريضة خروجا عن الخلاف:

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٨)، وعبد الحفيظ الفاسي(٩).

موضوعه ونسخه: البسملة في الفريضة عند الأئمة الأربعة، ورفع الحرج عن المالكي فيها، وتوجد ثلاث نسخ منه في المكتبة الوطنية العامة بالرباط، تحت١٥٦جك-٠٦٨-(١٠).

٥٠- توهين حديث كل أمر ذي بال من الوجهة الصناعية.

نسبته إليه: نسبه له عبد الحفيظ الفاسي(١). وابن الماحي(٢).

---

(١) ينظر: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٢٤٣/١).

(٢) ينظر في تحقيقه على جلاء القلوب للكتاني (٢٦/١).

(٣) هو: محمد بن سلامة بن جعفر بن علي القضاعي، أبو عبد الله، فقيه شافعي، من مؤلفاته: شهاب الأخبار، مسند الشهاب، توفي عام ٤٥٤هـ، ينظر: الوافي بالوفيات، للصفدي (٩٧/٣)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (١٥٠/٤).

(٤) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٥) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٨٢/٩).

(٦) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

(٧) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٤٠/٩).

(٨) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٩).

(٩) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(١٠) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (١٣٨/٩).

نسخه: لم أجد لهذا الكتاب أي نسخه، ولا من نقل عنه، ولا من أشار لمكانه، ولعل مقصدهم به كتاب: "الأقاويل المفصلة لبيان حديث الابتداء بالبسملة" وهذا الظاهر والله أعلم.

٥١- إجازات في أسانيده لكتب السنة وغيرها.

نسبته إليه: نسبها الكتاني إلى نفسه[٣].

موضوعه ونسخه: هي إجازات في الحديث، يوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط، تحت: ٢٦جك-١٧٠[٤].

رابعا: الفقه والسياسة الشرعية.

الكتب المطبوعة:

٥٢- نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٥]، ونسبه له الحجوجي[٦]، والرهوني[٧].

موضوعه: هي نصيحة مطولة شرحت أسباب ضعف المسلمين أمام قوة أوربا، وهي نقد ذاتي لواقع عموم المسلمين، مع عرض الحلول التي يستردون بها عزتهم.

وهذه النصيحة كتبها الكتاني كما ذكر غير واحد[١]للمولى عبد العزيز، عندما طلب الناس منه مناصحة الحاكم، فجعل خطابه فيها موجها تارة لأهل المغرب والمؤمنين عموما،

---

(١) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(٢) ينظر: معجم المطبوعات المغربية (ص٣٠٠).

(٣) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٢).

(٤) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٩/٥١٠)، وقد أوردها محمد ابن عزوز في المجلد الثاني من كتابه: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (ص٥٢٥).

(٥) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٨).

(٦) ينظر: كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية (٣٨٩).

(٧) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٩/٤).

ولولاة أمر المؤمنين تارة أخرى، فقال في هدفه منها كما جاء في خاتمتها: "وقد كتبت هذه النصيحة قاصدا بها جميع أهل الآفاق من كل المسلمين على الإطلاق، وخصوصا أهل مغربي، لكونهم جوار مكسبي، وأنا أعلم أن الوقت ولا بد غير مساعد، ولا راض، وأن الزمان زمن الإمارات المؤذنة بالانقراض، ولكن رجوت النفع بها ولو لبعض الناس، ممن أراد الله تطهيرهم من الأرجاس، ولم آيس من حصوله للجم الغفير، أو القطر الكبير، وربنا على كل شيء قدير"(٢).

وإن كان قد قال قبلها في نص الخاتمة:" أولى الناس للعمل بهذه النصائح الأمراء والعلماء وآل البيت الشرفاء...أما الأمراء: فلأن الله تعالى جعلهم خلفاء عنه، وبسط يدهم في الأرض، وحكمهم في طولها وعرضها، وأقدرهم على جبر الناس على الفعل والترك، فكانوا أحق الناس بالاتباع، وأولاهم بالانزجار والارتداع، وبالرد إلى الطريق الشرعي والمنهي القويم المرعي"(٣).

طبعاته: طبع في حياة المؤلف بأمر من المولى عبد الحفيظ عام١٣٢٦، وطبع مرة أخرى في حياته في المطبعة المولوية بفاس عام ١٣٢٨(٤)، كما طبع في مكتبة بدر، بالرباط، وفي دار الكتب العلمية بعناية حفيده حمزة الكتاني.

٥٣- إرشاد المالك لما يجب عليه من مواساة الهالك، أو: تنبيه الأغنياء والأمراء والسادات على ما يجب عليهم وقت المجاعة من المواساة.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٥).

موضوعه: في حث المسلمين على مواساة بعضهم بعضا، وعدم إهمال المساكين حتى يموتوا جوعا، وما يترتب على الإهمال من فساد الدين والمروءة والأخلاق.

---

(١) كابنه إدريس الكتاني في مقدمته على نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام (ص٢٨)، وحفيده حمزة في منطق الأواني بفيض عيون تراجم آل كتاني (١٥٣)، وتلميذه الرهوني في عمدة الراوين في تاريخ تطاوين (٤/٩)، والمؤرخ محمد المنوني في مظاهر يقظة المغرب الحديث (٣٧٦/٢).

(٢) نصيحة أهل الإسلام (٢٦٩)، وينظر المقدمة (٨٣).

(٣) نصيحة أهل الإسلام (٢٦٠).

(٤) ينظر مقدمة ابنه إدريس على نصيحة أهل الإسلام (٣١-٣٢).

(٥) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (ص٤٨٤).

طبعاته: نشر في دمشق برغبة من الدولة العثمانية، وتكفل بطبعه حسن تحسين باشا، كما هو مكتوب في نسخة مطبعة الترقي بدمشق، عام ١٣٣٦هـ.

٥٤- إرشاد العوام إلى ما به العمل في الصيام.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[١].

موضوعه: في الجواب عن إشكالات متعلقة بتوقيت الصوم والإفطار في رمضان، وما يرتبط بذلك من المباحث التوقيتية، والأحكام الفقهية.

طبعاته: طبع الكتاب لأول مرة في دار ابن حزم، ببيروت، عام ١٤٣٩هـ، بمراجعة حمزة الكتاني.

٥٥- إعلان الحجة وإقامة البرهان على منع ما عمّ وفشا من استعمال عشبة الدخان، أو: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة وغيرهم.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٢].

موضوعه: هذا الكتاب في بيان الأدلة على تحريم استعمال الدخان وإضراره بالدين، والبدن والمال، والعشرة والصحبة والملائكة، قال عنه الكتاني: "ذكرنا فيه من الأدلة الشرعية على تحريمه ستة عشر دليلا، وفتاوى العلماء بالتحريم من أهل المذاهب الأربعة، ونصوص أهل الله على ذلك أيضا، وتأليف من ألف بالتحريم"[٣]، وقد جمع كتابه بدمشق عام ١٣٣٦هـ، ثم زاد ونقّح مبانيه وفرغ منه في ١٣٣٨هـ[٤]، وقد ذكر مسألة حكم التدخين في الرحلة السامية[٥].

طبعاته: طبع في دمشق عام ١٤١١هـ بتقديم محمد الفاتح الكتاني، وطبع ثانيا بتحقيق بدار الفيحاء بدمشق.

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (ص٤٨٢)، الرحلة السامية (١١٤).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (ص٤٨٣).

(٣) المرجع السابق (ص٤٨٣).

(٤) ينظر: إعلان الحجة وإقامة البرهان (٢٦٧).

(٥) ينظر: الرحلة السامية (١١٤-١١٨، ١٦٣-١٦٦).

الكتب المخطوطة:

٥٦- تقييد تفسير الاستطاعة في الحج.

نسبته إليه: نسبها له الدكتور محمد بن عزوز[١]، وأحمد المزيدي[٢].

موضوعه: التقرير بأن الحج هو أحد أركان الإسلام الخمسة، وأنه من الفروض العينية على كل من له استطاعة من البرية، دلل على ذلك من القرآن الكريم والسنة النبوية، وبيّن الاستطاعة في الحج وأنها وجود ما يكفي من البضاعة والأمن على النفس والمال والدين، وأنه متى فُقدت فقد الوجوب والإلزام، ثم ذكر الخلاف في الركوب في مراكب الكفار، وقرر تحريمه إذا تحقق جريان أحكامهم عليه، وغلب على ظنه عدم السلامة من ارتكاب المحرمات، وقد ذكر شيئا من هذه المسألة في سلوة الأنفاس[٣].

نسخه: محفوظة ضمن مخطوطاته في المكتبة الوطنية العامة بالرباط بخطه، وقد أتم كتابتها كما يقول في خاتمتها:" وكتب يوم الأربعاء الموفي عشرين من شوال عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف"[٤].

٥٧- شرح كتاب للسلطان مولاي الحسن بن محمد العلوي[٥].

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٦].

موضوعه: هي فتوى تولى الكتاني كتابتها، اشتملت على النصوص الشرعية والقواعد الأصولية في تحريم شرب الدخان، ووجوب حرقه وإتلافه، والضرب على يد مستعمليه.

نسخه: يوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط[١]، تحت ٢٠٠جك-٠٧١- على عشر ورقات.

---

(١) ينظر: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٢٤١/١).

(٢) ينظر في تحقيقه على جلاء القلوب للكتاني (٢٥/١).

(٣) ينظر: سلوة الأنفاس (٢٤٣/٢-٢٤٥).

(٤) جواب حول الاستطاعة في الحج (ل ٢).

(٥) هو: الحسن بن محمد العلوي، أبو علي، سلطان المغرب المتوفى عام١٣١١هـ، وقد تقدمت ترجمته في الناحية السياسية من عصره (ص٣).

(٦) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨١).

٥٨- رفع الالتباس وكشف الضر والباس، ببيان ما للعماء النحارير الأكياس في مسألة الحرير التي وقع فيها الخوض بين الناس.

نسبته إليه: نسبها الكتاني إلى نفسه[٢]، ونسبه له الرهوني[٣].

موضوعه ونسخه: في حكم وآراء العلماء في لبس الحرير، توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية بالرباط، تحت ١٥٣جك-٠٦٨-[٤].

٥٩- اتحاف ذوي البصائر والحجا بما فيه في مسألة الحرير السُّرور والنَّجا.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٥]، ونسبه له الرهوني[٦]، وعبد الحفيظ الفاسي[٧].

موضوعه ونسخه: في حكم لبس الحرير، ويوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط، تحت١٥٨جك-٠٦٨-[٨] .

٦٠- جواب في بيان حقيقة الخز وحكمه، وحكم ما ليس بخز مما مزج فيه الحرير بغيره.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٩].

موضوعه ونسخه: في حكم لبس الخز والحرير، ويوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط، تحت ١٩٥جك-٠٧١-[١٠].

٦١- سؤال وجوابه عن أمور ثلاثة متعلقة بالصيد.

---

(١) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٥٤٤/٩).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٩).

(٣) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٣/٩).

(٤) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٣٣٨/٩).

(٥) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٩).

(٦) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٣/٩).

(٧) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(٨) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٣٤٧/٩).

(٩) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٢).

(١٠) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٣٨٨/٩).

نسبته إليه ونسخه: منسوب له وموجود في فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية تحت ١٩٠جك-٠٧١-[١].

موضوعه: في الجواب عن مسائل خاصة بالصيد والأضحية.

٦٢- الطرر على شرح الطرفة في نظم ألقاب الحديث، لمحمد بن عبد القادر الفاسي[٢].

نسبته إليه ونسخه: ذكره محمد بن عبد الله التليدي في كتابه: تراث المغاربة في الحديث[٣]، ومع البحث والتحري لم أجد من نسبه له غيره، ولا من أشار إلى مكانه.

٦٣- حاشية على شرح الجامع المنسوب للشيخ خليل[٤]، للشيخ التاودي.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٥].

موضوعه: هو حاشية على شرح التاودي في الفقه المالكي المسمى: تقريظ المسامع شرح كتاب الجامع، عرض الكتاني فيه لبعض المسائل العقدية، كأول واجب على المكلف، وبعض المسائل المتعلقة بالصفات[٦].

نسخه: يوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط، تحت ١٩٧جك-٠٧١ -[٧]، وبخطه في ظهر الورقة الأولى من مبيضته تسميته بـ "تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع"، و"الضوء اللامع بشرح الجامع".

٦٤- جواب عن خمس مسائل تتعلق بالعيد.

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٩/٣٥٥).

(٢) هو: محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، من مؤلفاته: شرح نخبة الفكر لابن حجر، شرح شواهد ابن هشام، توفي عام ١١١٦هـ، ينظر: سلوة الأنفاس (١/٣٥٩)، هدية العارفين (١/٤٣٣).

(٣) ينظر: تراث المغاربة في الحديث وعلومه لمحمد عبد الله التليدي (٢٠٤).

(٤) هو: خليل بن إسحق بن موسى بن شعيب الجندي المالكي، من فقهاء المالكية، ألف مختصر في الفقه المالكي، والمناسك، شرح ألفية ابن مالك، وغيرها، توفي عام٧٦٧هـ، ينظر: الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني (٢/٢٠٧) شجرة النور الزكية (١/٣٢١).

(٥) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٦) ينظر: تشنيف المسامع (ل ١٠-١٧).

(٧) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٩/١٦٠).

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه، كما عدّ أخرى بعنوان: مسائل ثلاث تتعلق بالعيد[١].

موضوعه ونسخه: في أجوبة على مسائل خاصة بصلاة العيد وخطبة العيد ومصلّاه، ويوجد نسخة من هذه الرسالة بعنوان: أجوبة عن مسائل خمس في العبادات، تحت ١٩٢جك-٠٧١[٢]، في المكتبة الوطنية بالرباط، وأرّخ الجواب بتاريخ ١٣١٦ من شهر ذي القعدة[٣].

٦٥- الإعلام بما في المجاناة (الساعات اليدوية) المحلاة من الأحكام.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٤]، ونسبه له الرهوني[٥]، وعبد الحفيظ الفاسي[٦].

موضوعه ونسخه: في أحكام الساعات اليدوية، ويوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط، تحت ١٩٤جك-٠٧١ على ٣٨ ورقة[٧].

٦٦- سلوك السبيل الواضح لبيان أن القبض في الصلوات مشهور وراجح.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٨]، ونسبه له الرهوني[٩]، وعبد الحفيظ الفاسي[١٠]، وعبد الحي الكتاني[١١].

موضوعه ونسخه: حكم القبض في الصلوات، يوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط، ١٥٢جك-٠٦٨-[١].

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٢).

(٢) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٣٥٧/٩).

(٣) ينظر: أجوبة عن مسائل خمس في العبادات (ل ٣).

(٤) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٠).

(٥) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٤/٩).

(٦) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(٧) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٣٥٩/٩).

(٨) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٧٧).

(٩) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٣/٩).

(١٠) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

(١١) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

٦٧- جواب في تحريم تعاطي الأعشاب الخبيثة.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٢].

موضوعه ونسخه: من ظاهره أنه في حكم التبغ والدخان، وغير ذلك من الأعشاب الخبيثة، ولا يوجد نسخه من هذا الكتاب ضمن مخطوطاته المحفوظة بالرباط، ولعله شبيه بكتابه إعلان الحجة وإقامة البرهان على منع ما عم وفشا من استعمال عشبة الدخان، أو هو جزء منه، أو جزء من شرح كتاب للسلطان مولاي الحسن، والله أعلم!

٦٨- جواب عن عدة مسائل تتعلق بالحيض.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٣].

موضوعه: في الأجوبة عن أسئلة متعلقة بالحيض، ويوجد نسخة منه بعنوان: "رسالة في أجوبة مسائل فقهية ثلاث" وهي نفسها.

نسخه: يوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط، تحت ١٩٣جك-٠٧١-[٤]، وقد سردها الرهوني في عمدة الراوين[٥].

٦٩- رسالة في آداب الدخول بالزوجة.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٦].

موضوعه ونسخه: من ظاهره في آداب وأحكام الدخول بالزوجة، ولا توجد نسخه بهذا العنوان ضمن مخطوطاته المحفوظة بالرباط، وهذه المسألة ذكرها ضمن أجوبة مسائل فقهية ثلاث، وقد سرد الرهوني هذه الرسالة في عمدة الراوين[٧].

٧٠- رسالة في حكم الجمعة على من سافر دون مسافة القصر.

---

(١) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٩/٣٣٥).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (ص٤٨٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق (ص٤٨١).

(٤) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٩/٣٨٨).

(٥) ينظر: عمدة الراوين (٩/٢٦).

(٦) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (ص٤٨١).

(٧) ينظر: عمدة الراوين (٩/٢٩).

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[١]

موضوعه ونسخه: في حكم صلاة الجمعة لمن سافر دون القصر، ويوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط، تحت ١٨٩جك-٠٧١-[٢].

٧١- جواب فيما يعمل عليه في رمضان من أقام في بلدة من بلاد النصارى يتوالى فيها الغيم في أكثر الأوقات بحيث لا يتأتى فيها رؤية الهلال.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٣].

موضوعه: هو في جواب على سؤال حول حكم الصلاة والصيام في بلاد النصارى التي يتوالى فيها الغيم والسحاب، ولا تظهر فيها الشمس، والتفصيل في حكم الهجرة وأنه يجب على كل مسلم أن يخرج من البلاد التي تغير فيها السنن ويعمل فيها بغير الحق.

نسخه: يوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط، تحت ١٨٦جك-٠٧١- [٤]، وهي بعنوان: سؤال وجواب عمن أقام ببلدة من بلاد النصارى يتوالى فيها الغيم.

٧٢- النوازل وهي مجموع فتاواه وأجوبته عن أسئلة الأعلام له.

نسبته إليه ونسخه: نسبها له الدكتور محمد بن عزوز[٥]، والمزيدي[٦]، ولم أجد نسخه من هذه النوازل حسب بحثي وسؤالي والله أعلم.

٧٣- رسالة في الإمساك في رمضان قبل طلوع الفجر بثلث ساعة.

نسبته إليه ونسخه: يوجد نسخة منها في المكتبة الوطنية بالرباط بخط المؤلف ومنسوبة له، تحت١٥٥جك-٠٦٨-في ٣٣ صفحة[٧].

خامسا في الأدب:

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (ص٤٨١).

(٢) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٣٥٤/٩).

(٣) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (ص٤٨١).

(٤) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٣٨٩/٩).

(٥) ينظر: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٢٤٦/١).

(٦) ينظر: في تحقيقه على جلاء القلوب للكتاني (٢٧/١).

(٧) ينظر: فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية (٣٤٢/٩).

وكلها مخطوطة:

٧٤- مجموعة رسائل أسرية وإخوانية، بينه وبين آل بيته، وأصدقائه وطلابه وسلاطين عصره.

نسبته إليه ونسخه: نسبها له محمد الزمزمي(١)، والدكتور محمد بن عزوز وذكر كثيرا منها(٢).

٧٥- خطب وعظية.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٣).

موضوعه: هذه مجموعة من الخطب ذكر أنه جمعها عندما كان يخطب نيابة عن والده(٤).

نسخه: هذه الخطب مخطوطة في الخزانة الحسينية تحت: (١٣٨٩٥) (٥)، وهي مسودات، وليست خطبا كاملة.

٧٦- طرر وحواشي كثيرة على عدة كتب في فنون متنوعة من العقائد والفقه والحديث والمنطق والمصطلح والأصول، والنحو، والبيان، وغيرها.

نسبته إليه: نسبها الكتاني إلى نفسه، وقال:" لو جمعت لكانت حواشي عديدة"(٦).

موضوعه ونسخه: شروح وفوائد وتعليقات على عدد من الكتب، في فنون متنوعة، ويظهر أن هذه الشروح لم تجمع بعد، ولعله يعني شروحه على الأحاديث، وقد نص عليها كما سبق.

٧٧- الرسائل الحفيظية:

نسبتها له: نسبها له محمد بن عزوز(١)، وأحمد المزيدي (٢).

---

(١) ينظر: مقدمة الرسالة المستطرفة (٣٥).

(٢) ينظر: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٢٤٥/١).

(٣) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨١).

(٤) ينظر: المرجع السابق (٤٨١).

(٥) ينظر: كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسينية، عمر عمرو (ص١٦٦).

(٦) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٣).

موضوعها: رسائل توجيهية كان يرسلها للمولى عبد الحفيظ.

نسخه: لم أجدها ضمن مخطوطاته، وقد ذكر كثيرا منها الدكتور محمد بن عزوز في رسالته عن الكتاني[٣].

٧٨- ديوان شعر.

نسبته إليه ونسخه: نسبه له ابن عزوز [٤]، وأحمد المزيدي [٥]، ولم أجد من نسبه له غيرهما، ولم أجد له نسخة-بحسب بحثي-.

ولعلهم يعنون به نظم "عقيدة النجاة" الذي سرده في "الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان" والله أعلم.

سادسا: التراجم والسير.

الكتب المطبوعة:

٧٩- النبذة اليسيرة النافعة التي هي جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[٦]، ونسبه له الرهوني[٧]، وعبد الحفيظ الفاسي[٨].

موضوعه: في تراجم الكتانيين، واستطرد في تراجم أخرى، فتحه بفضل آل البيت؛ مؤكدا على أن الكتانيين منهم، وأن لهم ما لآل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- من حقوق.

وقد ترجم فيه لنفسه ترجمة مفصلة، بين فيها نشأته وشيوخه ورحلاته، ومؤلفاته، وبعض ما يرى من كراماته، وهذا الكتاب يكشف عن تصوف محمد بن جعفر الكتاني في جوانب

---

(١) ينظر: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (٢٤٣/١).

(٢) ينظر في تحقيقه على جلاء القلوب للكتاني (٢٦/١).

(٣) ينظر: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (١٨١/١)

(٤) ينظر: المرجع السابق (٢٤٣/١).

(٥) ينظر في تحقيقه على جلاء القلوب للكتاني (٢٦/١).

(٦) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٢٨، ٤٨٤، ٥١٦).

(٧) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٨٢/٩).

(٨) ينظر: معجم الشيوخ (٦٥).

كثيرة، منها: ولعه بالزيارة والسفر لأجلها، وتعظيمه لرؤوس المتصوفة الغلاة، وإقرارهم على ما يرونه من الاجتماع بالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقظة ومناما والأخذ عنه، والقول بوحدة الوجود، وختم الولاية، وغيرها.

وقد ذكر في نهاية الكتاب تاريخ الانتهاء من كتابته بعض تبييضه وهو عام ١٣٣٨هـ.

طبعاته: طبع هذا الكتاب في حياة المؤلف وكما قال: "كنت قد أخرجت بفاس نسخة منها من مبيضتها مؤرخة بتاريخ ذي الحجة الحرام متمم عام ٢٣هـ(١)، كتبت عني هناك، ثم وقع فيها بعد إعادة النظر وتأمل الفكر زيادات كثيرة وتغييرات كبيرة، وقد أخرجت الآن بحول الله تعالى هذه النسخة، وعليها يكون المعوَّل إن شاء الله"(٢).

وطبع طبعة أخرى في دار الثقافة، بدمشق، عام ١٤١٩هـ على مجلد ضخم.

٨٠- الرحلة السامية للإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية.

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه(٣)، والرهوني(٤)، وعبد الحي الكتاني(٥).

موضوعه: في رحلته الأولى للحج عام ١٣٢١هـ، وقد ابتدأ كتابه بذكر سبب رحلته وهي رغبته في الحج وفراره من الفتن في المغرب، ثم ذكر تفاصيل هذه الرحلة، من البلدان التي مر بها، والعلماء وشيوخ الطرق الذين لقيهم فأجازهم وأجازوه، والأضرحة التي سافر لزيارتها، فذكر الكثير من مزارات مصر، والحجاز، والشام.

طبعاته: طبع هذا الكتاب في دار ابن حزم، ببيروت، عام ١٤٢٦هـ.

٨١- الأزهار العاطرة الأنفاس بذكر مناقب قطب المغرب وتاج مدينة فاس إدريس بن إدريس باني فاس.

---

(١) أي: ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف من الهجرة النبوية.

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٤).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٤٨٠).

(٤) ينظر: عمدة الراوين من تاريخ تطاوين (٨٢/٩).

(٥) ينظر: فهرس الفهارس (٥١٧/١).

نسبته إليه: نسبه الكتاني إلى نفسه[١]، ونسبه له الحجوجي[٢]، والرهوني[٣]، وعبد الحفيظ الفاسي [٤].

موضوعه: في سيرة إدريس بن إدريس بن عبد الله الكامل الحسني أبو القاسم، المتوفى عام ٢١٣هـ، ثاني ملوك الأدارسة في المغرب الأقصى، وهو باني مدينة فاس[٥]، وهذا الكتاب في الأصل هو جزء من سيرته في سلوة الأنفاس[٦]، خصص خاتمته في فضل آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم-، وسرد فيها اثنين وأربعين حديثا في فضلهم، وقد طُبع هذا الجزء من هذا الكتاب بعنوان: "الأربعون الكتانية في فضائل آل بيت خير البرية" بتحقيق: محمد حمزة بن علي الكتاني، بدار الكتب العلمية ببيروت، عام ٢٠٠٩م.

طبعاته: طبع الكتاب طبعة حجرية بفاس عام ١٣١٤هـ.

٨٢- الإجازة الأيوبية.

نسبتها له وموضوعها: نسبها الكتاني إلى نفسه[٧]، وهذه الإجازة ألّفها بناء على طلب تلميذه أبي عبد الله محمد توفيق الأيوبي[٨]، حيث طلب منه أن يقيد له عددا من التراجم، وأن يجيزه فيما صنفه أو قيده إجازة عامة مطلقة تامة[٩].

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (١٦٤، ٤٧٦)، سلوة الأنفاس (١/٨٤).

(٢) ينظر: كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية (٣٨٩).

(٣) ينظر: عمدة الراوين في تاريخ تطاوين (٩/٣).

(٤) ينظر: معجم الشيوخ (١/٦٥).

(٥) ينظر: ترجمته (ص٤٠) من هذا البحث.

(٦) ينظر: عمدة الراوين (٩/٣)، سلوة الأنفاس (١/٧١).

(٧) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٢).

(٨) هو: توفيق بن محمد بن سعدي الأيوبي الدمشقي، درس العلوم الدينية في عدد من الجوامع والمعاهد، وكان أديبا فصيح اللسان أخذ عن محمد بن جعفر الكتاني، وغيره، توفي عام ١٣١٥هـ، ينظر: نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، يوسف مرعشلي (ص٢٩٩).

(٩) ينظر: الإجازة الأيوبية (١٥).

وقد ذكر فيها الكتاني تراجم لعدد من شيوخه، وأسانيده للطرق الصوفية، حيث ذكر ١٦ طريقة ثم قال: "ولنقتصر على هذه الطرق، وإلا فالطرق كثيرة جدا"[(١)]، وأرّخها بتاريخ ١٣٣٠هـ في المدينة النبوية.

طبعاته: طبعت ضمن السفر الصوفي.

المخطوطة:

٨٣- الوفيات:

نسبتها له وموضوعها: نسبها له الدكتور محمد بن عزوز[(٢)]، والمزيدي[(٣)]، وهي كما ذكروا ذيل على كتاب: "التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر، من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر"، لمحمد الطيب القادري[(٤)].

نسخه: لم تطبع بعد، والنسخ بين يدي أحفاده، وهم يعملون على تحقيقها كما ذكروا[(٥)].

هذا ما تيسر الوقوف عليه من مصنفات محمد بن جعفر الكتاني، والمطلع عليها وعلى موضوعاتها يظهر له عقيدته الأشعرية وتصوفه.

- خامسا: مذهبه الفقهي:

محمد بن جعفر الكتاني من أعلام المذهب المالكي[(٦)]، يقول عن أهل فاس -مسقط رأسه-: "متمذهبون بمذهب إمام الهجرة مالك بن أنس-رضي الله عنه-"[(١)]، ومن تصانيفه في

---

(١) المرجع السابق (٥١).

(٢) ينظر: المحدث الكبير محمد بن جعفر الكتاني (١/٢٤٦).

(٣) ينظر في تحقيقه على جلاء القلوب للكتاني (١/٢٧).

(٤) هو: محمد بن الطيب القادري، مؤرخ صوفي، من مؤلفاته: نشر المثاني لأهل القرن الحادي والثاني، المورد المعين في شرح المرشد المعين، توفي عام ١١٨٧هـ، ينظر: شجرة النور الزكية (١/٥٠٧)، سلوة الأنفاس (٢/٣٩٦).

(٥) ذكر حفيده حمزة الكتاني بأنه قد بيضها، وهي على وشط الطباعة، ولم تطبع بعد، وهذا عام١٤٤٣هـ بشهر شوال.

(٦) ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (١/٦١٩)، معجم الشيوخ (١/٦٤)، سلوة الأنفاس (١/٧٩)، إرشاد العوام لما به العمل في الصيام (٨٨، ٩٠، ٩١) بلوغ القصد والمرام (١٧، ٣٣)، حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٢٢٤)، شفاء الأسقام (٢٦) رسالة في أجوبة مسائل فقهية ثلاث (ل ١)، وقد كان يردد في مؤلفاته: ☜

المذهب المالكي: "رفع الملامة ودفع الاعتساف عن المالكي إذا بسمل في الفريضة خروجا عن الخلاف"، وكان له إحاطة واسعة ومعرفة دقيقة بالمذاهب الفقهية الأخرى(٢) .

وقد كان محمد بن جعفر الكتاني يرى أن من الداهيات تتبع رخص المذاهب والبحث عنها للعمل بها(٣)، كما يستنكر بعض عادات الدمشقيين، منها: الصلاة على المذاهب الأربعة، بحيث يصلى أولا على مذهب الشافعي، ثم يصلى على المذهب الحنفي، وذكر بأنه شيء لا يجيزه أحد من الأئمة الأربعة (٤).

وذكر بأن من الدسائس الشيطانية والآفات العظيمة: ادعاء الاجتهاد، وأخذ الأحكام الشرعية من الأحاديث بحسب الفهم، والرد على الأئمة الكبار بذلك(٥).

وقد ذكر الرهوني بأن شيخه الكتاني مع انتسابه إلى مذهب الإمام مالك لم يكن مقلّدا أو متعصبا، بل يرى الدراسة المقارنة لأحوال سائر فقهاء الإسلام المتقدمين والمتأخرين، ويدعو

عندنا معاشر المالكية، وأصحابنا المالكية، أئمتنا المالكية، وعلماؤنا المالكية، ينظر: إرشاد العوام لما به العمل في الصيام (٨٨، ٩٠، ٩١) بلوغ القصد والمرام (١٧، ١٣، ١٧، ٣٣) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٢٢٤)، شفاء الأسقام (٢٦)، جلاء القلوب (١٩٣/٣)، رسالة في أجوبة مسائل فقهية ثلاث (ل ١)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٢٣)، مقدمة المنتصر الكتاني على الرسالة المستطرفة (٣٠).

(١) سلوة الأنفاس (٧٩/١).

(٢) ينظر على سبيل المثال: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة وغيرهم، لمحمد بن جعفر الكتاني (ص١٢ وما بعدها، ١٩٤) إرشاد العوام (٨٩، ٢٢١)، إرشاد المالك لما يجب عليه من من مواساة الهالك (٥)، بلوغ القصد المرام (١٣-١٦)، الدعامة في أحكام سنة العمامة (٢٦، ٢٩)، عمدة الراوين (٦٨/٩-٦٩) شرح دلائل الخيرات (ل ٤٤)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦أ)، رسالة في أجوبة مسائل فقهية ثلاث (ل ١).

(٣) وتتبع الرخص كما بين الشاطبي إنما هو نابع من جراء اتباع الهوى؛ فالهوى يُفضي بأصحابه إلى أن يتتبعوا التساهيل والتراخيص على النفس وعلى الآخرين؛ ولذا تراه يأخذ لنفسه أو يفتي قريبه أو صديقه بما لا يفتي به غيره؛ اتباعًا لشهوته، أو لرغبة ذلك القريب والصديق، ينظر: الموافقات، للشاطبي، (٨٤/٥)، وقد نقل غير واحد من الأئمة اجماع الأمة على تحريم تتبع رخص المذاهب منهم الإمام ابن حزم وابن عبد البر، ينظر: مراتب الإجماع في العبادات والاعتقادات والمعاملات، لابن حزم (١٧٥) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٩٢٧/٢).

(٤) ينظر: الرحلة السامية (٢٨٥-٢٨٦).

(٥) ينظر: المرجع السابق (٢٦٠).

إلى ترك مشهور المذهب والعمل بالقول المؤيد بالدليل(١)، ومما قاله الكتاني في النهي عن التقليد:" وإذا أمكنك ألا تقلد أحدا في شيء فافعل، فإن التقليد بلادة وجمود، أوقع كثيرا من الناس في مهاوي الخطأ والجهل العظيم، نسأل الله السلامة منه!" (٢).

إلا أن هناك ما يدل على نقيض ما قرره تلميذه الرهوني الذي يُجله ويعظمه، فقد نص محمد بن جعفر الكتاني في "سلوك السبيل الواضح"-مما يدل على نوع من التعصب والتقليد للمذهب عنده- على جواز مخالفة المذهب إذا كانت المسألة من باب الآداب، أما إذا كانت من باب الحلال والحرام فقرر وجوب العمل بمشهور مذهب الإمام مالك.

حيث قال بعد ترجيحه للقبض في الصلوات اعتمادا على الأدلة، مع كونه مخالفا لمشهور المذهب:" هذه المسألة ليست من باب الحلال والحرام الذي يجب فيه عند توفّر الشروط العمل بمشهور مذهب الإمام، بل من باب الأدب، الذي لا تضر فيه مخالفة المذهب، بل ينبغي للعارف أن يتبع فيه الأثر وما صحّ في الخبر، كما ذكره غير واحدٍ من الفقهاء والصوفية العلماء"(٣).

كما قال في كتاب "شفاء الأسقام" عن صلاة التسبيح بعد تقريره بأنها من مكفرات الذنوب مع كون المذهب المالكي يُبدعها: "ومخالفة المذهب فيما كان من هذا القبيل، وهو ما ليس من باب الحلال والحرام، بل من باب الآداب إلى ما صحت به الرواية وأخذ به مذهب آخر لا تضر كما هو مقرر"(٤).

ثم قال مناقضا لما قرره من النهي عن التقليد: "وللمالكي أن يعمل به تقليدا لمن يقول به؛ لرجحانيته"(٥).

وقد نص على هذا النوع من التعصب عند الكتاني: عبد العزيز الصديق الغماري(١) في كتابه "تعريف المؤتسي بأحوال نفسي"، فقال: "ووقع لشقيقنا أبي الفيض [وهو أحمد بن

---

(١) ينظر: عمدة الراوين (٦/٩).

(٢) المطالب العزيزة الوفية في تكلمه -صلى الله عليه وسلم- بغير اللغة العربية (ل ١٣).

(٣) سلوك السبيل الواضح (ل ٨٣/أ).

(٤) شفاء الأسقام والآلام (٢٤).

(٥) المرجع السابق (٢٦)، وينظر المرجع نفسه (٢٧، ٢٩).

الصديق الغماري] في انتقاله لمذهب الشافعي أن لامه في ذلك شيخه الإمام أبو عبد الله محمد بن جعفر الكتاني -رحمه الله-، وكان لشيخه نوع من العصبية وميل إلى المذهب بل الجنسية، مع أنه كان يعمل بالسنة في كثير من المسائل، لكن بشرط موافقة المذهب، ولو في بعض الأحوال، وبشرط أن تكون المسألة في الآداب والرقائق لا في الحلال والحرام كما شافهه به مرارا، وذكره [أي الكتاني] في كتابه "سلوك السبيل الواضح في أن القبض في الصلوات كلها مشهور وراجح"، قال شقيقنا في "التصور والتصديق": مع أن الواجب سلوكه تقديم قول الله تعالى ورسوله في كل ماورد عنهما، لا فرق بين سنن وآداب، ولا بين حلال وحرام، قال: وهو في هذه الطريقة مقلد لغيره(٢)"(٣).

فقد كان محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته ينهى عن التقليد والبلادة والجمود، وفي منهجه العملي والتطبيقي يقلد المذهب تارة، ويخالفه تارات، خاصة فيما وافق فيه الصوفية من البدع، وسيتضح هذا جليا في عرض رأيه بالمسائل المتعلقة بالقبور -خاصة- بحول الله تعالى(٤).

- سادسا: عقيدته إجمالا:

يُعد محمد بن جعفر الكتاني أشعري المعتقد، وكتابه "الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين من عقائد الإيمان"، مع "حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين" من أبرز ما يؤكد عقيدته الأشعرية، حيث عد أئمة الأشاعرة أئمة أهل السنة، ونصر جُلّ أقوالهم(٥).

وقد ذكر في كتابه "سلوة الأنفاس" بأن أهل فاس على العقيدة الأشعرية، حيث قال:

---

(١) هو: عبد العزيز محمد بن الصديق الغماري، جمال الدين، من المعادين للدعوة السلفية كأخيه كأحمد، من مؤلفاته: الجواهر المرصوعة في ترتيب أحاديث اللآلئ المصنوعة، تخريج أحاديث البعث لابن أبي داود، توفي عام١٤١٨هـ، ينظر: تعريف المؤتسي بأحوال نفسي، له.

(٢) التصور والتصديق بأخبار سيدي محمد بن الصديق، لأحمد بن الصديق الغماري (٦٤-٦٥).

(٣) تعريف المؤتسي بأحوال نفسي، عبد العزيز الصديق الغماري (١٤).

(٤) ينظر: (ص ٣٤٢).

(٥) ينظر: الكشف والبيان (١٥٢، ١٧٢، ١٧٥) وغيرها، حاشية على شرح ميارة (ل ٣/أ-١٤/ب، ١٨/أ، ٦٠/ب)، نظم المتناثر (١٣-١٤)، سلوة الأنفاس (١/٧٩، ٢/٢٠٥)، تشنيف المسامع (ل ١٠).

"أهلها في العقيدة على مذهب إمام أهل السنة والجماعة: الشيخ أبي الحسن الأشعري[(١)]، -رضي الله عنه-فكانت عقيدتهم مطابقة لعقيدته، التي هي عقيدة الصحابة فمن بعدهم من أكابر العلماء، والفقهاء، والصوفية، والأولياء"[(٢)].

فقد أثنى على أبي الحسن الأشعري وقرر بأنه إمام أهل السنة والجماعة، وأن عقيدته هي عقيدة الصحابة ومن بعدهم من أكابر العلماء، وإطلاق لقب إمام أهل السنة والجماعة على أبي الحسن الأشعري لا يصح إلا على مذهب الأشاعرة [(٣)].

وقد ذكر ترجمة موجزة لأبي الحسن الأشعري، ونقل عن تاج الدين السبكي[(٤)] قوله:" وهؤلاء الحنفية والشافعية والمالكية وفضلاء الحنابلة -ولله الحمد- في العقائد يد واحدة كلهم على رأي أهل السنة والجماعة، يدينون الله تعالى بطريق شيخ السنة أبي الحسن الأشعري -رحمه الله-، لا يحيد عنها إلا رعاع من الحنفية والشافعية، لحقوا بأهل الاعتزال، ورعاع من الحنابلة لحقوا بأهل التجسيم، وبرأ الله المالكية، فلم نر مالكيا إلا أشعريا عقيدة"[(٥)][(٦)].

وقد سبق بيان نشأته في الأسرة الكتانية، والتقائه بكبار رجال التصوف وأخذ الطرق عنهم[(٧)]، مما جعله يعتقد معتقداهم ويتبنى أفكارهم، ويُروج طرقهم، وقد ترجم لهم وأثنى عليهم، وأقر ما هم عليه، وأن الأولياء منهم يغيثون الداعي، ويفرجون الكربات، ويقضون الحاجات،

---

(١) هو: علي بن إسماعيل بن إسحق بن إسماعيل بن سالم الأشعري، أبو الحسن، شيخ الأشاعرة وإليه ينتسبون، مر بثلاثة أطوار في حياته: طور الاعتزال، وطور سلوك مسلك ابن كلاب، وطور نهج فيه منهج السلف مع لوثة كلامية، له مصنفات كثيرة منها: اللمع، مقالات الإسلاميين، توفي عام ٣٢٤هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٤٢٣/٣٤٧/٣)، شذرات الذهب (٣٠٣/٢).

(٢) سلوة الأنفاس (٧٩/١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٥٨،١٠٧، ٣٠٦/١٧).

(٤) هو: عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي، تاج الدين، أبو نصر، أشعري شافعي، من مؤلفاته: طبقات الشافعية الكبرى، جمع الجوامع، توفي عام٧٧١هـ، ينظر: الدرر الكامنة (٢٣٢/٣)، شذرات الذهب (٢٢١/٦).

(٥) معيد النعم ومبيد النقم، عبد الوهاب السبكي (ص٦٢).

(٦) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٠/أ).

(٧) ينظر: عمدة الراوين (٢٩/١٠)، وفي أسانيده للطرق الصوفية، ينظر: الإجازة الأيوبية (٣٨-٥١).

وقرر مشروعية التبرك بقبورهم، والتوسل والاستغاثة بهم إلى الله، وغير ذلك من العقائد المخالفة للكتاب والسنة مما سيتضح في ثنايا هذا البحث بحول الله تعالى(١).

وسبق ذكر محمد بن جعفر الكتاني بعض أسانيده للطرق الصوفية، فعدّ منها ست عشرة طريقة صوفية، وقال بعد سرده لها: "ولنقتصر على هذه الطرق، وإلا فالطرق كثيرة جدا"(٢).

وذكر تلميذه الرهوني، والحجوجي، وحفيده حمزة، بأنه كان مأذونا بتلقين ما يقارب أربعين طريقة صوفية، وأقر على ذلك أحفاده(٣).

والطرق التي ذكر محمد بن جعفر الكتاني أسانيده فيها هي: الطريقة القادرية وفروعها، والشاذلية وفروعها، والخلوتية(٤)، والطريقة النقشبندية، والطريقة السعدية(٥)، والطريقة الباعلوية(٦)، والطريقة الرفاعية(١)، والطريقة الريسونية(٢)، والكرزازية(٣)، والطريقة التجانية،

---

(١) ينظر-على سبيل المثال-سلوة الأنفاس (١/٣٥٩،٢٨٠، ٣/٤٧٢)، الإجازة الأيوبية (٣٠-٣١)، النبذة اليسيرة النافعة (١٤٦)، الأربعون الكتانية (٤١، ١٥٥).

(٢) الإجازة الأيوبية (٣٨-٥١)، وينظر: حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم (ل ٤ وما بعدها).

(٣) ينظر: عمدة الراوين (١٠/٢٩)، مقدمة السفر الصوفي (٧)، منطق الأواني (١٥٢).

(٤) الطريقة الخلوتية: هي طريقة أسسها محمد الخلوتي، المتوفى عام٩٨٦هـ، الذي كان من أتباع الطريقة السهروردية، ثم استقل بطريقته، ومشايخها من المؤمنين بوحدة الوجود، ينظر: الإجازة الأيوبية (٤٣)، الكشف عن حقيقة الصوفية، محمود القاسم (٣٦٤)، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، أحمد القصير (ص٢١٣).

(٥) الطريقة السعدية: هي طريقة تنسب لسعد الدين الجباوي الشيباني، كان من قُطاع الطرق، ثم ادعى أنه كوشف بالنبي –صلى الله عليه وسلم– وأبي بكر وعلي، وتلقى طريقته من النبي–صلى الله عليه وسلم–، لهم أذكار صوفية مبتدعة، من مؤلفاته –وهي مخطوطة–: الهواتف، حزب الفتوحات، حزب الصفا، حزب الأنور، الورد المسبع والمثلث، توفي عام٩٨٧هـ، أو٩٨٨هـ، وانتشرت هذه الطريقة في بلاد الشام ومصر وتركيا والمغرب وغيرها، ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين الغزي (١/١٧٦، ٣/٥١)، الأعلام (٣/٨٥)، الطريقة السعدية في بلاد الشام، لمحمد غازي حسين، كتاب الوفاء بالعهد لأبناء الطريقة السعدية، حمودة الخضري.

(٦) الطريقة الباعلوية: هي طريقة تنسب إلى محمد علي با علوي الحضرمي الأشعري المتوفي عام ٦٥٣هـ، كانت طريقة تحتضن الطرق الصوفية الأخرى وتتأدب معها ولا تنكر عليها، وصرح أئمتها بأنها غزالية الظاهر شاذلية الباطن، تنتشر بشكل أساسي في حضرموت، ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (٣/٢١٩)، عقد اليواقيت الجوهرية بذكر طريق السادات العلوية، لعيدروس الحبشي (٢٠٤وما بعدها)، المنهج السوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي، لزين بن إبراهيم باعلوي (٢٢ وما بعدها).

والمحمدية الكتانية، والأحمدية الكتانية، والسنوسية[٤]، والرشيدية[٥]، والميرغانية الختمية[٦]، وآخر طريقة ذكرها هي طريقة عبد المالك العلوي الضرير[١]، وقال فيها: "وأما طريقة شيخنا

---

(١) الطريقة الرفاعية: هي طريقة تنتسب لأبي العباس أحمد بن أبي الحسين الرفاعي المتوفى عام ٥٤٠هـ، وهو منهم براء، وهي من غلاة الصوفية، يزعمون في أشياخهم التصرف في الأكوان، والعروج إلى السماء، وتبديل اللوح المحفوظ، وعلم الغيب، ويستغيثون بهم من دون الله تعالى، ينظر: مناظرة ابن تيمية لهم: مجموع الفتاوى (١١/٤٤٥ - ٤٧٦).

(٢) الطريقة الريسونية: هي طريقة تنسب لمحمد بن علي بن ريسون المتوفى عام١١٨٢هـ، وهو أحد مشائخ الطريقة الشاذلية، إلا أنه أسس له زاوية خاصة به، ينظر: الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى (٥/١٤٥)، اتحاف المطالع (٢٨)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٥٨)، معلمة المغرب (١/٤٥١٥).

(٣) الطريقة الكرزازية: هي طريقة تنسب إلى أحمد بن موسى الحسني مولى كرزاز المتوفى سنة ١٠١٣ هـ، وهي تسللت أذكارها من الطريقة الشاذلية، لكن الكرزازي أضاف البسملة إلى أذكار الصبح حيث تكرر خمسمائة مرة، ظهرت في كرزاز بالجزائر، ينظر: فهرس الفهارس (٢/٨٣٧)، سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، لابن موسى تيه الادريسي (ص٣ وما بعدها)، تاريخ الجزائر الثقافي (٤/٨٨).

(٤) الطريقة السنوسية: هي طريقة تنسب لأبي عبد الله محمد بن علي السنوسي المتوفى عام١٢٧٦هـ، كانت طريقته خليط من أربعين طريقة صوفية، وتتميز بأنها لا تمنع أتباعها من الانضمام إلى أي طريقة أخرى، وبممارسة بعض الطقوس والأذكار المبتدعة يمارسها أتباعها ليدخلوا فيها، ولهم ذكر مخصوص عقب صلاة الفجر، وكانت تنهى عن استعمال الطبول وآلات الموسيقى، والرقص والانشاد، ينظر: فهرس الفهارس (٢/١٠٤٠)، تاريخ الجزائر الثقافي (٤/٢٤٥-٢٦٥)، وقد قال الكتاني في أخذه لهذه الطريقة:"أذنني في المصافحة التي أخذها عن شيخه المذكور عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وصافحني كما صافحه عنه، وذلك أنه وضع كفه اليمنى في كفي، وبسط المسبحة والوسطى على باطن ذراعي، وقبض ببقية أصابعه على ظهر كفي، وقال: هكذا صافحنا الشيخ سيدي محمد بن علي السنوسي في يوم عيد بعدما خرج عليها، وقال: هكذا صافحني رسول الله-صلى الله عليه وسلم الآن كهذه المصافحة التي صافحتكم، فخذوها عني"، الإجازة الأيوبية (٤٩) وقال أيضا في الرحلة السامية: "جعل على رأسي طاقيته التي على رأسه، وكذلك جعلها على رأس الولد، ثم أعطانيها، فهي عندي بركة"، ينظر: الرحلة السامية (٢١١).

(٥) الطريقة الرشيدية: هي طريقة تنسب لإبراهيم الرشيد السوداني المتوفى عام١٢٩١هـ، وهو أحد تلاميذ أحمد بن إدريس الفاسى أستاذ محمد عثمان الميرغني مؤسس الطريقة الختمية، من أورادهم الصلوات الإدريسية، يظهر فيها وحدة الوجود مع الحقيقة المحمدية بوضوح تام، ينظر: جامع كرامات الأولياء للنبهاني (١/٤٦٠)، الإجازة الأيوبية (٥٠)، الكشف عن حقيقة الصوفية، محمود القاسم (٣٦٥).

(٦) الطريقة الختمية: هي طريقة أسسها محمد عثمان الميرغني، ويلقب بالختم إشارة إلى أنه خاتم الأولياء، كما تسمى الطريقة الميرغنية ربطا لها بطريقة جد المؤسس عبد الله الميرغني المحجوب، وقد بدأت هذه الطريقة من مكة والطائف، ثم جنوب وغرب الجزيرة العربية، ثم عبرت إلى السودان ومصر، ومن معتقداتهم: القول بوحدة الوجود، الغلو بالنبي-صلى الله عليه وسلم، ادعاء مؤسس الطريقة أنه خاتم الأولياء، استخدام مصطلحات الوحدة والتجلي والظهور والفيض وغيرها

مولاي بن عبد المالك بن محمد العلوي الضرير التي استقل بها أخيرا بعد أن كان عاملا بطريقة الشيخ سيدي أحمد التجاني، فعنه -رضي الله عنه-عن النبي-صلى الله عليه وسلم-بلا واسطة، وقد أذنني-رضي الله عنه-في وردها الذي أخذه عن الرسول-صلى الله عليه وسلم- مشافهة، وهو: صلاة الفاتح مائة وخمسين، ولا إله إلا الله مائتين وخمسين، ولا إله إلا الله محمد رسول الله مائة، الجميع يُقرأ في كل يوم، قال: ولمّا آذنني فيه الرسول-صلى الله عليه وسلم- قلت له: يا رسول الله ما لمن داوم عليه في الآخرة؟ قال: يكون معي في جبال الجنة، قلت: فما له في الدنيا، قال يموت على الشهادة، قال: هذا لفظه-صلى الله عليه وسلم-.

وقد طلبت منه-رضي الله عنه-أن يأذن لي في إعطائه لطالبه فأذن لي في ذلك، وأمر بذكر هذا الفضل للطالب ليكون أدعى لرغبته فيه ومداومته عليه.

ولنقتصر على هذه الطرق، وإلا فالطرق كثيرة جدا"(٢).

فقد جمع الكتاني بين هذه الطرق، وكان مأذونا بتلقينها، فأقرهم على ما زعموه من تلقي هذه الطرق عن الخضر-عليه السلام-، أو عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- مشافهة، يقظة أو مناما، وأنه هو الذي أذن لهم بهذه الطرق والأذكار(٣)، بل على ما زعموه من تلقي هذه الطرق عن الله تعالى، فقد قال في بعض أسانيد للطرق الصوفية: عن المصطفى-

---

من المصطلحات الفلسفية الصوفية، ينظر: مجموعة النفحات الربانية المشتملة على خمس رسائل ميرغنية، الإبانة في شأن صاحب الطريقة الختمية، لابن باديس الرباطي، وقد التقى محمد بن جعفر الكتاني بحفيد الطريقة بمصر، وأورد نص إجازته له ينظر: الرحلة السامية (١٢٣-١٢٤، ١٢٥-١٢٨).

(١) هو: عبد الملك بن محمد العلوي الحسني المعروف بالضرير، من أعلام التجانية، المتوفى عام١٣١٨هـ، ينظر معجم الشيوخ (٢٠٨)، فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام (٢٠٢)، كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية (٣٨٨)، الأعلام (٤/١٦٤).

(٢) الإجازة الأيوبية (٥١)، وينظر المرجع نفسه (٢٣)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٣٤-٣٣٥)، حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم (ل ٤).

(٣) ينظر: الإجازة الأيوبية (٢٣، ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٤٩، ٥١)، الرحلة السامية (١٢٤، ٢٣٤، ٢٧٦)، رسالة المسلسلات (٥٢، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧).

صلى الله عليه وسلم–عن جبريل، عن رب العزة سبحانه، أو عن الخضر عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–عن جبريل، عن رب العزة سبحانه[١].

وكان معظَّما عند رؤساء الطرق، ومن ذلك أنه قال لَمّا عاد من المشرق إلى فاس في حجته الأولى: "وعندما دخلنا، ذهبنا إلى الضريح الإدريسي، فزرناه، وحمدنا الله على دخوله ورؤيته، ورؤية الأحباب والأصحاب والأقارب، ...بقينا أياما والناس تتوارد علينا أفواجا أفواجا، أشياخ وأعلام، وأشراف، وأعيان، وطوائف من المنتسبين، وغيرهم"[٢]

فكان أصحاب الطرق يزورونه ويعظمونه.

وكان محمد بن جعفر الكتاني يحث على الأخذ بأوراد الطرق والجمع بينها والتبرك بها والمواظبة عليها، حتى يؤذن له بطريقة من الطرق الصوفية أو أكثر، حيث يقول مفرقا بين ورد التبرك وورد سلب الإرادة عن الشيخ المربي:" وورد التبرُّك مع ورد سلب الإرادة سيَّان غالبًا؛ لكنهما مختلفان بإعطاء البيعة للشيخ في الثاني، والتزام طاعته وعدم الخروج عن دائرته، بخلاف الأوَّل؛ فلا التزام فيه أصلًا.

والآخذ لعدَّة أوراد على سبيل التبرُّك، إن قدر على ذكر جميعها فبها ونعمت، وإلَّا يختار واحدًا منها أو اثنين أو ثلاثة، ويواظب عليها، ويترك ما سواها، حتَّى يفتح الله عليه بشيخ يأخذ بيده من أهل طريقةٍ من تلك الطرق أو غيرها"[٣].

كما كان ينكر على من يأخذ الطرق لمجرد التبرك بدون قصد وردها، ولا ذكره، حيث يقول: " وها هنا تنبيه؛ وهو: إنَّ كثيرًا من أهل العلم الآن، وقبل الآن، يأخذون الطرق عن مشايخها، لمجرّد التبرُّك، والاتِّصال بحبلهم، والرواية لطرقهم، من غير بحث عن ورد، ولا قصد لذكر، ثم يذكرون في كتبهم من فهارسهم: إني أروي طريق فلان عن فلان، وطريق فلان عن فلان، وهكذا حتى يعدون الأربعين طريقًا ونحوها، بل ربما عدَّ بعضهم المائة فأكثر، وبالضرورة أنه لا يقدر على ذكر أورادها كلها؛ بل منهم من لا يذكر ورد طريق منها أصلا، ومنهم من

---

(١) ينظر: الإجازة الأيوبية (٣٩، ٤٦).

(٢) الرحلة السامية (٣٣٢-٣٣٣).

(٣) حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم (ل ٤).

يذكر ورد طريق واحدة يعتمدها من تلك الطرق، ومنهم من يذكر وردين؛ كالكثير ممن كان يذكر ورد الطريق الشاذليَّة، والطريق القادرية.

وهذا –أعني: أخذ الطرق لمجرد الرواية والاتصال من غير ذكر ورد– لا يذكره أرباب هذا الفنّ، ولا يعدُّون صاحبه مريدًا؛ لا بالحقيقة، ولا بالمجاز.

نعم، هو من المجازين بالطريق، والراوين لها عن بعض مشايخها، وفي ذلك نوع ما من التبرُّك والاتِّصال، والتعلُّق بالآثار"(١).

وقد كان يثني ويُمجّد ابن عربي الطائي، وقال عنه: "ذو المحاسن التي تأخذ القلوب وتبهر، العالم العادل، إمام الواصلين، قرة عيون الكاملين، فخر الأولياء والأقطاب العارفين، وارث علوم الأنبياء والمرسلين، قطب دايرة المحققين، صفوة الصفوة من المقربين، ذو المقامات الفاخرة، والكرامات الظاهرة، والأحوال الباهرة، سلطان أهل الحقيقة على الإطلاق، وشيخ مشايخ أهل المعرفة بالاتفاق، وكاشف الأسرار الإلهية، الموصوف بختم الولاية الجامعة المحمدية، ...كان أعلم زمانه بحيث إنه كان في كل فن متبوعا لا تابعا أحد من أقرانه، وكان في الكشف والتصوف والتحقيق بحر لا يجارى، وإماما لا يغالط ولا يبارى، متضلعا بالحقيقة والشريعة، متمسكا منها بأقوى ذريعة، وله في التوحيد القدم الراسخة، وفي العلوم اللدنية والمعارف الإلهية الذروة الشامخة، محيط بما في الكتاب والسنة من العلوم، مستنبطا منها ما تقف دون إدراكه أقدام الفهوم "(٢).

وسبق ثنائه على كتابيه "فصوص الحكم"، و"الفتوحات المكية"، بل قد رد على من كفر ابن عربي من العلماء، وعد ذلك من قبيح عثراتهم وهفواتهم –كما يرى–؛ وعلل بأنهم لم يفهموا مقاصده ولا رموزه وإشاراته، وحملوا الكلام على أول احتمالاته(٣)، ومما قاله: "وقد طُعن في الشيخ–رضي الله عنه–بسبب كتابه هذا وغيره من كتبه كالفتوحات جماعة من علماء الرسوم، ممن لم يفهم مقاصده فيها ولا رموزه وإشاراته، وحمل الكلام على أول احتمالاته،

(١) المرجع السابق (ل ٥-٦).

(٢) جلاء القلوب (١٠/١).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٢٩/١-٣٣، ٨٠-٩٠).

...والمحققون والعلماء وأهل الله على خلاف كلامهم، وعدم قبول ثلمهم، وعده من هفواتهم، وقبيح ما يؤثر من عثراتهم"(١)، مع أن في كتابيه طوام عدها العلماء من الكفر الأكبر (٢).

وقد كان محمد بن جعفر الكتاني ممن يقرأ الهمزية والبردة في دروسه -كما سبق-(٣)، ويستشهد بأبيات البوصيري(٤)، في مؤلفاته على بعض ما يقرره، ويشرح بعضها(٥)، وذكر أنه زار ضريحه في ذكره لمزارات الإسكندرية التي زارها(٦).

وكان يرى كرامات وقعت له هو نفسه، ورؤى مبشرة له ولغيره فيها ما يدل على ولايته وفضله -كما يرى-(٧)، منها قوله في رؤيا ذكرها ضمن مرائيه المبشرة: "ومنها: أني رأيت في رؤيا طويلة كأني شربت من ماء القطبانية جرعة واحدة، ملأت بها فمي"(٨).

ومنها أن النبي-صلى الله عليه وسلم-أجازه في جميع العلوم والأذكار والأوراد، حيث نقل رؤيا غيره به، بقوله: "أرسل إليّ بعض الفضلاء من العلماء وأهل الطريق يقول: ورَد عليّ وارد يوم الخميس بعد الظهر وأنا جالس في جنب مصلّاه-صلى الله عليه وسلم-من الروضة الشريفة يقول لي من جانب الرسول-صلى الله عليه وسلم--: قل لمحمد بن جعفر الكتاني: السلام ثم الرحمة والعلم والفضل والمغفرة وسعادة الدنيا والآخرة له ولسبعة بطون عالية وسافلة.

---

(١) جلاء القلوب (١/٢٩).

(٢) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي (٤٧/٢٨٠)، مجموع الفتاوى (٢/١٢١-١٢٢، ١١/٢٣٢-٢٣٣)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للفاسي (٢/١٦٣ وما بعدها)، مصرع التصوف، لبرهان الدين البقاعي (٥٢وما بعدها).

(٣) ينظر: (ص ٥٣ من هذا البحث).

(٤) هو: محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي، شرف الدين، أبو عبد الله، الشهير بالبوصيري، شاذلي الطريقة أشتهر بقصائده ومنها: البردة، والهمزية في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد اشتملت على الشرك الصريح، والاستغاثة بالنبي-صلى الله عليه وسلم-، توفي عام ٦٩٥هـ. ينظر: شذرات الذهب (٧/٧٥٣).

(٥) ينظر على سبيل المثال: جلاء القلوب (١/١٢٤، ٢/١٢٨، ١٤٨، ٢٧٣)، سلوة الأنفاس (١/٨٧)، بلوغ القصد والمرام (٤٥)، نيل المنة وغاية السول (١٤٣)، شرح على دلائل الخيرات (ل ١٤)، المطالب العزيزة الوفية (ل ١٠)، حاشية على شرح ميارة (ل ٥٩/ب)، ومن شرحه لبعضها ينظر: جلاء القلوب (٢/١٤٨-١٥١، ١٥٨).

(٦) ينظر: الرحلة السامية (١٢٩، ٣٢٣).

(٧) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٦٣-٣٨٢، ٤٨٥).

(٨) النبذة اليسيرة النافعة (٣٧٣)، وينظر المرجع نفسه (١٥١).

قال: ثم ورد عليّ وارد آخر من حضرة رحمة العالمين-صلى الله عليه وسلم-يقول لي: الإجازة له في جميع العلوم والأذكار والأوراد، بشرط أن يكون-يعني المذكور-موافقا لسنن الهدى.

ثم سافر-رحمه الله-ولم ألقه، ثم لقيته بمكة وقت الموسم عند الكعبة فأملى عليّ هذا الكلام أيضا من لفظه، من غير زيادة ولا نقص، فالحمد لله على نعمه التي لا نحصيها"(١).

مع أنه قال بعد سرده لمرائيه: "وهذا كلام حكيته لا على أن الأمر فيه كما يعطيه ظاهره، فإني والله ثم والله ما شممت الآن للولاية أدنى رائحة، بل ولا للإسلام الحقيقي، ولكن حكيت من هذه المرائي وغيرها ما وقعت صورته، وإلى الله تعالى علمه وحقيقته"(٢).

وقد كان من الطرق التي كان يدعو لها الطريقة العيساوية(٣)، فقد لقيه الشيخ السلفي عبد الرحمن النتيفي الجعفري وقال عنه محذرا منه، ومن الطريقة العيساوية التي كان يدعوا لها: "هذا الشيخ الشريف مشهور الصيت بالمغرب وبالخاصة بفاس، أدركناه إبّان الطلب يدرّس بالقرويين في حدود الثاني والثالث والعشرين بعد الألف والثلاثمائة، وقد سافر بعد ذلك إلى الحج بأسرته، وأقام بالمدينة ما شاء الله، ثم بالشام، وكان ملحوظا عند أمرائها كفيصل، ثم بعد ذلك رجع إلى المغرب في حدود الخمس والأربعين فنزل الدار البيضاء، ونحن إذ ذاك بها وزرناه.

غير أن هذا الشيخ-رحمه الله-كان من المغفلين، ومن ذلك أنه زاره بعض الناس ممن كان يحضر مجالسنا، ويسمع الاعتراض على شقائق المتصوفة فسمعوه عند زيارتهم له يذكر

---

(١) المرجع السابق (٣٨٠-٣٨١).

(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٣٧٥).

(٣) العيساوية: هي فرع من فروع الطريقة الشاذلية، تنسب إلى مؤسسها أبي عبد الله محمد بن عيسى المختاري، وقد امتد نفوذها في المغرب الأقصى والجزائر وتونس وليبيا، تشتهر باستعمالها للأمداح بصوت عال مع استخدام الموسيقى، فيخرجون للشوارع ويطوفون بالمدينة، يطبلون ويزمرون ويرقصون، ويفترسون لحوم الغنم والمعز قبل موتها بعد أن يبقروا بطونها ويمزقوا أحشائها، ينظر: سلوة الأنفاس (٢٠٣/١)، معلمة التصوف الإسلامي لعبد العزيز بن عبد الله (٢٤٠/١)، الإجازة الأيوبية (٣٨-٤٠)، تاريخ الجزائر الثقافي (٨١/٤-٨٥)، تاريخ الطريقة الشاذلية وتطورها (٣٩).

مناقب الصوفية، وبالخاصة مناقب ابن عيسى المكناسي[1]، فذكر منها: أنه يقول من قال: أنا عيساوي ولو هزلا دخل الجنة، فقال رجل من الزائرين: أنا عيساوي، ليحصل هذه المزية، فلما خرجوا من عنده مروا بنا في دارنا، فقال بعضهم: إن صاحبك فلانا قال: أنا عيساوي حينما سمع من الشيخ المذكور المنقبة المذكورة، فقلنا له: أنت مسلم أم عيساوي؟ فقال: هذا سؤال مشكل أنا مسلم وعيساوي! فقلنا له: لا يجتمعان؛ لأن الإسلام يحرم الميتة والدم المسفوح، ولم أستحضر الآن المزيد عليها، والطريقة العيساوية تجعل أكلها والتلطخ بالمسفوح وما شاكل ذلك من الكرامات والمستحبات إن لم تكن عندهم من الواجبات، ومن أباح ما علم تحريمه من الشريعة بالضرورة فقد كفر، فقال الرجل: حينئذ أنا مسلم لا عيساوي، وبعد كتبي هذا استحضرت بعض ما يزيد على تلك الكلمات وهو إن الهازل في دينه منافق، والمنافق في الإسلام في الدرك الأسفل من النار، وهؤلاء يجعلونه في بحبوحة الجنة"[2].

فقد حكم عليه بأنه كان من المغفلين؛ لأنه مع اختصاصه بعلم الحديث يدعو لهذه الطريقة، وأهل هذه الطريقة كما قال الشيخ محمد الزمزمي بن محمد بن الصديق: "جهّال، لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا، ولا يهتدون سبيلا! إنما همتهم اللعب والرقص المنافي للإسلام والمروءة، دأبهم أكل الميتة والدم، واللعب بالنار، ويعدون ذلك كرامة ولا يستحون"[3].

ومع ذلك قال محمد بن جعفر الكتاني في ترجمته لشيخ الطريقة العيساوية: "هو شيخ الطائفة العيساوية بالمغرب، وأحد المشايخ العظام الذين يقتدى بهم، ويهتدى بأنوارهم وهديهم، وكان -رضي الله عنه-آية في المحبة والأدب، ... وكانت له-رضي الله عنه-كرامات كثيرة، ثابتة بالتواتر، ومناقب جمّة لا تستقصى"[4].

---

(١) هو: محمد بن عيسى المختاري المكناسي، نشر الطريقة الشاذلية بمدينة مكناس المغربية، وهو شيخ للطريقة العيساوية، توفي بمكناس عام١٠٤١هـ، والعيساوية هي فرع من فروع الطريقة الشاذلية، ينظر: سلوة الأنفاس (٢٠٣/١)، الإجازة الأيوبية (٣٨-٤٠)، معلمة التصوف الإسلامي (٢٤٠/١، ١٠٢/٢)، تاريخ الطريقة الشاذلية وتطورها (٣٩).

(٢) أصفى الموارد (١٦١).

(٣) الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة (١٨).

(٤) سلوة الأنفاس (٢٠٣/١).



مصادر محمد بن جعفر الكتاني ومنهجه في تقرير العقيدة

المبحث الأول

مصادر محمد بن جعفر الكتاني في تلقي العقيدة

وفيه:

- **أولا**: موقفه من مصادر أهل السنة والجماعة.
- **ثانيا**: موقفه من المصادر البدعية.

الفصل الأول: مصادر محمد بن جعفر الكتاني ومنهجه في تقرير العقيدة

المبحث الأول: مصادر محمد بن جعفر الكتاني في تلقي العقيدة

أولا: موقفه من مصادر أهل السنة والجماعة

-موقفه من القرآن الكريم والسنة والنبوية:

عرّف محمد بن جعفر الكتاني القرآن بقوله: "من القرء، الذي هو الجمع"(١)؛ "لكونه جامعا لعلوم الأولين والآخرين"(٢).

وقرر بأن القرآن الكريم: "أجلّ كتاب، وأفضل كلام، وأعذب خطاب"(٣)، قد حفظه الله فلا يقبل الخطأ (٤)، وأنه معجزة النبي-صلى الله عليه وسلم-" التي ليس قبلها ولا بعدها معجزة تساويها، بل ولا تدانيها، فإنها معلومة قطعاً منقولة إلينا بالتواتر"(٥).

ويقرر كون الشرع مبني على القرآن الكريم والسنة النبوية، وأن السنة بيان لما أُجمل من الآيات القرآنية، حيث قال: "شرعنا مبني على الكتاب العزيز، والسنن المروية، وعلى السنن مدار أكثر الأحكام الفقهية؛ لأن أكثر الآيات الفروعية مجملة، وبيانها في السنن، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة النحل: ٤٤]"(٦).

وقال في تقريره لوجوب العمل بالقرآن الكريم:" والدليل على العمل بالكتاب: الكتاب والسنة والإجماع"(٧).

---

(١) جلاء القلوب (١/٢٩٢).

(٢) المرجع السابق (١/٢٨٩).

(٣) سلوة الأنفاس (١/٣).

(٤) ينظر: الرسالة المستطرفة (١، ٢١٩)، عمدة الراوين (٩/٣٧)، حكم التدخين (٢٣).

(٥) نظم المتناثر (٢٠٣).

(٦) الرسالة المستطرفة (٢١٩)، وينظر: جلاء القلوب (٣/٨٩)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٤/ب).

(٧) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٣/ب).

وقرر بأن من أنكر شيئا فيه فقد حُكم عليه كما يقول: "بالكفر والارتداد، لتكذيبه بما أخبر به رب العباد"(١)، وأن النصر والفوز يكون باتباع القرآن الكريم والسنة النبوية، وأن الإعراض عن العمل بهما سبب للذل والهزيمة، حيث قال في أسباب خذلان المسلمين: "إعراضنا عن طريق العمل بالكتاب والسنة، وإهمالنا لما شرعه لنا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وسنّه، واتباعنا لعوائدنا الردية، وأهوائنا الذميمة المردية، جهلا منّا بشؤم ذلك، وما ينشأ عنه من البلايا والمحن والمهالك، وما علمنا أن طاعة الله وطاعة رسوله-صلى الله عليه وسلم- أصل جميع الخيرات، وسبب في نيل كل المبرات، ومخالفة أمرهما أصل كل فتنة ووبال، ومصيبة ومحنة وبلية ونكال، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ۝﴾ [سورة النور:٥٢]، وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [سورة النساء:٦٩]، وقال: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝﴾ [سورة الأعراف:١٥٨]، وقال: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟﴾ [سورة النور:٥٤]، وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۝﴾ [سورة آل عمران:٣١]، وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝﴾ [سورة الأنعام:١٥٣]"(٢).

وقرر وجوب الرد إلى الله ورسوله، حيث قال في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [سورة النساء:٥٩]: "وأجمع المسلمون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حضوره وحياته، وإلى شريعته وسنته في غيبته وبعد وفاته"(٣).

وعرف محمد بن جعفر الكتاني السنة، وقرر وجوب اتباعها، حيث قال:" السنة لغة: الطريقة، وعُرفًا: طريقه -عليه السلام-، وما كان عليه هو وأصحابه، ويشمل ذلك الاعتقادات، والأقوال، والأفعال، والأحوال التي تُضاف إليه، وتنتمي لجنابه -صلى الله عليه وسلم- واتباع سنته -صلى الله عليه وسلم- هو دليل محبة العبد لربه، ومحبة الله تعالى له أيضًا،

(١) نيل المنى وغاية السول (١٣٦).
(٢) نصيحة أهل الإسلام (٢٢٣).
(٣) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٢-١٥).

بدليل: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ﴾ **[سورة آل عمران:٣١]**، فجعل متابعة الرسول آية محبة العبد ربه، وجعل جزاءه على حسن المتابعة محبة الله إياه وغفرانه"(١).

وذكر بأن الإعراض عما شرعه النبي–صلى الله عليه وسلم– أو سنّه هو في الحقيقة إعراض عن كتاب الله عز وجل، وأورد العديد من الأدلة الدالة على ذلك، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ۝٧﴾ **[سورة الحشر:٧]**، وقوله: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٣١﴾ **[سورة آل عمران:٣١]**، وقوله: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْۚ﴾ **[سورة النور:٥٤]**. وقوله: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٦٣﴾ **[سورة النور:٦٣]**، وقوله: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾ **[سورة النجم:٣]**، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ﴾ **[سورة النساء:٨٠]**، وفسرها بقوله: " ﴿فَقَدۡ أَطَاعَ﴾، أي: فطاعته طاعة لله تعالى "(٢).

أما الأحاديث التي استشهد بها على وجوب العمل بالسنة النبوية فكثيرة جدا، منها: قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**))(٣)، وقال: " لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله–صلى الله عليه وسلم–كان حجة بنفسه، ودليلا مستقلا، وإن لم يوجد في الكتاب ما يشهد له بخصوصه، إلا أن يعرض عليه لغرض الفهم، أو الجمع، ونحو ذلك، فهذا لازم، دون عرضه لغرض رده إذا لم يوجد فيه ما يشهد له، فهو غير جائز"(٤).

---

(١) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٣)، وينظر المرجع نفسه (ل ٤٩)، الرسالة المستطرفة (١، ٣، ١٩، ٢١٩) حكم التدخين (١٣، ٢٤)، ختم شمائل الترمذي (ل ١)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٥/ب).

(٢) جلاء القلوب (٣٣/٣)، وينظر المرجع نفسه (٣٥/٣–٣٨)، حاشية على شرح ميارة (ل ٦٥/أ).

(٣) رواد أبو داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤)، والإمام أحمد (٤١٠/٢٨/برقم ١٧١٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥١٦/١/ برقم ٤٤٠٨).

(٤) جلاء القلوب (٨٧/٣).

وقال في تقريره لوجوب العمل بالسنة النبوية:" والدليل على العمل بالسنة: الكتاب والسنة والإجماع"(١).

ويحث محمد بن جعفر الكتاني على الاشتغال بالسنة النبوية، ووجوب اتباعها والعمل بها وترك ما حدث بعد الصدر الأول من البدع والأهواء، والاعتناء بمعرفة صحيح الحديث، وحسنه، وضعيفه(٢)، كما بيّن أن الاستخفاف بالسنة والازدراء لها والتقبيح لشأنها ردّة وكفر(٣).

ويستدل محمد بن جعفر الكتاني بالقرآن الكريم والسنة النبوية في كثير من المسائل العقدية، ويبيّن وجه الدلالة عليها تارة، ويهملها تارة أخرى(٤).

النقد:

تقرير محمد بن جعفر الكتاني في وجوب العمل بالقرآن الكريم والأخذ به تقرير اتفقت عليه جميع الفرق المنتسبة إلى الإسلام، يقول ابن حزم(٥)رحمه الله: «ولا خلاف بين أحد من الفرق المنتمية إلى المسلمين، من أهل السنة، والمعتزلة(٦)، والخوارج(١)، والمرجئة(٢)، والزيدية(٣)، في

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٣/ب).

(٢) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٥) الرسالة المستطرفة (١، ٣٧، ٢١٩).

(٣) ينظر: الدعامة في أحكام سنة العمامة (١٧-١٨).

(٤) ينظر على سبيل المثال: جلاء القلوب (٢٠٦/١، ٦٣/٢، ٢٦٣)، نظم المتناثر (٢٤٢)، الأربعون الكتانية (٥٢، ٥٨)، نصيحة أهل الإسلام (١٠٧-١٠٨)، إرشاد العوام لما به العمل في الصيام (٨٣،٩٢-١٠٨)، حكم التدخين عند الأئمة الأربعة وغيرهم (١٣٥)، سلوة الأنفاس (٦٥/١).

(٥) هو: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي اليزيدي، فقيه محدث متكلم، من مؤلفاته: الفصل في الملل والأهواء والنحل، والمحلى، توفي عام٤٥٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨٤/١٨)، شذرات الذهب (٢٩٩/٣).

(٦) المعتزلة: هي فرقة من أشهر الفرق الكلامية، سمّو بذلك نسبة إلى واصل بن عطاء الذي اعتزل حلقة الحسن البصري، وقال بالمنزلة بين المنزلتين في حكم مرتكب الكبيرة، فسُمّي هو وأتباعه: المعتزلة، وهم فرق متعددة يجمعهم القول بالأصول الخمسة، وهي: التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، المنزلة بين المنزلتين، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهم أكثر الفرق الكلامية في تقديم العقل على النقل، وقد أوصل البغدادي فرق المعتزلة إلى ثنتين وعشرين فرقة يكفر بعضهم بعضا! ينظر: مقالات الإسلاميين (١٥٥)، الفرق بين الفرق (٩٣)، وللاستزادة ينظر: المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها، لعواد المعتق.

وجوب الأخذ بما في القرآن وأنه هو المتلوّ عندنا نفسه، وإنما خالف في ذلك قوم من غلاة الروافض(٤)، هم كفار بذلك، مشركون عند جميع أهل الإسلام»(٥).

فكل الفرق المنتمية للإسلام قررت هذا، ولا خلاف بينهم، وبما أن الاتفاق على وجوب الاخذ به فيجب اتباع كل ما جاء فيه، وتقديمه على غيره، فقد جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما تقدم له بعض أصحابه فقال: أنشدك الله إلا قضيت بيننا بكتاب الله، وقال الآخر: اقض بيننا بكتاب الله، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله**))(٦)، وفي هذا وجوب اتباع أحكام القرآن العظيم واتباع شرائعه، وتنفيذ ما ورد فيه من الأوامر والنواهي.

---

(١) الخوارج هم طائفة من أهل البدع، حذر منهم النبي-صلى الله عليه وسلم- وأمر بقتلهم لمروقهم عن الإسلام، خرجوا على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فقاتلهم، وهم فرق شتى يكفر بعضهم بعضا، ويلعن بعضهم بعضا، يجمعهم القول بالخروج على الإمام الجائر، والإكفار بارتكاب الكبائر، ينظر: مقالات الإسلاميين (٨٦)، الفرق بين الفرق (٥٤) الملل والنحل للشهرستاني (١/١١٤).

(٢) المرجئة: الإرجاء على معنيين: أحدهما: التأخير، كما في قوله تعالى: قال تعالى: {قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِى ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿١١١﴾} [سورة الأعراف:١١١]؛ لأنهم أخروا العمل عن مسمى الإيمان، والثاني: إعطاء الرجاء، حيث قالوا: لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة، فأخرجوا الأعمال عن مسمى الإيمان، والمرجئة أربعة أصناف: مرجئة الخوارج، ومرجئة الجبرية، ومرجئة القدرية، والمرجئة الخالصة، ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/١٣٩)، الفرق بين الفرق (٢٠٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١٠٧).

(٣) الزيدية: هي فرقة من فرق الشيعة، ينتسبون زورا إلى زيد بن علي المتوفى عام١٢٢هـ، ويقولون بإمامته، وبإمامة من اجتمع فيه العلم والزهد والشجاعة من ولد فاطمة، ينظر: مقالات الإسلاميين (٦٥)، الفرق بين الفرق (١٦)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٥٢).

(٤) الرافضة: طائفة من أهل البدع والضال، سموا بذلك لكونهم رفضوا زيد بن علي لما تولى الشيخين، وهم يعرفون اليوم بالشيعة والإمامية، والإثنى عشرية، والجعفرية، وأصولهم أربعة: التوحيد، العدل، النبوة، والإمامة، وقد ستروا تحتها بدعهم، ويغلب عليهم الغلو في أئمتهم، ينظر: مقالات الإسلاميين (٥ وما بعدها)، الملل والنحل للشهرستاني (١٤٥ وما بعدها)، الفرق بين الفرق (٢٢).

(٥) الإحكام في أصول الأحكام (١/٩٦).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: الحدود، باب: هل يأمر الإمام رجلا فيضرب الحد غائبا عنه، رقم (٦٤٦٧، ٦٤٤٠)، ومسلم، كتاب: الحدود، باب: من اعترف على نفسه بالزنى، رقم (١٦٩٧-١٦٩٨)، من رواية أبي هريرة وزيد ابن خالد الجهني رضي الله عنهما.

وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**))(١)، وفي هذا أن النبي–صلى الله عليه وسلم– أوتي الكتاب وحيا يتلى، وأوتي مثله، حيث أذن له أن يبين ما في الكتاب فيعم ويخص وأن يزيد عليه فيشرع ما ليس في الكتاب له ذكر، فيكون ذلك في وجوب الحكم ولزوم العمل به، كالظاهر المتلو من القرآن(٢).

والأدلة في هذه المسألة أكثر من أن تحصر، ولأجل هذه الأدلة كان صحابة رسول الله–صلى الله عليه وسلم– من أشد الناس تمسكا، وتعظيما لكتاب الله وسنة رسوله–صلى الله عليه وسلم–والعمل بهما، فقد جاء عن عائشة–رضي الله عنها–أن أبا بكر–رضي الله عنه– قال:" لست تاركا شيئا كان رسول الله–صلى الله عليه وسلم–يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ"(٣).

يقول ابن بطة(٤)–رحمه الله–:"هذا يا إخواني الصديق الأكبر يتخوف على نفسه الزيغ إن هو خالف شيئا من أمر نبيه –صلى الله عليه وسلم–، فماذا عسى أن يكون من زمان أضحى أهله يستهزئون بنبيهم وبأوامره، ويتباهون بمخالفته، ويسخرون بسنته؟ نسأل الله عصمة من الزلل ونجاة من سوء العمل"(٥).

وقال ابن مسعود–رضي الله عنه–:" إنا نقتدي ولا نبتدي، ونتبع ولا نبتدع، ولن نضل ما تمسكنا بالأثر"(٦)، فهذا منهج أصحاب رسول الله–صلى الله عليه وسلم–، واقتدى بهم السلف الصالح رضوان الله عليهم، وليس لنا بعد هؤلاء إلا السير على نهجهم، بتقديمهما على

(١) رواه أبو داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤)، والإمام أحمد (٤١٠/٢٨/برقم ١٧١٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥١٦/١/ برقم ٤٤٠٨).

(٢) ينظر: معالم السنن، للخطابي (٢٩٨/٤).

(٣) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢٤٦/١).

(٤) هو: عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري المشهور بابن بطة، حنبلي سلفي، من مؤلفاته: الإبانة الكبرى، والإبانة الصغرى، توفي عام ٣٨٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٢٩/١٦)، شذرات الذهب (١٢٢/٣).

(٥) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية (٢٤٦/١).

(٦) أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٢٠/٢، ٣٦٤).

كل شيء وعدم معارضتهما بأي شيء، قال تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء:١١٥].

فالكتاب العزيز وصحيح السنة النبوية هما المصدران الأساسان في تلقي العقيدة الصحيحة، وعلى ذلك جرى السلف الصالح-رضوان الله تعالى عليهم-.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن لا برأيه، ولا ذوقه، ولا معقوله، ولا قياسه، ولا وجده، فإنهم ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدى ودين الحق، وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم، فيه نبأ من قبلهم، وخبر ما بعدهم، وحكم ما بينهم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، هو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، فلا يستطيع أن يزيغه إلى هواه، ولا يحرف به لسانه، ولا يخلق عن كثرة الترداد، فإذا ردد مرة بعد مرة لم يخلق، ولم يمل كغيره من الكلام، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه العلماء، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم، فكان القرآن هو الإمام الذي يقتدى به؛ ولهذا لا يوجد في كلام أحد من السلف أنه عارض القرآن بعقل ورأي وقياس، ولا بذوق ووجد ومكاشفة»(١).

ومحمد بن جعفر الكتاني في الحقيقة مع تقريره لوجوب الأخذ بالكتاب والسنة اعتمد على مصادر صوفية، عارض بها القرآن الكريم والسنة النبوية، وسوّى بينها وبين نصوص الكتاب والسنة بالاستدلال، واعتبرها مصادر من مصادر التلقي عن الله، كما استدل أيضا بالحكايات عن بعض من يدعي الولاية على بعض المسائل اعتقادية، كالقول بالاجتماع بالخضر وغيره من الأنبياء يقظة والأخذ عنهم، وقد قال بعد تقريره لمسألة إحاطة علم النبي-صلى الله عليه وسلم-بأمور الدنيا والآخرة عن الصوفية في مسائل الخلاف: "ومن قواعدهم في مسائل الاشتباه والنزاع والخلاف الرجوع إلى ما يقوله الصوفية والصالحون لما لهم من النورانية

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٢٨-٢٩).

والإنصاف"(١)، إلى أن قال – برأيه –:" وكلام الصوفية في هذه المسألة قد عُلم وقُرر، وبأبسط بيان ذُكر وحُرر، والنصوص الشرعية لا تأباه بل تعضده وتؤيد فحواه، فإليه المصير وعليه التعويل"(٢).

فقدم كلام الصوفية وتقريراتهم، وهذا مخالف للكتاب والسنة وما اتفق عليه سلف الأمة، كما أنه مخالف لما قرره هو نفسه في وجوب الأخذ بالكتاب والسنة، ووجوب الرجوع إليهما في مسائل الاشتباه، حيث قال في قول الله تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ **[سورة النساء:٥٩]**:: "وأجمع المسلمون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتاب الله، والرد إلى الرسول هو الرد إليه في حضوره وحياته، وإلى شريعته وسنته في غيبته وبعد وفاته"(٣).

-موقفه من الاحتجاج بخبر الآحاد في العقائد:

تقريرات محمد بن جعفر الكتاني بوجوب العمل بالسنة النبوية تقريرات عامة قد تدل على أنه يعتمد على السنة في باب الاعتقاد سواء كانت متواترة أو آحادا، إلا أن له تقييد في كون المتواتر هو المعوّل عليه والمحتج به في العقائد عنده دون الآحاد، ومن ذلك قوله في الاستناد بالعقائد:" ذكر بعض المحققين من المتأخرين أن الاستناد في العقائد كلها إلى القرآن أو السنة المتواترة كاف، وأن صاحب ذلك لا يسمى مقلدا، بل يحصل له الخروج من التقليد به"(٤)، فقصر الاستناد بالعقائد على المتواتر دون الآحاد.

كما قال في حكم إيمان المقلد:" والحق أن من كان معه دليل من الكتاب أو السنة المتواترة أو من العقل ليس بمقلد، بل عارف، وإيمانه صحيح ثابت"(٥)، فقصر إيمانه على الإيمان بالكتاب والسنة المتواترة دون الآحاد.

---

(١) جلاء القلوب (٢/١٤١).

(٢) المرجع السابق (٢/١٤٤).

(٣) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٢-١٥).

(٤) الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين من عقائد الإيمان (٢٠٠)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩/أ، ٤٤/ب).

(٥) الكشف والبيان (٢١١-٢١٢).

وقد أورد في باب تسمية الله تعالى سؤالا وهو: فإن قلت: بأن الحديث حديث آحاد، وخبر الآحاد كما يقول: "ظني، والظني لا يُعوَّل عليه في الأصول القطعية الاعتقادية، قلت: التسمية من باب الأمور العلمية لا من الاعتقادية، والعلمية يُكتفى فيها بالظني"(١)، فسلّم القول بأن الآحاد لا يُعوَّل عليه في الأصول القطعية الاعتقادية، مع أن تسمية الله تعالى وصفاته من الأمور الاعتقادية التي تميز فيها أهل السنة والجماعة عن غيرهم.

وقال تحت كتاب: اللباس، في حرمة لبس الذهب والحرير على ذكور أمة محمد-صلى الله عليه وسلم-: "وفي شرح الشفا لعلي القارئ لدى كلام الأصل على من كذب بما اشتهر من أمور أخبر النبي بها وتواتر الخبر عنه بها ما نصه" إذ لو أنكر خبراً متواتراً كفر، بخلاف ما إذا أنكر حديثاً آحاداً فإن أنكره فسق"(٢) "(٣).

مع أنه قال في " نظم المتناثر من الحديث المتواتر" بأن من المتواتر: "إرسال الآحاد إلى النواحي لتبليغ الأحكام"(٤)!!

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج الأشاعرة في ردهم لخبر الواحد في العقائد(٥)، وهذا مخالف لمنهج السلف الصالح، فالسنة عند السلف قرينة للقرآن في الأصول والفروع، وهي مفسرة وموضحة وشارحة، ومخصصة ومقيدة لما جاء في القرآن الكريم، ولذا كان السلف الصالح لا يفرقون بين ما سمي بأخبار آحاد أو متواتر، وإنما عمدتهم في ذلك صحة المروي، فهم عند صحته يؤمنون بذلك كله، ويعملون بظاهرها من غير تأويل لشيء منها، وما ذاك إلا لأن من مقتضى شهادة أن محمدا رسول الله-صلى الله عليه وسلم-طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، فالواجب على كل مسلم أن

---

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٢٦/ ب).

(٢) شرح الشفا للقارئ (٤٢٦/٢).

(٣) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٥٠).

(٤) المرجع السابق (١٦١).

(٥) ينظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني (ص٤٤١)، البرهان في أصول الفقه، للجويني (٣٨٨/١)، المستصفى في علم الأصول، للغزالي (ص١٣٦).

يصدق الرسول-صلى الله عليه وسلم-فيما أخبر به، سواء كان ذلك في الخبر عن الله، أو صفاته، أو عن مخلوقاته، أو ما يتعلق باليوم الآخر وأحواله(١).

وقد جاءت الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية على قبول خبر الواحد متى ما صحّ، فمن القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [سورة الحجرات:٦].

وهذه الآية دليل على الجزم بقبول خبر الواحد الثقة، وأنه لا يحتاج إلى تثبت، ولو كان خبر الواحد الثقة لا يفيد العلم لأمر بالتثبت كما أمر بالتثبت بقبول خبر الفاسق(٢).

وقال عز وجل: ﴿فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ١٢٢﴾ [سورة التوبة:١٢٢]، وفيها وجوب قبول خبر المنذِرين، وهم طائفة والطائفة قد تطلق على الواحد(٣).

والأدلة من السنة كثيرة جدا، فقد اشتهر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه كان يرسل آحاد الصحابة إلى الأمصار لدعوة الناس إلى الإسلام، وتعليمهم شرائعة، منها بعث النبي -صلى الله عليه وسلم- أبا بكر أميرا على الحجاج(٤)، ومعاذا إلى اليمن(٥)، ومصعب بن عمير إلى المدينة(٦)، وغير ذلك(٧).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/٣٥١).

(٢) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/١١١-١١٢)، فتح الباري (١٣/٢٣٤).

(٣) ينظر: الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (٢/٧٠)، مختصر الصواعق المرسلة (٥٥٠)، فتح الباري (١٣/٢٣٤).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: حج أبي بكر بالناس عام تسع، برقم (٤١٠٥)، من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، برقم(١٣٨٩)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام، برقم (١٩)، من حديث ابن عباس.

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: مناقب الأنصار، باب: مقدم النبي وأصحابه المدينة، برقم (٣٧٠٩)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٧) ينظر: العمدة في أصول الفقه، للفراء (٣/٨٦٣-٨٦٤)، الإحكام في أصول الأحكام (١/١٠٩-١١٠)، أخبار الآحاد في الحديث النبوي لابن جبرين (ص١٢١-١٢٦).

فلو لو يكن خبر هؤلاء الآحاد مما تقوم به الحجة، لم يكن في بعثه-صلى الله عليه وسلم-لهم فائدة، ولما أمضى النبي-صلى الله عليه وسلم-أحكامهم وأخبارهم، ولما نفّذ أمورا بمقتضى كلامهم.

وقد قرر الكتاني بعض هذا، حيث قرر بأن من المتواتر: "إرسال الآحاد الى النواحي لتبليغ الأحكام"(١)، لكنه قصر الاحتجاج بالآحاد في الأحكام دون العقائد، مع أن هؤلاء الصحابة إنما بعثوا أولا لدعوة الناس إلى الإسلام والعقيدة الصحيحة، والأحكام تكون تبعا، فقد قال النبي-صلى الله عليه وسلم-لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: ((**ادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوه لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوه لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة في أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم**)) (٢).

وهذا يدل على تناقض تقريراته، حيث قرر بأن من المتواتر إرسال الآحاد، ثم قصر الاحتجاج والعمل به على الأحكام دون العقائد، بلا أي حجة شرعية.

فما قرره في عدم الاحتجاج بالآحاد في العقيدة مخالف للكتاب والسنة، ومخالف لما أجمع عليه أهل العلم، فقد حكى الإجماع على قبول خبر الآحاد في العقائد غير واحد من السلف، يقول الإمام ابن عبد البر(٣) رحمه الله في حكاية الإجماع، عند معرض كلامه عن عمل أهل الفقه والأثر بخبر الواحد: « وكلهم يدين بخبر الواحد العدل في الاعتقادات، ويعادي ويوالي عليها، ويجعلها شرعا ودينا في معتقده، على ذلك جماعة أهل السنة»(٤).

---

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٦١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، رقم (١٣٣١)، واللفظ له، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين، حديث رقم (١٩)، من حديث ابن عباس -رضي الله عنه-.

(٣) هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النميري المالكي، أبو عمر، حافظ المغرب، صاحب التصانيف الشهيرة، منها: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، توفي عام ٤٦٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥٣/١٨)، شذرات الذهب (٣١٤/٣).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لابن عبد البر (٨/١).

وذكر أبو المظفر السمعاني -رحمه الله- أن الأخذ بالآحاد في العقائد هو قول عامة السلف، حيث قال: « إن الخبر إذا صح عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ورواه الثقات والأئمة، وأسندوه خلفهم عن سلفهم إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-وتلقته الأمة بالقبول، فإنه يوجب العلم فيما سبيله العلم، وهذا قول عامة أهل الحديث والمتقنين من القائمين على السنة»(١).

ويقول ابن القيم-رحمه الله-فيمن يفرق بين العقائد والأحكام في الأخذ بأخبار الآحاد:" وهذا التفريق باطل بإجماع الأمة، فإنها لم تزل تحتج بهذه الأحاديث في الخبريات العلميات كما يحتج بها في الطلبيات العمليات، ولا سيما والأحكام العملية تتضمن الخبر عن الله بأنه شرع كذا وأوجبه ورضيه دينا، بشرعه ودينه ... ولم تزل الصحابة، والتابعون، وتابعوهم، وأهل الحديث والسنة يحتجون بهذه الأخبار في مسائل الصفات والقدر والأسماء والأحكام، لم ينقل عن أحد منهم ألبتّة أنه جوز الاحتجاج بها في مسائل الأحكام دون الإخبار عن الله وأسمائه وصفاته"(٢).

بل هذا المنهج الذي نهجه الكتاني من مناهج المتكلمين، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" لهذا كان جمهور أهل العلم من جميع الطوائف على أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول تصديقا له أو عملا به، أنه يوجب العلم، وهذا هو الذي ذكره المصنفون في أصول الفقه من أصحاب أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، إلا فرقة قليلة من المتأخرين اتبعوا في ذلك طائفة من أهل الكلام أنكروا ذلك"(٣).

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢٢٨/٢)، وينظر: مجموع الفتاوى (٣٥١/١٣، ٤٠/١٨)، وينظر: مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، اختصار محمد الموصلي (٥٧٦)، شرح العقيدة الطحاوية (٥٣٩/٢)، نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لابن حجر العسقلاني (٢٠١)، للاستزادة ينظر: أخبار الآحاد في الحديث النبوي، لابن جبرين (٧٧) خبر الواحد وحجيته، لأحمد الشنقيطي (١١٧).

(٢) مختصر الصواعق المرسلة (٥٩٠).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٥١/١٣).

-موقفه من الإجماع:

يعد محمد بن جعفر الكتاني الإجماع المبني على الكتاب والسنة حجة قطعية، ومصدرا من مصادر التلقي، يجب العمل به إذا انعقد، ويرى أن جحد الكتاب والسنة والاجماع الضروري كفر(١)، ومما قرره قوله:" الدليل على العمل بالإجماع: الكتاب والسنة والإجماع"(٢)، وقال في بعض الأحكام أنه ثابت كما يقول: "بالإجماع، وهو من الأدلة الشرعية"(٣).

وقال في بعض الأحكام الفقهية مبينا حكم إنكار الإجماع فيها: "وهذا حرام في الكتاب والسنة والإجماع، وتحريمه معلوم ضرورة، فمن أنكره كان كافرا مرتدًّا"(٤).

ونبه على أن من الأدلة على كون الإجماع حجة قطعية: الأحاديث المتواترة في عصمة الأمة وأنها لا تجتمع على ضلالة وخطأ، حيث قال: " ذكر ابن الهمام(٥) في "التحرير" وغير واحد أنها متواترة معنى، ونص ابن الهمام: "ومن الأدلة السمعية"- أي: على أن الإجماع حجة قطعية- "آحاد تواتر منها مشترك لا تجتمع أمتي على الخطأ، ونحوه كثير" (٦) .

---

(١) ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة وغيرهم (١٧٩، ١٨٣، ١٩٩)، إرشاد العوام (١١٧)، نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٥٢، ١٦١، ١٦٥، ١٦٨، ٢٢١، ٢٤٢)، نصيحة أهل الإسلام (١٠٨، ١٤٨)، الدعامة في أحكام العمامة (٥٣) الإجازة الأيوبية (٣٦)، جلاء القلوب (١/١١٦،١٥٧،٣٣٠، ٢/٢٣٤)، سلوة الأنفاس (١/٥٨)، إرشاد المالك لما يجب عليه من مواساه الهالك (ص٥)، رسالة في أجوبة مسائل فقهية ثلاث (ل ٢)، عمدة الراوين (٩/٣٦، ٣٨، ٣٩)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٤/ب).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٣/ب).

(٣) المرجع السابق (ل ٢٦/ب).

(٤) رسالة في أجوبة مسائل فقهية ثلاث (ل ١).

(٥) هو: محمد بن عبد الواحد الكمال ابن الهمام، من فقهاء الحنفية من مؤلفاته: التحرير في أصول الفقه، فتح القدير شرح الهداية، توفي عام٨٦١هـ، ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين السخاوي (٨/١٢٧) الأعلام (٦/٢٥٥).

(٦) نظم المتناثر (١٦١)، وينظر: التحرير في أصول الفقه لابن الهمام بشرح ابن الحاج (٣/١٠٧-١٠٨).

وقد حكى محمد بن جعفر الكتاني الإجماع على مسائل الاعتقاد، واستدل به على رأيه فيها، وكان استدلاله به تارة مع تحققه[1]، وتارة مع عدمه -كما سيأتي-.

- النقد:

القول بحجية الإجماع « متفق عليه بين عامة المسلمين من الفقهاء، والصوفية، وأهل الحديث، والكلام، وغيرهم في الجملة، وأنكره بعض أهل البدع من المعتزلة والشيعة[2]»[3].

قال الله ﷻ : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء:١١٥]، وفي هذه الآية توعد ربنا ﷻ اتباع غير سبيل المؤمنين، فدل على أن اتباع سبيلهم واجب، ومخالفتهم حرام، ولو كان اتباع غير سبيلهم

---

(١) كنقله الاجماع على رؤية الله-عز وجل- يوم القيامة، وعلى التوسل به -صلى الله عليه وسلم- في عرصاتها، ينظر: نظم المتناثر (٢٣٣، ٢٤٢)، ونقله الإجماع على الإيمان باليوم الآخر، والصراط والميزان، ينظر: ختم البخاري (ل ١٣، ١٥)، حاشية على شرح ميارة (ل ٨٨/ب)، ونقله الاجماع على كفر من نطق بالشهادتين مع الشك بهما، ينظر: الكشف والبيان (٢١٢)، عمدة الراوين (٣٨/٩، ٤٠)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٠/أ)، ونقله الاجماع على أن سر القدر لا يعلمه إلا الله، وعلى عدم الإحاطة بالله عز وجل، وعلى أن الجهل بألوهية الله كفر، ينظر: جلاء القلوب (١١٦/١،٩٥، ١٢٥، ٣٣٠)، ونقله الاجماع على أن النبي-صلى الله عليه وسلم- أفضل الخلق على الإطلاق، ينظر: جلاء القلوب (٢٣٤/٢)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٤/أ)،، ونقله الإجماع على وجود الجن، ونزول عيسى ابن مريم، وخروج الدابة، ويأجوج ومأجوج، ينظر: نظم المتناثر (٢٢١،٢٣٠، ٢٣١)، ونقله الاجماع على أن مصالحة العدو من غير مصلحة لا تجوز، ينظر: نصيحة أهل الإسلام (١٤٨)، ونقله الاجماع على أن الإيمان شرط في قبول العمل، ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٢٥)، ونقله الإجماع على أن الله لا يغفر أن يشرك به، ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٤/ب)، ونقله الإجماع على أن الله خالق كل شيء وافتقار كل شيء إليه، ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٠/ب)، ونقله الإجماع على عدم بعثة النبي-صلى الله عليه وسلم-إلى الملائكة، ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٥/أ)، ونقله الإجماع على أن النبي-صلى الله عليه وسلم- مبعوث للإنس والجن، ينظر: تشنيف المسامع (ل ١٩).

(٢) الشيعة: هم الذين شايعوا عليا-رضي الله عنه- وفضّلوه على أبي بكر وعمر، ومنهم من قال: إنه الإمام بعد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بالنص الجلي والخفي، واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج عنه وعن ولده، وإن خرجت فبظلم أو تقيّة منه أو من أولاده، ويعدون الإمامة أصل من أصول الدين، والقول بعصمة الأئمة، وهم فرق كثيرة جدا، ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (١٤٦/١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٤١/١١).

مباحا لما جمع بينه وبين المحظور وهو مشاقة الرسول -صلى الله عليه وسلم- ويلزم من وجوب اتباع سبيلهم كون إجماعهم حجة معصومة(١).

قال القرطبي(٢) -رحمه الله- في قوله الله ﷻ في هذه الآية ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾: «دليل على صحة القول بالإجماع»(٣).

وقال عز وجل ﷻ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، وفي هذا الآية إخبار من الله ﷻ عن هذه الأمة بأنها وسط، والوسط هو: الخيار العدل(٤)، «فإذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل، فإذا شهدوا أن الله أمر بشيء، فقد أمر به، وإذا شهدوا أن الله نهى عن شيء، فقد نهى عنه، ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء الله في الأرض»(٥).

قال ابن حجر العسقلاني(٦) -رحمه الله-: «والآية التي ترجم بها -أي البخاري- احتج بها أهل الأصول لكون الإجماع حجة؛ لأنهم عدلوا بقوله تعالى: ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾أي: عدولا، ومقتضى ذلك أنهم عصموا من الخطأ فيما أجمعوا عليه قولا وفعلا»(٧)، وقال القرطبي-

---

(١) ينظر: الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي (٢٢٦/١) الإحكام في أصول الأحكام (١٣٠/٤)، مجموع الفتاوى (١٧٨/١٩).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الله القرطبي، أشعري مالكي، من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، التذكرة بأحوال الموتى والآخرة، توفي عام ٦٧١هـ. ينظر: شذرات الذهب (٣٣٥/٥)، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية (٢٨٢/١).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٣٨٦/٥).

(٤) ينظر: لسان العرب، مادة: وسط (٤٢٦/٧).

(٥) مجموع الفتاوى (١٧٧/١٩).

(٦) هو: أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي، شهاب الدين، أبو الفضل، أحد أعلام المحدثين المتأخرين، من مؤلفاته: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، الإصابة في تمييز الصحابة، توفي عام ٨٥٢هـ. ينظر: الضوء اللامع (٣٦/٢)، شذرات الذهب (٢٧٠/٧).

(٧) فتح الباري (٣١٧/١٣).

رحمه الله-: «فيه دليل على صحة الإجماع ووجوب الحكم به؛ لأنهم إذا كانوا عدولا شهدوا على الناس»(١).

والأحاديث التي تدل على حجية الاجماع من السنة كثيرة جدا، منها الأحاديث التي تأمر بلزوم الجماعة وتنهى عن الفرقة كقول النبي -صلى الله عليه وسلم- من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: ((**فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية**))(٢).

قال الإمام الشافعي-رحمه الله- مستدلاً بهذا الحديث على الإجماع: « ومن قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم، ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أمر بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفُرقة، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافة غفلة عن معنى كتابٍ ولا سنةٍ ولا قياس إن شاء الله »(٣).

ومن الأدلة كذلك الأحاديث التي تفيد عصمة هذا الأمة من الاجتماع على الضلالة والخطأ، وقد أشار لها محمد بن جعفر الكتاني، كقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**إن الله أجاركم من ثلاث خلال: ألا يدعو عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا، وألا يظهر أهل الباطل على أهل الحق، وأن لا تجتمعوا على ضلالة**))(٤)، فقد ذكر النبي-صلى الله عليه وسلم- أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة، وهذا دليل على صحة إجماعها إذا وقع، يقول ابن تيمية رحمه الله في بيان أن عصمة هذا الأمة من الوقوع في الضلالة دليل على صحة إجماعها: « وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها، فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة، فلا يمكن لأحدا منهم أن يبدل شيئا

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (١٥٦/٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الفتن، باب: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((سترون بعدي أمورا تنكرونها)) برقم (٦٦٤٦)، للاستزادة ينظر: السنة لابن أبي عاصم (٣٩/١)، باب: ما ذكر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من أمره بلزوم الجماعة وإخباره أن يد الله على الجماعة، وما بعده.

(٣) الرسالة (٤٧٥-٤٧٦).

(٤) رواه أبو داود، كتاب: الفتن، باب: ذكر الفتن ودلائلها، حديث رقم: (٤٢٥٣)، من حديث أبي مالك الأشعري مرفوعا.

من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله، فلا تجتمع الأمة على ضلال»، وذكر أحاديثا منها هذا الحديث، إلى أن قال: «إلى غير ذلك من الدلائل الدالة على صحة الإجماع»(١).

ومع تقرير محمد بن جعفر الكتاني لحجية الإجماع ووجوب العمل به إذا انعقد، حكى بعض الإجماعات التي يكون الإجماع فيها غير منعقد، أو منعقدا على خلافه، كنقله الاجماع على أن النبي-صلى الله عليه وسلم-عالم بالغيب (٢)، ومن تقريراته قوله: "وهذا -يعني العلم بالغيب- واقع له-صلى الله عليه وسلم-بالإجماع"(٣).

ونقله الإجماع على اختصاص إدريس باني فاس بأنه من أهل التصريف، حيث نقل: "انعقد إجماع ذوي البصائر على أنه بفاس، وأنه من أهل التصريف"(٤)، وأيد ما نقله بالقصص عن بعض من يدعي الولاية.

ونقله الإجماع على عصيان المؤمن المقلد، حيث قال: "بتقدير سلامته مما يكفر به، فهو عاص مجمع على عصيانه "(٥).

كما نقل الإجماع على غير وجهه، فاستدل به على ما يراه من نفي تأثير قدرة العبد في الفعل، وقال: "وبالجملة، فالكائنات كلها يستحيل منها الاختراع لشيء عموما، وجميعها مخلوق للمولى جلَّ وعزَّ، ومفتقر إليه ابتداء ودوامًا بلا واسطة، بهذا شهد البرهان العقلي، ودل عليه الكتاب والسنة، وإجماع السلف الصالح"(٦)، فاستدل بالكتاب والسنة والإجماع على عدم قدرة الكائنات على الاختراع والإيجاد، حتى يقرر بهذا الإجماع نفي تأثير قدرة العبد، وهذا حكاية للإجماع على غير وجهه.

وقد نفى الإجماع على أن يكون الله تعالى متصف بصفة الكلام، حيث قال:" فالإجماع

---

(١) منهاج السنة النبوية، لابن تيمية (٦/٣٣٢).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (١/١٥٧، ٣١٢).

(٣) المرجع السابق (١/١٥٧).

(٤) شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٢).

(٥) الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان (٢١٨)، وسيأتي التفصيل برأيه في إيمان المقلد (٣١٤).

(٦) حاشية على شرح ميارة (ل ٥٠/ب).

إنما هو على ثبوته له تعالى، لا على اتصافه به"(١).

كما أنه نفى الإجماع على كون الإيمان والعمل قرينان، حيث قال:" اعلم أن الشيخ أبا طالب المكي في "قوت القلوب" في الباب الثالث والثلاثين منه، زعم أن الإيمان والعمل قرينان لا يصح أحدهما إلا بالآخر، كما لا يصحان ولا يوجدان معًا إلا بنفي ضدهما وهو الكفر، وادَّعى الإجماع على ذلك، واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة البقرة:٢٥]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سورة مريم:٦٠]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ۝٦٩﴾ [سورة الزخرف:٦٩]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [سورة يونس:٦٣]؛ إذ ما ذكر من الآيات يدل على أن العمل وراء الإيمان، أي غيره، وكونه لا نفس الإيمان، وإلا فيكون العمل من المعاد؛ أي: المكرر، وهو نقيض مطلوبه الذي هو إثبات كون العمل من الإيمان، وأنه لا يتم بدونه"(٢).

والسلف الصالح يقوم مذهبهم على أن المعتد بقولهم في الإجماع هم أهل الاعتقاد السليم، الموافق للكتاب والسنة قولا وعملا، أما أهل الاعتقاد المخالف للكتاب والسنة كالأشاعرة فليسوا من العلماء، ولا من أهل السنة، فلا يعتد بأقوالهم (٣)، يقول ابن عبد البر رحمه الله مخرجا أهل البدع والكلام من طبقات العلماء: «أجمع أهل الفقه والآثار من جميع الأمصار أن أهل الكلام أهل بدع وزيغ، ولا يعدون عند الجميع في جميع الأمصار في طبقات العلماء، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه، ويتفاضلون فيه بالإتقان والميز والفهم»(٤).

وقال ابن القطان (٥) رحمه الله مبيّنا أن الإجماع المعتد به هو إجماع أهل العلم لا أهل

---

(١) المرجع السابق (ل ٥٣/أ).

(٢) حاشية على شرح ميارة (ل ٧٩/أ)، وينظر: قوت القلوب (٢/٢١٨).

(٣) ينظر: رسالة السجزي إلى زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للسجزي (ص١٤٦، ٣٤٣)، جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٢/٩٤٢).

(٤) جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر (٢/٩٤٢).

(٥) هو: علي بن محمد بن عبد الملك بن يحيى الفاسي، أبو الحسن، المشهور بابن القطان، من مؤلفاته: النظر في أحكام النظر، رسالة في حديث عاشوراء، توفي عام ٦٢٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/٢٠١)، شذرات الذهب (٥/١٢٨).

البدع: «الإجماع عندنا إجماع أهل العلم، فأما من كان من أهل الأهواء فلا مدخل له فيه»(١).

ومما يشهد على أنه غير معتد بإجماعهم: أن السلف الصالح يصرحون دائما بخروج أهل البدع عن الجماعة، والجماعة هي الإجماع، كما أشار إلى ذلك الإمام الشافعي (٢)، والإمام البخاري(٣)، وغيرهم، والسبب في ذلك أن من معالم منهجهم حين يحكون الإجماع على مسألة من المسائل، يحكونه مجردا عن كل دليل، والإجماع فيه غير متحقق، بل قد يكون الإجماع منعقد على خلافه، وهذا لا يمكن ضبطه، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: « الإجماع الذي ينضبط هو ما كان عليه السلف الصالح؛ إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة»(٤).

وقال رحمه الله عن اجماعات أهل البدع: «فهؤلاء تجد عمدتهم في كثير من الأمور المهمة في الدين إنما هو عما يظنونه من الإجماع، وهم لا يعرفون في ذلك أقوال السلف البتة، أو عرفوا بعضها ولم يعرفوا سائرها، فتارة يحكون الإجماع ولا يعلمون إلا قولهم وقول من ينازعهم من الطوائف المتأخرين، طائفة أو طائفتين أو ثلاث، وتارة عرفوا أقوال بعض السلف.

والأول كثير في مسائل أصول الدين وفروعه، كما تجد كتب أهل الكلام مشحونة بذلك، يحكون إجماعا ونزاعا ولا يعرفون ما قال السلف في ذلك البتة، بل قد يكون قول السلف خارجا عن أقوالهم»(٥).

وقد يكون حكايتهم للإجماع مقرونا بدليل، إلا أن الدليل غير ثابت، بل في « كثير مما يحكونه من هذه الاجتماعات لا يكون معهم فيها نقل لا عن أحد من الصحابة ولا التابعين،

---

(١) البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي (٣/٥١٥).

(٢) ينظر: الرسالة (٤٧٥).

(٣) حيث ترجم في صحيحه بابا بعنوان: [{ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ} وما أمر النبي –صلى الله عليه وسلم– بلزوم الجماعة وهم أهل العلم]، وينظر تعليق نفيس للحافظ ابن حجر على مطابقة ترجمة البخاري لحديث الباب، فتح الباري (١٣/٣١٦).

(٤) العقيدة الواسطية (٣٨)، مجموع الفتاوى (٣/١٥٧).

(٥) مجموع الفتاوى (١٣/٢٥).

ولا عن أحد من أئمة المسلمين، بل ولا عن العلماء المشهورين الذين لهم في الأمة لسان صدق»[1].

أو قد يكون إجماعهم على ألفاظ مجملة، ومصطلحات الحادثة لا مستند لها من الأدلة، ولا يمكن نقلها عن أحد السلف، فضلا عما يوجد فيها من المعاني الباطلة [2].

وهذا ما جرى لمحمد بن جعفر الكتاني، حين حكى الإجماع على مسائل كان الإجماع فيها منعقدا على خلافه، ولم يدل عليها دليل صحيح، كما حكاه على بعض الألفاظ المجملة الحادثة، وسيتم مناقشة هذه المسائل في موضعها من هذا البحث بحول الله تعالى.

موقفه من العقل:

يظهر من تقريرات محمد بن جعفر الكتاني تقديمه للكتاب والسنة على العقل تارة، وتقديمه للعقل على الكتاب والسنة تارة أخرى، ومن تقريراته في تقديم الكتاب والسنة على العقل: أنه نقل تقسيم المتكلمين لمباحث العقيدة إلى عقليات وسمعيات، والعقليات عندهم الأصل فيها العقل، وتشمل أكثر الإلهيات كالتوحيد والنبوات ونحو ذلك، والسمعيات الأصل فيها عندهم النقل، وتشمل أمور الآخرة[3]، ثم لم يوافقهم على هذا التقسيم، بل أورد عليه بعض الاعتراضات[4]، ثم قال: "ولهذا ذكر بعض المحققين من المتأخرين أن الاستناد في العقائد كلها إلى القرآن أو السنة المتواترة كاف"[5].

وفي مواضع أقر هذا التقسيم، حيث قال في مسائل علم الكلام:" وأما مسائله: وهي القضايا التي تثبت فيه بطريق القصد، فمسائله هي: مقاصده التي تثبت فيه بالبراهين العقلية؛

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٩٦/٨).

(٢) للاستزادة ينظر: دعاوى الإجماع عند المتكلمين في أصول الدين، لياسر اليحيى (ص٢٤٥-٢٦٢).

(٣) ينظر: الإرشاد (٣٥٨-٣٦٠)، الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي (ص١٠)، شرح العقيدة الكبرى للسنوسي، ضمن حواشي على شرح الكبرى، لإسماعيل الحامدي (٣٢١).

(٤) ينظر: الكشف والبيان (١٩٧-١٩٨)، حاشية على شرح ميارة (ل ٥٤/أ-٥٤/ب).

(٥) الكشف والبيان (٢٠٠)، وينظر المرجع نفسه (٢١١).

كحدوث الجواهر[1] والأعراض[2]، وإثبات الصانع والصفات، وبالدلائل السمعية؛ كإثبات المعاد والجنة والنار، ونحو ذلك من المطالب"[3].

حتى أنكر الأخذ بمجرد ظواهر نصوص الكتاب والسنة، بدون عرضها على القوانين العقلية، حيث نقل بأن من أصول الكفر: "التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية"[4]، وقال:" والتمسك في أصول العقائد بمجرد الظواهر هو أصل ضلالة الحشوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة"[5]، وعلى هذا فالعقل هو الأصل في العقائد، وعليه تعرض نصوص الكتاب والسنة، فما وافق منها العقل قُبل، وما خالفه أُوّل أو فُوض! وهذا ما نهجه محمد بن جعفر الكتاني.

- **النقد:**

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج الأشاعرة وغيرهم في تقديم العقل على النقل، فمن القواعد المقررة عند أهل السنة والجماعة: وجوب الإيمان بكل ما جاء في كتاب الله وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-، وأن ما علم بصريح العقل لا يتصور أن يعارضه الشرع البتة، بل المنقول الصحيح لا يعارضه معقول صريح قط، فلا يقبلون من أحد قط أن يعارضهما لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه، ولا يوجد أحد من السلف عارض القرآن الكريم أو سنة النبي

---

(١) الجواهر: جمع جوهر، والجوهر في اصطلاح المتكلمين ماله حيز، ويقبل العرض، ينظر: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين (١٠٩)، الإنصاف (١٦).

(٢) الأعراض: جمع عرض، والعرض مما اختلف فيه أهل الكلام، وعامتهم على أنه الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به، ينظر: المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين (١١٠)، التعريفات للجرجاني (١٤٨).

(٣) حاشية على شرح ميارة (ل ١١/ ب)، وينظر المرجع نفسه: (ل ٥٤/أ-٥٤/ب)، الكشف والبيان (١٩٧-١٩٨).

(٤) حاشية على شرح ميارة (ل ٧٠/ أ).

(٥) المرجع السابق (ل ٧٠/ أ).

-صلى الله عليه وسلم- بعقل ورأي وقياس، ولا قال أحد منهم قط: قد تعارض في هذا العقل والنقل، وإنما كانوا يردون التنازع إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم-[(١)].

يقول الإمام الدارمي رحمه الله[(٢)] في المنهج تجاه العقل والرد على من عارض الوحي: «فحين رأينا المعقول اختلف منا ومنكم ومن جميع أهل الأهواء، ولم نقف له على حد بين في كل شيء، رأينا أرشد الوجوه وأهداها أن نرد المعقولات كلها إلى أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وإلى المعقول عند أصحابه المستفيض بين أظهرهم؛ لأن الوحي كان ينزل بين أظهرهم فكانوا أعلم بتأويله منا ومنكم، وكانوا مؤتلفين في أصول الدين لم يفترقوا فيه ولم يظهر فيهم البدع والأهواء الحائدة عن الطريق، فالمعقول عندنا ما وافق هديهم، والمجهول ما خالفهم، ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار» [(٣)]، فقرر رحمه الله أن المعقول هو ما وافق هدي النبي-صلى الله عليه وسلم- وما عليه صحابته، وأن ما خالف هديهم ليس من المعقول، وإنما هو من المجهول.

ويقول ابن عبد البر-رحمه الله-:"واعلم يا أخي أن السنة والقرآن هما أصل الرأي، والعيار عليه، وليس الرأي بالعيار على السنة، بل السنة عيار عليه، ومن جهل الأصل لم يصل الفرع أبدا"[(٤)].

ويقول أبو المظفر السمعاني-رحمه الله-في الفرق بين منهج أهل السنة وأهل البدع: "ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله- صلى الله عليه وسلم - الناس من الدين المستقيم، والصراط القويم، إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث، وأما سائر الفرق فطلبوا الدين لا بطريقه؛ لأنهم رجعوا إلى معقولهم، وخواطرهم، وآراءهم، فطلبوا الدين من قبله، فإذا سمعوا

---

(١) ينظر: التدمرية (ص٦٥) درء تعارض العقل والنقل (١٤٧/١) مجموع الفتاوى (٢٨/١٣-٢٩)، إعلام الموقعين عن رب العالمين (١٤٩/١).

(٢) هو: عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي، أبو سعيد، الإمام الحافظ، من أئمة السلف وأعلامهم، من مؤلفاته: الرد على الجهمية، الرد على بشر المريسي، توفي عام ٢٨٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣١٩/١٣)، طبقات الشافعية الكبرى (٣٠٢/٢).

(٣) الرد على الجهمية (ص١٢٧).

(٤) جامع بيان العلم وفضله (١٧٣/٢).

شيئا من الكتاب والسنة، عرضوه على معيار عقولهم، فإن استقام قبلوه، وإن لم يستقم في ميزان عقولهم ردوه، فإن اضطروا إلى قبوله، حرفوه بالتأويلات البعيدة، والمعاني المستكرهة، فحادوا عن الحق وزاغوا عنه، ونبذوا الدين وراء ظهورهم، وجعلوا السنة تحت أقدامهم -تعالى الله عما يصفون-.

وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم، وطلبوا الدين من قبلهما، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم، عرضوه على الكتاب والسنة فإن وجدوه موافقا لهما قبلوه، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه، وإن وجدوه مخالفا لهم تركوا ما وقع لهم، وأقبلوا على الكتاب والسنة، ورجعوا بالتهمة على أنفسهم، فإن الكتاب والسنة لا يهديان إلا إلى الحق، ورأي الإنسان قد يرى الحق، وقد يرى الباطل"(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « يأخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات، والعبادات، وغير ذلك من: كتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها، وليس ذلك مخالفا للعقل الصريح، فإن ما خالف العقل الصريح فهو باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل، ولكن فيه ألفاظ قد لا يفهمها بعض الناس، أو يفهمون منها معنى باطلا، فالآفة منهم لا من الكتاب والسنة»(٢). فقرر رحمه الله خلوّ الكتاب والسنة والإجماع مما يخالف العقل؛ إذ لو كان فيها ما يخالف العقل فهو باطل، وليس في الكتاب والسنة والإجماع باطل.

وبهذا المنهج المبني على الاعتصام بالكتاب والسنة تتم الموافقة بين العقل الصريح والنقل الصحيح، وبدون ذلك لا يمكن أن يتفق العقل مع وحي الله وشرعه؛ لأن عقول الناس قاصرة ومتفاوتة، ولا سبيل إلى الجمع بينها إلا بالرد إلى وحي الله تعالى.

ومحمد بن جعفر الكتاني قرر ما قرره أهل السنة والجماعة بتقديم النقل على العقل، ثم ناقض ما قرره وخالفهم بموافقته للأشاعرة وغيرهم بتقديم العقل على النقل، حتى عدّ الأخذ بظواهر نصوص الكتاب والسنة من غير عرضها على العقل أصل من أصول الكفر! وقرر بأنه

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/٢٣٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٤٩٠).

أصل ضلال الحشوية-برأيه-، ويعني بهم السلف الصالح وهو تجنّ عليهم، وبناء على ذلك قرر تفويض نصوص الصفات وتأويل بعضها-كما سياتي-، وهذا تناقض واضطراب بيّن.

ولا شك ببطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني بتقديم العقل على النقل والحكم بموجبه عليه؛ لما يلزم على ذلك من فتح باب الزندقة والإلحاد في آيات الله وأسمائه على مصراعيه، بدعوى مخالفتها لصرائح العقول، فمن طرد هذا الأصل الفاسد أدّاه إلى الكفر والنفاق والإلحاد، ومن لم يطرده تناقض وفارق العقل والنقل، وظهر ما في قوله من التفريق بين المتماثلات القاضي ببطلانه وفساده(١)، وهذا ما وقع فيه محمد بن جعفر الكتاني، حيث حكّم العقل في باب الأسماء والصفات وهو غيب، وألغاه في باب التحسين والتقبيح، فلا يرى العقل دالا على حسن شيء أو قبحه، مع أنه مما يُعقل معناه(٢)، وقد أنكر على المعتزلة طردهم هذا الأصل، حيث نقل بأن من أصول الكفر:" التحسين العقلي: وهو كون أفعاله تعالى موقوفة على الأغراض، وهي جلب المصالح ودرء المفاسد"(٣)، بل قال: "والتحسين العقلي هو أصل كفر البراهمة(٤) من الفلاسفة، حتى نفوا النبوة، وهو أصل ضلالة المعتزلة"(٥).

وأول من عارض بين العقل والنقل وقدم المعقول على المنقول هم الجهمية(٦)، ثم انتقل إلى المعتزلة، وتبعهم عليه الأشاعرة، والماتريدية(١) -وخاصة المتأخرون منهم-(٢)، حتى صار

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٢٢/٥، ٣/٦)، الصواعق المرسلة (١٣٥٣/٤).

(٢) ينظر رأيه (ص ٧٨٤).

(٣) حاشية على شرح ميارة (ل ٧٠/أ).

(٤) البراهمة: اسم يُطلق على أفراد الطبقة العليا، والبراهمة عند الهندوس هم صفوة الخلق، وقد ألحقوا بالآلهة؛ لأنهم يعتقدون أن الإله "براهما " خلقهم من فمه، ينظر: الفصل في الملل والنحل (٦٣/١)، الملل والنحل للشهرستاني (٢٤٦/٢)، أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي (٣٧).

(٥) حاشية على شرح ميارة (ل ٧٠/أ).

(٦) الجهمية: طائفة من المبتدعة ينسبون إلى الجهم بن صفوان السمرقندي، أحدثوا في الإسلام بدعا منها: القول بنفي الأسماء والصفات عن الله تعالى، وأن الإيمان هو المعرفة، ولا يزيد ولا ينقص، وأن العبد مجبور على أفعاله ولا قدرة له ولا اختيار، وأن الإيمان المعرفة لا يزيد ولا ينقص، ينظر: مقالات الإسلاميين للأشعري (٢٧٩)، الفرق بين الفرق للبغدادي (١٩٩)، الملل والنحل للشهرستاني (٨٦/١).

تقديم العقل على النقل من منهج أهل البدع، وهو علامة تميز المبتدعة عن أهل السنة والجماعة، يقول العلامة أبو المظفر السمعاني –رحمه الله–: "اعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعا للمعقول، وأما أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الاتباع والعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء صلوات الله عليهم "(٣).

ويقول الشاطبي–رحمه الله–:" ولذلك سمي أهل البدع أهل الأهواء، لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم، واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورا فيها من وراء ذلك"(٤).

وقد يكون الضلال في هذا نتيجة لعدم الضبط والربط بين العقل والنقل، وقد ضبط السلف الصالح منهجهم بقاعدة مهمة وهي: أن يكون النقل صحيحا، والعقل صريحا سالما من الشبهات، وبهذا الضابط نجد عدم تعارض ما عُلم بصريح العقل مع النقل أبدا، وأن نزاع الناس في ذلك إما لعدم صحة النقل، أو لفساد العقل باتباعه للشهوات والهوى، أو لأن العقل قاصر لأنه خُلق لإدراك بعض الموجودات لا كلها، فلا يُقدم على النقل، أو لضعف الدلالة المستنبطة من النقل (٥).

---

(١) الماتريدية: تنتسب هذه الطائفة إلى محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي، وهو من علماء الحنفية، ومذهبهم يوافق مذهب الأشاعرة في كثير من مسائل الاعتقاد، إلا أنهم يخالفونهم في بعض المسائل، كإضافة صفة ثامنة في صفات الله وهي صفة التكوين، وغير ذلك من المسائل التي اختلف فيها المذهبان، وقد جمع هذه الفروق عبد الوهاب السبكي في السيف المشهور، ينظر: التمهيد لقواعد التوحيد، لأبي المعين النسفي (١٦ وما بعدها)، السيف المشهور في عقيدة أبي منصور، لعبد الوهاب السبكي، للاستزادة ينظر: الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشمس الأفغاني.

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة (١٠٧٠/٣).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٣٤٧/١).

(٤) الاعتصام (١٠٢/٣).

(٥) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١٤٧/١–١٤٨)، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم (١١٨٧/٣)، شرح العقيدة الطحاوية (٣٠٢/١)، لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢٧/١)، الدرر السنية في الكتب النجدية (١٥/٣)، الضياء الشارق في الرد على شبهات المارق، لسليمان بن سحمان (٨/٣).

وقد رد أهل العلم على تقديم العقل على النقل وبيّنوا بطلانه، إجمالا وتفصيلا [(١)]، ويكفي في بطلانه كثرة لوازمه فهي تبلغ أكثر من مائة لازم[(٢)].

ثم إن محمد بن جعفر الكتاني مع موافقته للأشاعرة في تقريره بتقديم العقل على النقل، ابتعد عن العقل وألغى دلالته في تقريراته الصوفية، حتى اعتمد مصادر صوفية وكرامات يأباها العقل ويكذبها، بل صرّح بالتسليم لكرامات الأولياء، وإن كان مخالفا للعقل، وقر بأنه أسلم- حسب رأيه-، حيث قال فيما يراه من كرامة لبعض مدعي الولاية: "ومن ذلك أيضا وفيه كرامة له: أنه طلب مرة من امرأة دخلت عليه لتأخذ ماء أن تأتي إليه ليُقبّلها، وذلك بواسطة زوجته، وكانت زوجته تعلم حاله وجذبه، ولا تستطيع مخالفته، فأنفت المرأة المذكورة من ذلك، فحلف لئن لم تفعل لتَرين في خديها ما لا تطيقه، فلم تفعل وخرجت مسرعة، فأكلها خداها، فحكتهما، فاحمرتا وانتفختا، فجاءت إليه تطلب منه أن يفعل ما يُريد، فقال لزوجته: قولي لها تذهب لحالها، لا حاجة لي بها، فذهبت كئيبة، وآل أمرها بعد ذلك إلى أن تمزق خدها حتى بدت منها أسنانها، نسأل الله السلامة والعافية.

وأمور الأولياء خارجة عن مدارك العقول، ومن لم يفهم، فالتسليم له أسلم، لا سيما لمن كان منهم ساقط التكليف، أو كان ممن يغلب عليه الحال"[(٣)].

وهذا هو منهج الصوفية، حيث تمسكوا بالخرافات، وزعموا بأن كل شيء ممكن، وكل شيء يصدق مهما كانت غرابته؛ لأنه لا أحد يرد على مشائخهم، وإن رد أحد فهو محجوب لا يفقه مثل هذه الأمور، وهذا ما قرره محمد بن جعفر الكتاني، ومن ذلك قوله عن كتب ابن عربي: "وقد طُعن في الشيخ-رضي الله عنه-بسبب كتابه هذا وغيره من كتبه كالفتوحات،

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٢٤/٥) وما بعدها، مجموع الفتاوى (٣٣٨/٣) الصواعق المرسلة (١٢٧٧/٤) وما بعدها، شرح العقيدة الطحاوية (٣٠٢/١)، وللاستزادة ينظر: منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة، لجابر إدريس أمير (١٧٧/١).

(٢) ينظر: الصواعق المرسلة (١١٩١/٣).

(٣) سلوة الأنفاس (٢٨٩/٢).

جماعة من علماء الرسوم، ممن لم يفهم مقاصده فيها ولا رموزه وإشاراته، وحمل الكلام على أول احتمالاته"(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- عن المتصوفة مع العقل:" كثير من المتصوفة يذمون العقل ويعيبونه، ويرون أن الأحوال العالية والمقامات الرفيعة لا تحصل إلا مع عدمه، ويقرون من الأمور بما يكذب به صريح العقل، ويمدحون السكر والجنون والولَه وأمورا من المعارف والأحوال التي لا تكون إلا مع زوال العقل والتمييز، كما يصدقون بأمور يعلم بالعقل الصريح بطلانها، ممن لم يعلم صدقه، ...والعقل شرط في معرفة العلوم وكمال وصلاح الأعمال وبه يكمل العلم والعمل، لكنه ليس مستقلا بذلك، بل هو غريزة في النفس وقوة فيها بمنزلة قوة البصر التي في العين، فإن اتصل به نور الإيمان والقرآن كان كنور العين إذا اتصل به نور الشمس والنار، وإن انفرد بنفسه لم يبصر الأمور التي يعجز وحده عن دركها، وإن عزل بالكلية كانت الأقوال والأفعال مع عدمه أمورا حيوانية، قد يكون فيها محبة ووجد وذوق كما قد يحصل للبهيمة، فالأحوال الحاصلة مع عدم العقل ناقصة، والأقوال المخالفة للعقل باطلة، والرسل جاءت بما يعجز العقل عن دركه، لم تأت بما يعلم بالعقل امتناعه"(٢).

وكما قال نعمان خير الدين الألوسي(٣)-رحمه الله- عن الصوفية:" وقد أفسد هؤلاء على الناس دينهم، وصاروا ضحكة لأهل الأديان المنسوخة من اليهود والنصارى، وكذا لأهل النحل والدهرية – نسأل الله تعالى العفو والعافية"(٤).

فمحمد بن جعفر الكتاني قدم العقل على النقل وجعله حاكما عليه تارة، وألغى العقل في تقريراته الصوفية تارة أخرى، وكلاهما باطل.

---

(١) جلاء القلوب (٢٩/١).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣٨/٣-٣٣٩).

(٣) هو: نعمان خير الدين الألوسي، أبو البركات، البغدادي الحنفي السلفي، من مؤلفاته: جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح، توفي عام ١٣١٧هـ، ينظر: الأعلام (٤٢/٨)، أعلام العراق، محمد بهجت الأثري (٥٧).

(٤) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (٥٦٠).

ثانيا: موقفه من المصادر البدعية.

يعتمد محمد بن جعفر الكتاني على مصادر صوفية، أوقعته في الضلال في جملة من المسائل العقدية، وبيان ذلك على ما يلي:

الكشف والذوق والإلهام:

مما قرره محمد بن جعفر الكتاني في اعتماد الكشف الصوفي: أن عدّه نوعا من أنواع الوحي، حيث قال في "جلاء القلوب" :" الوحي من الله لكل على قدر مرتبته: فأما أصحاب المرتبة الأولى: وهم جميع الخلق المحجوبون أصحاب ظاهر الألوهية، فوحي الله إليهم: ما يعطيهم في حال المنام، يكشف لهم عما شاء من أمور الغيب، في وقت ما لا في جميع الأوقات، وأما أصحاب باطن الألوهية: وهم الصديقون والعارفون، فوحيه إليهم: أن كشف لهم أحوال الغيب جهارا، وأشعرهم بما أسر إليهم من أسرار وحقائق الأطوار، وأذاقهم لذة المساررة بتبدي تلك الأسرار والحقائق"(١)، فقرر بأن أصحاب الباطن- برأيه- يوحى إليهم بالكشف عن أحوال الغيب جهارا، حتى بأنهم يعلمون ماذا يكسبون غدا، وبأي أرض يموتون(٢).

كما قرر بأنهم يرون الشيء قبل وجوده- برأيه -، ويرون من كل جهة رؤية إدراك وكشف، وقال: "وما ذاك إلا بما أمدهم الله به من نور مشكاته المفاض عليهم!" (٣).

وقد نقل عن بعض المتصوفة قوله:" لا مرقى لأحد من طلبة العلم الآن فيما نعلم إلى التسلق، أي: التسور إلى معرفة علم واحد منها بفكر وإمعان نظر في كتاب، وإنما طريقنا الكشف الصحيح"(٤).

ومما يؤكد اعتماده على الكشف الصوفي وعده له مصدرا من مصادر التلقي أنه قال في باب الأذكار: "باب الأذكار وخواصها، وما يترتب عليها من الأجور ونحوها توقيفي، لا يقدم عليه إلا بنص صريح، أو كشف صحيح، ولا يجوز فيه القياس بوجه"(١).

---

(١) جلاء القلوب (١٥١/٣)، وينظر المرجع نفسه (١٠٤/١).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (٢١٣/١-٢١٩).

(٣) جلاء القلوب (٢٦٢/١)، وينظر المرجع نفسه (٢٦٥/١).

(٤) جلاء القلوب (١٤/١).

فهو يقرر بأن باب الأذكار توقيفي، إلا أنه يساوي بين النصوص الصريحة والكشف الصوفي في الاستدلال، فأثبت جملة من الأذكار المبتدعة بناء على ما قرره، كتقريره لقول "الحمد لله" ألف مرة بعد كل صلاة، و"يا لطيف!" ستة عشر ألفا وستمائة وإحدى وأربعين مرة، وغير ذلك(٢).

وقال في بعض الأذكار التي وردت فيها أحاديث باطلة، بعد إثباته لبطلانها ووضعها: " فالمعول عليه حينئذ في هذا هو كلام أهل الكشف الذين فراستهم لا تخطئ، وقد كوشفوا بصدق هذا الأثر وعملوا به، وحضوا عليه، وتبعهم الناس على العمل به مشرقا ومغربا علماء وغيرهم، وشاهدوا بركته، ورأوا منامات تدل على صحته"(٣).

فهو وإن كانت الأحاديث موضوعة وباطلة عنده يجعل دليله فيها كلام أهل الكشف، وما قرروه، مع أنه أشار لقول بعضهم في موضع بأنه "قد يختل كشف بعض الأولياء الكبار، ولكن كشفه-عليه السلام-لا يختل أصلا"(٤).

ومما يدل على مساواته بين الكتاب والسنة والكشف في التلقي أنه ذكر عن أكثر من مسألة بأنها ثابتة بالكتاب والسنة، والكشف الصحيح(٥)، كرأيه بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- هو المقصود من الخلق، وأنه أول مخلوق على الإطلاق(٦)، حيث قال: "كما شهدت بذلك الأحاديث والأخبار، والكشف الصحيح"(٧)، وقال: "ذكر بعض أهل الكشف أنه وُلد

---

(١) شفاء الأسقام (٦٣)، وينظر المرجع نفسه (٥٠)، ينظر: جلاء القلوب (٦٣/٢، ١٩٢/٣).

(٢) ينظر: شفاء الأسقام (٥٧، ٦١، ٦٣وغيرها) النبذة اليسيرة النافعة (٣٤-٣٦)، الرحلة السامية (١١٩)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٧/ب)، عمدة الراوين (٣٤/١٠).

(٣) شفاء الأسقام (٥٠)، وينظر: جواب حول الاحتماء بالنصارى (ل ٣)، حاشية على شرح ميارة (ل ٧٨/أ).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٨/أ).

(٥) اليمن والإسعاد (٩٠)، وينظر: جلاء القلوب (٦٣/٢).

(٦) سيأتي ذكر رأيه في هذه المسألة (ص٦٤٦).

(٧) اليمن والإسعاد (٩٠).

قبل مجيئه جزما، قال: وببركة وجوده-صلى الله عليه وسلم-بمكة الفخيمة طرد الله الفيل، عن أهلها كرامة له عظيمة"(١).

كذلك ما قرره في الحكم على معين بجنة أو بنار(٢)، حيث قال: "لا يقطع لأحد معين بجنة أو نار، إلا بنص، أو إجماع، أو كشف حقيقي"(٣).

واستدل على كون النبي-صلى الله عليه وسلم- محل العلم الإلهي والجامع لأصوله كلها بحديث ضعيف ثم قال: "وهذا الخبر وإن كان ناقلوه عند المحدثين غير ثقات، فإن شاهد الحال وهو: الكشف الصحيح، يشهد به"(٤).

كما استدل بالكشف على مسألة إحياء أبوي النبي-صلى الله عليه وسلم-حتى آمنا به، حيث قال: "وقد تأيّد أيضا بالكشف الصحيح الصادر من أهل القلوب الطاهرة والعلم الفسيح، والقائل بأن أبويه -عليه السلام-، أو أحدا من آبائه في النار، عليه من الله ما يستحقه من الطرد عن منازل الصديقين والأبرار، أو هو مخطئ في نظره واجتهاده، ناقص الفكر في مرامه"(٥).

كما قرر عصمة آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- من الذنوب والشرك- برأيه -، وقال: "تعلم من هذا أن الله يتجاوز عنهم في الآخرة، ويدخلهم الجنة كلهم، ولا يدخل واحدا منهم النار، بعد تأدية الحقوق والتبعات التي عليهم، وهذا مذهب أهل الحق قاطبة، لأنهم عاينوه كشفا"(٦)، فجعل دليله فيها الكشف.

---

(١) إسعاف الراغب الشائق (٧٩).

(٢) ينظر رأيه في هذه المسألة: (ص ٨٤٧).

(٣) جلاء القلوب (١٥٣/١).

(٤) المرجع السابق (٦٤/١)، وينظر المرجع نفسه (٢٠٦/١).

(٥) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٢)، وينظر: إسعاف الراغب الشائق (٦٢، ٦٤).

(٦) النبذة اليسيرة النافعة (٥١١-٥١٢)، وينظر المرجع نفسه (٥٠٩).

وقرر بالكشف والذوق عقيدة وحدة الوجود، وأنه لا يكمل أحد في فهم معناها إلا –كما يقول–:" من حصل له الذوق الصحيح والكشف الصريح، وإلا فهي مزلّة الأقدام، إلا من حفظه الملك العلام"(١).

وامتدح غير واحد من مدعي الولاية بأنه من أهل الكشف، ومن ذلك قوله: "كان–رحمه الله–بهلولا متجردا ساقط التكليف، أسمر اللون جدا، لم يتزوج قط، فلم يكن له عقب، وكان من أصحاب الأحوال(٢) وأهل الكشف الصحيح، مقصودا للزيارة في المهمات، وكان يخبر الزائرين له بحوائجهم، وينبئهم عما في ضمائرهم"(٣).

وقد أنكر على ابن التلاميد الشنقيطي–رحمه الله–منهجه وكان قد لقيه في أحد رحلاته، بأنه كان ممن ينفي كشف الأولياء جملة، وأنه ذاكره في شيء من ذلك فلم يرجع!(٤)، حيث قال:" رأيناه ينفي كشف الأولياء جملة، وكذا ينفي أيضا زيارتهم، والتبرك بهم والتوسل، وينفي أيضا الاستغاثة بمخلوق ولو النبي –صلى الله عليه وسلم–، ... وذاكرناه في شيء من ذلك فلم يرجع مما يعتقده أصلاً، وأظنه لا يقبل غيره، ولو أتى بحُجج الدنيا، بل لا يقبل غير ما انطوى عليه ضميره أصلاً "(٥).

وقد عرف الذوق بقوله: "علم وهبي ذوقي لا ينال بتعلم، وإنما يهبه الله لمن يشاء من خلقه، ولا يؤديه من وصل إليه بالعبارة، وإنما يرمز له بالإشارة، وهو تصوف أهل الباطن "(٦).

واستدل به على ما يراه من إحاطة علم النبي –صلى الله عليه وسلم– بما هو كائن، وما يكون من أمر الدنيا، وأحوال الإنس، والجن، والملائكة، وأنه مطلع على كل ذرة من ذرات

---

(١) جلاء القلوب (٨٥/٢).

(٢) الأحوال: جمع حال، وهو ما يعتري بعض المتصوفة أثناء الذكر أو السماع، أو عند ذكر الجنة والنار، أو الثواب والعقاب، من صعق وغشي، وغيبة عقل، ونحو ذلك، والصوفية يعدون الأحوال من أكمل المقامات، ومن أصابته صار عندهم من الأولياء أصحاب الكرامات، ينظر: عوارف المعارف (٢٥٢/٥)، التعرف للكلاباذي (٧٨، ١٢٧).

(٣) سلوة الأنفاس (١١٤/١)، وينظر المرجع نفسه (١٥٥/١، ٢٢٧–٢٢٨، ٣٥٠، ١٢١/٣، ١٤٨).

(٤) ينظر: الرحلة السامية (١٣٤–١٣٥)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٢).

(٥) الرحلة السامية (١٣٤–١٣٥).

(٦) جلاء القلوب (٣٨/١)، وينظر (٤٤/١، ٤٧).

العالم الكوني[١]، فمما قاله في عرض الأدلة التي يراها على ذلك: "منها: ما شهد به الذوق السليم العرفاني، ونور الكشف الإيقاني، من إحاطته علما بذلك، واختلائه لجميع ما يعرض هنالك"[٢]، ونحوه قوله: "وقد تحقق بالذوق والوجدان والدليل القاطع والبرهان أن أسرار الأنبياء والأولياء كلها مطوية في حشو لمحة من مواهب سره، ونقطه من فيض بحره"[٣].

فقرر أن من الأدلة على إحاطة علم النبي-صلى الله عليه وسلم-بما كان وما يكون، دليل الذوق والكشف!

كما استدل بما يقوله أهل الذوق على أن النبي-صلى الله عليه وسلم-له التصرف في خزائن السماوات والأرض، حيث قال:" ومن الصوفية وأهل الذوق من قال: المراد بها الحقائق الإلهية وهي المعبر عنها بالأسماء والصفات، أوتيها النبي-صلى الله عليه وسلم-لقطبيته وخلافته، فالخزائن لله تعالى، والتصرف بها وفيها لخليفته الأعظم-صلى الله عليه وسلم-"[٤].

ونقل عن أهل الذوق: "أنهم كانوا إذا سئلوا عن مسألة دقيقة غامضة أتاهم الجواب من فيض الكريم الوهاب قبل تمام السؤال، فيجيبون من غير روية ولا فكر ولا إشغال بال بجواب سديد، محرر مفيد، فأين الفهم والأوراق من هذه الأذواق، ومن كان معلّمه الحق، واستمداده من حضرة خير الخلق، تضاءلت له الفهوم، وطافت بكعبة قلبه غرائب العلوم، كما جرى ذلك لغير واحد، ممن امتن عليه الكريم الوهاب الواحد"[٥].

ويقول في تعريف الإلهام: "شيء يلقيه الله في قلب من يشاء من خلقه بلا واسطة ملك، ولا إشارته، مقرون بخلق علم ضروري أنه منه تعالى، وقد يكون هذا الإلقاء بواسطة الملك، ...وهو داع إلى العمل، من غير استدلال في آية ولا نظر في حجة، ومن النبي حجة قاطعة مطلقا، ومن العامي ليس بحجة مطلقا، ومن الولي المحفوظ في سائر أحواله الظاهرة والباطنة إذا لم تكن فيه مخالفة لحكم شرعي فيه أقوال، ورجح غير واحد من الصوفية منها أنه حجة في حقه

---

(١) سيأتي ذكر رأيه في هذه المسألة (ص ٦٦١).

(٢) جلاء القلوب (٣٠١/١)، وينظر المرجع نفسه: (٤٣/١، ٩٥، ٢٢٠، ١١١،٣٠٠).

(٣) المرجع السابق (٢٤٩).

(٤) جلاء القلوب (٢٥٥/١).

(٥) جلاء القلوب (٤٤/١)، وينظر المرجع نفسه (٣٢/١).

لا في حق غيره، والأرجح عند العلماء والأصوليين والمتكلمين والفقهاء أنه من غير النبي ليس بحجة مطلقا؛ لكونه لا ثقة بخواطر غير المعصوم"(١).

ومع تقريره بأن الأرجح كونه ليس بحجة، اعتمده مع الكشف، فأقر بأن الأولياء-برأيه-يعلمون الغيب بالكشف والإلهام، ومن تقريراته قوله: "الولي قد يطلع أيضا بإخبار الرسول-صلى الله عليه وسلم- أو غيره من الأنبياء والرسل، أو بإخبار ملك الإلهام أو غيره من الملائكة، أو بإخبار من هو فوقه مرتبة من الأولياء كالخضر، أو بالنظر في اللوح المحفوظ، أو في غيره من الألواح، أو بغير ذلك، مما يعرفه أصحابه، ولا يكاد ينحصر" (٢).

كذلك ما قرره بأن الأولياء لا يجب عليهم التَّعلم، وغيرهم يجب عليه؛ لأن الله ألهمهم العلوم إلهاما (٣)، ومما قاله:" العلم بالعقائد قد يحصل بالضرورة أو بالإلهام بالنسبة لبعض الخواص بدون تعليم ولا نظر"(٤)، فأقر بأن العلم بالعقائد قد يحصل بالإلهام بدون تعليم ولا نظر، مع أنه نبه على هذا فقال: "لكن هذا نادر، فلا يجوز لأحد التعويل عليه في ترك التعلم"(٥)، إلا أنه عول على هذا النادر باعتماد الكشف والإلهام، وأقر ما يزعمه الأولياء من ادعاء الغيب والاطلاع على اللوح المحفوظ، وجعل العلم الحاصل عنهما بلا تعلم أحد أدلته التي اعتمدها.

كما ذكر أن الإلهام علم وهبي، وهو نفث في الروع، ونقل بأنه فيض إلهي لا يخطئ، يختص به الولي والنبي، قد يُستغنى فيه عن الوسائط، حيث ترفع عنه الحُجب، "فيقول الذي

(١) المرجع السابق (١٢٥/٣).

(٢) جلاء القلوب (١٤٨/١)، وينظر المرجع نفسه: (١٥/١-١٦، ١٧٢، ١٩٢، ١٢٤/٣)، سلوة الأنفاس (٢٥٠/٢، ١٢٥/٣).

(٣) ينظر: عمدة الراوين (٤٠/٩).

(٤) الكشف والبيان (٢٤٨).

(٥) الكشف والبيان (٢٤٨)، وينظر: سلوة الأنفاس (١٩/١).

قلّت وسائطه: حدثني قلبي عن ربي، ويقول من استغنى عنها: حدثني ربي، أي: بطريق الإلهام"(١).

ويعبر عنه بالعلم اللدني، وعرفه بقوله:" علم وهبي، أو نقول: لدني، وهو ما يهجم على القلب، ويفيض على الصدر، لا بالدراسة والتعلم، ولا بالنظر في الكتب والتفهم، بل بالاستقامة على قدم المصطفى، والتخلق بأخلاقه الكريمة، وحسن الاقتفاء، ... ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ **[سورة آل عمران:٣١]**، ومن أحبه الله فتح له الباب، وأدخله حضرة الاقتراب، وأجلسه من الأحباب، فرأى الغيب شهادة، وصار له من الكشف عادة"(٢).

وقد قرر بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- يعلم الكتاب والإيمان بالكشف والإلهام قبل أن يوحى إليه، حيث قال في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ **[سورة الشورى:٥٢]**:" وإن كنت تدري ذلك بطريق الكشف والالهام الباطن"(٣).

- النقد:

مصادر التلقي الرئيسة عند الصوفية ترجع إلى ثلاثة مصادر، وهي: الكشف، والذوق والوجد(٤)، وقد اعتمد محمد بن جعفر الكتاني منها: الكشف والذوق، كما اعتمد: الإلهام، والرؤية، والرؤى-كما سيأتي-، وهي من وسائل الكشف، وكل هذه المصادر التي اعتمدها محمد بن جعفر الكتاني مخالفة لما قرره هو نفسه في وجوب الرجوع أولا للقرآن الكريم؛ لكونه المصدر الأول للتشريع والأحكام، وأن الإعراض عنه سبب للذل، ومخالفة لما قرره في وجوب

---

(١) جلاء القلوب (٤٢/١)، وينظر المرجع نفسه (٥٠/١، ١٠٥)، اختصار الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين من عقائد الإيمان للرهوني في عمدة الراوين (٤٠/٩).

(٢) جلاء القلوب (٤٧/١-٤٨).

(٣) المرجع السابق (١٥٨/١).

(٤) ينظر: التعرف على مذهب أهل التصوف، للكلابذي (ص٧٨ وما بعدها)، اللمع في التصوف، لأبي سراج الطوسي (ص٣٧٥ وما بعدها)، المصادر العامة للتلقي عند الصوفية-عرض ونقد-صادق سليم صادق (ص١٨٣)، الأصول المنهجية للطرق الصوفية، سليمان بن صفيه، مجلة الدراسات العقدية، إصدار الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، العدد١٨، (ص٣٥٨).

الاعتماد على السنة النبوية، ثاني أدلة علوم الإسلام، وفي كون النبي-صلى الله عليه وسلم- مفوّض إليه في الأحكام الشرعية، وأن الإعراض عما شرعه النبي-صلى الله عليه وسلم- أو سنّه هو في الحقيقة إعراض عن كتاب الله عز وجل.

وبيان الكشف ما يلي:

الكشف في اللغة هو: رفع الشيء عما يواريه ويغطيه، وكشف الأمر يكشفه كشفا، أي: أظهره(١).

الكشف عند الصوفية هو: الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية، والأمور الحقيقية(٢).

والكشف بهذا المعنى عندهم يشمل الأمور الكونية، والأحكام الشرعية، حيث يدّعون أنهم يتلقون علوما أخرى غير العلوم التي جاء بها الرسول-صلى الله عليه وسلم-مما يجعل الكشف مصدرا يُتكل عليه في معرفة أحكام الدين، ويُستغنى به عن الكتاب والسنة(٣)، كما فعل ذلك الكتاني واستدل به في تقريره لبعض المسائل.

يقول القشيري(٤) عن الصوفية: "قد درج أشياخ الطريق كلهم، على أن أحدا منهم لم يتصور قط الطريق، إلا بعد تبحره في علوم الشريعة، ووصوله إلى مقام الكشف، الذي يستغنى به عن الاستدلال، ...فإن حجج القوم أظهر من حجج غيرهم؛ لتأييدها بالكشف"(١).

---

(١) ينظر مادة (كشف): تهذيب اللغة للأزهري (١٠/١٨)، الصحاح صحاح اللغة وتاج العربية للجوهري، (٤/١٤٢١)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (٥/١٨١)، تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي (٢٤/٣١٢)، القاموس المحيط الفيروز أبادي (٨٤٩).

(٢) ينظر: اللمع في التصوف (ص٤٢٢)، التعريفات للجرجاني (٢٣٧)، إحياء علوم الدين، للغزالي (١/١٠٤)، معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحنفي (٢٤٩).

(٣) ينظر: الصفدية لابن تيمية (٢/٢٣٥).

(٤) هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك، أبو القاسم القشيري النيسابوري، ممن جمع بين الأشعرية والتصوف، صنف كتاب "الرسالة القشيرية" وكتاب " أحكام السماع "، وغيرها، توفي عام ٤٦٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء؛ للذهبي (١٨/٢٠٦)، طبقات الشافعية الكبرى؛ للسبكي (٥/١٥٣)، الإمام القشيري حياته وتصوفه وثقافته، إبراهيم بسيوني.

فقرر بأن الكشف يُستغنى به عن الكتاب والسنة، وأن حجج الصوفية قوية؛ لأنها مؤيدة بالكشف، وهذا ما يؤول إليه الكشف الصوفي، حيث يؤول إلى الاستغناء عن متابعة الرسول-صلى الله عليه وسلم-بما يحصل لهم من الكشف والمعرفة، مما يدل على بطلانه وعدم صحة الاعتماد عليه(٢).

بل قد يصل الأمر عند بعض الصوفية إلى أن يعرض القرآن الكريم والسنة النبوية على الكشف، فإذا خالفها أخذ به وأعرض عن الكتاب والسنة(٣).

إلا أن الكتاني لم يصل إلى هذه الدرجة من الغلو في الاعتماد الكلي المطلق على الكشف الصوفي والإعراض عن الكتاب والسنة تماما، وإنما اعتمد عليه اعتمادا كليا في تقرير بعض الأذكار المبتدعة، وفي القول بإسلام أبوي النبي -صلى الله عليه وسلم-، وعلى كون النبي-صلى الله عليه وسلم- محل العلم الإلهي والجامع لأصوله، فقدم الكشف على الكتاب والسنة في هذه المسائل.

وبسبب هذا الاعتماد على الكشف عند الصوفية، قدموا العلوم الإلهامية على العلوم التعليمية، فلم يكن لهم همة على دراسة العلم وتعلّمه(٤)، بل يرون أن العلم الذي له تعلق بالكتابة والقراءة، هو من شأن العوام دون الخواص؛ لأن علم الخواص لا يمكن تعلمه ولا شرحه، بل هو حالة يعيشها السالك، من أراد أن يصل إليها فعليه أن يأخذ بآداب الطريقة وتعاليمها، حتى يكون أهلا للعلم اللدني(٥)، وتبعهم على ذلك الكتاني في تعريفه للعلم اللدني.

---

(١) الأنور القدسية في معرفة قواعد الصوفية، لعبد الوهاب الشعراني (٦٣/١)، وينظر: التعرف على مذهب أهل التصوف للكلاباذي (ص١٠٠).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٥٣٩/١١).

(٣) ينظر-على سبيل المثال-ما قرره الغزالي في: إحياء علوم الدين (١٠٤/١).

(٤) بل كان بعض الصوفية ينفر الناس من طلب العلم، ينظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم الأصبهاني (٣٦/١٠)، الرسالة القشيرية لعبد الكريم القشيري (٣٥٣/٢، ٤٦٣).

(٥) ينظر: التعرف على مذهب أصل التصوف (٨٧)، إحياء علوم الدين (١٩/٣).

ولا حرج في كون التقوى والمجاهدة من أسباب حصول العلم، لكن الغلط قصر العلم عليها دون تعلم، يقول ابن تيمية -رحمه الله-:"فمن ظن أن الهدى والإيمان يحصل بمجرد طريق العلم، مع عدم العمل به، أو بمجرد العمل والزهد بدون العلم، فقد ضلّ"(١).

لأن حصول المعرفة والعلم، لا بد له من تعلم ومجاهدة في سبيل تحصيله، والعلم لا يسمى علما إلا إذا قام على براهين وأدلة، وكل علم لا يستند إلى دليل، فهو في الحقيقة مجرد دعوى لا دليل عليها، ولا برهان.

وكل من قال هذا العلم لدني من الله، لما لا يُعلم أنه من عند الله، ولا برهان من الله أنه من عنده، فهو كاذب، بل هو علم من لدن الإنسان ومن عنده، منه بدأ وإليه يعود، قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة آل عمران:٧٨] (٢).

وقد امتدح الكتاني غير واحد من مدعي الولاية بأنه من أهل الكشف مع غلبة الأميّة عليه، أو بعدم مخالطته لمن ينتمي للعلم(٣)، ومن ذلك قوله في مدح أحدهم: "بحرا لا يدرك قعره في المعارف الإلهية والأسرار الربانية، والفتح لعويصات المشكلات التي في الكتاب والسنة وكلام القوم من غير تعلم، بل بعلم وهبي، وفيض رباني"(٤).

وقوله: "كان-رحمه الله-صادق الفراسة، كثير الكشف، باهر الخوارق، وبهلولا، ولد كذلك ساقط التكليف متجردا، عزبا لم يتزوج، فلم يكن له عقب، ولم يُعرف له شيخ، وولايته عند أهل فاس قطعية شهيرة، لا يشك فيها أحد، رجالا ونساء، لما شاهدوا من كراماته وتصريفاته، وشهد له الأكابر من أهل الخصوصية من أهل وقته بالولاية، وكان له القبول عند الخلق كافة، والمحبة في قلوبهم، يمشي في الأزقة فيلقى الرجل الذي لم يدخل فاسا قط، فيسميه باسمه واسم أبيه، ويسمي له أمه وزوجته، ويخبره بما خلف في داره، وبما غاب عنه من أموره"(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (١٣/٢٤٦-٢٤٨)، ينظر: منهاج السنة (٥/٤٢٩-٤٣١).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٣/٤٣٢-٤٣٣).

(٣) ينظر: سلوة الأنفاس (١/٢١٦، ٢٣٩، ٢٦١، ٢٧٤، ٣/١٦٠).

(٤) الإجازة الأيوبية (٢٩).

(٥) سلوة الأنفاس (١/٢١٦).

وقال: "كان-رحمه الله-بهلولا تعتريه الأحوال دائما، وينطق بمغيبات، وتظهر عليه المكاشفات، ولا يعرف له شيخ ولا سند"(١).

كذلك ما قرره بأن الأولياء لا يجب عليهم التَّعلم، وغيرهم يجب عليه؛ لأن الله ألهمهم العلوم إلهاما (٢)، بل نقل بأن التمادي على طلب العلم فيه قسوة! وقد قال عبد الحي الكتاني في الرد عليه:" وهل هذا الأصل عن العلم وإنذار للمتمادي عليه بقسوة القلب، وأن مطالعة كتب الزهد والفنا والبغا والوحدة والدوران على المقابر خير للمسلم من طلب علوم الدين والدنيا؟ فهل يوجد حض على الكسل كهذا؟! وهل توجد عبارة أقسى على طالب العلم من هذه؟! وهل يرون مثل هذا في مثل هذا العصر صاحب غيرة على المسلمين والإسلام؟!"(٣)

ويقول عبد العزيز بن محمد القيرواني المالكي(٤) في نقد الصوفية: "وهذه الطائفة أشد ضررا على المسلمين من مردة الشيطان، ...لأنهم أول أصل أصلوه في منهجهم بغض العلماء، والتنفير منهم، ويزعمون أنهم عندهم قطاع الطريق، المحجوبون بعلمهم عن رتبة التحقيق، فمن كانت هذه حالته، سقطت مكانته، وبعدت معالجته، فليس الكلام معه فائدة، والمتكلم معه يضرب حديدا باردا"(٥).

والكشف اللدنّي عند الصوفية ليس لهم دليل عليه إلا أنه كشف، فكيف يكون الدليل هو المدلول عليه؟ والكشف الصحيح في الحقيقة "أن يعرف الحق الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، معاينة لقلبه، ويجرد إرادة القلب له، فيدور معه وجودا وعدما، هذا هو التحقيق الصحيح، وما خالفه فغرور قبيح"(٦).

---

(١) المرجع السابق (١/٢٣٩).

(٢) ينظر: الكشف والبيان (٢٤٨)، عمدة الراوين (٩/٤٠).

(٣) إعلام الحاضر والآت (ل ٣١/ب).

(٤) هو: عبد العزيز بن محمد القيرواني الفاسي المالكي السلفي، كنيته: أبو فارس، له تقييد على المدونة وغيره، توفي عام ٧٥٠هـ، ينظر: جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، أحمد المكناسي (٢/٤٥١)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي (ص٢٦٩)، شجرة النور الزكية (١/٣١٨).

(٥) الفتوى المالكية في أفعال الصوفية، لمحمد القيرواني المالكي (ص١٨).

(٦) مدارج السالكين (٣/٢٢٦).

والعبد إذا جعل إمامه كتاب الله-جل جلاله-، وكان متبعا لسنة النبي-صلى الله عليه وسلم-مقتديا بما كان عليه السلف الصالح من أهل القرون المفضلة ومن تبعهم بإحسان، قد تنكشف له أمور فيعرف حقائقها، إلا أن هذه الحقائق بهذا الكشف موافقة للكتاب والسنة، وليست مصدرا مستقلا للتلقي، فالكشف بهذا المعنى كشف شرعي صحيح [(١)].

وبهذا يتبين بطلان اعتماد محمد بن جعفر الكتاني على الكشف الصوفي، وعده له مصدرا من مصادر التلقي، ويمكن بيان بطلانه بما يلي:

١- أن من طلب الهداية من غير الكتاب والسنة، فإن مصيره الضلال والانحراف، -كما قرر الكتاني ذلك بنفسه واستدل عليه-.

٢- أن الله عز وجل قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [سورة المائدة:٣].، فأخبر نبيه -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين أنه قد أكمل لهم دينهم، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا[(٢)]، فالقول باستمرار التلقي عن الله لا ميزان له في الشرع، وهو يستلزم بأن الدين لم يكمل بعد.

٣-أن الاعتماد على الكشف في التلقي يؤول إلى الاستغناء عن متابعة الرسول-صلى الله عليه وسلم-بما يحصل له من الكشف والمعرفة، مما يدل على بطلانه وعدم صحة الاعتماد عليه[(٣)]، كما أن الصوفية نفسهم في الحقيقة معترفون بوعورة هذا المسلك، وهو ترك التعلم والاقتصار على المجاهدة والتقوى[(٤)].

يقول الإمام أبو إسحاق الشاطبي[(٥)]-رحمه الله- في بيان أن سبب انحراف الصوفية المتأخرين عن المتقدمين بُعدهم عن الكتاب والسنة واعتمادهم على طرقا يرونها صحيحة:" وأنه

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٠٤/١١، ٤٢/٢٠-٤٧، ٣٧٧/٢٤)، مدارج السالكين (٢٢١/٣).

(٢) ينظر: جامع البيان (٥١٨/٩).

(٣) ينظر: تلبيس إبليس، ابن الجوزي، (ص٣٣٠).

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (٢٠/٣).

(٥) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، أبو إسحاق الشاطبي، من أئمة المالكية، فقيه أصولي، من مؤلفاته: الموافقات، والاعتصام، توفي عام ٧٩٠هـ. ينظر: هدية العارفين للبغدادي (١٨/١) الأعلام (٧٥/١)، معجم المؤلفين (٨٨/١).

إنما داخلتها المفاسد، وتطرقت إليها البدع من جهة قوم تأخرت أزمانهم عن عهد ذلك السلف الصالح، وادعوا الدخول فيها من غير سلوك شرعي، ولا فهم لمقاصد أهلها، وتقولوا عليهم ما لم يقولوا به، حتى صارت في هذا الزمان الأخير كأنها شريعة أخرى غير ما أتى بها محمد -صلى الله عليه وسلم-وأعظم من ذلك أنهم يتساهلون في اتباع السنة، ويرون اختراع العبادات طريقا للتعبد صحيحا"(١).

٤- لا دليل على كون الكشف من الأدلة الشرعية التي يعتمد عليها، لا من القرآن ولا من السنة النبوية، ولم ينقل عن أحد من السلف الصالح في تقريره لمسألة من المسائل أنه اعتمد فيها على الكشف(٢).

فالقول بأن الكشف من عند الله، بغير بذل للأسباب وبدون تعلم، ليس بصحيح؛ لأنه لا برهان بأنه من عند الله، ولا دليل لهم على ذلك.

يقول محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي-رحمه الله-(٣):"والأمور الشرعية لا تتلقى بالكشف، ولا بادعاء لقاء النبي-صلى الله عليه وسلم- والتلقي منه بعد وفاته، ولم يعهد من مشايخ السنة أن يدعوا دعوى كهذه، ولو فرض أن أحدا ادعاها لما التفت أحدٌ إليه، ولكان قوله من زائف القول، إذ يفتح باب إفساد الشريعة بالزيادة والنقص لا يمكن سده، ثم الإنكار عليه متعين، والسكوت عنه ضلال، وإقرار على ما فيه هلاك الأمة والملة: قال تعالى: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾**﴾ **[سورة النساء:٦٥]**" (٤).

---

(١) الاعتصام للشاطبي (١/١٥١)، وينظر: الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة، محمد الزمزمي (٨٧).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/٢٨، ٧٣)،

(٣) هو: محمد بن الحسن بن العربي بن محمد الحجوي، الثعالبي الجعفري الفلالي الفاسي، من المالكية السلفية في المغرب، أسندت إليه سفارة المغرب في الجزائر، ولي وزارة العدل ووزارة المعارف في عهد الاحتلال الفرنسي، مما جعل الناس تنفر منه، من مؤلفاته: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، النظام في الإسلام، توفي عام ١٣٧٦هـ، ينظر: الأعلام (٦/٩٦)، الفكر السامي له (١/٩)، التاريخ السياسي للمغرب للفيلالي (٩/٩٨).

(٤) القرآن فوق كل شيء، محمد بن الحسن الثعالبي (ص٤٧-٤٩).

٥-أن الشرع يقضي بأن الكشف ليس مما يصلح الاستناد إليه في الدين، ففي الحديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ((**لم يبق من النبوة إلا المبشرات**))، قالوا: وما المبشرات؟ قال: ((**الرؤيا الصالحة**)) (١)، فهذا الحديث فيه حجة على أنه لم يبق مما يناسب الوحي إلا الرؤيا الصالحة، فدل ذلك على أن الكشف والذوق والوجد والإلهام، كلها دون الرؤيا(٢).

٦-القول بالأخذ عن الله مباشرة بلا دليل ولا برهان أمر لا يقبله العقل والفطرة، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" كشف الأنبياء أعظم وأتم من كشف غيرهم، وخبرهم أصدق من خبر غيرهم، والأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- يخبرون بما تعجز عقول الناس عن معرفته، لا بما يعرف الناس بعقولهم أنه ممتنع، فيخبرون بمجازات العقول، لا بمحالات العقول، ويمتنع أن يكون في أخبار الرسول ما يناقض صريح العقول، ويمتنع أن يتعارض دليلان قطعيان، سواء كانا عقليين أو سمعيين، أو كان أحدهما عقليا والآخر سمعيا، فكيف بمن ادعى كشفا يناقض صريح الشرع والعقل؟ " (٣).

٧-عد الكشف من العلوم الإلهامية التي ترد على القلب بدون تعلم كما قرر الكتاني، وتقديمها على العلوم التعليمية، والتقليل من شأنها، مخالفة صريحة للآيات والأحاديث الصريحة في الحث على العلم، وبيان فضله وفضل أهله، وما أعد الله لهم في الدنيا والآخرة(٤)، وقد قرر فضله الكتاني في مواضع فيُردّ عليه بها(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التعبير، باب: المبشرات، حديث رقم: (٦٥٨٩)، من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-مرفوعا بلفظه.

(٢) ينظر: القائد إلى تصحيح العقائد، عبد الرحمن المعلمي اليماني (ص٨٠).

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١١٦).

(٤) ينظر: أخلاق العلماء للآجري (١/١٨-٤٥)، جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/٦٣)، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، لابن القيم (١/١٣١-٥٣٥).

(٥) ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٩-٢١)، ختم شمائل الترمذي (ل ٥)، الكشف والبيان (٢٤٩).

٨- أن اعتراف الصوفية بخطر الاقتصار على المجاهدة والتقوى، بدون تعلم وبذل للأسباب في سبيل الحصول على العلم، دليل على فساد الاعتماد على الكشف وعده مصدرا من مصادر التلقي.

٩- أن أصول الكشف ومصادره مستقاة من الديانات الأخرى كالرافضة والإمامية الإثنى عشرية، يقول -ابن خلدون رحمه الله-(١):" ثم حدث أيضاً عند المتأخرين من الصوفية الكلام في الكشف، وفيما وراء الحس، وظهر من كثير منهم القول على الإطلاق بالحلول والوحدة، فشاركوا فيها الإمامية والرافضة لقولهم بألوهية الأئمة وحلول الإله فيهم"(٢).

بهذا يتبين بطلان اعتماد محمد بن جعفر الكتاني على الكشف، وعده له مصدرا من مصادر التلقي.

- **الذوق:**

الذوق في اللغة: مصدر من ذاق يذوق ذوقا، وذاق الشيء: أي جربه، واختبر طعمه(٣).

- **الذوق عند الصوفية:** نور يقذفه الله في القلب عند تجليه له، فيفرق به بين الحق والباطل، من غير أن ينقلوا ذلك من كتاب أو غيره(٤).

وقد نهج الكتاني نهج الصوفية باعتماد الذوق الصوفي، حيث يستدلون به في كثير من الأحوال؛ لما يجدونه من آثار ولذة، يرون فيها مصلحة لدينهم، كمن يستدل به على حل

---

(١) هو: عبد الرحمن بن خلدون، أبو زيد، الفيلسوف المؤرخ، من مؤلفاته: تاريخه العبر وديوان المبتدأ والخبر، ومقدمته، توفي عام٨٠٨هـ، ينظر: الضوء اللامع (١٤٧/٤)، الأعلام (٣٣٠/٣).

(٢) مقدمة ابن خلدون (١٧٨).

(٣) ينظر مادة (ذوق): تهذيب اللغة (٢٠٣/٩)، الصحاح (١٤٧٩/٤)، لسان العرب (١١١/١٠)، المعجم الوسيط (٣١٨/١).

(٤) ينظر: معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (١٨١، ٣٢٣)، التعريفات (١٤٤)، معجم مصطلحات الصوفية (١٠٤).

السماع الصوفي؛ لما يذوقه من تهييج للقاء الله[(١)]، وهو مرتبط بالتجلي الإلهي، بل أول مراتب التجلي[(٢)][(٣)].

والذوق الصوفي له معنيان:

الأول: معنى خاص وهو -كما سبق- تجلي الذات الإلهية، والتجلي الذاتي هو أول مراتب التجلي المرتبط بوحدة الوجود عندهم وهو: التي تكون فيها الذات الإلهية مجردة من كل اسم ووصف، فالذات الإلهية في هذه المرتبة مطلقة، بشرط الإطلاق عندهم[(٤)].

وقد تبعهم على ذلك الكتاني عندما قال عن هذه المرتبة: "مرتبة الذات البحت، والهوية الصرفة، والوجود المحض، والوجود المطلق، أي: عن كل قيد حتى عن قيد الإطلاق، فلا وصف ولا نعت، ولا اسم، ولا رسم، وهي مرتبة اعتبار وتعقل إطلاق الذات، في تجليها، أي: تجردها عند التجلي عن جميع القيود، والاعتبارات وسائر النسب والإضافات"[(٥)].

الثاني: معنى عام، وهو: الحالة الوجدانية التي يكون عليها الصوفي، عند معايشته لحال من الأحوال، فيدركها عن تجربة، لا عن تسامع وتخابر [(٦)].

وقد اعتمد محمد بن جعفر الكتاني واستدل بالذوق عند تقريره لبعض المسائل العقدية، كتقريره لمسألة وحدة الوجود، وإحياء أبوي النبي -صلى الله عليه وسلم- حتى آمنا به، وإحاطة علم النبي -صلى الله عليه وسلم- وبعض مدعي الولاية، بما هو كائن، وما يكون من أمر الدنيا، وأحوال الإنس، والجن، والملائكة، -كما سبق- **ويمكن نقده باعتماد الذوق بما يلي**:

---

(١) ينظر: إحياء علوم الدين (١/١٠٤)، المنقذ من الضلال (ص١٨٧)، مجموع الفتاوى (١١/٣٣٥، ٣٣٨)، مدارج السالكين (٣/٤٤٢).

(٢) التجلّي عند الصوفية هو: ما ينكشف للقلوب من الغيوب، ينظر: معجم مصطلحات الصوفية (٤١).

(٣) ينظر: الفتوحات المكية (٢/٥٤٨).

(٤) ينظر: اصطلاحات الصوفية (٩٥-٩٦)، معجم مصطلحات الصوفية (٤٢-٤٣)، جلاء القلوب (٢/٦-٢٢).

(٥) جلاء القلوب (٢/٢٠)، وينظر (٢/٣٨).

(٦) ينظر: عوارف المعارف (٥/٢٥٤)، اللمع في التصوف، لأبي السراج الطوسي (ص٣٢).

١- أن الذوق مبنى على القول بالتجلي الإلهي، وهو كون الذات الإلهية في أول مراتب التجلي ذاتا مطلقة، غير مقيدة بوصف ولا اسم، وهذا التجلي يلزم منه نفي الذات؛ لأن ما لا يقبل الاتصاف بصفة أصلا هو المعدوم(١).

٢- أن هذا القول متناقض؛ فكيف يقال: تجلي الذات، ثم يقال ذاتا مطلقة غير مقيدة بوصف؛ لأنه يلزم من إثبات التجلي إسناد الفعل- الذي هو التجلي- إلى الذات، وهي عندهم منزهة عن ذلك!!

٣- إذا ثبت بطلان التجلي، فما معنى ذوق القلب له؟ إذا كان المقصود أن التجلي يورث على القلب أثرا، فالذوق بهذا المعنى باطل؛ لبطلان التجلي المذكور؛ لأن شهود الله تعالى بالقلب لا يكون لأحد في الدنيا، ومن جوزه إنما جوّزه لنبي-صلى الله عليه وسلم خاصة، فالقلب لا ترتفع عنه جميع الحجب بحيث تشاهد الروح ذات الله(٢).

٤- إذا كان المقصود بالذوق ما يذاق به حقيقة الشيء، فيحكم بصحته، أو بطلانه، أو حسنه، أو قبحه، بحيث يكون الذوق هو المحكّم والمقوّم لحقائق الأشياء، فلا شك ببطلانه، وبطلان الاعتماد عليه، وهذا ما يعنيه المتصوفة بالذوق وهو منشأ الضلال؛ لأن فيه نبذ للنصوص، وتحكيم الأذواق فيها، كما أن أذواق الناس متفاوتة ومختلفة(٣).

٥- إذا كان المقصود بالذوق، ما يحصل للقلب من إدراك ومشاهدات تدل على الحقيقة، وليست هي نفس الحقيقة، بل هي شواهد وأمثلة علمية تابعة للمعتقد، تجلّت على القلب، كمن يشاهد نور جلال الذات، ونور العظمة، لا نور نفس الذات، ولا نور نفس المعظم-جل جلاله-، فهذا معنى صحيح لا إشكال فيه، وهو ثمرة قرب القلب من الله -جل جلاله-، كمن يذوق طعم الإيمان، وحلاوته، فهذا ذوق شرعي يتفاوت الناس فيه(٤).

---

(١) ينظر: الرسالة التدمرية (ص١٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩٧/٢-١٩٨).

(٣) ينظر: هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل (ص٢١).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠٩/٧، ٢١٥/١٠، ٣٣٥)، مدارج السالكين (٨٧/٣، ٢٤٩).

والمنهج الصحيح في الذوق هو عرضه على الوحي، فما وافقه قُبل، وما رده الوحي فهو باطل مردود(١)، يقول الإمام الشاطبي-رحمه الله-:" لم يقم لنا دليل على اتباع أقوال الصوفية وأعمالهم إلا بعد عرضها، وبذلك وصى شيوخهم، وإن كل ما جاء به صاحب الوجد والذوق من الأحوال والعلوم والفهوم، فليعرض على الكتاب والسنة، فإن قبلاه صح، وإلا لم يصح"(٢).

والمسائل التي قررها محمد بن جعفر الكتاني بالذوق مردودة بالكتاب والسنة والاجماع كما سيأتي تفصيله -بإذن الله- في موضعه.

ويقول ابن تيمية-رحمه الله-:" وكل حب وذوق ووجد لا تشهد له هذه الشريعة، فهو من أهواء الذين لا يعلمون، فإن العلم بما يحبه الله إنما هو ما أنزله الله إلى عباده من هداه"(٣).

٦-أنه لو كان تفسير التجلي عندهم بكون جميع الكائنات آيات له-جل جلاله-، شاهدة لما هو مستحق من الأسماء الحسنة والصفات العلى، فهذا معنى صحيح لا مانع منه، إلا أنهم لا يعنون به هذا وإنما يعنون به كونه مرتبة من مراتب وحدة الوجود(٤).

-الإلهام:

الإلهام في اللغة: ما يُلقى في الروع، أو ما يلقيه الله في النفس، من الأمور التي تبعث على الفعل أو الترك(٥).

الإلهام عند الصوفية: ما يقع في القلب من علم، وهو يدعوا إلى العمل، من غير استدلال بآية، ولا نظر في حجة، وهذا عين تعريف الكتاني السابق (١).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٣٩/١١)، مدارج السالكين (٤٩٥/١، ٤٩٦).

(٢) الاعتصام للشاطبي (٣٦٧/١).

(٣) الاستقامة، لابن تيمية (٢٥٣/١).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٠٠/٢).

(٥) ينظر مادة (لهم)، تهذيب اللغة (١٦٩/٦)، الصحاح (٢٠٣٧/٥)، لسان العرب (٥٥٤/١٢)، المعجم الوسيط، (٨٤٢/٢).

والإلهام عند أهل السنة من جملة أصناف الوحي، فالإلهام بالمعنى العام: هو للمؤمنين بحسب إيمانهم، فكل مؤمن ألهمه الله رشده الذي حصل له به الإيمان، وهذا إلهام شرعي.

والإلهام الخاص وهو: التحديث، بمعنى الوحي إلى غير الأنبياء، وهذا الموحى إليه إما أن يكون مكلّفا، كأم موسى عندما أوحى الله لها إلهاما بأن ترضعه، وإما أن يكون غير مكلّف، كالإيحاء إلى النحل بالإلهام ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [سورة النحل:٦٨](٢).

فمن الغلط إنكار الإلهام على الاطلاق، كما أن من الغلط جعله مصدرا مستقلا على الإطلاق؛ لأنه قد يجتهد مجتهد في الأدلة الشرعية، ولم ير فيها ترجيحا، إلا أنه أُلهم رجحان أحدهما، مع حسن قصده واعتماده على الأدلة، فهذا إلهام بالاعتماد على الأدلة الشرعية، وليس بدليل خارجي مستقل، فلا حرج فيه، بل الحرج في الاعتماد على الإلهام وحده بالاستقلال دليل على الأحكام الشرعية(٣).

والإلهام عند الصوفية حجة يعتمدون عليها في التلقي استقلالا، ولا فرق عندهم بين إلهام الأولياء ووحي الأنبياء، وقد ساوى بينهما الكتاني عندما نقل بأن الإلهام يختص به الولي والنبي، وأنه قد يكون من الولي وهو داع إلى العمل من غير استدلال في آية ولا نظر في حجة، حيث ترفع عنه الحُجب، "فيقول الذي قلّت وسائطه: حدثني قلبي عن ربي، ويقول من استغنى عنها حدثني ربي، أي بطريق الإلهام" (٤).

---

(١) ينظر: التعريفات (٥١)، معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني (٢٩٨)، معجم مصطلحات الصوفية (٢٣)، جلاء القلوب (١٢٥/٣).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٤٤/١-٤٥)، فتح الباري (٣٨٩/١٢)، أضواء البيان (٣٢٣-٣٢٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٧٣/١٠-٤٧٧، ٥٢٩/١٧-٥٣٠)، فتح الباري (٣٨٩/١٢).

(٤) جلاء القلوب (٤٢/١).

ونقل عن أبي يزيد البسطامي(١) قوله: "أخذتم علمكم ميتا عن ميت حين جهلتم أنه ربكم، وأخذنا نحن علمنا عن الحي الذي لا يموت بلا واسطة، بل قلبنا يحدثنا عن ربنا، وشتان بين من ينطق عن غيره أو عن فكره، وبين من ينطق عن ربه"! (٢).

فالصوفية عدوا الإلهام نوعا من أنواع الوحي إلا أنهم فرقوا بينهما بفرق وهو: أن النبي يرى المَلَك الذي يحمل الوحي، والولي لا يراه(٣).

وقد أفرد بعض المتصوفة كتبا بثوا فيها ما ادعوه من تلقي العلم عن الله بطريق الإلهام، ومن ذلك الفتوحات المكية لابن عربي، وقد حكى الكتاني قوله فيه: "والله ما كتبت منه حرفا إلا عن إملاء إلهي، وإلقاء رباني، أو نفث روحاني في قلب كياني"(٤).

ومن ينظر في الفتوحات يعلم أنه موضوع على نهج الفلاسفة(٥) والباطنية، وخيالات الصوفية، وفيه الكثير من الضلالات والزندقات.

ويقال في الإلهام ما يقال في الكشف؛ لأن كلاهما علما لدنيّا من لدن العبد، يحصل بلا سبب ولا استدلال، وكما يقول ابن القيم-رحمه الله-:" العلم الحاصل بالشواهد والأدلة هو: العلم الحقيقي، وأما ما يدعى حصوله بغير شاهد ولا دليل فلا وثوق به، وليس بعلم، نعم قد يقوى العلم الحاصل بالشواهد، ويتزايد بحيث يصير المعلوم كالمشهود، والغائب كالمعاين، وعلم اليقين كعين اليقين، فيكون الأمر شعور أولًا، ثم تجويزًا، ثم ظنًا، ثم علمًا، ثم معرفةً، ثم علم يقين، ثم حق يقين، ثم عين يقين، ثم تضمحل كل مرتبة في التي فوقها، بحيث يصير الحكم لها

---

(١) هو: طيفور بن عيسى بن آدم بن شروسان، ولد في بسطام من أصل مجوسي، نسبت إليه أقوال شنيعة في التصوف، لم يعرف عنه تأليف، توفي عام٢٦١هـ، ينظر: طبقات الصوفية، للسلمي (٦٧/١)، البداية والنهاية (٥٥٦/١٤)، وفيات الأعيان (٥٣١/٢).

(٢) جلاء القلوب (٥٠/١)، وينظر: اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، عبد الوهاب الشعراني (٣٨/١)، الطبقات الكبرى، المسماه بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، لعبد الوهاب الشعراني (٣٧٦).

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين (١٩/٣).

(٤) جلاء القلوب (٣٠/١)، الفتوحات المكية، لابن عربي (٤٥٦/٣).

(٥) الفلاسفة: هم طائفة ينتسبون إلى الفلسفة، وهي كلمة يونانية مركبة من كلمتين (فيلا)، أي: محب، و(سوفيا) أي: حكمة، ومعناها: محب الحكمة، ومن آرائهم: القول بقدم العالم، وإنكار البعث الجسماني، ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (٥٧/٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٩١).

دونها فهذا حق، وأما دعوى وقوع نوع من العلم بغير سبب من الاستدلال فليس بصحيح؛ فإن الله سبحانه ربط التعريفات بأسبابها، كما ربط الكائنات بأسبابها، ولا يحصل لبشر علم إلا بدليل يدله عليه"(١).

فالاعتماد على الإلهام اعتماد باطل من وجوه:

١-أنه لا طريق تعرف بها أوامر الله ونواهيه، وما يتقرب إليه به من فعل وترك إلا عن طريق الوحي، فمن ادعى أنه غني في الوصول إلى ما يرضي ربه عن الرسل، فقد ابتدع بدعة مخالفة لما كان عليه الصحابة والسلف الصالح(٢).

٢-عدم الدليل على صحة الاستدلال به على الاستقلال، وعدم الدليل على مخاطبة الملائكة للأولياء من جنس مخاطبتهم الأنبياء، إذ لم يدَّع أحد من السلف الصالح مجيء الملائكة بالوحي إليه، وأخذ الأحكام الشرعية منه(٣).

٣-عدم عصمة الأولياء، وغير المعصوم لا ثقة به؛ لأنه لا يأمن دسيسة الشيطان عليه، وقد ضمنت الهداية في اتباع الشرع، ولم تضمن في اتباع الإلهامات(٤).

يقول محمد الأمين الشنقيطي(٥):" المقرر في الأصول أن الإلهام من الأولياء لا يجوز الاستدلال به على شيء؛ لعدم العصمة، وعدم الدليل على الاستدلال به، بل لوجود الدليل على عدم جواز الاستدلال به"(٦).

---

(١) مدارج السالكين (٤٣١/٣-٤٣٢).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٩٥/٣-٢٩٦)، أضواء البيان (٣٢٤/٣).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧٤/١٣).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢٦/٢)، إرشاد الفحول (٢٠١/٢).

(٥) هو: محمد الأمين بن المختار الجكني الشنقيطي، سلفي المعتقد، متفقه في علوم عدة، من مؤلفاته: أضواء البيان، منع جواز المجاز، توفي عام ١٣٩٣هـ. ينظر: ترجمة تلميذه عطية سالم له في أوائل أضواء البيان (١٩/١)، علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله البسام (٣٧١/٦-٣٧٨)، الأعلام (٤٥/٦).

(٦) أضواء البيان (٣٢٣/٣).

٤- أن الإلهام موجب لردّ الوحي، وتبديل الشرع، وتقرير أحكام مستقلة، بدعوى التلقي عن الله مباشرة(١).

٥- أن التسوية بين الإلهام والوحي، يلزم منه كون الأولياء أنبياء، ويلزم منه بقاء النبوة وعدم انقطاعها، وهذا كفر مخالف لدين الإسلام(٢).

٦-دعواه اطلاع الأولياء على اللوح المحفوظ كذب محض واضح؛ لأنه" ليس لأحد إطلاع على اللوح، إلا الله"(٣).

٧- أنهم لما ظنوا أن هذا يحصل لهم من الله بلا واسطة، صاروا عند الله أعظم من أتْباع الرسل، "يقول أحدهم: فلان عطيته على يد محمد، وأنا عطيتي من الله بلا واسطة، ويقول أيضا: فلان يأخذ عن الكتاب، وهذا الشيخ يأخذ عن الله"(٤).

٨- أن "ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: حدثني قلبي عن ربي، فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عمن؟ عن شيطانه، أو عن ربه؟ فإذا قال: حدثني قلبي عن ربي، كان مسندا الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب"(٥).

٩- أنه قد وردت عبارات عن بعض الصوفية في رد الكشف والإلهام، إذا كان مخالفا للكتاب والسنة، ولو كان مصدرا ثابتا مستقلا لما خالف الكتاب والسنة، ولما اختلف في حجيته أحد، ومن العبارات في رد الكشف والإلهام قول الشاذلي(٦): " إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك: إن الله تعالى قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام، ولا المشاهدة، مع أنهم أجمعوا

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤١٣/١٠، ٧٤/١٣)، مدارج السالكين (٤٠/١).

(٢) ينظر: وكل بدعة ضلالة، محمد المنتصر الريسوني (١٤٨).

(٣) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية (ص٢٦٢)، وينظر: مجموع الفتاوى (٨٢/٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٤١٤/١٠).

(٥) مدارج السالكين (٤٠/١).

(٦) هو: علي بن عبد الله بن عبد الجبار المغربي الشاذلي، الضرير، شيخ الطريقة الشاذلية، له مؤلفات في التصوف وفروع الفقه المالكي، توفي عام٦٥٦هـ، ينظر: العبر في خبر من غبر، للذهبي (٢٨٢/٣)، شذرات الذهب (٤٨٢/٧)، الأعلام (٣٠٥/٤).

على أنه لا ينبغي العمل بالكشف، ولا الإلهام، ولا المشاهدة إلا بعد عرضه على الكتاب والسنة"(١).

الوجد والتواجد:

حكى الكتاني عن غير واحد من مدعي الولاية بأنه كان يتواجد عند الذكر والسماع، ويغلبه الوجد والرقص (٢)، ومن ذلك قوله في بعض مدعي الولاية:" وكان هو-رحمه الله-كثير التواجد عند الذكر، وإذا تواجد يظهر ذلك عليه، ويسري حاله في جُلّ أصحابه، كل واحد على قدر محبته وذوقه، ...وكان يغلب عليه في بعض الأوقات حال الغنى بالله، فينطلق لسانه بالدعوى من غير احتشام، فيدعي بحق عن حق في حق، ويصرح لنفسه بالتصريف التام"(٣)، فأقره على ادعائه للوجد حتى نطق بالحلول، وادعى التصرف في الكون.

وقال عن بعض مدعي الولاية: "يهتز عند سماع الألحان وآلات الطرب، لاعتدال مزاجه، وقوام طبعه"(٤)، بل قرر مشروعية الرقص واستدل بما يراه أدلة على ذلك، سياتي بيانها والرد عليه فيها إن شاء الله (٥).

-النقد:

الوجد في اللغة: يقال وجَد المطلوب، ويجده وِجدا، ووجودا، ووجدانا، وإيجادنا، أي أدركه(٦).

---

(١) الطبقات الكبرى (٤/٢).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (٤٣/١، ٨٣)، سلوة الأنفاس (١٠٥/١، ٣٨٧، ٣٣٩، ٢/ ٩، ٢٠١، ٢٢١، ٦٧، ٧٢،٣٢١، ٤٠٣، ١٤٨/٣).

(٣) سلوة الأنفاس (١٠٥/١)، وينظر المرجع نفسه (٩/٢، ٦٧).

(٤) سلوة الأنفاس (١٦٣/٢).

(٥) ينظر في الأدلة التي استدل بها على مشروعية الرقص والرد عليه (ص ٨٧٧).

(٦) ينظر مادة (وجد): الصحاح (٥٤٧/٢)، لسان العرب (٤٤٥/٣)، القاموس المحيط (٤١٣)، المعجم الوسيط (١٠١٣/٢).

الوُجد عند الصوفية: عرفه الجرجاني بأنه:" ما يصادف القلب ويرد عليه بلا تكلف وتصنع"(١)، وقيل هو: "مكاشفات من الحق"(٢)، فالوجد عندهم سبب لانكشاف الأمور الغيبية، ويعدونه من مصادر التلقي، ويبنون عليه اعتقاداتهم وسلوكياتهم.

وقد اضطربت أقوالهم في تحديد مفهوم الوجد(٣)، وبين الغزالي(٤) ملخص مفهومه بعد ذكره لأقوالهم، وقرر بأنه حالة يثمرها السماع، يجدها المستمع في نفسه، ولا تخلو من أمرين: إما ترجع إلى المكاشفات من قبيل العلوم، أو ليست من العلوم كالشوق(٥) والحزن، يهيجها السماع ويقويها، قد يظهر ما في باطنه على ظاهره، وقد لا يظهر(٦).

وقد حكى الكتاني عن غير واحد من الأولياء أنه يتواجد عند السماع، حتى ينطق بالحلول ويدعي التصرف في الكون!

والتواجد هو: استدعاء الوجد، وهو ظهور ما يجد في باطنه على ظاهره، والغرض منه تحصيل صفاء القلوب وحصول المكاشفات كما يزعمون(٧)، وأقرهم عليه الكتاني.

---

(١) التعريفات (٣٢٣).

(٢) ينظر: اللمع في التصوف (٣٠١)، إحياء علوم الدين (٢/٢٩٢).

(٣) التعرف على مذهب أهل التصوف للكلابذي (ص٨٢)، اللمع في التصوف (ص٣٧٥)، معجم اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٣١٧)، معجم مصطلحات الصوفية (٢٦٤).

(٤) هو: محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المشهور بأبي حامد الغزالي، من كبار صوفية الأشاعرة وأئمتهم، من مؤلفاته: إحياء علوم الدين، الاقتصاد في الاعتقاد. توفي عام ٥٠٥هـ. نظر: سير أعلام النبلاء (٣٢٢/١٩)، شذرات الذهب (٤/١٠).

(٥) الشوق: هيجان القلب عند ذكر المحبوب، والفرق بينه وبين الاشتياق أن الشوق يسكن باللقاء، والاشتياق لا يزول باللقاء بل يزيد ويتضاعف، ينظر: الرسالة القشيرية (٢/٤٩٦)، معجم مصطلحات الصوفية (١٤٢)، وقد عرفه الكتاني وفرق بينه وبين الاشتياق بنفس هذا، ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٩٢).

(٦) ينظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٩٣).

(٧) ينظر: الرسالة القشيرية (١/١٦١)، التعرف (٨٢).

وقد يطلق لفظ التواجد على الأثر الذي يحدثه السماع من حركة، واضطراب، ورقص[١]، وهذا ما يظهر من كلام محمد بن جعفر الكتاني في حكايته عن بعض الأولياء أنه يتواجد، ويغلبه الوجد.

وقد اختلف الصوفية في المتواجد هل يسلم له حاله أو لا؟ والأغلب يرون أن تركه أولى[٢].

وقد أثبت محمد بن جعفر الكتاني التواجد والرقص وهما وسيلة للوجد، وامتدح غير واحد من الصوفية بحبه للسماع وآلة الطرب، والرقص والتصفيق[٣]، وإقرار محمد بن جعفر الكتاني للوجد والتواجد والرقص إقرار باطل، من وجوه:

– أن السلف الصالح لم يعارضوا القرآن والسنة بكشف ولا ذوق، ولا وجد، وإنما كان القرآن الكريم هو الإمام الذي يقتدى به، وبما أن التواجد وسيلة إلى الوجد، فحكمه حكمه[٤].

يقول الطرطوشي[٥]–رحمه الله–:" وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامري، لما اتخذ لهم عجلا جسدا له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون، فهو دين الكفار وعباد العجل"[٦]، فالرقص والتواجد ليس من الإسلام في شيء.

وقال الشيخ محمد المنتصر الريسوني[١]–رحمه الله–: "وليس من شك عندنا أن حركة التصوف حركة دخيلة على الإسلام، أسهم في وجودها الفكر اليهودي والمسيحي والفارسي

---

(١) ينظر: اللمع (٣٧٢)، إحياء علوم الدين (٢/٢٩٠).

(٢) ينظر: الرسالة القشيرية (١/١٦١)، آداب المريدين، للسهروردي (٥٦)، إحياء علوم الدين (٢/٢٧٢٠)، الفتوحات المكية (٢/٥٣٦).

(٣) ينظر: سلوة الأنفاس (١/٢٥٨، ٢٤٦، ٢٨٨، ٣٦٤، ٤٤٠، ٤٢٣، ٢/٣٢١، ٤٠٣)، الرحلة السامية (١٨٨)،

(٤) ينظر: الاستقامة (١/٢٤٨–٢٥٦)، مجموع الفتاوى (١٣/٢٨، ٧٣).

(٥) هو: محمد بن الوليد بن محمد القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي، يكنى بأبي بكر، أديب من فقهاء المالكية الحفاظ، من مؤلفاته: سراج الملوك، بر الوالدين، توفي ٥٢٠هـ، ينظر: وفيات الأعيان (٤/٢٦٢)، سير أعلام النبلاء (١٩/٤٥٦).

(٦) تفسير القرطبي (١٠/٣٦٦).

والهندي، وليس أدل على ذلك من وجود ما يدعى عندهم بالرقص، الذي يرجع تاريخه إلى عهد بني إسرائيل، الذين اتخذوا العجل الذهبي إلها يعبدونه بالرقص حوله"(٢).

- اختلاف الصوفية في المتواجد هل يسلم حاله أو لا؟ دليل على بطلان التواجد، وأنه لا أصل له -وهو اعتراف ضمني منهم بعدم تحقق مناط التكليف عنده-، ولم يعرف عن أحد من السلف أنه كان يتواجد ويرقص!! (٣)

- إقرار الكتاني للوجد، ترتب عليه إقراره بما يحصل للمتواجد من المكاشفات أثناء الوجد كدعوى الحلول ومعرفة الغيوب(٤)، وهذا إقرار باطل.

الرؤية اليقظية والرؤيا في المنام:

يرى محمد بن جعفر الكتاني إمكان الاجتماع بالنبي-صلى الله عليه وسلم- وغيره من الأنبياء والملائكة يقظة ومناما، والتلقي عنهم، وامتدح كثيرا من الأولياء بالاجتماع بالنبي-صلى الله عليه وسلم- والخضر-عليه السلام- ومشاهدته والأخذ عنه يقظة ومناما(٥)، حتى أخبروا بكثير من المغيبات(٦).

---

(١) هو: محمد المنتصر بن أحمد الريسوني، أحد أعلام السلفية المعاصرة بالمغرب، نال دبلوم اللغة والأدب، شارك في لقاءات أدبية وإسلامية، من مؤلفاته: وكل بدعة ضالة، وانهارت الطرقية، توفي عام ١٤٢١هـ، ينظر: معجم الأدباء الإسلاميين، أحمد الجدع (١١٤١/٣) من الشعر الإسلامي الحديث (١٩٣)، وترجمة ابنه قطب في مقدمة: وكل بدعة ضلالة (٢٤-٢٨).

(٢) وكل بدعة ضلالة (ص٣٩).

(٣) ينظر: النهي عن الرقص والسماع، لأبي القاسم الدمشقي (٤٧٠/٢، ٥٤٦).

(٤) ينظر: سلوة الأنفاس (٦٧/٢، ١٧٠).

(٥) ينظر: جلاء القلوب (٢٤/١، ١٤٨، ٢٧٧/٣)، سلوة الأنفاس (١٨٣/١، ١١٤، ٣٨١، ٧٢/٢، ١٩٢، ٢٠٠، ٢٠٨، ٧١/٣، ٧٥، ١٦٠، ١٥٨، ٢٤١،١٦٦، ٢٦١، ٣٥٤، ٤٧٢)، الإجازة الأيوبية (٢٩، ٥١)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٧، ٢٨٥)، حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٦)، رسالة المسلسلات (٥٩-٦٠)، الرحلة السامية (٢٧٧)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٦، ل ٩، ل ٢١)، اليمن والإسعاد (١٢٥).

(٦) ينظر: جلاء القلوب (١٠٤/١، ١٤٨، ٣٠٢)، النبذة اليسيرة النافعة (١٧٩، ١٨٩)، سلوة الأنفاس (٤٠٠/١، ٢/ ١٨،٦٧،١١٩، ١٧٠،٢٢١، ٤٨٣/٣)، الإجازة الأيوبية (٣١).

ففي ذكره لفوائد الصلاة عليه-صلى الله عليه وسلم- قال بأن من فوائدها: "أنها تثمر لمن أكثر منها رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم-والاجتماع به في اليقظة والمنام، وأنها تبلغ درجة القرب منه حتى يصير يشاهده متى شاء، ويسأله ويجيبه عما شاء"(١)، فقرر سؤال النبي-صلى الله عليه وسلم-والتلقي عنه.

وقال عن بعض مدعي الولاية: "كان مستغرق الأوقات في رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم-يقظة ومناما، حتى كان يقول: مهما خطر ببالي رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وجدته هو وأصحابه العشرة الكرام البررة حاضرين بين يدي حسا لا معنى، ونتكلم معهم، ونأخذ العلم والعمل من عين العلم والعمل -صلى الله عليه وسلم-"(٢)، فأقر الأخذ عن النبي-صلى الله عليه وسلم-.

وفي عده لفوائد ذكر أسماء النبي -صلى الله عليه وسلم- وعدّها وسردها-كما يرى- قرر رؤيته-صلى الله عليه وسلم-المنامية واليقظية، حيث يقول:" منها: تشخصه -صلى الله عليه وسلم- وتعينه واستحضاره في ذهن الذاكر، وبذلك تحصل رؤيته المنامية أو اليقظية لمن كمل استحضاره له، وتم تعلقه به، وارتباط روحه بروحه"(٣).

وقال تقريرا: "الولي قد يطلع أيضا بإخبار الرسول-صلى الله عليه وسلم- أو غيره من الأنبياء والرسل، أو بإخبار ملك الإلهام أو غيره من الملائكة، أو بإخبار من هو فوقه مرتبة من الأولياء كالخضر، أو بالنظر في اللوح المحفوظ، أو في غيره من الألواح، أو بغير ذلك، مما يعرفه أصحابه، ولا يكاد ينحصر" (٤).

وقال في تقرير الاجتماع بالنبي-صلى الله عليه وسلم-يقظة ومناما والأخذ عنه في معرض تحريمه للدخان: "ووجدنا أيضا بعض الأولياء الواصلين، والأصفياء الكاملين المجتمعين به

---

(١) اليمن والإسعاد (١٢٥).

(٢) سلوة الأنفاس (٤١٠/١)، وينظر المرجع نفسه (٢٨٠/١، ١٨/٢)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٩٢)، جلاء القلوب (١٤٨/١، ١٧٢).

(٣) ختم الموطأ (ل ١٢)، شرح على دلائل الخيرات (ل ١٢، ل ١٦).

(٤) جلاء القلوب (١٤٨/١)، وينظر المرجع نفسه: (١٥/١-١٦، ١٧٢، ١٩٢، ١٢٤/٣)، سلوة الأنفاس (٢٥٠/٢، ١٢٥/٣).

-صلى الله عليه وسلم-في اليقظة والمنام، ذكر أنه سأل الرسول الأعظم-صلى الله عليه وسلم- عنها، فأجاب بقوله: هي حرام، هي حرام، هي حرام، بالتوكيد المنفر عنها"(١).

وقال عن هذه الرؤية:" أما من يرى النبي -صلى الله عليه وسلم- ونحوه من الأولياء يقظة، ففي التحقيق أنه يرى شخصه الشريف لا مثاله، قال السيوطي(٢) -رحمه الله- في كتابه "تنوير الحلك": لأنه -صلى الله عليه وسلم- حي بجسده وروحه، يتصرف ويسير حيث شاء الله في أقطار الأرض وفي الملكوت بهيئته التي كان عليها قبل وفاته، لم يبدَّل منها شيء، لكنه مغيب عن الأبصار كما غيبت الملائكة مع كونهم أحياء بأجسادهم، فإذا أراد الله عزَّ وجلَّ رفع الحجاب عمَّن أراد كرامته برؤيته، رآه على هيئته التي هو عليها لا مانع من ذلك، ولا داعي إلى التخصيص برؤية المثال"(٣).

وقال في موضع عن الرؤى: "مما يعضد النصوص ويقويها من حيث الجملة، وإن كان لا يحتج به في الأحكام الشرعية: مرائي الصالحين وأهل الفضل والدين "(٤)، فذكر بأن المرائي لا يحتج بها في الأحكام الشرعية، بل قال: "وقد ظن بعض الناس لما رآنا نذكر بعضها أننا نعتمد المرائي، ونثبت بها باستقلالها حكما شرعيا، فصار يعترض علينا، وحاشا وكلا! لا نثبت فيها حكما، وإنما نذكرها تقوية للحكم الثابت بالأدلة الشرعية، واتعاظا بها وتذكيرا واعتبارا"(٥).

مع أنه أثبت بناء على المرائي بعض الأحكام الشرعية، فاحتج بالرؤى على مسألة اطلاع الأولياء على الغيب، ومشاركتهم للأنبياء بذلك، حيث قال في هذه المسألة: "قلت: والمنقول عن أهل الله تعالى في هذا كثير ولا يخفى"(٦)، ثم ذكر رؤى بعض مدعي الولاية أنه

---

(١) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٦).

(٢) هو: عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، المشهور بجلال الدين السيوطي، أشعري المعتقد شافعي المذهب، مكثر من التصنيف، من مصنفاته: الخصائص الكبرى، الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع، توفي عام٩١١هـ، ينظر: الضوء اللامع (٦٥/٤-٧٠)، شذرات الذهب (٥١/٨).

(٣) شرح على دلائل الخيرات (ل ٥٩)، وينظر: تنوير الحلك ضمن الحاوي للفتاوى (٣١٩/٢).

(٤) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٢٣٧) وينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٤، ل ٦٠).

(٥) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٢٤٢)، وينظر: النبذة اليسيرة النافعة (١٠٦).

(٦) ينظر: جلاء القلوب (٣٠٢/١).

رأى وليا في منامه فقال له: "إن ذاتي ليست محجوبة في القبر، بل وفي العالم كله عامرة له، ومائلة له، وفي أي موضع تطلبني تجدني، إلى آخرها ما نصه: وكذا سمعته-رضي الله عنه-يقول في حياته إن العالم كله قد يكون أحيانا في وسط جوفي"(١).

كما احتج بها على تأكيد اتصال نسب الكتانيين بالنبي-صلى الله عليه وسلم-(٢)، حيث قال بعد سرده لرؤيا إلهية رآها أحدهم على نسبهم: "وهذه الرؤيا والله من أعظم الآيات وأوضح الدلالات على صحة نسبهم، وسموّ رتبتهم وحسبهم، كيف وقد شهد بالشرف فيها رب الأرباب، ومسبب الأسباب سبحانه، وإنها لمنقبة عزّ وجود مثلها لأحد، وفضيلة قلّ حصولها لقبيلة من القبائل الأشراف، على ما هي عليه من كثرة العدد"(٣).

ومما أقره أيضا في بعض الأذكار التي وردت فيها أحاديث باطلة، بعد إثباته لبطلانها ووضعها، قوله: " فالمعول عليه حينئذ في هذا هو كلام أهل الكشف الذين فراستهم لا تخطئ، وقد كوشفوا بصدق هذا الأثر وعملوا به، وحضوا عليه، وتبعهم الناس على العمل به مشرقا ومغربا علماء وغيرهم، وشاهدوا بركته، ورأوا منامات تدل على صحته"(٤)، فقرر بأن المنامات دالة على صحته!

واحتج بها على فضل مدينة فاس، وتعظيمها، وقصد زيارتها والتبرك بها(٥)، ومن تقريراته قوله:" ومن فضائل فاس هذه: أنها تسمى عند الأولياء بالزاوية، واجتماعهم على الأمر المهم يكون بها، كما شهدت بذلك كشوفات أرباب الأذواق ومراءيهم"(٦).

كما احتج بالرؤى على المولد النبوي وعمل الولائم فيه(٧)، حيث نقل عن بعض مدعي التشيّخ أنه " رأى النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: فذكرت له ما يقوله الفقهاء في عمل

(١) المرجع السابق (٣٠٢/١).
(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (١٠٠-١١٠، ١٥٨).
(٣) النبذة اليسيرة النافعة (١٠٦)، وينظر: سلوة الأنفاس (١٨٩/٢).
(٤) شفاء الأسقام (٥٠)، وينظر: سلوة الأنفاس (٢٠٨/٢)، جلاء القلوب (٤٦/٣).
(٥) ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٤١-٤٢).
(٦) شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٢)، وينظر المرجع نفسه (ل٤١).
(٧) ينظر: اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٨)، أصفى الموارد (٢٠٨).

الولائم في المولد، فقال-رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: من فرح بنا فرحنا به"(١).

وعلى مسألة تقبيل اسمه-صلى الله عليه وسلم-عند رؤيته، حيث قال: "ذكر غير واحد في تقبيل هذا الاسم الشريف عند رؤيته في كتاب، ووضعه على العينين مع الصلاة والسلام على صاحبه عند ذلك، فضلا كبيرا وخيرا عظيما كثيرا، وأوردوا في ذلك منامات وحكايات، والأعمال بالنيات، والمحبة والتعظيم أصلان ينشأ عنهما جميع الخيرات"(٢).

وذكر بأن المولى إدريس باني فاس يحب الدخول لقبته- برأيه -، حيث يقول:" فإن مولانا إدريس-رضي الله عنه-يحب الدخول لها، كما شهدت بذلك رؤيا بعض أكابر العارفين، حيث قال له الإمام إدريس-رضي الله عنه-فيها: ادخل لقبتي ومُر الناس بالدخول لها"(٣)، وذكر عن نفسه سبب رجوعه إلى فاس في آخر حياته -مما يؤكد عمله بالرؤى- حيث قال: "ثم يوم الأحد١٤ الشهر، بينا أنا نائم في محل نزولنا نهارا، إذ سمعت صوتا فخيما لرجل معنا، يقال له إدريس، ينادي، فأجبته سريعا: نعم، ثم قمت من فراشي، وقلت: لم يجدنا نائما، فإني أجبته في المرة الأولى، ثم سألت: أين فلان؟ فقيل لي: ليس هو ها هنا، فقلت: من ناداني الآن؟ فقيل لي: ما ناداك أحد، فقلت في نفسي: هذا صوت مولانا إدريس الأنور يناديني للرجوع إلى بلدي، فامتثلت ذلك"(٤).

ومما قاله في تراجم بعض مدعي الولاية ممن يرى رؤيا النبي-صلى الله عليه وسلم- والتلقي عنه -مما يؤكد ما سبق-:

-قوله عن أحدهم: "أخبرني قرب موته بقريب من الشهرين عند سفري للحج والزيارة: أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال له: من رآك ورآى من رآك إلى سبع دخل الجنة، فقلت له: أشهد بأني رأيتك، فقال: أنا أشهد بذلك"(٥)، فأقر من يزعم باحتجاجه بالرؤى على أن من رآه دخل الجنة بلا حساب ولا عذاب!

---

(١) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٨).

(٢) جلاء القلوب (٤٦/٣).

(٣) سلوة الأنفاس (٤٢/١).

(٤) الرحلة السامية (٣٢٢).

(٥) النبذة اليسيرة النافعة (٢٨٠).

حتى قال عن نفسه أنه يسأل بعض مدعي الولاية، يقول: "وكنت أسأله عن مسائل فيجيبني عنها بما يذكره له رسول الله-صلى الله عليه وسلم-فيها، وكنت أقيد ذلك عنه في أوراق، لكنها ضلّت عني في هذه الأزمنة، ولا أدري أين ذهبت، وكان رحمه الله يحبني غاية"(١)، فيرى استمرار التلقي عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-.

-ونحوه قوله عن آخر: "كان-رضي الله عنه-يذكر أن النبي-صلى الله عليه وسلم- ضمن له أن من رآه يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب، وأن الله تعالى أعطاه الشفاعة في أهل عصره من حين ولادته إلى حين وفاته، وزيادة عشرين سنة بعد وفاته"(٢)، فأقره على احتجاجه بالرؤى على أن النبي-صلى الله عليه وسلم-ضمن لمن رآه بدخول الجنة بلا حساب ولا عقاب، وعلى أن الله أعطاه الشفاعة!

-وقال عن بعض مدعي الولاية: "يذكر عن نفسه مرائي نبوية وأخرى إدريسية، وذكر لي مرة: أنه رأى مولاتنا فاطمة الزهراء-رضي الله عنها-ولقنته هذه الصلاة: اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله كوكب النور وكوكب الزبرجد والكوكب"(٣).

-وقال: "كان-رضي الله عنه- من الذاكرين الله كثيرا، لا تراه قط ساكن الشفتين، مستغرقا في مشاهدة النبي-صلى الله عليه وسلم-وكان يظهر ذلك عليه في بعض الأحيان، فتارة يهيم، وتارة يمازح بأمور في طيها فوائد، وكان إذا اعتراه الحال احمرت عيناه، وعلا صدره عن جسده حتى تراه يستند في مشيه إلى الجدارات، وينفخ نفخا شديدا، ويعرق جبينه جدا، وترى العرق ينحدر منه كالجوهر، وكان إذا دخل في الصلاة خلف الإمام لا يكاد يطيق ما يتلقاه من المشاهدات، فإذا سلم الإمام سلم هو وقام بسرعة، ويخبر عن نفسه أنه يستريح بالتحرك والمكالمة مع الناس، وكان من لا علم عنده ينكر عليه ذلك"(٤)، فقرر- برأيه -أن المنكرين عليه لا علم عندهم.

---

(١) المرجع السابق (٢٨٠).

(٢) سلوة الأنفاس (١٩٨/١).

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٢٩٣).

(٤) المرجع السابق (٢٨٠/١)، وينظر المرجع نفسه (٤٠٤/٢).

- وقال: "رأى مرة النبي-صلى الله عليه وسلم-بين الدار والزاوية، فأوصاه بالخلق، وألزمه الصبر عليهم والقيام بحقهم، وكان بعض من لازم الصلوات معه وخدمته، يذكر أن الخضر-عليه السلام-يحضر صلاة الصبح عنده كل يوم"(١).

-وقال: "الأشياء تنكشف له نوما ويقظة، ويسمع الهواتف، ويرى خوارق العادات، وأنواع المكاشفات"(٢). إلى غير ذلك.

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني نهج الصوفية باعتبار الرؤية في اليقظة، والرؤى في المنام، من مصادر التلقي، وهي من وسائل الكشف عندهم، وهو منهج معروف عند الصوفية في التلقي(٣)، وكتب تراجم الصوفية مُلئت بذكر ما تم بينهم وبين رسول الله-صلى الله عليه وسلم-من السؤلات والمباحثات والمصافحات، حتى نهج الكتاني نهجهم فيه، وملأ تراجمه بذلك(٤).

يقول الغزالي: "ومن أول الطريقة تبتدئ المكاشفات والمشاهدات(٥)، حتى أنهم في يقظتهم يشاهدون الملائكة، وأرواح الأنبياء ويسمعون أصواتاً ويقتبسون منهم فوائد"(٦).

ويقول السهروردي(١):" وقد يتجرد للذاكر الحقائق ...، فيكون ذلك كشفا وإخبارا من الله تعالى إياه، ويكون ذلك تارة بالرؤية، وتارة بالسماع، وقد يسمع من باطنه، وقد يطرق ذلك

---

(١) سلوة الأنفاس (٣٥٣/١).

(٢) سلوة الأنفاس (٢٥٧/١).

(٣) ينظر: بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، لابن أبي حمزة (٢٣٧/٤)، الحاوي (٢٥٥/٢)، الطبقات الكبرى للشعراني (٦٩/٢).

(٤) ينظر: سلوة الأنفاس (١١٤/١، ٧٢/٢، ١٦٠/٣، ١٥٨)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٥)، الإجازة الأيوبية (٢٩، ٥١)، رسالة المسلسلات (٥٩-٦٠).

(٥) المشاهدة هي: المحاضرة، والمداناة، وقيل: رؤية الحق ببصر القلب من غير شبهة، كأنه رآه بالعين، ينظر: الرسالة القشيرية (١٨٤/١)، معجم مصطلحات الصوفية (٢٤٤).

(٦) المنقذ من الضلال، للغزالي (١٧٩).

الهواء لا من باطنه كالهواتف [٢]، يعلم بذلك أمرا يريد الله إحداثه له أو لغيره، فيكون إخبار الله إياه بذلك مزيدا ليقينه، أو يرى في المنام حقيقة الشيء"[٣].

وقال ابن عطاء الله السكندري[٤]:" وبقاء الخضر إلى الآن أجمع عليه هذه الطائفة، وتواتر عن أولياء كل عصر لقاؤه، والأخذ عنه، واشتهر إلى أن بلغ حد التواتر"[٥].

ويمكن نقد ما قرره الكتاني على قسمين:

أولا: الرؤية: الرؤية لغة: النظر بالعين والقلب[٦]، يُقال: رأيته بعيني رؤية، ورأيته في المنام رؤيا[٧]، فالرؤية في اللغة تشمل رؤية البصر، ورؤية البصيرة، يقول ابن فارس[٨]:" (رأي): الراء والهمزة والياء: أصل يدل على نظر وإبصار، بعين أو بصيرة"[٩].

---

(١) هو: شهاب الدين أبو حفص: عُمر بن محمد بن عبدالله السهروردي الشافعي الصوفي، صاحب عوارف المعارف، من مشائخ الصوفية في عصره، توفي عام٦٣٢هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/٤١٢-٤١٣)، جامع المسائل (٤/٣٩٤)، وفيات الأعيان (٣/٤٤٦).

(٢) الهواتف عند الصوفية هي: لفظ منظوم، يقرع السمع لمن صفا قلبه في اليقظة، من غير أن يرى صاحب الصوت، ينظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٩٣)، الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية، لعبد الوهاب الشعراني (١/٣، ٨).

(٣) عوارف المعارف، للسهروردي، ضمن ملحق إحياء علوم الدين للغزالي (٥/١٧٢)، وينظر: مجموع الفتاوى (١١/٣١٣)، وينظر: إحياء علوم الدين (٢/٢٦٨).

(٤) هو: أحمد بن محمد بن عبد الكريم الجذامي الإسكندراني، فقيه مالكي وصوفي شاذلي، من مؤلفاته: لطائف المنن، الحكم العطائية، توفي عام٧٠٩هـ، ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (١/٣٢٤)، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي (١/٥٢٤)، شجرة النور الزكية (١/٢٩٣).

(٥) لطائف المنن، لابن عطاء الله السكندري (ص٨٢)، ونقل جلال الدين السيوطي التواتر على ذلك عندهم، ينظر: تنوير الحلك في رؤية النبي والملك، ضمن الحاوي للفتاوى، جلال الدين السيوطي (٢/٢٤٩)، وغالب المصنفين في هذه المسألة نقلوا عن السيوطي في هذه المسألة.

(٦) ينظر مادة (رأي): لسان العرب (١٤/٢٩١)، المعجم الوسيط (١/٣٢٠).

(٧) ينظر: كتاب العين للفراهيدي (٨/٣٠٧)، أساس البلاغة، للزمخشري (١/٣٢٦).

(٨) هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، أبو الحسين، الإمام اللغوي الفقيه، من مؤلفاته: فقه اللغة، معجم مقاييس اللغة، توفي عام ٣٩٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/١٠٣)، شذرات الذهب (٤/٤٨٠).

(٩) معجم مقاييس اللغة (٢/٤٧٢).

- **الرؤية اصطلاحا هي:**" المشاهدة بالبصر حيث كان، أي: في الدنيا والآخرة"(١).

والرؤية عند الصوفية والتي أثبتها الكتاني هي: رؤية بصرية يقظية، من لوازمها المقابلة والتكلم، فقد أثبت الاجتماع بالنبي -صلى الله عليه وسلم-وبالخضر-عليه السلام-، ومشاهدته يقظة، وسماع خطابه والأخذ منه، ورؤية الملائكة، والأنبياء والأولياء والأخذ عنهم.

وتقرير محمد بن جعفر الكتاني بإمكان رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم- والأنبياء، والأخذ عنهم، قول باطل من وجوه:

- أن هذا القول معارَض بالأدلة النقلية والعقلية والحسية الدالة على وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- والأنبياء، ولا يرِد على ذلك حياتهم في قبورهم؛ لأنها حياة برزخية (٢).

- أن رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم- والأنبياء قبله، لو كانت ممكنة لكان أولى الناس بها صحابة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، لا سيما مع قيام المقتضى على رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم-، فقد جرى بينهم نزاع في كثير من المسائل، مما يستدعي ظهوره لهم وفصله بينهم(٣).

- أن هذا القول يلزم منه لوازم باطلة، كالقول باستمرار التشريع، وخلوّ القبر منه، وغيرها من اللوازم (٤).

- أن القائلين بالرؤية يقظة اضطربوا هل هي بالذات على الحقيقة، أو رؤية مثال لها، وهل تكون بالقلب أو بالبصر ؟ وهذا الاضطراب كاف لرد القول بجواز الرؤية؛ لأن الرؤية أمر محسوس، والاختلاف فيها يدل على عدم تحققها(٥).

---

(١) التعريفات (١٥٠).

(٢) ينظر: حياة الأنبياء بعد وفاتهم، للبيهقي (٣٢-٤٩)، توضيح المقاصد وتصحيح القواعد لابن عيسى (١٦٠/٢-١٧١)، الصواعق المرسلة الشهابية، لابن سحمان (٩٨-١٠١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٩٢/٧- ٣٩٣)، شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية (٢٩٢/٧).

(٤) ينظر: فتح الباري (٤٠١/١٢-٤٠٢).

(٥) ينظر أقوالهم في الحاوي (٢٦٣/٢).

- أن نتيجة هذا الاختلاف واحدة، وهي الحكم بأن روح النبي-صلى الله عليه وسلم موجودة بيننا، وأنه يجتمع بمدعي الولاية والصلاح ويتلقون منه، وهذا باطل؛ لعدم وجود دليل على هذه الرؤية، إلا تواتر بعض من يدّعي الولاية وحكاياتهم فيها، وهي ليست حجة شرعية، بل هي كذب أو تزوير من الشيطان، ولهذا لم يقع مثل هذا لأحد من الصحابة أو التابعين لهم بإحسان(١).

- أن هذا القول يلزمُه بقاء الصُّحبة إلى يوم القيامة، وهذا باطل، يقول ابن حجر-رحمه الله-في الرد على من يرى إمكان الرؤية من المتصوفة: " وهذا مشكل جدًا، ولو حُمِل على ظاهره لكان هؤلاء صحابة، ولأمكن بقاء الصحبة إلى يوم القيامة"(٢).

- أن ادعاء الصوفية في الإخبار عن النبي-صلى الله عليه وسلم- يقظة، ليس داخلا في تعريف السنة، فلا يمكن أن يسمى حديثا مرفوعا، ولا موقوفا، ولا مرسلا، ولا مضطربا، ولا شاذا، يقول الشيخ محمد الخضر الشنقيطي(٣)-رحمه الله- في رده على افتراءات التيجاني فيما يرويه عن الرسول-صلى الله عليه وسلم-:"فعلى هذا يكون كل ما قاله هذا الرجل وحيا من الله تعالى، مروي عن صاحب الشريعة المطهرة، لقوله: ويكون صاحب هذه الشريعة المفتراه صحابيا، والناقلون عنه تابعين، فياله من سند عال في القرن الثاني عشر! ...

أو يقال: إنها غير مرفوعة متصلة بالإسناد، لاستحالة وجود الصحابة في القرن الثاني عشر، فتكون مروية عن النبي-صلى الله عليه وسلم- مباشرة غير مرفوعة، وهذا غير معقول، اللهم إلا أن يقولوا إن شريعتهم لما كانت مخترعة غير داخلة تحت قانون شرعي، وجب أن يخترع لها اصطلاح غير داخل في اصطلاح المحدثين"(٤).

---

(١) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٤)، غاية الأماني (٢/٢٢٦-٢٢٦).

(٢) فتح الباري (١٢/٣٨٥).

(٣) هو: محمد الخضر بن عبد الله الشنقيطي، نسبة إلى شنقيط، فقيها مالكيا سلفيا، تولى الإفتاء في المدينة النبوية، من مؤلفاته: مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، قمع أهل الزيغ والإلحاد عن الطعن في أئمة الاجتهاد، توفي عام ١٣٥٣هـ، في المدينة ودفن بالبقيع، ينظر: الأعلام الشرقية (٢/٣٨٢)، الأعلام (٦/١١٣).

(٤) مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، محمد الخضر الشنقيطي (ص٧٧).

- أنه لا دليل على أن الذي رأى روح الخضر -على حد رأيه- أنه هو الخضر؟ والشيطان قد يتلبس بصورة إنسان ويقول لمن يراه أنا الخضر، أو أنا فلان من الناس، فقد يكون إنما رأى الشيطان ليلبس عليه ويزيغه عن دينه(١).

فما قرره محمد بن جعفر الكتاني في الاجتماع بالنبي-صلى الله عليه وسلم-وغيره من والأخذ عنهم باطل لما سبق.

ثانيا: الرؤى:

اختلف الصوفية في تعريف الرؤى، فمنهم من يرى: بأن النفس إذا قويت بالفضائل الروحانية، اتصلت بالنفوس الفلكية، وتلقت عنها المغيبات في نومها، كما يقع لها في يقظتها(٢).

ومنهم من يرى أن النفس تتلقى عن اللوح المحفوظ في حالة النوم، كما تقع الصورة من مرآة أخرى، إذا ارتفع الحجاب بينها(٣).

والاعتماد على المنامات من منهج الصوفية في التلقي، ومن دلائل عنايتهم بها: أنهم عقدوا لها أبوابا في مصنفاتهم، كالقشيري في رسالته(٤)، والكلاباذي(٥) في كتابه "التعرف على مذهب أهل التصوف"(٦)، وساقوا تحتها جملة من الحكايات والمنامات(٧)، وقد احتج بها محمد بن جعفر الكتاني-كما سبق-على على مسألة اطلاع الأولياء على الغيب، ومشاركتهم للأنبياء بذلك، وعلى اتصال نسب الكتانيين بالنبي-صلى الله عليه وسلم-، وفضلهم، كما أقر من

---

(١) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١٧٣).

(٢) ينظر: شواكل الحور في شرح هياكل النور للسهروردي (ص ٢٧٨)، شرح: جلال الدين الدواني.

(٣) ينظر: إحياء علوم الدين (٥٣٧/٤)

(٤) ينظر: الرسالة القشيرية، لعبد الكريم القشيري (١٧٥-١٨٠)، التعرف لمذهب أهل التصوف (١١٩).

(٥) هو: محمد بن إسحاق الكلاباذي البخاري، أبو بكر، محدث صوفي، قريب إلى مذهب السلف، من مؤلفاته: بحر الفوائد، وأشهرها: التعرف على مذهب أهل التصوف، توفي عام٣٨٠هـ، ينظر: الاستقامة (٨٢/١)، الأعلام (٢٩٥/٥)، وقد ذكره باسم محمد بن إبراهيم.

(٦) ينظر: التعرف لمذهب أهل التصوف (١١٩).

(٧) ينظر على سبيل المثال: الرسالة القشيرية (١٧٥-١٨٠)، التعرف لمذهب أهل التصوف (١١٩).

احتج بها على أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ضمن لمن رآه بدخول الجنة بلا حساب ولا عقاب، وأن الله أعطاه الشفاعة في أهل عصره، وعلى تقرير بعض الأدعية والأذكار.

ورؤيا الأنبياء-عليهم السلام- وحي، وهي معصومة من الشيطان، ولهذا أقدم الخليل-عليه السلام- على ذبح ابنه إسماعيل -عليهما السلام- بالرؤيا، وأما رؤيا غيرهم فتعرض على الوحي الصريح فإن وافقته وإلا لم يعمل بها، ولا يثبت بها شيء من الأحكام الشرعية، ولا يُرفع بها حكم شرعي، ولا يستدل بها على حكم شرعي، ولا يُعتمد عليها بمجرد الظنون، ولا يُخالف بها الشرع ، وإنما هي للتبشير والتحذير، ويصلح الاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية، لهذا اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة، لعدم وجود دليل على جواز الاحتجاج بها(١).

يقول ابن الحاج المالكي(٢)-رحمه الله- في مقدمة حديثة عن الرؤى المنامية: " لم يكلف الله تعالى عباده بشيء مما يقع لهم في منامهم، قال - عليه الصلاة والسلام – ((**رفع القلم عن ثلاثة**...)) (٣)، وعد فيهم النائم حتى يستيقظ؛ لأنه إذا كان نائما، فليس من أهل التكليف فلا يعمل بشيء يراه في نومه" (٤)، فالنائم ليس من أهل التكليف حتى يُحتج بكلامه.

ويقول الإمام الشاطبي-رحمه الله-:" وأضعف هؤلاء احتجاجا قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المنامات، وأقبلوا وأعرضوا بسببها، فيقولون: رأينا فلانا الرجل الصالح، فقال لنا: اتركوا كذا، واعملوا كذا، ويتفق هذا كثيرا للمترسمين برسم التصوف.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٥١/١)، فتح الباري (٣٨٩/١٢)، القائد إلى تصحيح العقائد (ص٨١).

(٢) هو: محمد بن محمد العبدري الفاسي، المعروف بابن الحاج، فقيه مالكي، اشتهر بالزهد والصلاح، من مؤلفاته: مدخل الشرخ الشريف على المذاهب الأربعة، شموس الأنوار، توفي عام ٧٣٧هـ، ينظر: الدرر الكامنة (٥٠٧/٥)، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون (٣٢١/٢).

(٣) رواه أبو داود، كتاب: الحدود، باب: في المجنون يسرق أو يصيب حدا، رقم (٤٤٠١)، والنسائي، كتاب: الطلاق، باب: ما لا يقع طلاقه من الأزواج، رقم (٣٤٣٢)، وابن ماجه، أبواب الطلاق، باب: طلاق المعتوه والصغير والنائم، رقم (٢٠٤١)، وابن حبان، كتاب: الإيمان، باب: التكليف، رقم (١٤٢)، وأحمد في مسنده (٢٢٤/٤١)، رقم (٢٤٦٩٤)، من حديث عائشة-رضي الله عنها، وصححه الألباني في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٤/٢)..

(٤) المدخل لابن الحاج (٢٨٧/٤).

وربما قال بعضهم: رأيت النبي -صلى الله عليه وسلم- في النوم، فقال لي كذا، وأمرني بكذا، فيعمل بها ويترك بها؛ معرضا عن الحدود الموضوعة في الشريعة، وهو خطأ؛ لأن الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعا على حال؛ إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية، فإن سوّغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة، وأما استفادة الأحكام فلا"(١).

فقرر بأن الاستناد في أخذ الأعمال إلى المنامات من أضعف أنواع الاحتجاج، لأن الاحتجاج بغير رؤيا الأنبياء-عليهم السلام- احتجاج بما لم يشرعه الله-جل جلاله-، ولا نبيه- صلى الله عليه وسلم-، لعدم وجود دليل على الاحتجاج بها، وفائدة الرؤيا الصالحة هي البشارة والنذارة فقط، ولا يستفاد منها شيء من الأحكام الشرعية، لأن حالة النوم أيضا كما ذكر النووي(٢)-رحمه الله- :" ليست حالة ضبط وتحقيق لما يسمعه الرائي، وقد اتفقوا على أن من شرط من تقبل روايته وشهادته: أن يكون متيقظا، لا مغفلا ولا سيء الحفظ، ولا كثير الخطأ، ولا مختل الضبط، والنائم ليس بهذه الصفة، فلم تقبل روايته؛ لاختلال ضبطه"(٣).

ويقول القرطبي-رحمه الله-: " وذلك أن الرؤيا لا تكون من أجزاء النبوة إلا إذا وقعت من مسلم صادق صالح، وهو الذي يناسب حاله حال النبي -صلى الله عليه وسلم -فأُكرم بنوع مما أكرم به الأنبياء، وهو الاطلاع على شيء من علم الغيب، كما قال النبي- صلى الله عليه وسلم-: ((**إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصادقة في النوم، يراها الرجل الصالح، أو ترى له**)) (٤)، فإنَّ الكافر، والكاذب، والمخلِّط - وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات - لا تكون من الوحي، ولا من النبوة، إذ ليس كل من صدق في حديث عن غيب يكون خبره

---

(١) الاعتصام، للشاطبي (٣٣١/١)، وينظر: مجموع الفتاوى (٣٣٩/١١).

(٢) هو: يحيى بن شرف بن مُري بن حسن بن حسين الحزامي النووي، أبو زكريا، مشهور بالنووي، من فقهاء الشافعية الأشاعرة، من مؤلفاته: شرح صحيح مسلم، الأذكار. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣٩٥/٨)، طبقات الشافعية لابن شهبة (١٥٣/٢).

(٣) المنهاج شرح صحيح مسلم (١١٥/١).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود، حديث رقم: (٤٧٩)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه مرفوعا.

ذلك نبوة، وقد قدَّمنا: أن الكاهن يخبر بكلمة الحق، وكذلك المنجم قد يحدِس فيصدق، لكن على الندور والقلَّة" (١).

يتبين بما سبق أن احتجاج محمد بن جعفر الكتاني بالرؤى والمنامات على بعض المسائل الاعتقادية احتجاج باطل من وجوه:

- أن الحق الذي لا يشوبه باطل هو الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وما عدا ذلك من المنامات والحكايات ونحوها، ففيها الحق والباطل، ويعرف ذلك بعد عرضها على الكتاب والسنة، فما زكياه منها قبل، وإلا رد على صاحبه مهما كان القائل به(٢).

- أن المتفق عليه بين العلماء في الرؤيا التي تكون وحيا من الله -جل جلاله- والمعصومة من الشيطان: هي رؤيا الأنبياء -عليهم السلام- لا رؤيا غيرهم، فلا يثبت بغير رؤيا الأنبياء-عليهم السلام- حكم شرعي ولا حديث؛ لأنه لا عصمة فيها(٣).

- أنه لا دليل يدل على أن رؤيته - صلى الله عليه وسلم - في النوم بعد موته، أو رؤية غيره من الأنبياء والأولياء، أنه إذا قال فيها بقول، أو فعل فيها فعلا، يكون دليلا وحجة علينا(٤).

- أن رؤيا غير الأنبياء في الحقيقة ليست على درجة واحدة، وإنما هي منقسمة إلى ثلاثة أنواع: رؤيا من الله، وحلم من الشيطان، وحديث النفس، والتمييز بينهما مُشكل، فلا يقين بأن هذه الرؤيا من الله، لا من النفس ولا من الشيطان؛ لأنه لا عصمة فيها، بخلاف رؤيا الأنبياء(٥).

- أن النائم ليس من أهل التكليف، كما أنه ليس من أهل التحمل للرواية؛ لعدم حفظه، وضبطه(١).

---

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي (١٣/٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/٥-٨)، فتح الباري (٣٨٩/١٢).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (٦٢/١) سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٦٥٠/١)، أصفى الموارد (٢٠٨).

(٤) ينظر: القائد إلى تصحيح العقائد (ص٨١)، إرشاد الفحول (٢٠٢/٢).

(٥) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١٢٢/١) مدارج السالكين (٦٢/١) الاعتصام (٢٦٢/١)، الموافقات (٤٧٠/٤)، مجموع الفتاوى (٤٥٧/٢٧).

- أنه يلزم من القول بحجية الرؤى أن تكون تجديدا في الوحي، يُحكم به بعد النبي- صلى الله عليه وسلم-، وهذا باطل بالإجماع، يقول الشاطبي-رحمه الله-:"وأما الرؤيا التي يخبر فيها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الرائي بالحكم؛ فلا بد من النظر فيها أيضا؛ لأنه إذا أخبر بحكم موافق لشريعته؛ فالحكم بما استقر، وإن أخبر بمخالف؛ فمحال؛ لأنه -عليه السلام- لا ينسخ بعد موته شريعته المستقرة في حياته؛ لأن الدين لا يتوقف استقراره بعد موته على حصول المرائي النومية؛ لأن ذلك باطل بالإجماع، فمن رأى شيئا من ذلك فلا عمل عليه، وعند ذلك نقول: إن رؤياه غير صحيحة، إذ لو رآه حقا؛ لم يخبره بما يخالف الشرع"(٢).

بهذا يتبين بطلان احتجاج محمد بن جعفر الكتاني بالرؤى، وبطلان هذه المصادر البدعية التي اعتمد عليها في تقرير المسائل الاعتقادية، والله أعلم!

---

(١) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (١/١١٥)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول (٢/٢٠٢).

(٢) ينظر: الاعتصام (١/٣٣٤)، للاستزادة حول الرؤى ينظر: الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين، سهل بن رفاع العتيبي.

المبحث الثاني

منهج محمد بن جعفر الكتاني في تقرير العقيدة

وفيه:

- موقفه من تقريرات السلف وأقوال الصحابة والتابعين.
- الاحتجاج بأقوال وأفعال الرجال.
- الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة والموضوعة.
- موقفه من علم الكلام.
- موقفه من التفويض والتأويل.
- القول بالحقيقة والشريعة والظاهر والباطن
- استعمال المصطلحات البدعية والمجملة.
- تقييد النصوص بغير دليل.
- حصر الحق في طائفته.
- عداوته للمنهج السلفي.
- موقفه من البدع والمبتدعة.

المبحث الثاني: منهج محمد بن جعفر الكتاني في تقرير العقيدة

-موقفه من تقريرات السلف وأقوال الصحابة والتابعين:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني في مواضع وجوب الرجوع إلى تقريرات السلف الصالح من الصحابة والتابعين من أهل القرون المفضلة، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين(١)، ومن ذلك ما قرره في مسألة رمي العمامة أو الثوب على القبر أو الذبح عليه، حيث قال: "في ذلك مخالفة للشرع ولما كان عليه السلف الصالح، وأهل العلم والدين؛ إذ الشرع لم يرد بذلك، وإنما ورد بضده، والسلف وأهل العلم والدين لم يكونوا يفعلون ذلك بقبر أحد من الأولياء ولا من الأنبياء، والخير إنما هو في سلوك سبيل السنة، والاتباع لما جاء عن أحبار هذه الأمة"(٢).

وقال في مسألة استنصار المسلمين بالكفار على من يريد ظلمهم من الولاة:" وأما الاحتماء من المسلمين بالكفار كما هو الواقع، فلم يفعله أحد من الصحابة، وحاشاهم من ذلك، وليس في الكتاب ولا في السنة ما يدل على جوازه، بل فيهما ما يدل على تحريمه، وأنه من العظائم والكبائر" (٣).

وقال في تقريراته: "فالعبرة بالقرون المشهود لهم بالخير لا بمن بعدهم"(٤)، وقال عن الصحابة:" وقد عُلم من عادة الصحابة ضرورة اتباعهم له -عليه الصلاة والسلام-"(٥)، ويقدم في بعض المواضع تقريرات الصحابة والتابعين والسلف الصالح على غيرهم (٦).

كما كان يذم التقليد الأعمى للرجال ومتابعة الغير من غير طلب الحق واتباع الشرع؛ لأن كل يؤخذ من قوله ويُردّ إلا النبي- صلى الله عليه وسلم-، والوقوف مع من لم تثبت عصمته

---

(١) ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة وغيرهم (١٢، ١٠٨)، الدعامة (٧١).

(٢) سلوة الأنفاس (٥٦/١).

(٣) جواب حول الاحتماء بالنصارى (ل ٤).

(٤) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة وغيرهم (١٠٨).

(٥) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٥/أ).

(٦) ينظر: الأربعون الكتانية (٤٥-٥١)، شفاء الأسقام والآلام (٤٢)، الدعامة (٧٠-٧١).

يفضي للمهالك [(١)]، ونقل عن الإمام الشاطبي أنه قال: "تحكيم الرجال من غير التفات إلى كونهم وسائل للحكم الشرعي المطلوب شرعا ضلال، والحجة القاطعة والحكم الأعلى هو الشرع لا غيره"[(٢)].

وعلل ذلك بأن العالم قد يزلّ، فالأصل اتباع الشرع والرجوع له، وحذر من زلة العالم، ومما قاله: "وقد ورد في عدة أحاديث التحذير من زلّة العالم إن كان يظن أنه محق، وهو في نفس الأمر مخطئ، فكيف بمن يكاد أن يقال إنه متعمد، أو هو متعمد حقيقة؛ لكلامه في دين الله بالهوى، وبغير علم، ...قال أبو إسحاق الشاطبي في الاعتصام: "حذر السلف الصالح من زلة العالم، وجعلوها من الأمور التي تهدم الدين، فإنه ربما ظهرت فتطير في الناس كل مطار، فيعدونها دينا وهي ضد الدين، فتكون الزلة حجة في الدين" "[(٣)].

- النقد:

تقديم تقريرات السلف الصالح من الصحابة والتابعين من أهل القرون الثلاثة المفضلة على غيرهم، هو منهج أهل السنة والجماعة؛ لأنهم هم من عاصر الوحي، ونقل الشريعة، وللأدلة المتواترة في تفضيلهم على غيرهم، كما قال عز وجل: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ **[سورة التوبة:١٠٠].**

فهذه الآية قد اشتملت على أعظم الثناء من الله -عز وجل- على أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم- من المهاجرين والأنصار ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وما ذلك الفضل للصحابة إلا لأنهم تلقوا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بلا واسطة، ونقلوه كما هو للتابعين، قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-:" وكان التلقي بلا وساطة حظ أصحابه الذين حازوا

---

(١) ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٧٨-١٧٩، ٢٥٠)، شرح ختم صحيح الإمام مسلم (ل ٩)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٠/أ).

(٢) الاعتصام، للشاطبي (٨٧٢/٢)، ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٧٩).

(٣) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة وغيرهم (٢٥٣)، ينظر: الاعتصام (٨٦٦/٢).

قصبات السباق، ... فلا طمع لأحد من الأمة بعدهم في اللحاق، ... فأي خصلة خير لم يسبقوا إليها، وأي خطة رشد لم يستولوا عليها، تالله لقد وردوا رأس الماء من عين الحياة عذبا صافيا زلالا، وأيدوا قواعد الإسلام، ...وألقوا إلى التابعين ما تلقوه من مشكاة النبوة خالصا صافيا، وكان سندهم فيه عن نبيهم -صلى الله عليه وآله وسلم- عن جبريل عن رب العالمين سندا صحيحا عاليا، وقالوا هذا عهد نبينا إليكم وقد عهدنا إليكم، وهذه وصية ربنا وفرضه علينا، وهي وصيته وفرضه عليكم، فجرى التابعون لهم بإحسان على منهاجهم القويم واقتفوا على آثارهم صراطهم المستقيم"(١).

إلا أن محمد بن جعفر الكتاني خالف ما قرره من وجوب تقديم تقريرات السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان على غيرهم، والرد إلى الشرع عند الاختلاف في مسائل كثيرة، ومن ذلك ما قرره في بعض الأذكار التي وردت فيها أحاديث باطلة، بعد إثباته لبطلانها ووضعها، حيث قال: " فالمعول عليه حينئذ في هذا هو كلام أهل الكشف الذين فراستهم لا تخطئ، وقد كوشفوا بصدق هذا الأثر وعملوا به، وحضوا عليه، وتبعهم الناس على العمل به مشرقا ومغربا علماء وغيرهم، وشاهدوا بركته، ورأوا منامات تدل على صحته"(٢).

بل قدم عليها تجارب الناس، ومن ذلك قوله في الإتيان بهدية لضرائح مدعي الولاية: "مما جربه كثير من الناس لقضاء الحوائج: الإتيان بهدية للولي من فلوس وغيرها، ...وقد عمل الناس به في كثير من الأضرحة، وخصوصا في ضريح قطب المغرب مولانا إدريس-رضي الله عنه- بفاس فشاهدوا منه العجب"(٣).

كما خالف ما قرره في ذم التقليد الأعمى ومتابعة غير من طلب الحق واتبع الشرع، في عدة مواضع، ففي رسالته "حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم"-على سبيل المثال-، قال:"

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٥-٦).

(٢) شفاء الأسقام (٥٠)، وينظر: جواب حول الاحتماء بالنصارى (ل ٣)، حاشية على شرح ميارة (ل ٧٨/أ).

(٣) سلوة الأنفاس (١/٦١-٦٢)، ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٢١٢).

حقيقة سلب الإرادة عند المشايخ؛ هي: التزام الطاعة، والانقياد لشيخٍ مُحقِّقٍ مُرشدٍ على الصفة التي ذكرها القوم، والتحكيم له في نفسه وماله، وسائر أحواله، وسلب الاختيار معه؛ بحيث لا يخرج عن مراده أصلًا، لا في منشط، ولا في مكره، لا في سخط، ولا في رضى، وهذا هو المريد الحقيق، وعليه تكلّم القوم...

والمريد الحقيق إذا لم يأت بجميع ما طُلب منه، وخالف شيخه في ورد أو صدر؛ لم يكن سالبًا للإرادة، بل تكون مخالفته لشيخه قادحة في سلب إرادته له، فتجب عليه حينئذٍ التوبة، والرجوع إلى إرضاء شيخه حتَّى يرضى عنه، وإلَّا لم يفلح، وهذا لا مخالف له من القوم"(١)، وهذا هو عين التقليد الأعمى الذي ذمّه بنفسه.

- الاحتجاج بأقوال وأفعال الرجال

اعتمد محمد بن جعفر الكتاني على أقوال وأفعال الرجال في تقرير جملة من المسائل الاعتقادية واعتبره دليلا له، كتقريره لمسألة إحاطة علم النبي-صلى الله عليه وسلم-بأمور الدنيا والآخرة، ومن تقريراته قوله عن الصوفية في مسائل الخلاف بعد تقريره لهذه المسألة:" ومن قواعدهم في مسائل الاشتباه والنزاع والخلاف الرجوع إلى ما يقوله الصوفية والصالحون لما لهم من النورانية والإنصاف"(٢)، إلى أن قال:" وكلام الصوفية في هذه المسألة قد عُلم وقُرر، وبأبسط بيان ذُكر وحُرر"(٣).

وقال: "ذكر أرباب القلوب أن علمه-صلى الله عليه وسلم-اتسع اتساعا عظيما خارقا للعادات، خارجا عن دائرة العقول القاصرة والكمالات، وأن الله تعالى أطلعه على كل ذرة من ذرات العالم الكوني، وعلى حقيقتها وما هي عليه في نفسها، وعلى أسمائها ومفهوماتها وما يجري عليها من ابتداء خلقها إلى انتهائه، وعلى جميع لغات الحيوانات كلها، والجمادات بأسرها، والمخلوقات بأجمعها أصولها وفروعها"(٤).

---

(١) حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم (ل ١).

(٢) جلاء القلوب (٢/١٤١).

(٣) المرجع السابق (٢/١٤٤).

(٤) جلاء القلوب (١/٩٥)، وينظر: المرجع نفسه (١/٢٣٢)، لمطالب العزيزة الوفية (ل ١١).

وقرر- برأيه -بأن من الأدلة على ذلك كما يقول: "ومنها: أنهم نظروا في أحوال أمثالهم من أهل الله، وما ينقل عنهم في هذا الباب من العجائب التي لا تنضبط، والاخبار بالمغيبات التي لا تنحصر، وما أكرمهم الله به من العلم بأحوال الجن والإنس، والملائكة، وجميع الحيوانات، وسائر الجمادات، وأحوال الجنة والنار، والعرش والكرسي، والسماء والأرض، وما تحت الثرى، وما فوق العرش!"(١)، فقرر أن من الأدلة ما نقل عن بعض مدعي الولاية من إحاطة العلم، وعلمهم بأحوال الجنة والنار، وما تحت الثرى!!

كما احتج بأقوال الرجال على مشروعية الرقص، حيث قال مما قرره: "صدر في هذا الموضوع من غير واحد ممن يقتدى به علما ودينا وورعا، وأضحى جمهور الأمة له في ذلك متبعا"(٢).

كذا في تقريره لإحياء أبوي النبي-صلى الله عليه وسلم- حتى آمنا به، حيث قال: "ثم إن الله منا عليه وإنعاما، زاده فضلا وإكراما، فأحيي له أبويه الشريفين حتى آمنا به، ليكونا من أمته المخصوصة به، ومن أحزابه، خصوصية لهما، ومعجزة له-صلى الله عليه وسلم-وشرّف وكرّم ومجّد وعظّم، وهذا شيء متأكد، بل متعين في الاعتقاد؛ لتوجه أنفاس أكثر الأئمة إليه بالاعتماد"(٣).

واحتج بها على ما يراه من أن النبي-صلى الله عليه وسلم-يحضر لمواسم الصالحين، حيث قال:" وما يذكر من حضور النبي-صلى الله عليه وسلم-أو غيره من الأولياء هناك لا تبعد صحته، سيما وقد أخبر به من ثبتت ولايته، واتضحت عنايته في غير ما موطن"(٤).

كما احتج بها على ما يراه من كون أجساد الأنبياء والملائكة والأولياء خُلقوا من طينة النبي-صلى الله عليه وسلم-، ومما قاله: "ثم إن الله تعالى خلق طينة جسده الشريف وجسمه

---

(١) جلاء القلوب (٣٠١/١)، وينظر (٤٣/١، ٩٥، ٢٢٠، ٣٠٠،١١١).

(٢) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (١٠٣).

(٣) المرجع السابق (٩٢).

(٤) سلوة الأنفاس (٦٤/١).

الطاهر المنيف، وكوّن منها أجساد الملائكة والأنبياء، وغيرهم من الآل والأقطاب والأفراد، والأصفياء، حسبما نبه على ذلك بعض الأكابر، ممن له يد كبرى في الظاهر والباطن"(١).

واحتج بأفعال الرجال على أن إلصاق الصدر والظهر بالقبور من مكفرات الذنوب، حيث قال: "وبلغني عن بعض العلماء من أهل عصرنا أنه مرّ بمزارة مولانا إدريس-رضي الله عنه-بفاس، وجعل يمسح صدره وظهره بحائط مزارته، فرآه بعض الناس، فسأله عن ذلك؟ فقال: أحكّ عني هذه الذنوب كي تسقط ببركة هذا الولي، والأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، لكن الترك أولى لمن ملك نفسه، سيما إذا كان مقتدى به"(٢).

وقد انتقد عليه عبد الحي الكتاني هذا فقال:" وأغرب منه أنه فرَّع عليه حكاية العالم الذي مرَّ بضريح، فجعل يلزق صدره وظهره بحائط مزارة، فسئل عن ذلك فقال: أحكُّ هذه الذنوب كي تسقط ببركة هذا الولي.

وانظر حيث احتجَّ بقول هذا العالم وفعله، لِمَ لم يذكر في كتابه في "المكفرات للصغائر والكبائر"(٣) حكُّ الظهر بالقبور من جملتها؟"(٤).

كما احتج بأقوال وأفعال الرجال على التبرك بالآثار، ومن تقريراته قوله: "والتبرك بآثار أهل الخير ومن يعظم للدين معمول به عند كثير من المشائخ المعتمد عليهم، وذلك منقول عنهم بالاستفاضة، وذلك كله مما يؤيد الجواز ها هنا"(٥).

واحتج بها في تقريره لمشروعية بعض الأذكار غير الواردة في الشرع، ومن ذلك تقريره لقول: لا إله إلا الله سبعين ألف مرة، حيث قال بعد تقريره لضعف الأحاديث فيها:" ولكن ينبغي للشخص أن يفعلها اقتداء بالسادة، وامتثالًا لقول من أوصى بها، وتبركًا بأفعالهم"(١).

---

(١) إسعاف الراغب الشائق (٥٧).

(٢) سلوة الأنفاس (١/٤٤).

(٣) يعني كتابه: شفاء الأسقام والآلام بما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام.

(٤) إعلام الحاضر والآت (ل ٢٣/ب)..

(٥) سلوة الأنفاس (١/٥٢)، وينظر المرجع نفسه (١/١٥٢).

بل توسع بهذا الباب فقال في تقريره للاحتفال بمولد النبي-صلى الله عليه وسلم-:" وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن"(٢).

حتى عدّ بأن من الأدلة الخاصة بأهل الولاية دون غيرهم من أهل الظاهر الاستدلال بما عليه عمل الأولياء: واستدل بأقوال بعض مدعي الولاية على ذلك، فقال في مسألة تحريم الدخان:" إذا شككنا في شيء أحرام هو أم حلال، لم نجد فيه نصا عن النبي-صلى الله عليه وسلم-نظرنا إلى أهل الديوان من أولياء الله تعالى، وهم أهل الدائرة والعدد، فإن وجدناهم يتعاطون ذلك الشيء علمنا أنه حلال، وإن وجدناهم لا يتعاطونه ويتحامون عنه علمنا أنه حرام، وإن كان بعضهم يتعاطاه وبعضهم لا يتعاطاه نظرنا إلى الأكثر فإن الحق معهم"(٣).

كما قرر وجوب انقياد المريد للشيخ، ومما قاله:

"والمطلوب في حقائق سلب الإرادة لشيخٍ: التزام طاعته في كلِّ محبوب ومكروه بقوَّة عزم وطيب نفس، وعدم كتمان شيء من الأحوال عنه، والتصرف في شيء إلَّا بإذنه، بحيث يكون بين يديه، كالميِّت بين يدي غاسله.

قال ابن عربي الحاتمي: من شروط المريد ألا تكون له إرادة، ومتى كانت له إرادة فهو صاحب هوًى، وهو مع نفسه لا مع شيخه.

وقال أبو القاسم القشيري: شرط المريد ألا يتنفس نفسًا إلَّا بإذن شيخه، ومن خالف شيخه في نفس سرًّا أو جهرًا، فسيرى غبه من غير ما يحسبه سريعًا...

لكن هذا لا يجري في الواجبات، ولا في الضروريَّات؛ لأن الشيخ معزول عن النظر فيها، والمريد ممنوع من الاختيار فيها؛ للزومها له على كل حال، فاستئذانه الشيخ فيها كما قالوه جهل، واشتراط الشيخ للاستئذان فيها ظلال"(٤)، مع أنه قرر باحتجاجه بأقوال الرجال مسائل اعتقادية خالف فيها الكتاب والسنة وما قرره السلف الصالح -كما سبق-.

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٨/ب)، وينظر: شفاء الأسقام (٥٠).

(٢) اليمن والإسعاد (٩٩)، وينظر: إسعاف الراغب الشائق (٨٣).

(٣) التدخين عند الأمة الأربعة (١٢٩)، وينظر المرجع نفسه (٢٠٢)، جلاء القلوب (١/٤٤-٤٦).

(٤) حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم (ل ٣).

وقال: "والدليل هو الشيخ المربي يُعرفك بحقائق الكائنات، ويوفقك على معاني التجليات، فلا يضرك شيء من الأشياء، ولا تحجبك الظلالات والأفياء"(١).

بل قرر- برأيه- إمكان الأخذ عن الشيخ المتصوف المربى بعد الوفاة، للمريد الصادق، فقد قال عن التجاني:" ولما انتقل إلى الدار الآخرة، أجرى أكثر أصحابه الأمر على ما كان في حياته، وقالوا: إنَّ الشيخ حيٌّ في قبره، وهو يربي فيه.

وكونه حيًّا في قبره ومربِّيًا فيه صحيح، ولكن المعروف في التربية بعد الوفاة أنها لا تكون عامَّة، وإنما هي خاصَّة ببعض الخاصَّة"(٢).

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني نهج الصوفية وغيرهم باحتجاجه في مسائل الدين بأقوال وأفعال الرجال(٣)، والاحتجاج بها في مسائل الدين باطل من وجوه:

- عدم العصمة؛ وغير المعصوم يعرض له الخطأ والنسيان، فلا يجوز متابعته.

- الاستدلال بعمل الرجال فيه غلوّ صريح فيهم، ومساواتهم للأنبياء في التلقي عنهم، وهذا باطل(٤).

- أن كل من اتخذ شخصا غير معصوم، يجتنب كل مانهاه عنه، ويمتثل كل ما أمره به، فقد اتخذه مع الله إلها آخر، لأنه اعتبره مشرّعا، واعتبر تشريعه شرعا يعمل به، قال عز وجل: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾ **[سورة التوبة:٣١] (٥).**

وعن عدي بن حاتم أنه سمع النبي -صلى الله عليه وسلم-يقرأ هذه الآية: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٣١]، قال: فقلت له: إنا لسنا نعبدهم،

(١) جلاء القلوب (٤٤/١).

(٢) حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم (ل ٢).

(٣) ينظر: الرسالة القشيرية (٥٧١/٢)، وينظر: الرد على المنطقيين (٤٧٥).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٩٥/٣، ٤٣٣/١٤، ٨/٢٠-٩، ٢٨١/٢٦).

(٥) ينظر: جامع البيان (٢١٢/١٤)، كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب (١٥٣).

قال: ((**أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلونه؟**)) فقلت: بلى، قال: ((**فتلك عبادتهم**)) (١).

- أن هذا الغلوّ والتقديس يفتح بابا لا منتهى له، فقد نتج عنه تقسيم الصوفية للمشائخ إلى درجات وطبقات، وهذه لم تكن معروفة عند السلف الصالح، كما نتج عنه القول بأن الأولياء يتحكمون في الكون، ويعلمون الغيب، ومساواة الأولياء للأنبياء في التلقي عن الله -جل جلاله-(٢)، وغير ذلك مما وقع فيه الكتاني(٣) وغيره، ومن ذلك قول محمد بن جعفر الكتاني: "مقام الوتدية(٤) مقام عظيم في الولاية، وأهله أربعة في كل زمان، لا يزيدون ولا ينقصون، وهم العُمد يحفظ الله بأحدهم المشرق والآخر المغرب، والآخر الجنوب والآخر الشمال، ويرفع بهم المكاره عن الأرض، والبلايا عن الناس، وبهم يُرزقون ويُمطرون، فإذا ماتوا فسدت الأرض وخربت الدنيا، ومقامهم هو الموالي لمرتبة القطبانية العظمى"(٥).

وقال عن موضع متبرك فيه بفاس: "كثير من الأخيار إذا خرج إليه للزيارة ينزل نعليه ويخرج حافيا، تواضعا لله تعالى، وأدبا مع أهله، فإن فيهم الأقطاب والأوتاد والأفراد، وأهل المعرفة الكبرى بالله تعالى ونحوهم "(٦).

---

(١) رواه الترمذي، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة التوبة، حديث: (٣٠٩٥)، وابن جرير (٨٠،٨١/١٠)، والبيهقي (١١٦/١٠)، والمزي في تهذيب الكمال (١١٩/٢٣)، وينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي (١٧٤/٤)، وقد حسنه شيخ الإسلام في "الإيمان" ضمن مجموع الفتاوى (٦٧/٧).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٣٣/١١-٤٤٤).

(٣) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (١٥٣-١٥٤)، سلوة الأنفاس (١٧٠/١، ٢١١،٣٣١، ٤٠٩-٤١٠، ٢٣٥/٢، ٥٧/٣)، نظم المتناثر (٢١٠، ٢٢١)، جلاء القلوب (١١/١-١٢، ٢٥٨/٢-٢٥٩).

(٤) الأوتاد: الوتد في اللغة: من زرّ في حائط أو أرض من خشب، ويقال وتده، أي: ثبته، والأوتاد في اصطلاح الصوفية: عبارة عن أربعة رجال منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم: شرق وغرب وشمال وجنوب، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة، كما قرر هنا الكتاني، ينظر: لسان العرب مادة (وتد): (٤٤٤/٣)، التعريفات للجرجاني (٣٩)، معجم مصطلحات الصوفية للحنفي (٢٦٤).

(٥) النبذة اليسيرة النافعة (١٥٣-١٥٤).

(٦) سلوة الأنفاس (١٨٣/٢).

- استدلال الكتاني بعمل الأولياء وماهم عليه وتقليده لهم، مخالف لما سبق تقريره في ذمه للتقليد الأعمى للرجال ومتابعة الغير من غير طلب الحق واتباع الشرع[(١)]، ومن ذلك قوله: "معلوم أن عمل أهل الأقاليم والبلدان إذا كان مخالفا لما دلت عليه السنة الكريمة والقرآن لا يعول أبدا عليه، ولا يبيح أمرا أومأت الشريعة بالتحريم إليه، وإن العوائد لا تنسخ سنة ثابتة ولا تبدل حكما، وأن اتباع الآباء والأجداد والأشياخ وغيرهم فيما ذمه الشرع لا يفيد ولا يرفع إثما ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ۝ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ [سورة الزخرف:٢٤-٢٥]"[(٢)].

وفي الحقيقة كل من يستحسن أعمال وأفعال الشيوخ، ويُعرض عن تحكيم الكتاب والسنة، يقع في هذا الاختلاف والتناقض والاضطراب، يقول ابن القيم-رحمه الله-:"لما أعرض الناس عن تحكيم الكتاب والسنة والمحاكمة إليهما، واعتقدوا عدم الاكتفاء بهما، وعدلوا إلى الآراء والقياس والاستحسان وأقوال الشيوخ، عرض لهم من ذلك فساد في فطرهم، وظلمة في قلوبهم، وكدر في أفهامهم، ومحق في عقولهم، وعمتهم هذه الأمور وغلبت عليهم، حتى ربي فيها الصغير، وهرم عليها الكبير، فلم يروها مكرا، فجاءتهم دولة أخرى قامت فيها البدع مقام السنن، والنفس مقام العقل، والهوى مقام الرشد، والظلال مقام الهدى، والمنكر مقام المعروف، والجهل مقام العلم"[(٣)].

- الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة والموضوعة

كان محمد بن جعفر الكتاني ممن يدعو إلى التثبت من الأحاديث، ويمتدح من التزم بذلك[(٤)]، كما ينكر على من تساهل بالتثبت[(١)]، وحذر من الكذب والوضع على النبي-صلى

(١) ينظر تقريراته في هذا: (ص١٩٠).

(٢) التدخين عند الأئمة الأربعة (٢٤٩).

(٣) الفوائد (٤٨)، وينظر: الاعتصام (٢٨٢/١، ٤٠٠/٢)، الموافقات (١١٧/١).

(٤) ينظر: عمدة الراوين (٣٤/٩)، سلوة الأنفاس (١٧/١، ١٧٥، ٣٢٥-٩٤/٢، ١٢٤، ١٤٨)

الله عليه وسلم-وذكر بأنه كبيرة بالإجماع حتى في الترغيب والترهيب، كما كان ينبه على بعض الأحاديث الضعيفة والمكذوبة، وينكر على من يروي الموضوعات من غير تبيين(٢).

ومما قاله: "والزمخشري(٣)، والبيضاوي، وكذا الغزالي، ليس لهم في هذا الفن كبير بضاعة، بل ذكروا أن بضاعتهم فيه مزجاة، وكم انتقد عليهم في كتبهم من الأحاديث الموضوعة، والتي لا أصل لها، ولهذا تصدى لبيان أحاديثهم وتخريجها جماعة من الحفاظ"(٤).

وقال عن كتاب" الموضوعات" لابن الجوزي(٥):" تساهل فيه كثيرا، بحيث أورد فيه الضعيف، بل والحسن، والصحيح مما هو في سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، ومستدرك الحاكم وغيرها من الكتب المعتمدة، بل فيه حديث في صحيح مسلم، بل وآخر في صحيح البخاري؛ فلذلك كثر الانتقاد عليه" (٦).

وقال: "وعادة المحدثين النظر أولا في الإسناد الذي هو المرقاة إلى المتن، فإن صح خرجوا المتن على وجه ظاهره، أو وقفوا"(٧).

---

(١) كتنبيهه على الموضوعات لابن الجوزي، وأنه تساهل وأورد فيه الحسن، بل والصحيح، ينظر: الرسالة المستطرفة (٢٢، ٧٨، ١٤٩)، وانكاره على الزمخشري والغزالي والبيضاوي في تساهلهم بإيراد الأحاديث الموضوعة، ينظر: الأقاويل المفصلة (٣٧).

(٢) ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٢٥٩-٢٦٠)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٤١)، الرسالة المتطرفة (٥١).

(٣) هو: محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، أبو القاسم، كبير المعتزلة، من مؤلفاته: رؤوس المسائل، الكشاف في التفسير، توفي عام٥٣٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥١/٢٠)، وفيات الأعيان (١٦٨/٥).

(٤) الأقاويل المفصلة (٣٧).

(٥) هو: عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، حنبلي المذهب، مضطرب في العقيدة، من مؤلفاته: زاد المسير في علم التفسير، صفة الصفوة، توفي عام ٥٩٧هـ. ينظر: الذيل على طبقات الحنابلة، للحافظ ابن رجب (٤٦١/٢)، شذرات الذهب (٤٧/١)، الأعلام (٣١٦/٣)، ينظر رأي شيخ الإسلام به: مجموع الفتاوى (١٦٤/٤)، درء التعارض (١٦٠/٦).

(٦) الرسالة المستطرفة (١٤٩-١٥٠).

(٧) المطالب العزيزة الوفية (ل ١٨).

وقد نقل محمد بن جعفر الكتاني اتفاق العلماء على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال، بشروط[١]، وقرر جواز العمل بالضعيف في المواعظ والقصص، والترغيب والترهيب، بخلاف العقائد والأحكام[٢]، حيث نقل عن ابن الصلاح [٣]رحمه الله قوله:" يجوز عند أهل الحديث وغيرهم التساهل في الأسانيد، ورواية ما سوى الموضوع من أنواع الأحاديث الضعيفة من غير اهتمام ببيان ضعفها فيما سوى صفات الله تعالى، وأحكام الشريعة من الحلال والحرام وغيرها. وذلك كالمواعظ، والقصص، وفضائل الأعمال، وسائر فنون الترغيب والترهيب، وسائر ما لا تعلق له بالأحكام والعقائد"[٤].

ومن الشروط التي ذكرها وكررها في جواز العمل بالضعيف في فضائل الأعمال:

- أن يكون مندرجا تحت أصل عام.
- وأن يكون غير شديد الضعف.
- وألا يعتقد عند العمل به ثبوت ذلك الفعل وسنيته، بل يعتقد ضعف الحديث.
- ألا يكون هناك ما يمنع منه، مما هو أقوى وأخص من ذلك العام الذي اندرج تحته، فلا يكون شاذا يخالف فيه المقبول من هو فوقه في الحفظ والاتقان، مع تعذر الجمع بينهما.
- ألا يحدث العمل به شعارا في الدين، فلا يشهر العمل به، ويظهره في المحافل والمواضع العامة، كالمساجد.

---

(١) ينظر: شفاء الأسقام (٢٦)، اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٢، ١٠٥)، الأقاويل المفصلة لبيان حال حديث الابتداء بالبسملة (٢٧).

(٢) ينظر: الأقاويل المفصلة (٢، ٥١، ٧٦-٧٧، ٧٩-٨٢)، شفاء الأسقام (٢٦، ٥٤)، جلاء القلوب (٨٨/٣).

(٣) هو: عثمان ابن المفتي صلاح الدين عبد الرحمن بن عثمان بن موسى الكردي، الشهرزوري، الموصلي، الشافعي، أبو عمرو، المشهور بابن الصلاح، أحد فضلاء عصره في التفسير والحديث والفقه، وله مشاركة في عدة فنون صاحب علوم الحديث، توفي عام ٦٤٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤٠/٢٣)، شذرات الذهب (٢٢١/٥).

(٤) مقدمة ابن الصلاح (١٠٣).

- ألا يديم العمل به، ولا يواظب عليه، ولا يتمالأ الناس عليه، حتى كأنه أمر ثابت؛ لأنه يؤدي إلى إحداث شعار في الدين وهو ممنوع، إلا بدليل ثابت(١).

وما قرره هو قول جمهور العلماء في العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال والترغيب والترهيب، بشروط، أما العقائد والأحكام فلا يعمل فيها إلا بالحديث الصحيح والحسن (٢)؛ لأن المتقرر عند أهل العلم هو أن المسائل العقدية لا تبنى إلا على صحيح الأخبار دون سقيمها، " وأما الأحاديث الموضوعة التي وضعتها الزنادقة ليُلبّسوا بها على أهل الإسلام، أو الأحاديث الضعيفة، إما لضعف رواتها، أو جهالتهم، أو لعلة فيها، لا يجوز أن يقال بها، ولا اعتقاد ما فيها، بل وجودها كعدمها"(٣).

إلا أن محمد بن جعفر الكتاني لم يلتزم بما قرره في شروط جواز العمل بالحديث الضعيف؛ لأنه قرر العمل بالضعيف في غير الفضائل إذا تلقته الأمة بالقبول-برأيه-وإن لم يكن له سند، حيث قال عن حديث البسملة: "سلمنا نفي الصحة والحسن عن هذه الرواية نظرا لسندها المذكور، فلم لا يقال بذلك نظرا لاشتهارها بين أهل العلم، وتلقيهم لها بالقبول وقولهم بها وعملهم في دواوينهم ومصنفاتهم بمقتضاها؟ فإن كل ما كان بهذا الوصف مقبول محتج به حتى في غير الفضائل من الأحكام الشرعية ومسائل الحلال والحرام، وإن لم يكن له أساس يعتمد، بل وإن لم يكن له سند أصلا" (٤)، وهذا خلاف ما قرره في أن الإسناد متى صح فهو مرقاة إلى المتن، وإن لم يصح تُوقف في المتن!

---

(١) ينظر: شفاء الأسقام (٢٦)، اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٢، ١٠٥)، الأقاويل المفصلة لبيان حال حديث الابتداء بالبسملة (٢٧، ٨٠-٨١-٨٣)، الدعامة في أحكام سنة العمامة (٧).

(٢) ينظر: حلية الأبرار وشعائر الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، المعروف بالأذكار النووية، للنووي (ص٤٧)، الأربعون النووية، للنووي (ص٤٢)، الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف: بالموضوعات الكبرى، لعلي القاري (ص٣١٥)، للاستزادة ينظر: الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، لد. عبد الكريم الخضير.

(٣) ذم التأويل (ص٤٧).

(٤) الأقاويل المفصلة (٦٩-٧٠)، وينظر المرجع نفسه: (٢، ٥١، ٧٦، ٧٩-٨٢)، شفاء الأسقام (٢٦، ٥٤)، جلاء القلوب (٨٨/٣).

وقال: "وقد صرّح غير واحد بأن من دليل صحة الحديث: قول أهل العلم به، وإن لم يكن له إسناد"(١)، وهذا عجيب، وفيه فتح لباب تصحيح الأحاديث بحجة قول أهل العلم بها! وعليه فالاعتماد على ما قاله أهل العلم لا على الحديث! وهو مخالف لما قرره في شروط العمل بالحديث الضعيف.

وقال: "وعليه يعول أن قبول أهل العلم لشيء لا يدل على صحة لفظه، وإنما يدل على صحة معناه"(٢)، فاحتج بالأحاديث الضعيفة على المسائل الاعتقادية مع إقراره بأنها ضعيفة، بحجة صحة معناها كما سيأتي! كما احتج بالموضوع وما لا أصل له في الشرع، وجوّز الاستدلال بالحديث الضعيف في المناقب، مع أن "مسلك أهل التحقيق، أن الحكم بفضيلة لأحد، حكم شرعي، وأحكام الشرع الشريف متساوية الأقدام، فلا وجه للتمسك بالضعاف فيها، بل لابد أن يكون الخبر صحيحا لذاته، أو لغيره، وكذا الحسن، لا يحتج بالضعيف إلا على طريق الشهادة والمتابعة إذا كان موافقا لهما"(٣)، وهذا تناقض بيّن.

ومن تقريراته في جواز العمل بالضعيف في الفضائل والمناقب قوله: "فالضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب وفاقا، لا خلافا"(٤).

بل فتح الباب على مصراعيه في ذكر فضائل النبي-صلى الله عليه وسلم-حتى قال: "تقرر من أن الفضائل والمناقب يعمل فيها بالضعيف ولا سيما في حقه-صلى الله عليه وسلم-لقيام الدلائل القاطعة، والبراهين الساطعة على تأهله لكل فضيلة كائنة ما كانت، واستحقاقه لكل منقبة وإن تناهت"(٥).

وفي رسالة: "المسلسلات"، روى المسلسلات الضعيفة، والموضوعة، والرؤى (٦)، واعتمد في كتابه"سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمر أقبر من العلماء والصلحاء بفاس" على كتب مبنية

---

(١) الأقاويل المفصلة (٧٠).

(٢) المرجع السابق (٧٤).

(٣) الدين الخالص، لمحمد صديق القنوجي (٣/٣١٦).

(٤) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٢)، وينظر المرجع نفسه: (١٠٥)، إسعاف الراغب الشائق (٧٩).

(٥) جلاء القلوب (٣/٢٥٢).

(٦) ينظر: رسالة المسلسلات (٥٢، ٥٣، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨).

على الأحاديث الضعيفة، وقد نقد عليه عبد الحي الكتاني هذا وقال في اعتماده عليها:" هذه كبيرة لا تغتفر من محدث"(١).

وقال في بعض الأحاديث التي احتج بها:" ألفاظه ركيكة باد عليها التصنع، كيف يسكت عنه ويحتج به وهو كما يقال: من أهل الصنعة؟ (٢)"

وقال أيضا:" ما هذا عمل المحدثين، فقد كانوا قديمًا إذا ذكروا الحديث بإسناده تبرؤوا من عهدته، وأخيرًا إذا عزوه وذكروا مخرجه أحالوا القارئ على محل تخريجه، أمَّا ذكر الحديث هكذا بلا عزو ولا مخرج فهو اصطلاح جديد للمحدثين الجدد؟؟"(٣).

وقد أوقعه الاحتجاج بالأحاديث الضعيفة والعمل بها في الضلال في جملة من المسائل العقدية، منها:

- الاعتقاد في الأضرحة، وقوله بأن من فوائد أضرحة الأولياء بيننا -كما يرى- اعتمادا على الأحاديث الضعيفة التي ذكرها: "وجود البركة في الأرض، وكثرة النفع، وإدرار الرزق، إذ لولاهم ما أرسلت الأرض قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها"(٤).

- القول بأن الجني شمهروش أحد صحابة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-الذين يروون الأحاديث عنه، حيث روى المسلسل بالمصافحة الشمهروشية، وقال عن صحبته:" أمره تواتر، وشاع وتكاثر، وإخبار غير واحد بالاجتماع به من ذوي البصائر معلوم، وإذعانهم لجنابه مقرر مرسوم، وهم القدوة، ولنا فيهم أسوة، وعدم ذكرهم له في الصحابة لا يخدش في هذا المطلب، لأن اجتماع الجن معه -عليه السلام- مما لا يخفى في الأغلب، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب"(٥).

---

(١) إعلام الحاضر والآت (ل ٢٣/ب).

(٢) المرجع السابق (ل ٢٤/ب).

(٣) أعلام الحاضر والآت (ل ٣٠/أ).

(٤) سلوة الأنفاس (٢٥/١)، وينظر نقد عبد الحي الكتاني عليه في هذا: إعلام الحاضر والآت (ل ٣٠/أ).

(٥) رسالة المسلسلات (٥٨).

- قوله باختصاص نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- بإحياء أبويه له وإيمانهما به(١)، فقد قرر في كتابه" في نظم المتناثر من الحديث المتواتر" تحت كتاب المناقب، بأن هذا من المتواتر المعنوي، وقال:" جميع آبائه -عليه السلام وأمهاته -كانوا على التوحيد لم يدخلهم كفر، ولا عيب، ولا رجس، ولا شيء مما كان عليه أهل الجاهلية"(٢)، وقال: "والطرق وإن كانت ضعافا فالضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب وفاقا، لا خلافا"(٣).

- قوله بأن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان عارفا بجميع اللغات والألسن متحدثا بها، وبمنطق الجمادات والحيوانات والنباتات (٤)، حيث قال بعد سرده للأحاديث الضعيفة في هذه المسألة مع إقراره بضعفها:" لكن معنى الحديثين صحيح والله أعلم"(٥).

- تقريره لجملة من مكفرات الذنوب بناء على الأحاديث الضعيفة، كتقريره لمشروعية صلاة التسبيح(٦)، وصلاة الفاتح(٧)، وغيرها من الأذكار المبتدعة(٨)، والقول بأن ذكر الصالحين وتكفير الذنوب(٩)، بل قرر بأن رؤية الأولياء والجلوس بين أيديهم سبب لمغفرة الذنوب، وأنه لا يقع نظر إنسان على الولي من غير معرفة إلا غفر الله له ولوالديه ولسبعين من أهل بيته، بناء على حديث ضعيف(١٠).

---

(١) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٩٠)، اليمن والإسعاد بمولد خير العباد (٩٢).

(٢) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٩٠).

(٣) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٢).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (٩٥/١، ٢٣٢)، المطالب العزيزة الوفية في تكلمه-صلى الله عليه وسلم-بغير اللغة العربية (ل ٣).

(٥) المطالب العزيزة الوفية في تكلمه-صلى الله عليه وسلم-بغير اللغة العربية (ل ٣).

(٦) قال ابن الجوزي في الموضوعات بعد أن ذكر حديث صلاة التسبيح من طرق عدة: هذه الطرق كلها لا تثبت، ثم ذكر علة كل طريق، وقال: قال العقيلي: ليس في صلاة التسبيح حديث يثبت، ينظر: الموضوعات (١٤٦/٢).

(٧) ينظر: شفاء الأسقام والآلام (٩، ١٣، ٢٠-٢٩).

(٨) ينظر: المرجع السابق (٩ ،٣٩، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٦ وما بعدها).

(٩) ينظر: سلوة الأنفاس (١٢/١-١٥، ٤٤)، ونقد عبد الحي الكتاني عليه في إعلام الحاضر والآت (ل ٢٣/ب، ٣٣/ب).

(١٠) ينظر: سلوة الأنفاس (٢٧/١)، إعلام الحاضر والآت (ل ٣٠/ب).

- الاعتماد على الرؤى المنامية، وأخذ الأحكام منها[١].

- القول بالاحتفال بالمولد النبوي وعمل الولائم فيه، بناء على الرؤى والأحاديث الضعيفة[٢].

- القول باجتماع الخضر بالنبي-صلى الله عليه وسلم- وملاقاته، واجتماع الأولياء به[٣].

- قوله بالحقيقة المحمدية[٤]، وأن النبي-صلى الله عليه وسلم-خُلق من نور[٥]، والقول بأنه أول النبيين في الخلق والنبوة[٦]، وأنه-صلى الله عليه وسلم-هو المقصود من الخلق والممد لهم[٧].

- احتجاجه بالضعيف على تحديد وقت مولد النبي-صلى الله عليه وسلم-وأنها بُعيد الفجر الصادق وقال: "بُعيد الفجر الصادق، كما ورد به حديث ناطق، وهو وإن كان ضعيف السند، فالضعيف حجة ها هنا باتفاق من يُعتمد"[٨].

وهذا خلاف منهج أهل السنة والجماعة، وخلاف الحق الذي قرره بنفسه-كما سبق-، بل هو من منهج أهل البدع، يقول الشاطبي-رحمه الله- في طريقة أهل البدع في الاستدلال:

---

(١) ينظر: رسالة المسلسلات (٥٢، ٥٧).

(٢) ينظر: اليمن والإسعاد بمولد خير العباد (٩٨)، وينظر رد النتيفي الجعفري على استدلاله بالحديث فيه: أصفى الموارد (٢٠٧).

(٣) ينظر: رسالة المسلسلات (٥٦، ٥٩).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (٣/٦٦-٦٧).

(٥) ينظر: إسعاف الراغب الشائق (٥٦).

(٦) ينظر: جلاء القلوب (١/٥٥-٥٦).

(٧) ينظر: إسعاف الراغب الشائق (٥٥-٥٦-٦٠)، اليمن والإسعاد (٨٧-٨٩).

(٨) إسعاف الراغب الشائق (٧٩).

"فمنها: اعتمادهم على الأحاديث الواهية الضعيفة، والمكذوب فيها على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، والتي لا يقبلها أهل صناعة الحديث"(١).

ويقول عبد الحميد ابن باديس(٢)-رحمه الله-:" لا نعتمد في إثبات العقائد والأحكام على ما ينسب للنبي- صلى الله عليه وآله وسلم - من الحديث الضعيف؛ لأنه ليس لنا به علم، فإذا كان الحكم ثابتاً بالحديث الصحيح، مثل: قيام الليل، ثم وجدنا حديثاً في فضل قيام الليل بذكر ثواب عليه مما يرغب فيه، جاز عند الأكثر أن نذكره مع التنبيه على ضعفه الذي لم يكن شديداً، على وجه الترغيب.

ولو لم يكن الحكم قد ثبت لما جاز الالتفات إليه وهذا هو معنى قولهم: [الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال] أي في ذكر فضائلها المرغبة فيها في أصل ثبوتها.

فما لم يثبت بالدليل الصحيح في نفسه، لا يثبت بما جاء من الحديث الضعيف في ذكر فضائله باتفاق من أهل العلم أجمعين" (٣).

وسيأتي التفصيل بذكر تقريراته في هذه المسائل ونقدها -وفق منهج أهل السنة والجماعة- في موضعها بحول الله تعالى!

---

(١) الاعتصام (١٢/٢).

(٢) هو: عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي ابن باديس، من كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام، والزعيم الروحي لحرب التحرير الجزائرية، ورئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، من مؤلفاته: العقائد الإسلامية، التفسير، توفي عام١٣٥٩هـ، ينظر: مقدمة آثار ابن باديس لعمار طالبي (٧٢-٩٥)، معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض (٢٨-٢٩).

(٣) آثار ابن باديس (٢٧٣/١).

- موقفه من علم الكلام[١]

ذكر محمد بن جعفر الكتاني في أكثر من موضع خلاف الناس في علم الكلام، وبين رأيه فيه، وهو أنه من الفروض الكفائية في حق المتأهل له، حتى ذكر ما يرى من فضيلته[٢].

ومن بيانه لعلم الكلام وذكره لخلاف الناس فيه، قوله في بيانه أنه: "الاستناد إلى البراهين القاطعة والدلائل التفصيلية الساطعة، والقدرة على حل الشبه التي أوردتها الملحدة، على طريقة المتكلمين التي سلكها فخر الدين الرازي[٣] في كتبه، والبيضاوي[٤] في طوالعه، والعضد[٥] في مواقفه"[٦]، إلى أن قال: "وقد حصَوا في المعرفة بالدليل التفصيلي، وهو المقدور على تقريره وحل شبهه أقوالا أربعة:

- أحدهما: أنها فرض كفاية، على أهل كل قطر يشق الوصول منه لغيره...

---

(١) علم الكلام: هو ما أحدثه المتكلمون في أصول الدين من إثبات العقائد بالطرق التي ابتدعوها، وقد ذكر المتأخرون عدة أقوال في سبب تسميته بعلم الكلام، منها: أن مبناه على الكلام في المناظرات، أو لأن العلماء بوّبوا له بقولهم: الكلام في كذا، وقيل: لأن أهم قضية تتعلق بهذا العلم هي مسألة كلام الله تعالى، وقيل لكثرة الكلام فيه مع المخالفين والرد عليهم، ينظر: مقدمة ابن خلدون (٤٤٧)، شرح المواقف (١/٦٦)، درء التعارض (١/٢٣٢)، وقد فصّل الكتاني فيه، ينظر: حاشية على شرح ميارة (١٠/ب-١١/أ).

(٢) ينظر: الكشف والبيان (١٥٢-١٥٩)، حاشية على شرح ميارة (١٠/ب-١١/أ)، تشنيف المسامع (ل ١٠-١١).

(٣) هو: محمد بن عمر بن الحسين الرازي، أبو عبد الله، المعروف بالفخر الرازي، من كبار الأشاعرة والمحققين للمذهب الأشعري، من مؤلفاته: مفاتح الغيب، تأسيس التقديس، توفي عام ٦٠٦هـ. ينظر: وفيات الأعيان (٤/٢٤٨) سير أعلام النبلاء (٢١/٥٠٠).

(٤) هو: عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي البيضاوي، شافعي المذهب، من كبار الأشاعرة، من مؤلفاته: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، طوالع الأنوار، توفي عام٦٨٥هـ. ينظر: طبقات الشافعية للسبكي (٨/١٥٥)، شذرات الذهب (٥/٣٩٢)، الأعلام (٤/١١٠).

(٥) هو: عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، أبو الفضل الإيجي، من أشهر رجال المذهب الأشعري، وأحد تلامذة البيضاوي، من مؤلفاته: المواقف في علم الكلام، توفي سنة ٧٥٦هجرية، ينظر: الدرر الكامنة (٣/١١٠)، الأعلام (٢/٢٩٥).

(٦) الكشف والبيان (١٥٢).

- ثانيها: أنها مندوب إليها...

- ثالثها: أنها واجبة على الأعيان غير أنها ليست نفس الإيمان ولا تابعة له حتى يكفر بعدمها، وإنما فرض يعصى بتركها...

- رابعها: أنها بدعة وحرام؛ لما تؤدي إليه من الوقوع في الشبه والضلال.

وهو مذهب كثير من السلف، بل نسبه السيوطي لإجماعهم(١)، وقال في الإحياء:" ذهب مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وسفيان، وجميع أهل الحديث من السلف إلى أن علم الكلام والجدل، بدعة وحرام، وأن العبد أن يلقى الله تعالى بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بعلم الكلام"(٢)، وقال في النصيحة:" اتفق مالك والشافعي وأحمد وسفيان وأبو يوسف(٣) على تحريم الكلام في علم الكلام"(٤).

وعن بعض العلماء قال: الناظر في علم الكلام كالناظر في عين الشمس، كلما ازداد نظره زاد عمى"(٥).

ثم نقل بأن محل نهي السلف عنه إنما هو في حق غير المتأهل، ممن يُخشى عليه من الخوض فيه الوقوع في الشبه والضلال، وصرح برأيه فقال: "وعلى كل قول من هذه الأقوال: فالمعرفة بالدليل التفصيلي غير شرط في صحة الإيمان، بل لا قائل بتوقف الإيمان عليها، وإنما هي على ما هو معروف كالواجبات الفرعية الكفائية، إذا قام بها أحد في قطر، سقط الطلب عمن بقي، وإلا أثم الجميع إثم عصيان لا إثم كفر"(٦).

---

(١) ينظر: صون المنطق والكلام (١٦٠).

(٢) ينظر: إحياء علوم الدين للغزالي (٩٥/١).

(٣) هو: يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، الكوفي البغدادي، أبو يوسف، تلميذ أبي حنيفة، وأول من نشر مذهبه، كان فقيها عالما، من مؤلفاته: الخراج، والفرائض، والآثار، توفي عام١٨٢هـ، سير أعلام النبلاء (٥٣٥/٨)، شذرات الذهب (٢٩٨/١).

(٤) النصيحة الكافية لمن خصة الله بالعافية، لأحمد زروق (٥٨).

(٥) الكشف والبيان (١٥٣-١٥٧).

(٦) المرجع السابق (١٥٩).

وقال في موضع آخر مؤكدا رأيه:" والنظر على طريقة المتكلمين هو التفصيلي، المشتمل على تحرير الأدلة وتدقيقها، ودفع الشكوك والشبه عنها، وهو فرض كفاية في حق المتأهلين له، يكفي قيام بعض الناس به، وحرام على غير المتأهل؛ لما يؤديه إليه من الوقوع في الشبه والضلالات"(١).

وقال أيضا: "وأما حل الشبه والشك؛ فلم يختلف المتكلِّمون في أنه فرض على الكفاية"(٢).

وقد ذكر فضائل علم الكلام فقال: "وأمّا فضيلته: فاعلم أنَّ لهذا العلم من الرتب أعلاها، وأفخمها مزية وأقصاها؛ لأن فضيلة كل علم بفضيلة معلومة، ولما كان معلوم هذا العلم وفائدته معرفة الله تعالى، ورسله التي هي سبب سعادة من اتَّصف بها دنيا وأخرى، وعدم خلود من اتَّصف بها في آخر حياته في النار؛ كان بذلك أفضل العلوم، وكانت جميع العلوم له عبدًا، ولله درّ من قال:

أيُّها المقتدي لتطلب علما ... كل علم عبد لعلم الكلام

تطلب الفقه كي تصحح حكما ... ثم أغفلت منزل الأحكام

عابَ الكلام أناس لا خلاق لهم ... وما عليه إذا عابوه من ضرر

ما ضرَّ شمس الضحا في الأفق طالعة ... ألَّا يرى ضوءُها من ليس ذا بصر"(٣).

ومع قوله بفرضية علم الكلام الكفائية في حق المتأهل وفضيلته، قال عن الرازي والغزالي في موضع: "وكان الشيخ أبو حامد-رضي الله عنه-في ابتداء أمره سالكا مسلك أهل الكلام فيلسوفا، ثم من الله عليه بالتخلص من الكلام والفلسفة إلى التصوف وسلوك طريقة القوم حتى وصل إلى ما وصل إليه من المرقى الأعلى والمكانة التي كادت ألا تلحق.

ويحكى عن الفخر أنه رجع أيضا عما كان عليه من المسلك الكلامي، وتاب منه، وذلك عند موته، وأنه صار يقول: اللهم إيمانا كإيمان العجائز، وأنشد متأسفا على ما فاته:

---

(١) تشنيف المسامع (ل ١٠).

(٢) حاشية على شرح ميارة (١٠/ب).

(٣) المرجع السابق (١١/ب).

نهايــــة إقــــدام العقــــول عقــــال وغايــــة ســــعي العــــالمين ضــــلال

وأرواحنــا في وحشــة مــن جســومنا وحاصــــــل دنيــــــانا أذى ووبال

ولم نســتفد مــن بحثنــا طــول عمــرنا ســوى أن جمعنــا فيــه قيــل وقــالوا

"(١).

النقد:

وافق محمد بن جعفر الكتاني منهج المتكلمين في القول بفرضية علم الكلام، مخالفا بذلك منهج السلف الصالح الذين اتفقوا على ذم الكلام وأهله، وصنفوا في ذلك المصنفات(٢)، وأنكروا على المتكلمين سلوكهم هذه المسالك المعقدة، وبينوا فساد طريقتهم عقلا، وتحريمها شرعا، قال الإمام أبي محمد الحسن بن علي البربهاري(٣) رحمه الله:" واعلم -رحمك الله- أنه ما كانت زندقة قط، ولا كفر، ولا شك، ولا بدعة، ولا ضلالة، ولا حيرة في الدين، إلا من الكلام وأصحاب الكلام والجدل والمراء والخصومة"(٤).

ويقول ابن عبد البر-رحمه الله-مستدلا على فساد طريقة علم الكلام وبدعيتها بعدم سلوك الصحابة لها، مع ما نطق به القرآن من تزكيتهم وتقديمهم، والإطناب في مدحهم وتعظيمهم، فلو كانت هذه الطريقة لديهم مشهورة، أو من أخلاقهم معروفة لاستفاض عنهم النقل، ولتواترت بها الرواية والخبر، حيث يقول: "ولو كان النظر في الحركة والسكون عليهم واجبا، وفي الجسم ونفيه والتشبيه ونفيه لازما، ما أضاعوه، ولو أضاعوا الواجب ما نطق القرآن

---

(١) جلاء القلوب (٣/٢٨٢).

(٢) ينظر: كتاب ذم الكلام لأبي عبد الرحمن السلمي، أحاديث ذم الكلام وأهله، منتخبة من رد السلمي على أهل الكلام، لأبي فضل عبد الرحمن العجلي، ذم الكلام وأهله لأبي إسماعيل الهروي، الغنية عن الكلام وأهله للخطابي، تحريم النظر في كتب الكلام، لابن قدامة، وغيرها.

(٣) هو: الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد، شيخ الحنابلة في وقته، كان معروفا بشدة الإنكار على أهل البدع، من مؤلفاته: شرح كتاب السنة، توفي عام ٣٢٩هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥/٩٠)، شذرات الذهب (٢/٣١٩).

(٤) شرح السنة (٣٨).

بتزكيتهم وتقديمهم، ولا أطنب في مدحهم وتعظيمهم، ولو كان ذلك من عملهم مشهورا أو من أخلاقهم معروفا لاستفاض عنهم، ولشهروا به كما شهروا بالقرآن والروايات"(١).

وقد ذكر الكتاني هذا في تقريره السابق، فأقر على أن السلف متفقون على أن علم الكلام بدعة وحرام؛ إلا أنه يرى بأن محل نهي السلف عنه إنما هو في حق غير المتأهل، ممن يُخشى عليه من الخوض فيه الوقوع في الشبه والضلال، أما المتأهلين له فهو فرض كفاية في حقهم، وهذا باطل؛ من عدة أوجه:

- أن علم الكلام مبني على الفلسفة وما قرره أهل التجهم والاعتزال، وتقرير الكتاني بفرضية علم الكلام المبتدع، باطل؛ لأن ما بني على باطل فهو باطل، فكيف يقال مع ذلك بفرضيته على الكفاية؟(٢).

يقول ابن تيمية-رحمه الله-" جميع ما ابتدعه المتكلمون، وغيرهم؛ مما يخالف الكتاب والسنة، فإنّه باطل، ولا ريب أن المؤمن يعلم من حيث الجملة أنّ ما خالف الكتاب والسنة فهو باطل"(٣).

- يقال للكتاني في رأيه بأنه فرض على الكفاية في حق المتأهل: من هو هذا المتأهل؟ فهذا الرازي الذي قرر الكتاني بأنه سلك هذه الطريقة فحل الشّبه برأيه في كتبه، قد رجع عنه، وأقر بضلاله، وعلى التسليم بصحة ما ذكر لا أحد يأمن على نفسه الفتنة.

وهذا يدل على تناقض محمد بن جعفر الكتاني، فقد أقر بفرضيته على المتأهل، ثم أقر برجوع الغزالي والرازي، وتوبتهم منه، فكيف يتوبون من شيء كان فرضا عليهم؟

- أن علم الكلام لا فائدة منه، ولا منفعة، فكيف يُقال بفرضيته على الكفاية؟ يقول الغزالي:" أما مضرته: فإثارة الشبهات، وتحريك العقائد وإزالتها عن الجزم والتصميم، فذلك مما يحصل في الابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه، ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في

---

(١) التمهيد (١٥٢/٧).

(٢) ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢٠/١)، مجموع الفتاوى (١٨٣/٣).

(٣) النبوات (٥٦١/١).

الاعتقاد الحق، وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبدعة للبدعة، وتثبيته في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم، ويشتد حرصهم على الإصرار عليه، ...

وأما منفعته: فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه، وهيهات، فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف"(١).

- أن علم الكلام مع كونه مخالفا لمنهج السلف كما أقر الكتاني بذلك، هو من منهج أهل البدع، يقول العلامة ابن خويز منداد(٢)-رحمه الله-:" فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع أشعريا كان، أو غير أشعري، ولا تقبل له شهادة في الإسلام، ويهجر ويؤدب على بدعته، فإن تمادى عليها استتيب منها"(٣).

ومن أهم المسائل الكلامية التي سلك فيها محمد بن جعفر الكتاني مسلك سبيل أهل الكلام من الأشعرية ومن وافقهم فيها:

- تقديم العقل على الشرع.
- عدم قبول خبر الآحاد في المسائل الاعتقادية.
- تأويل بعض الصفات، وتفويض بعضها، والقول بأن إثبات الصفات يستلزم التجسيم.
- القول ببدعية الكلام النفسي.
- القول بالكسب، وموافقته للأشعرية في مسألة التحسين والتقبيح، والحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى(٤).

---

(١) إحياء علوم الدين (٩٧/١).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن عبد الله خويز منداد العراقي، فقيه مالكي أصولي، من تصانيفه: كتاب كبير في الخلاف، وكتاب في أصول الفقه، اختيارات في الفقه، توفي عام٣٩٠هـ، ينظر: الوافي بالوفيات (٣٩/٢)، شجرة النور الزكية (١٥٤/١).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٩٤٢/٢).

(٤) سيأتي بإذن الله تعالى بيان رأي محمد بن جعفر الكتاني في هذه المسائل وغيرها مما وافق فيه أهل الكلام المذموم في مظنته وبابه في هذا البحث.

- موقفه من التفويض والتأويل

كان محمد بن جعفر الكتاني يرى أن من المتشابه كما يقول: "ألفاظ التشبيه الواردة في النعوت الذاتية والصفات الإلهية كالاستواء، والوجه، والعين، واليد، وغيرها مما يوهم الجارحة، أو الجسمية أو التحيز، أو نحوها من سمات الحدوث"(١) وأن ظاهرها المستحيل الموهم للتشبيه هو غير مراد، وأن الحق هو التفويض(٢)؛ لأن التأويل فيه سوء أدب، وإكذاب للحق-تعالى- والرسل، وهو كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض(٣).

ومن تقريراته قوله:" "أبقاها السلف كأمثالها في التشبيه، من الوجه والعين واليد والقدم والاستواء ونحوها على حالها، وآمنوا بها على حد علم الله تعالى فيها، لا على حد علمهم، من غير تأويل، مع التنزيه له تعالى عن الظاهر المستحيل، خوفا من أن يفوتهم كمال الإيمان؛ لأن الله تعالى ما كلفهم إلا بالإيمان بما أنزل، لا بما أوّلوه، فقد لا يكون مرادا للحق"(٤).

فكان يقرر مذهب التفويض، وينسبه للسلف، ويرى بأنه الأسلم والأحوط، وأيد النووي بقوله:" من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها حق، وأن ظاهرها غير مراد، ولها معنى يليق بها، وهذا مذهب جمهور السلف، وهو أحوط وأسلم"(٥).

كما نقل قول السيوطي:" فصل من المتشابه آيات الصفات...نحو: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ **[سورة طه:٥]**، ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥ ۝٨٨﴾ **[سورة القصص:٨٨]**، ﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾ **[سورة الرحمن:٢٧]**، ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ۝٣٩﴾ **[سورة طه:٣٩]**. ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ **[سورة الفتح:١٠]**، ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ **[سورة الزمر:٦٧]**.

---

(١) جلاء القلوب (٢٠٧/١).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٤٠/٢، ٢٠٤).

(٣) ينظر: جلاء القلوب (٣٨/٢).

(٤) جلاء القلوب (٤٠/٢)، وينظر المرجع نفسه (٢٠٧/١).

(٥) جلاء القلوب (٢٠٨/١)، ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي (١٦٦/١٦).

وجمهور أهل السنة ومنهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها، وتفويض المعنى المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له تعالى عن حقيقتها"(١).

وقال:" نُقل عن بعض السلف ما عرف منهم من التوقف عن تأويل الظواهر المستحيلة، فتُوُهّم أنَّ ذلك لاعتقادهم ظاهرها، وحاشاهم من ذلك، وإنما وقفوا لتعدد التأويلات، من غير أن يقوم عندهم دليل على تعيين المراد"(٢).

فيرى بأن السلف تركوا التأويل لا لأنهم يعتقدون الظواهر المستحيلة، وإنما وقفوا لتعدد التأويلات.

وقد قرر ابنه الزمزمي هذا التفويض عنده، فحفيده محمد المنتصر بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني في تحقيقه على كتاب الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، نقل عن والده بأنه يقول عنه:" كان سلفي العقيدة لا يؤول الأسماء والصفات، يثبت ما ورد في ذلك، من ذكر يد ورجل واستواء، ويقول الله أعلم بمراده، ويقول عن الأشعرية والماتريدية: إنهم يؤولون المتشابه لا على أن ما يقولونه هو الحق جزما، وإنما كانت اللغة قوالب للمعاني، ومعاني الصفات لا تحتملها تلك القوالب، فأولوها خوف الوقوع في التشبيه"(٣).

فقوله:" ويثبت ما ورد في ذلك، من ذكر يد ورجل واستواء، ويقول الله أعلم بمراده" هذا هو مذهب التفويض.

كما أنه يقرر في كلامه السابق بأن الأشعرية والماتريدية يؤولون الأسماء والصفات، إلا أنه لا يقرر التأويل ولا يصححه، بل يقرر الأسماء والصفات، ويقول الله أعلم بها، وهذا هو في الحقيقة مذهب التفويض.

وقد ذكر عن محمد بن جعفر الكتاني هنا سبب وقوع الناس في التأويل، حيث قال" فأولوها خوف الوقوع في التشبيه"(٤)، فقرر بأن سبب التأويل هو خشية تشبيه الله عز وجل

(١) جلاء القلوب (٢٠٩/١)، ينظر: الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٤/٣).
(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٨/ب).
(٣) الرسالة المستطرفة (٣٠).
(٤) المرجع السابق (٣٠).

بغيره، كذلك نقل نقولات كثيرة في هذا السبب، وأنه ما أحوج الناس إلى التأويل إلا ظنهم بأن الله كلفهم بتعقل مرتبة التنزيه التي لا يتعقلونها، وإلا لو علموا أنها خاصة به ما أولو شيئا، وكان يكفيهم الإيمان بأنه ليس كمثله شيء(١).

كما نقل عن غيره الحطّ على شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم؛ لإثباتهما-برأيه-الجهة والجسمية لله عز وجل، منها حط ابن حجر الهيتمي(٢)، حيث نقل عنه قوله:" قال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية: أنه ذكر شيئا بديعا، وهو أنه- صلى الله عليه وسلم- لما رأى ربّه واضعا يده بين كتفيه أكرم ذلك الموضع بالعذبة...بل هذا من قبيح رأيهما وضلالهما، إذ هو مبني على ما ذهبا إليه، وأطالا في الاستدلال له، والحطّ على أهل السنة في نفيهم له، وهو إثبات الجهة والجسمية له، تعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا، ولهما في هذا المقام من القبائح، وسوء الاعتقاد، ما تصم عنه الآذان، فيقضى عليه بالزور، والكذب، والضلال، والبهتان قبحهما الله، وقبح من قال بقولهما، والإمام أحمد وأجلّاء مذهبه مبرءون عن هذه الوصمة القبيحة، كيف وهو كفر عند كثيرين" (٣).

وهذا النقل في الحط على شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم-رحمهما الله-لإثباتهما صفة اليد لله -عز وجل- على ظاهرها الموهم للتشبيه -برأيهم- وإثبات الجهة والجسمية لله -عز وجل، يؤكد ما قرره بأن بعض الصفات الإلهية يوهم ظاهرها التشبيه، وهو غير مراد، وتأييده القول بتفويضها، وأن التفويض هو مذهب السلف وهو الأسلم.

---

(١) ينظر: جلاء القلوب (١٢٩/١).

(٢) هو: أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي، فقيه شافعي من أعلام الأشاعرة، من مؤلفاته: الفتاوى الحديثية، شرح الشمائل، توفي عام٩٧٤هـ، ينظر: شذرات الذهب (٣٧٠/٨)، البدر الطالع (١٠٩/١)، فهرس الفهارس (٣٩٩/١).

(٣) الدعامة في أحكام سنة العمامة (٥٢)، أشرف الوسائل إلى فهم الشّمائل، ابن حجر الهيتمي (ص ١٧٢).

إلا أنه نقل كذلك عمن دافع عن ابن تيمية وابن القيم كالمناوي[١]-رحمه الله- حيث نقل قوله في التعليق على كلام ابن حجر السابق، قال: "أما كونهما من المبتدعة فمسلم، وأما كون هذا بخصوصه بنياه على التجسيم فغير مستقيم؛ أما أولا: فلأنهما إنما قالا إن الرؤية المذكورة كانت في المنام، ... وأما ثانيا: فإنا نؤمن بأن له يدا لا كيد المخلوق، فلا مانع من وضعها وضعا لا يشبه وضع المخلوق، بل وضعا يليق بجلاله"[٢].

ونقل رد علي قاري[٣]-رحمه الله- حيث قال حكاية عنه: "وقال الشيخ علي القاري في جمع الوسائل عقب نقله لكلام ابن حجر ما نصه: "أقول: قد صانهما الله عن هذه السمة الشنيعة، والنسبة الفظيعة، ومن طالع شرح منازل السائرين، تبين له أنهما كانا من أكابر أهل السنة والجماعة، ومن أولياء هذه الأمة" ثم ذكر كلاما لابن القيم في منازل السائرين وهو صريح في نفي ما نسب إليه"[٤]، وهو في هذه النقول كأنه يدافع عن شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم، وأنهما لم يقصدا بذلك التشبيه والتجسيم، إلا أنه عاد ونقل نقولا في سوء طوية ابن القيم وشيخه ابن تيمية، وأنهما حقيقان بكل ما قيل فيهما، وختم نقولاته بقوله: "فأنت ترى هذا الاضطراب الواقع فيهما في هذا الباب، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه الرجوع والمآب، ونسأله سبحانه التوفيق والهداية إلى أقوم طريق، آمين"[٥].

---

(١) هو: عبد الرؤوف بن تاج العارفين ابن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي، شافعي المذهب، أشعري المعتقد، من مؤلفاته: فيض القدير شرح الجامع الصغير، شرح الأربعين النووية، توفي عام ١٠٣١هـ، ينظر: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي (٤١٢/٢)، فهرس الفهارس (٥٦٠/٢)، الأعلام (٢٠٤/٦).

(٢) الدعامة في أحكام سنة العمامة (٥٣)، جمع الوسائل في شرح الشمائل، لعلي ملا قاري، وبهامشه شرح عبد الرؤوف المناوي، (١٦٨/١).

(٣) هو: علي بن سلطان محمد القاري الهروي، المعروف بالملا علي القاري الحنفي، ممن دافع عن ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، قرر مذهب السلف في الجملة مع تأثره بمذهب الأحناف الماتريدية، من مؤلفاته: شرح الفقه الأكبر، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، توفي عام١٠١٤هـ، ينظر: خلاصة الأثر (١٨٥/٣)، البدر الطالع (٤٢٤/١)، الأعلام (١٢/٥)، عداء الماتريدية للعقيدة السلفية، وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، للشمس الأفغاني (٣٥٠/١، ٥٣٧-٥٤٠).

(٤) الدعامة في أحكام سنة العمامة (٥٤)، جمع الوسائل في شرح الشمائل (١٦٨).

(٥) الدعامة في أحكام سنة العمامة (٥٤).

وكلامه هذا يوضح -والله أعلم- بأنه مشكك في هذه المسألة، ولا يدري الحق فيها، مع تقريره- قبل ذلك- بأن ظاهر بعض الصفات التشبيه، وهو غير مراد، وترجيحه لمذهب التفويض.

وقد قرر في "نظم المتناثر من الحديث المتواتر" أن من المتواتر ما نصه:" أنه سبحانه وتعالى فوق سماوته على عرشه، على حسب ما يليق بكماله، من غير حلول، ولا كيف، ولا تمثيل، ولا تشبيه ولا جسمية ولا اتصال ولا انفصال، ذكر تواترها ابن تيمية في غير ما رسالة من رسائله، ونصه في العقيدة الواسطية: "وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله به في كتابه وتواتر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأجمع عليه سلف الأمة، من أنه سبحانه فوق سماوته، على عرشه، على خلقه، وهو معهم سبحانه أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون اهـ."[١]أ هـ المراد منه، وقال في العقيدة الحموية الكبرى بعد ما ذكر فيها أن كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله كذلك:" ثم عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص وإما ظاهر في أنه سبحانه فوق كل شيء، وعلى كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء"[٢] مثل كذا وكذا، وذكر آيات وأحاديث في هذا المعنى ما نصه، إلى أمثال مما لا يحصيه إلا الله، مما هو من أبلغ التواترات اللفظية والمعنوية، التي تورث علماً يقيناً من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله، ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش استوى، وأنه فوق السماء"[٣].

فأثبت صفة العلو والاستواء والمعية مع نفي الحلول والجسمية والاتصال والانفصال، وهذه ألفاظ مجملة، تحتمل الحق وتحتمل غيره.

النقد:

يتبين من هذا عدة آراء لمحمد بن جعفر الكتاني، وهي:

- قوله بأن ظاهر نصوص الصفات موهم للتشبيه وهو غير مراد.

---

(١) العقيدة الواسطية لابن تيمية (ص٢٣).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (٢٠١).

(٣) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٤٤).

- قوله بالتفويض وترجيحه بأنه مذهب السلف وهو الأسلم.
- نقل الحط على شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم لإثباتهم الجهة والجسمية برأيه.
- نقل أقوال من دافع عن شيخ الإسلام وابن القيم، وأنهما لم يعنيا التشبيه والتجسيم.
- قوله بأن هذه المسألة اضطرب فيها الناس، ورد العلم والصواب فيها إلى الله -عز وجل-.
- ذكره لمعتقد شيخ الإسلام ابن تيمية في صفة العلو والاستواء وأنها من المتواتر، إلا أنه نفى بألفاظ مجملة تحتمل الحق وتحتمل غيره.

وهذا يتبين به اضطراب محمد بن جعفر الكتاني في الأسماء والصفات، فيرجح مذهب التفويض تارة بتفويضه لصفة الاستواء، والوجه، والعين، واليد، والقدم، ثم يقررها مع النفي المفصل الذي يحتمل الحق وغيره تارة، ويُعمل التأويل في بعض الصفات تارة، مع قوله بأن التفويض أسلم، ومن أمثلة إعماله للتأويل:

- تأويله للوجه بالذات، حيث قال:" فالوجه عند الجمهور الذات "(١).
- تأويله لصفة مجيء الله عز وجل بمجيء أمره، حيث قال في قوله: **قال تعالى**: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾ [سورة الفجر:٢٢]،" أي: أمره؛ لاستحالة المجيء على الله تعالى"(٢).
- تأويله لدنو الله بدنو القُرب والمكانة، حيث قال: "دنو قُرب ومكانة لا دنو مكان، لتعاليه سبحانه عن الزمان والمكان"(٣).
- تأويل السمع والبصر بالعلم، حيث قال:" اختلف في السمع والبصر هل هما نوعان من العلم كما يظهر من تعريفهما أم لا؟"(٤)، ثم أقر بكونهما نوعان عن العلم،

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٩١/ أ)، وينظر: تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٤).
(٢) ختم البخاري (ل ٨).
(٣) نيل المنى وغاية السول (١٤٤).
(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٣/ب).

وأنهما غير زائدتين عليه، حيث قال:" وفي جعلهما زائدتين على العلم مع أنهما نوعان نظر، والحق: ...أنهما على هذا القول غير زائدتين عليه" (١).

- تأويله لرحمة الله تعالى بالإنعام، حيث قال في قوله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾ **[سورة الفاتحة:١]**. :" ومعناه: المنعم الحقيقي البالغ في الإنعام غايته"(٢).

فقد نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج أهل الكلام في إعمال التأويل والتفويض، فهو وسيلتهم لرد دلالة النصوص وتعطيل معانيها، يقول ابن القيم-رحمه الله- في التأويل:" وحقيقة الأمر أن كل طائفة تتأول كل ما يخالف نحلتها وأصلها، فالعيار عندهم فيما يتأول وما لا يتأول هو المذهب الذي ذهبت إليه، ما وافقها أقروه ولم يتأولوه، وما خالفها تأولوه"(٣).

والتفويض كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"قول أهل التفويض الذين يزعمون أنهم متبعون للسنة والسلف من شر أقوال أهل البدع والإلحاد"(٤)؛ لأسباب سيأتي تفصيلها بحول الله تعالى في الأسماء والصفات.

- القول بالحقيقة والشريعة والظاهر والباطن

فرّق محمد بن جعفر الكتاني بين الحقيقة والشريعة، والظاهر والباطن، ومما قرره قوله في العلوم: "اعلم أن العلوم على ما قاله غير واحد ثلاثة: **الأول منها**: علم الشريعة الظاهرة، وهو قسمان:

- **أحدهما**: علم الشريعة المتعلق بالأعمال البدنية، أعني به علم الحلال والحرام، والأمر والنهي والوعد والوعيد، ونحوهما مما هو متعلق ومرتبط بتكميل ظاهر الذوات من أقوالها وأفعالها ولوازمها، وتحسين هيئاتها مثل الصلاة والزكاة...

---

(١) المرجع السابق (ل ٣٣/ب).

(٢) رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ٣).

(٣) الصواعق المرسلة (٢٣/١).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٢٠٥/١).

- **والثاني**: علم الشريعة المتعلق بالأعمال القلبية، وأدوائها وعلاجاتها، وما تصلح به وما لا، أعني به علم كيفية الرجوع إلى الله، وإلى طريقه، ... وهذا هو علم الظاهر المنقول، الذي هو علم الحكمة والعبودية، ويسمى أيضا بعلم الكتب والأوراق.

- **ومنها كما ذكرناه العلم الثاني**: وهو المسمى عندهم بعلم الطريقة، الذي هو العلم المتعلق بكيفية تعديل الهيئات النفسانية والروحانية، وهو وإن كان متعلقا بالقلوب، والقلوب باطنية، لكنه يودّى بالعبارة، والعبارة تظهره وتوضحه، فصار من قبيل علم الظاهر، وهو تصوف...، وهو أيضا باطن علم الشريعة، المتعلق بالأعمال البدنية ولبّه، وعلم الشريعة المذكور ظاهره وقشره؛ لأنه هو الذي يصونه، كما أن علم الطريقة قشر لعلم الحقيقة؛ لأنه هو الذي يصونها، فإن من رام الوصول إلى علم الحقيقة، ولم يطرق إليه بعلم من علم الطريقة فسد حاله، فصارت حقيقته زندقة، ولذا قالوا: لا وصول إلى حقيقة، إلا بعد تحصيل الطريقة.

- **العلم الثاني منها**: علم الحقيقة الباطنة، الذي هو علم التوحيد الخاص، وأسرار الشريعة، وحكمها، وما ينشأ عن العمل بها من الكشوفات والأذواق والمعارف والأسرار ونحو ذلك، وهو علم الباطن الموهوب الذي هو علم القدرة والربوبية، ويسمى بعلم الأذواق وهو علم وهبي لا ينال بتعلم، وإنما يهبه الله لمن يشاء من خلقه، ولا يؤديه من وصل إليه بالعبارة وإنما يرمز له بالإشارة، وهو تصوف أهل الباطن، ومثال العلم الظاهر كجسم فيه روح كامن، فالجسد لا يقوم بغير روح، والروح لا تظهر من غير جسد، وإذا خلا الجسد عن الروح كان ميتا ولا عبرة به، ولذلك كانت الشريعة بدون الحقيقة عاطلة، وإذا خلت الروح عن الجسد بطنت ولم يظهر لها، ولذا كانت الحقيقة بدون شريعة باطلة"[1].

---

(١) جلاء القلوب (١/٣٧-٣٩)، ينظر: اليمن والإسعاد (٩١).

فهو يرى بأن علم الطريقة الذي هو التصوف باطن علم الشريعة ولُبه، وعلم الشريعة هو ظاهر علم الطريقة، وهو بمثابة القشر له، كما أن علم الشريعة الذي شرعها الله لعباده من الحلال والحرام، لا تنفع، بل هي عاطلة –كما قرر– إذا لم تقترن بعلم الحقيقة.

وقرر بأن علم الشريعة للخاص والعام، وعلم الحقيقة هو لخواص الأولياء والصالحين، حيث قال: "فالأول: وهو علم الشريعة للخاص والعام، والثاني: وهو علم الحقيقة لخواص الأولياء والصالحين"(١).

وقد وافق الكتاني بهذا التقرير في قوله بأن علم الحقيقة علم الباطن الموهوب الذي لا ينال بتعلم، وهو علم القدرة والربوبية، وأنه تصوف أهل الباطن، ما عليه غلاة الصوفية(٢).

وقد ذكر بأن حقيقة الشريعة المحمدية الظاهرة "هي عين الحقيقة الأحمدية الباطنة، كما صرح بذلك أهل الكمال والعارفون من الرجال"(٣)، وهذه إشارة صريحة إلى أن هذه الحقيقة هي الحقيقة المحمدية(٤)، وهي أحد مصطلحات وحدة الوجود عند غلاة الصوفية كما سيأتي.

---

(١) جلاء القلوب (٤٦/١)، وينظر المرجع نفسه (٥٧/١).

(٢) ينظر: الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ابن عجيبة (ص٣٣٣)، وسيأتي التفصيل برأيه في عقيدة وحدة الوجود (ص٢٦٤).

(٣) جلاء القلوب (٨٣/١).

(٤) والحقيقة المحمدية أخذها الصوفية من الشيعة، يقول الدكتور أبو العلاء العفيفي معلقا على "الفصّ السابع والعشرين" من فصوص ابن عربي وهو: فصّ حكمة فردية في كلمة محمدية: "شاع من أوائل عهد الإسلام القول بأزلية محمد عليه السلام، أو بعبارة أدق بأزلية النور المحمدي، وهو قول ظهر بين الشيعة أولاً ولم يلبث أهل السنة أن أخذوا به، واستند الكل في دعواهم إلى أحاديث يظهر أن أكثرها موضوع. من ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أنا أول الناس في الخلق) ومنها: (أول ما خلق الله نوري) ، ومنها: (كنت نبيا وآدم بين الماء والطين) وغير ذلك من الأحاديث التي استنتجوا منها أنه كان لمحمد عليه السلام وجود قبل وجود الخلق، وقبل وجوده الزماني في صورة النبي المرسل، وأن هذا الوجود قديم غير حادث، وعبروا عنه بالنور المحمدي، وقد أفاضت الشيعة في وصف هذا النور المحمدي، فقالوا: أنه ينتقل في الزمان من جيل إلى جيل، وأنه هو الذي ظهر بصورة آدم ونوح وإبراهيم وموسى وغيرهم من الأنبياء، ثم ظهر أخيرا بصورة خاتم النبيين محمد عليه السلام"، التصوف النشأة والمصادر (٢٢٦-٢٢٧).

وكان يتطرق في بعض المواضع للتفسير الإشاري، وقرر بأنه لا ينكر؛ لسعة فهم القرآن وسعة معانيه الظاهرة والباطنة[1]، ومن تقريراته في هذا قوله:" ويقال ما من حادثة إلا وإليها إشارة فيه بطريق علم الحروف[2]، ولا تنكشف إلا لأهله، وقال بعض النظار: في القرآن أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات، وجميع ما وقع ويقع من الكائنات...

وقال آخر: للقرآن العظيم مفاهيم كثيرة لا تنحصر كثرة، كل يفهم منه على قدر مقامه ومرتبته، وبحسب قابليته ومشربه وحالته، فأفهام أرباب النهاية مغايرة لأفهام غيرهم من أهل البداية، والعارف فهمه مغاير لفهم العابد، وأفهام أرباب الحقائق مغايرة لأفهام غيرهم من أصحاب العلوم والطرائق، وفهم الفقيه مغاير لفهم الصوفي، لكن مع تغاير هذه الأفهام لا اختلاف بينهم؛ لاتحاد قواعدهم، غير أن ما كشفته المعرفة للعارف خفيّ على العابد مع اطلاع العارف على ما انكشف للعابد، إذ كلام العارف مع أهل السماء وكلام العابد مع أهل الأرض، وما انكشف لأهل النهاية لا يطلع عليه أهل البداية، لعدم استكمالهم السلوك، وما انكشف للصوفي لا ينكشف للفقيه، مع اطلاع الصوفي على ما ينكشف للفقيه؛ لأن كلام الصوفي في بواطن الأمور، وما تكلموا في بواطنها حتى أتقنوا ظواهرها، وكلام الفقيه في ظواهر الأمور؛ لاشتغاله بالقشر عن اللباب، وكلّ ميسر لما خُلق له!"[3].

ومع ذلك يقول:" وها هنا تنبيه وإنذار، وهو أنّا رأينا كثيرا من الناس يقدمون على أخذ علم بعض الحوادث المستقبلة من القرآن بطريق من الطرق الحسابية، أو نحوها بمجرد النظر العقلي والجولان الفكري، وذلك منهم خطأ، بل مخطر؛ بأن الواقع قد لا يكون كذلك، فيؤدي إلى نسبة شبه الكذب لكلام الله تعالى وإن بالفحوة والإشارة، والقرآن ينزه عن مثل ذلك، والهجوم على هذا وشبهه لا ينبغي إلا لذي بصيرة نورانية، يصدق كشفه فتحه، وأما غيره

---

(١) ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٣٥-٣٦)، جلاء القلوب (١/١٣٣-١٣٨، ١٨٩).

(٢) علم الحروف: أو علم الأوفاق (أو الوفق)، وعلم السيمياء، الذي يزعمون فيه أن لحروف الهجاء أسرارا وخواص مركبة ومفردة، والحق أنه من التنجيم، وداخل في ضروب السحر وإن قيل فيه ما قيل، وهو الذي يعنى به المتصوفة الذين يجنحون إلى كشف حجاب الحس، ويرغبون في حصول الخوارق على أيديهم، ينظر: الاعتصام للشاطبي (٢/٣٢٣-٣٢٤)، مفتاح دار السعادة (٢/٢١٧)، مقدمة ابن خلدون (٣٠٧-٣٠٨)، كشف الظنون (١/٤١٣، ٦٥٠).

(٣) جلاء القلوب (١/٢٩٠).

فخطؤه فيه أكثر من صوابه، وكم رأينا من خطأ وقع في هذا لمن يُعد من الأكابر، فكيف بمن دونهم من العوام والأصاغر والله المرشد"(١).

وقرر بأن النبي-صلى الله عليه وسلم-عنده علم الظاهر والباطن(٢)، وأن ما أوحي إلى الأنبياء أربعة أقسام حيث يقول: "اعلم أن ما أوحى الله تعالى به إليهم على أربعة أقسام:

قسم أمرهم بإبلاغه لنا فبلغوه...

وقسم أُمِروا بكتمانه زمنًا ما؛ ...

وقسم خُيِّروا فيه بالبلاغ وعدمه، ....

وقسم رابع: أمروا بكتمانه مطلقًا، فلا يسعه غير ذواتهم -عليهم الصلاة والسلام-"(٣)، وأقر بقوله: "العلم الذي أخذ عليه كتمانه هو علم النبوة مما لا يعلمه إلا نبي، وأما العلم الذي خيره فيه هو علم الولاية، وعلم باطن الشريعة وحقيقتها وأسرارها، مما لا يؤخذ إلا بالتقوى، وصفاء المعاملة مع الله، وهو العلم الموروث للعلماء بالله وباطنيته محمد-صلى الله عليه وسلم- بأسانيد الإلهام، ونقله الكشف التام إلى قلبه-صلى الله عليه وسلم-وباطن حاله"(٤).

وقرر بأن علم الحقيقة يحوي أسرارا لا يصح إفشائها للعامة، وأن الصوفية الأوائل كانوا يقررونها في قعر بيوتهم؛ خوفا من إفشاء أسرار الله(٥).

ومن الأسرار أن الصوفي قد يقول أو يفعل فعلا يخالف فيه الشرع، لكنه وإن خالف في الظاهر فهو مصيب في الباطن، لأنه على الصواب دائما، وبناء على ذلك امتدح الكثير من

(١) المرجع السابق (٢٩٣/١).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (١٠٤/٢، ٥٣/٣)، اليمن والإسعاد (١١٩).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٧/أ)، وفي موضع آخر نقل بأنها ثلاثة أقسام حذف منها القسم الثاني هنا، مع تأكيده بما أمر بكتمانه مطلقا، ينظر: جلاء القلوب (٥١/١-٥٧).

(٤) جلاء القلوب (٥٤/١-٥٥).

(٥) ينظر: جلاء القلوب (٨٠/١-٩٠).

مدّعي الولاية وأثنى عليهم مع مخالفتهم للشرع، وارتكابهم بعض الأمور المحرمة، بقوله: "يفعل أفعالا ظاهرها خراب، وباطنها صواب"![1].

ومن ذلك قوله في مدح أحد مدعي الولاية: "كان يفعل أفعالا ينكر الشرع ظاهرها، من شرب دخان ونحوه، بل كان يغيط على ثيابه وعلى رجليه، ويدخل المساجد، ...ويضرب برجليه على حصور المساجد فيطير رشاش العذرة منه عليها؛ لأن جلابيته كانت تكون ملطخة جدا، ولا ترى يده اليسرى إلا قابضة ذكره يستمني به في الأزقة والمساجد، قائما وقاعدا، ...والعامة مطبقون على ولايته والتبرك به، وكثيرا ما يقصدونه في مهماتهم، ويستفيدون منه في مآربهم، مما يتفق على لسانه من الإشارات"[2]، ونحو هذا كثير، مع أنه أقر في أكثر من موضع بأن التلطخ بالقاذورات كما يقول:" مستقذر شرعًا وعادة وطبعًا، وفي ذلك من سوء الأدب ما لا يخفى"[3].

وقال عن غير واحد: "كان-رحمه الله-مجذوبا بهلولا يدور بالأسواق عريانا ويخبر بمغيبات، وظهرت له كرامات"[4].

كما امتدح أحد مدعي الولاية بأنه ولي كبير، واضح شهير، ذو الكرامات الظاهرة، والآيات الباهرة، حتى قال عنه:" على أنه ما ريء قط يصلي، وقلما تجده يسبغ الوضوء، ... وكان من دأبه الدخول للمساجد وقت إقامة الجماعة للصلوات، ...ثم الناس يصلون وهو يخاصم من غير مخاصم بأعلى صوته خزيا ولعنا، ويأتي من خلال ذلك بكلمات قرآنية إلا أنه يحرف ألفاظها، وكان يفعل أيضا مثل ذلك في مجلس العلم حتى يفسد على المدرسين تقاريرهم،

---

(١) سلوة الأنفاس (٢/٢٨٨)، وينظر على سبيل المثال: المرجع نفسه: (١/٣١٩، ٣٢٥، ٣٢٩، ٤١٤، ٢/٢١٧، ٢٨٨)، النبذة اليسيرة النافعة (٢٥٩، ٢٩٨).

(٢) سلوة الأنفاس (١/١٦٠-١٦١)، وينظر المرجع نفسه: (١/١٩٠، ٢٦٢، ٢٧٧، ٤٠٤، ٢/٢٥٩، ٢٧٠، ٣/١٥، ١٨، ٤٢)، الرحلة السامية (٢٣٣)، النبذة اليسيرة النافعة (٢٧٨).

(٣) شرح دلائل الخيرات (ل ١٢)، وينظر: التدخين عند الأئمة الأربعة (٧٠، ١٣٣).

(٤) سلوة الأنفاس (١/٢٤٨)، وينظر المرجع نفسه (١/٢٥١، ٢٣٣، ٣٢٥، ٤١٤، ٢/٩، ١٣، ٢٠١).

ولا يمكنهم إلا السكوت حتى يذهب، وظهرت عليه كرامات ورِيء مع الواقفين بعرفة غير مرة، وهو لم يخرج من فاس، وكان من شأنه الإخبار بالمغيبات"(١).

وقد ذكر عن ابن عربي وغيره من دعاة وحدة الوجود، أنهم أمروا بالتكلم فيما يخالف ظاهره الشرع؛ ابتلاء للناس من عند الله، حتى ينظر هل يعتقدون أو ينتقدون، وأنهم معذورون بذلك، وقال:" وإلى ما وقع من بعض من ظهرت خصوصياته وكراماته من المجاذيب الكبار، فإنه كان يأمر الزائرين له بالفطر في رمضان، ويحضر لهم الأكل ويعزم عليهم في تناوله، فمن الجهال من كان يساعده في ذلك، ومن أهل الدين والفضل من كان لا يساعده، فإن ذلك امتحان من الله على يد هذا المجذوب الساقط التكليف، حتى ينظر أيتبعون أمره هو سبحانه؟ أم أمر غيره من الخلق في هذه العبادة؟ وإلى ما يقع من بعض مشايخ الطرق أنهم يأمرون بعض تلامذتهم بارتكاب بعض المحرمات المجمع عليها، لا حقيقة، بل ابتلاء وامتحانا، فإن أطاعوهم هلكوا وخسروا وباؤوا بالإثم وبالسقوط من عين الله وعين الشيخ، وإن أطاعوا الله في ذلك مع الثبات في محبة الشيخ وخدمته فازوا وربحوا؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سبحانه"(٢).

فأقر بأنهم خالفوا الشرع في الظاهر، وأنه لا تجوز طاعتهم، لأن ما قالوه ابتلاء وامتحانا من عند الله، إلا أنه تعذر لهم بأن الله أمرهم بذلك! وأنهم مصيبون في الباطن!

- **النقد:**

تفريق الكتاني بين الشريعة والحقيقة، وتقسيمه للشريعة إلى ظاهر وباطن، وأن الشريعة هي القشر، تقسيم باطل من وجوه:

١- التفريق بين الشريعة والحقيقة، وتخصيصه الشريعة بأهل الظاهر، والحقيقة بأهل الباطن، تلاعب بالألفاظ الشرعية الواردة في الكتاب والسنة، ومخالفة للمفهوم الشرعي(٣).

---

(١) سلوة الأنفاس (٢٣٦/١).

(٢) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٧٧-١٧٨)، ينظر: جلاء القلوب (٣٤/١-٣٥)،

(٣) ينظر: تلبيس إبليس (٢٨٧)، الرد على المنطقيين، لابن تيمية (ص٥٢).

فالشريعة بالمصطلح الشرعي هي: "ما شرع الله لعباده من الدين: أي سنّه لهم وافترضه عليهم، يقال: شرع لهم يشرع شرعا فهو شارع، وقد شرع الله الدين شرعا إذا أظهره وبينه"(١).

والحقيقة هي: حقيقة الدين، وشريعته، وهي الغاية المقصودة التي اتفق عليها الأنبياء والمرسلون، وإن كان لكل منهم شرعة ومنهاجا، وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وهي حقيقة دين الإسلام(٢)، والتفريق بينهما جهل؛ لأن الشريعة كلها حقائق(٣).

٢- أن هذا تقسيم مبتدع، لا دليل عليه، ولم ينقل عن السلف الصالح، وإنما نُقل عنهم أن الإيمان له ظاهر وباطن، وظاهره قول اللسان وعمل الجوارح، وباطنه تصديق القلب وانقياده ومحبته، فلا ينفع ظاهر لا باطن له، وهذا المعنى الشرعي الصحيح للظاهر والباطن عند السلف(٤).

أما ما ذكره الكتاني من تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة فهو من ابتداع المتصوفة، يقول ابن القيم-رحمه الله- في بيان مكائد الشيطان:" ما ألقاه إلى جُهال المتصوفة من الشطح والطامات، وأبرزه لهم في قالب الكشف من الخيالات، فأوقعهم في أنواع الأباطيل والترهات، وفتح لهم أبواب الدعاوى الهائلات، وأوحى إليهم: أن وراء العلم طريقا إن سلكوه أفضى بهم إلى الكشف العيان، وأغناهم عن التقيد بالسنة والقرآن، فحسن لهم رياضة النفوس وتهذيبها، وتصفية الأخلاق والتجافي عما عليه أهل الدنيا، وأهل الرياسة والفقهاء، وأرباب العلوم والعمل على تفريغ القلب وخلوه من كل شيء، حتى ينتقش فيه الحق بلا واسطة تعلم، فلما خلا من صورة العلم الذى جاء به الرسول نقش فيه الشيطان بحسب ما هو مستعد له من أنواع الباطل، وخيله للنفس حتى جعله كالمشاهد كشفا وعيانا، فإذا أنكره عليهم ورثة الرسل

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٢/٤٦٠)، ينظر: الفتاوى (١٩/٣٠٩).

(٢) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، (ص٨٦).

(٣) ينظر: تلبيس إبليس (٢٨٧).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩/٣٠٨)، الفوائد، لابن القيم (ص٨٩).

قالوا: لكم العلم الظاهر، ولنا الكشف الباطن، ولكم ظاهر الشريعة، وعندنا باطن الحقيقة، ولكم القشور ولنا اللباب، فلما تمكن هذا من قلوبهم سلخها من الكتاب والسنة والآثار كما ينسلخ الليل عن النهار، ثم أحالهم في سلوكهم على تلك الخيالات، وأوهمهم أنها عن الآيات البينات، وأنها من قبل الله سبحانه الهامات وتعريفات فلا تعرض على السنة والقرآن، ولا تعامل إلا بالقبول والإذعان"(١).

ويقول ابن الجوزي-رحمه الله-:"وَقَدْ فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة، وهذا جهل من قائله؛ لأن الشريعة كلها حقائق"(٢).

٣- أن علم الشريعة الذي هو علم الحقيقة، لا ينال إلا من جهة الوحي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-.

٤- إقراره لأفعال بعض مدعي الولاية، بأنه يفعل أفعالا ظاهرها خراب وباطنها صواب، مخالف لما قرره في كون الحقيقة بدون الشريعة باطلة! فكيف يكون مصيب في حقيقته وباطنه، بدون التزامه بالشريعة في الظاهر-على ما قرره-؟ بل هذه الحقيقة عاطلة وباطلة بدون التزام بالشريعة، و"هذه الحقيقة التي يلهج أهلها بذكرها ويجعلونها توحيدهم ومعارفهم هي مبطلة لشرائع كتب الله وأنبيائه وبالخاصة رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، أما الشريعة التي من حاد عنها تزندق فهو السبب فيها حقا، وهي نفس الحقيقة المطلوبة، إذ الحقيقة هي ما حق وثبت، ولا معنى للشريعة إلا ذلك مع جعله منهاجا وطريقا للتعبد لله، وأما حقيقتكم تلك فالواجب

---

(١) إغاثة اللهفان (١١٩/١).

(٢) تلبيس إبليس (٢٨٧).

الاتصاف بالفسق اللازم على تركها عندكم، بل اتباعها هو الفسق الأكبر الذي من أعظم أنواع الكفر"(١).

٥- أن ترك المتصوفة للتطهر مشابه لفعل النصارى، يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- في معرض بيانه لضلال فريق من الصوفية وخروجهم عن سنة النبي-صلى الله عليه وسلم- ومشابهتهم للنصارى بترك التّطهر:" وأما من يشبه النصارى فمثل من يحسن الظن بمن لا يتطهر ولا يصلي، من المنسوبين إلى الفقر والزهد والعبادة، مثل من يكون في مواضع الشياطين والنجاسات كالحمام والأتاتين(٢) والمزابل، وهو متلوث بالبول والعذرة ويعاشر الكلاب ولا يتوضأ، ولا يغتسل من الجنابة، بل ولا يصلي، أو يصلي بلا وضوء، وقد علم بالاضطرار من دين الإسلام أن الصلوات الخمس فرض على كل أحد، وأن الوضوء من الحدث والاغتسال من الجنابة فرض لا يصلي إلا به مع القدرة، ولا يتيمم مع القدرة، فمن أنكر وجوب ذلك فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن جعل الزاهد العابد الذي له نوع من الخوارق مثل نوع من الكشف والتصرف الذي يكون من الشياطين والجهال يظنون أنه من كرامات أولياء الله إذا لم يكن يصلي الصلوات الخمس ويتوضأ ويغتسل من الجنابة من المؤمنين، أو من أولياء الله فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن لم يحرم الخبائث التي حرمها الله ورسوله كالبول والعذرة والدم والميتة ولحم الخنزير والخمر فهو كافر باتفاق المسلمين، ومن جعل

(١) أصفى الموارد، للنتيفي الجعفري (١٧٨).

(٢) الأتاتين: جمع أتون، وهو الحمام، والأتون أيضا: الموقد، ينظر مادة (أتن): الصحاح (٢٠٦٧/٥)، لسان العرب (٦/١٣)، تاج العروس (١٥٥/٣٤).

مستحل ذلك مع العلم بمخالفته لدين الرسول وليا لله فهو كافر باتفاق المسلمين"(١).

٦- الأصل أن" كل من بلغه رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- لا يكون وليا لله إلا باتباع محمد -صلى الله عليه وسلم- وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسط محمد -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك من بلغه رسالة رسول إليه لا يكون وليا لله إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه.

ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا: إن محمدا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض، فكانوا كفارا بذلك، وكذلك هذا الذي يقول إن محمدا بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض، فهو كافر وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة.

فإذا ادعى المدعي أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- إنما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة، فقد ادعى أن بعض الذي آمن به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر، وهذا شر ممن يقول: أؤمن ببعض وأكفر ببعض، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين"(٢).

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (١٣٨/٢-١٤٠).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٢٥/١١-٢٢٦)، وينظر المرجع نفسه: (٢١٠/١١).

٧- العصمة هي للأنبياء فقط، لكن "كثير من الناس يغلط في هذا الموضع، فيظن في شخص أنه ولي لله ويظن أن ولي الله يقبل منه كل ما يقوله، ويسلم إليه كل ما يقوله، ويسلم إليه كل ما يفعله، وإن خالف الكتاب والسنة"(١).

٨- تسمية الشريعة بعلم الكتب والأوراق، أو بعلم الظاهر والقشور، وعلم الحقيقة بلبّ الشريعة وأسرارها وباطنها، تنقّص من شرع الله -جل جلاله- الذي أوحاه إلى رسله-عليهم السلام-، وتفضيل للعلم الباطن الوهمي (٢).

٩- أن تقسيم الدين إلى شريعة وحقيقة، وتخصيص الحقيقة بأهل التصوف، فيه تهوين من العلم الشرعي، وتقليل من شأن علماء الأمة ومكانتهم؛ لكونهم حُجبوا عن علم الحقيقة، وهذا ما وقع فيه الكتاني، فقد فضّل العارف بالحقيقة، على العالم؛ لأنه العالم-كما يقول-: " العالم محجوب، والعارف محبوب، والعالم يدلك على العمل، والعارف يخرجك عن شهود العمل، والعالم يعرفك بأحكام الله، والعارف يعرفك بذات الله"(٣)، بل قال:" الصحيح المختار عند العلماء الموفقين الأبرار أن العارفين بالله أفضل بكثير، وأعلى بمقدار كبير من العلماء بأحكام الله"(٤)!!

كما امتدح بعض من يدعي الولاية بقوله: "كان يتكلم بالتوحيد الخاص، وينبئ فيها بما يبهر الخواص، مع غلبة الأمية عليه، وعدم مخالطته لمن ينتمي للعلم، أو ينتسب إليه"(٥).

(١) مجموع الفتاوى (٢١٠/١١).
(٢) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١١٩/١).
(٣) جلاء القلوب (٣٩/١، ٥١)، وينظر: سلوة الأنفاس (١٩/١، ٢٧٤).
(٤) ينظر: جلاء القلوب (٤٠/١).
(٥) سلوة الأنفاس (٢٧٤/١).

يقول الشيخ زروق[1]-رحمه الله- منكرا على الصوفية هجرهم للعلم الشرعي: "وأما هجرانهم العلم فمخالف للكتاب والسنة والإجماع، ... فلا يجوز للمرء أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه"[2].

١٠- أن هذا القول يلزم منه أن النبي -صلى الله عليه وسلم -كتم بعض ما أوحي إليه، ولم يبلغه للناس عامة، بل بلغه لخواص الخواص، وهذا ما أقر به الكتاني في تقسيمه لما أوحي له- صلى الله عليه وسلم- [3]، وهذا من أبطل الباطل؛ لأن الله تعالى أمره فقال: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٦٧﴾ [سورة المائدة:٦٧] فالله عز وجل أمره بتبليغ جميع ما أرسله الله به، وقد امتثل -صلوات الله وسلامه عليه- ذلك، وقام به أتم القيام كما قرر ذلك السلف الصالح[4]، فعن عائشة-رضي الله عنها-قالت: ((من حدثك أن محمدا -صلى الله عليه و سلم- كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب، والله يقول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾ [سورة المائدة:٦٧])) [5].

---

(١) هو: أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى الشهاب الفاسي المغربي، المعروف بزروق، كان من الذابين عن السنة وغلب عليه التصوف، من مؤلفاته: عدة المريد الصادق، شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، توفي عام٨٩٩هـ، ينظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين السخاوي (٢٢٢/١)، شذرات الذهب (٣٦٣/٧)، فهرس الفهارس (٤٥٥/١).

(٢) عدة المريد الصادق، للشيخ زروق (ص٨٣-٨٤).

(٣) ينظر: جلاء القلوب (٥٢/١-٥٧)، حاشية على شرح ميارة (٥٧/ أ).

(٤) ينظر: جامع البيان (٤٦٨/١٠)، تفسير ابن كثير (١٥٠/٣).

(٥) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى {يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته}، حديث رقم (٧٠٩٣)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: معنى قول الله عز وجل {ولقد رآه نزلة أخرى} وهل رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه ليلة الإسراء ؟، رقم (٢٨٧)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

يقول ابن كثير(١)-رحمه الله-: "وقد شهدت له أمته ببلاغ الرسالة وأداء الأمانة، واستنطقهم بذلك في أعظم المحافل، في خطبته يوم حجة الوداع، وقد كان هناك من الصحابة نحو من أربعين ألفا كما ثبت في صحيح مسلم، عن جابر بن عبد الله؛ أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في خطبته يومئذ: ((**أيها الناس، إنكم مسئولون عني، فما أنتم قائلون؟**)) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فجعل يرفع إصبعه إلى السماء ويقلبها إليهم ويقول: ((**اللهم هل بلغت، اللهم هل بلغت**)) (٢)"(٣).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني هنا مردود بما قرره في موضع آخر حيث قال: "قد شهد الله تعالى لنبيه بكمال التبليغ، فقال: ﴿**ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ [سورة المائدة:٣]، الآية، وقال: ﴿**لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ**﴾ [سورة البقرة:٢٥٦]، وقال:﴿**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ۝٥٤**﴾ [سورة الذاريات:٥٤]، وذكر ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- بقوله في حجة الوداع: ((**ألا هل بلَّغت اللهم اشهد**)) " (٤).

وقد رد عليه الشيخ النتيفي الجعفري في قوله بأنه -صلى الله عليه وسلم-عنده علم الظاهر والباطن، فقال: "يقال عليه: إن كان بالنسبة إلى الشرع فلا باطن في الشرع إلا على مذهب الباطنية(٥) والزنادقة، ومن قادته الغفلة إلى تقليدهم في ذلك، وقول من قال إن علوم

---

(١) هو: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الشافعي، عماد الدين، أبو الفداء، الإمام الحافظ والمحدث المؤرخ، من مؤلفاته: البداية والنهاية، تفسير القرآن العظيم، توفي عام ٧٧٤هـ. ينظر: الدرر الكامنة (٣٧٤/١)، شذرات الذهب (٢٣١/٦).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الحج باب: حجة النبي-صلى الله عليه وسلم- رقم (١٤٧)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٣) تفسير ابن كثير (١٥١/٣).

(٤) حاشية على شرح ميارة (ل ٦٤/ب).

(٥) الباطنية: اسم عام يجمع كل من يدعي أن للنصوص ظاهرا وباطنا، ويدخل تحت هذا طوائف كثيرة، كغلاة الصوفية، وغلاة الرافضة، وغلاة الفلاسفة، ينظر: التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، للإسفراييني (١٤٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٦).

رسول الله ثلاثة: علم أمر بكتمانه، وعلم خُير في إبدائه، وعلم أمر بتبليغه، باطل لا أصل له، وإلا فالمأمور بكتمانه من أوصله لكم، وهو لا يخالف أمر ربه، والمخير فيه كيف منعه أحق الناس به منكم وهم أصحابه وبذله لكم؟ وما العلم الذي جاء به إلا الذي بينه للعباد، وأظهره لهم وبلّغ به رسالة ربه، وإن كان بالنسبة إلى علم الله الذي أظهر بعضه في خليقته واستتر بغيره فهذا ليس إلا إليه سبحانه، إلا على مذهب الزاعمين المتقدمين"(١).

١١- قوله بأن الشريعة بدون الحقيقة عاطلة، اعتماد على الحقيقة، والقول بأن وحي الله -جل جلاله- لا يكفي ولا يُعتمد عليه وحده، وهذا باطل-كما سبق-؛ لأن الله أكمل لنا الدين ورضيه لنا، والوحي قد انقطع، والنبوة خُتمت، فدعوى التلقي عن الله بواسطة، أو بغير واسطة، افتراء لا دليل عليه.

١٢- يترتب على القول بالحقيقة والشريعة تعطيل وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بحجة أنهم يتلقون عن الله علوما تختلف عن علوم الشريعة، فلا ينبغي الإنكار عليهم، وهذا ما فعله الكتاني عندما حكى عن بعض الصوفية وأقرهم على ضلالهم الظاهر؛ بحجة أن باطنهم صواب وحق، وهو مخالف لما قرره من وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتحذير من تركه، حيث قال في أسباب خذلان المسلمين: "هو من أعظم الكبائر والمحظورات، وأكبر موجبات الفسق والهلاك وحلول العقوبات؛ لما فيه من نبذ الدين، وترك القيام بما هو من أعظم قواعده بيقين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الواجبان كفاية، كتابا وسنة وإجماعا عند وجود الشرط المقرر، وقد كثر التساهل فيهما في هذه الأزمان"(٢).

وقد انتقد عليه عبد الحي الكتاني في "إعلام الحاضر والآت بما في السلوة من الهنات"، مدحه للولي المتلطخ بالقاذورات، وقوله بأنه ظاهره خراب وباطنه صواب، حيث قال:" لا

---

(١) أصفى الموارد (٣٠٨).

(٢) نصيحة أهل الإسلام (٢٤١)، وينظر ما بعدها.

أظن "السلوة" على كثرة أوراقها نفحت الأمة الإسلامية أنتن مما في هذه الترجمة فحشًا وخنًا وقذارة ونجاسة"(١).

كما نقد عليه قوله عن بعض مدعي الولاية:" يتظاهر بأفعال ينكر الشرع ظاهرها من شرب خمر ودخان، وأكل حشيشة وغير ذلك، والناس مطبقون على تعظيمه "(٢)، فقال:" فشرب الخمر إذًا إنما ينكره الشرع ظاهرًا لا باطنًا، وهذه إحدى الكبر يجب أن يعلم بها من حضر، كما علمها من قضى وغبر، ليبلغ العلم بها الآتي في الأثر، إن هذا لعجيب"(٣).

١٣-القول بالتفسير الإشاري في الحقيقة إذا لم تتوفر شروطه هو تحريف للكلم عن مواضعه، وتغيير للمعنى الحقيقي الذي جاءت به الشريعة، ويلزم منه اتهام الشارع بكتمان الحق، وعدم نصح الخلق، وهو فتح لباب الزندقة والإلحاد(٤)، لأن التفسير الإشاري هو: تفسير القرآن بغير ظاهره لإشارة تظهر لبعض أهل العلم، أو لأهل التصوف، مع عدم إبطال الظاهر(٥)، وليس كل تفسير للآية بغير ظاهرها تفسير مقبول، يقول ابن جرير الطبري(٦)-رحمه الله-:" وغير جائز إحالة ظاهر التنزيل إلى باطن من التأويل لا دلالة عليه من نصّ كتاب، ولا خبر لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ولا إجماع من الأمة، ولا دلالةَ

---

(١) إعلام الحاضر والآت (ل ٩٠/ب).

(٢) سلوة الأنفاس (١٩٠/١)، وينظر المرجع نفسه (٢٣٣/١، ١٥/٣، ١٨).

(٣) إعلام الحاضر والآت (ل ١٠٢/أ).

(٤) ينظر: الحجة في بيان المحجة (٢٣٨/٢)، ذم التأويل، لابن قدامة (٤١)، بغية المرتاد لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٨٤).

(٥) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٧٨/٢)، التبيان في علوم القرآن للصابوني (ص١٧١).

(٦) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، صاحب التفسير التاريخ والمؤلفات الكثيرة، منها: جامع البيان في تأويل القرآن، تاريخ الأمم والملوك، توفي عام ٣١٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٧/١٤)، شذرات الذهب (٢٦٠/٢).

من بعض هذه الوجوه"[1]، فإذا كان التفسير لا دلاله عليه من كتاب الله، وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم- ولا إجماع، فهو تفسير غير مقبول، وقد اشترط العلماء -رحمهم الله- لصحة التفسير الإشاري شروطا، منها:

١- ألا يناقض معنى الآية.

٢- أن يكون في اللفظ إشعار به.

٣- ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي.

٤- وأن يكون بينه وبين معنى الآية ارتباط وتلازم[2].

ومحمد بن جعفر الكتاني فسّر بعض التفاسير الباطنية التي لم تتوفر فيها شروط التفسير الإشاري التي قررها العلماء[3]، كتفسيره لقوله عز وجل: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝﴾ [سورة الضحى:٥] بالحقيقة المحمدية[4]، حيث قال:" يظهر عليك في ظاهر حالك وأمرك ما هو لك في باطنك وسرك، من نفوذ الأمر والاستيلاء بالعزة والقهر، والتحكم التام، والتصرف المطلق الشامل في المملكة الربانية كلها، والسلطنة الإلهية بأجمعها، فلا يخرج منها شيء عن حكمك وقهرك، في سرك وجهرك حتى ترضى بكمال الرضى، فتعطي من شئت ما شئت، وتمنع من شئت مما شئت، وتقدم وتؤخر، وتولي وتعزل كذلك، ولا يقع في العالم شيء إلا منك وبقضائك، ولا يجرى فيه خير ولا عطاء إلا هو من خيرك وعطائك، منا عليك وتقربا وتوددا إليك" [5]، فتفسيره هذا معارَض بالشرع، من كتاب الله-جل جلاله-وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-، ولما أجمع عليه السلف الصالح.

---

(١) جامع البيان (١٢/١١).

(٢) ينظر: التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، (ص٤٩)، الموافقات (٢٣٢/٤)، مناهل العرفان في علوم القرآن (٨١/٢).

(٣) ينظر: جلاء القلوب (٣٤٣/١، ٥/٣ وما بعدها)، التدخين عند الأئمة الأربعة (٣٦).

(٤) سيأتي التفصيل في هذه المسألة بحول الله تعالى في (ص ٢٣٨، ٥٩٧).

(٥) جلاء القلوب (٦٣/٣)، وينظر المرجع نفسه: (٢٢٨/١).

وقوله في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [سورة الإسراء:٨٥]: "أمره ما صدر عنه بلا واسطة، وهو نور سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم-المستمد من الوجود الباطن الأحدي الممد للعالم"(١).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢﴾ [سورة يس:١٢]: الإمام المبين هو رسول الله-صلى الله عليه وسلم-لأنه الإمام الذي يقتدى به وبأقواله وأفعاله، والمبين الظاهر لنا في الحس، فكل شيء أُحصي في وجوده"(٢).

بل استدل بسورة الشمس وغيرها على مراتب وحدة الوجود؛ -كما يرى- بأنها تدل عليها بالإشارة(٣)، وآية: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى:١١]، على مرتبة الواحدية وهي مرتبة من مراتب الوجود التي يراها، حيث قال: " الواحدية حضرة ذاته العلية من حيث اتصافها بالأوصاف وتسميتها بالأسماء وصدور الأفعال عنها والأحكام وتجليها في صور الأشياء كلها، وظهورها هو التشبيه المشار إليه بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ١١﴾ [سورة الشورى:١١]"(٤).

واستدل بناء على التفسير الباطني الإشاري على ما يرى من كون النبي-صلى الله عليه وسلم-خليفة الله الأكبر في ربوبيته، بآيات كثيرة، وقال بعد سرده وتفسيره لها تفسيرا باطنيا إشاريا، وقبل ذكره للأحاديث التي يرى بأنها تدل عليها: "فهذه عدة آيات هو بما ذكرناه لمن وفقه الله تعالى وفتح عين بصيرته مشعرات، وله مشيرات، وأما الأحاديث النبوية فاعلم أن ها هنا أحاديث كثيرة تهدي الموفق لما ذكرنا، ويتلمح العارف منها ما قدمناه وأسلفناه"(٥).

---

(١) المرجع السابق (٣٠/٢).
(٢) جلاء القلوب (٢٢٨/١).
(٣) ينظر: جلاء القلوب (٣٠/٢-٣٢).
(٤) المرجع السابق (٣٨/٢).
(٥) جلاء القلوب (٦٥/٣).

وهذا التفسير الباطني الإشاري في الحقيقة إلحاد في آيات الله-جل جلاله-، يقول ابن عطية الأندلسي[١] في مقدمة تفسيره، منزها تفسيره من التفسير الصوفي الباطني وعدّه إلحادا في آيات الله:" وأُثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السلف الصالح- رضوان الله عليهم- كتاب الله من مقاصده العربية، السليمة من إلحاد أهل القول بالرموز، وأهل القول بعلم الباطن"[٢].

وقد شنع ابن العربي[٣]-رحمه الله-على الصوفية وفند آراءهم، في التأويل الباطني الذي يخل بالمعنى الحقيقي، فقال: "نظرنا في طائفة نبغت يقال لهم: أصحاب الإشارات، جاءوا بألفاظ الشريعة من بابها، وأقروها على نصابها، لكنهم زعموا أن وراءها معاني غامضة خفية، وقعت الإشارة إليها من ظواهر هذه الألفاظ"[٤].

ويقول الشيخ محمد الزمزمي بن محمد بن الصديق الغماري: "ليس في الإسلام شيء (علم باطن)، ولا (علم الحقيقة)، وإنما هي ألقاب مخترعة اخترعها المتصوفة الجاهلون، الذين يضاهون الباطنية الضالين، الذين يفسرون القرآن تفسيرا محرفا، ويسمونه التفسير الباطني"[٥].

- استعمال المصطلحات البدعية والمجملة

أطلق محمد بن جعفر الكتاني بعض الألفاظ والمصطلحات البدعية المجملة، فعارض بها الصفات الثابتة لله تعالى، وقرر بها العقائد المبتدعة، ومن ذلك:

- استعماله لمصطلحات المتكلمين، وعلى سبيل المثال:

---

(١) هو: أبو محمد عبد الحق بن الحافظ أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، المفسر الفقيه، توفي عام٥٤١هـ، من مؤلفاته: المحرر الوجيز، فهرس شيوخه، ينظر: سير أعلام النبلاء (٥٨٨/١٩)، الديباج المذهب (٥٩/٢).

(٢) المحرر الوجيز لابن عطية (٣٤/١).

(٣) هو: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، من حفاظ الحديث في الأندلس، من مؤلفاته: العواصم من القواصم، عارضة الأحوذي، توفي عام٥٤٣هـ، ينظر: شذرات الذهب (١٤١/٤)، شجرة النور الزكية (١٩٩/١)، الأعلام (٢٣٠/٦).

(٤) العواصم من القواصم، لابن العربي المالكي (ص١٦٨).

(٥) الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة (٤٧).

- نفي الجارحة والجسمية والتحيز عن الله -عز وجل-، ومعارضته بها النصوص الدالة على إثبات الصفات الخبرية(١)، ومن ذلك قوله عن صفة الوجه:" يجب الإيمان بها مع نفي الجارحة المستحيلة"(٢).

وسبق قوله:" "ألفاظ التشبيه الواردة في النعوت الذاتية والصفات الإلهية كالاستواء، والوجه، والعين، واليد، وغيرها مما يوهم الجارحة، أو الجسمية أو التحيز، أو نحوها من سمات الحدوث"(٣)، وتقريره بتفويضها.

- نفي الحلول والجسمية والاتصال والانفصال عن الله -عز وجل-، في معرض إثباته لصفة الاستواء والعلو، حيث ذكر بأن من المتواتر:" أنه سبحانه وتعالى فوق سماواته على عرشه على حسب ما يليق بكماله من غير حلول ولا كيف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا جسمية ولا اتصال ولا انفصال"(٤).
- تنزيه الله عن الزمان والمكان في معرض إثباته لصفة الدنو، حيث قال: "دنو قُرب ومكانة لا دنو مكان، لتعاليه سبحانه عن الزمان والمكان"(٥).
- تنزيه الله عن المكان والجهة في معرض إثباته لرؤية الله عز وجل يوم القيامة، حيث قال:" ولا مسافة، ولا مكان، أو جهة تقصد للعيان، وهذا جواب عن إشكال النافين للرؤية، بأنها تستلزم المقابلة والجهة والمكان، وهو تعالى منزه عن ذلك"(٦).
- تنزيه الله عن الجسمية في معرض التنزيه، حيث قال: "الحمد لله المنزه عن الجسم والصورة والمثال"(٧).

---

(١) ينظر: جلاء القلوب (١/٢٠٧)، حاشية على شرح ميارة (١٣/ب).

(٢) حاشية على شرح ميارة (٩١/أ).

(٣) جلاء القلوب (١/٢٠٧)، ينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٢٨/ب).

(٤) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٤٤).

(٥) نيل المنى وغاية السول (١٤٤).

(٦) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٣).

(٧) بلوغ القصد والمرام ببيان بعض ما تنفر عنه الملائكة الكرام (٢)، وينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٦٤).

- نفي الأغراض عن الله في معرض إثباته لغنى الله عما سواه، حيث قال:" تنزيهه تعالى عن الأغراض في أفعاله وأحكامه، وإلا لزم افتقاره تعالى إلى ما يحصل غرضه، كيف وهو جلَّ وعلا الغني عن كل ما سواه"(١)، حتى نفى الحكمة في أفعال الله تعالى.
- نفي الجسمية والجهة في معرض تنزيه الله تعالى، بل أطلق نفي الصفة أيضا، وأطلق لفظ المجسمة والجهوية والحشوية، ومن ذلك قوله في قول الله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى:١١]،:" يرد به على المجسّمة القائلين بأنَّ الله جسم، واعلم أنَّ من اعتقد أنَّ الله جسم كالأجسام فهو كافر، ومن اعتقد أنه جسم لا كالأجسام فهو عاصٍ غير كافر، والاعتقاد الحقّ: أنَّ الله ليس بجسم ولا صفة، ولا يعلم ذاته إلَّا هو، ويردُّ أيضًا على الجهوية القائلين: إنَّ الله في جهة الفوق، وفي كفرهم: قولان، والمعتمد: عدم كفرهم، وأمَّا أهل السنة فهم مبرؤون من القول بالجهة البتة"(٢).

وقوله:" الحشوية القائلين: بأنَّ الحروف والأصوات التي نزل بها جبريل على الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من كلام الله حقيقة، قياسًا منهم على الشاهد، وذلك باطل"(٣)، كما قال:" والتمسك في أصول العقائد بمجرد الظواهر هو أصل ضلالة الحشوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة"(٤).

وحكى عن العامة بأنهم يعتقدون الجسمية والجهة على سبيل التنقص منهم؛ لأنهم أثبتوا الصفات على ظاهرها الموهم للتشبيه برأيه، حيث قال عنهم:" لا يعتنون بحضور مجالس العلماء ومخالطة أهل الخير، فإنهم يعتقدون التجسيم والجهة، وتأثير الطبيعة، وكون الأفعال لغرض، وكون كلامه جل وعلا حرفا وصوتا، ومرة يتكلم ومرة يسكت، ونحو ذلك من

---

(١) حاشية على شرح ميارة (٦٩/أ)، وينظر: الكشف والبيان (٢١٩).

(٢) حاشية على شرح ميارة (٢٨/ب)، وينظر: الكشف والبيان (٢٤٠-٢٤١)،

(٣) المرجع السابق (ل ٣٤/ب).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٠/أ)، تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٧).

اعتقادات أهل الباطل"(١)، فنفى تأثير الأسباب، والحكمة والتعليل في أفعال الله، كما نفى أن يكون كلام الله تعالى بحرف وصوت مسموع، وقرر- برأيه- بأن هذا كله من اعتقادات أهل الباطل!

- استعمال محمد بن جعفر الكتاني لمصطلحات الفلاسفة والصوفية الغلاة أهل وحدة الوجود، المجملة والمبتدعة الغامضة، لتقرير العقائد المخالفة للكتاب والسنة، ومنها:

- تقريره لعقيدة وحدة الوجود، والحقيقة المحمدية، وهذه العقائد غامضة مجملة لا يفهمها أي أحد، عبّر عنها كذلك بمصطلحات غامضة مبتدعة ومجملة، وهي من مصطلحات الفلاسفة كلفظ الصدور، والفيض، والحلول والاتحاد، والفناء، وغيرها(٢)، حتى قرر- برأيه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم-أول صادر عن الله، وقال في تعريف الحقيقة المحمدية:" هو نور بسيط مجرد يعبر عنه بالعقل الأول، وبالعقل الكل، وبالروح الكل، وبالقلم الأعلى، وبالدرة البيضاء، وبغير ذلك من النعوت البديعة التي نعتته بها الصوفية، وقالوا: إنه تعالى لما أراد أن يكشف عن كمالاته الأزلية بالوجود التفصيلي أوجد ذلك النور البسيط، وأوجد فيه جميع كمالاته الأزلية التي كانت كنزا مخفيا"(٣).

وقال: "قلت: ذكر الصوفية من أسماء الحقيقة المحمدية: القلم الأعلى، والعقل الأول، والنور، نور الأنوار، والروح الأعظم، والروح الكلي، والعرش الذي يستوي عليه الرحمن"(٤).

بل رأى بقوله: "هذه الحقيقة لها روح وعقل وقلب ونفس، كما أن له باعتبار وجوده الثاني البشري سرا وروحا وعقلا وقلبا ونفسا على طبق الوجود الأول"(٥)، وهذا التعريف للحقيقة المحمدية كله غموض في غموض؛ حيث استعمل فيه المصطلحات المبتدعة المجملة

---

(١) الكشف والبيان (٢١٩).

(٢) سيأتي بيانها في تقريره لعقيدة وحدة الوجود (ص٢٧٣).

(٣) جلاء القلوب (٤٣/١)، وينظر: المرجع نفسه (١٨٤/٢-١٩٠، ٥٩/٣).

(٤) المرجع السابق (٣٣/١).

(٥) جلاء القلوب (١٥١/٢).

والغامضة التي لم تكن معروفة عند الصحابة ولا التابعين ولا عند من سار على نهجهم من السلف الصالح.

حتى أنه قرر- برأيه- مقام الصحابة من هذه الحقيقة، فقد ذكر بأن مقام الصديق -رضي الله عنه- هو إدراك مرتبة روحه-صلى الله عليه وسلم-، ومقام عمر-رضي الله عنه- هو إدراك مرتبة عقله، ومقام عثمان-رضي الله عنه- عنه إدراك مرتبة قلبه، ومقام عل -رضي الله عنه-إدراك مرتبة نفسه، أما مقام سره-عليه الصلاة والسلام- فيقول برأيه: "هو مرتبة حقيقته التي هي محض النور الإلهي والفيض الذاتي، لا مطمع لأحد في نيله وإدراكه، بل عجزت العقول والإدراكات من كل مخلوق حتى من الخاصة العليا عن إدراكه وفهمه"(١).

- استعمال محمد بن جعفر الكتاني لمصطلحات الصوفية المجملة المبتدعة في تقرير مصادرهم البدعية- كما سبق-، من الكشف والذوق والإلهام، والوجد والتواجد، وهذه المصادر عُبر عنها بألفاظ مبتدعة مجملة تحتمل الحق وتحتمل الباطل، لم تكن معروفة عند السلف الصالح.
- استعمال محمد بن جعفر الكتاني لمصطلحات الصوفية المبتدعة والمجملة لتقرير طبقات مدعي الولاية المتصوفة، كلفظ: الوتد، والقطب، والغوث، والمريد، والعارف، وغيرها، وهذه المصطلحات في الحقيقة تحريف لمصطلح: ولي، الذي جاء به الشرع، وهي مصطلحات ما أنزل الله بها من سلطان.
- قوله بأن للنصوص ظاهر وباطن، والقول بالحقيقة والشريعة، وأن للشريعة أسرارا لا يعرفها إلا أهل الكشف والذوق، حتى أعمل التفسير الباطني في كتاب الله تعالى وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-، الذي هو في الحقيقة تحريف للكلام عن حقيقته، وسبق قوله عن علم الحقيقة: "علم الحقيقة الباطنة، الذي هو علم التوحيد الخاص، وأسرار الشريعة، وحكمها، وما ينشأ عن العمل بها من الكشوفات

---

(١) المرجع السابق (١٥٣/٢).

والأذواق والمعارف والأسرار ونحو ذلك، وهو علم الباطن الموهوب الذي هو علم القدرة والربوبية، ويسمى بعلم الأذواق وهو علم وهبي لا ينال بتعلم، وإنما يهبه الله لمن يشاء من خلقه، ولا يؤديه من وصل إليه بالعبارة وإنما يرمز له بالإشارة، وهو تصوف أهل الباطن"(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه هنا أيضا أن محمد بن جعفر الكتاني استعمل المصطلحات الشرعية وصبغها على ما قرره من عقيدة وحدة الوجود، فقد استعمل لفظ التوحيد، والواحد والأحدية، ومرتبة الربوبية، والألوهية، ومرتبة الواحدية والأحدية، ومرتبة الأسماء والصفات، والتجلي، وعند التحقق وإزالة الصبغة الموهمة إذا به يقرر بها عقيدة وحدة الوجود -كما سيأتي-، ومن استعماله للفظ التوحيد على عقيدة وحدة الوجود، قوله عن مرتبة الفناء:" وتسمى هذه الحالة بالنسبة إلى المستغرق بها بلسان المجاز اتحادا، وبلسان الحقيقة توحيدا"(٢).

-النقد.

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج المتكلمين والصوفية في إطلاق الألفاظ والمصطلحات المجملة، فمن أهم المسائل التي يتحدث عنها المتكلمون هي نفي الجسم عن الله، ونفي الأعراض عنه، وأنه ليس بجوهر، ولا متحيز ولا في جهة(٣)، فقد شغف المتكلمون على اختلافهم بإحداث هذه الألفاظ؛ لترويج باطلهم، وخدع الجهال، فأصبح ذلك من سماتهم(٤)، يقول الإمام أحمد في وصفهم:" يتكلمون

(١) جلاء القلوب (٣٧/١-٣٩)، ينظر: اليمن والإسعاد (٩١).
(٢) جلاء القلوب (٨٢/٢)، وينظر المرجع نفسه (٣٧/١)، اليمن والإسعاد (١٢٧).
(٣) ينظر: الإرشاد للجويني (٤٢-٤٣)، التمهيد للباقلاني (٤١-٤٣)، المطالب العالية للرازي (٩/٢-٦٣).
(٤) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (٤٩٩/٢)، درء تعارض العقل والنقل (٢٢٢/١)، مجموع الفتاوى (٢٦/٥).

بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين!" (١).

والألفاظ المجملة مع ما فيها من تعدد المعاني تورث الإيهام في أذن السامع، وهي أصل ضلال الأمم، يقول شيخ الإسلام رحمه الله عن أهل الكلام: «وأصل ضلالتهم تكلمهم بكلمات مجملة، لا أصل لها في كتابه، ولا سنة رسوله، ولا قالها أحد من أئمة المسلمين، كلفظ: التحيز والجسم والجهة ونحو ذلك »(٢).

واستعمال المصطلحات البدعية المجملة فيه مخالفة لطريقة أهل السنة والجماعة من وجهين:

الأول: أن هذه الألفاظ ليست معلومة من كلام الله ولا كلام رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولم يقل بها أحد من سلف هذه الأمة، بل هي ألفاظ مجملة مبتدعة، تحتمل الحق وتحتمل غيره، والموقف منها هو موقف السلف الصالح، فكانوا لا يثبتون شيئا من هذه الألفاظ ولا ينفون منها شيئا حتى يستفسروا عن معناه، فإن كان معناه موافقا للكتاب والسنة، قبلوا المعنى، وعبروا عنه بالألفاظ الشرعية الثابتة، بحيث يحصل تعريف الحق بالوجه الشرعي، وإن كان المعنى من هذه الألفاظ باطلا ردوا المعنى واللفظ جميعا(٣).

---

(١) الرد على الزنادقة والجهمية (ص ٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٢٦٠).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢/١١٣-١١٤)، الصواعق المرسلة (٤/١٤٣٩)، بيان تلبيس الجهمية (٢/٤٩٩)، درء تعارض العقل والنقل (١/٢٤١-٢٤٢، ٢٥٤). شرح العقيدة الطحاوية (١/١٦٦، ١٨٩)، الدرر السنية (٤/٧) وما بعدها.

وأهل السنة والجماعة قد يستعملون مثل هذه الألفاظ إذا احتيج إليها كما في المناظرات، والرد على المخالفين، لا عند الاختيار وتقرير العقيدة كما فعل محمد بن جعفر الكتاني(١).

الثاني: أن قاعدتهم المستمدة من كتاب الله -جل جلاله-، وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم- في الصفات أن النفي يكون مجملا، والإثبات يكون مفصلا، فيثبتون الصفات على وجه التفصيل، وينفون عنه مالا يصلح له من التشبيه والتمثيل نفيا مجملا، أخذا من بعض الأدلة منها قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى:١١]، فنفى مجملا، وأثبت مفصلا، كذلك قوله عز وجل: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ [سورة الإخلاص:٤]، وقوله عز وجل: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴾ [سورة مريم:٦٥](٢)، ومحمد بن جعفر الكتاني نفى نفيا مفصلا على خلاف طريقة أهل السنة والجماعة.

ونتيجة هذا المنهج الذي نهجه محمد بن جعفر الكتاني في تقرير العقيدة، وقع في التناقض والاضطراب، وقرر العقائد المخالفة للكتاب والسنة، شأنه شأن عامة المتكلمين الصوفية الذين خالفوا منهج السلف الصالح، وسيأتي التفصيل في هذه الألفاظ في موضعها من هذا البحث بحول الله تعالى.

---

(١) وقد نقل عن بعض السلف إثبات الحد، كابن المبارك عندما سئل: كيف تعرف ربك؟ قال: «على العرش بحد»، ونقل عن بعضهم إنكار إطلاق هذا اللفظ، والصحيح أنه لا تعارض بين القولين، لأن من نفاه نفى المعاني الباطلة-ككيفية الصفات-، ومن أثبته قصد إثبات ما تنفيه المعطلة من الصفات الثابتة لله عز وجل-مثل كون الله بائن عن خلقه-، والرد على الجهمية القائلين بالحلول.

ينظر: نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي (١/٢٢٣-٢٢٦) بيان تلبيس الجهمية (١/٤٣٠-٤٣٣، ٤٤٣)، تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة، لسليمان بن سحمان (٤٠-٤٤)، ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، صالح آل الشيخ (١/٣١٨).

(٢) ينظر: التدمرية (٨-١٢)، التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، عبد الرحمن السعدي، (١٨)، شرح العقيدة الطحاوية، لصالح آل الشيخ (١/٣١٧).

- تقييد النصوص بغير دليل:

الأصل بقاء شمولية النصوص الشرعية على ما تدل عليه، فلا تقيد إطلاقاتها أو تخصص عموماتها إلا بدليل؛ لأن قصر شموليتها بالتقييد أو التخصيص دون دليل تحكّم، وقول على الله بغير علم، وهو من منهج أهل البدع على اختلافهم[(١)]، وقد نهج محمد بن جعفر الكتاني نهجهم، فقصر شمولية بعض النصوص، وقيد النصوص بغير دليل، ومن ذلك:

– قصره النصوص الدالة على اختصاص الله بعلم الغيب على كونه -تعالى- يعلم الغيب بالاستقلال والاستبداد وعدم الاستمداد من شيء، وتجويزه لعلم غيره به، واطلاعه على ما في اللوح المحفوظ؛ لكونه-برأيه- لم يعلمه استقلالا، وإنما باطلاع الله لهم عن طريق الكشف، أو الإلهام، أو غيرها من المصادر[(٢)]، ومن تقريراته جوابه عن الآيات التي تدل على اختصاص الله بعلم الغيب، كقول الله عز وجل: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [سورة الأنعام:٥٩]، وقوله: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [سورة النمل:٦٥] ونحوهما، بقوله: "ومحصل الجواب: أنه لا يعلم مفاتيح الغيب ويعلم الغيب من نفسه وذاته بطريق الاستقلال والاستبداد، وعدم الاستمداد من شيء إلا هو سبحانه وتعالى، وأما غيره إذا علمها أو علم الغيب، فإنما يعلمه بإعلامه تعالى، واطلاعه؛ لأنه ليست له صفة يقدر بها على الاستبداد، وهذا الجواب هو المشهور لدى الجمهور"[(٣)]، ويعني بالجمهور جمهور الصوفية الغلاة! لأنه قرر بناء على ذلك علم مدعي الولاية بالغيب واطلاعهم على اللوح المحفوظ، وعلم النبي-صلى الله عليه وسلم-بما كان وما يكون من أمر الدنيا والآخرة، بل أعمل هذا الحكم على المنجّم، حيث قال في بيان وجه كفره: "قلت: وهذا إذا ادعى علمه بطريق الاستقلال، لا أن ادعى علمه بإعلام الله، أو بما هو راجع إلى إعلامه، فلا كفر"[(٤)].

---

(١) ينظر: البرهان في أصول الفقه للجويني (٢٤٣/١)، العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى الفراء (٥٧٨/٢)، التمهيد في أصول الفقه، لأبي الخطاب (١٧٧/٢-١٧٩)، معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد الجيزاني (٤٣٨).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (١٤٩/١-١٥٠، ١٥٥، ١٨١).

(٣) المرجع السابق (١٤٩/١-١٥٠).

(٤) جلاء القلوب (١٨١/١)، وينظر المرجع نفسه (١٨٣/١).

- قصره النصوص الدالة على تحريم اتخاذ القبور مساجد، على من قصدها تعظيما لشأنها، أو للتوجه بالصلاة إليها، أو خيف اعتقاد ما لا يجوز في المقبور، وتجويزه لمن قصدها للتبرك والقرب بدون التعظيم(١)، حيث قال في قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)) (٢):" قلت: وهذا أخص مما تقدم، والنهي فيه أشد، ومحله: إذا فعل ذلك تعظيماً لشأنها، أو للتوجه في الصلاة إليها، أو خيف من اعتقاد ما لا يجوز في المقبور فيها، فأما من اتخذا مسجداً في جوار صالح وقصد التبرك بالقرب منه لا للتعظيم له، ولا للتوجه إليه، فلا يدخل في الوعيد المذكور"(٣).

- قصره النصوص الدالة على تحريم شد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، على من لم يُتبرك به في حياته، فلا يتبرك به بعد وفاته؛ لأن المساجد -كما يرى- متساوية بالفضل دون الثلاث، أما العلماء والصلحاء متفاوتون في الفضل، فتجوز الرحلة عن الفاضل للأفضل(٤)، ونقل قول الغزالي في الإحياء ونصه: "وزيارة قبور الصحابة والتابعين وسائر العلماء والأولياء وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله-صلى الله عليه وسلم- ((**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**)) (٥)؛ لأن ذلك في المساجد، فإنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلا فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء والأولياء والعلماء في أصل الفضل، وإن كان يتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله"(٦).

---

(١) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب المساجد، باب: الصلاة في البيعة، حديث رقم: (٤٢٥)، ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، حديث (٥٣١).

(٣) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٢٢).

(٤) ينظر: سلوة الأنفاس (١٧/١).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم: (١١٣٢)، ومسلم، كتاب: الحج، باب: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، حديث رقم: (١٣٩٧).

(٦) سلوة الأنفاس (١٧/١)، وينظر المرجع نفسه: (٣٧/١)، إحياء علوم الدين (٢٤٧/٢).

- قصر النصوص الدالة على ختم النبوة بختم نبوة التشريع، حيث قرر بأن المتواتر: أحاديث أنه-صلى الله عليه وسلم-خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده(١)، ثم قيد الختم بنبوة التشريع، حيث قال عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:"ختم نبوة التشريع ورسالته، فلا يوجد بعده نبي مشرع أصلا"(٢).

كما أنه أيضا عمّم تخصيص بعض النصوص، فاستدل بفعل الجاريتين اللتين تضربان بالدف، على مشروعية الرقص-كما سيأتي-، وهذا لا يصح؛ لكونهما جاريتين دون البلوغ، غير مكلفتين، كما أن هذا مرخص فيه للنساء والصبيان، وهو أمر خاص، فلا ينبغي جعل الخاص عاما، كما أن قياس الرقص على الضرب بالدف في هذا الحديث قياس فاسد، وتشبيه للشيء بما ليس مثله (٣).

- حصر الحق في طائفته.

ذكر محمد بن جعفر الكتاني في أبي الحسن الأشعري، وأبي منصور الماتريدي أنهما إمامي أهل السنة والجماعة(٤)، وأن أهل فاس "في العقيدة على مذهب إمام أهل السنة والجماعة الشيخ أبي الحسن الأشعري-رضي الله عنه-فكانت عقيدتهم مطابقة لعقيدته التي هي عقيدة الصحابة فمن بعدهم من أكابر العلماء والفقهاء والصوفية والأولياء"(٥)، ويفهم من هذا حصر الحق فيهما، والتقرير بأن عقيدة الأشعري والماتريدي هي عقيدة الصحابة ومن بعدهم من أكابر العلماء، وهذا مردود من وجوه:

---

(١) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٠٧)، إسعاف الراغب الشائق (٦٠)، اليمن والإسعاد (٩٠)، جلاء القلوب (٧٩/١).

(٢) جلاء القلوب (٢٧٤/٢).

(٣) ينظر: الاستقامة (٢٨٩/١)، وينظر تفصيل الأدلة التي استدل بها على مشروعية الرقص والرد عليه في (ص ٨٧٧).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (١٤٨/٣).

(٥) سلوة الأنفاس (٧٩/١)، وينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٠).

- أن هذا على خلاف ما قرره في وجوب الرجوع إلى السلف الصالح أهل السنة والجماعة، من أهل القرون المفضلة، ومن سلك سبيلهم[(١)]، للأحاديث المتواترة في تفضيلهم على غيرهم من جميع القرون كما قرر بنفسه، وأن الخير كله في سلوك سبيلهم واتباع ما جاء عنهم[(٢)].

- أن مصطلح أهل السنة والجماعة ورد التعبير به على ألسنة جماعة من السلف الصالح قبل الأشعري والماتريدي[(٣)]، فحصره للحق فيهما، وعلى من سار على نهجهما لا يصح.

- أن أهل الشيء في اللغة هم أخص الناس به، فأهل البيت: سكانه، وأهل الإسلام: من يدين به[(٤)]، وعليه فأهل السنة والجماعة هم أخص الناس بها وأكثرهم تمسكا بها واتباعا، وهذا الوصف إنما يتحقق في الصحابة والتابعين وأتباعهم ومن سلك سبيلهم.

والأشاعرة والماتريدية لا يتحقق فيهم هذا الوصف؛ لمخالفتهم للصحابة والتابعين في جملة من المسائل، كتقديم العقل على النقل، ورد خبر الآحاد في العقائد، واختلافهم على بعض المسائل الكبار، ومعلوم بأن الحق واحد لا يتعدد، فلا يصح دعواه في أنهم هم أهل السنة والجماعة[(٥)].

- عداوته للمنهج السلفي:

يظهر مما سبق ولاء محمد بن جعفر الكتاني للأشاعرة والمتصوفة، وعداوته للمنهج السلفي، ومن ذلك:

---

(١) ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة وغيرهم (١٢، ١٠٨)، الدعامة (٧١)، الرسالة المستطرفة (٣).

(٢) ينظر: رسالة المسلسلات-ضمن مجموع مسلسلات في الحديث-(٤١)، نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٩٩)، سلوة الأنفاس (٥٦/١).

(٣) ورد التعبير بذلك عن ابن عباس-رضي الله عنهما-وسفيان الثوري، والفضيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وابن جرير، والطحاوي، وغيرهم. ينظر: الإيمان لأبي عبيد (ص٢٩)، صريح السنة لابن جرير (ص٢٠)، تهذيب الآثار (٦٦٠/٢)، العقيدة الطحاوية (ص٧)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للآلكائي (٢٢٠/٢، ٣٦٤).

(٤) ينظر مادة: (أهل) تهذيب اللغة (٢٢٠/٦)، لسان العرب (٢٨/١١).

(٥) ينظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، سليمان الغصن، منهج أهل السنة ومنهج الأشاعرة في توحيد الله، خالد نور.

- وصفه له بالتشدد، ومن ذلك قوله عن شيخه السلفي محمَّد بن المدني كنّون-رحمه الله-:"أكثر إنكاره على المنتسبين للطريقة الشاذلية فيما يفعلونه من خرق العادات، وعلى من يستعمل آلات الطرب واللهو، أو يستمعها، ويقول: إنها محرمة بالكتاب والسنة والإجماع، وألّف في ذلك مؤلفا، وفي رد مافيه من التشديدات وحكاية الإجماع على التحريم ألّف الوالد: مواهب الأرب المبرئة من الجرب، في السماع وآلات الطرب "(١).

فقد ذكر بأن شيخه أنكر على أهل الطرق الأمور التي يرى شيخه أنها منكرة، فلم يقره على إنكار البدع الطرقية ولم يوافقه عليه، بل نسب الإنكار إلى رأي شيخه، ووصف منهجه في تحريم آلات الطرب واللهو بالتشدد، ووقف في صف والده ضدّه، وذكر تأليفه في الرد عليه.

- وصفه له بالغلوّ، والاستخفاف به، ومن ذلك أنه قال عن ابن التلاميد الشنقيطي السلفي-رحمه الله-:"رأيناه ينفي كشف الأولياء جملة، وكذا ينفي أيضا زيارتهم، والتبرك بهم والتوسل، وينفي أيضا الاستغاثة بمخلوق ولو النبي -صلى الله عليه وسلم-، وينفي أن سيدنا الحسين أو شيئًا من جسده بمصر، ورأيناه أيضًا يُصلي بالنعل التي يمشي بها في الطريق، ويدخل أيضًا بها إلى المساجد، وذاكرناه في شيء من ذلك فلم يرجع مما يعتقده أصلاً، وأظنه لا يقبل غيره، ولو أتى بحُجج الدنيا، بل لا يقبل غير ما انطوى عليه ضميره أصلاً... ثم إنه مع هذا يزعم التمسك بالسنة، والاقتصار على ماورد فيها، وترك البدع"(٢)، فقد أنكر منهجه السلفي، لإنكاره العقائد المبتدعة، ووصفه بعدم تقبل غير ما انطوى عليه ضميره، مع أن كل هذه العقائد التي ذكرها ثابت تحريمها بالكتاب والسنة والإجماع، لا بالضمير كما يرى، حتى استخف أخيرا بتمسكه بالسنة وترك البدع، فقال: "ثم إنه مع هذا يزعم التمسك بالسنة، والاقتصار على ماورد فيها، وترك البدع"(٣).

---

(١) الإجازة الأيوبية (٣٦).

(٢) الرحلة السامية (١٣٤-١٣٥)، وينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٢).

(٣) المرجع السابق (١٣٤-١٣٥).

- إطلاق الكفر على من اعتقد بعض عقائد السلف الصالح، ومن ذلك تقريره بأن من أصول الكفر: "التمسك في أصول العقائد بمجرد ظواهر الكتاب والسنة من غير عرضها على البراهين العقلية والقواطع الشرعية"(١).

وهذا منهج كل من خالف السلف الصالح،" وكذلك من فيه نوع من البدع: إما من بدع الحلولية: حلولية الذات أو الصفات، وإما من بدع النفاة أو الغلو في الإثبات، وإما من بدع القدرية، أو الإرجاء، أو غير ذلك، تجده يعتقد اعتقادات فاسدة، ويكفر من خالفه أو يلعنه"(٢).

- نبزه للدعوة السلفية بالغلو والوهّابية، ومن ذلك أن ابنه محمد الزمزمي قال عن أحداث عام ١٣٣٦هـ:" كان سيدنا الوالد رضي الله عنه يرى أن ابن السُّعود(٣) على ما هو عليه من الغلوّ في الوهّابية، أهون من الحسين وآله؛ وذلك لما صدر منهم من القيام ضد دولة المسلمين، واستعانتهم في ذلك بأعداء الله الكافرين"(٤).

إلا أن عبد الحي الكتاني صرح بإطراء محمد بن جعفر الكتاني لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث قال بعد رده على الاعتقاد بالأشجار والأحجار:" وهل يجتمع الأمر باعتقاد الأحجار والأشجار والشعور المعقودة عليها، وتقريظ صاحب "السلوة" للمذهب الوهابي وإطرائه في رسالة له خاصَّة نشرتها جريدة النجاح(٥) القسنطينية(٦) قديمًا، والإضراب بما له هنا عرض الحائط؟"(٧).

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٧٠/ أ).

(٢) منهاج السنة (٤/٥٣٧-٥٣٨).

(٣) يعني: الملك عبد العزيز آل سعود.

(٤) عقد الزمرد والزبرجد، نقلا عن: المحدث الكبير (١/٢١٨).

(٥) وهذه الجريدة جريدة جزائرية، أعدادها بالمكتبة الوطنية في الجزائر وهي غير مكشفة، وأعداها الآن غير متكاملة، ومع البحث لم أجد شيء لمحمد بن جعفر الكتاني فيها.

(٦) قسنطينة: مدينة في الجزائر، وهي ثالث أكبر مدنها بعد كل من الجزائر العاصمة ووهران، تسمى مدينة الجسور المعلقة، وهي عاصمة الشرق الجزائري، ينظر: معجم البلدان (٤/٣٤٩).

(٧) إعلام الحاضر والآت (ل ٣٢/أ).

وهذا الإطراء -إن كان ثابتا- يتناقض مع منهجه الذي سلكه.

- تشنيعه على من أثبت الصفات على ظاهرها الموهم للتشبيه-برأيه- بأنه مجسم حشوي، أو بأنه من أهل التشبيه والتجسيم، أو جهوي[١]، وتقدم قوله بأن:" التمسك في أصول العقائد بمجرد الظواهر هو أصل ضلالة الحشوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة"[٢]، وغير ذلك من أقواله مما سيأتي تفصيله بحول الله تعالى.

وهذا المنهج الذي نهجه محمد بن جعفر الكتاني هو منهج من مناهج أهل البدع، وهو علامة يتميزون بها عن غيرهم، يقول أبو عثمان الصابوني[٣]-رحمه الله-:" وعلامات البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي-صلى الله عليه وسلم-، واحتقارهم لهم وتسميتهم إياهم حشوية، وجهلة، وظاهرية ومشبهة"[٤].

- موقفه من البدع والمبتدعة:

الناظر لمنهج محمد بن جعفر الكتاني يجده يناصر الأشاعرة وأصحاب الطرق، ويعظم القبور، ، ويشنع على من نهج منهج السلف الصالح، ويروج لكثير من البدع، كاتخاذ ليلة المولد والمعراج عيدا، وشد الرحال لزيارة القبور، وبناء القباب على القبور وإيقاد القناديل عندها، ودفع الأموال وإقامة المواسم على الأضرحة، والتمسح بالقبور، وغيرها مما سيأتي بيانه ونقده، بل ألحق بعض البدع بالسنن، كالبناء على القبور، وقرر بأن عمل المولد من البدع المستحسنة، حيث قال: "وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن"[٥].

ولم يظهر رده للبدع والمنكرات في الحقيقة إلا على من يعتقد ربوبية غير الله، وعلى اليهود والنصارى، والمعتزلة، والخوارج، والعلمانية، وعلى كل من تعاون مع الكفار ضد

---

(١) أي: يقول بالجهة.

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٠/أ).

(٣) هو: إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري الصابوني الشافعي، من أئمة السلف الصالح، من مؤلفاته: عقيدة السلف وأصحاب الحديث، الدعوات، توفي عام ٤٩٩هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/٤٠)، شذرات الذهب (٣/٢٨٢).

(٤) عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٠٩).

(٥) اليمن والإسعاد (٩٩)، وينظر: إسعاف الراغب الشائق (٨٣).

المسلمين، -وسيأتي بيان هذا في موضعه بحول الله تعالى-، مع أنه قد ذكر موقف علماء السلف من البدع والمنكرات، فقال: "كان العلماء في الزمن الأول يردون الشارد، ويسددون القاعد، ويعلمون الجاهل، وينبهون الغافل، ويهدون الضال، ويأخذون على يد المتغال، وينكرون البدع على متعاطيها أشد إنكار، ويكفهرون في وجوه من لا يرتدع منهم بالإنكار، ويتركون مجالستهم، ويرفضون معاملتهم.

فانعكس في هذه الأزمنة الحال، وعظم الخطب والوبال، ...ثم الذي أوجبه الله على العلماء هو إظهار الشريعة، وإنكار ما يحدث في الوقت من البدع الشنيعة، وبيان الحق، وإبطال الباطل، وتنبيه الغافل، وتعليم الجاهل، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ **[سورة الكهف:٢٩]**" [(١)]، لكنه قرر هذا في معرض تحريمه للدخان المشروب، ولم يذكره في باب العقائد.

كما أنه قد سرد جملة من الأحاديث في ذم البدع كقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**)) [(٢)]، وقول النبي-صلى الله عليه وسلم: ((**أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه**)) [(٣)].

وقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدلوا بعدك، فأقول: سحقا سحقا**)) [(٤)][(٥)].

---

(١) التدخين عند الأئمة الأربعة (١٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، حديث رقم: (٢٥٥٠) ومسلم، كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة ورد المحدثات، حديث رقم: ١٧١٨، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الديات، باب: من طلب دم امرئ بغير حق، رقم: (٦٤٨٨)، من حديث ابن عباس رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: استحباب إطالة الغرة، حديث رقم: (٢٤٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

☜

إلا أنه سردها على ما قرره من تحريم التمذهب بمذاهب الكفار والعمل بقوانينهم.

هذا هو منهج محمد بن جعفر الكتاني في تقرير العقيدة، ويظهر فيه تناقضه، وموافقته لمنهج المتكلمين والمتصوفه.

(٥) ينظر: نصيحة أهل الإسلام (١٩٥-١٩٨).



آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالله

المبحث الأول

آراء محمد بن جعفر الكتاني في توحيد الربوبية

وفيه مطلبان:

- **المطلب الأول:** آراؤه في معنى توحيد الربوبية.
- **المطلب الثاني:** آراؤه في دلائل معرفة الله وإثبات وحدانيته.

الفصل الثاني: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالله

المبحث الأول: آراء محمد بن جعفر الكتاني في توحيد الربوبية

المطلب الأول: آراؤه في معنى توحيد الربوبية:

توحيد الربوبية مركب من كلمتين: مضاف ومضاف إليه، وفيما يلي بيان رأي الكتاني فيهما ونقده:

التوحيد لغة:

قرر محمد بن جعفر الكتاني بأن أصل "أحد"هو: وَحَد، وأن معناها: المنفرد، وهو خاص بالله -تعالى-، حيث قال في بيان معنى "أحد" في تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ①﴾ [سورة الإخلاص:١]:"أحد: مرادف الواحد، بمعنى: المنفرد، من الوحد، وأصله وَحَد، بفتحتين، فقلبت الواو همزة للتخفيف"(١).

وهو بهذا قد وافق ما قرره أهل اللغة في أن مادة وَحَد من الانفراد؛ لأن التوحيد في اللغة: مصدر وحّد يوحّد توحيداً، ووحّد توحيدا أي: جعله واحداً، فهذه أصل مادتها: وحد، ومعاني هذه الكلمة ترجع إلى الانفراد، وانقطاع المثيل(٢).

يقول ابن فارس: «الواو، والحاء، والدال، أصل واحد يدل على الانفراد، من ذلك الوحْدة، وهو واحد قبيلته إذا لم يكن فيهم مثله»(٣).

فأصل مادة التوحيد في اللغة تدل على الانفراد وانقطاع المثيل، والحكم في الشيء بأنه واحد، ونسبته إلى الوحدانية.

---

(١) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ١)

(٢) ينظر مادة (وحد): تهذيب اللغة (٥/١٢٤)، الصحاح (٢/٥٤٧)، القاموس المحيط (٤١٤).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٦/٩٠)، وينظر: لسان العرب، مادة (وحد): (٢/٤٤٦).

التوحيد شرعا:

مع كون محمد بن جعفر الكتاني وافق ما قرره قرره أهل اللغة في أصل مادة وحَد، إلا أنه قال:" المراد من كونه جلَّ وعزَّ واحدًا: هو نفي قبوله الانقسام"(١)، وعرفه بوحدة الذات والصفات والأفعال،، حيث في تفسير سورة الإخلاص: "وقد ذكر غير واحد أن هذه السورة مفيدة جميع العقائد الإلهية؛ لأن قوله: "أحد"، يتضمن مطالب الوحدانية الثلاثة، أعني: وحدانية الذات، والصفات، والأفعال"(٢).

وقال:" اعلم أن الايمان بالله هو: التصديق الجازم بوجوده أولا، وبوحدانيته ثانيا، وباتصافه بصفات الكمال اللائقة به ثالثا، وبتقديسه عن سمات الحوادث رابعا"(٣).

كما قال أيضا:" والواحد في وصفه تعالى، قال بعضهم: هو الذي لا قسم لذاته، ولا شبيه له في كنهه وصفاته، ولا شريك معه في أفعاله ومصنوعاته، فلا تشبه ذاته الذوات، ولا صفاته الصفات، ولا فعل لغيره حتى يكون شريكًا له في فعله، أو عديلاً له"(٤).

ونقل بأن معنى "لا إله إلا الله": "اعتقاد كون الله تعالى لا مثل له، ولا نظير في ذاته، ولا في صفاته، ولا أفعاله"(٥).

وبناء على هذه التعاريف فالتوحيد عنده ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

توحيد الذات.

توحيد الصفات.

توحيد الأفعال.

---

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٣٠/أ)

(٢) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٣)

(٣) جلاء القلوب (٨٠/٢).

(٤) المرجع السابق (ل ٢)

(٥) الكشف والبيان (٢٥٧).

النقد:

حذا محمد بن جعفر الكتاني حذو المتكلمين في تعريف التوحيد[1]، فلم يذكر توحيد الألوهية الذي هو أساس الملة، والمقصود بشهادة أن لا إله إلا الله، وغاية ما ذكره في تعريف التوحيد: توحيد الربوبية، الذي يقر به المشركون، ولم ينكره أحد من بني آدم، وهو خلاف ما قرره السلف الصالح؛ فقد اهتم السلف الصالح ببيان التوحيد، وتحقيق معناه بما يوافق ما جاء في كتاب الله تعالى، و سنة نبي –صلى الله عليه وسلم–، فمن تعريفاتهم للتوحيد عند الإطلاق:

– تعريف الدارمي رحمه الله للتوحيد بقوله: «وتفسير التوحيد عند الأمة وصوابه قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له»[2].

– وتعريف الطبري رحمه الله حيث يقول في قوله ﷻ: ﴿إِلَٰهًا وَاحِدًا﴾ [سورة البقرة:١٣٣]: «أي نخلص له العبادة ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئا، ولا نتخذ دونه ربا»[3].

– وتعريف الطحاوي[4] رحمه الله حيث يقول:«نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولاشيء يعجزه»[5].

إلى غير هذه التعريفات المتفرقة في كتب السلف الصالح، فالتوحيد عند الإطلاق على اختلاف عباراتهم فيه، هو: هو إفراد الله تعالى بما يختص به من الربوبية، والألوهية، والأسماء والصفات، فالتوحيد فعل العبد، والتوحّد فعل الرب[1].

---

(١) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل للقاضي عبد الجبار (٢٤١/١)، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، محمد بن الطيب الباقلاني (ص٣٣)، نهاية الإقدام في علم الكلام للشهرستاني (ص٨٥).

(٢) نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي الجهمي العنيد (١٥٢/١).

(٣) جامع البيان (٥٨٦/٢).

(٤) هو: أحمد بن سلامة بن سلمة بن عبد الملك الأزدي الطحاوي، أبو جعفر الحنفي، أحد أئمة السلف، من مؤلفاته: شرح مشكل الآثار، العقيدة الطحاوية المشهورة، توفي عام ٣٢١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٧/١٥)، شذرات الذهب (٢٨٨/٢).

(٥) متن العقيدة الطحاوية للطحاوي (ص٨).

ويتبين بهذا أن التوحيد عند أهل السنة والجماعة ينقسم ثلاثة أقسام:

توحيد الربوبية.

توحيد الألوهية.

توحيد الأسماء والصفات.

وقد دل على ذلك استقراء النصوص من الكتاب والسنة(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- بعد ردود طويلة على المتكلمين في تقسيمهم للتوحيد بهذه الأقسام:" والمقصود هنا أن التوحيد الذي أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله، وهو المذكور في الكتاب والسنة، وهو المعلوم بالاضطرار من دين الإسلام، ليس هو هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها هؤلاء المتكلمون، وإن كان فيها ما هو داخل في التوحيد الذي جاء به الرسول، فهم مع زعمهم أنهم موحدون، ليس توحيدهم التوحيد الذي ذكر الله ورسوله، بل التوحيد الذي يدعون الاختصاص به باطل في الشرع والعقل واللغة"(٣)، ويعني بذلك ذكرهم لتوحيد الربوبية دون توحيد الألوهية.

وقال:" ما يسمونه توحيدا: فيه ما هو حق، وفيه ما هو باطل، ولو كان جميعه حقا فإن المشركين إذا أقروا بذلك كله لم يخرجوا من الشرك الذي وصفهم به في القرآن وقاتلهم عليه الرسول -صلى الله عليه وسلم- بل لا بد أن يعترفوا أنه لا إله إلا الله"(٤).

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٣/٤٤٩)، لوامع الأنوار البهية (١/٥٧)، تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله (ص١٧)، القول السديد شرح كتاب التوحيد، لابن سعدي (ص١٤-١٥)، القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/١١).

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٢٢٦)، مدارج السالكين (١/٢٤-٢٥)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/١٢٥)، تيسير العزيز الحميد (ص٣٢)، القول السديد (ص١٠)، أضواء البيان (٣/٤١٠-٤١٤)، القول المفيد (١/٥)، للاستزادة ينظر: القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر (ص١٧-٤٩).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٣/١٣٧-١٣٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/١٠١).

ويقول ابن القيم-رحمه الله-:"وأما توحيد الربوبية الذي أقر به المسلم والكافر، وقرره أهل الكلام فى كتبهم، فلا يكفي وحده، بل هو الحجة عليهم، كما بين ذلك سبحانه فى كتابه الكريم فى عدة مواضع"(١).

ومن ذلك قول الله عز وجل:" ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة البقرة:٢٢].

يقول ابن عباس-رحمه الله-:"أي لا تشركوا بالله غيره من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر، وأنتم تعلمون أنه لا رب لكم يرزقكم غيره، وقد علمتم أن الذي يدعوكم إليه الرسول من توحيده هو الحق لا شك فيه"(٢).

ويقول ابن جرير-رحمه الله- في تفسيرها:"ولكن الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها [أي العرب المشركين في الجاهلية] أنها كانت تقر بوحدانية، غير أنها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها، فقال جل ثناؤه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [سورة الزخرف:٨٧]، وقال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة يونس:٣١]"(٣).

فالعرب الذين بعث فيهم النبي-صلى الله عليه وسلم- كانوا يقرون بالربوبية، يقول الإمام الصنعاني(٤)-رحمه الله-:" الحمد لله الذي لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد، فلا يتخذون له ندا، ولا يدعون معه أحدا، ولا يتكلون إلا عليه"(٥).

---

(١) إغاثة اللهفان (٣٠/١).

(٢) رواه ابن جرير الطبري في تفسيره (٣٩٣/١).

(٣) جامع البيان (٣٩٤/١).

(٤) هو: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، من مؤلفاته: سبل السلام، الرد على من قال بوحدة الوجود، توفي عام١١٨٢هـ ينظر: البدر الطالع (٦٠/٢)، الأعلام (٣٨/٦).

(٥) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٤٧).

الربوبية في اللغة:

قرر محمد بن جعفر الكتاني بعض معاني الربوبية في اللغة، فذكر بأن الرب من التربية، بمعنى السياسة والفوقية، حيث قال في تفسير سورة الناس: "و﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [سورة الناس:١]: مالكهم، وخالقهم، ...وقوله: ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾ [سورة الناس:٢-٣]، عطف بيان له، وقد يقصد به إيضاح المتبوع بتعيينه، أو تقليل اشتراكه.

ولَمَّا كان الرَّبِّ من التربية بمعنى السياسة، وهي لا تستلزم الملك ولا الألوهية؛ زاد قوله: ﴿ملك الناس﴾؛ لتوضيحه، وتقليل اشتراكه، و﴿إله الناس﴾ لنهاية البيان، وغاية التوضيح بالتعيين؛ لأن لفظ "الإله" مفردًا كان أو مضافًا، لا يطلق على غيره تعالى"(١)، وقال:" الرب: المالك، يطلق أيضا على: الخالق وعلى المربي، من التربية وهي تبليغ الشيء إلى كماله، ... ورب: أي سائس للأمور، قائم بتدبيرها "(٢).

وقد وافق محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته السابقة ما قرره أهل اللغة، فالربوبية في اللغة: مصدر ربّ يرُبّ ربابةً وربوبية(٣)، وهذا المصدر يراد به اسم الفاعل، أي: راب، قال الراغب الأصفهاني: «فالرّبّ مصدر مستعار للفاعل»(٤).

وكلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معاني، يقول ابن الأثير(٥): «الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيّم، والمنعم»(٦).

---

(١) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٦).

(٢) تشنيف المسامع (ل ١٠).

(٣) ينظر: اشتقاق أسماء الله، للزجاجي (ص٣٢).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص٣٣٦).

(٥) هو: المبارك بن محمد بن عبد الكريم، أبو السعادات، مجد الدين المشهور بابن الأثير، كان فقيها محدثا نحويا، من مؤلفاته: جامع الأصول، والنهاية في غريب الحديث، توفي عام ٦٠٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٨٨/٢١)، شذرات الذهب (٢٢/٥).

(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، باب الراء مع الباء (٤٥٠/٢).

وكل هذه المعاني ترجع إلى ثلاثة أصول، هي: المالك، والسيد المطاع، والمصلح، قال ابن الأنباري(١) : «الرب ينقسم على ثلاثة أقسام: يكون الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع، ...ويكون الرب المصلح»(٢).

الربوبية في الشرع:

قرر محمد بن جعفر الكتاني بأن الرب كما يقول: " الموصوف بالحكم العام، والتصرف الحقيقي التام، وبالسلطان القديم، والملك العميم، من غير شريك له ولا شبيه، ولا نظير، ولا ضد، ولا معين، ولا وزير"(٣)، وأن الرب منفرد بالخلق والتصوير دون ما سواه(٤)، وقال عن الله تعالى: "لا شريك له في ملكه، ولا منازع له في حكمه، ولا تحجير عليه في تصرفه، بل لا رادَّ لأمره، ولا مُعقِّب لحكمه"(٥)، وقال:" ومنفي عنه أيضًا أن يكون غيره مشاركًا له في فعل من الأفعال"(٦)، والعالم كما قرر بقوله:" العالم كلّه ملكه لا شريك له"(٧).

ومن تقريراته في الربوبية قوله: "الحق سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقي لجميع المكونات، والحاكم فيها حقيقة بما يريد في جميع الأطوار، وسائر الحالات، والمتصرف فيها أصالة بتصرفه العام، وسلطانه القديم التام، لا غيره من جميع الحوادث؛ إذ جل سبحانه على أن يكون معه في ملكه شريك"(٨)، ونقل كون الربوبية تعم جميع العالمين، وأن الكل مربوب له تعالى(٩)، وفي شرحه لأحاديث النهي عن التصوير، وكونه من الكبائر العظيمة، بيّن العلة

---

(١) هو: محمد بن القاسم بن بشار ابن الأنباري، أبو بكر، المقرئ النحوي، من مؤلفاته: غريب الحديث، عجائب علوم القرآن، توفي عام ٣٢٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٥/١٥-٢٧٩)، تذكرة الحفاظ (٥٧/٣).

(٢) لسان العرب (٣٩٩/١).

(٣) جلاء القلوب (١٧٢/٢)، ينظر: بلوغ القصد والمرام (ص٣).

(٤) ينظر: بلوغ القصد والمرام (ص٢٢)، سلوة الأنفاس (٥٤/١)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣/أ).

(٥) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٥).

(٦) حاشية على شرح ميارة (ل ٣٠/أ).

(٧) ختم البخاري (ل ٥).

(٨) جلاء القلوب (٢٩٣/٢).

(٩) ينظر: جلاء القلوب (٢٤/٣)، حاشية على شرح ميارة (ل ٥٠/ب).

والسبب في كونه كذلك، وهو ما في التصوير من المضاهاة بخلق الله، والمزاحمة له في ربوبيته(١)، ومن تقريراته قوله: "نقل النووي في شرح مسلم عن العلماء أن التصوير معصية فاحشة، أي: عظيمة، وذكر غيره أنه من الكبائر العظيمة؛ لما فيه من المضاهاة لخلق الله"(٢).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني متوافق لما قرره في الربوبية لغة؛ ومعنى الربوبية في الشرع هو عين معناه في اللغة، فقد ورد لفظ الرب كثيراً في كتاب الله، وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وكان المعنى فيها هو معنى الرب الذي ورد في اللغة.

يقول الطبري رحمه الله: «فربنا – جل ثناؤه – السيد الذي لا شبه له ولا مثل في سؤدده، والمصلح أمر خلقه بما أسبغ عليهم من نعمه، والمالك الذي له الخلق والأمر»(٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن الرب – سبحانه – هو المالك، المدبر، المعطي، المانع، الضار، النافع، الخافض، الرافع، المعز، المذل»(٤).

وقال ابن كثير رحمه الله: « والرب هو: المالك المتصرف»(٥).

توحيد الربوبية:

إذا جمع المضاف مع المضاف إليه: توحيد الربوبية، فهو كما يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب(٦) رحمه الله: «هو الاقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت، النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له

(١) ينظر: بلوغ القصد والمرام (٢٠-٢٢).

(٢) المرجع السابق (٢٠).

(٣) جامع البيان (١/١٤٣).

(٤) مجموع الفتاوى (١/٩٢).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/١٣١).

(٦) هو: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، من آل الشيخ، حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كان متبحرا في الحديث والتفسير والفقه، من مؤلفاته: تيسير العزيز الحميد، أوثق على الإيمان، توفي قتيلا عام ١٢٣٣هـ، على يد عساكر إبراهيم باشا، ينظر: مشاهير علماء نجد (١/٢٤)، الأعلام (٣/١٢٩).

الامر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك، ويدخل في ذلك الايمان بالقدر »[١].

فتوحيد الربوبية هو: إفراد الله ﷻ بالخلق والملك والتدبير، وغير ذلك من معاني الربوبية، وهذا ما قرره الكتاني، إلا أنه نقض ذلك بتقريره لوحدة الوجود، فمحمد بن جعفر الكتاني وافق الأشاعرة في تقسيم التوحيد، ووافق الصوفية في جعل توحيد الربوبية هو الغاية-كما سيأتي-، حتى وقع في القول بالحلول والاتحاد، وهذا بسبب نهجه لنهجهم في تقريره، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله:" ثم إن طائفة ممن تكلم في تحقيق التوحيد على طريق أهل التصوف، ظن أن توحيد الربوبية هو الغاية، والفناء فيه هو النهاية، وأنه إذا شهد ذلك سقط عنه استحسان الحسن واستقباح القبيح"[٢]، وهذا لكون الكل ربًا فمن يقبح؟!

- قوله بالتوحيد الخاص، أو وحدة الوجود، والحلول والاتحاد:

قرر الكتاني -كما سبق-بأن علم الشريعة ظاهر وقشر لعلم الحقيقة[٣]، والتوحيد الذي يجب أن يحققه الصوفي ليس هو التوحيد الذي أرسل الله به الرسل، وأنزل به الكتب، وهو إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، بل عد هذا التوحيد هو توحيد العوام، أما الخاصة وخاصة الخاصة فليس هذا توحيدهم، بل توحيد خاصة الخاصة الذي لا يصح إفشاؤه للعامة هو علم القدرة والربوبية، وهذا تحريف للربوبية عن معناها، ومخالف لما قرره في الربوبية لغة كما تقدم، وحقيقتها القول بوحدة الوجود.

أكد على هذا في كتابه "جلاء القلوب من الأصداء الغينية ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية"، وناقض ما قرره من إفراد الله تعالى بالربوبية، فقرر فيه بأن الرب-جل جلاله-له أن يُفوض تصريف الكون إلى غيره، فيتصرف في الكون بإذن الله، فيكون مُصرَّف لا متصرِّف-كما يرى-؛ لأن الله كما يقول: "الله -سبحانه وتعالى- هو الخالق الرازق، المعطي المانع، الضار النافع، المتصرف في عباده على الحقيقة بما شاء وكيف شاء، ولا فعل لغيره

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (ص١٧)، وينظر:

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٣٨٨/٢).

(٣) جلاء القلوب (٣٧/١-٣٩)، ينظر: اليمن والإسعاد (٩١).

سبحانه وتعالى البتة، والأولياء إنما هم مصرَّفون لا متصرفون، ويملكون لا مالكون، ومُشفَّعون لا مستشفع إليهم"(١).

وقال في تصرف النبي-صلى الله عليه وسلم- في الكون: "أعطي التصرف في الخزائن العلوية كلها الذي من أعطيه كان له التصرف في المملكة الربانية بأجمعها، ولذا لما أمر القمر أن ينشق فرقتين امتثل أمره وانشق"(٢)، وإن قال:" وإن تصرف في جميع العوالم فتصرفه ناقص"(٣).

ومما قاله في معنى تصرف الولي:" وها هنا أمر ينبغي التنبيه عليه، وهو أن تصرف الولي هو معنى إيجاد الله الأمر وخلقه على يديه من غير أن يكون للولي فيه أثر، ولا فعل؛ ولأنه لا تأثير لمخلوق في شيء ما أصلا، والتأثير والفعل إنما هو لله عز وجل خاصة "(٤)، وهذا هو عين القول بالجبر- كما سيأتي في رأيه بمسائل القضاء والقدر-، وقد قرر بأن هذا التصرف ثابت للأولياء من الإنس والجن والملائكة(٥)

وقد ذكر بأن وحدة الوجود مسألة أكثر العلماء الكلام فيها قديما وحديثا، فردها بعضهم؛ لعدم فهمهم لها على الوجه الموافق للشريعة-كما يرى-، أو لما في ظاهرها من الإشكال، ولما تؤدي إليه من تخبط الجهال ووقوعهم في الضلال، وأثبتها الكثير منهم -برأيه- كابن عربي ومن نحا نحوه، حتى نصر القول بوحدة الوجود وسرد المؤلفات فيها، وقرر بأنه لا يكمل أحد في فهم معناها إلا من حصل له الذوق الصحيح والكشف الصريح(٦).

ومن تقريراته في وحدة الوجود: تقسيمه له، حيث ذكر أن وحدة الوجود وحدات ثلاث وهي: "منها: وحدة كل موجود على انفراده، ومعناها: أن كل فرد من أفراد الموجودات الظاهرة

---

(١) سلوة الأنفاس (٥٤/١، ٢٧٤)، ينظر: جلاء القلوب (٣٧/١-٣٩، ٤٦، ٨٢/٢، ١٨٨، ١١٧/٣).

(٢) جلاء القلوب (٢٥٣/١)، وينظر المرجع نفسه (٦٧/٣).

(٣) المرجع السابق (٢٤١/٣)، وينظر: النبذة اليسيرة النافعة (١٥٣-١٥٤).

(٤) جلاء القلوب (٢٩٢/٢)، وينظر المرجع نفسه: (١٣٧/٣-١٣٩، ٢٤١، ١١٧/٣)، سلوة الأنفاس (٢٩/١، ٥٤-٥٥، ٧٦، ٢٨١/٢).

(٥) ينظر: جلاء القلوب (٢٩٢/٢).

(٦) ينظر: جلاء القلوب (٨٥/٢).

والباطنة من حيث هو له من الله تعالى وجه خاص يلقى إليه منه ما يشاء، لا يشاركه فيه أحد وله منه أيضا وجهة معينة وصفة مخصوصة، لا تكون لغيره"(١).

ثم ذكر الوحدة الثانية وهي التي عبر عنها بالحقيقة المحمدية، وهي كما يقول: "وحدة جميع الموجودات الكونية من حيث جملتها، وهي وحدته-صلى الله عليه وسلم-، ومعناها: أن العالم كله من أوله إلى ما لا نهاية له شيء واحد بالذات، أو نورانيته واحدة، وحقيقة متحدة، متضمنة لجميع الحقائق، وهي نورانيته-صلى الله عليه وسلم-وحقيقته المفاضة من الذات العلية، فيضانا متحدا"(٢)، فقرر بأن العالم كله شيء واحد، وهو نورانية النبي -صلى الله عليه وسلم- المستمدة من ذات الله المتحدة به-تعالى الله عن ذلك-.

وذكر الثالثة وهي: "وحدة الوجود الذي به يتحقق حقيقة كل موجود، وهي وحدة الحق سبحانه وتعالى ومعناها: أن الوجود من حيث هو حقيقة واحدة، وهي لله تعالى وحدة لا مشارك له فيها، فهو الموجود على الإطلاق، ووجود هذه الكائنات إنما كان باستنادها إليه، واستمدادها منه، واستنشاقها لروائح الوجود من وجوده، ...فهو موجود بهذا الوجود الذي له تعالى، لا بوجود آخر ثان، فلم تكن غيرا من كل وجه"(٣)، وهو بهذا قرر بأن الوجود وجود واحد، وهو وجود الله تعالى، فالله والعالم شيء واحد، ليس وجودها غيره.

ومن تقريراته قوله: "وهذا الوجود الظاهر المشترك بين جميع الموجودات المتعين بها هو عين وجود الحق "(٤)، ويشبهه قوله: "وليس ثمة موجودان، بل الوجود واحد وهو مشترك بين سائرها، وهو مستفاد من الحق سبحانه وتعالى"(٥).

ومن تعبيراته عن وحدة الوجود بتجلي الله في المخلوقات والأفعال قوله: "الله تعالى لغناه الذاتي عن العالم، لا يتقيد بشيء مما ظهر فيه من المظاهر، بل يتجلى ويظهر كما شاء في كل

---

(١) جلاب القلوب (٧٠/٢)، وينظر المرجع نفسه (١٨٢/٢).

(٢) المصدر السابق (٧١/٢).

(٣) جلاء القلوب (٧٦/٢)، وينظر (٣٣/٢، ٤٤).

(٤) جلاء القلوب (٣٠/٢).

(٥) المصدر السابق (٧٤/٢) وينظر: (٧٣/٢، ٨٧، ١٧٢، ٢٥/٣).

ما شاء متى شاء، على ما هو عليه من التنزيه والكمال والتعالي، بل الأشياء كلها ما ظهرت إلا به سبحانه، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة الأنعام:٣]، وقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [سورة يونس:١٠١]، ...فهو الذي يأتي بأفعاله ومنفعلاته، فيظهر متجليا بها، من غير أن يتغير في ذاته وصفاته، وهي شؤونه التي قال: ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة الرحمن:٢٩]، والعارف يتحقق بهذا ويعلم أن كل شيء يراه ليس إلا الحق"(١)، فقرر بأن كل شيء يُرى في هذا الكون هو الرب تعالى-تعالى الله عن ذلك!-.

ومن تقريراته الصريحة بالتجلي قوله:" مما يشهد لهذا التجلي والظهور في الصور والانكشاف فيها: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [سورة الأعراف:١٤٣]. ، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ [سورة البقرة:٢١٠]...وتجليه سبحانه وتعالى لموسى- عليه السلام- في النار المخلوقة التي رآها إلى جانب الشجرة فسمع النداء: ﴿ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾ [سورة النمل:٩]"(٢).

مع فهمه بأن هذا التجلي كما يقول:" يتجلى لخلقه على طريق التنزل منهم إليهم في الصور كلها، من غير حلول ولا كيفية ولا تغير عما هو عليه في ذاته العلية، من التنزيه وعدم المثلية"(٣)، وأن الله منزه عن الحلول والاتحاد، والتشبيه والتكييف(٤)، وأن اعتقاد البُنوة والأبوة والحلول كفر إجماعا(٥)، خلافا لمن فهم ذلك من أهل الأفهام القاصرة! -كما يرى-(٦)، فيقول: "نعم عندنا شيء واقع وهو تجليه سبحانه وتعالى وظهوره في الصور والأمثلة التي يريد أن يظهر بها من غير حلول فيها ولا اتحاد معها، ولا امتزاج بها، ولا تغير أو تبدل لذاته العلية، أو حدوث صفة فيها لم يكن عليها- تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-، ... وهو غير الحلول خلافا

---

(١) جلاء القلوب (٢٠٣/٢- ٢٠٤).

(٢) المرجع السابق (٢٠٥/٢).

(٣) المرجع السابق (٢٧٩/١).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (٢٠٣/٢، ٢٧٩، ٥١/٣)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٦٤).

(٥) ينظر: الكشف والبيان (٢٣٩)، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين (٤٠/٩)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٤/أ).

(٦) ينظر: جلاء القلوب (٢٧٩/١، ٢٠٥/٢، ٥١/٣) النبذة اليسيرة النافعة (٣٦٤).

لما يقع في بعض الأفهام القاصرة من أنه هو، فإن كون الشيء مجلى لشيء ليس معناه أنه محل له؛ لأن الظاهر في المرآة خارج عن المرآة بذاته قطعا، بخلاف الحال في محل، فإنه حاصل فيه، فالظهور غير الحلول، فإن الظهور في المظاهر للواسع القدوس بجامع التنزيه الشرعي الذي هو عدم التقييد بشيء من المظاهر مع التجلي فيما شاء منها بخلاف الحلول فافهم"(١).

ويرى بأن مسألة وحدة الوجود لا يكمل أحد في فهم معناها إلا كما يقول:" من حصل له الذوق الصحيح والكشف الصريح، وإلا فهي مزلة الأقدام إلا من حفظه الملك العلام، ... لكونها من أغمض المسائل وأدقها، ...من حيث أنها تدل على أنه لا وجود لنا، بل نحن معدومون، وأكثر الناس في فهم مسألة وحدة الوجود على ظن وتخمين، وبمعزل عن تحقيق ما أراده القوم منها على اليقين، فصاروا لذلك بعض يقبلها ويرد مقابلها، وبعض منكرها ويكفر قائلها؛ لأن ظاهرها وهو أنه لا وجود إلا لله مشكل جدا؛ لما يؤدي إليه من اللوازم الصعبة التي منها اتصاف المخلوق بصفة الألوهية، أو الحكم عليه بالعدم، وكلاهما باطل، وموجب لسقوط التكليف، وإبطال الشرائع؛ لأنا إن قلنا بالأول كان المكلف هو الإله، ولا يصح ذلك عقلا ولا نقلا، بل هو باطل بإجماع العقلاء والشرائع، وإن قلنا بالثاني، وقلنا إن المكلف هو العبد، لم يصح على قولهم؛ لأن العبد عندهم من حيث ذاته عدم لنفسه، وتكليف العدم ممتنع بالضرورة؛ إذ لا يتأتى منه امتثال ولا انتهاء ولا تصورهما، وهذا هو معنى قول الشيخ محيي الدين في بيتيه المشهورين على سبيل اللغز، وقد ذكرهما في خطبة الفتوحات وهما:

العبد حق والرب حق ياليت شعري من المكلف
إن قلت عبد فذاك ميت أو قلت رب أنى يكلف(٢)

...، وأجيب عن القائلين بوحدة الوجود بجوابين:

أحدهما: أن المراد بها ما اتفق عليه علماء الدين وأئمة السنة المهتدين، من أن جميع العوالم على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها موجودة من العدم بوجوده تعالى، لا بنفسها، محفوظ عليها الوجود في كل لمحة، بوجود الله، لا بنفسها، وإذا كانت كذلك فوجودها الذي هو

(١) جلاء القلوب (٢/٢٠٢-٢٠٣)، وينظر المرجع نفسه (٣/٥١-٥٢).

(٢) ذكر الكتاني أن البيت هو: العبد عبد والرب رب..، والصحيح ما أثبتّه، ينظر: الفتوحات المكية (٢/١).

موجودة به في كل لمحة هو وجود الله تعالى، لا وجود آخر غير وجوده، فالعوالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الأصلي، ومن جهة وجود الله تعالى موجودة بوجوده، فوجود الله ووجودها الذي هي موجودة به وجود واحد، وهو وجود الله تعالى فقط، وهي لا وجود لها من جهة نفسها أصلا، ...فليس قولهم بوحدة الوجود مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة، وحاشاهم من المخالفة، وإنما المنكر عليهم وعلى أمثالهم، ينكر من قصور فهمه، وقلة معرفته باصطلاحاتهم، وعدم علمه، فإن علومهم مبنية على الكشف والعيان، ...

الجواب الثاني: أن مرادهم بها وحدة الشهود، وذلك أن العارف لما بدت له أنوار الذات العلية من غير تشبيه ولا تكييف، وأشرق عليها شعاعها، وغلب على قلبه شهودها، وتمكن من بصيرته وجودها، غاب عنه عند شهودها شهود كل ما سواها من جميع الكائنات، مع وجودها نظير النجوم، فإنها ثابتة، ولكنها تغيب عند بدو الشمس "(١)، فهذا المراد بوحدة الوجود عنده وسيأتي الرد عليه.

ويقرر صراحة حلول صفات الله تعالى بالعبد، وعبر عنها بالفناء والحلول، حيث ذكر بأن العبد قد يفنى بالكلية عن شعور جميع الموجودات، واستدل بالحديث القدسي أن الله –جل جلاله– قال: ((**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته**)) (٢)، وأن العبد يفنى بالكلية عن شعور جميع الموجودات: "بحيث (٣)عن نفسه حتى لم يبق في نظره إلا وجود الحق سبحانه، وهو معنى فناء العبد في الله، وهو ثمرة الفرائض، والثاني عبارة عن زوال الصفة البشرية وظهور صفاته تعالى

---

(١) جلاء القلوب (٢/٨٧-٩٠).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الرقاق، باب: التواضع، حديث رقم: (٦١٣٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا بلفظه.

(٣) يظهر من خلال السياق أن العبارة هي: بحيث يفنى عن نفسه.

عليه، بأن يحيي ويميت، بإذن الله تعالى، ويسمع ويبصر المبصرات من بعيد، وعلى هذا القياس، وهو معنى فناء الصفات في صفات الله تعالى، وهو ثمرة النوافل، والجامع بينهما هو الخليفة الكامل، والقطب الواصل، أو من يكون في معناه من الأولياء المقربين له في الدرجة"(١).

وذكر أن ما يتوهمه الناس كونا أو خلقا هو في الحقيقة ذات الله تعالى، وأسماؤه وصفاته، ولكنه-سبحانه-ظهر في صور الخلق لا بمعنى أنه يحلّ في المخلوق، بل إن الله تعالى ما يتجلى-برأيه-إلا على نفسه (٢)، فالكائنات عنده باعتبار ظاهرها خلق، وباعتبار باطنها وحقيقتها هي الله سبحانه، فيصح عنده أن توصف بكلا الوصفين.

ويفهم من كلام محمد بن جعفر الكتاني أن العالم لم يخرج من العدم، وإنما بالتجلي والظهور، أو بالفيض المقدس، وذلك أن الأعيان كلها فائضة من الله بالفيض الأقدس كما يقول وهو: "من ذاته قد تجلى على ذاته، ...وبه تحصل الأعيان الثابتة في الخارج، ...وتسمى بالفيض المقدس، وبالفيض الأسمائي الصفاتي"(٣).

وقد عبر عن وحدة الوجود بالخلافة العظمى الباطنية عن الله -جل جلاله-، والتصرف في الكون والتحكم فيه بتحكيم الله،، حتى صارت لهم الخلافة العظمى عن الله مطلقا في الأحوال كلها وقد يسمى بغوث الزمان، وبغوث العالم، وبالقطب الحقيقي، وقطب الأقطاب، وصاحب القطبية الكبرى، والإنسان الكامل، والخليفة الأكبر والكبير، وبالخليفة الباطن، وغير ذلك(٤)، وقال: "كلام الأولياء من هذا النمط كثير، وإخبارهم عن أنفسهم بما ملكهم الله تعالى عن التصرف في العالم شهير، وبسبب ذلك ما خصوا به من الخلافة العظمى وما منحهم الله به من التخلق ما له من الأسماء، وسريانهم في جميع الموجودات كسريان الحق فيها"(٥).

---

(١) جلاء القلوب (٢/٢٥٣)، وينظر المرجع نفسه (٢/٢١٤).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (٢/١٤، ٢٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٢/٦).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (١/٨، ٢٥٣، ٢/٢٤٥، ٢٥٦-٢٦٦، ٣/٥، ٦٨، ١٤١، ١٥٣، ٢٢٥ وما بعدها)، النبذة اليسيرة النافعة (١٩٥).

(٥) جلاء القلوب (٢/٢٤٥)، وينظر المرجع نفسه (٢/٢٥١، ٣/٥وما بعدها).

وذكر بعض ما يُروى عنهم، ومن ذلك قوله عن عبد القادر الجيلاني:" وكان-رضي الله عنه- ممن يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، ويمشي في الهواء على رؤوس الأشهاد في مجلسه، ويقول أنا شيخ الملائكة والجن والإنس، ويقول: بيني وبين الخلق بعد ما بين السماء والأرض، فلا تقيسوني بأحد ولا تقيسوا علي أحد، ويقول: طوبى لمن رآني أو رآى من رآني إلى سبع، وأنا حسرة من لم يرنِ، ...ويقول: ما تطلع الشمس حتى تأتيني وتسلم علي وكذا السنة والشهر والجمعة والأيام وتخبرني بما يجري فيها وما يكون ويحدث، وعزة ربي إن السعداء والأشقياء ليعرضون علي وأنا لؤلؤ عيني في اللوح المحفوظ، وأنا غائص في بحار علم الله ومشاهدته، أنا حجة الله عليكم جميعكم، أنا نائب رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ووارثه في الأرض، ويقول: إذا سألتم الله فسألوه بي، ويقول: من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني باسمي في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي إلى الله في حاجة قضيت حاجته، ويقول: أعطيت سجلا مد البصر فيه أسماء أصحابي ومريدي إلى يوم القيامة، وقيل لي: قد وهبوا لك، وسألت مالكا خازن النار: هل عندك أحد من أصحابي، فقال: لا"(١).

ومن الأدعية التي يقولها: "اللهم املأنا بك وبمحبتك، ونورنا بأنوار معرفتك، وأغرقنا في بحار وحدتك، ومُن علينا بمشاهدتك، وعلق قلوبنا بك، حتى لا نشهد إلا إياك، ولا تعلق بأحد سواك"(٢).

وقرر بأن هذه العقيدة لا يجوز أن توضع في الكتب على وجه التصريح، إنما يذكر فيها بطريق الإشارة، يقول في هذا: "وإنما امتنع وضعه في الكتب لأمور ثلاثة:

أحدها: أن العبارة لا تشرحه كل الشرح، بل لا تفي به أصلا؛ لأنه من علوم الإشارة، وعلم الإشارة مهما صار عبارة سمج ويدخله الخفاء، وقد يؤدي التعبير عنه إلى تكفير القائل أو تبديعه أو تفسيقه، بل ربما أدى لقتله كما وقع للحلاج(١) وغيره...

---

(١) جلاء القلوب (٢/٢٤٧-٢٤٨)، وينظر: سلوة الأنفاس (١/٢٧٤)، وينظر المرجع نفسه (١/٣٢٩، ٣٥١، ٢/٢٩٦، ٣٢٠، ٣/١٦٩).

(٢) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (١٢٧).

الثاني: إن وضعه في الكتب يؤدي لابتذاله، وظهوره لغير أهله، وذلك لا يجوز عند القوم؛ لما يؤدي إليه من المفاسد الكثيرة.

الثالث: أن وضعه فيها مع عدم فهم المراد منه لأغلب الناس لعدم استيفاء الكلام عليه يكون قطعا للمريد عن التحقيق به، وموجبا لوجود الحيرة فيه"(٢).

- النقد:

لا بد من بيان معنى هذه المصطلحات التي ذكرها محمد بن جعفر الكتاني، وهي كما يلي:

- وحدة الوجود:

وحدة الوجود عقيدة باطنية عند الصوفية وغيرهم من الفرق الباطنية، وتعني عند الصوفية: أن الله تعالى والعالم شيء واحد، فوجود الكائنات هو عين وجود الله تعالى، ليس وجودها غيره(٣).

وهذا ما قرره الكتاني في تقريراته وأثبته، ورأى بأنه غير مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة.

- الحلول والاتحاد:

الحلول والاتحاد في اللغة:

- **الحلول في اللغة**: مصدر رباعي من حَلَّ بالمكان يَحُلُّ حُلولاً، وله في اللغة عدة معان، منها:

- **النزول**، مصدر حل يحلُّ، إذا نزل بالمكان، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ﴾ **[سورة الرعد:٣١]**.

- **حلّ بمعنى وجب**، ومنه قوله: **قال تعالى:** ﴿فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي ﴿٨١﴾﴾ **[سورة طه:٨١]**.

- حل بمعنى بلغ.

---

(١) هو: الحسين بن منصور أبو مغيث، وقيل: أبا عبد الله، قتل ببغداد عام ٣٠٩هـ بعد أن أجمع علماء عصره على قتله بسبب ما نقل عنه من الكفر والزندقة. ينظر: تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادي (١١٢/٨)، سير أعلام النبلاء (٣٥٤/١٤)

(٢) جلاء القلوب (٢٢١/٢).

(٣) ينظر: التعريفات (ص٢٥٠)، كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي (ص٩٢٣-٩٢٦) مجموع الفتاوى (١٤٠/٢)، الصفدية (٢٤٥/١).

وأصل الحلول من حل عقد الحبال عند إنزال الأحمال، أي: فتحها ونقضها [١]، ومن البيّن أن المعنى الأول هو المراد في هذا المصطلح.

- **الاتحاد في اللغة:** هو أن يصير المتعدد واحدا، من اتّحد يتّحد، ويقال: اتحد الشيئان، أو الأشياء، أي صارت شيئا واحدا[٢]، ولم يرد لفظ الاتحاد في كتاب الله ولا في سنة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

– الحلول والاتحاد في الاصطلاح:

– الحلول في الاصطلاح: اختُلف في معنى الحلول، والأظهر –والله أعلم– أن الحلول هو: أن يكون الشيء حاصلاً في الشيء، ومختصّاً به، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما، إشارة إلى الآخر تحقيقاً، أو تقديراً [٣].

يقول الجرجاني في تعريف الحلول:" عبارة عن اتحاد الجسمين، بحيث تكون الإشارة إلى أحدهما إشارة إلى الآخر، كحلول ماء الورد في الورد، فيسمى الساري حالاً والمسري فيه محلاً، الحلول الجواري: عبارة عن كون أحد الجسمين ظرفاً للآخر، كحلول الماء في الكوز"[٤].

والحلول كما بين ابن تيمية –رحمه الله– على قسمين:

١- **حلول خاص:** وهو دعوى حلول الرب، وحصوله في بعض خلقه.

فمنهم من يجعل هذا الحلول في عين مختصة، كدعوى النصارى حلول الله بعيسى –عليه السلام– أو اتحاده به، وكدعوى غلاة الرافضة الذين يقولون بحلول الله بعلي ابن أبي طالب، أو ببعض ذريته.

---

(١) ينظر: مادة (حلل): الصحاح (١٦٧٢/٤)، القاموس المحيط (٩٨٦)، لسان العرب (١٦٣/١١)، المعجم الوسيط (١٩٤/١) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني(ص٢٥١)، الكليات (ص٣٨٩).

(٢) ينظر مادة (وحد): القاموس المحيط (٣٢٤)، لسان العرب (٤٤٦/٣)، المعجم الوسيط (١٠١٦/٢).

(٣) ينظر: التعريفات (٩٢)، الكليات (٣٩٠)، الصوفية معتقدا ومسلكا، صابر طعيمة (٢٤٧-٢٤٩)، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ.

(٤) ينظر: التعريفات (١٢).

وقد نفى الكتاني هذا النوع من الحلول وذكر بأنه كفر بالإجماع(١).

ومنهم من يربط الحلول بمن حقق وصفاً مختصاً، كبعض غلاة الصوفية ممن يقول بحلوله-تعالى وتقدس-فيمن حقق الولاية، وصبر عن لذات النفس وشهواتها، فيصفو عن النفس البشرية، فتحل فيه روح الإله، -تعالى الله عن قولهم علواً كبيرا-(٢)، وهذا الحلول هو الذي قرره الكتاني في مرتبة الخلافة العظمى الباطنية عن الله.

٢- **حلول عام**: وهو دعوى حلول الرب، وحصوله بذاته في كل مكان.

وهذا ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته السابقة، وهو الذي ذكره أئمة السنة والحديث عن طائفة من الجهمية المتقدمين، ممن يقول: إن الله بذاته في كل مكان (٣)، ولا شك أن التفريق بينهما له أثر في بيان حقيقة الحلول.

- **الاتحاد في الاصطلاح**: اختُلف كذلك في تعريف الاتحاد وتصويره، وبيان مراد القائلين به.

يقول الجرجاني في تعريفه له:" الاتحاد هو تصيير الذاتين واحدة، ولا يكون إلا في العدد من الاثنين فصاعداً"(٤).

وعرفه الكاشاني(١) بأنه:" شهود الوجود الحق الواحد المطلق الذي الكل به موجود بالحق، فيتحد به الكل من حيث كون كل شيء موجوداً به معدوماً بنفسه، لا من حيث إن له وجوداً خاصاً اتَّحد به، فإنه محال"(٢).

---

(١) ينظر: الكشف والبيان (٢٣٩)، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين (٤٠/٩).

(٢) ينظر: الفرق بين الفرق (٨٢)، درء تعارض العقل والنقل (١٥١/٦)، مجموع الفتاوى (١٧١/٢-١٧٢، ٥٩/١٠)، وللحلول تقسيمات أخرى ليس هذا موضع تفصيلها، انظر: التعريفات للجرجاني (٩٢)، الكليات (٣٩٠).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٤٠/٢)، درء تعارض العقل والنقل (١٥١/٦-١٥٢)، المستدرك على مجموع الفتاوى لابن تيمية (٣٧/١-٣٨)، وأحيانا يعبر شيخ الإسلام عن هذين القسمين بالحلول المطلق والحلول المقيد أو المعين، انظر: مجموع الفتاوى (٢٩٦/٢، ٤٦٥)، وجمع بين التعبيرين كما في مجموع الفتاوى (٤٥٠/٢)، الصوفية معتقدا ومسلكا، صابر طعيمة (٢٤٧-٢٤٩).

(٤) التعريفات (٢٩)، وينظر: التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي (ص٣٧).

والبعض قد جعل بيان معنى الاتحاد مبنياً على تقسيمه، كابن تيمية فقد قسم الاتحاد-كما الحلول- إلى قسمين:

- **الاتحاد الخاص**: وعرفه بأنه اتحاد الله ببعض خلقه (٣).

- **والاتحاد العام** وعرفه بأنه: القول بأن الله تعالى هو عين وجود الكائنات(٤).

وعرفه البعض بأنه:" اتحاد شيء مع شيء آخر بنحو يصبح الاثنان شيئاً واحداً، وذلك عندما تزول من الإنسان كل صفة من صفات الجسم، ويزول عنه كل ما هو غير روحاني، وعندما يتم ذلك يتحد الإنسان بالله، ويصبح كل ما لله من الصفات والإمكانيات لهذا الإنسان، بنحو تكون الكلمتان: "الله" و"الإنسان" تعبيراً عن معنى واحد"(٥).

ومن الأمثلة التي ذُكرت لبيان معنى الاتحاد: امتزاج الماء باللبن، أو اتحاد النفس والجسم(٦).

والحقيقة أن العلماء والباحثين في بيان معنى الاتحاد اتجاهين:

- **الاتجاه الأول**: من فَسَّر الاتحاد بأن تصير الذاتان ذاتاً واحدة، وعلى هذا فإن الاتحاد في نظرهم مذهب يقر بالتعددية في الأصل، كما في الحلول، ثم حصل الاتحاد بعد ذلك.

---

(١) هو: عبد الرزاق بن أحمد بن أبي الغنائم الكاشاني، أو القاشاني، شارح كتب الصوفية، أحد مشائخ الطريقة السهروردية، من مؤلفاته: شرح منازل السائرين للهروي، شرح فصوص الحكم لابن عربي، توفي عام٧٣٠هـ، ينظر: الأعلام (٣٥٠/٣)، معجم المؤلفين (٢١٥/٥).

(٢) معجم اصطلاحات الصوفية (٤٩)، وينظر: نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، سارة بن جلوي آل سعود (٣٢)، التعريفات (٨-٩)، الكليات (٣٨).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧٢/٢)، المستدرك على مجموع الفتاوى (٣٦/١-٣٧).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧٢/٢)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٧/٤-٨).

(٥) بين التصوف والتشيع، هاشم معروف الحسني (ص٨٤).

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧٢/٢)، المستدرك على مجموع الفتاوى (٣٦/١).

-والاتجاه الثاني: من فسَّر الاتحاد بمعنى وحدة الوجود، وهذا كما سبق من تعريف الكاشاني للاتحاد، حيث فسَّر الاتِّحاد بمعنى وحدة الوجود، وهو ظاهر كلام ابن تيمية، حيث جعل الاتحاد العام بمعنى وحدة الوجود، بخلاف الاتحاد الخاص.

وأصحاب الاتجاه الأول اختلفت أقوالهم في بيان الفرق بين الاتحاد والحلول.

-فمنهم من جعل الحلول بمعنى الاتحاد، فالاتحاد عندهم هو: حلول الله بخلقه، والحلول عندهم هو: اتحاد الله بخلقه(١).

-ومنهم من رأى أن الحلوليين يقولون بتنزُّل الله، فيحل في بعض المصطفين من عباده، على حين يقول الاتحاديون إن هؤلاء المصطفين يرتفعون بنفوسهم، ويسمون بأرواحهم إلى حضرة الذات العلية حتى تفنى فيه أو تتحد به (٢)، وهذا عين ما قرره الكتاني وسماه اتحادا.

-ومنهم من بيَّن الفرق بينهما بضرب مثل لكل منهما، فمثَّل الحلول بحلول الماء في الإناء، ومثَّل الاتحاد باختلاط الماء واللبن(٣).

ومن الممكن أن يُستنبط الفرق من هذا، بما يلي:

الحلول هو دعوى أن يحل الخالق بالمخلوق من غير امتزاج، بل يكون المخلوق ظرفاً للخالق، فتبقى للخالق خاصيَّته وربوبيته، وتبقى في المخلوق خاصيَّته، -تعالى الله عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً-(٤).

أما الاتحاد فهو دعوى الامتزاج والاختلاط بين الخالق والمخلوق، فتمتزج الذاتان، وتبطل خواصهما، فتصير ذاتاً واحدةً، -تعالى الله وتقدس عن قولهم-(١)، وبهذا يكون الاتحاد في درجةٍ أبعد، وأشد غلوّاً وكفراً من الحلول.

---

(١) ينظر: نظرية الاتصال عند الصوفية (ص٣٣)، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، أحمد القصير، (ص٤٥-٤٦).

(٢) ينظر: الصوفية معتقدا ومسلكا (ص٢٥٤).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧٢/٢)، الجواب الصحيح له (٧/٤)، الكليات (٣٧).

(٤) ينظر: التعريفات (٩٢)، الكليات (٣٩٠)، مجموع الفتاوى (٤٦٦)، الصفدية (٢٦٤/١)، الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٣٧)، معجم مصطلحات الصوفية للحنفي (٨٢).

ولعل هذا التفريق هو الأقرب، لموافقته للمعنى اللغوي للحلول والاتحاد، ولمناسبته للأمثلة التي ضُربت لكلا منهما، ولأنه المنقول عن العلماء المتقدمين، كشيخ الإسلام وغيره.

-**معنى الفناء**: الفناء في اللغة هو: العدم والزوال(٢).

الفناء عند الصوفية: يقصدون به زوال الاعتقاد بوجود الأكوان؛ لاعتقاد أن وجودها هو وجود الله(٣)، وهذا ما قرره الكتاني في تقريراته السابقة(٤)، وهو تعبير عن وحدة الوجود.

- **قوله بإيمان العارفين**: هذا يدعوا إلى بيان معنى العارف عند الصوفية، وهو عندهم: من عرف وحدة الوجود وتحقق بها، واعتقد تفرد الله بالوجود، وأنه الظاهر في جميع المظاهر(٥).

وتقرير محمد بن جعفر الكتاني لعقيدة وحدة الوجود، أو التوحيد الخاص، وتقسيم التوحيد على طريقة الصوفية، مع القول بالحلول والاتحاد، تقرير شنيع باطل، وخير ما يمكن أن يُرد به ويُدفع هو حسن تصوره وفهمه، لأنه كاف لإثبات فساده؛ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- "إن تصور مذهب هؤلاء كافٍ في بيان فساده، ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر"(٦).

وفكرة هذه العقيدة أن الكون كله بكل ما فيه من موجودات ما هو إلا الله أو مظهرًا أو انعكاس لله، فمجرد معرفة المسلم معنى هذا المصطلح الشائك، وما يتضمنه من شناعة، يدرك فساده، ويمكن تلخيص بيان فساد هذه العقيدة من خلال تقريرات محمد بن جعفر الكتاني في"جلاء القلوب" من عدة أوجه:

---

(١) ينظر: التعريفات (٨-٩)، معجم اصطلاحات الصوفية (٤٩)، معجم مصطلحات الصوفية للحنفي (٩-١٠)، الكليات (٣٧)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٤/٧-٨).

(٢) ينظر: ينظر مادة (فني): لسان العرب (١٥/١٦٤)، القاموس المحيط (٤/٣٧٥).

(٣) ينظر: اصطلاحات الصوفية للكاشاني (٣٦٥)، معراج التشوف إلى حقائق التصوف، لابن عجيبة (٥٩).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (٢/٣٥، ٣٧، ٨٢)، وينظر: اليمن والإسعاد (١٢٧).

(٥) ينظر: فصوص الحكم لابن عربي بشرح الكاشاني (٢٩٥-٣٠٠)، شرح حكم ابن عطاء الله، للشرنوبي (ص٨٦-٨٧).

(٦) مجموع الفتاوى (٢/١٣٨).

١- القول بأن الله -تعالى عما يقولون-له أن يُفوض تصريف الكون إلى غيره، فيتصرف هذا الغير بالكون، سواء أكان النبي-صلى الله عليه وسلم-أو وليا من الأولياء مناقض لأدلة توحيد الربوبية، التي تدل على تفرد الله -جل جلاله- بالملك والخلق والتدبير، وأنه مالك الملك، المحيي المميت، وحده دون من سواه، فلا شريك له في ربوبيته تعالى، كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الزمر:٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا﴾ [سورة الزخرف:٨٥]، وهو شرك في الربوبية لم يقرّ به الكفار على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- بل كانوا يقرون بانفراد الله بالتدبير، وأنه لا شريك له في ربوبيته(١).

كما أن تقرير الكتاني هنا، مناقض لما قرره هو نفسه في أن الله تعالى كما يقول: "لا شريك له في ملكه، ولا منازع له في حكمه، ولا تحجير عليه في تصرفه، بل لا رادَّ لأمره، ولا مُعقِّب لحكمه"(٢).

٢- أن كل آية في القرآن تبين أن لله ما في السماوات والأرض وما بينهما ونحو ذلك؛ تبطل القول بالاتحاد والحلول، فإن السماوات والأرض، وما بينهما، وما فيهما، إذا كان الجميع له وملكه ومخلوقه، امتنع أن يكون شيء من ذلك ذاته، فإن المملوك ليس هو المالك، والمربوب ليس هو الرب(٣).

٣-أن سلف الأمة وأئمتها، أئمة أهل العلم والدين، أثبتوا وآمنوا بجميع ما جاء به الكتاب والسنة، من غير تحريف للكلم عن مواضعه، فأثبتوا أن الله فوق سماوته، على عرشه، بائن من خلقه، وهم بائنون منه، وهو أيضاً مع العباد عموماً بعلمه، ومع أنبيائه وأوليائه

---

(١) ينظر: القواعد الأربع للإمام محمد بن عبد الوهاب، مطبوع ضمن مجموع مؤلفاته (١/١٩٩-٢٠٢).
(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٥).
(٣) ينظر: بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية لابن تيمية (٥/٥٣).

بالنصر والتأييد والكفاية، وهو أيضاً قريب مجيب، وهذا لا يستلزم حلوله في خلقه، ولا يستلزم بأن الوجود واحد وهو وجود الله وحده فقط(١).

يقول الشيخ محمد المكي المالكي(٢)-رحمه الله- في جوابه على من سأل: هل يقال الله كائن في كل مكان؟ :"لا يقال؛ لأنه في صورة القول بالحلول والاتحاد وهو كفر، فالله تعالى مستو على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم بعلمه وملائكته، واستوائه تعالى على العرش يجب الإيمان به دون تعرض لكيفيته، كالسمع والبصر وسائر صفاته تعالى الثابتة بلسان الشرع.

هذا الذي اتفق عليه الأئمة الأربعة وغيرهم من أساطين السنة، وهو المعقول، ولا يجوز التفكر في ذات الله تعالى" (٣).

فعقيدة وحدة الوجود عقيدة حادثة ليست من الإسلام في شيء، بل هي كما يقول محمد الزمزمي: "والقول بوحدة الوجود، سبق القول بها الفلاسفة من الهنود الذين كانوا قبل الإسلام، ثم ظهر القول بها في القرن الرابع"(٤).

٤- القول بأن وجود الكائنات هو عين وجود الله، لا وجود آخر، يستلزم منه أن يكون الخالق عين المخلوق، والموجد عين الموجَد، وليس ثمة رب ومربوب، وخالق ومخلوق، وعابد ومعبود، وآمر ومأمور، بل الكل شيء واحد، وهو وجود واجب بنفسه، فلا يفرقون بين الوجود الواجب، والممكن، وهذا في الحقيقة ذكره الكتاني، وأنه قد اعتُرض على القائلين بوحدة الوجود به، وجوابه عنه ضعيف جدا؛ وفيه تأكيد لعقيدة وحدة الوجود، فقد أجاب عن المعترضين بهذا أن الكائنات لا وجود لأعيانها، ولا وجود لها من جهة نفسها أصلا، وهذا في الحقيقة مناف للعقل، فهي موجودة محسوسة نراها،

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢٦/٥).

(٢) هو: محمد المكي بن مصطفى بن عزوز، أبو عبد الله، المعروف بابن عزوز، من أعلام المالكية السلفيين، من مؤلفاته: مغانم السعادة في فضل الإفادة على العبادة، عقيدة التوحيد الكبرى، توفي عام ١٣٣٤هـ، ينظر: شجرة النور الزكية (٦٠١/١)، فهرس الفهارس (٨٥٦/٢)، الأعلام (١٠٩/٧).

(٣) عقيدة التوحيد الكبرى في عقائد أهل السنة والجماعة، محمد المكي المالكي (ص١٠-١١).

(٤) ينظر: الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة (ص٥٥).

والمعدوم ليس شيئا[١]، وقد أقر الصوفية بأن عقيدة وحدة الوجود لا يمكن أن تدرك بالعقل، فشيخهم الأكبر ابن عربي أشار إلى ذلك، حيث قال في "الفتوحات المكية": "وقد أوردنا تحقيق ذلك في هذا الكتاب، مفرقا في أبواب منازله وغيرها، بطريق الإيماء، لا بالتصريح، فإنه مجال ضيق، تضيق العقول فيه، لمناقضته أدلتها"[٢]، فقرر بأن هذه العقيدة مناقضة للعقول.

وقال عبد الغني النابلسي[٣]: "اعلم بأن هذه الطائفة المحققين من أهل الله تعالى العارفين بربهم لم يخترعوا هذا العلم الإلهي، والسر الرباني، وإنما أنطقهم الله تعالى به؛ لما صفت روحانياتهم من شوائب الأكدار، وتخلصوا من قيود العقل والأفكار"[٤].

فيقال لمن يقرر وحدة الوجود: هذه المخلوقات لها وجود، وبه صارت موجودة، وهو غير الله تعالى، وصفات المخلوق كلها مخلوقة، فكما أن الإنسان له علم، به صار عالما، وعلمه غير الله، كذلك له وجود، ووجوده غير الله، ووجود المخلوقات وجميع صفاتها مفتقرة إلى موجِد يوجدها، والموجِد غير الموجَد، والخالق غير المخلوق، والواجب غير الممكن[٥]

٥-أن النصوص الشرعية جاءت بالتفريق بين الموجودات وإنزال كل موجود في موضعه المناسب له وإفراد الله وحده بالتوحيد، يقول الواحد الأحد: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ۝٤٥﴾ [سورة الزمر:٤٥]، فمن الذين من دونه إذا كان الوجود واحدًا وما ثم إلا الله وحده؟!

(١) ينظر: التدمرية (٢٢٣)، مجموع الفتاوى (١٥٥/٢)، مدارج السالكين (١٥٤/١).

(٢) الفتوحات المكية (٣٩٩/٢).

(٣) هو: عبد الغني بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل الدمشقي، الحنفي، كان صوفيا على طريقة ابن عربي، من مؤلفاته: إيضاح المقصود عن معنى وحدة الوجود، شرح ديوان ابن الفارض، توفي عام ١١٤٣هـ، ينظر: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمرادي (٣٠/٣)، الأعلام (٣٢/٤).

(٤) الوجود الحق، للنابلسي (ص١٠٩).

(٥) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٢١٧/٣).

٦- أن حقيقة قوله بوحدة الوجود هو: أن الله لم يخلق شيئا، ولا صوّره؛ لأنه لم يكن وجود إلا وجوده، فمن الممتنع أن يكون خالقا لوجود نفسه، أو خالقا لذاته، وهذا باطل(١).

٧- أنه قررها باستخدام المصطلحات البدعية والألفاظ المجملة، والألفاظ المجملة مع ما فيها من تعدد المعاني تورث الإيهام في أذن السامع، وهي أصل ضلال الأمم-كما سبق-فلفظ الاتحاد لم يرد في الكتاب ولا في السنة-كما سبق-، ولفظ الحلول لفظ مجمل، يراد به معنى باطل، ويراد به معنى حق.

وهدف الصوفية في الحقيقة من استعمال هذه المصطلحات هو التلبيس والتستر، لا البيان والإيضاح، يقول القشيري:" هذه الطائفة يستعملون ألفاظا فيما بينهم، قصدوا بها الكشف عن معانيهم لأنفسهم، والإجمال والستر على من باينهم في طريقتهم؛ لتكون معاني ألفاظهم مستبهمة على الأجانب؛ غيرة منهم على أسرارهم أن تشيع في غير أهلها"(٢).

٨- أنه يلزم من تقريره بأن الأعيان كلها فائضة من الله بالفيض الأقدس، القول بقدم العالم، لأن الله يتجلى لنفسه-كما يرى-، ووجوده لا يفيض إلا على نفسه، وهو قديم، فيكون العالم قديما(٣)، وهذا باطل، وقد قرر الكتاني في مواضع بأن من الكفر القول بقدم العالم (٤).

٩- قول محمد بن جعفر الكتاني بالوجود المطلق لله تعالى، وأن الله-تعالى عما يقولون- كان بلا اسم ولا صفة، ومجرد عن كل شيء حتى عن قيد الإطلاق(٥)، هو في الحقيقة تعطيل الله - جل جلاله- عن أسمائه وصفاته وأفعاله، وهو موافق لقول الجهمية والفلاسفة، وقد أقر الصوفية بذلك، يقول بعضهم:" كثير من كلام الصوفية لا يتمشَّى ظاهره إلا على قواعد المعتزلة، والفلاسفة"(٦).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/٢٤٨).

(٢) الرسالة القشيرية (١/١٥٠)، وينظر: مصرع التصوف (١٨٦).

(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/١٦٥).

(٤) ينظر: نظم المتناثر (١١)، الكشف والبيان (٢٢٥)، عمدة الراوين (٩/٣٩)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٥/ب).

(٥) ينظر: جلاء القلوب (٢/١٠، ١٥، ٢٠).

(٦) الطبقات الكبرى للشعراني (١/١٠).

كما أن الوجود المطلق لا وجود له في الحقيقة إلا في الذهن، فلا يمكن إثبات وجود مطلق في الخارج؛ لأن لفظ (الوجود) لفظ مشترك كلي، تشترك فيه الموجودات، ولكن ليس في الخارج وجود مطلق، فالمعنى الكلي المطلق لا وجود له في الخارج، فحقيقة قولهم إن الله هو الوجود المطلق، أنه ليس لله تعالى وجود أصلا(١).

وقد أقر الكتاني بعدم إمكان هذا الوجود والتجلي المطلق، حيث قال في موضع: "التجلي بالذات البحت، وهي المجردة عن القيود والنسب والإضافات غير ممكن لأحد، ولا بد من حجاب من الحجب الأسمائية والصفاتية"(٢).

١٠- القول بأن وجود الكائنات عين وجود الله باطل؛ لأن الكائنات لا تزال تفنى وتموت، ويحدث في العالم بدلها، كالحيوانات، فإذا كان وجودها هو وجود الله، لزم من ذلك أنه كلما عدم شيء نقص من وجود الله، وهذا باطل، لأنه قد ثبت بصريح العقل أن الله واجب الوجود، ووجوده أزلي وأبدي، ولا بداية ولا نهاية لوجوده -جل جلاله-(٣).

١١- القول بوحدة الوجود هو وصف للخلق بصفات الله تعالى، بزعم أن الكائنات من حيث حقيقتها حق، ومن حيث ظاهرها خلق، وهذا ما وقع فيه الكتاني، فقد وصف النبي-صلى الله صليه وسلم-وبعض الأولياء بصفات لا يتصف بها إلا الله جل جلاله، فوصف النبي-صلى الله عليه وسلم-بمالك الملك(٤)، وإحاطة علمه وعلم بعض الأولياء بما هو كائن وما يكون، من أمر الدنيا والآخرة، وبما تحت الثرى وما فوق العرش، وأن لهم قدرة على التصرف والتحكم في الكون(٥)، وهذه كلها عقائد كفرية تنطوي تحت مسمى وحدة الوجود، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- عن حكم أهل وحدة الوجود:" وهؤلاء ليسوا مسلمين ولا يهودا ولا نصارى، بل كثير من المشركين أحسن حالا منهم، وهؤلاء أئمة النظار المتفلسفة وصوفيتهم وشيعتهم كان

---

(١) ينظر: التدمرية (١٧-٢٠)، درء تعارض العقل والنقل (٣٣٩/٩)، بغية المرتاد (٤٧٣)، مجموع الفتاوى (١٥٧/٢).

(٢) جلاء القلوب (٣٥٣/١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٤٦/٢).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (٢٢/٣).

(٥) ينظر: جلاء القلوب (٤٣/١، ٩٥، ٣٠٠،١١١)، اليمن والإسعاد (٩٠).

من أسباب تسلطهم وظهورهم هو بدع أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والرافضة ومن نحا نحوهم في بعض الأصول الفاسدة، فان هؤلاء اشتركوا هم وأولئك الملاحدة في أصول فاسدة يجعلونها قضايا عقلية صادقة، وهي باطلة كاذبة مخالفة للشرع والعقل"(١).

١٢- مما يدل على بطلان عقيدة وحدة الوجود الأدلة التي تدل على تنزيه الله -جل جلاله- عن مماثلة المخلوقات، كقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى:١١]، فالثابت أن الله عز وجل لا يماثل المخلوقات، ولا يتصف بصفات النقص، والمخلوقات كلها متصفة بصفات النقص، كالنوم، والموت، وهذه المخلوقات لا تخلو أن تكون هي الله، أو غيره، ولا يجوز أن تكون هي الله؛ لاتصافها بالنقص، والله نفى عن نفسه النقص، فثبت أن النقائص صفات لغير الله تعالى، فتنتفي وحدة الوجود.

١٣-الاعتقاد بوحدة الوجود يترتب عليه: اعتقاد سقوط العبادة عنهم، وتعطيل شرائع الله -جل جلاله-، وعدم لوم العصاة على معاصيهم، لأن من وصل إلى الوحدة رأى أن العابد هو المعبود، وهذا كما نقل الكتاني عن ابن عربي قوله:

العبد حق والرب حق ... يا ليت شعري من المكلف

إن قلت عبد فذاك ميت ... أو قلت رب أنى يكلف(٢)

وهذا تقرير بأن أعلى مقامات التصوف هو الالتزام ظاهرا بشرائع الدين، وإن كان لا حرج بعدم الالتزام، وسبق أن الكتاني امتدح الكثير من مدعي الولاية بسقوط التكاليف عنهم؛ لوصولهم إلى مرتبة الوحدة، أو الفناء في الله عما سواه(٣).

وقد أجمع العلماء على كفر من استحل شيئا من المحرمات الظاهرة المتواترة، كما أجمعوا على أن من أنكر واجبا من الواجبات الظاهرة المتواترة فقد كفر(٤)، وعلى كفر من اعتقد

---

(١) الرد على المنطقيين (٥٢٣).

(٢) ينظر: الفتوحات المكية (٢/١).

(٣) ينظر على سبيل المثال: سلوة الأنفاس (١٦٠/١، ٢٧٠، ٢٢٨، ٣٢٩، ٤٠٩، ٧٠/٣).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٩٦/١٢).

سقوط التكاليف وانقطاع العبادة، يقول القاضي عياض-رحمه الله-[(١)]:" أُجمع على تكفير... قول بعض المتصوفة: إن العبادة وطول المجاهدة -إذا صفت نفوسهم -أفضت بهم إلى إسقاطها، وإباحة كل شيء لهم، ورفع عهد الشرائع"[(٢)].

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" جعل وجود الاشياء هو عين وجود الحق، أو جود نفسه عين وجوده، ...كفر، وصاحبه كافر بعد قيام الحجة عليه، وإن كان جاهلا، أو متأولا، لم تقم عليه الحجة"[(٣)].

١٤- أن القول بوحدة الوجود له آثار عقدية عظيمة على الإيمان بالنبوة، والولاية[(٤)]، ومن ذلك القول بالحقيقة المحمدية التي أقرها الكتاني، فقد غلا بالنبي -صلى الله عليه وسلم-غلوا عظيما، حتى وصفه بصفات الربوبية والألوهية، فقرر-برأيه-أن العالم متوقف على الحقيقة المحمدية، وأنه لولاها ما وجد موجود، وادّعى أنه متصرف في الكون، حتى قرر مشروعية دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- والاستغاثة به، ومن النظم قوله:

السلام عليك يا من العوالم كلها في طي قبضته...

السلام عليك يا من صرّفه ربه تعالى في سائر مملكته [(٥)]

ومنها:

محمد جُلِّيت بالنور طينته ... محمد لم يزل نورا من القدم

محمد زينة الدنيا وبهجتها ... محمد كاشف الغمات والظلم[(٦)]

---

(١) هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي، أبو الفضل، المشهور بالقاضي، من أئمة المالكية، من مؤلفاته: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، إكمال المعلم بفوائد مسلم، توفي عام ٥٤٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١٢/٢٠)، شذرات الذهب (١٣٨/٤).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٤٥٣)، وينظر: مجموع الفتاوى (٥٣٩/١١)، مدارج السالكين (١١٧/١-١١٨، ١٥٤).

(٣) الاستقامة (١٤٣/٢)، وينظر: مجموع الفتاوى (٣٦٦/٢، ٣٧٨-٣٧٩).

(٤) الصواعق المرسلة (١٣٣٧/٤-١٣٣٨).

(٥) ينظر: إسعاف الراغب الشائق (ص٧١).

(٦) ينظر: المرجع السابق (ص٥٩).

فالحقيقة المحمدية لها ارتباط بوحدة الوجود، بل هي جزء منه؛ ومحمد بن جعفر الكتاني وغيره من الصوفية ادعوا بأن الله كان وجودا مطلقا، لا يتصف بصفة، ولا يتسمى باسم، ثم أراد تعالى أن يعرف نفسه بتفصيل أسمائه وصفاته، وأن يرى نفسه في مرآة هذا الوجود، فتعين أولا في صورة الحقيقة المحمدية.

ومن ذلك قول الكتاني: " اقتضت حكمته الباهرة، وإرادته المخصصة القاهرة أن يخلق الأكوان، وأن يعرفهم بما هو عليه في ذاته من العظمة والكمال وعلو الشأن، فبدأ منها بخلق الحقيقة الأحمدية من أنواره الأحدية الصمدية بأن تجلى تعالى لنفسه من نفسه، في ملابس جلاله وجماله وقدسه، فظهرت عن ذلك التجلي وحدةُ هذه الحقيقة على أبدع مثال وأنهى طريقة، ....فكان –صلى الله عليه وسلم– أول مخلوق على الإطلاق، لم يتقدمه قلم، ولا لوح، ولا ماء، ولا عرش ... فكان –عليه السلام– أول من حضر الربوبية والسناء، وأول من تجلى له الحق تعالى"(١).

ولذلك يصف الحقيقة المحمدية بصفات الله تعالى، ويسميه بأسماء الله، كمالك الملك، والظاهر والباطن، والأول والآخر، وأن منه المبدأ والمنتهى، ويقول: "معانيها بالنسبة إليه–صلى الله عليه وسلم–غير معانيها بالنسبة إلى الله تعالى، ككل ما سمى به النبي–صلى الله عليه وسلم–من أسماء الله تعالى"(٢).

وهذا كله مخالف لكتاب الله وسنة نبيه –صلى الله عليه وسلم– فقد أمر الله نبيه بالدعوة إلى توحيد الله جل جلاله، والإخبار أنه بشر اصطفاه الله بالوحي والرسالة، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ۝١١٠﴾ [سورة الكهف: ١١٠].

---

(١) اليمن والإسعاد (٨٧–٨٨)، وينظر: إسعاف الراغب الشائق (٥٥، ٥٧)، جلاء القلوب (٣١٢/١، ٤٤/٢، ١٨٨، ٥١/٣)، نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٧٢).

(٢) جلاء القلوب (١٠٤/٢)، وينظر المرجع نفسه: (١٥٩/٢، ٤١/٣، ٢٢)، اليمن والإسعاد (٨٨).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-محذرا أمته من الغلو فيه: ((**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله**))(١).

فاعتقاد تصرف النبي -صلى الله عليه وسلم- في الكون، أو تصرف الأولياء فيه، مخالف لكتاب الله-جل جلاله-وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم- ومخالف لما قرره الكتاني نفسه بانفراد الله بالتصرف في الكون والتدبير، وهو شرك في الربوبية لم يقرّ به الكفار على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- بل كانوا يقرون بانفراد الله بالتدبير، وأنه لا شريك له في ربوبيته (٢).

١٥- القول بالحقيقة المحمدية، هو قول بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- خُلق قبل آدم، وأنه أول النبيين، وكونه هو المستحق لصفات الربوبية والألوهية(٣)، وهذا مخالف للأدلة المتظافرة على أن النبي-صلى الله عليه وسلم- آخر الأنبياء خلقا، وآخرهم نبوة (٤).

١٦- القول بوحدة الوجود يترتب عليه اعتقاد ولاية الجهلة والفساق والمجانين، واستحسان أفعالهم القبيحة، وسبق نقل مدح محمد بن جعفر الكتاني لبعضهم، بأنه يخالف الشرع في الظاهر، ويوافقه في الباطن، وأنه من الأولياء العارفين، ومقصوده بالعارفين، -كما سبق-هو من عرف وحدة الوجود، وتحقق بها.

فيصح عنده وصف الشخص بالولاية ولو كان فاسقا مرتكبا للكبائر، تاركا للفرائض، وأولياء الله في الحقيقة هم المؤمنون المتقون، الذين قال تعالى عنهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾ [سورة يونس:63-62]، فأولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا}، رقم الحديث: (٣٢٦١) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) ينظر: القواعد الأربع للإمام محمد بن عبد الوهاب، مطبوع ضمن مجموع مؤلفاته (١/١٩٩-٢٠٢).

(٣) ينظر: الفتوحات المكية (١/٤٧)، الخصائص الكبرى للسيوطي (ص٧)، الإنسان الكامل للجيلي (٢١٢)، للاستزادة ينظر: مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية لإدريس محمود إدريس (٣٥٧).

(٤) ينظر التفصيل في الرد على هذه المسائل (ص٦٤٦).

(٥) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٧-٨).

١٧- مرتبة فناء الفناء في الربوبية التي قررها الكتاني، وذكر أنها مرتبة إيمان العارفين، هي في الحقيقة عين عقيدة وحدة الوجود، فالله والعالم شيء واحد، بدليل الأمثلة التي ضربها لها: كقول بعض العارفين: سبحاني ما أعظم شأني، وما في الجبة إلا الله، وقد قرر بنفسه بأنه يسمى بالاتحاد، وهو باطل ببطلان وحدة الوجود، وذلك بقوله عن العارفين:" بعدما عرجوا إلى سماء الحقيقة لم يروا في الوجود تحقيقا إلا الواحد الحق وأفعاله، لكن منهم من كان له هذا الحال عرفانا علميا، ومنهم من صار له ذلك ذوقا حاليا، وانتفت عنهم الكثرة بالكلية، واستغرقوا في الفردانية المحضة، واستبدلت فيها عقولهم فصاروا كالمبهوتين فيها، ...فلم يكن عندهم إلا الله، فسكروا سكرا وقع دون سلطان عقولهم، فقال أحدهم: أنا الحق، وقال الآخر: سبحاني ما أعظم شأني، وقال الآخر: ما في الجبة إلا الله، وكلام العشاق في حال السكر يطوى ولا يحكى، ... وهذه الحال إذا غلبت سميت بالإضافة إلى صاحب الحالة فناء، بل فناء الفناء، ...وتسمى هذه الحالة بالنسبة إلى المستغرق بها بلسان المجاز اتحادا، وبلسان الحقيقة توحيدا"(١).

يقول ابن تيمية-رحمه الله- عن هذه المرتبة من الفناء:" الفناء عن وجود السوي، بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، وأن الوجود واحد بالعين، فهو قول أهل الإلحاد والإتحاد، الذين هم من أضل العباد"(٢)، وذلك لأنه فناء في الربوبية، فيفنى عن وجود ما سوى الله، إلى أن يثبت أنه لا موجود في الحقيقة إلا الله، وأن الكون هو الله(٣).

١٨- تعذر الكتاني لأهل وحدة الوجود، وأنهم يعنون بها وحدة الشهود تعذر غير مقبول، وقد نقل بأن من زعم بأن وحدة الوجود غير وحدة الشهود، لم يشم رائحة معنى الوحدة، وبطلان وحدة الشهود من بطلان وحدة الوجود.

وذلك لأن وحدة الشهود هي نوع من الاتصال الذوقي الروحي بين الخالق والمخلوق، وهي الحالة الشعورية التي يقع فيها العبّاد نتيجة لاستغراقهم في ذكر الله، أو شدة خوفهم منه، أو امتلاء قلوبهم بمحبته، حتى يوقعهم ذلك بالذهول عن الأكوان، وعدم الشعور بها دون أن يجرهم

---

(١) جلاء القلوب (٨٢/٢)، وينظر: اليمن والإسعاد (١٢٧).

(٢) التدمرية (٢٢٢).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (١٥٤/١).

ذلك إلى اعتقاد عدمها، أو اعتقاد أن وجود العالم هو وجود الله، وهو نوع من الفناء بحيث يفنى عن شهود ما سوى الله، وهي في الحقيقة حال نقص لا كمال، فإن النبي -صلى الله عليه وسلم-وأصحابه كانوا من أكمل الناس إيمانا، ولم يقعوا في هذا الذهول عن العالم(١).

ومن أوجه بطلان وحدة الشهود: أن من غاب بمعبوده عن عبادته لا تقع منه العبادة إلا على وجه ناقص، فليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها، وكيف يتسنى القيام بوظائف الدين من غير أن يشعر الإنسان بنفسه؟

يقول ابن القيم-رحمه الله-:" وشهود العبودية أكمل وأتم وأبلغ من الغيبة عنها بشهود المعبود، فشهود العبودية والمعبود درجة الكُمَّل، والغيبة بأحدهما عن الآخر للنَّاقصين، ... فالحق تعالى مراده من عبده استحضار عبوديته، لا الغيبة عنها"(٢).

١٩- استدلال محمد بن جعفر الكتاني بقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ **[سورة الأنعام:٣]**، على وحدة الوجود بتجلي الله في كل شيء، استدلال باطل، فقد أجمع المفسرون على بطلان تفسير الصوفية والجهمية لهذه الآية، ثم ذكروا ثلاثة أوجه يصح أن تفسر الآية بها، وهي:

الأول: أن الألوهية ثابتة لله وحدة، فهو-سبحانه-في السماوات الله، وفي الأرض الله، ليس فيهما من هو غيره، ويشهد له قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَٰهٞۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾ [سورة الزخرف:٨٤].

الثاني: أن قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٞ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [سورة الزخرف:٨٤]، يتعلق بقوله: ﴿يَعۡلَمُ سِرَّكُمۡ ﴿٣﴾﴾، أي: وهو الله يعلم سركم في السماوات وفي الأرض، ويشهد له قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [سورة الفرقان:٦].

الثالث: أن الوقف تام على قوله: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ فتكون الآية مكونة من جملتين: الأولى قوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، وفيها إثبات لصفة العلو لله، كقوله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٦٨/٢)، التدمرية (ص٢٢١)، مدارج السالكين (١٥٠/١)، الرد على القائلين بوحدة الوجود، لعلي القاري (ص٢٠، ٦٢)، معجم اصطلاحات الصوفية للحنفي (١٤٢).

(٢) مدارج السالكين (١٥٠/١-١٥١)، وينظر: (١٥٥/١).

[سورة الملك:١٦]، والجملة الثانية قوله تعالى: ﴿ **وَفِي ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ** ﴾ ، أي أن الله مع علوه يعلم سر أهل الأرض وجهرهم، لا يخفي عليه شيء من ذلك(١).

٢٠- أن استدلاله على أن الوجود واحد بحديث: ((**من عادى لي وليا**))، استدلال باطل مردود من وجوه:

- أن الله عز وجل قال: ((**من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب**))، فأثبت الله وجود نفسه، ووليه، ومعادي وليه، وهؤلاء ثلاثة.

- أنه تعالى قال: ((**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**))، فأثبت وجود عبد يتقرب إليه بالفرائض، ثم النوافل، وأنه لا يزال يتقرب إليه حتى يحبة، فدل على وجود عبد، ووجود رب، ومحب ومحبوب، ومتقرب، ومتقرب إليه.

- أن الله-جل جلاله- قال في آخر الحديث: ((**وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه**))، وهذا تصريح بسائل ومسؤول، ومستعيذ ومستعاذ به، وهذا مناف للوحدة المزعومة.

والمعنى الصحيح للحديث: أن العبد إذا أدى ما فرض الله عليه، ثم اجتهد في التقرب إلى الله بنوافل الطاعات، واستمر على ذلك أحبه الله، وكان عونا له، فإذا سمع كان مسددا من الله في سمعه، فلا يستمع إلا الخير، ولا يقبل إلا الحق، وينزاح عنه الباطل.

وإذا أبصر بعينه أو قلبه أبصر بنور من الله، فكان في ذلك على هدى من الله، وبصيرة بتأييد الله وتوفيقه، فيرى الحق حقا، ويتبعه، والباطل باطلا، فيجتنبه.

وإذا مشى كان مشيه مسددا من الله، فيمشي في طاعة الله، طلبا للعلم، وجهادا في سبيله، ودعوة إلى الله، ونحو ذلك.

وبالجملة: يكون عمله بقواه وجوارحه بهداية من الله وتسديد، فيكون الله معه المعية الخاصة، فيسدده ويحفظه(١).

---

(١) يفنى عن نفسه كما هو ظاهر السياق.

٢١- مما يدل على خطر وبطلان عقيدة وحدة الوجود: أن العلماء قد كفروا من أنكر صفة من صفات الله كالعلو؛ لأن فيه تنقص لله جل جلاله، نزه الله عنه نفسه(٢)، فكيف بمن ينكرها كلها بإثبات الوجود المطلق المجرد حتى عن قيد الإطلاق؟ فأهل وحدة الوجود كفار لسلبهم الكمالات عن الله -جل جلاله-(٣).

٢٢- إثبات محمد بن جعفر الكتاني لوحدة الوجود وتقريره بأن الوجود وجود واحد فقط وهو وجود الله تعالى، متعارض مع إثباته للاتحاد والحلول؛ لأن الاتحاد والحلول فيها إثبات لوجودين، وإقرار بأن المحَلّ غير الحالّ(٤)، -إلا إذا أراد بأنها ألفاظ مترادفة مع وحدة الوجود-.

يقول الرازي: "وأما القول بالاتحاد فهو أيضاً باطل، لأن الشيئين إذا اتحدا فهما حال الاتحاد إن كانا باقيين فهما اثنان لا واحد، وإن عدما معا كان الحاصل ثالثاً مغايراً لهما، وإن بقي أحدهما وفني الآخر امتنع الاتحاد أيضاً؛ لأن الموجود لا يكون عين المعدوم، فثبت بما ذكرنا أن القول بالحلول والاتحاد باطل"(٥)

٢٣- تقرير الكتاني بأن الله -تعالى عما يقول-يتجلى للخلق عن طريق التنزل إليهم في الصور كلها، وقوله عن الأولياء بأنهم مرآة لله، تجلى لهم بجميع أسمائه وصفاته، حتى صارت لهم الخلافة العظمى عن الله مطلقا هو إثبات منه للحلول، ثم قوله بأن هذا التجلي من غير حلول تناقض، وكلام لا حقيقة له، وهو باطل؛ " فإن ذات الله ليست في المخلوقات، ولا في نفس ذاته ترى

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٤١/٢)، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم (ص١٨٤) فتح الباري (٣٤٤/١١)، قطر الولي على حديث الولي، للشوكاني (٤٢٨-٤٣٩)، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢١٤/٣).

(٢) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية لابن القيم (ص١٢١، ١٢٣)، مختصر العلو للعلي العظيم، للذهبي (ص١٧٧).

(٣) ينظر: مدارج السالكين (٢٢٤/٣)، طريق الهجرتين لابن القيم (ص٣٩٢).

(٤) ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٤-٥).

(٥) الأربعين في أصول الدين، للرازي (١١٦/١)، وينظر: الكليات (٣٧).

المخلوقات، كما يُرى المرئي في المرآة، ولكن ظهورها: دلالتها عليه، وشهادتها له، وأنها آيات له على نفسه، وصفاته سبحانه وبحمده"(١).

يقول ابن تيمية–رحمه الله– في ذكر أصناف القائلين بالحلول والاتحاد:" وفيهم صنف ثالث أمثل من هذين يجمعون بين الحلول والمباينة، ... وعامة هؤلاء يتكلمون بكلام متناقض، أو بكلام لا حقيقة له؛ إذ كان الأصل الذي بنوا كلامهم عليه أصلا باطلا"(٢).

فإثبات الحلول مع المباينة، لا يبطل القول بالحلول، يقول ابن القيم–رحمه الله–:"ما أثبته هؤلاء المعطلة(٣) من المباينة لا يبطل الحلول والاتحاد، فإنهم أثبتوا مباينة في المفهوم، كمباينة طعم التفاحة للونها وريحها وشكلها، ومعلوم أن هذه المباينة لا تقتضي انفصال كل من المتباينين من الآخر، بل هي ثابتة مع قيام هذه الصفات كلها بمحل واحد، وهذه المباينة معناها أن هذا غير هذا، وهذا القدر الذي أثبته النفاة من المباينة لا ينافي كونه حالا في غيره، ولا حلول غيره فيه، ولا تقتضي قيامه بنفسه، ولا انفصال ذاته عن ذات خلقه، بل ولا يقتضي تنزيهه عن التشبيه والتمثيل، وأما المباينة التي دل عليها العقل والنقل والفطرة فأعظم من ذلك، فإنها مباينة تستلزم تفرده بصفات كماله ونعوت جلاله، وكونه أعظم من كل شيء، وفوق كل شيء، وعاليا على كل شيء، وأن يكون هو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، فباين خلقه بذاته، وصفاته، وأفعاله، وأوليته، وآخريته، ووجوب وجوده، وامتناع عدمه، وكثرة أوصافه التي ليس كمثله فيها شيء، ...فهذه هي المباينة التي لا يليق به غيرها، فأثبت له النفاة المعطلة مباينة لا حقيقة لها،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨٠/٢).

(٢) الصفدية (ص٢٦٤–٢٦٥).

(٣) التعطيل: هو على ثلاثة أقسام: تعطيل المصنوع عن صانعه، وتعطيل الصانع عن أسمائه وصفاته، وتعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد، والمقصود هنا هو القسم الثاني، وهو: إنكار ما يجب لله تعالى من الأسماء والصفات، أو إنكار بعضها، وهو نوعان: تعطيل كلي، كتعطيل الجهمية الذين ينكرون الصفات دون بعض، وتعطيل جزئي كتعطيل الأشعرية الذين ينكرون بعض الصفات دون بعض، ينظر: مجموع الفتاوى (٣٧٣/٣)، الجواب الكافي (١٣٠).

ولا ترجع إلى أمر وجودي، بل المباينة التي أثبتوها من جنس مباينة العدم للوجود، والمباينة التي أثبتها لنفسه مباينة فوق كل مباينة"(١).

٢٤-أن تصور مذهب وحدة الوجود -كما سبق-كاف في بيان فساده، ولا يحتاج مع حسن التصور إلى دليل آخر، وإنما تقع الشبهة لأن أكثر الناس لا يفهمون حقيقة قولهم وقصدهم، لما فيه من الألفاظ المجملة والمشتركة(٢).

والألفاظ المجملة التي يستخدمونها-كما يقول ابن القيم-رحمه الله-:" أصل البلاء وهي مورد الصديق والزنديق، فإذا سمع الضعيف المعرفة والعلم بالله تعالى لفظ اتصال وانفصال، ومسامرة ومكالمة، وأنه لا وجود في الحقيقة إلا وجود الله، وأن وجود الكائنات خيال ووهم، وهو بمنزلة وجود الظل القائم بغيره، فاسمع منه ما يملأ الآذان من حلول واتحاد وشطحات(٣)"(٤).

٢٥- مدح الكتاني في كتابه "جلاء القلوب" لكتب ان عربي وقوله: "اقتبست كثيرا من فتوحاته البهية، وتحليت بها ما أمكنني من فصوصه الشهية"!!(٥)، مدح شنيع في غير محله، فقد ذكر علماء أهل السنة والجماعة، أن في كتابيه طوام من الكفر الأكبر (٦)، ومن ذلك قول الإمام

---

(١) الصواع المرسلة على الجهمية والمعطلة (١٣٣٧/٤).

(٢) ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٤/٥).

(٣) الشطح: لفظة ليس لها أصل في اللغة، والشطحات عند المتصوفة: كلمات تصدر منهم في حالة الغيبوبة وغلبة شهود الحق عليهم، بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق، كقول بعضهم: أنا الحق، ينظر: اللمع في التصوف (٤٥٣)، التعريفات للجرجاني (١٧٦)، تاج العروس للزبيدي (١٠٥/٤).

(٤) مدارج السالكين (١٥١/٣).

(٥) مدارج السالكين (١٥٢/٣-١٥٣).

(٦) ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام (٢٨٠/٤٧) مجموع الفتاوى (١٢١/٢-١٢٢)، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين للفاسي (١٦٣/٢ وما بعدها)، مصرع التصوف لبرهان الدين البقاعي (٥٢وما بعدها).

الذهبي[١]-رحمه الله-:"ومن أردئ تواليفه كتاب "الفصوص"، فإن كان لا كفر فيه، فما في الدنيا كفر، نسأل الله العفو والنجاة، فواغوثاه بالله!" [٢].

ويقول ابن خلدون-رحمه الله-:" ومن هؤلاء المتصوفة: ابن عربي، وابن سبعين[٣]، ... وأتباعهم، ممن سلك سبيلهم ودان بنحلتهم، ولهم تواليف كثيرة يتداولونها، مشحونة من صريح الكفر، ومستهجن البدع، وتأويل الظواهر لذلك على أبعد الوجوه وأقبحها، مما يستغرب الناظر فيها من نسبتها إلى الملّة أو عدّها في الشريعة، وليس ثناء أحد على هؤلاء حجة ولو بلغ المثني عسى ما يبلغ من الفضل؛ لأن الكتاب والسنة أبلغ فضلاً أو شهادة من كل أحد، وأما حكم هذه الكتب المتضمنة لتلك العقائد المضلة، وما يوجد من نسخها في أيدي الناس، مثل: الفصوص، والفتوحات المكية لابن عربي.. فالحكم في هذه الكتب وأمثالها إذهاب أعيانها إذا وجدت بالتحريق بالنار والغسل بالماء حتى ينمحي أثر الكتاب؛ لما في ذلك من المصلحة العامة في الدين بمحو العقائد المختلفة" [٤]، فقرر بأن هذه الكتب تحوي على عقائد مُضلّة، مشحونة بصريح الكفر، وحكمها الحرق والإتلاف؛ حماية لعقائد الناس منها.

ويتفرع عن الحكم بكفر أهل وحدة الوجود حكم قضاة المسلمين على بعضهم بالقتل؛ عقوبة لهم على ردتهم، ووقاية للمجتمع من شرورهم، فمنهم من تبرأ من مذهبه، وتستر

---

(١) هو: محمد بن أحمد بن عثمان أبو عبد الله، شمس الدين الذهبي، الإمام الحافظ، متفنن في العلوم، سلفي المعتقد، من مؤلفاته: سير أعلام النبلاء، الكبائر، توفي عام ٧٤٨هـ، ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (١٠/٣٨١-٣٨٣)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/٢٧٩-٢٨٠)، الدرر الكامنة (٣/٢٣٧-٢٣٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٢٣/٤٩).

(٣) هو: عبد الحق بن إبراهيم بن محمد بن نصر بن سبعين الأشبيلي الرقوطي، أبو محمد، أحد الفلاسفة المتصوفة القائلين بوحدة الوجود، توفي عام ٦٦٩هـ، ينظر: لسان الميزان لابن حجر العسقلاني (٥/٦٣)، شذرات الذهب (٥/٣٢٩).

(٤) نقله عنه البقاعي في مصرع التصوف (١٦٧).

بالإسلام، فسلِم من القتل، ومنهم من أصر على ضلاله، فقُتل، ومن أشهر من قتل منهم: الحلاج [١]، والسهروردي[٢] [٣]، وعبد السلام بن مشيش[٤] [٥].

ومع كل هذا تعذر الكتاني للحلاج -كما سبق-، وامتدح عبد السلام مشيش وزاره، وذكر بعض أخباره[٦]، حتى قال عنه: "قطب الأقطاب مولانا عبد السلام بن مشيش"[٧]، وقال: "لا يتصرف بعد الموت إلا الأكابر، كالشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ مولانا عبد السلام بن مشيش وأضرابهما"[٨]، وقال فيمن زارهم: "ومولانا عبد السلام بن مشيش، وكنت أذهب لزيارته في كل سنة، إلا لعائق"[٩]، كما امتدح غير واحد بولعه في زيارته[١٠].

٢٦- تقرير محمد بن جعفر الكتاني بأن هذه العقائد عقائد الخاصة، أو توحيد الخاصة، وتحريم إفشاؤها للعامة، وتقريره بعدم جواز وضعها في الكتب على وجه التصريح، هو دليل على فسادها وضعفها؛ لأنها أضعف من أن يُقارع به الحق الذي أبانه الله وأرسل به رسله-عليهم السلام-، فكأنه يقول: هذه عقيدة الخاصة الخارجة عن حدود النقل الشرعي الصريح، والعقل

---

(١) ينظر: البداية والنهاية لابن كثير (١٣٩/١١).

(٢) هو: يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، السهروردي المقتول، شهاب الدين، أبو الفتوح، فيلسوف قليل الدين، قتل لسوء معتقده، بحلب عام٥٧٨هـ، من مؤلفاته: الألواح العمادية في المبدأ والمعاد، ينظر: وفيات الأعيان (٢٦٨/٦)، لسان الميزان (٢٦٤/٤)، الأعلام (١٤٠/٨).

(٣) ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠٨/٢١-٢١١).

(٤) هو: عبد السلام بن مشيش الحسني، شيخ أبي الحسن الشاذلي، من أعلام التصوف بالمغرب، اشتهر بصلاته المشيشية المبتدعة المليئة بالكفر والزندقة، توفي عام٦٢٢هـ مقتولا بسبب زندقته، ينظر: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (٢٦٣/٢)، مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن؛ لمحمد العربي الفاسي (٢٥٢)، الأعلام (٩/٤).

(٥) ينظر: إيقاظ الهمم لابن عجيبة (٣٩).

(٦) ينظر: سلوة الأنفاس (٦/١)، كشف البيان (٢٢٣).

(٧) سلوة الأنفاس (٨٨/١).

(٨) سلوة الأنفاس (٢٨١/٢)

(٩) النبذة اليسيرة النافعة (٣٦٢)، وينظر المرجع نفسه (٣٩٥)، سلوة الأنفاس (٣١٣/١).

(١٠) النبذة اليسيرة النافعة (٢٥٤)، سلوة الأنفاس (٥٩/٢).

النقدي الصريح، ودليلي على هذه العقيدة مجرد الكشف والخيال، ولن تصل إليها وأنت لم تؤمن بمقدماتها؛ ولن أفصح عنها بصريح العبارة حتى لا تفهمها، وإن فهمتها فويل لك إن أنكرت علي! والسرية والغموض في الدين هو منهج أهل البدع، يقول عمر بن عبد العزيز–رحمه الله–:" إذا رأيت قوما يتناجون في دينهم بشيء دون العامة، فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة"(١).

٢٧- قول الكتاني في دعائه: " أغرقنا في بحار وحدتك، ومُن علينا بمشاهدتك، وعلق قلوبنا بك، حتى لا نشهد إلا إياك، ولا تعلق بأحد سواك"(٢)، قد رد عليه الشيخ النتيفي الجعفري رحمه الله– فقال: "هذا من الشيخ [يعني محمد بن جعفر الكتاني] طلب الفناء، وهو على ضربين:

– **الأول**: ألا يشاهد المشاهدة إلا لمولاه لا سواه، وهذا إن أمكن لا يدوم، وإن دام كان من أغرب ما يوجد، على أنه يعارض من وجهين:

–**الأول**: التناقض؛ إذ كونه لا يشاهد سواه مناقض لشهادة نفسه، إذ لولاه ما شهده.

– **الثاني**: هذه الحالة يكون فيها صاحبها منسلخا عن مشاهدة الدنيا والدين، وهي مصيبة لمن تسبب فيها، ولو كانت خيرا لكانت للأنبياء والمرسلين، والصحابة والتابعين، والعلماء والصالحين، ولا دليل مسلّم على طلبها من الله ورسوله، وأفضليتها.

– **الثاني من الفناء**: أن يشاهد سواه، ولكن بمعنى أن كل مشاهد هو الله، وهذا هو مذهب أهل الوحدة، الذين يجعلون نفس الكائنات هو الله، ...وهذه الوحدة أخذها من شيخه الحاتمي رئيس أهل الوحدة في زمانه، وهذه هي المشهورة عندهم، وعند أهل العلم، ولهذا عارضوهم

(١) تلبيس إبليس (٨١)، اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٥٣/١).

(٢) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (١٢٧).

فيها، وعليه فالشيخ يطلب ما لو تفطن لطلبه لرآه ممنوعا وكفرا"(١)، وهذا رد في غاية البيان، وإرجاع للقول إلى منبعه.

٢٨- أن عقيدة وحدة الوجود مبنية على الفلسفة الإشراقية(٢)، فالصوفية تبنوا الإشراق بزعم أنه وسيلة صحيحة لإدراك الحقائق، ومن أقوال الكتاني التي تؤكد كون عقيدة وحدة الوجود مبنية عليها قوله: "العارف لما بدت له أنوار الذات العلية من غير تشبيه ولا تكييف، وأشرق عليها شعاعها، وغلب على قلبه شهودها، وتمكن من بصيرته وجودها، غاب عنه عند شهودها شهود كل ما سواها من جميع الكائنات، مع وجودها نظير النجوم، فإنها ثابتة، ولكنها تغيب عند بدو الشمس"(٣)، وقد نتج عن التزام الصوفية بالمذهب الإشراقي انحرافات كثيرة وقعوا فيها ووقع فيها الكتاني، كدعوى استمرار النبوة في أشخاص الأولياء في المنام، وادعاء العلم بالمغيبات، وازدراء العلم الشرعي، وغير ذلك.

٢٩- القول بأن الوجود الإلهي له مراتب، وتقسيمه للتوحيد بتوحيد العامة والخاصة وخاصة الخاصة، ادعاء ليس عليه دليل، إلا محض التحكّم، وادعاء الكشف، وقد أقر بذلك لما قرر- برأيه- بأنه لا يكمل أحد في فهم معناها إلا -كما يقول-:" من حصل له الذوق الصحيح والكشف الصريح، وإلا فهي مزلّة الأقدام "(٤)، وقد سبق بطلان اعتماده على الكشف الصوفي إجمالا وتفصيلا.

---

(١) أصفى الموارد في الرد على غلو المطرين لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأهل الموالد (ص٣٣٤).

(٢) الفلسفة الإشراقية: تجمع بين الفلسفة والتصوف، ويعود إسناد المدرسة الإشراقية إلى حكماء الفرس واليونان ومصر وبابل والهند، وكان على رأس ناقليها ومنظريها في المشرق السهروردي المقتول سنة ٥٨٧هـ، والمذهب الإشراقي يتجه إلى المعرفة القلبية، التي تقول على الكشف والمشاهدة والذوق، وموضوعها العلوم الإلهية، وأشهر كتبها: حكمة الإشراق، ينظر: مقدمة كتاب حكمة الإشراق للسهروردي (٥-٢٧)، والأعلام للزركلي (٨٧/٧)، وأصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي، محمد على أبو ريان (٣٤-٥٦)، نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، عرفان عبد الحميد (٧٩)، للاستزادة ينظر: المصادر العامة للتلقي عند الصوفية (٣٩٣-٤٠١).

(٣) جلاء القلوب (٨٧/٢-٩٠).

(٤) المرجع السابق (٨٥/٢).

٣٠- أن محمد بن جعفر الكتاني يجعل سبب التنزل الإلهي ومراتب الوجود؛ معرفة الله وكونه خالقا لهم، بعد أن كان مجهولا، وهذا يؤكد جعله الربوبية هي الغاية، حيث قال عن مرتبة الألوهية وهي مرتبة من مراتب وحدة الوجود التي يراها:" وهي عبارة عن مرتبة أحدية جمع هذه النسب التي هي الصفات والأسماء والأفعال والأحكام، وإن شئت قلت: إنها عبارة عن معقولية نسبة تعلق الذات العلية بالخلق، وتعلقهم بها، وهي نسبة كونه تعالى إلها، إي: خالقا للخلق متصرفا فيهم"(١)، فالله قبل ذلك كان مجهولًا، فاحتاج لإيجادهم ليظهر ويُعرف، وهذا من أبطل الباطل، وإقرار المتصوفة بتلك الربوبية لم ينفعهم؛ بل كان سُلّمًا لقولهم بالوحدة أو العكس، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"وهؤلاء ينتقلون من القول بتوحيد الربوبية إلى القول بالحلول والاتحاد، وهذا عين الضلال والإلحاد"(٢).

فالقول بأن الربوبية هو الغاية خطأ كما سبقت الإشارة إليه؛ لأن هذا لم ينكره أحد من بني آدم، بل الغاية هي توحيد الألوهية، وربوبية الله تعالى إنما هي سبب لاستحقاقه العبادة وحدة لا شريك له، قال عز وجل: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝١٠٢﴾ [سورة الأنعام:١٠٢].

وبهذا يتبين بطلان تقرير محمد بن جعفر الكتاني لعقيدة وحدة الوجود، ونهجه لنهج غلاة المتصوفة، مع مخالفته للكتاب والسنة وما عليه السلف الصالح، من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان!

---

(١) ينظر: جلاء القلوب (٢٠/٢)، وينظر المرجع نفسه (١٨/١، ٢٢، ٦٩، ١٤٩/٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٣٢/٢).

المطلب الثاني: آراؤه في دلائل معرفة الله وإثبات وحدانيته

المسألة الأولى: معرفة الله ودلائلها

أولا: معرفة الله تعالى:

قرر محمد بن محمد بن جعفر الكتاني بأن أول واجب على المكلف هو المعرفة، أو القصد إلى المعرفة، حيث ذكر الأقوال في أول واجب على المكلف، ورجح ما يراه منها فقال: "فلم يبق من هذه الأقوال سالما من التضعيف إلَّا الأول؛ من أنَّ أول واجب المعرفة، والثالث وهو: القصد إلى المعرفة" (١)، مع أن من بين الأقوال التي سردها القول بأن أول واجب على المكلف النطق بالشهادتين، والإيمان، والإسلام، ومع ذلك ضعفها كلها، ورجح بأن أول واجب على المكلف المعرفة، أو القصد إليها (٢).

وقرر في نظمه "عقيدة النجاة" الذي ضمنه عقائد الإيمان الواجبة، بأن أول واجب على العباد هو معرفة الله تعالى، حيث قال:

يا أيها العبد الضعيف المذنب ... المرتجي تصحيح عقد يجب

أول ما على العباد قد وجب ... معرفة الباري ورسل انتخب

فواجب لربنا الوجود ... قدمه ثم البقا الممدود(٣)

كما رجح القول في كونها:" واجبة على الأعيان، وجوب الفروع، مع القدرة بسعة الزمان أو إمكان التعلم، ووجود القابلية"(٤).

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٧/ب)، وينظر: تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٠)، ورجحه في الكشف والبيان (١٦٥).

(٢) ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٦/ب).

(٣) الكشف والبيان (١٦٧-١٦٨)، وينظر المرجع نفسه (١٦٥)، عمدة الراوين (٣٥/٩).

(٤) الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان (١٦٥)، وينظر المرجع نفسه (١٦٧).

وقال:" وليست العقائد ضرورية حتى يدعي حصولها لكل أحد بغير تعليم ولا نظر، بل الذي يتبادر إلى الوهم أولا بالنسبة لكثير من أهل البادية، ومن في معناهم، إنما هو الفساد في كثير من العقائد"(١).

حتى قال: "قلت: ومما وقع لنا أنّا كنا مرة بضريح مولانا إدريس الأكبر -رضي الله عنه- بزاوية زرهون، ثم أنّا خرجنا منه بقصد زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش -رضي الله عنهما-، فذهب معنا رجل حسناوي من قبيلة بني حسين المعروفين بساحل وادي سلا، بقصد دلالتنا على الطريق، فوجدناه لا يحسن التلفظ بكلمتي الشهادة، فبقينا نحو اليومين، ونحن نجهد أنفسنا معه في حفظهما كما ينبغي، فما حفظهما وأحسن النطق بهما إلا بعد جهد جهيد.

ومثل هذا إذا حصل له هذا الجهل العظيم بكلمتي الشهادة، فكيف بغيرهما من بقية العقائد، بل مثل هذا الغالب عليه اعتقاد ما يوجب الكفر، أو ما هو قريب منه"(٢).

- **النقد:**

المقصود بالمعرفة: الإقرار بوجود الله، وأنه خالق هذا العالم، وما سواه مخلوق محدث، وقد اختلف الناس فيها، هل هي كسبية نظرية أم فطرية ضرورية؟ فذهب عامة السلف -رحمهم الله- إلى أنها فطرية ضرورية(٣).

وذهب جمهور المتكلمين من المعتزلة(٤) ومن تبعهم من الشيعة الإمامية(٥) والزيدية (١)

---

(١) المرجع السابق (٢١٨).

(٢) الكشف والبيان (٢١٨).

(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١٢٦/٣، ٤٤٤/٨-٤٤٩، ٥٣٢-٥٣٣)، مجموع الفتاوى (٤٨/١-٤٩، ٧٢/٢، ٣٣٠/١٦)، رسالة في الكلام على الفطرة ضمن مجموعة الرسائل الكبرى له (٣٤٠/٢/٣٤١)، شفاء العليل (٣٢)، مفتاح دار السعادة (٢٨٠/١)، جامع العلوم والحكم (٧٣٦/٢-٧٣٧)، فتح الباري (٧٠/١-٧١)، أضواء البيان (٤١٠/٣)، للاستزادة: فطرية المعرفة، أحمد سعد حمدان.

(٤) ينظر: شرح الأصول الخمسة (٣٩، ٤٦، ٥٢)، المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢٣٠/١٢، ٣٥٢)، الكشاف للزمخشري (٥٩١/١).

(٥) ينظر: أوائل المقالات للمفيد (٦١)، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، للطوسي (٢٥-٢٦).

والأشاعرة[٢] والماتريدية[٣] إلى أنها كسبية نظرية، وهذا ما يظهر من تقريرات محمد بن جعفر الكتاني السابقة، حيث قرر بأن أول واجب على العبد هو معرفة الله، أو القصد إليها، ويفهم من تقريراته القول بأنها كسبية نظرية لا فطرية ضرورية؛ إذ لو كانت فطرية ضرورية لما كان تحصيلها واجبا على المكلف؛ لتحققها أصلا، فضلا عن أن تكون أول الواجبات، لأن الموجبين للنظر قالوا:" يجب على العبد المعرفة أولا قبل وجوب الشهادتين"[٤].

والصحيح هو ما ذهب إليه عامة السلف -كما سيأتي-من أن معرفة الله تعالى في الأصل ثابتة في فطر الخلق، وهي فطرية ضرورية، والاكتساب والنظر طارئان عليها؛ إذ قد يعرض للفطرة ما يفسدها، فتحتاج حينئذ إلى الاكتساب والنظر.

والمراد بالنظر الذي قد يُحتاج إليه في تقريرها مطلق النظر، لا النظر العقلي الذي أوجبه المتكلمون، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" الصحيح أنها فطرية، ...ولكن قد يعرض للفطرة ما يفسدها، فتحتاج حينئذ إلى النظر، فهي في الأصل ضرورية، وقد تكون نظرية، ثم المعرفة الواجبة لا تتعلق بنظر خاص، بل قد تحصل ضرورية"[٥]، ويقول أيضا: "المعرفة وإن كانت ضرورية في حق أهل الفطر السليمة، فكثير من الناس يحتاج فيها إلى النظر، والإنسان قد يستغني عنه في حال، ويحتاج إليه في حال"(٦).

وهذا ما تظافرت عليه الأدلة، من كتاب الله-عز وجل- وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم- وهو ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها -رحمهم الله-. وهو الذي دل عليه العقل والفطرة، ومن

---

(١) ينظر: المعالم الدينية في العقائد الإلهية ليحيى بن حمزة (ص٢١، ٥٠)، ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، للناصر لدين الله (ص١٩).

(٢) الانصاف للباقلاني (١٣)، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني (ص١١)، المعتمد في أصول الدين لأبي يعلى (٢١)، مجموع الفتاوى (٢٠٢/٢٠)، درء التعارض (٣٥٣/٧)، الاستقامة (١٤٢/١).

(٣) ينظر: التوحيد للماتريدي (١٣٥)، إشارات المرام للبياضي (٢٣).

(٤) الاستقامة (١٤٢/١)، وينظر المصادر السابقة.

(٥) مجموعة الرسائل الكبرى (٣٤٠/٢-٣٤١)، وينظر: مجموع الفتاوى (٦/٢، ٧٣/٦).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٣٠٣/٣-٣٠٤)، وينظر المرجع نفسه: (٤٨٢/٨).

الأدلة على كون معرفة الله تعالى فطرية: قول الله عز وجل: **{وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدۡنَآۚ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢} [سورة الأعراف:١٧٢]**، فالله تعالى أشهد ذرية آدم على ربوبيته سبحانه، فأقروا له بذلك واعترفوا، ثم أشهدهم على هذا الاعتراف[١].

وقول الله ﷻ: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [سورة الروم:٣٠]، قد أجمع المفسرون من السلف على أن المراد بفطرة الله في هذه الآية: دين الإسلام، وهو متضمن لما غرسه الله في نفوس خلقه من معرفته والإقرار به سبحانه[٢].

وقول الله عز وجل: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾ [سورة النحل:٣٦]، فالرسل-عليهم السلام- دعوا أقوامهم ابتداء إلى توحيد الألوهية، وإفراد الله بالعبادة، ولو لم يكن الإقرار بالله تعالى ومعرفته بربوبيته أمرا فطريا لابتدؤا به، لأن الأمر بتوحيد الله في عبادته فرع عن الإقرار بربوبيته[٣]

قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء**[٤] **هل تحسون فيها من جدعاء؟**[٥])) ثم قال أبو هريرة: واقرؤا إن شئتم: ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ

---

(١) ينظر: تفسير القرآن العظيم (٥٠٠/٣)، درء تعارض العقل والنقل (٤٨٦/٨-٤٨٧).

(٢) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧٢/١٨)، درء تعارض العقل والنقل (٣٦٧/٨)، وينظر: : تفسير القرآن العظيم (٤٨٢/٤)، وينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٦٠/١)، الصواعق المرسلة (١٢٢١/٤).

(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٤٠/٨).

(٤) جمعاء أي: لم يذهب من بدنها شيء، سميت بذلك لاجتماع أعضائها وسلامتها من النقص. ينظر: فتح الباري (٢٥٠/٣)، المنهاج شرح صحيح مسلم (٢٠٩/١٦).

(٥) الجدع: القطع، و(إن كان عبدا مجدع الأطراف)، أي: مقطعها، وقوله: (هل تحسون فيها من جدعاء) أي: سليمة. ينظر: فتح الباري (٢٥٠/٣)، المنهاج شرح صحيح مسلم (٢٠٩/١٦).

ٱللَّهِۚ﴾[1]، فالحديث دل على أن كل مولود يولد على الفطرة التي فطره الله عليها، وهي متضمنة لمعرفة الله ﷻ والإقرار به[2].

وقول النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: ((... **خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا**..))[3]، فقد دل هذا الحديث أن الله -عز وجل- خلق الخلق على الحنيفية، والحنيفية هي الإسلام الذي يتضمن معرفة الله عز وجل والإقرار به[4].

إلى غير ذلك من أدلة الكتاب والسنة التي استمد منها السلف تقريرهم فطرية معرفة الله سبحانه وتعالى[5].

وأما دلالة الفطرة: فمنها لجوء الإنسان إلى الله تعالى في حال الكرب والشدة، يستوي في ذلك المؤمن والكافر، فهذا يدل على أن الخلق كلهم مفطورون على معرفة الله سبحانه والإقرار به[6].

والمشركون كانوا على ما فطرهم الله سبحانه من الإقرار بمعرفته وربوبيته، فالله فطر الخلق على الإقرار به ومعرفته، والأدلة على ذلك كثيرة، ومنها: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه؟ حديث رقم (١٢٩٢)، ومسلم كتاب: القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، حديث رقم (٢٦٥٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، واللفظ له.

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٧٢/٨)، فتح الباري (١١١/١١).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، حديث رقم (٦٨٦٥)، من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه.

(٤) ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧٥/١٨-٧٦)، درء تعارض العقل والنقل (٣٦٩/٨).

(٥) ينظر في دلالة الفطرة: درء تعارض العقل والنقل (٣٩٨/٧)، ينظر في دلالة العقل: درء تعارض العقل والنقل (٣٠٩/٣)، وللاستزادة من الأدلة العقلية ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٥٦/٨-٤٦٨)، منهج ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد، للبريكان (٣٠٩/١-٣١٤).

(٦) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٩٨/٧).

وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾»، وقوله: قال تعالى: «وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِ مَوۡتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٣﴾» [سورة العنكبوت:٦٣].

يقول ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: «الله جل ثناؤه قد أخبر في كتابه عنها[أي العرب] أنها كانت تقر بوحدانيته، غير أنها كانت تشرك في عبادته ما كانت تشرك فيها، فقال جل ثناؤه: قال تعالى: «وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ» [سورة الزخرف:٨٧]، وقال: «قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾» [سورة يونس:٣١]»(١).

وأما دلالة العقل: فلو أننا لو فرضنا أن معرفة الله جَلَّ نظرية، وطلبنا إقامة الأدلة على الإقرار بربوبيته، فإنه لابد أن تنتهي هذه العلوم النظرية إلى علوم ضرورية شرط وجودها صحة الفطرة وسلامتها، والفطرة السليمة تقتضي الإقرار بوجود الله وربوبيته، فمعرفة الله ضرورية فطرية (٢).

أما قول الكتاني بأن معرفة الله هي أول واجب على العباد، وأنها واجبة على الأعيان، فهو قول باطل، والرد عليه من طريقين:

أحدهما: النقض، بأن يقال:

أولا: القول بأن المعرفة بالله أول الواجبات مبني على القول بأن المعرفة كسبية نظرية، لا فطرية ضرورية، وهو قول باطل كما تقرر، وما بني على باطل فهو باطل.

كما لا يمكن أن تكون المعرفة بالله واجبة وقد ولدوا عليها، إذ لو كان الأمر كذلك لكان من تحصيل الحاصل، وهو ممتنع(٣).

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٣٧١/١-٣٧٣).

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٠٩/٣)، وللاستزادة من الأدلة العقلية ينظر المرجع نفسه (٤٥٦/٨-٤٦٨).

(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٠٨/٧، ٦/٨-٨)، مجموع الفتاوى (٣٢٨/١٦).

ثانيا: أن محمد بن جعفر الكتاني -كما سيأتي- يرى جواز التقليد في العقائد، وصحة إيمان المقلد، والقول بذلك يقتضي عدم إيجاب المعرفة على كل أحد، وعدم إيجاب النظر والقول بإثم تاركه، إذ هي حاصلة بالفطرة، ويلزم من القول بإيجاب المعرفة على كل أحد تأثيم من قلّد، وذلك يناقض القول بجواز التقليد في العقائد(١).

ثالثا: أن محمد بن جعفر الكتاني تناقض، كالأشاعرة، فقرر بأن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان، وهذا يناقض ما قرره في كون أول واجب على المكلف هو المعرفة، يقول ابن تيمية فيه بيان هذا:" القول بأن أول الواجبات هو المعرفة أو النظر، لا يمشي على قول من يقول: لا واجب إلا بالشرع كما هو قول الأشعرية وكثير من أصحاب مالك، والشافعي، وأحمد، وغيرهم، فإنه على هذا التقدير لا وجوب إلا بعد البلوغ على المشهور، وعلى قول من يوجب الصلاة على ابن عشر سنين أو سبع، لا وجوب على من لم يبلغ ذلك، وإذا بلغ هذا السن فإنما يخاطبه الشرع بالشهادتين، وإن كان لم يتكلم بهما، وإن كان تكلم بهما خاطبه بالصلاة، وهذا هو المعنى الذي قصده من قال: أول الواجبات الطهارة والصلاة، فإن هذا أول ما يؤمر به المسلمون إذا بلغوا، أو إذا ميزوا"(٢).

ثانيهما: المعارضة: بأن الأدلة متظافرة من الكتاب والسنة والإجماع على أن أول واجب على المكلف هو الشهادتان المتضمنتان لتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية، لا المعرفة بالله، ولا القصد إليها، كما يرى، فمن الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل:٣٦]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:٢٥].

فالرسل جميعا أول ما دعوا إليه أقوامهم إخلاص العبادة لله وحده دون ما سواه، وهذا دليل على أن إخلاص العبادة للي هي أول واجب على العباد المكلفين.

(١) ينظر: فتح الباري (١/٩٠، ١٣/٣٦١).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٨/١٢-١٣).

ومن السنة: قول النبي–صلى الله عليه وسلم– لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: ((**إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فادعهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله...**)) (١).

وقول النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله...**)) (٢).

يقول ابن تيمية–رحمه الله–:" والنبي –صلى الله عليه وسلم– لم يدع أحداً من الخلق إلى النظر ابتداءً، ولا إلى مجرد إثبات الصانع، بل أول ما دعاهم إليه الشهادتان، وبذلك أمر أصحابه"(٣).

أما الإجماع: فـ" السلف والأئمة متفقون على أن أول ما يؤمر به العباد الشهادتان، ومتفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ لم يؤمر بتجديد ذلك عقب البلوغ"(٤).

كما أجمعوا على أن الكافر إذا قال لا إله إلا الله محمد رسول الله فقد دخل في الإسلام، وهذا يدل على أن ذلك أول الواجبات(٥).

بهذا يتبين مخالفة محمد بن جعفر الكتاني للكتاب والسنة والفطرة والعقل، وما أجمع عليه السلف الصالح، في جعله المعرفة بالله أو القصد إليها أول واجب على العباد، وموافقته لما قرره الأشاعرة في هذه المسألة.

ثانيا: دلائل معرفة الله تعالى.

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن النظر على طريقة المتكلمين واجبا وجوبا كفائيا على من توفرت فيه أهلية للنظر(٦)، حيث قال في حكم النظر:" والنظر على طريقة المتكلمين هو

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: أخذ الصدقة من الأغنياء، رقم: ١٤٢٥، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين، حديث رقم: ١٩، من حديث معاذ بل جبل رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: (فإن تابوا وأقاموا الصلاة ...)، رقم: ٢٥، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، حديث رقم ٢٢١٩، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٦/٨).

(٤) المرجع السابق (١١/٨).

(٥) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٤٨٢/٧، ٧/٨)، مدارج السالكين (٤٥٢/٣).

(٦) ينظر: الكشف والبيان (١٥٩)، تشنيف المسامع (ل ١٠).

التفصيلي، المشتمل على تحرير الأدلة وتدقيقها، ودفع الشكوك والشبه عنها، وهو فرض كفاية في حق المتأهلين له، يكفي قيام بعض الناس به، وحرام على غير التأهل؛ لما يؤديه إليه من الوقوع في الشبه والضلالات"(١).

وقال: "وعلى كل قول من هذه الأقوال: فالمعرفة بالدليل التفصيلي غير شرط في صحة الإيمان، بل لا قائل بتوقف الإيمان عليها، وإنما هي على ما هو معروف كالواجبات الفرعية الكفائية، إذا قام بها أحد في قطر، سقط الطلب عمن بقي، وإلا أثم الجميع إثم عصيان لا إثم كفر"(٢).

وقال: "وأما حل الشبه والشك؛ فلم يختلف المتكلِّمون في أنه فرض على الكفاية"(٣).

كما قرر بأن مخلوقاته -سبحانه- دليل على وجوده تعالى، فقال في الناطق بالشهادتين الجازم بما تضمنتاه من التوحيد والرسالة، مع الاستناد إلى الدليل الجملي، وهي كما يقول: " الأدلة الإجمالية المنقولة عن غير واحد من السلف وغيرهم من العقلاء، كقول الأعرابي للأصمعي حين سأله بم عرفت ربك؟ البعرة تدل على البعير، والروثة على الحمير، وأثر الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا تدل على اللطيف الخبير؟(٤)... وسئل أبو نواس عن دليل الصانع، فأنشد يقول:

تأمَّل في نبات الأرض وانظر	**إلى آثار ما صنع المليكُ**
عيون من لجينٍ شاخصات	**على أطرافها الذهب السبيك**
على قضب الزبرجد شاهدات	**بأنَّ الله ليس له شريك"(٥)**

(١) تشنيف المسامع (ل ١٠).

(٢) المرجع السابق (١٥٩).

(٣) حاشية على شرح ميارة (١٠/ب).

(٤) من خطبة لقس بن ساعدة، ينظر: جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب للهاشمي (١٩/٢)، البيان والتبيين، للجاحظ (١٦٣/١).

(٥) الكشف والبيان (١٦٠-١٦٢)، وينظر: جلاء القلوب (٥٠/١)، حاشية على شرح ميارة (ل ٢٠/ب، ٧٥/ب، ٧٦/أ)، تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١١)، تفسير المعوذتين والإخلاص (ل ٢).

ويقـول:" فكيـف لا تكـون هـذه المخلوقـات العظيمـة دالـة علـى خالقهـا"(١)، وقال:"فالإيمان بالله مُسنده: دلالة الصنعة على الصانع"(٢).

وقال في المراد بالنظر في الآيات القرآنية كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الغاشية:١٧]، وقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾﴾ [سورة ق:٦]، وقوله: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [سورة الذاريات:٢١]، وقوله: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [سورة يونس:١٠١]:" فالمراد إذا بالنظر: النظر على طريقة المتقدمين، أي بأن يستدل الصنعة على الصانع، وبالأثر على المؤثر، والنظر على طريقة المتكلمين هو التفصيلي المشتمل على تحرير الأدلة وتدقيقها ودفع الشكوك والشبه عنها، وهو فرض كفاية في حق المتأهلين له، يكفي قيام بعض الناس به، وحرام على غير التأهل لما يؤديه إليه من الوقوع في الشبه والضلالات"(٣)، فقرر-برأيه-أن النظر في الآيات القرآنية يدل على نظر المتقدمين والمتكلمين.

كما ذكر بأن من الأدلة القطعية أن العالم حادث، وكل حادث لا بد له من محدث، حيث يقول:" والدليل يكون قطعيا؛ كقولك: العالم حادث، وكل حادث لا بد له من محدث، ... فالدليل وهو العالم، ونفس الدليل وهو حدوثه، ووجه الدليل وهو افتقاره إلى محدث، والوجه الذي منه يدل الدليل، وهو استحالة وجوده من غير محدث، والمدلول عليه وهو وجود الصانع"(٤)، وقال:" وكل متغير حادث"(٥).

-النقد:

---

(١) تشنيف المسامع (ل ١٠).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٥/ب).

(٣) تشنيف المسامع (ل ١٠).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٣/ب)، وينظر المرجع نفسه (ل ٤٦/ب)، تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ٩، ل ١٠).

(٥) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٠).

اختلف الناس في دلائل معرفة الله تعالى، فذهب عامة السلف-رحمهم الله-إلى أن معرفة الله تعالى تحصل بمطلق النظر المؤدي إليها، وهو كل ما يتوصل به إلى الاستدلال على وجود الله تعالى، والإقرار بربوبيته من الأدلة النقلية، والعقلية، والفطرية، والمشاهدة(١)، ومنها الاستدلال بالمخلوق على الخالق، وبالصنعة على الصانع(٢)، وقد قرر محمد بن جعفر الكتاني هذا في تقريره السابق.

وذهب جمهور المتكلمين إلى أن معرفة الله تعالى لا تحصل إلا بالنظر العقلي المؤدي إليها، وهو نظر خاص في أدلة ابتدعوها، أهمها دليل الحدوث، ودليل الإمكان(٣).

ومما سبق يتبين أن محمد بن جعفر الكتاني خالف السلف الصالح، ووافق المتكلمين فيما يلي:

- كون النظر على طريقة المتكلمين دليل صحيح يعتمد عليه، بل عده من الواجبات الكفائية، وما قرره متعقب بأنه باطل، لما يلي:

- أن النظر على طريقة المتكلمين طريق حادث مبتدع، ليس في الكتاب كما يرى، وليس في السنة، ولم يكن في عهد النبي-صلى الله عليه وسلم-، ولا أصحابه، ولا التابعين ولا عرفوه، وكل شيء لم يدع إليه رسول الله -صلى الله عليه وسلم-ولا أحد من الصحابة

---

(١) ينظر: كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد لابن منده (٩٧/١) وما بعدها، ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان لابن الوزير (ص٩٥)، مجموع الفتاوى (٧٣/٦، ١٤٦/١٠)، درء تعارض العقل والنقل (٨/٨، ٩، ٤٥٦، ٤٦٦، ٥٣٣-٥٣٤)، كلام ابن القيم حول دلالة الآفاق، فقد عقد فصولا كثيرة في كتابه: مفتاح دار السعادة (٢٩/٢) وما بعدها، بدائع الفوائد لابن القيم (٩٧٠/٤)، الصواعق المرسلة (٤٦٤/٢).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٩٩/٢-٤٠١)، درء تعارض العقل والنقل (٣٢١/٩-٣٢٢)، بيان تلبيس الجهمية (٥٠٦/١-٥٠٧).

(٣) ينظر: الإنصاف (١٧)، الإرشاد (٣٧-٣٩)، المواقف (٧/٣).

أو التابعين أو علماء الأمة المعروفين فلا شك أنه مذموم؛ لأنه لا يتصور أن يكون هناك أمرٌ أمر الله به تعالى ولم يدع إليه هؤلاء(١).

- أن هذا الطريق لا يؤمن على صاحبه الفتنة، يقول العلامة أبو المظفر السمعاني-رحمه الله-:"فليتدبر المرء الحق: فليتدبر المرء المسلم المسترشد أحوال هؤلاء الناظرين كيف تحيروا في نظرهم، وارتكسوا فيه، فلئن نجا واحد بنظره فقد هلك الألوف من الناس، ... أفيستجيز مسلم أن يدعو الخلق إلى مثل هذا الطريق المظلم، ويجعله سبيل منجاتهم؟"(٢).
- أن هذا الطريق غامض وطويل، وقد اعترف بذلك أئمة الأشاعرة أنفسهم(٣)، حتى عد بعضهم أكثر المتكلمين مقلدين في عقائدهم لعدم تحصيلهم له فضلا عن غيرهم(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"والذامون لها [دلائل المتكلمين] نوعان: منهم من يذمها لأنها بدعة في الإسلام، فإنا نعلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يدع الناس بها ولا الصحابة؛ لأنها طويلة مخطرة كثيرة الممانعات والمعارضات، فصار السالك فيها كراكب البحر عند هيجانه، وهذه طريقة الأشعري في ذمه لها، والخطابي (٥)، والغزالي، وغيرهم ممن لا يفصح ببطلانها، ومنهم من ذمها؛ لأنها مشتملة

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٣٩/١، ٣٠٩-٣١٠)، مجموع الفتاوى (٢٦٧/١٦)، صون المنطق (٢٢٤).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١٢٤/٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٥١٩/٦)، درء تعارض العقل والنقل (٣٩/١-٤٠).

(٤) ينظر: المستصفى في علم الأصول للغزالي (٣٧١).

(٥) هو: حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي الشافعي، أبو سليمان، الإمام الحافظ اللغوي، من متقدمي الأشاعرة وفضلائهم، من مؤلفاته: معالم السنن، غريب الحديث، توفي عام ٣٨٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٣/١٧)، طبقات الشافعية الكبرى (٢٨٢/٣).

على مقامات باطلة، لا تحصل المقصود، بل تناقضه، وهذا قول أئمة الحديث وجمهور السلف"(١).

- أن هذا الطريق التزم أصحابه لأجله لوازم فاسدة، كالقول بنفي الصفات الاختيارية عن الله تعالى، بدعوى أنها أعراض حادثة، وما لا يخلو من الحوادث فهو حادث، ثم قالوا بأنه يلزم نفيها عن الله تعالى؛ لأن ثبوتها برأيهم يلزم منه قيام الحوادث به، مما يؤدي إلى تعطيل وجوده الذي تم بإثبات كل ما يخلو من الحوادث فهو حادث، وما أدى إلى باطل فهو باطل كذلك(٢)، وهذا ما وقع فيه محمد بن جعفر الكتاني كما سيأتي بيانه.

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في القول بأن معرفة الله بالنظر على طريقة المتكلمين واجبة وجوبا كفائيا.

- **إثبات الربوبية بدليل حدوث الأجسام.**

وهو أشهرها عند الأشاعرة، بل عده من الأدلة القطعية، وذلك بقوله:" والدليل يكون قطعيا؛ كقولك: العالم حادث، وكل حادث لا بد له من محدث، فالدليل وهو العالم، ونفس الدليل وهو حدوثه، ووجه الدليل وهو افتقاره إلى محدث، والوجه الذي منه يدل الدليل، وهو استحالة وجوده من غير محدث، والمدلول عليه وهو وجود الصانع" (٣).

ودليل حدوث الأجسام باطل؛ لأنه يشمل أمرين هما:

---

(١) الصفدية (١/٢٧٥).

(٢) الكشف والبيان (١٨٩).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٣/ب)، وينظر: تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ٩، ل ١٠).

الأول: الاستدلال بحدوث العالم على وجود الله، وكيفيته أن يقال: "الأجسام محدثة، وكل محدَث فله محدِث والعلم به ضروري" (١)، أو يُقال: "العالم حادث، وكل حادث فله محدث"(٢)، وقد ذكر الكتاني هذا في تقريره السابق.

الثاني: الاستدلال بحودث الصفات على وجود الله، وكيفيته أن يقال: الأجسام محدثة، وكل محدث صفاته محدثة، وإن كان لا بد له من محدث وكذلك صفاته (٣).

وينبني هذا الدليل على مقدمتين، يُشترط فيهما إقامة الأدلة على صحتهما حتى تنتج المقدمتان نتيجة صحيحة، وهما: الأولى: العالم حادث، الثانية: كل حادث لا بد له من محدث، والنتيجة بعد إثبات صحة المقدمتين: العالم لا بد له من محدث أحدثه، وهو الله سبحانه.

وتستند المقدمة الأولى على إثبات حدوث الجواهر والأعراض، للقول بحدوث العالم، أما المقدمة الثانية فتستند على امتناع حوادث لا أول لها (٤)، وهذا الدليل باطل لما يلي:

- أن هذا الدليل مبتدع، لم يدع إليه أحد من الأنبياء عليهم السلام، ولا من الصحابه ولا أحد من أئمة السلف، بل السلف ذموا ما اشترك فيه أهل الكلام «من إثبات الصانع بطريقة الأعراض، وأنها لازمة للجسم أو متعاقبة عليه، فلا يخلو منها، وما لم يخل من الحوادث

(١) معالم أصول الدين للرازي (ص ٤٥).

(٢) المواقف (٧/٣).

(٣) ينظر: معالم أصول الدين (٤٥)، المواقف (٨/٣).

(٤) ينظر: الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد (ص٢٧، ٤٤)، لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة للجويني (ص٨٦-٩٢)، المواقف في علم الكلام (١٣/٣-١٤)، بيان تلبيس الجهمية (١٤١/١-١٤٤، ٢٥٧-٢٥٨)، درء تعارض العقل والنقل (٣٨/١-٣٩)، (١٧/٧, ٢٤٢)، (١٨/٨-١٩)، (٢٦٠/١٠)،

فهـو حـادث لامتنـاع حـوادث لا أول لهـا» (١)، و «قـد اعـترف حـذاق أهـل الكـلام كالأشعري وغيره، بأنها ليست طريقة الرسل وأتباعهم، ولا سلف الأمة وأئمتها» (٢).

يقـول أبـو الحسـن الأشـعري-رحمـه الله-:" وإذا أثبـت بالآيات صـدقه-صـلى الله عليـه وسلم- فقد علم صحة كل ما أخبر به النبي-صلى الله عليه وسلم- عنه، وصارت أخباره أدلة على صحة سائر ما دعانا إليه من الأمور الغائبة عن حواسنا وصفات فعله، وصار خبره -عليه السلام- عن ذلك سبيلا إلى إدراكه، وطريقا إلى العلم بحقيقته، وكان ما يستدل به من أخباره-صلى الله عليه وسلم- على ذلك أوضح دلالة من دلالة الأعراض التي اعتمد على الاستدلال بها الفلاسفة، ومن اتبعها من القدرية وأهل البدع المنحرفين عن الرسل عليهم السلام"(٣).

ويقول الخطابي-رحمه الله- في تقرير بدعيتها: «الله سبحانه لما أراد إكرام من هداه لمعرفته، بعث رسوله محمدا -صلى الله عليه وسلم- بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا, وقال له: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ **[سورة المائدة:٦٧]**، وقال -صلى الله عليه وسلم- في خطبة الوداع وفي مقامات شتى وبحضرته عامة أصحابه: ((**ألا هل بلغت**))؟(٤)، وكان الذي أنزل عليه من الوحي وأمر بتبليغه هو كمال الدين وتمامه لقوله تعالى:: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾ **[سورة المائدة:٣]**، فلم يترك -صلى الله عليه وسلم- شيئا من أمور الدين قواعده وأصوله وشرائعه وفصوله إلا بينه وبلغه على كماله وتمامه،

---

(١) النبوات (٢/٥٨٥)، وينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/١٠٠, ١٠٥, ١٣٠)، مجموع الفتاوى (٢/٢٣، ٣/٣٠٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/٣٠٤)، وينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٣٠٩-٣١٠)، رسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري (١٨٢-١٨٣).

(٣) رسالة إلى أهل الثغر (١٨٢-١٨٣).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الحج، باب: الخطبة أيام منى، برقم (١٦٥٢)، ومسلم كتاب: القسامة، باب: تغليظ تحريم الدماء والأعراض والأموال، برقم (١٦٧٩).

ولم يؤخر بيانه عن وقت الحاجة إليه؛ إذ لا خلاف بين فرق الأمة أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز بحال، ومعلوم أن أمر التوحيد وإثبات الصانع لا تزال الحاجة ماسة إليه أبدا في كل وقت وزمان، ولو أخر عنه البيان لكان التكليف واقعا بما لا سبيل للناس إليه، وذلك فاسد غير جائز، وإذا كان الأمر على ما قلناه وقد عُلم يقينا أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يدعُهم في أمر التوحيد إلى الاستدلال بالأعراض وتعلقها بالجواهر وانقلابها فيها، إذ لا يمكن واحدا من الناس أن يروى عنه ذلك، ولا عن أحد من أصحابه من هذا النمط حرفا واحدا فما فوقه، لا من طريق تواتر ولا آحاد، عُلم أنهم قد ذهبوا خلاف مذهب هؤلاء، وسلكوا غير طريقتهم، ولو كان في الصحابة قوم يذهبون مذاهب هؤلاء في الكلام والجدل، لعدوا من جملة المتكلمين، ولنقل إلينا أسماء متكلميهم كما نقل إلينا أسماء فقهائهم وقرائهم وزهادهم، فلمّا لم يظهر ذلك دل على أنه لم يكن لهذا الكلام عندهم أصل...»(١).

يقول ابن تيمية-رحمه الله- بعد كلام الخطابي: «وهذا الذي ذكره الخطابي يبين أن طريقة الأعراض من الكلام المذموم الذي ذمه السلف والأئمة، وأعرضوا عنه كما ذكر ذلك الأشعري وغيره، وأن الذين سلكوها سلكوها؛ لكونهم لم يسلكوا الطرق النبوية الشرعية، فمن لم يسلك الطرق الشرعية احتاج إلى الطرق البدعية بخلاف من أغناه الله بالكتاب والحكمة» (٢).

وبين رحمه الله أن الطرق الشرعية تجمع وصفين، حيث قال: «الطرق الشرعية إذا تُؤمّلت وُجدت في الأكثر قد جمعت وصفين:

أحدهما: أن تكون يقينية.

والثانية: أن تكون بسيطة غير مركبة، أعني قليلة المقدمات، فتكون نتائجها قريبة من المقدمات الأُول» (٣).

---

(١) الغنية عن الكلام وأهله، للخطابي (ص١١-١٣)، درء تعارض العقل والنقل (٧/٢٩٥-٢٩٧).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٧/٢٩٤).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/٢٥٦).

- مما يدل على بطلان هذا الدليل غموضه وصعوبته، ومقدماته في الغالب يقع النزاع فيها، ولا يدركها كل أحد، مع أن المستدل به وهو الله عز وجل أسهل وأوضح في فطرة الإنسان وعقله من هذا الدليل المبتدع (١).
- أن هذا الدليل يلزم منه لوازم فاسدة معلومة الفساد بالشرع والعقل، ومن المعلوم أن «ملزوم الباطل باطل، كما أن لازم الحق حق، والدليل ملزوم لمدلوله، فمتى ثبت ثبت مدلوله، ومتى وجد الملزوم وجد اللازم، ومتى انتفى اللازم انتفى الملزوم، والباطل شيء، وإذا انتفى لازم الشيء علم أنه منتف، فيستدل على بطلان الشي ببطلان لازمه، ويستدل على ثبوته بثبوت ملزومه، فإذا كان اللازم باطلا فالملزوم مثله» (٢).

ومن اللوازم الفاسدة نفي صفات الله عز وجل، بل إن دليل حدوث الأجسام كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية هو أصل أصول المبتدعة في نفي الصفات (٣)، وهذا ما وقع فيه محمد بن جعفر الكتاني وغيره.

يتبين بهذا مخالفة محمد بن جعفر الكتاني لما قرره السلف الصالح وموافقته للأشاعرة في إيجاب النظر على طريقة المتكلمين، والاستدلال على وجود الله بدليل حدوث الأجسام، وبطلان ما قرره، والله أعلم.

المسألة الثانية: حكم إيمان المقلد

بيّن محمد بن جعفر الكتاني المراد بالمقلد، وسرد الأقوال في حكمه، ثم ذكر خلاصة رأيه في هذه المسألة، حيث قال في الناطق بالشهادتين:" أن يكون جازما بما ذكره، مع عدم الاستناد إلى دليل أصلا، بل بمجرد التقليد، كمن نشأ في جزيرة، أو صحراء منقطعا عن العمران، وعن مجاورة المسلمين، ولم يسمع قط شيئا من أمور الإسلام، فأخبره مخبر بالتوحيد، فصدّقه، وجزم، أو نشأ بين المسلمين إلا أنه لم يكن له مساس بالعلم ولا بمن هو من ناحيته، وأخذ العقائد من

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢/٢).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٤٢/١)، وينظر: (٣٩/١).

(٣) ينظر: الفتاوى الكبرى (٦٤٥/٦).

الأفواه، وجزم بها ولم يهتد بفكره وسؤاله عن الأدلة ولا للنظر فيها، وهذا هو المسمى عندهم بالمقلد، وهو: من يجزم بالعقائد الدينية على الوجه المطابق من غير دليل، وفيه أقوال سبعة"(١)، ثم سردها، ثم بيّن رأيه في حكمه، فحكم بصحة إيمان المقلد مع عصيانه، حيث قال: "والصحيح أنه موجود في المدن وغيرها، وأنه مؤمن موحد، لكنه عاص بترك النظر مع القدرة"(٢)، وقال في موضع آخر عن القول بأن المقلد مؤمن عاص:" وهو المعتمد"(٣).

وقال: "بتقدير سلامته مما يكفر به، فهو عاص مجمع على عصيانه؛ إذ لم يقل أحد من العلماء بجواز التمادي على الجهل بالعقائد، بل نصوا على أن معرفتها واجبة عينا إجماعا، حكاه غير واحد، ...وإذا كان يتعين على المكلف أن يتعلم ما يحتاج إليه في الفروع كالصلاة والزكاة، فكيف لا يتعين عليه أن يتعلم أصول دينه وما يكون به مؤمنا حقا، وزعم أنه لا يحتاج لذلك لحصول المعرفة بالعقائد لكل أحد مكابرة، وكذب تفضحه مشاهدة التخليط من كثير من جهلة العوام في كثير من العقائد، ولم يحصل لهم الحق فيها ولو بالتقليد، فكيف بالنظر"(٤).

النقد:

التقليد في اللغة: مصدر قلّد، يُقلد، تقليدا.

يقول ابن فارس:" القاف واللام والدال أصلان صحيحان، يدل أحدهما على تعليق شيء على شيء وليه به، والآخر على حظ ونصيب.

فالأول التقليد: تقليد البدنة، وذلك أن يعلق في عنقها شيء ليعلم أنها هدي... والأصل الآخر: القلد: الحظ من الماء، يقال: سقينا أرضنا قلدها، أي حظها"(٥).

ويطلق التقليد على عدة معان، منها: اللزوم، والتعليق، والتحمل(١).

---

(١) الكشف والبيان (١٧٢)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ١٨/أ)، عمدة الراوين (٣٨/٩).

(٢) الكشف والبيان (٢١١-٢١٢)، وينظر نفس المرجع (٢٦٢)، حاشية على شرح ميارة (١٩/أ).

(٣) حاشية على شرح ميارة (١٩/أ).

(٤) الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان (٢١٨).

(٥) مادة (قلد): معجم مقاييس اللغة (١٩/٥-٢٠).

التقليد في الاصطلاح: اختلفت عبارات أهل العلم في التعبير عنه[٢]، وهي في جملتها: التعلق بمذهب من ليس حجة بنفسه[٣]، وتعريف محمد بن جعفر الكتاني السابق للمقلد بقوله "هو: من يجزم بالعقائد الدينية على الوجه المطابق من غير دليل "(٤)، مما وافق فيه بعض أهل العلم[٥].

والتقليد تارة يكون في أصول الدين، وتارة في فروعه، والكلام هنا عن الأول دون الثاني، وجملة القول فيه أن يقال: اتفق الناس على أن التقليد في أصول الدين إن كان من غير جزم فإنه لا يجوز –وقد قرره الكتاني–[٦]، واختلفوا فيما إذا كان عن جزم على ثلاثة أقوال:

- **الأول**: القول بجوازه، وجواز النظر.
- **الثاني**: القول بوجوبه، وتحريم النظر.
- **الثالث**: القول بتحريمه، ووجوب النظر.

واختلف القائلون بتحريمه في صحة إيمان المقلد، وحاصل الأقوال في هذه المسألة:

١–عدم صحة إيمان المقلد.

٢– صحة إيمان المقلد مع إثمه، وهو قول كثير من المتكلمين، وهو الذي قرره محمد بن جعفر الكتاني [١].

---

(١) مادة (قلد): تهذيب اللغة (٤٨/٩)، الصحاح (٥٢٧/٢)، لسان العرب (٣٦٥/٣)، القاموس المحيط (٣٩٨).

(٢) ينظر: البرهان في أصول الفقه، للجويني (٨٨٨/٢)، المستصفى (ص٣٧٣)، التعريفات (٩٠)، المدخل إلى مذهب الإمام أحمد (ص٢٠٤–٢٠٥).

(٣) ينظر: البحر المحيط في أصول الفقه للزركشي (٥٥٤/٤)، رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، للمعلمي (٧٥).

(٤) الكشف والبيان (١٧٢)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ١٨/أ)، عمدة الراوين (٣٨/٩).

(٥) ينظر: رسالة في أصول الفقه لابن بطة العكبري (١٢٧)، العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى (١٢١٦/٤)، المسودة في أصول الفقه لابن تيمية (٤١١).

(٦) ينظر: الكشف والبيان (٢٦٢).

والخلاف في هذا فرع عن الخلاف في حقيقة التقليد، ومعنى النظر، يقول العلامة المعلمي رحمه الله: «والحاصل أن السلف لما حرموا النظر في علم الكلم، عارضهم المخالفون بادّعاء وجوبه، ولما قال بعض علماء السلف أن النظر في علم الكلام كفر، أو مظنة الكفر، عارضهم المخالفون، بزعم أن من لا يعرف علم الكلام فهو مقلد ولا إيمان لمقلد، وأشاعوا هذه المقالة، حتى استقر في كثير من الأذهان أن التقليد مرادف لعدم النظر في علم الكلام، وبهذا صار التقليد يطلق على معنيين، كما أن النظر كذلك، فعامة القائلين بوجوب النظر إنما يعنون النظر على طريقة السلف، وهو متيسر لكل أحد، حتى العامة، والقائلون بأن النظر لا يجب، أو هو حرام، إنما يعنون النظر على طريقة المتكلمين.

والقائلون بأنه لا يكفي التقليد؛ إنما يعنون التقليد بمعناه الحقيقي، وهو العمل بقول من ليس قوله إحدى الحجج بلا حجة.

والقائلون بأنه يكفي التقليد؛ إنما عنوا به التقليد بمعناه المخترع، وهو الاقتصار على النظر على طريقة السلف، بدون نظر في علم الكلام.

وعلى هذا لا يكون هناك خلاف حقيقي في أن التقليد بمعناه الحقيقي لا يكفي في أصول الدين، ولا سيما أصل الأصول، وهو لا إله إلا الله»(٢).

والأظهر-والله أعلم- أن التقليد في أصول الدين يختلف حكمه باختلاف المراد به، ومعنى النظر، وحال المقلد من حيث سلامته من الشبهات، من جهة، ومن حيث تمكنه من النظر والاستدلال من جهة أخرى، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" الناس في الاستدلال والتقليد على طرفي نقيض، منهم من يوجب الاستدلال حتى في المسائل الدقيقة، أصولها وفروعها على كل

---

(١) ينظر: أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي (ص٢٨٠)، الفقيه والمتفقه (١٢٨/٢)، الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (٢٢٣/٤) شرح المقاصد (٢١٨/٥) ومابعدها، المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي (٢١٠/١-٢١١)، النبوات (٢٤٩/١)، لوامع الأنوار البهية (٢٦٧/١-٢٧٠)، التقليد في باب العقائد وأحكامه، لناصر الجديع (ص٥٠/وما بعدها).

(٢) رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، للمعلمي (ص٧٥).

أحد، ومنهم من يحرّم الاستدلال في الدقيق على كل أحد، وهذا في الأصول والفروع وخيار الأمور أوساطها"(١).

ويقول الشنقيطي:" والتحقيق: أن التقليد منه ما هو جائز، ومنه ما ليس بجائز"(٢).

وقد وافق محمد بن جعفر الكتاني جمهور المتكلمين في القول بصحة إيمان المقلد مع عصيانه(٣)، وهذا ناتج عن إيجابه للنظر، وعده لدليل حدوث الأجسام من الأدلة القطعية، وهذا الأحكام باطلة كما سبق.

والحق الذي عليه السلف الصالح هو: صحة إيمان المقلد بدون إثم(٤)، يقول النووي -رحمه الله- في شرحه لقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله...**)) (٥)، :" فيه دلالة ظاهرة لمذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف، أن الإنسان إذا اعتقد اعتقادا جازما لا تردد فيه كفاه ذلك، وهو مؤمن من الموحدين، ولا يجب عليه تعلم أدلة المتكلمين ومعرفة الله تعالى بها خلافا لمن أوجب ذلك، ...فإن المراد التصديق الجازم وقد حصل، ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم- اكتفى بالتصديق بما جاء به -صلى الله عليه وسلم- ولم يشترط المعرفة بالدليل فقد تظاهرت بهذا أحاديث في الصحيحين يحصل بمجموعها التواتر بأصلها والعلم القطعي"(٦)، فإيمانه صحيح، وهو غير عاص كما قرر الكتاني، فما قرره مخالف للأدلة ولما قرره السلف الصالح.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٨/٢٠)، وينظر (٢٠٣/٢٠).

(٢) أضواء البيان (٣٠٦/٧).

(٣) ينظر: أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي (ص٢٨٠)، الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي (٢٢٣/٤) شرح المقاصد (٢١٨/٥) وما بعدها، المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي (٢١٠/١-٢١١)، النبوات (٢٤٩/١)، لوامع الأنوار البهية (٢٦٧/١-٢٧٠).

(٤) ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد (٨، ٩)، شرح النووي على مسلم (٢١٠/١)، لوامع الأنور البهية (٢٧٤/١-٢٧٥)، فتح الباري (٣٥٢/١٣).

(٥) سبق تخريجه (٣٠٥).

(٦) شرح النووي على مسلم (٩٣/١).

ويقول ابن حزم -رحمه الله-: "وقال سائر أهل الإسلام: كل من اعتقد بقلبه اعتقادا لا يشك فيه، وقال بلسانه: لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإن كل ما جاء به حق وبرئ من كل دين سوى دين محمد -صلى الله عليه وسلم- فإنه مسلم مؤمن ليس عليه غير ذلك، ...

ونحن لا ننكر الاستدلال، بل هو فعل حسن مندوب إليه محضوض عليه كل من أطاقه؛ لأنه تزود من الخير وهو فرض على كل من لم تسكن نفسه إلى التصديق- نعوذ بالله -عز وجل- من البلاء-»[1]، فالنظر فرض على كل من لم تسكن نفسه إلى التصديق، وليس كل مقلد لم تسكن نفسه حتى يؤثمه الكتاني بتركه للنظر!

ويقول ابن تيمية-رحمه الله-:" أما في المسائل الأصولية فكثير من المتكلمة والفقهاء من أصحابنا وغيرهم من يوجب النظر والاستدلال على كل أحد حتى على العامة، ... وأما جمهور الأمة فعلى خلاف ذلك، فإن ما وجب علمه إنما يجب على من يقدر على تحصيل العلم وكثير من الناس عاجز عن العلم بهذه الدقائق فكيف يكلف العلم بها؟"[2]، ومحمد بن جعفر الكتاني في تقريره بعصيان المقلد وتأثيمه كأنه يميل إلى القول بإيجاب النظر على كل أحد، وهذا ما لا يقره، حيث أوجب النظر وجوبا كفائيا للمتأهل - برأيه - مع بطلان حكمه، وهذا تناقض.

ويقول العلامة السفاريني[3] رحمه الله: «والحق الذي لا محيد عنه، ولا انفكاك لأحد منه صحة إيمان المقلد تقليدا جازما صحيحا، وأن النظر والاستدلال ليسا بواجبين، وأن التقليد الصحيح محصل للعلم والمعرفة، نعم يجب النظر على من لا يحصل له التصديق الجازم أول ما تبلغه الدعوة»[4].

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٤/٢٩-٣٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٠/٢٠٢).

(٣) هو: محمد بن أحمد بن سليمان السفاريني النابلسي، أبو الطيب، شمس الدين، محدث فقيه أصولي سلفي، من مؤلفاته: معارج الأنوار في سيرة النبي المختار، لوامع الأنوار البهية، توفي عام ١١٨٨هـ. ينظر: الأعلام (٦/١٤)، معجم المؤلفين (٨/٢٦٢).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١/٢٦٩)، للاستزادة ينظر: التقليد في باب العقائد وأحكامه لناصر الجديع.

يتبين بهذا موافقة محمد بن جعفر الكتاني للمتكلمين، ومخالفته لمنهج السلف الصالح، فيما يلي:

- القول بإيجاب المعرفة والقصد إليها.
- قوله بوجوب النظر وجوبا كفائيا.
- استدلاله بدليل حدوث الأجسام.
- حكمه بعصيان المقلد.

وبهذا يتم عرض آراء محمد بن جعفر الكتاني في توحيد الربوبية ونقده فيها والله أعلم.

المبحث الثاني

آراء محمد بن جعفر الكتاني في توحيد الألوهية

وفيه ثلاثة مطالب:

- الأول: آراؤه في معنى توحيد الألوهية ودلائله.
- الثاني: آراؤه في معنى العبادة وما يتعلق بها.
- الثالث: موقفه مما يناقض توحيد العبادة أو ينقصه.

المبحث الثاني: آراء محمد بن جعفر الكتاني في توحيد الألوهية

المطلب الأول: آراؤه في معنى توحيد الألوهية ودلائله

توحيد الألوهية مركب من كلمتين: مضاف ومضاف إليه، وقد سبق بيان معنى المضاف وهو التوحيد لغة وشرعا، وبيان رأي الكتاني ونقده، وفي هذا المطلب سيتم عرض تقريرات محمد ابن جعفر الكتاني في معنى الألوهية بحول الله تعالى.

الألوهية لغة:

محمد بن جعفر الكتاني بيّن الألوهية والإله لغة، فيوافق الأشاعرة في تعريف الألوهية بالربوبية تارة(١)،ويوافق ما قرره أهل اللغة تارة، فمن تقريراته قوله عن الألوهية:"كونه تعالى إلها، إي: خالقا للخلق متصرفا فيهم"(٢)، ففسّر الإله بالخالق مخالفا بذلك لغة العرب.

ويقول في تفسير اسم الجلالة:"و"الله": اسم يدلُّ على الذّات الجامعة لصفات الألوهيَّة كلها، فمدلوله ومسمَّاه: الإله، المتصف بصفات الكمال كلها، المنزَّه عن صفات النقص بأسرها، والإله لغة: هو المعبود بحق، وإن شئت قلت: هو الواجب الوجود، المستحق للعبادة"(٣).

ففسر الإله بالمعبود وبالربوبية، حيث ذكر بأنه تعالى: المتصف بصفات الكمال، والمنزه عن صفات النقص، وأنه واجب الوجود، وكل هذه تعريفات للإله بتوحيد الربوبية، وهي وإن كانت متضمنة لتوحيد الألوهية، إلا أنها مخالفة لما قرره أهل اللغة؛ لأن الألوهية في اللغة:

---

(١) ينظر: أصول الدين للبغدادي (١٢٣)، شرح أسماء الله الحسنى للرازي (١٢٤)، منهاج السنة (٣/٢٥٤)، الجواب الصحيح (٣/٢٩٤)، مجموع الفتاوى (٨/١٠١).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (٢/٢٠)، وينظر المرجع نفسه (١/١٨، ٢٢، ٦٩، ٣/١٤٩).

(٣) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ١)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧١/ب-٧٢/أ، ٧٤/ب، ٩٢/أ).

مصدر أَلِه يأله إلهةً وأُلوهة وألوهية، والألوهية لفظ منسوب إلى الإله، وهو على وزن فعال، بمعنى مفعول أي: مألوه، والمألوه المعبود.

وأَلِه إلهةً أي: عبد عبادة، ومنه قرأ ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ ﴾ [سورة الأعراف:١٢٧]، قرأها بكسر الهمزة (وإلهتك)، ومعناها كما قال: «وعبادتك»(١)، وكل ما اتُّخذ معبودا فهو إله عند من اتخذه، والتأله: التنسّك والتعبّد، والتأليه: التعبيد(٢).

وعلى هذا فالإله هو المعبود، والألوهية هي العبادة، يقول ابن فارس: «الهمزة واللام والهاء أصل واحد وهو التعبد، فالإله الله تعالى، وسمّي بذلك لأنه معبود، ويقال تأله الرجل، إذا تعبد»(٣).

ومن تفسيره للإله بالمعبود والربوبية قوله:" وحقيقة الإله -أي: مفهومه وتعريفه الرسمي- هو: الواجب الوجود، المستحق للعبادة، ولا شك أن هذا المعنى كلي؛ أي: يقبل بحسب مجرد إدراك معناه أن يصدق على كثيرين، لكن البرهان القطعي دال على استحالة التعدد فيه، وأن معناه خاص بمولانا جل وعز فقط"(٤)، فعرف الإله بواجب الوجود، والمستحق للعبادة، ثم قرر بأن هذا يصدق على كثيرين، وهذا باطل؛ لأنه خلط بين الربوبية والألوهية.

وقد حمل بعض الآيات الواردة في تقرير توحيد الألوهية على توحيد الربوبية، ومن ذلك كقوله:" لم يقم دليل على ربوبية غير مولانا جلّ وعلا ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة النمل:٦٤]، ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [سورة المؤمنون:١١٧]، وكل من ادُّعِيَتْ له الألوهية لم يوجد فيه وصف من أوصافها، ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [سورة لقمان:١١]، ﴿ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٔافِلِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [سورة الأنعام:٧٦]، ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [سورة المائدة:٧٥]، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٨].

---

(١) ينظر: الصحاح (٢٢٢٣/٦).

(٢) ينظر مادة: (أله): الصحاح (٢٢٢٣/٦)، كتاب العين (٩٠/٤)، معجم مقاييس اللغة (١٢٧/١)، لسان العرب (٤٦٧/١٣)، تاج العروس (٣٦/ ٣٢٠)، القاموس المحيط (١٦٠٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (١٢٧/١).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٤/أ).

والحاصل أنه: لو كان لله تعالى شريكٌ لكان له معاند، فيكون مقهورًا، والمقهور عاجز، والوجود معلوم بآثار قدرته، ولذلك قيل: وفي كلِّ شيء له آية تدلُّ على أنه الواحد"(١).

فترتب على الخلل به جعل توحيد الربوبية هو الغاية، وحصره للشرك بالشرك في الربوبية فقط، كما هو ظاهر من تقريره السابق.

ومن خلطه بين الربوبية والألوهية أن قال بعد تقريره بأن المقصود الأعظم من لفظ الشهادة هو ثبوت الألوهية:" قد يُقال: لا نُسلم أن المقصود الأعظم ثبوت الألوهية لله؛ بل نفي الألوهية عن غير الله؛ لأنه المتنازع فيه بيننا وبين المشركين، وأما ثبوت الألوهية لله تعالى فهذا غير أعظم؛ لأنه لا نزاع في ذلك بيننا وبينهم، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦١]، ولا غيره، بخلاف المعطلة الذين عطلوا المصنوع عن الصانع بمخالفة الدليل العقلي"[٢]، وهذا خلط ظاهر بين الربوبية والألوهية، حتى استدل بالآية التي تقرر الربوبية على الألوهية!

والحق أن " الإله هو بمعنى: المألوه المعبود، الذي يستحق العبادة، ليس هو الإله بمعنى القادر على الخلق، فإذا فسر المفسر الإله بمعنى القادر على الاختراع، واعتقد أن هذا أخص وصف الإله، وجعل إثبات هذا التوحيد هو الغاية في التوحيد، كما يفعل ذلك من يفعله من متكلمة الصفاتية- وهو الذي ينقلونه عن أبي الحسن وأتباعه- لم يعرفوا حقيقة التوحيد الذي بعث الله به رسوله، فإن مشركي العرب كانوا مقرين بأن الله وحده خالق كل شيء، وكانوا مع هذا مشركين، قال تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يوسف:١٠٦]، قال طائفة من السلف: تسألهم من خلق السماوات والأرض؟ فيقولون: الله، وهم مع هذا يعبدون غيره[٣]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ

---

(١) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٢).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٣/أ).

(٣) ينظر تقريرات السلف في سورة يوسف، على آية رقم١٠٦: جامع البيان للطبري (٣٧٢/١٣)، تفسير ابن كثير (٤١٨/٤).

﴿٨٩﴾ [سورة المؤمنون:٨٤-٨٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦١]، فليس كل من أقر أن الله رب كل شيء وخالقه يكون عابدا له دون ما سواه داعيا له دون ما سواه، راجيا خائفا منه دون ما سواه، يوالي فيه، ويعادي فيه، ويطيع رسله، ويأمر بما أمر به، وينهي عما نهى عنه"(١).

الألوهية شرعا:

قرر محمد بن جعفر الكتاني تفسير الألوهية بالربوبية، وتفسيرها بالعبودية، وجعل تفسيرها بالربوبية هو الأقرب، ومن تقريراته قوله عن الإله في الاصطلاح:" اصطلاحًا: المستغني عن كل ما سواه، والمفتقر إليه كل ما عداه، فمعنى "لا إله إلا الله": لا مستغنى عن كل ما سواه، ويفتقر إليه كل ما عداه؛ إلا الله"(٢)، ففسر الألوهية بالربوبية، مع أنه قال في موضع آخر:" "لا إله غيره، أي: لا معبود بحق سواه، حتى أسأله وأطلب حاجتي منه، ولا شريك له في ملكه، ولا منازع له في حكمه، ولا تحجير عليه في تصرفه، بل لا رادَّ لأمره، ولا مُعقِّب لحكمه "(٣)، ففسرها بلا معبود بحق إلا الله، ثم فصّلها بمعاني الربوبية.

وقرر بأن معنى "لا إله إلا الله": "إثبات الوحدانية لله بإثبات الألوهية له تعالى، ونفيها عن غيره، شرط في الإيمان"(٤).

وقال في حكم تارك التوحيد:" واعلم أن جهل ما لا بد منه من الصفات مما لا يقع الدخول في الإسلام إلا به كالألوهية والوحدانية، لا إشكال في أنه كفر وجهل"(٥).

وقال في الشهادتين:" لا شك أنها محتوية على نفي وإثبات؛ فالمنفي حقيقة الإله، من حيث تحققها في كل فرد غير الله، والمثبت من تلك الحقيقة فرد واحد وهو مولانا جل وعز"(٦).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٢٢٦-٢٢٧).

(٢) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٢)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧١/ب-٧٢/أ، ٧٤/ب، ٩٢/أ).

(٣) شرح على دلائل الخيرات (ل ٢٦).

(٤) شفاء الأسقام والآلام (٥٣)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٠/أ، ل ٧٣/أ).

(٥) الكشف والبيان (٢٣٣)، وينظر المرجع نفسه (٢٦٢)، شفاء الأسقام والآلام (٤٢، ٥٣)

(٦) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٤/أ).

إلا أنه يميل لتفسيرها بلا مستغني عن كل ما سواه إلا الله، لهذا يفسرها بالربوبية، وهذا هو وجه الجمع بين أقواله، حيث قال بعد تقريره السابق:" فالمعنى على هذا: لا مستحق للعبودية له موجود أو في الوجود إلا الفرد الذي هو خالق العالم جل وعلا، وإن شئت قلت في معنى الإله: هو المستغني عن كل ما سواه، والمفتقر إليه كل ما عداه.

فالتفسير الأول مأخوذ من أله، إذا عبد، والتفسير الثاني تفسير باللازم؛ لأنه يلزم من كونه مستحقا للعبودية استغناؤه عن كل ما سواه، وافتقار كل ما عداه إليه...

والمعنى الثاني أظهر من المعنى الأول وأقرب منه باعتبار اندراج العقائد تحته، بخلاف المعنى الأول، فإن أخذ العقائد تحته فيه خفاء، وإن كان يصح أيضا، وإلا فالمعنى الأول أصل لهذا المعنى الثاني، وأقرب منه إلى المعنى؛ لأنه لا يستغني عن كل ما سواه ويفتقر إليه كل ما عداه إلا من استحق أن يُعبد؛ أي: يذل له كل شيء؛ لأن ذلة كل شيء له تستلزم استغناؤه والافتقار إليه"(١).

فقرر بأن تفسير الألوهية بالمستغني عن كل ما سواه أظهر وأقرب من تفسيرها باستحقاق العبودية لله؛ باعتبار اندراج العقائد تحته-برأيه-، بخلاف تفسيرها باستحقاق الله للعبودية، لأنه كما يرى بأن أخذ العقائد تحته فيه خفاء! مع أن العكس هو الصحيح؛ لأن إثبات استغناء الله عن كل ما سواه لا يندرج تحته إلا توحيد الربوبية الذي أقر به المشركين، والربوبية عمل قلبي لا يتعدى القلب، ولذا سمي توحيد المعرفة والإثبات، أو التوحيد العلمي، بخلاف إثبات استحقاق الله تعالى وحده للعبادة، لأن توحيد الألوهية والعبادة عمل قلبي وبدني، فلا يكفي فيه عمل القلب، بل يتعداه إلى السلوك والعمل قصداً لله وحده لا شريك له، هذا مع تقريره بأن تفسيرها بلا مستحق للعبودية هو الأصل والأقرب للمعنى، إلا أنه لا يميل إليه.

ويظهر بأن سبب عدم ميل الكتاني إليه هو بسبب تقريره بأن أول واجب على المكلف هو المعرفة أو القصد إليها، فمال إلى تفسيرها بالربوبية وهو أول الواجبات عنده، وهذا باطل كما سبق.

---

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٧٤/أ- ل ٧٤/ب).

والتفسير الحق الموافق لما قرره السلف الصالح هو تفسير الألوهية بالعبودية، وبإفراد الله بالعبادة، وهذا الموافق لما قرره أهل اللغة في معنى الإله؛ لأن ثمت توافق بين المعنى اللغوي والشرعي في مفهوم الألوهية؛ إذ أن مدارها على العبادة.

فالألوهية هي إفراد الله بجميع أنواع العبادة، وإخلاص الدين له سبحانه وحده لا شريك له، فلا يجوز صرف أي نوع من أنواع العبادات إلا له سبحانه[١]، ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير لفظ الجلالة: «الله: ذو الألوهية والمعبودية على خلقه أجمعين»[٢].

يقول العلامة المقريزي[٣] رحمه الله:" والإلهيّة: كون العباد يتّخذونه سبحانه محبوبًا مألوها، ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والإخبات، والتّوبة والنّذر والطّاعة، والطّلب والتّوكل ونحو هذه الأشياء" [٤].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن[٥]-رحمه الله-: " و"الإله" هو: الذي تألهه القلوب بأي نوع كان من أنواع العبادة كما تقدم، فمن صرف من العبادة شيئاً لغير الله، كالدعاء ونحوه فقد ألهه بالعبادة، واتخذه إلهاً من دون الله، ولا يختلف كلام أهل اللغة وأهل السنة سلفاً وخلفاً عن هذا المعنى"[٦].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٣/٥١٠)، لوامع الأنوار البهية (١/١٢٩)، تيسير العزيز الحميد (٢٠)، القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٤-١٥)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٤-١٦).

(٢) جامع البيان (١/١٢١).

(٣) هو: أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد بن إبراهيم تقي الدين المقريزي، الفقيه الشافعي المحدث والمؤرخ السلفي، من مؤلفاته: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تجريد التوحيد المفيد، توفي عامي ٨٤٥هـ، ينظر: شذرات الذهب (٩/٣٧٠)، هدية العارفين (١/١٢٧).

(٤) تجريد التوحيد المفيد للمقريزي (ص٥).

(٥) هو: عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، المجدد الثاني، حفيد إمام الدعوة، من مؤلفاته: فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد، المورد العذب الزلال، توفي عام١٢٨٥هـ، ينظر: الأعلام (٣/٣٠٤)، مشاهير علما نجد (٣٠٧).

(٦) كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس لعبد الرحمن بن حسن (ص١٨٥).

فلا إله إلا الله هي كلمة الإخلاص والتوحيد، التي لا يتم إسلام عبد دون تحقيق معناها، والعمل بمدلولها، وهي تعني: إفراد الله بالعبادة وحده لا شريك له، والبراءة من كل معبود سواه، فمعناها كما قرر ذلك السلف الصالح: لا معبود بحق إلا الله(١).

وهذا هو المعنى الذي اتفقت عليه دعوة المرسلين، وشرائع النبيين، فما من رسول أرسله الله-عز وجل-إلا دعا قومه إليه، وحذرهم مخالفته، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [سورة الأنبياء:٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾﴾ [سورة النحل:٣٦].

فلا يدخل أحد في الإسلام إلا بعد إثبات العبودية لله وحده ونفيها عن غيره، لا بإثبات استغنائه عن كل ما سواه، لأن هذا من معاني توحيد الربوبية، وهو مركوز في الفطر، يقول العلامة الصنعاني-رحمه الله- في تقرير هذا:" إن رسل الله وأنبياءه من أولهم إلى آخرهم بُعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة، ... وهذا هو الذي تضمَّنه قول (لا إله إلاَّ الله)، فإنما دعت الرسلُ أممَها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها، لا مجرَّد قولها باللسان.

ومعناها: هو إفراد الله بالإلهية والعبادة، والنفي لِما يُعبد من دونه والبراءة منه، وهذا الأصل لا مرية فيما تضمَّنه، ولا شك فيه، وفي أنّه لا يتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه"(٢).

مع التنبيه على أن محمد بن جعفر الكتاني قال في تقريره السابق:" والتفسير الثاني تفسير باللازم؛ لأنه يلزم من كونه مستحقا للعبودية استغناؤه عن كل ما سواه، وافتقار كل ما عداه إليه"(٣)، وهذا غلط، والعكس هو الصحيح؛ لأن توحيد الربوبية الذي يقر به المشركين مستلزم لتوحيد الألوهية، بمعنى أن كونه تعالى مستغن عن كل ما سواه مفتقر إليه كل ما عداه

---

(١) ينظر: جامع البيان (٣٢/١٢، ٥٨٧/١٤، ٢٦١/١٥)، مجموع الفتاوى (١٠١/٣، ٢٠٢/١٣-٢٠٥)، تفسير ابن كثير (٥٠٨/٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٤/١)، تجريد التوحيد المفيد، للمقريزي (ص١٥-١٦)، تطهير الاعتقاد للصنعاني (ص٤٧)، تيسير العزيز الحميد (ص٥٢)، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص٣٦)، الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى لابن حجي الحنبلي (ص١٩)، معارج القبول بشرح سلم الوصول لحافظ الحكمي (٤٠٦/٢)، أضواء البيان (٥٠٨/٤، ٢٧٣/٦).

(٢) تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للصنعاني (ص٤٧).

(٣) حاشية على شرح ميارة (ل ٧٤/أ- ل ٧٤/ب).

يلزم منه استحقاقه للعبادة وحده دون ما سواه؛ ، لكن محمد بن جعفر الكتاني جعل الألوهية مستلزمه للربوبية، مع أنه لا أحد يقر بالألوهية إلا بعد إقراره بالربوبية؛ لأن توحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية، لا العكس، وهذا يؤكد على عدم تفريقه بين توحيد الربوبية والألوهية وخلطه بينهما(١)، يقول ابن القيم-رحمه الله-:"والإلهية التي دعت الرسل أممهم إلى توحيد الرب بها: هي العبادة والتأليه ومن لوازمها: توحيد الربوبية الذي أقر به المشركون، فاحتج الله عليهم به فإنه يلزم من الإقرار به الاقرار بتوحيد الإلهية"(٢).

وقد نتج عن ميل الكتاني لتفسير الإلهية بتوحيد الربوبية، حصره للشرك في الشرك في الربوبية، وإقراره لبعض صور الشرك، بدعوى عدم الإشراك بالربوبية! كما سيأتي بحول الله تعالى.

فيكون محمد بن جعفر الكتاني في هذا مخالف لمنهج السلف الصالح، وموافق لمنهج المتكلمين، حيث عدوا التوحيد شيئا واحدا، وهو الإقرار بالربوبية، كما حصروا الشرك فيه.

المطلب الثاني: آراؤه في معنى العبادة وما يتعلق بها

تقدم أن المراد بتوحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادات كلها، ولا بد هنا من بيان رأي محمد بن جعفر الكتاني بمعنى العبادة، وشروط قبولها عند الله، وهو في الحقيقة لم يعط هذا الموضوع حقه من الاهتمام والبحث؛ نهجا على منهج الأشاعرة-كما سبق-إلا أن في تقريراته كفاية ببيان رأيه فيها، ويشمل هذا المطلب المسائل التالية:

- **معنى العبادة.**

عرّف محمد بن جعفر الكتاني العبادة بالطاعة بذلّ وتواضع، حيث يقول: «العبادة: الخدمة والطاعة، بذل وتواضع وخضوع»(٣).

وقال عن العبودية والعبادة: "أصلها: التذلل والخضوع، كما في "الصحاح"(١)، وشأن المملوك أن يتذلل ويخضع لمالكه، ... فالعبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال"(٢).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/١٤٠)، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، لعبد العزيز السلمان (٤٢٢).

(٢) إغاثة اللهفان (٢/١٣٦).

(٣) شرح على دلائل الخيرات (ل ٧).

وقرر بأن أصل العبودية تقرب العبد إلى الله تعالى، حيث قال:" وأصل التعبدات أن يتقرب العبد إلى الله تعالى"(٣).

وقال في شمول معنى العبادة للعبادات الظاهرة والباطنة في بيانه للإخلاص: "الإخلاص: تصفية العمل من طلب عوض، وغرض، وعرض، ورؤية، ورؤيا، فإن العمل إذا كان مشوبًا بشيء من ذلك لا يجزي شيئا؛ لأن الإخلاص شرط في صحة جميع العبادات، الظاهرة، والباطنة"(٤).

- المناقشة:

قرر محمد بن جعفر الكتاني ما قرره أهل اللغة؛ فأصل العبادة في اللغة راجع إلى معنى الخضوع والذل، إلا أنه أخص منه، لأن العبادة هي غاية الذل والخضوع، فليس كل من ذل وخضع يكون عابدا، فالعبادة لا بد فيها من الذل والخضوع، وهذا ما يقرره أهل اللغة والذي أشار إليه الكتاني، يقول الراغب الأصفهاني: "العبودية: إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل، ولا يستحقها إلا من له غاية الإفضال، وهو الله تعالى، ولهذا قال: ألا تعبدوا إلا إياه"(٥).

وقال الزجاج(٦): «معنى العبادة في اللغة: الطاعة مع الخضوع، ومنه طريق معبد إذا كان مذللا بكثرة الوطء»(٧).

---

(١) ينظر: الصحاح مادة: (عبد)، (٥٠٣/٢).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١/أ)، وينظر المرجع نفسه (ل ٦٧/ب).

(٣) ينظر: شرح دلائل الخيرات (ل ٥).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩٢/أ).

(٥) المفردات في غريب القرآن (٥٤٢).

(٦) هو: إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج، أبو إسحاق، نحوي لغوي مفسر، كان يخرط الزجاج، من مؤلفاته: العروض، مختصر النحو، توفي عام ٣١١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٦٠/١٤)، الأعلام (٤٠/١).

(٧) لسان العرب، مادة: (عبد)، (٢٧٣/٣)، وينظر: تهذيب اللغة، مادة: (عبد) (٢٣٤/٢).

وقال ابن جرير رحمه الله: «العبودية عند جميع العرب أصلها الذلة، وأنها تسمي الطريق المذلل الذي قد وطئته الأقدام وذللته السابلة معبَّد»(١)، وقال الجوهري: « وأصل العبودية: الخضوع والذلّ»(٢).

والعبادة في الشرع موافقة في أصلها للمعنى اللغوي، ومعانيها تتنوع بحسب اعتبارات سياقاتها، وقد تنوعت عبارات السلف في تعريفها، وهي متّفقة؛ لأن بعض العلماء يعرفها باعتبار أصلها، فهي مصدر بمعنى التعبُّد الذي هو فعلٌ للعابد، وعلى هذا تعريفات بعض الأئمة، كابن جرير-رحمه الله-حيث قال:" معنى العبادة: الخضوعُ لله بالطاعة، والتذلل له بالاستكانة"(٣).

وقال ابن تيمية رحمه الله: « العبادة المأمور بها تتضمن: معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله، بغاية المحبة له»(٤).

وقال ابن كثير:" العبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد، وبعير معبد، أي: مذلل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"(٥).

وكذلك تعريف ابن القيم رحمه الله لها بهذا الاعتبار، حيث قال: « العبادة تجمع أصلين: غاية الحب، بغاية الذل والخضوع»(٦).

وهذه التعاريف هي باعتبار الوصف القائم بالعبد، ظاهرا أو باطنا، وقد تُعرف العبادة باعتبار ما يتعبد به، ولعل أشمل تعريف لها بهذا الاعتبار تعريف شيخ الإسلام رحمه الله بأنها: «اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»(٧).

---

(١) جامع البيان (١/١٦١).

(٢) الصحاح مادة: (عبد)، (٢/٥٠٣).

(٣) جامع البيان (١/٣٦٣).

(٤) العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٨).

(٥) تفسير ابن كثير (١/١٣٤).

(٦) مدارج السالكين (١/٧٤).

(٧) العبودية (ص٤٤).

فعبارات السلف في تعريف العبادة لا تخرج عما سبق، ولهذا يسمّى توحيد الألوهية توحيد العبادة باعتبارين:

-باعتبار إضافته إلى الله ﷻ، يسمى توحيد الألوهية.

-باعتبار إضافته إلى الخلق، يسمى توحيد العبادة، وهو إفراد الله ﷻ بالعبادة(١).

وتعريف العبادة باعتبار أصلها بمعنى التعبد والتقرب هو ما قرره الكتاني، وهي بهذا المعنى التذلل لله والخضوع له، بفعل أوامره واجتناب نواهيه، مع المحبة والتعظيم، إلا أن العبادة عند الكتاني مشروطه باعتقاد الخالقية والربوبية، وهذا ما سيتضح بالتالي:

- **شروط قبول العبادة.**

يقول محمد بن جعفر الكتاني في أسباب حبوط العمل: "وجعل الله تعالى في كتابه لإحباط العمل سببين: **أحدهما**: الإشراك بالله - تعالى- في قوله: ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝﴾ **[سورة الزمر:٦٥]**، وقوله: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝﴾ **[سورة المائدة:٥].**

والثاني: الإخلال بالأدب معه-صلى الله عليه وسلم-في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ إلى قوله: ﴿ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝﴾ **[سورة الحجرات:٢]**، وهذا فيه من الإجلال لشأنه والتعظيم لقدره ما لا يوصف، حيث كان الإخلال بالأدب معه موازيا للكفر في إحباط العمل، وجعله هباء منثورا" (٢).

وقرر بأن أولى الناس بالنبي-صلى الله عليه وسلم-هو شديد المحبة له، وأن شدة محبته-صلى الله عليه وسلم- تدل على قوة متابعته، حيث يقول:"وشدة محبته تدل على قوة متابعته"(٣)، مع أن العكس هو الصحيح كما سيتبين.

(١) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١٤/١).

(٢) جلاء القلوب (٢٩٠/٣).

(٣) ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٢١).

وقد قرر جملة من العبادات المبتدعة بناء على ما ذكره من كون شدة المحبة تدل على قوة المتابعة، كتقريره الاحتفال بمولد النبي-صلى الله عليه وسلم-، وإقامة المواسم على قبور الأولياء، والتمسح بقبور الصالحين والستور المعلقة عندها، ومسح الوجه عند سماع اسم النبي-صلى الله عليه وسلم-، وتقبيل اسمه -صلى الله عليه وسلم- عند رؤيته في كتاب ووضعه على العينين، بحجة أن من كانت نيته المحبة والتعظيم للنبي-صلى الله عليه وسلم- فعمله خير، لأن المحبة والتعظيم- كما يرى- أصلان ينشأ عنهما جميع الخيرات(١).

ومن تقريراته قوله: "وقد أكثر الناس الكلام على عمل الموالد، على ما جرت به العوائد من إيقاد الشّمع، وإمتاع حاستي البصر والسمع، والصدقات والمعروف، وعمل الولائم على الوجه المألوف، وإنشاد القصائد المدحية، والجهر بالصلاة على خير البرية، وغير ذلك مما لا إنكار فيه شرعا، ولا يخرم المروءة عادة ولا طبعا، وأنه يرجى لفاعله بفعله ونيته الثواب الجزيل هنالك، والأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن"(٢).

وقال في تقبيل اسمه-صلى الله عليه وسلم-عند رؤيته: "ذكر غير واحد في تقبيل هذا الاسم الشريف عند رؤيته في كتاب، ووضعه على العينين مع الصلاة والسلام على صاحبه عند ذلك، فضلا كبيرا وخيرا عظيما كثيرا، وأوردوا في ذلك منامات وحكايات، والأعمال بالنيات، والمحبة والتعظيم أصلان ينشأ عنهما جميع الخيرات"(٣).

النقد:

عبادة الله ﷻ لا بد فيها من الإخلاص لله ﷻ، وعدم الإشراك به، وهذا ما قرره الكتاني، لكن لا بد لها أيضا من المتابعة لنبيه -صلى الله عليه وسلم-، وهذا لم يشترطه الكتاني في قبول العمل عند الله، مع أن الله تعالى يقول: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ

---

(١) ينظر: سلوة الأنفاس (٢٠٧/١)، جلاء القلوب (٤٦/٣)، إسعاف الراغب الشائق (٧٣، ٨١، ٩٩)، عمدة الراوين (٣٣/٩-٣٤).

(٢) اليمن والإسعاد (٩٩)، وينظر: إسعاف الراغب الشائق (٨٣).

(٣) جلاء القلوب (٤٦/٣).

بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾ [سورة الكهف:١١٠]، وهذه الآية جمعت بين شرطي العبادة، وهما: الإخلاص والمتابعة، يقول الشيخ ابن سعدي رحمه الله فيها: «﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ وهو: الموافق لشرع الله، من واجب ومستحب، ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴿١١٠﴾﴾ أي: لا يرائي بعمله بل يعمله خالصا لوجه الله تعالى، فهذا الذي جمع بين الإخلاص والمتابعة، هو الذي ينال ما يرجو ويطلب، وأما من عدا ذلك، فإنه خاسر في دنياه وأخراه، وقد فاته القرب من مولاه، ونيل رضاه"(١).

وقال عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النساء:١٢٥].

ووجه دلالة هذه الآية: أن الله عز وجل ذكر أنه لا أحد أحسن دينا ممن جمع بين شيئين:

الأول: ﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ﴾ أي أخلص العمل لربه عز وجل وحده لا شريك له، فعمل إيمانا واحتسابا، وهذا الشرط الأول من شروط قبول العمل.

الثاني: ﴿وَهُوَ﴾ أي مع هذا: ﴿﴿مُحْسِنٌ﴾﴾ أي: اتبع في عمله ما شرعه الله له، وما أرسل به رسوله من الهدى ودين الحق، وهذا الشرط الثاني من شروط قبول العمل عند الله تعالى.

فذكر الله سبحانه في هذه الآية هذان الشرطان اللذان لا يصح عمل عامل بدونهما، وهما: الإخلاص والمتابعة(٢).

وجاء عن الفضيل بن عياض رحمه الله في قوله: قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۗ﴾ [سورة هود:٧]، قال: «أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه ؟ قال: إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة»(٣)

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في نفسير كلام المنان (٤٨٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧٥/٢٨)، مدارج السالكين (٨٤/١) تفسير ابن كثير (٤٢٢/٢)، تفسير ابن سعدي: (٢٠٦).

(٣) مجموع الفتاوى (١٢٤/٣)، وينظر المصدر نفسه (٣٣٣/١) مفتاح دار السعادة (٨٢/١) مدارج السالكين (٨٣/١).

فالعبرة بإحسان العمل وإتقانه إخلاصا ومتابعة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان شروط العبادة: «لا بد في عبادته من أصلين:

أحدهما: إخلاص الدين له.

والثاني: موافقة أمره الذي بعث به رسله»(١).

ومتى ما فقد العمل شرط من هذين الشرطين حبط وضاع، يقول ابن القيم رحمه الله: «والأعمال أربعة: واحد مقبول، وثلاثة مردودة، فالمقبول: ما كان لله خالصا، وللسنة موافقا، والمردود: ما فقد منه الوصفان أو أحدهما؛ وذلك أن العمل المقبول: هو ما أحبه الله ورضيه، وهو سبحانه إنما يحب ما أمر به، وما عمل لوجهه، وما عدا ذلك من الأعمال فإنه لا يحبها، بل يمقتها ويمقت أهلها»(٢).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني في أن الإشراك بالله سبب لإحباط العمل، وأن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه حق؛ وذلك لأن الشرك فقد الإخلاص، فحبط معه العمل، والطاعات معه غير نافعة من العذاب عليه قال ﷻ: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٨٨﴾ [سورة الأنعام:٨٨]، وقال: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٦٥﴾ [سورة الزمر:٦٥].

لكن الخلل هو في معنى الشرك بالله تعالى عنده؛ لأن الكتاني -كما سبق وكما سيأتي- حصر الشرك بالشرك في الربوبية.

كما أن الخلل أيضا عنده في تقريره للسبب الثاني من أسباب إحباط العمل وهو: سوء الأدب معه-صلى الله عليه وسلم-، فسوء الأدب مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحقيقة هو بعدم متابعته في جميع الأقوال والأفعال، وعدم الانقياد التام والطاعة المطلقة له، وعدم تقديم قوله-صلى الله عليه وسلم- على جميع أقوال الناس.

وهذا السبب الذي قرره الكتاني-وهو كون سوء الأدب من أسباب إحباط العمل- سبب مُوهم، كل يفهمه بحسب فهمه، ومن ذلك فهم الكتاني نفسه بأن مطالبة من عظّم

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢٤/٣)، وينظر: العبودية (٧١).

(٢) إعلام الموقعين (١٨١/٢).

النبي-صلى الله عليه وسلم-بدليل خاص، فيها سوء أدب مع النبي-صلى الله عليه وسلم-، حيث قال:"وقد عدوا من سوء الأدب معه-صلى الله عليه وسلم-وفي حقه البحث فيما مال إلى تعظيمه-صلى الله عليه وسلم-وإكباره وإعزازه وبدره والمطالبة فيه بدليل خاص "(١).

وفي هذا فتح لباب التعظيم الشركي بالنبي-صلى الله عليه وسلم-وعدم اشتراط أي شرط إلا إذا كان التعظيم يزاحم وصفا من صفات الربوبية، وهذا بين حقيقة العبادة عنده، وهو أن العبادة مشروطه باعتقاد الخالقية والربوبية، واستحقاق العبادة في المعبود، وأن أي قول أو عمل لا يصاحبه هذا الشرط، فلا يسمى عنده عباده، ولا يكون فيه شرك بالله تعالى، مهما كانت صورته.

ويدل على هذا المعنى للعبادة عنده قال في التفصيل في أحوال التوسل بالأولياء: "ولا يتوسل إلى الولي المزور بالله تعالى، بل يعكس ويتوسل إلى الله تعالى به،-كما ذكرنا-لأنه سبحانه هو الخالق الرازق المعطي المانع الضار النافع المتصرف في عباده على الحقيقة بما شاء وكيف شاء، ولا فعل لغيره سبحانه البتة، والأولياء إنما هم مُصرفون لا متصرفون، ويملكون لا مالكون، ومُشفعون لا متشفع إليهم، ... وسبب هذا الجهل العظيم الصادر منهم، أنهم يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون، وينفعون، ويعزون ويذلون، ويعطون ويمنعون، ويولون ويعزلون، إلى غير ذلك، مما هو مختص بالباري تبارك وتعالى، ولذلك تجد أحدهم يأتي إلى ضريح الولي ويقول له: يا سيدي فلان: أسألك بالله إلا ما شفيتني، أو: إلا ما رفعت عني هذا الضرر...إلى غير ذلك من سؤالاتهم الفظيعة وأحوالهم الذميمة الشنيعة، التي يوهمون بها وجود شريك مع الباري سبحانه.

وقائل ذلك ونحوه إن اعتقد أن الولي هو الذي يؤثر في قضاء حاجته، ويوجد ما بقدرته على حسب إرادته كما يوجدها الباري سبحانه، كفر وكان مرتدا؛ لأنه أشرك مع الله غيره.

وإن اعتقد أنه يؤثر فيها بما جعله الله فيه من القوة والسر، كان مبتدعا، وفي كفره خلاف.

وإن اعتقد نفي التأثير عنه رأسا، وكان يرى أن الفاعل المختار في جميع الأشياء هو الله سبحانه لا غيره من جميع المخلوقات، ولكنه يرى أن هذا الولي لعظيم مكانته عند مولاه، ورفيع

---

(١) جلاء القلوب (٣/٢٥٢-٢٥٣)، وينظر (ص٦٤٦)، من هذا البحث.

منزلته لديه، رزقه الله التصرف في مملكته، فهو يولي فيها ويعزل، ويعطي ويمنع، ويضر وينفع بإذن منه سبحانه على حسب ما جرى به علمه تعالى، وتعلقت به إرادته في سابق أزليته، بحيث لا يولي إلا من أراد الله توليته، ولا يعزل إلا من أراد عزله، ...وهكذا؛ كان مصيبا في اعتقاده المذكور، موافقا فيه لاعتقاد أهل السنة والجماعة، إلا أنه مخطئ من جهة إسناد الفعل ظاهرا إلى من ليس له على الحقيقة، مع أن المقام لا يصلح لذلك؛ لما فيه من شدة إيهام التأثير لغيره سبحانه، سيما إن وقع بحضرة الجهال ومن لا علم عندهم بالعقائد، ووقع من شخص مقتدى به، ولو في الجملة، فإنه ربما يوقعهم بكلامه في اعتقاد الكفر من حيث لا يشعر ولا يشعرون، فاجتنب ذلك هداك الله ووفقك، ولا تنسب الأشياء إلا إلى خالقها وبارئها، ولا تسألها إلا منه سبحانه"(١).

وهذا يبين مخالفة محمد بن جعفر الكتاني للكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، وبيان ذلك فيما يلي:

- **انحرافه في معنى العبادة والشرك:**

حيث جعل العبادة مشروطة باعتقاد الخالقية والربوبية، واعتقاد التأثير المستقل، واستحقاق العبادة في المعبود، فأي قول أو عمل لا يصاحبه ذلك الشرط فلا يسمى عبادة عنده، ولا يكون فيه شرك.

وعليه فأي صورة للعبادة عنده صرفت لغير الله تعالى، لا تعد بذلك شركا، إلا بهذين القيدين، وهما: اعتقاد استحقاق الألوهية والربوبية في المعبود، واعتقاد التأثير المستقل له، ما دام أن نيته محبة النبي - صلى الله عليه وسلم-وتعظيمه، وما قرره هنا باطل من أوجه:

-أن هذا مخالف لما جاء في نصوص كثيرة من أن المشركين السابقين كانوا مقرين بوحدانية الله تعالى في الخلق، وأن له ملك السماوات والأرض، وأنه مدبر الأمر وحدة، وأن الأصنام التي كانوا يعبدونها لم تكن سوى شفعاء يشفعون لهم عند الله، ولم يكن لها من الملك والتدبير شيء.

وقد تنوعت الأدلة في تقرير هذا المعنى، ومن ذلك الإخبار عن جواب المشركين الصريح حين يسألون عن خالق السماوات والأرض، ومدبر الأمر ومالك السمع والبصر بأنه الله تعالى

---

(١) سلوة الأنفاس (١/٥٤-٥٥).

وحده، ومع ذلك سمى الله ما يصرفونه للأصنام والأوثان عبادة منهم لها، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [سورة يونس:٣١].

ومن الأدلة إخباره عز وجل بتصريح المشركين أن عبادتهم لما اتخذوا من دون الله أولياء إنما هي لطب القربى والشفاعة عند الله تعالى، وأنهم شفعاء لهم عند الله، وأنهم وسائط لهم في قضاء الحاجات، مما يدل على أن عبادتهم لها لم يصاحبها اعتقاد الاستقلال بالتأثير والتدبير في تلك المعبودات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة الزمر:٣]، يقول ابن جرير الطبري-رحمه الله- في تفسير هذه الآية:" فلولا نصر هؤلاء الذين أهلكناهم من الأمم الخالية قبلهم، أوثانهم وآلهتهم التي اتخذوا عبادتها قربانا يتقربون بها فيما زعموا إلى ربهم منا إذ جاءهم بأسنا، فتنقذهم من عذابنا إن كانت تشفع لهم عند ربهم كما يزعمون، وهذا احتجاج من الله لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- على مشركي قومه، يقول لهم: لو كانت آلهتكم التي تعبدون من دون الله تغني عنكم شيئا، أو تنفعكم عند الله كما تزعمون أنكم إنما تعبدونها لتقربكم إلى الله زلفى، لأغنت عمن كان قبلكم من الأمم التي أهلكتها بعبادتهم إياها، فدفعت عنها العذاب إذا نزل، أو لشفعت لهم عند ربهم، فقد كانوا من عبادتها على مثل الذي عليه أنتم، ولكنها ضرتهم ولم تنفعهم"(١)، فحال عباد الأوثان من مشركي العرب ومشركي الأمم قبلهم، أنهم لم يعبدوها معتقدين استقلالها في خلق وملك، وإنما هو للتقرب إلى الله، الذي هو رب الجميع في اعتقادهم.

-أن حقيقة هذا القول ألا يكون هناك أقوال ولا أعمال شركية بذاتها، ولا يحكم على أحد بشرك إن اقترفه مالم يظهر ما في باطنه، وأنه معتقد استقلال الخلق والتدبير فيمن يصرف إليه أقواله وأعماله التي هي من أعمال المشركين وأقوالهم، كدعاء غير الله، والسجود والركوع له

---

(١) جامع البيان (١٦٢/٢١).

والذبح والنذر له-على هذا-ليس من الشرك إلا إذا عرف ما يقوم في باطن صاحب العمل، فإن كان فاعلها معتقدا ربوبية من دعاه أو صرف له شيئا من تلك العبادات كان ذلك في حقه شركا بربه، وإن خلا من ذلك فليس بمشرك.

وهذا في الحقيقة ما وقع فيه الكتاني في تقريره السابق في أحوال التوسل بالأولياء.

-أن اعتقاد ربوبية غير الله شرك في نفسه، سواء صاحبه قول أو عمل، أو لا، فمن لم يقر لله تعالى بوحدانيته في ربوبيته فهو مشرك، حتى لو لم يصرف له شيئا من العبادات(١).

وتقريراته هذه في الحقيقة ترجع إلى رأيه في الإيمان والكفر-كما سيأتي-، فقد حصر الإيمان بالتصديق، وجعل الكفر بالاعتقاد فقط، وسياتي مناقشة هذا في موضعه بحول الله تعالى(٢).

-جعله المحبة والتعظيم أصلان ينشأ عنهما جميع الخيرات، وقوله بأن شدة محبته-صلى الله عليه وسلم- تدل على قوة متابعته، وتقريره لجملة من العبادات المبتدعة بناء على ذلك.

والصواب أن محبة النبي -صلى الله عليه وسلم-وتعظيمه هو باتباع سنته، لا بالغلو فيه والإفراط في تعظيمه، وأن قوة متابعته دليل على شدة محبته-صلى الله عليه وسلم- لا العكس، لأن شدة محبته-صلى الله عليه وسلم- قد تكون بلا متابعته له، ولا اقتفاء بسنته، فلا عبرة بالمحبة حينئذ، لأن الأعمال لا تقبل بمجرد محبته-صلى الله عليه وسلم-.

فمحمد بن جعفر الكتاني لم يشترط شرك المتابعة في قبول العمل، مع أن متابعة النبي -صلى الله عليه وسلم- هي التي ينشأ عنها جميع الخيرات، وتقبل فيها الأعمال، لا مجرد المحبة؛ لأنه قد يترتب عليها بعض الأمور المبتدعة التي لا دليل عليها من كتاب الله-عز وجل- ولا سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-.

وأساس تعظيم للنبي -صلى الله عليه وسلم- وقاعدته التي ينبني عليها هو: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واجتناب ما عنه نهي وزجر، وعبادة الله بما شرع، فمن فقد هذا الأساس أو أخل به فقد أخل بتعظيمه وتوقيره- صلى الله عليه وسلم-، فالمحبة المقرونة بتعظيم

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٩٢/١)، درء تعارض العقل والنقل (٣٩٠/٧)، شرح العقيدة الطحاوية (٣٨/١).

(٢) ينظر رأيه في الإيمان: (ص ٨٢٦)، ورأيه في الكفر (٨٥٠).

النبي ومتابعته-صلى الله عليه وسلم-، وتصديقه، واجتناب ما نهى عنه، هي التي ينشأ عنها جميع الخيرات في الدنيا والآخرة [١].

-احتجاجه بحديث ((إنما الاعمال بالنيات)) [٢] في تقرير العبادات التي قُصد بها تعظيم النبي-صلى الله عليه وسلم ومحبته، وإن لم يدل الدليل عليها.

والحق أن النية الحسنة الطيّبة وحدها لا تكفي بلا متابعة للنبي-صلى الله عليه وسلم-، والعمل الصالح لا يكون صالحا إلا إذا كان موافقا لشرع الله -جل جلاله-، وكان صاحبه فيه مخلصا، وسبق بعض الأدلة على ذلك.

ومن ذلك أيضا ما جاء عن أنس بن مالك -رضي الله عنه-، أنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم-، يسألون عن عبادة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلما أُخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إليهم، فقال: ((**أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني**))[٣]، فهذا الحديث يدل على أن نية هؤلاء نية حسنة؛ لأنهم أرادوا التقرب إلى الله -عز وجل-بالعبادة، لكنهم سألوا عن عبادة النبي-صلى الله عليه وسلم، ولم يتبعوها، وسلكوا طريقا غير طريق الرسول-صلى الله عليه وسلم-، ظانين بأن غيرها خيرا منها، فمن كان هذا حاله فهو بريء من الله ورسوله، كما قال-صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث: ((**فمن رغب عن سنتي فليس مني**))، لأن هذه السنة ليست من سنة رسول الله-صلى الله عليه وسلم- **وكما**

---

(١) ينظر: الصارم المنكي (٢٨٨، ٣٣٥)، الأصول الثلاثة وأدلتها لمحمد بن عبد الوهاب (ص١٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-، رقم: (١)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرفوعا.

(٣) رواه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: الترغيب في النكاح، رقم: (٥٠٦٣) من حديث أنس بن مالك مرفوعا.

قال-عز وجل: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [سورة البقرة: ١٣٠].

والذي يجب على كل مسلم ومسلمة أن يعتقد أن خير الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد -صلى الله عليه وسلم-، فليس من الدين ترك الحلال تدينا، كما أنه ليس من الدين التجرؤ على محارم الله-سبحانه وتعالى-، حتى ولو كان العمل سرا، فهؤلاء سألوا أزواج النبي-صلى الله عليه وسلم-عن عمله الذي لا يعرفه إلا أزواجه في بيته، "وقد اتفق المسلمون على أنه ليس لأحد أن يعبد الله بما سنح له وأحبه ورآه، بل لا يعبده إلا بالعبادة الشرعية" (١).

ومما يدل على ذلك أيضا ما رواه البراء بن عازب-رضي الله عنهما- قال: ضحّى خالٌ لي، يقال له أبو بردة، قبل الصلاة، فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((**شاتك شاة لحم**))، فقال: يا رسول الله، إن عندي داجنا جذعة من المعز، قال: ((**اذبحها، ولن تصلح لغيرك**))، ثم قال: ((**من ذبح قبل الصلاة فإنما يذبح لنفسه، ومن ذبح بعد الصلاة فقد تم نسكه وأصاب سنة المسلمين**))(٢).

فالصحابي هنا أحب أن يأكل أهل بيته اللحم، قبل أن يصلي في أول النهار، وكان نيته في هذا حسنة، ولا إشكال في نيته، لكنه ذبح أضحيته قبل أن يصلي، فخالف سنة النبي-صلى الله عليه وسلم- ثم سأل النبي-صلى الله عليه وسلم-فقال له: ((**شاتك شاة لحم**))، فلم يعدها أضحية، لأنها ذبحت قبل ابتداء وقت الذبح الذي يبدأ بعد صلاة العيد، ولم يعذره النبي-صلى الله عليه وسلم-لحسن نيته، بل قال ((**شاتك شاة لحم**))، فلم تقبل أضحيته؛ لأنها فقدت شرطا من شروط قبول العمل وهو المتابعة، ومعنى قوله: ((**شاتك شاة لحم**)): أي لم تعد شاة نسك، ولا ثواب لها، ولا تجزئه عن الأضحية، فرُدت أضحيته بسبب عدم متابعته لسنة النبي-صلى الله عليه وسلم-(٣).

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري، لابن تيمية (١/١٧٤).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: الأضاحي، باب: قول النبي-صلى الله عليه وسلم-ضح بالجذع من المعز، ولن تجزي عن أحد بعدك)، رقم (٥٥٥٦).

(٣) ينظر: فتح الباري (١٠/١٣)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (٦/٢٨٧).

يقول القاضي عياض-رحمه الله- عند كلامه على حديث ((**إنما الأعمال بالنيات**)): "قوله: ((إنما الأعمال بالنيات)) يرجع إلى معنيين: أحدهما: تجريد العمل من الشرك بالله بخالص التوحيد، والآخر: تجريده بخالص السنة"(١).

-تقريره بأن سوء الأدب مع النبي-صلى الله عليه وسلم- من أسباب إحباط العمل.

والصواب الموافق للأدلة، أن سوء الأدب مع النبي-صلى الله عليه وسلم- يكون بعدم اتباعه، وبمخالفة سنته، وهو من أسباب إحباط العمل، وعدم قبوله عند الله تعالى.

يقول ابن القيم-رحمه الله- في تقرير هذا الأصل: "فرأس الأدب معه-صلى الله عليه وسلم-: كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق، دون أن يحمله معارضة خيال باطل، يسميه معقولا، أو يحمله شبهة أو شكا، أو يقدم عليه آراء الرجال، وزبالات أذهانهم، فيوحده بالتحكيم والتسليم، والانقياد والإذعان، كما وحد المرسل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذل، والإنابة والتوكل.

فهما توحيدان لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المرسل، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره، وتصديق خبره، على عرضه على قول شيخه وإمامه، وذوي مذهبه وطائفته "(٢).

بهذا يتبين انحراف آراء محمد بن جعفر الكتاني ومخالفته للكتاب والسنة ولما قرره السلف الصالح في مفهوم العبادة، وشروط قبولها، ومعنى الشرك، وموافقته لسبيل المبتدعة في هذا.

المطلب الثالث: موقفه مما ينافي توحيد العبادة أو يناقضها

قرر محمد بن جعفر الكتاني جملة من المسائل التي تنافي توحيد العبادة أو تقدح فيه، ويمكن تقسيم ما قرره على ما يلي:

- المسألة الأولى: موقفه من المسائل المتعلقة بالقبور:

- اتخاذ القبور مساجد:

قرر محمد بن جعفر الكتاني أن من الأحاديث المتواترة قول النبي-صلى الله عليه وسلم: ((**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**)) (١)(٢)، ثم قصر اللعن على من

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٦/٣٣٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/٣٦٦).

قصدها تعظيما لشأنها، أو للتوجه بالصلاة إليها تعظيما، أو خيف اعتقاد ما لا يجوز في المقبور، وجوّز ذلك لمن قصدها للتبرك بدون التعظيم، ولمن اتخذا مسجدا في جوار صالح، وقصد التبرك بالقرب منه، لا للتعظيم له، حيث قال: "ومحله: إذا فعل ذلك تعظيماً لشأنها أو للتوجه في الصلاة إليها، أو خيف من اعتقاد ما لا يجوز في المقبور فيها، فأما من اتخذا مسجداً في جوار صالح، وقصد التبرك بالقرب منه، لا للتعظيم له، ولا للتوجه إليه، فلا يدخل في الوعيد المذكور"(٣).

وقال في الصلاة على القبر أو إليه: "لا يصلى على القبر، أو إليه تبركا به، أو بقصد تعظيمه، ...وأما لو صلى شخص على قبر أو إليه، إذا كان من جهة القبلة لا بهذا القصد، بل بقصد التقرب إلى الله تعالى في جوار صاحبه لفضله؛ فلا بأس، بل هو مطلوب، وقد صرح الفقهاء بجواز الصلاة في المقبرة، وإليها، إذا كانت طاهرة، وتأولوا النهي عن ذلك"(٤).

وقال عن نفسه في ضريح باني فاس(٥):"قد لازمت ضريحه سنين كثيرة، بحيث كنت لا أسلو عنه أصلا، ولا أجد قلبي إلا به، رزقني الله فيه محبة خاصة، واعتقادا خاصا، نفعني الله به في الدنيا والآخرة، وفطنت فيه أخيرا بمرائي رأيتها: أنه لا يحب التفاتي إلى غيره، ولا تعلقي بأحد من الأولياء بفاس سواه، فقصرت النظر عليه، وصرت لا أتردد إلا إليه"!!(٦)

وقال لما منعه والده من الحج: "ولجأت إلى الله تعالى في الضريح الإدريسي أن يرطب قلبه عليّ، حتى فعل وأذن لي ولله الحمد"(٧).

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٤٧).

(٢) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٠٣-١٠٤).

(٣) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٢٢).

(٤) سلوة الأنفاس (١/٤٩-٥٠).

(٥) ينظر: ترجمته (ص٤٠) من هذا البحث.

(٦) النبذة اليسيرة النافعة (٣٦١-٣٦٢).

(٧) الرحلة السامية (١٠٨)، وينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٢٨٠-٢٨١).

وقد ذكر أن من البدع المكروهة الانحناء للقبر للتسليم"-إن لم يصل إلى أقل حد الركوع، وإلا، حَرُم، وكذا تقبيل الأرض بين يديه، -إن لم يكن معه وضع للجبهة على الأرض-فهو مكروه كراهة شديدة، وإلا، فهو حرام إجماعا، ولا يقول بجوازه مسلم"(١).

وقد قرر بأن السجود للصنم تعظيما اختيارا كفر بالإجماع، حيث نقل مقررا بأن من الكفر:" أن يفعل فعلا أجمعت الأمة على أنه لا يصدر إلا من كافر، كالسجود للصنم تعظيما له واختيارا"(٢).

ويرى محمد بن جعفر الكتاني بأن الدفن في المسجد مكروه كراهة التحريم، ويوضّح سبب وجود بعض الأضرحة في المساجد وهو: " أن المباشرين للدفن كانوا يرون الجواز، ففعلوا ما أداه إليه اجتهادهم، أو أن ذلك الموضع الذي دفنوا فيه كانوا أولا قبل دفنهم به خارجا عن المسجد، متصلا به كالرحبة له، يسمى باسمه مجازا، ثم بعد الدفن أدخل إليه، وصار من جملته حقيقة"(٣).

النقد:

قرر محمد بن جعفر الكتاني اتخاذ القبور مساجد، وتجويز الصلاة والدعاء في المقابر، وهذا خلاف ما تواترت به النصوص، وخلاف ما اتفق عليه السلف الصالح، بل هو من منهج المبتدعة، فقد جاء النهي الصريح في النهي عن اتخاذها مساجد مطلقا، والنهي عن الصلاة في المقابر، وهو مما ينافي التوحيد ويقدح فيه(٤).

والنهي عن ذلك يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الصلاة على القبور والسجود عليها.

والثاني: الصلاة إلى القبور واستقبالها بالصلاة والدعاء.

---

(١) سلوة الأنفاس (٤٩/١)، وينظر المرجع نفسه (٤٨/١).

(٢) الكشف والبيان (٢٢٤-٢٢٥)، عمدة الراوين (٣٩/٩).

(٣) سلوة الأنفاس (٧٠/١)، ينظر: عمدة الراوين (٦٩/٩).

(٤) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٨٥/٢)، مجموع الفتاوى (٣١/٢٧)، إغاثة اللهفان (١٨٦/٢)، الصارم المنكي (٣٥)، تيسير العزيز الحميد (٢٧١)، تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، لمحمد ناصر الألباني (ص١٠).

والثالث: بناء المساجد على القبور، وقصد الصلاة فيها(١).

وتحريم اتخاذ القبور مساجد هو مما اتفق عليه أئمة الذاهب الفقهية الأربعة(٢)، لا كما قرر-برأيه- من أن الأئمة على الجواز- يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:" واتفقوا أيضا على أنه لا يشرع قصد الصلاة والدعاء عند القبور، ولم يقل أحد من أئمة المسلمين إن الصلاة عندها والدعاء عندها أفضل منه في المساجد الخالية عن القبور، بل اتفق علماء المسلمين على أن الصلاة والدعاء في المساجد التي لم تبن على القبور، أفضل من الصلاة والدعاء في المساجد التي بنيت على القبور، بل الصلاة والدعاء في هذه منهي عنه مكروه باتفاقهم"(٣).

وذلك لأن الصلاة عند المقابر لا تخلوا من حالات ثلاث:

١-أن يقصد بالصلاة عندها الصلاة لصاحب القبر، وصرف العبادة إليه، وهذا شرك أكبر؛ لقول الله ﷻ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [سورة الجن:١٨].

٢-أن يقصد من الصلاة عندها التبرك بالعبادة فيها، وهذا ابتداع في دين الله، وهو محرم سواء أكان القبر في قبلته لقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((**لا تصلوا إلى القبور**))(٤)، أم لم يكن في قبلته، فكله ابتداع في دين الله(٥)، وهذا ما عليه محمد بن جعفر الكتاني حيث قال:" فأما من اتخذا مسجداً في جوار صالح، وقصد التبرك بالقرب منه، لا للتعظيم له، ولا للتوجه إليه، فلا يدخل في الوعيد المذكور"(٦).

---

(١) ينظر: الأم للشافعي (٣١٦/١-٣١٧)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي قاري (٦٠١/٢)، تحذير الساجد (٢٩).

(٢) ينظر: الآثار لمحمد بن الحسين (١٩٠/٢)، التمهيد (٣٨٣/٦)، المنتقى شرح الموطأ، للباجي (١٩٥/٧)، شرح النووي على مسلم (١١/٥-١٤)، الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة (٢٢٥/١-٢٢٦).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٩٨/٢).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الجنائز، باب: النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، رقم: (٩٧٢)، من حديث أبي مرثد-رضي الله عنه-.

(٥) اقتضاء الصراط المستقيم (١٩٣/٢) الصارم المنكي (٤٦).

(٦) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٢٢).

٣-أن يصلي عند القبور تعبدا لله، من غير قصد التبرك بالعبادة فيها، ومن غير قصد الصلاة لصاحب القبر وصرف العبادة له، والأحاديث صريحة في تحريم الصلاة عند القبور لأي قصد كان.

يقول الشيخ سليمان بن عبد الله في تيسير العزيز الحميد: «الصلاة عند القبور وإليها من اتخاذها مساجد، الملعون من فعله، وإن لم يبن مسجدا، فتُحرّم الصلاة في المقبرة، وإلى القبور»[١].

ومما ينبغي التنبيه عليه أنه قد جاء عن بعض السلف القول بكراهية الصلاة في المقابر، ويحمل هذا القول على كراهة التحريم؛ لأنه لا يظن منهم أن يجوّزا ما تواتر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم من لعن فاعله والنهي عنه[٢].

فالأئمة متفقون على النهي عن قصد الصلاة إلى القبور؛ لأي حالة كانت، ومن الأدلة على ذلك، ما يلي:

قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورا**))[٣]، وهذا الحديث واضح الدلالة في أن القبور ليست محلا للعبادة، وقد نقل ابن المنذر [٤] والخطابي [٥]، وغيرهما عن أكثر أهل العلم أنهم استدلوا بهذا الحديث على أن المقبرة ليست بموضع للصلاة[٦].

قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**لا تصلوا إلى القبور، ولا تجلسوا عليها**))[٧].

---

(١) تيسير العزيز الحميد (٢٨٤).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ١٩٤-١٩٥)، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/١٨٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب المساجد، باب: كراهية الصلاة في المقابر، برقم: (٤٢٢)، ومسلم كتاب: صلاة المسافر وقصرها، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، حديث رقم: (٧٧٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٤) ينظر: الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لابن المنذر (٢/١٨٣).

(٥) ينظر: معالم السنن (١/١٤٧).

(٦) ينظر: فتح الباري (١/٥٢٩).

(٧) سبق تخريجه قبل صفحة تقريبا.

وهذا الحديث صريح في النهي المطلق عن الصلاة إلى القبور[١]، قال القرطبي في شرح هذا الحديث: «أي: لا تتخذوها قبلة فتصلوا عليها أو إليها، كما فعل اليهود والنصارى، فيؤدي إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام، فحذر النبي -صلى الله عليه وسلم- عن مثل ذلك، وسد الذرائع المؤدية إلى ذلك»[٢].

فالصلاة عند القبور فيه تشبه باليهود والنصارى، وهو وسيلة من الوسائل المؤدية إلى الشرك، لهذا نهى النبي -صلى الله عليه وسلم-من الصلاة عندها، حماية لأمته من التشبه باليهود والنصارى، ومن الوقوع في الشرك الذي لا يغفره الله.

وحديث جندب بن عبد الله البجلي قال: سمعت النبي -صلى الله عليه وسلم- قبل أن يموت بخمس وهو يقول: ((**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل، فإن الله تعالى قد اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا، ولو كنت متخذ من أمتي خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**»[٣].

فقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث عن اتخاذ القبور مساجد، ومن اتخاذها مساجد البناء عليها، أو الصلاة إليها من غير بناء، والعلة واضحة في هذا الحديث وهي سد الذريعة المؤدية إلى الشرك بالله، والتشبيه بالأمة السابقة[٤].

وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-:في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))[٥]، وفي رواية مسلم: ((**لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))[١].

---

(١) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١/١٨٧).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٠/٣٨٠).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، حديث رقم: (٥٣٢).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/١٦٠).

(٥) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة في البيعة، حديث رقم: (٤٢٦) ومسلم كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور، حديث رقم: (٥٣٠)، من حديث أبي هريرة.

و ماجاء عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهما أنهما قالا: لما نزل برسول الله -صلى الله عليه وسلم- [أي الموت] طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: ((**لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))، يحذر مثل ما صنعوا(٢).

ووجه الدلالة من هذه الأحاديث على النهي عن الصلاة إلى المقابر واضح جدا، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن الصلاة في المقابر في آخر حياته، بل لعن من فعل ذلك وهو في سياق الموت، مما يدل على التحريم والتحذير من الصلاة في المقابر؛ لأن الصلاة فيها ذريعة إلى الشرك بالله عز وجل، وتشبه باليهود والنصارى(٣).

يقول ابن عبد البر-رحمه الله-: " في هذا الحديث: ...تحريم السجود على قبور الأنبياء، وفي معنى هذا: أنه لا يحل السجود لغير الله عز وجل، ويحتمل الحديث أن لا تجعل قبور الأنبياء قبلة يصلى إليها، وكل ما احتمله الحديث في اللسان العربي فممنوع منه؛ لأنه إنما دعا على اليهود محذرا لأمته -عليه السلام- من أن يفعلوا فعلهم"(٤)، فتحريم السجود إلى قبور الأولياء، واتخاذها قبلة أولى بالتحريم؛ لأنهم دون الأنبياء-عليهم السلام-.

ويقول ابن قدامة(٥)-رحمه الله- معللا النهي عن الصلاة في المقابر رحمه الله: «تخصيص القبور بالصلاة عندها يشبه تعظيم الأصنام بالسجود لها والتقرب إليها، وقد روينا أن ابتداء عبادة الأصنام: تعظيم الأموات باتخاذ صورهم ومسحها والصلاة عندها»(٦).

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٤٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب المساجد، باب: الصلاة في البيعة، حديث رقم: (٤٢٥)، ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: النهي عن بناء المساجد على القبور واتخاذ الصور فيها، حديث (٥٣١).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٨٥/٢).

(٤) التمهيد (٣٨٣/٦).

(٥) هو: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، موفق الدين، أبو محمد الدمشقي الصالحي، أحد أئمة الحنابلة وأعلام السلف، من مؤلفاته: لمعة الاعتقاد، ذم التأويل، توفي عام ٦٢٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦٥/٢٢) شذرات الذهب (١٥٥/٧).

(٦) المغني (٣٨٢/٢)، لابن قدامة، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ، وينظر: التمهيد (٤٥/٥)، إغاثة اللهفان (١٨٩/١)، الصارم المنكي (٣٢).

فالصلاة عند القبور كذلك فيها تشبه بتعظيم الأصنام، وهي وسيلة من وسائل الشرك، بل أصل الشرك إنما حدث من تعظيم القبور، ومن تعظيمها الصلاة عندها.

فالصلاة إلى القبور منهي عنها؛ لأنها من تعظيم القبور، -ولا يشترط قصد التعظيم؛ لأن ظاهرها كذلك-، ومن هذا نشأ أصل الشرك، وهو من التشبه باليهود والنصارى الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ومن التشبه بتعظيم الأصنام.

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد بابا بعنوان: «ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده؟»[١]، وذكر تحت هذا الباب أدلة صريحة في النهي عن عبادة الله ﷻ عند القبور، وهي كثيرة جدا.

وقد ذكر بعض أهل العلم أن النهي عن الصلاة في المقابر إنما هو لأجل مظنة النجاسة عندها؛ لما يختلط بالتراب من صديد الموتى[٢]، وهذا تعليل ضعيف لم تدل عليه الأحاديث، وقد أطنب ابن القيم وغيره في إبطال التعليل بهذه العلة[٣]، وليس هذا موضع ذكرها، وإنما أوردته لكون الكتاني ألمح له بقوله:"وقد صرح الفقهاء بجواز الصلاة في المقبرة، وإليها، إذا كانت طاهرة"[٤] وتبين مما سبق بأن فقهاء المذاهب كلهم بالإجماع على تحريم الصلاة إلى القبور، وأن هذا هو الذي دل عليه الكتاب والسنة، لا كما قرر الكتاني.

وبهذا يتبين أن المقابر ليست محلا للصلاة، فقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم-عن الصلاة في المقابر؛ سدا للذرائع المؤدية إلى الشرك، وحماية للأمة من التشبه باليهود والنصارى الذين كانوا يتعبدون عندها، فقصر محمد بن جعفر الكتاني التحريم على من قصدها تعظيما لشأنها، متعقب بأن الأحاديث الواردة في ذلك صريحة في التحريم، ولم تخصصه بذلك، وإنما وردت عامة في كل من اتخذ القبور مساجد.

---

(١) كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (ص٩٣).

(٢) ينظر على سبيل المثال: الأم (٩٢/١) شرح السنة للبغوي (٤١١/٢)، المجموع شرح المهذب (١٥٧/٣).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٩٠/٢-١٩٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١٨٧/١-١٨٩) شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (٤٩-٥٣).

(٤) سلوة الأنفاس (٤٩/١-٥٠).

وما قرره الكتاني هنا هو نتيجة لحقيقة رأيه في معنى العبادة، فبما أن العبادة عنده مشروطة باعتقاد الخالقية، والإيجاد، والتأثير المستقل، فالصلاة إلى القبور لا تسمى عبادة، ولا يكون فيها شرك(١).

أما ما قرره بأن السجود للصنم تعظيما اختيارا، كفر بالإجماع(٢)، قصر للكفر على من سجد للصنم تعظيما، وهذا زلل عظيم، وبناء عليه لا يحكم على من سجد للصنم بشيء، مالم يظهر ما في باطنه، وهذا موافق لما قرره المرجئة في معنى الكفر والشرك (٣)، وهو ما قرره الكتاني كما سيأتي(٤).

ومما يُرد به على محمد بن جعفر الكتاني ما قرره هو نفسه في أن حكم الانحناء للقبر للتسليم، إذا وصل إلى حد الركوع، أو إذا كان معه وضع للجبهة على الأرض فهو بنص عبارته:" حرام إجماعا، ولا يقول بجوازه مسلم"(٥)، فكيف يقرر بتحريم هذا، ثم يقول بأن الصلاة إلى القبور إذا كان بقصد التقرب إلى الله مطلوب؟

يقول النووي-رحمه الله-:"ما يفعله كثير من الجهلة من السجود بين يدي المشايخ... حرام قطعا بكل حال، سواء كان إلى القبلة أو غيرها، وسواء قصد السجود لله تعالى أو غفل، وفي بعض صوره ما يقتضي الكفر أو يقاربه"(٦)، ونقل الإجماع على تحريم ذلك، فقال: "وأما ما يفعله عوام الفقراء وشبههم من سجودهم بين يدي المشايخ، وربما كانوا محدثين، فهو حرام بإجماع المسلمين، وسواء في ذلك كان متطهرا أو غيره، وسواء استقبل القبلة أم لا، وقد يتخيل

---

(١) ينظر: جلاء القلوب (٢/٢٢٨).

(٢) ينظر: الكشف والبيان (٢٢٥)، عمدة الراوين (٩/٣٩).

(٣) ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي (١٥٥)، الملل والنحل (١/١٣٩-١٤٠)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٠).

(٤) ينظر: رأيه في معنى الكفر (ص ٨٥٠).

(٥) سلوة الأنفاس (١/٤٩).

(٦) المجموع (٤/٦٩).

كثير منهم أن ذلك تواضع وكسر للنفس، وهذا خطأ فاحش وغباوة ظاهرة، فكيف تكسر النفوس، أو تتقرب إلى الله تعالى بما حرمه؟"(١).

كذلك يُرد عليه بما قرره من تحريم الدفن في المسجد، فإذا كان الدفن في المسجد محرم، فكذلك الصلاة إلى القبور واتخاذها قبلة محرم؛ لأنها من اتخاذ القبور مساجد، وكلا الأمرين محرم.

-بناء القباب على القبور وإيقاد القناديل عندها:

يرى محمد بن جعفر الكتاني البناء على القبور وجواز إيقاد القناديل عندها، إذا قُصد به التعظيم، يقول في ذلك:" مما شاع وذاع في سائر القرى والمدن والبقاع: بناء القباب على قبور الأولياء والعلماء، ووضع الثياب عليها والستور عندها، وفي ذلك بين العلماء اضطراب وخلاف، والعمل على الجواز إذا قُصد به التعظيم، كما الشأن في ذلك.

وفي "روح البيان" عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سورة التوبة:١٨]، ما نصه [قال الشيخ عبد الغني النابلسي في"كشف النور عن أصحاب القبور" ما خلاصته: أن البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمى سنة، فبناء القباب على قبور العلماء والأولياء والصلحاء ووضع الستور والعمائم والثياب على قبورهم أمر جائز، إذا كان القصد بذلك التعظيم في أعين العامة، حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر، وكذا إيقاد القناديل والشمع عند قبور الأولياء والصلحاء، من باب التعظيم والإجلال أيضا للأولياء، فالمقصد فيها مقصد حسن، ونذر الزيت والشمع للأولياء يوقد عند قبورهم؛ تعظيما لهم ومحبة فيهم، جائز أيضا، لا ينبغي النهي عنه](٢)، ...وأما قول بعض المتأخرين.... بمنع ذلك، فهو خلاف ما به العمل كما ذكرنا، والله أعلم"(٣).

(١) المصدر السابق (٤/٦٧).

(٢) روح البيان، إسماعيل حقي (٣/٤٠٠).

(٣) سلوة الأنفاس (١/٦٥)، وينظر: عمدة الراوين (٩/٦٨-٧٠)، جلاء القلوب (٣/٩٥-٩٦).

وذكر أنه يتعين على جميع الناس لا سيما الملوك والحكام، المحافظة على تعيين قبور الصالحين وإصلاح ما انهدم منها من بناء ونحوه؛ لأن ذلك كله من تعظيم الحرمات [١].

- النقد:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من البناء على القبور وإيقاد القناديل عندها هو منهج أهل البدع المخالف لسنة النبي-صلى الله عليه وسلم- صراحة، ولما أجمع عليه السلف الصالح؛ لأن البناء على القبور، وإيقاد القناديل عندها وسيلة إلى عبادتها وتعظيمها، وهي من ذرائع الشرك الموصلة له، وقد جاءت النصوص بالنهي عن ذلك والتحذير منه، وعده جمع من أهل العلم من كبائر الذنوب، وحكى الإجماع على تحريمه غير واحد منهم[٢].

فقد رُوي عن عبد الله بن عباس-رضي الله عنهما- أنه قال: ((**لعن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-زوّارات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج**)) [٣]، فقد:" قرن في اللعن بين متخذي المساجد عليها وموقدي السرج عليها، فهما في اللعنة قرينان، وفي ارتكاب الكبيرة صنوان، فإن كل ما لعن رسول الله -صلى الله تعالى عليه وآله وسلم- فهو من الكبائر، ومعلوم أن إيقاد السرج عليها إنما لعن فاعله؛ لكونه وسيلة إلى تعظيمها، وجعلها نصبا يوفض إليه المشركون، كما هو الواقع"[٤].

يقول ابن تيمية: "يحرم الإسراج على القبور، واتخاذ المساجد عليها، وبينها، ويتعين إزالتها، ولا أعلم فيه خلافا بين العلماء المعروفين"[٥].

---

(١) ينظر: سلوة الأنفاس (٧/١).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣٣٥، ٢/١٨٧)، إغاثة اللهفان (١/١٨٨)، زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم (١/٥٠٦)، الدرر السنية (٥/١٠٤-١٠٥)، تيسير العزيز الحميد (٢٧٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، (٣/ ٤٧١، ٥/١٢٨، ٢٨٧، ٣٢٤، ٣٣٧) ، وأبو داود، كتاب الجنائز، باب في زيارة النساء القبور، الحديث رقم (٣٢٣٦) ، (٣ / ٥٥٨) ، والترمذي في كتاب الصلاة، باب ما جاء في كراهية أن يتخذ على القبر مسجدا، الحديث (٢ / ١٣٦) ، وقال: " حديث ابن عباس حديث حسن " (٢ / ١٣٧)، والحديث بمجموع طرقه حسن لغيره، ينظر: إرواء الغليل (٣/٢١٣)، تحذير الساجد (٥٢)، مرقاة المصابيح (٢/٦١٩).

(٤) إغاثة اللهفان (١/١٨٨).

(٥) الاختيارات العلمية في اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية علي بن محمد البعلي (ص٥٢).

كذلك البناء على القبور من ذرائع الشرك، وقد جاءت النصوص بالتحذير من ذلك، والأمر بإزالته، فقد روى أبو الهياج-رضي الله عنه- أن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- قال له: ((**ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله – صلى الله عليه وآله وسلم –؟ ألا تدع تمثالًا إلا طمسته، ولا قبرًا مشْرِفًا إلا سويته**)) (١)، وذلك لأن هذا من وسائل الشرك، فإذا بُني عليها عُظمت، وربما تُعبد من دون الله.

وثبت عن جابر-رضي الله عنه- أنه قال: ((**نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه**)) (٢)، فقد نهى الرسول -صلى الله عليه وسلم-عن البناء على القبر نهيا صريحا، والأصل في النهي التحريم.

وقد اتفق أهل العلم على النهي عن ذلك والتحذير منه، يقول الإمام الشوكاني(٣)-رحمه الله-:" اعلم أنه قد اتفق الناس، سابقهم ولاحقهم، وأولهم وآخرهم من لدن الصحابة -رضوان الله عنهم- إلى هذا الوقت: أن رفع القبور والبناء عليها بدعة من البدع التي ثبت النهي عنها واشتد وعيد رسول الله لفاعلها، كما يأتي بيانه، ولم يخالف في ذلك أحد من المسلمين أجمعين"(٤).

وتقرير الكتاني في هذه المسألة متناقض مع ما قرره في الصلاة إلى القبور، فقد أباح الصلاة إلى القبور إذا كان بقصد التبرك بجوار الصالح بلا تعظيم، وحرّمها إذا اقترن الفعل بالتعظيم، وهنا أباح البناء على القبور وإيقاد السرج عندها إذا كان من باب التعظيم والإجلال! مع أن البناء على القبور وإيقاد السرج عندها من الكبائر، ومن أعظم وسائل الشرك، وهو أصل عبادة الأوثان؛ لأن أصل عبادة الأوثان من تعظيم القبور، فتعظيم القبور من البناء عليها،

(١) رواه الإمام مسلم، كتاب: الجنائز، باب: الأمر بتسوية القبر، حديث رقم (٩٦٩).

(٢) رواه الإمام مسلم، كتاب: الجنائز، باب: النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه، حديث رقم (٩٧٠).

(٣) هو: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من مؤلفاته: نيل الأوطار، شرح الصدور في تحريم رفع القبور، توفي عام ١٢٥٠هـ. ينظر: البدر الطالع (٢/٢١٤)، الأعلام (٦/٢٩٨).

(٤) شرح الصدور بتحريم رفع القبور، للشوكاني (ص٨)، وينظر مجموع الفتاوى (٢٧/٤٤٧).

وإيقاد السرج عندها من دين المشركين، وهو مشابه لتعظيمهم للأصنام، وهو من عمل اليهود والنصارى، وقد أمرنا بمخالفتهم، وهذا التناقض لازم لكل من خالف منهج السلف الصالح.

فالبناء على القبور وإيقاد السرج عندها ليس من دين الإسلام، فالنبي-صلى الله عليه وسلم- لم يشرّع لأمته البناء على القبور، ولم يشرع لهم إيقاد السرج عندها، ولم يكن في عهده مشهد مبني على قبر، وكل الأدلة تخالف القول بجواز البناء على القبور وإيقاد السرج عندها(١).

يقول الشيخ حافظ الحكمي(٢)-رحمه الله- في إنكار هذه المسألة في نظمه "سلم الوصول":

"ومن على القبر سراجا أوقد ... أو ابتنى على الضريح مسجدا
فإنه مجدد جهارا ... لسنن اليهود والنصارى
كم حذر المختار عن ذا ولعن ... فاعله كما روى أهل السنن
بل قد نهى عن ارتفاع القبر ... وأن يزاد فيه فوق الشبر
وكل قبر مشرف فقد أمر ... بأن يسوى هكذا صح الخبر"

إلى أن قال:

"فانظر إليهم قد غلوا وزادوا ... ورفعوا بناءها وشادوا
بالشيد والآجر والأحجار ... لا سيما في هذه الأعصار
وللقناديل عليها أوقدوا ... وكم لواء فوقها قد عقدوا
ونصبوا الأعلام والرايات ... وافتتنوا بالأعظم الرفات
بل نحروا في سواحها النحائر ... فعل أولي التسييب والبحائر
والتمسوا الحاجات من موتاهم ... واتخذوا إلههم هواهم"(١).

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٨٤/٢)، مجموع الفتاوى (١٦٨/٢٧)، الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، للشوكاني، (ص١٢٣).

(٢) هو: حافظ بن أحمد بن علي الحكمي، أحد علماء المملكة العربية السعودية السلفيين، من مؤلفاته: سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول، أعلام السنة المنشورة في اعتقاد الطائفة المنصورة، توفي عام١٣٧٧هـ، وعمره٣٦ عاما، ينظر: ترجمة ابنه أحمد له في مقدمة معارج القبول شرح سلم الوصول (١١/١)، التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، محمد العقيلي (١٥٢٢/٣)، الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده العلمية والعملية، أحمد بن علي المدخلي.

- شد الرحال إلى زيارة القبور:

يرى محمد بن جعفر الكتاني شد الرحال لزيارة القبور، ويرد على من أنكر شد الرحل، ونقل عن الغزالي قوله: "ويدخل في السفر لأجل العبادة: زيارة قبور الأنبياء وقبور الصحابة والتابعين، وسائر العلماء والأولياء، وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته يتبرك بزيارته بعد وفاته، ويجوز شد الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله-صلى الله عليه وسلم-((**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى**))[٢]؛ لأن ذلك في المساجد، فإنها متماثلة بعد هذه المساجد"[٣]، أقر بأن السفر لزيارة القبور عبادة.

وقال في الزيارة: " ركن من أركان القوم، بل هي عمادهم واعتمادهم، وما زالوا يتواصون بها ويحضون عليها"[٤].

وقال في التوصية بالإكثار من زيارة الأموات، وأنها سبب في قضاء الحاجات: "وليكثر من زيارة الصالحين الأموات لذلك، فإنها محوبه لقضاء وطره هنالك"[٥].

وقرر بأن من فوائدها كما يقول: "الاتعاظ والتذكر برؤية مقابرهم وروضاتهم، والعلم بأن الموت سبيل مسلوك...

ومنها: الاستمداد من بحر جودهم وكرمهم، والاغتراف من فيض نوالهم وعطائهم.

ومنها: التعرض لنفحات الرحمة الإلهية، والتطلب لعوارف المعارف الإحسانية، إذ هم أبواب الله تعالى، وحضراته، ويوجد عند أضرحتهم من الرحمات والبركات ما لا يوجد عند غيرها.

ومنها: التوسل بهم إلى الله تعالى، والاستشفاع بهم إليه؛ فإن شفاعتهم مقبولة، وجاههم عند الله عظيم، فلا يكاد يستشفع بجاههم أحد ويخيب"[١].

---

(١) منظومة سلم الوصول إلى علم الأصول، حافظ الحكمي (١٤-١٥).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٤٧).

(٣) سلوة الأنفاس (١٧/١)، وينظر المرجع نفسه: (٣٧/١)، إحياء علوم الدين (٢٤٧/٢).

(٤) سلوة الأنفاس (٢٣/١).

(٥) جلاء القلوب (٤٥/١).

وأخبر عن نفسه بأنه مولَع بزيارة قبور الصالحين بفاس وغيرها، كثير التَّطوف عليهم، وأنه ملازم لزيارة بعض الأضرحة، ويسافر لزيارة بعض قبور الأولياء في كل سنة[٢]، واشتهر بذلك حتى قال تلميذه الرهوني: "اشتغل بالطواف على أهل الله الأحياء والأموات "[٣].

وقد امتدح الكثير من الأولياء في سفره لأجل زيارة القبور[٤]، كما امتدح بعضهم في سفره لأجل زيارة قبر النبي-صلى الله عليه وسلم- خاصة[٥]، وامتدح بعضهم بأنه ممن تُشد الرحال إليه؛ لولايته، أو لكونه من العلماء[٦]، ومنهم إدريس باني فاس[٧]، حيث قال عنه: "أطبق أكابر العلماء وجميع الأولياء وسائر الناس من جميع البلدان الأقطار والنواحي والأمصار على حسن الثناء عليه، وتعظيمه، وقصد زيارته والتبرك به وبآثاره-رضي الله عنه"[٨].

بل مما قاله في وجوب زيارة قبره:" ذكروا أن زيارته -رضي الله عنه- كائنة متأكدة، وخصوصًا على أهل المغرب، وأقول: إنه لتجب زيارته على كل من حل بلدته هذه في كل يوم، وعلى من قرب منها بالمسافة في كل جمعة، وعلى من بعد عن ذلك شيئًا يسيرًا كاليوم في كل شهر، وعلى من زاد في كل ستة أشهر أو في كل سنة، حسب القُرب والبُعد، ولا عذر لأحدٍ من أهل هذا المغرب في تركها، إذ هو حفيد[٩]الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وبضعته الطاهرة الزكية، والسبب في كل خير وصل أو يصل إلينا، فمن واصله واصل الرسول -صلى الله

---

(١) سلوة الأنفاس (٢٤/١).

(٢) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٦١-٣٦٣)، الرحلة السامية (١٩٨، ٣١٧).

(٣) عمدة الراوين (٣/٩).

(٤) ينظر: سلوة الأنفاس (١٢٠/١، ١٣٥، ١٩١، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٥٢، ٣١٣، ٣١٧، ٣٦٤، ١٢٣/٢، ١١١/٣)، النبذة اليسيرة النافعة (٢٥٤)، الرحلة السامية (٣١٧)،

(٥) ينظر: سلوة الأنفاس (١٣٥/١، ١٩١، ٢٠٨/٢).

(٦) ينظر: سلوة الأنفاس (٧/١، ٤٠٤، ١٢٣/٢، ١٥٤، ١٥٧، ٣٣٢، ٢١/٣، ٣٧، ٣٨٦)، النبذة اليسيرة النافعة (٢٢٢).

(٧) ينظر ترجمته (ص٤٠ من هذا البحث).

(٨) ينظر: سلوة الأنفاس (٨١/١)، وينظر المرجع نفسه (٣٨٥/١).

(٩) أظنها حفيد لعدم وضوحها في المخطوط.

عليه وسلم-، وأدَّى بعض مما عليه من حق، ومن قطعه قطعه، وكان مقصِّرًا في حقه، غير قائم ببعض ما يجب عليه من شكر نعمة حلوله بين ظهرانيه وغيرها"(١).

وقال عن بعض مدعي الولاية: "ذكروا أن زيارته نافعة غاية، سيما للأمور الدنيوية، وأنه أحد الذين جرت العادة باستعمال الرحلة لزيارتهم، في كل عام بالمغرب، نفعنا الله به"(٢).

وقال عن أحدهم: "يُذكر عنه أنه كان يقول: من زارني أحد وعشرين يوما متوالية وطلب من الله تعالى حاجة من حوائج الدنيا والآخرة قضيت له، وإن لم تقض فليطالبني بين يدي الله تعالى"(٣).

وأخبر عن نفسه بأنه سافر لزيارة قبر النبي-صلى الله عليه وسلم-، حيث سأله سائل أثناء سفره للمدينة النبوية وقال له: "تريد الذهاب لسيدنا النبي؟ فقلت له: نعم، فقال: الله يسهل، فقلت له: تذهب معنا؟ فقال: إني أجلس مع أولادي"(٤).

وقد دون في الرحلة السامية الكثير من الأضرحة والمزارات التي رحل لها، وكان يقدم الزيارة في رحلاته(٥)، وقد قال في ابحاره للحجاز: "ذهب صاحب المركب بنا سويعة إلى لجّة البحر، ثم أرسى هنالك إلى قرب الفجر بنحو ساعتين، ونهض للسير حينئذ، وكنا قد تفاصلنا معه أن يذهب بنا للينبوع عسانا نقدم الزيارة، فإذا به لم يوف لنا، وذهب بنا قاصدا إلى جدة"(٦).

وقال في وصوله إلى فاس: "وعندما دخلنا، ذهبنا إلى الضريح الإدريسي، فزرناه، وحمدنا الله على دخوله ورؤيته، ورؤية الأحباب والأصحاب والأقارب، ...

---

(١) شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٣).

(٢) سلوة الأنفاس (٦/١).

(٣) سلوة الأنفاس (٢٧٣/١)، وينظر المرجع نفسه (٢٨/٢، ٢٧٣).

(٤) الرحلة السامية (١١٣).

(٥) ينظر على سبيل المثال: الرحلة السامية (١١١، ١١٣، ١٢٩-١٣٠، ١٣٢، ١٤٤، ١٨٧، ٢٢٦-٢٣٠)، وما بعدها كثير جدا، سلوة الأنفاس (٣٨/١).

(٦) الرحلة السامية (١٤٦).

وبقينا أياما والناس تتوارد علينا أفواجا أفواجا، أشياخ وأعلام، وأشراف، وأعيان، وطوائف من المنتسبين، وغيرهم"(١).

وقرر-برأيه- بأن من آدابها أن يجلس عند رأس الولي، وقال: "وكيف يعدل الزائر عن استقبال المزور وهو قد أتى إليه سائلا وزائرا ومستعطفا، وأحدنا إذا أتاه طالب حاجة من خلفه انتهره وعدّ ذلك من سوء أدبه وقلة عقله؟ مع أن استقبال مطلق المؤمن فضلا عن كامل الإيمان خير من استقبال الكعبة؛ لأن حرمة المؤمن أعظم عند الله من حرمتها، وتعظيمه خير من تعظيمها، والوقوع فيه أشد من هدمها ونقضها"(٢).

وذكر من آداب زيارة الولي في قبره خلع النعلين؛ لأنه كما يقول: "هو الذي جرى به عمل الكثير من أهل الخير والدين؛ لأن الخلع مطلقا أقرب إلى التواضع المطلوب في هذا المحل، وأدعى للتعظيم، وأبلغ للأداء"(٣).

كما ذكر من الآداب: "اتقاء وطء قبره والجلوس عليه؛ لأنه محل أدب ووقار، وتعظيم وإكبار، ونص على ذلك غير واحد"(٤)، وقرر -برأيه-أن هذا مكروه إذا لم تدع إلى ذلك ضرورة شرعية، ولم يتعلق به غرض ديني ندب الشرع إلى فعله، واستثنى بذلك قبة إدريس باني فاس؛ لأنها كما يقول: "وهذه القبة تعلق بدخولها ووطء مقابرها غرض ديني ندب الشرع إلى فعله بها، وهو الصلاة والذكر والعبادة؛ لأنها كانت قبل الدفن بها مسجدا فكان الحكم له، وقد قال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦﴾ [سورة النور:٣٦] (٥).

كما قرر-برأيه- أن من الآداب أن يتقي رفع صوته فلا يجهر للولي؛ لما فيه من قلة الأدب معهم، بل يكون كما يقول: "خاشعا خاضعا متذللا، ولا يكون عزيز النفس مفتخرا؛

---

(١) الرحلة السامية (٣٣٢-٣٣٣).
(٢) سلوة الأنفاس (١/٤٠).
(٣) المرجع السابق (١/٤٠).
(٤) سلوة الأنفاس (١/٤٢).
(٥) المرجع السابق (١/٤٢).

لأن الزائر ينال بالذل والانكسار ما لا يناله بالعز والافتخار والاستكبار"(١)، وأن يتقي دخول الحجرة لأن ذلك كما يرى محل تعظيم، واحترام، وأدب وحشمة.

فيرى تخصيص زيارة قبور بعض الصالحين بيوم معين؛ والسبب كما يقول "لأن الإنسان إذا أراد أن يسأل حاجة عند أحد أتاه في حالة سروره، لا في حالة غضبه، والولي لا راحة له ولا سرور أفضل من اليوم الذي لقي الله فيه؛ لأن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فلذلك اتخذ الناس والسلف الصالح زيارة الولي في اليوم الذي لقي الله فيه"(٢).

وسبق إنكاره على ابن التلاميد الشنقيطي، وقوله:" ورأيناه ينفي كشف الأولياء جملة، وكذا ينفي أيضا زيارتهم، والتبرك بهم والتوسل، وينفي أيضا الاستغاثة بمخلوق ولو النبي -صلى الله عليه وسلم-، ... ثم إنه مع هذا يزعم التمسك بالسنة، والاقتصار على ماورد فيها، وترك البدع"(٣).

- النقد:

خالف محمد بن جعفر الكتاني سنة النبي-صلى الله عليه وسلم-والصحابة والتابعين، وما عليه السلف الصالح، فمسألة زيارة القبور من جهة مشروعيتها وعدمه هي تنقسم إلى ثلاثة أقسام، هي:

١-الزيارة الشرعية: وهي أن يزور الزائر القبر من أجل تذكرة الآخرة، والسلام على الميت ونفعه بالدعاء له، ونفع نفسه باتباع السنة، سواء أكان صاحب القبر من الأنبياء أو من غيرهم، بلا شد رحل ولا سفر إليها(٤)، وهذه هي الزيارة الثابتة المأثورة عن النبي -صلى الله

---

(١) سلوة الأنفاس (٤٣/١).

(٢) سلوة الأنفاس (٦٦/١)، وإن كان قبلها بصفحات ذكر أن زيارة القبور مندوبة بلا حد بوقت أو يوم (٦٠/١).

(٣) الرحلة السامية (١٣٤-١٣٥)، وينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٢).

(٤) زيارة قبور الكفار لا تجوز إلا لتذكر الموت، أما الدعاء لهم وحضور جنائزهم فلا، ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٨٠/٢).

عليه وسلم- حيث قال: ((**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها**))(١)، وقد حُكي انعقاد إجماع الأمة على جوازها واستحبابها للرجال(٢).

٢-الزيارة البدعية: وهي أن يزور الزائر القبر لأجل أن يصلي عنده، أو يدعو الله عنده؛ لاعتقاد أفضلية أو تعظيم المكان، وهذا لم يأت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ولم يشرعه، كذلك لم يفعله أحد من الصحابة والتابعين(٣)، وهذا ما نهجه محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته وأفعاله، ومن ذلك قوله في التوصية بالإكثار من زيارة الأموات، وأنها سبب في قضاء الحاجات: "وليكثر من زيارة الصالحين الأموات لذلك، فإنها محوبه لقضاء وطره هنالك"(٤).

٣-الزيارة الشركية: وهي أن يزور الزائر القبر لأجل أن يدعى فيها المقبور من دون الله، ويطلب منه قضاء الحوائج، ودفع المكروه وتفريج الكرب، ويتقرب إليه بأنواع من العبادات من صلاة، أو ذبح، أو نذر أو غير ذلك(٥)، وقد أقرها محمد بن جعفر الكتاني، فقرر بأن من فوائد زيارة الأموات كما يقول: "الاستمداد من بحر جودهم وكرمهم، والاغتراف من فيض نوالهم وعطائهم"(٦)، و يجعلهم واسطة بينه وبين الله، فيقول في فوائد الزيارة: "التوسل بهم إلى الله تعالى، والاستشفاع بهم إليه؛ فإن شفاعتهم مقبولة، وجاههم عند الله عظيم، فلا يكاد يستشفع بجاههم أحد ويخيب"(٧).

وقوله عن أحد الأولياء: "ذكروا أن زيارته نافعة غاية، سيما للأمور الدنيوية"(٨).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الجنائز، باب: استئذان النبي ربه في زيارة قبر أمه، حديث رقم (٩٧٧).

(٢) ينظر حكاية الإجماع: كتاب المجموع شرح المهذب (٥/٢٨٥).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/ ٣١، ١٨٧)، الصارم المنكي (٣٥)، شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور (ص٩٦).

(٤) جلاء القلوب (١/٤٥).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (١٧/٤٧١)، (٢٧/١١٩-١٢٠)، الصارم المنكي (ص٤٧-٤٨)، ولحافظ الحكمي نظم فيه أنواع الزيارة في منظومته سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول (ص٢٤-٢٥).

(٦) سلوة الأنفاس (١/٢٤).

(٧) المرجع السابق (١/٢٤).

(٨) سلوة الأنفاس (١/٦).

وقد ذكر أهل العلم أن الخلاف في مسألة شد الرحل لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين-الزيارة الشرعية- على قولين، هما:

-القول بعدم جواز السفر إلى زيارتها، وأن السفر لزيارتها معصية، وهذا القول ذهب إليه الكثير من المتقدمين.

-القول بجواز السفر إلى زيارتها، وهذا القول قال به طائفة من المتأخرين، ولم يقل به أحد من المتقدمين[1].

والقول الأول في هذه المسألة وهو قول أكثر المتقدمين من السلف -كما سبق-هو القول الراجح؛ لموافقته للأدلة، منها قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى**))[2].

فقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((لاتُشد)) بالضم والمراد منه النهي، أي: لا تشدّوا.

قال ابن حجر رحمه الله: « قال الطيبي: هو أبلغ من صريح النهي، كأنه قال: لا يستقيم أن يقصد بالزيارة إلا هذه البقاع؛ لاختصاصها بما اختصت به»[3].

وقال شيخ الإسلام في دلالة هذا الحديث على هذا القول: «مُنع من السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، فغير المساجد أولى بالمنع؛ لأن العبادة في المساجد أفضل منها في غير المساجد، وغير البيوت، بلا ريب؛ ولأنه قد ثبت في الصحيح عنه -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : ((**أحب البقاع إلى الله المساجد**))[4]، مع أن قوله: ((**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد**)) يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة؛ بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٨٢/٢-١٨٣) مجموع الفتاوى (١٨٤/٢٧-١٨٥)، الرد على الأخنائي، لابن تيمية (ص١٣٦)، المنهاج شرح صحيح مسلم (١٠٦/٩)، المغني، للموفق ابن قدامة (١١٧/٣-١١٨)، فتح الباري (٦٥/٣)، غاية الأماني في الرد على النبهاني، للألوسي (١٧٨/١-١٨٣).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٤٧).

(٣) فتح الباري (٦٤/٣).

(٤) ينظر: صحيح مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل الجلوس في مصلاه بعد الصبح وفضل المساجد، حديث رقم (٦٧١).

ونحو ذلك، فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت، وكذلك السفر لزيارة الأخ في الله، فإنه هو المقصود حيث كان»[1].

ومما يُرجح هذا القول أن شدّ الرحل والسّفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، لم يكن منهج السلف الصالح من أهل القرون المفضلة، وإنما حدث بعدها[2].

وإنكار محمد بن جعفر الكتاني على ابن التلاميد بأنه ينفي زيارة الأولياء، فابن التلاميد كغيره من علماء السلف، ينكر الزيارة الشركية أو البدعية، وشد الرحل لها، إلا أن الكتاني لم يرتض منهجه السلفي.

ويجب التنبيه هنا إلى مسألة، وهي مسألة شد الرّحل والسفر لمجرد زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهذه المسألة تدخل في الخلاف السابق، ولا يدخل فيه مسألة زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- من غير شد رحل، ولا يدخل كذلك زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا كانت الزيارة تابعة في شد الرحل إلى المسجد؛ لأن هذا لا خلاف أنه من الزيارة الشرعية؛ وهنا لا بد من التوضيح والتفصيل في حكم زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- التي أقرها محمد بن جعفر الكتاني، فزيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- فيها تفصيل على النحو التالي:

١-زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- من غير شد رحل.

وهذه من الزيارة المشروعة باتفاق أهل العلم، إذا كانت على الهيئة الشرعية، وليس في هذا نزاع[3].

٢-زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- مع شد الرحل، وهذا فيه تفصيل:

-أن يقصد زيارة مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهذه مشروعة بالإجماع[4].

-أن يقصد زيارة مسجد النبي -صلى الله عليه وسلم- وزيارة القبر معا، وهذه مشروعة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٢١/٢٧).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨٧/٢٧)، اقتضاء الصراط المستقيم (١٨٢/١)، الصارم المنكي (٣٥).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٠/٢٧)، شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، بمرعي الكرمي (ص٩٦).

(٤) ينظر: الفتاوى الكبرى (١٤٩/٥)، الرد على الأخنائي (١٠١، ١٣٠).

-أن يقصد بسفره مجرد زيارة القبر كما هو صنيع محمد بن جعفر الكتاني، أو أن يجعل المسجد تابعا للقبر، بحيث لا يزار إلا لأجل القبر، وهذا هو محل النزاع(١)، وقد أُختلف فيها على قولين، -على نحو ما سبق- هما:

١- تحريم شد الرحل والسفر لمجرد زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو قول الجمهور.

٢-جواز شد الرحل والسفر لمجرد زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وهو قول بعض أتباع الأئمة الأربعة(٢).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني في تقريره لشد الرحال لزيارة القبور باطل من وجوه:

-أولا: أنه لم يرد دليل صحيح ثابت على ما قرره من فضيلة زيارة القبور، أو فضيلة زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- على الخصوص.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «الأحاديث في زيارة قبر النبي -صلى الله عليه وسلم- كلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث، بل هي موضوعة، لم يخرج أحد من أهل السنن المعتمدة شيئًا منها، ولم يحتج أحد من الأئمة بشيء منها»(٣).

-ثانيا: مخالفته للأدلة الصحيحة الصريحة بتحريم ذلك والتحذير منه، ومنها:

-قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**لا تشد الرحال إلاّ إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، ومسجد الحرام، ومسجد الأقصى**)) (٤).

---

(١) ينظر: الرد على الأخنائي (١١٩-١٢٢، ٤٠٤)، الصارم المنكي (٢٤٢)، فتاوى ورسائل الشيخ ابن إبراهيم (١١٠/٦-١١١).

(٢) ينظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٣٢٠/١)، فتح الباري (٦٥/٣)، المغني (١١٧/٣-١١٨)، شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٣٥٧/٣) الشهادة الزكية لمرعي الحنبلي (ص٩٠) كشاف القناع عن متن الإقناع (٢/ ١٢٠٠) الدرر السنية (٣٩٧/٥).

(٣) الرد على الأخنائي (١٤٤).

(٤) سبق تخريجه في بداية نقد هذه المسألة (٢٤٧).

وقد سبق توضيح وجه الدلالة منه، ومجملها أنه لما كان نهى النبي-صلى الله عليه وسلم-عن شد الرحل إلى أحب البقاع إلى الله وهي المساجد، بقصد القربة والفضيلة، فلأن يكون نهيه عن غير المساجد، القبور وغيرها من باب أولى.

بالإضافة إلى أن نهي النبي-صلى الله عليه وسلم- في الحديث يعم كل ما يشد إليه الرحل من المساجد والمشاهد، وكل مكان يقصد إلى عينه للتقرب إليه، غير المساجد الثلاثة(١).

يقول ابن الأثير-رحمه الله- في شرح هذا الحديث:"كُنّي به عن السير والنَّفْر، والمراد: لا يقصد موضع من المواضع بنية العبادة والتقرب إلى الله تعالى إلا إلى هذه الأماكن الثلاثة؛ تعظيماً لشأنها وتشريفاً"(٢).

ويقول الصنعاني-رحمه الله-:"والحديث دليل على فضيلة المساجد هذه، ودل بمفهوم الحصر أنه يحرم شد الرحال لقصد غير الثلاثة، كزيارة الصالحين أحياء وأمواتا لقصد التقرب، ولقصد المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها"(٣).

فشد الرحال بقصد التعبد والتقرب لزيارة غير الأماكن الثلاثة التي استثناها النبي-صلى الله عليه وسلم-محرم، ويدخل في النهي عن شد الرحال: شد الرحال لزيارة الصالحين أحياء كانوا أم أمواتا، وهذا ماكان ينهجه محمد بن جعفر الكتاني كما يقول تلميذه الرهوني:"اشتغل بالطواف على أهل الله الأحياء والأموات "(٤)، كما يدخل فيه شد الرحال لقصد الأماكن الفاضلة للتبرك بها .

-قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**))(٥).

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٨٢/٢)، الرد على الأخنائي (١٥٩)، سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني (١٧٧/٢).

(٢) جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (٢٨٣/٩).

(٣) سبل السلام (٥٩٨/١).

(٤) عمدة الراوين (٣/٩).

(٥) سبق تخريجه (ص ٣٤٧).

ووجه الدلالة من هذا الحديث على النهي عن شد الرحل لمجرد زيارة قبر النبي–صلى الله عليه وسلم– أن شد الرحل لمجرد زيارتها يؤدي إلى اتخاذها مساجد، بل يؤدي كذلك إلى تعظيم المقبور حتى يتخذ وثنا، وهو كذلك تشبه باليهود.

–قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((**لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**)) [١]، ووجه الدلالة أن النبي–صلى الله عليه وسلم–نهى أن يتخذ قبره عيدا، والعيد كل ما يعتاد، وشد الرحال للقبور وسيلة إلى اتخاذها عيدا، –لا سيما إذا خُصص لزيارتها وقت معين من السنة كما قرر الكتاني، والوسائل لها أحكام القاصد، ومما يدل على تضمنه للنهي عن شد الرحال قوله–صلى الله عليه وسلم– ((**وصلوا علي، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**))[٢]، فإذا بطل شد الرحال لقبره–صلى الله عليه وسلم–فقبر غيره من باب أولى.

–ثالثا: أن القول بفضيلة شد الرحال لزيارة القبور خرق للإجماع.

لأنه قد أجمع أهل العلم من المتقدمين أن شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة ليس مستحبا، ولا هو قربة له ولا طاعة، وإن اختلفوا هل هو جائز أو لا[٣]، إذ الخلاف في هذه المسألة بين النهي والإباحة فقط، ولم يقل أحد بالاستحباب أو أنه طاعة وعبادة، وقد عدّ ابن بطة وغيره من أهل العلم أن القول بالاستحباب، أو عدّه طاعة وعبادة من البدع الحادثة المخالفة للسنة والإجماع[٤]، فمن اعتقد استحباب شد الرحل لزيارة قبور الأنبياء والصالحين، وأنها عبادة وقربة، فهو مخالف للسنة وإجماع الأمة.

يقول ابن تيمية رحمه الله عن الخلاف في هذه المسألة: «ليس للعلماء فيه إلا قولان: قول من يقول إنها معصية، وقول من يقول إنه ليس بمحرم، بل ولا فضيلة فيه وليس بمستحب، فإذن من

---

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب المناسك، باب: في الصلاة على النبي – صلَّى الله عليه وسلم – وزيارة قبره، رقم (٢٠٤٢)، واللفظ له، والإمام أحمد في مسنده (٣٦٨/٢)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٨٣/١).

(٢) ينظر: الصارم المنكي (٣٠٨).

(٣) ينظر: الرد على الأخنائي (١١٣، ١١٨–١١٩)، مجموع الفتاوى (٢٩١/٢٧)، الصارم المنكي (١٦٧).

(٤) ينظر: الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لابن بطة (ص٣٦٦)، مجموع الفتاوى (١٨٧/٢٧)، الرد على الأخنائي (٤٣٥–٤٣٦)، الصارم المنكي (٣٥، ١٦٧)، غاية الأماني في الرد على النبهاني، للألوسي (١٧٨/١).

اعتقد أن السفر لزيارة قبورهم أنه قربة وعبادة فقد خالف الإجماع، وإذا سافر لاعتقاده أن ذلك طاعة كان محرما»(١).

ويؤيده ابن عبد الهادي(٢)-رحمه الله-، حيث يقول: «فدعوى من ادعى أن السفر إلى مجرد القبور مستحب عند جميع علماء المسلمين كذب ظاهر، وكذلك إن ادعى أن هذا قول الأئمة الأربعة، أو جمهور أصحابهم أو جمهور علماء المسلمين فهو كذاب بلا ريب، وكذلك إن ادعى أن هذا قول عالم معروف من الائمة المجتهدين، وإن قال إن هذا قول بعض المتأخرين أمكن أن يصدق في ذلك، وهو بعد أن تعرف صحة نقله نقل قولاً شاذاً مخالفاً لإجماع السلف، مخالفاً لنصوص الرسول -صلى الله عليه وسلم-، فكفى بقوله فساداً أن يكون قولاً مبتدعاً في الإسلام، مخالفاً للسنة والجماعة لما سنه الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها»(٣).

فالخلاف في هذه المسألة بين النهي والإباحة أما القول بالاستحباب قول مبتدع.

وتخصيص محمد بن جعفر الكتاني زيارة القبور بيوم معين، خلاف السنة؛ لأن السنة على الإطلاق وعدم التقييد للوقت، فلا يعين لها يوم ولا ساعة، لكن لو أن إنساناً اعتاد أنه لا يزور إلا في يوم كذا في يوم الخميس أو يوم الجمعة؛ لأنه يكون فارغاً فهذا لم يخصص، فلم يحدد هذا اليوم تديناً وتعبداً، إنما بحسب ظروفه(٤).

يتبين بهذا بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني، ونهجه لمنهج أهل البدع المخالف لسنة النبي-صلى الله عليه وسلم-والصحابة والتابعين، وما عليه السلف الصالح؛ لأنه لابد من أصلين مهمين تجب مراعاتهم في جميع أمور الدين، وهما:

---

(١) الرد على الأخنائي (١١٣)، وينظر: (١١٨-١١٩).

(٢) هو: محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن محمد بن قدامة، أبو عبد الله، سلفي المعتقد، من أعلام المحدثين، وأحد تلامذة شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي عام ٧٤٤هـ، من مؤلفاته: الصارم المنكي في الرد على السبكي، المحرر في الأحكام. ينظر: الدرر الكامنة (٣٣١/٣)، شذرات الذهب (١٤١/٦).

(٣) الصارم المنكي (١٦٧)، وينظر المرجع نفسه (٣٩).

(٤) ينظر: شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (٢٢١)، شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين (٤٧٣/٣).

١- أن العبادات توقيفية، مبنية على الحظر إلا بإذن الشارع، كما قال -صلى الله عليه وسلم-: من حديث عائشة رضي الله عنها: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد**))(١).

٢-أن الأمور الدينية تؤخذ بفهم السلف الصالح ومنهجهم في العمل، فما لم يكن عندهم دينا، لا يكون عندنا كذلك.

وشد الرحال للقبور، وتخصيص الزيارة بوقت محدد، مخالف للشرع، ولما عليه السلف الصالح-رحمهم الله تعالى-.

- القراءة على القبور:

يرى محمد بن جعفر الكتاني القراءة على القبور عند الزيارة، حيث يقول في هذا: "يقرأ الزائر ما تيسر من القرآن، أو يأتي بغيره مما يجري مجراه من الأعمال اللسانية، من هيللة أو تسبيح، أو صلاة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أو غير ذلك، ويهدي ثواب ذلك لهذا الولي"(٢).

وقال: "وما ذكرناه من القراءة على القبور عند الزيارة هو الذي به العمل شرقا وغربا؛ لأن الرحمة تتنزل عندها، أعني القراءة، ... فيرجى له بسبب ذلك ما هو أعظم من عطف هذا الولي ورضا، مدده وشفاعته له عند المولى سبحانه، وعند الرسول-صلى الله عليه وسلم-كما هو اللائق بأهل الكرم والجود أنهم يقابلون الشيء اليسير التافه الذي قصد صاحبه به التعظيم، بالأشياء العظيمة النفيسة، فيكون حينئذ رابحا لا خاسرا، وساعيا في تكبير الثواب لا في تنقيصه، ...وقد وردت أحاديث كثيرة في الترغيب في قراءة بعض القرآن وإهداء ثوابه وأجره لمطلق الأموات، فكيف بالأولياء والعلماء؟"(٣).

وقال في قراءة بعض صحيح البخاري على الضريح: "من خواص صحيح البخاري- على ما ذكره بعضهم-: أن من فتحه أو سفرا منه عند قبر ولي من الأولياء، وقرأ منه حديثا

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٥٣).

(٢) سلوة الأنفاس (١/٣٢-٣٣).

(٣) المرجع السابق (١/٣٣-٣٦).

واحدا، وقع عليه بصره، وتوسل برجال إسناده ثم بالرسول- صلى الله عليه وسلم-إلى الله تعالى في حاجته، فإنها تقضى إن شاء الله -عز وجل-"(١).

- النقد:

القراءة على القبور تارة تكون دائمة في كل وقت، وتارة تكون في بعض الأوقات والأحوال دون بعض.

فأما القراءة الدائمة على القبور فهي بدعة حادثة ليست من الدين.

وأما القراءة على القبور في بعض الأحوال والأوقات، كالقراءة حين زيارتها أو دفن الميت، فقد اختلف أهل العلم فيها، على ثلاثة أقوال.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:" لم يقل أحد من العلماء بأنه يستحب قصد القبر دائما للقراءة عنده، إذ قد علم بالاضطرار من دين الإسلام، أن ذلك ليس مما شرعه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته.

لكن اختلفوا في القراءة عند القبور: هل تكره، أم لا تكره؟ والمسألة مشهورة، وفيها ثلاث روايات عن أحمد: **إحداها**: أن ذلك لا بأس به... **والثانية**: أن ذلك مكروه... وفيه عن أحمد روايتان، وهذه الرواية هي التي رواها أكثر أصحابه عنه، وعليها قدماء أصحابه الذين صحبوه، وهي مذهب جمهور السلف، كأبي حنيفة ومالك ... ولا يحفظ عن الشافعي نفسه في هذه المسألة كلام، وذلك لأن ذلك كان عنده بدعة.

وقال مالك: [ما علمت أحدًا يفعل ذلك]، فعلم أن الصحابة والتابعين ما كانوا يفعلونه.

والثالثة: أن القراءة عنده وقت الدفن لا بأس بها، ...وأما القراءة بعد ذلك فهذا مكروه، فإنه لم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلا"(٢).

---

(١) سلوة الأنفاس (٦٧/١).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٢٦٤/٢)، وينظر: مجموع الفتاوى (٣١٧/٢٤، ٣٠١-٣٠٢)، الاختيارات العلمية (٩١)، أحكام الجنائز (١٩١-١٩٣).

فمذهب جمهور السلف كراهة القراءة على القبور، وينبغي حمل الكراهة في كلامهم على كراحة التحريم، لا كراهة التنزيه، لأن العلماء المتقدمين كثيرا ما يطلقون الكراهة ويريدون بها كراهة التحريم، إضافة على أن القراءة على القبور قد توقع في الغلو فيها والشرك بها من دون الله تعالى(١).

وبناء على ذلك فما قرره محمد بن جعفر الكتاني في القراءة على القبور باطل لما يلي:

-أن القراءة على القبور ليس من هدي النبي-صلى الله عليه وسلم-لأن الثابت المشروع عن النبي-صلى الله عليه وسلم- عند زيارة القبور هو السلام على الأموات، وتذكر الآخرة، والدعاء لهم والاستغفار، وأما قراءة القرآن عليها، فلم يرد عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في هديه لزيارة القبور، وهو من الابتداع في الدين(٢).

-أن القول بالقراءة على القبور فيه مخالفة للأدلة الصحيحة الصريحة في أن القبور لا يقرأ فيها القرآن، كقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة**))(٣)، فهذا الحديث يدل على أن القبور ليست موضعا للقراءة شرعا، فلذلك حض على قراءة القرآن في البيت، ونهى عن جعلها كالمقابر التي لا يقرأ فيها.

يقول الملا علي القاري-رحمه الله- في تعليقه على هذا الحديث: "القراءة عند القبور مكروهة عند أبي حنيفة، ومالك، وأحمد، رحمهم الله في رواية؛ لأنه محدث لم ترد له السنة"(٤).

-القول بالقراءة على القبور مخالف لما عليه أئمة المذاهب الأربعة؛ لأنهم اتفقوا على كراهية القراءة على القبور.

- أن القراءة على القبور قد توقع في الغلو بها، والشرك بها من دون الله تعالى.

---

(١) ينظر: مفتاوى اللجنة الدائمة (٥٦/٦).

(٢) ينظر: زاد المعاد (٥٠٧/١-٥٠٨)، فتاوى الإمام الشاطبي (ص٢١٠)، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١٢٨/١)، مجموع فتاوى ابن باز (٣٤٦/٥)، بدع القراء، بكر أبو زيد (ص٢١).

(٣) رواه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: استحباب صلاة النافلة في بيته وجوازها في المسجد، حديث رقم: (٧٨٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، علي القاري (ص٢٢٨).

وما ذكره محمد بن جعفر الكتاني في القراءة على القبور مع اعتقاد تعظيم الولي ورجاء مدده وشفاعته، هو من هذا الغلو في الأولياء وتعظيمهم، وهذا الاعتقاد شرك مع الله تعالى؛ لأن "الذي به الدلائل القاطعة والحس أن الله هو الممد لجميع خلقه، المستغني عن كل ما سواه، المفتقر إليه كل ما عداه، القائم على كل نفس بما كسبت، إلى غير ذلك، ومن اعتقد غير هذا فقد حادة عن توحيد الإسلام"(١).

-أن القراءة على القبور من اتخاذها مساجد؛ لأن المساجد هي التي بُنيت للصلاة والذكر وقراءة القرآن، فإذا اتخذ القبر لبعض ذلك، كان داخلا في النهي عن اتخاذها مساجد(٢).

- دفع الأموال وإقامة المواسم على الأضرحة:

يرى محمد بن جعفر الكتاني بأن من أسباب قضاء الحاجات دفع الأموال عند الأضرحة، وأن إقامة المواسم على قبور الصالحين مباحة؛ إذ الأصل في الأشياء الإباحة.

يقول في ذلك: "مما جربه كثير من الناس لقضاء الحوائج: الإتيان بهدية للولي من فلوس وغيرها، ...وقد عمل الناس به في كثير من الأضرحة، وخصوصا في ضريح قطب المغرب مولانا إدريس-رضي الله عنه- بفاس فشاهدوا منه العجب، والأمر أوسع من أن تدركه العقول، أو يصفه المقول "(٣).

وقد أخبر عن نفسه أنه أصيب بحمى عظيمة، ثم تصدق ولاذ بضريح بعض مدعي الولاية، فقال:" وتضرعنا عنده ودعونا الله تعالى، وتصدقنا ببعض الخبز وبعض الفلوس، وجعلنا في تابوته أيضا شيئا، فعادت بركة ذلك علينا وكل الشفاء بفضل الله عز وجل"(٤).

ويقول في حكمها: "حكم اتخاذها في الجملة، ومن حيث ذاتها: هو الإباحة؛ إذ الأصل في الأشياء الإباحة، حتى يرد ما يعارضها، أو يخالفها"(٥).

---

(١) أصفى الموارد في الرد على غلو المطرين (١٦٨).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٠٢/٢٤).

(٣) سلوة الأنفاس (٦١/١-٦٢)، ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٢١٢).

(٤) الرجلة السامية (٣٣١).

(٥) سلوة الأنفاس (٦٣/١-٦٤).

-النقد:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في هذه المسألة مخالف لما عليه السلف الصالح موافق لمنهج المبتدعة المخالفين؛ لأن دفع الأموال عند الأضرحة بقصد التقرب للأموات وقضاء الحوائج عبادة، والعبادات توقيفية، وقد عد العلماء الصدقة الخالصة لوجه الله تعالى عند القبر بدعة؛ لأنه لا دليل عليها، ولم يفعلها الصحابة ولا السلف الصالح من بعدهم، فكيف بدفع الأموال للأضرحة بقصد التقرب لهم، وقضاء الحوائج؟(١) بل هي شرك أكبر مخرج من الملة إذا اعتقد أن الولي هو الذي يقضي حاجته، أما إذا اعتقد أن دفع المال عند قبر هذا الولي سبب لقضاء الحوائج، فهذا بدعة ووسيلة إلى الشرك الأكبر، وتجارب الناس ليست مرجعا للدين.

وإقامة المواسم على القبور بدعة أيضا، لأنها من اتخاذها عيدا، وقد نهى النبي-صلى الله عليه وسلم-عن اتخاذها عيدا، كما أن فيه مشابهة لأهل الكتاب، وهو وسيلة إلى شد الرحال إليها، والإشراك بها مع الله تعالى(٢)، يقول المناوي-رحمه الله-:" اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة، ويقولون: هذا يوم مولد الشيخ ويأكلون ويشربون، وربما يرقصون، منهي عنه شرعا، وعلى ولي الشرع ردعهم على ذلك، وإنكاره عليهم وإبطاله"(٣).

-المسألة الثانية: موقفه من بعض الأعمال والأقوال التي تنافي توحيد الألوهية:

- الذبح لغير الله:

سُئل محمد بن جعفر الكتاني عن الذي يذبح على ضرائح الأولياء هل يحل أكله؟ وما يذبح للجان؟ وما تذبحه قبيلة على قبيلة أخرى؟

فنقل بأن ما يذبح على ضرائح الأولياء لقضاء الحوائج ينظر فيه لاعتقاد الذابح:

فإن اعتقد أن التأثير في قضائها لذلك الولي فقط، فمذبوحه حرام، وإن اعتقد أن التأثير في قضائها لله ولذلك الولي، فمذبوحه مكروه، وإن اعتقد التأثير في قضائها لله وحده، وإنما

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٦٢/٥)، أحكام الجنائز (٢٥٤).

(٢) ينظر: وكل بدعة ضلالة (٧٥)، الزاوية وما فيها من البدع (٦٤).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير (١٩٩/٤).

نوى أن ثواب مذبوحه له، فمذبوحه لا بأس به، وذلك مع ذكر اسم الله على المذبوح في الأقسام الثلاثة[١].

وذكر عن بعض من يشار له بالصلاح ويذبح بضرائح الأولياء، بأن الواجب فيه الظن الحسن، بأنه يقصد كما يقول:" التصدق بلحم ذلك الحيوان المذبوح على من يقبض صدقة ذلك الولي، أو نحو ذلك، فاعرف هذا ولا تظن إلا خيرا"[٢].

وقال في حال الذابح للميت على القبور، وما يُذبح للجان: "أن يعتقد أن التأثير لله بالذات ولذلك الولي بالقوة؛ حينئذ يكون فاسقا بالاعتقاد، وذكاته مكروهة على المشهور، ... أما إن اعتقد أن التأثير للولي بالذات لا بالقوة، فهو كافر إجماعا، وذكاته لا تؤكل؛ لأنه مرتد، ...فإن جهل الحال، ولم يُعلم اعتقاد هذا الذابح، حُمل على سلامة الاعتقاد، وأُكلت ذبيحته، حيث كان من قوم الغالب فيهم العلم بالمعتقدات على طريقة أهل السنة، أو يُجهل حالهم؛ لأن ذلك هو الأصل في المسلم والغالب على حاله...

وأما ما يذبح للجان؛ فإن لم يذكر اسم الله عليه، كما يفعله الآن بعض أراذل الفساق عند الذبح لهم، لم تؤكل مطلقا، لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ**﴾ **[سورة الأنعام:١٢١]**، وحكمه حينئذ حكم الميتة.

وإن ذكر اسم الله عليه: نُظر لقصد الذابح، فإن قصد اختصاص الجان بانتفاعه بثواب المذبوح، كما لو كان الذابح يعتقد فيه أنه من صالحي الجن، وأراد نفعه بالثواب المذكور ليستجلب به خاطره، ويكون وسيلة بينه وبين الله في قضاء مرغوبه، وحصول مطلوبه: كُره أكل ذبيحته؛ لأن صورتها صورة المذبوح لغير الله، لكون الجن مما عبد من دون الله سبحانه، ولارتكاب صاحبها للنهي؛ لأنه-عليه السلام- نهى عن الذبح للجان مطلقا، ... وإنما نهى عن الذبح لهم لأنهم مما عبد من دون الله، فيؤدي الذبح لهم إلى اعتقاد ما لا يجوز فيهم، بل ربما أدى إلى الكفر، كما هو مشاهد، نسأل الله السلامة والعافية!

---

(١) ينظر: سلوة الأنفاس (٥٧/١).

(٢) سلوة الأنفاس (٥٦/١).

وإن قصد التقرب إليه، أعني الجان، والانقياد له والخضوع، كما يتقرب إلى الله تعالى، كما لو كان الذابح يعتقد فيه أنه يؤثر في الأشياء فيوجدها ويعدمها بقدرته، وأنه قادر على نفع من شاء وضر من شاء، كما عليه كثير من جهلة النساء والعبيد، حُرم أكل ذبيحته؛ لأن معتقد هذا كافر مرتد"(١).

ونقل حكم ما تذبحه قبيلة على أخرى من أجل تحالفها، وأنه على أحوال: "فيقال: إن اعتقد الذابح أن الذبح هو الذي يُحدث الألفة بينهم، حُرم مذبوحه، وإن اعتقد التأثير في ذلك لله وللذبح، كُره مذبوحه، وإن اعتقد التأثير في ذلك لله فقط، فمذبوحه لا بأس به"(٢).

ونقل بأن أهل فاس لو علموا قدر إدريس بانيها لذبحوا عليه أولادهم!!، حيث قال:" ويُذكر عن الشيخ سيدي أحمد التجاني-رضي الله عنه- أنه كان يقول: لو علم أهل فاس قدر مولانا إدريس لذبحوا عليه أولادهم" (٣).

وذكر بأن الجاهل بالتوحيد، والرسالة، حتى وإن كان ينطق بالشهادتين، لا تؤكل ذبيحته(٤).

- النقد:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في هذه المسألة مخالف لمنهج السلف الصالح موافق ما قرره المبتدعة المخالفين للكتاب والسنة، ولما عليه سلف الأمة، لأن الذبح على وجه التقرب والتنسك عبادة من العبادات التي يشترط فيها الإخلاص لله تعالى وحدة، والمتابعة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، والذبح لغيره في هذه الحال شرك أكبر مخرج عن الملة، وقد أجمع العلماء على تحريم ذبيحة من ذبح لغير الله جل جلاله، أو ذكر فيها غير اسمه تعالى، ومنه ما يذبح

---

(١) سلوة الأنفاس (١/٥٧-٥٩).

(٢) المرجع السابق (١/٥٩).

(٣) سلوة الأنفاس (١/٨٢).

(٤) ينظر: الكشف والبيان (٢٥٠)، عمدة الراوين (٩/٤٠-٤١).

للميت على القبر، لأنه وإن كان لا يعتقد في القبور، ظاهر ذبحه شبه ما ذُبح لغير الله، وهو ذبح أهل الجاهلية، وقد نهينا عنه[1]- كما سيأتي-.

أما إذا كان المقصود من الذبح الفرح والإكرام، ولم يكن عند القبور أو المزارات، فهذا من العادات، والأصل فيها الإباحة، فيتبين بهذا أن الذبح على ضربين:

-**ذبح العبادة**: وهو ما ذبح على وجه القربة والتعظيم، وصرفه لغير الله شرك أكبر، مخرج عن الملة.

-**ذبح العادة**: وهو ما قصد به الفرح والإكرام، وغيرها من العادات، وهذا من الأمور المباحة[2].

والمقصود هنا ذبح العبادة والقربة، فيجب فيه توحيد الله -جل جلاله-، وما قرره محمد بن جعفر الكتاني في الذبح إلى القبور، وإلى الجن، باطل؛ لما يلي:

-أن الذبح إلى القبور وللجن محرم، سواء عظمها، أو عظّم الله عند الذبح، فإن عظمها فهو شرك أكبر مخرج من الملة، وإن عظم الله في الذبح فهو محرم كذلك؛ لأن في الذبح عند القبور مشابهة لفعل أهل الجاهلية، وقد نهى النبي-صلى الله عليه وسلم-عن مشابهتهم في فعلهم، فلا يجوز الذبح عند القبور، حتى ولو كان الذابح لا يعتقد في القبور وإنما يذبح لله-تعالى-[3]، والأدلة على ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [سورة الأنعام:١٦٢]، والنسك في هذه الآية بمعنى الذبح[4].

يقول ابن جرير الطبري-رحمه الله-في تفسير هذه الآية:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: (قل)، يا محمد، لهؤلاء العادلين بربهم الأوثان -والأصنام، الذين

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥٤/٨)، الاستغاثة في الرد على البكري، لابن تيمية (ص٢٨٤)، سبل السلام (٥٠٨/١).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٥٨/٢-٥٩)، مجموع الفتاوى (٥٣١/١٦-٥٣٢)، تيسير العزيز الحميد (١٥٥-١٥٦)، الدين الخالص، لصديق خان القنوجي (٦٤/٢)، القول المفيد (٢١٤/١)، شرح مسائل الجاهلية، لصالح الفوزان (ص٢٣٧).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٦٥/٢)، تفسير ابن كثير (٢٣/٣)، وكل بدعة ضلالة (٧٢)، شرح مسائل الجاهلية، لصالح الفوزان (٧٥).

(٤)ينظر: جامع البيان (٢٨٤/١٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٥٢/٧)، تفسير القرآن العظيم (٣٨٢/٣).

يسألونك أن تتبع أهواءهم على الباطل من عبادة الآلهة والأوثان (إن صلاتي ونسكي)، يقول: وذبحي، (ومحياي)، يقول: وحياتي، (ومماتي) يقول: ووفاتي، (لله رب العالمين)، يعني: أن ذلك كله له خالصًا دون ما أشركتم به، أيها المشركون، من الأوثان، (لا شريك له) في شيء من ذلك من خلقه، ولا لشيء منهم فيه نصيب، لأنه لا ينبغي أن يكون ذلك إلا له خالصًا، (وبذلك أمرت)، يقول: وبذلك أمرني ربي، (وأنا أول المسلمين) ، يقول: وأنا أوّل من أقرَّ وأذْعن وخضع من هذه الأمة لربه بأن ذلك كذلك"(١).

فالذبح بنية قضاء الحوائج للميت على القبور في الحقيقة صرف لعبادة الذبح لغير الله جل جلاله، فلا تقبل ذبيحة من ذبح لغير الله ولا تؤكل كما قرر العلماء، كما أنه لا تقبل صلاة من صلى لغير الله جل جلاله، لأن الصلاة والذبح من العبادات، وصرفها لغير الله شرك أكبر مخرج من الملة، فقد قال سبحانه:

- ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [سورة الكوثر:٢]، ومعناها:" أي: أخلص له صلاتك وذبيحتك، فإن المشركين كانوا يعبدون الأصنام ويذبحون لها، فأمره الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه، والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى»(٢).

- وقال جل جلاله: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ [سورة المائدة:٣]، فقد نهى الله تعالى عن أكل ما أهل لغير الله به، وما ذبح على النصب، وهذا ما كان يفعله أهل الجاهلية في ذبائحهم، حيث كانوا يهلون لغير الله تعالى، بمعنى يذكرون أسماء آلهتهم على ذبائحهم، ويذبحون على النصب، وهي حجارة حول الكعبة، وقد كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وينضحون دماءها إلى البيت، ويشرحون للحم ويضعونه على النصب، والذبح على القبور مشابه لفعل المشركين(٣).

- وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- ((لعن الله من ذبح لغير الله))(٤).

---

(١) جامع البيان (٢٨٣/١٢).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣٨١/٣).

(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (٢٣/٣).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، حديث رقم: (١٩٧٨)، من حديث علي بن أبي طالب.

يقول النووي- رحمه الله-:" وأما الذبح لغير الله: فالمراد به أن يذبح باسم غير الله تعالى، كمن ذبح للصنم، أو الصليب، أو لموسى، أو لعيسى -صلى الله عليهما-، أو للكعبة ونحو ذلك، فكل هذا حرام، ولاتحل هذه الذبيحة، سواء كان الذابح مسلما، أو نصرانيا، أو يهوديا"(١).

-ويقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((لا عقر في الإسلام)) (٢).

يقول ابن الأثير-رحمه الله-:"كانوا يعقرون الإبل على قبور الموتى، أي ينحروها ويقولون: إن صاحب القبر كان يعقر للأضياف أيام حياته فتكافئه بمثل صنيعه بعد وفاته"(٣)، فهذا العقر ليس من الإسلام، بل هو من فعل أهل الجاهلية، ومع ذلك أقره محمد بن جعفر الكتاني.

- وروى ثابت بن الضحاك-رضي الله عنه-قال: نذرَ رجلٌ على عهدِ رسولِ الله -صلَّى الله عليه وسلم- أن ينحرَ إبلاً ببُوانةَ، فأتى رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم -، فقال: إني نذرتُ أن أنحر إبلاً ببُوانةَ، فقال رسول الله -صلَّى الله عليه وسلم-: **((هل كان فيها وثنٌ من أوثانِ الجاهليةُ يُعبَدُ؟)) قالوا: لا، قال: ((هل كان فيها عِيدٌ من أعيادِهم؟))**، قالوا: لا، قال رسولُ الله -صلَّى الله عليه وسلم-: **((أوْفِ بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم))** (٤)، فمشابهة المشركين في الذبح بالأماكن التي يذبحون فيها لأوثانهم منهيا عنه، مع أن الذبح لم يكن إلا لله تعالى.

---

(١) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٤١/١٣).

(٢) رواه أبو داود في سننه، كتاب: الجنائز، باب: كراهية الذبح عند القبر، حديث رقم: (٣٢٢٢)، وأحمد (٣٣٣/٢٠)، وعبد الرزاق في مصنفه (٣/ ٥٩٩)، رقم: (٦٦٩٠)، والبيهقي في الكبرى (٩٤/٤، رقم: ٧٠٦٩)، و (٥٢٧/٩)، رقم: (١٩٣٥١)، من طريق ثابت عن أنس مرفوعاً، وصححه الألباني في أحكام الجنائز، وقال: "إسناده صحيح على شرط الشيخين"، ينظر: أحكام الجنائز، محمد ناصر الدين الألباني، سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥٦٤/٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٧١/٣)

(٤) رواه أبو داود في سننه، كتاب: الأيمان والنذور، باب: ما يؤمر بوفائه من النذر، حديث رقم (٣٣١٣)، والبيهقي في الكبرى (١٤٢/١٠/ رقم ٢٠١٣٩)، وصححه ابن حجر في التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي ☜

فمن ذبح شيئا لغير الله تعالى، متقربا به إليه فقد شابه أهل الجاهلية بفعله، وصدق عليه حكمهم، حتى ولو ذكر اسم الله تعالى على ذبيحته، ما دامت الذبيحة قد أهلها لغير الله تعالى، إذ كان كمن يصلي لصاحب القبر، ويستفتح بالتكبير.

يقول ابن كثير-رحمه الله-:" فنهى الله المؤمنين عن هذا الصنيع، وحرم عليهم أكل هذه الذبائح التي فعلت عند النصب حتى ولو كان يذكر عليها اسم الله في الذبح عند النصب من الشرك الذي حرمه الله ورسوله"(١).

ويقول الشوكاني-رحمه الله-:"وكذلك النحر للأموات عبادة لهم، والنذر لهم بجزء من المال عبادة لهم، والتعظيم عبادة لهم، كما أن النحر للنسك وإخراج صدقة المال، والخضوع والاستكانة عبادة لله عز وجل بلا خلاف، ومن زعم أن ثمّ فرقا بين الأمرين، فليهده إلينا، ومن قال إنه لم يقصد بدعاء الأموات والنحر لهم، والنذر عليهم عبادتهم، فقل له: فلأي مقتضى صنعت هذا الصنيع؟ فإن دعاءك للميت عند نزول أمر بك لا يكون إلا لشيء في قلبك عبّر عنه لسانك، ... وهكذا إن كنت تنحر لله، فلأي معنى جعلت ذلك للميت وحملته إلى قبره؟"(٢).

-أن الذبح عند القبور وإليها محرم، وهو وسيلة من وسائل الشرك؛ لأنه إذا اعتاد الناس الذبح عند القبور آل هذا إلى عبادتها دون الله- عز وجل-.

-أن الذبح للميت في القبر مع اعتقاد تأثير الميت في قضاء الحاجة شرك في الربوبية، سواء اعتقد أنه مؤثر بذاته، أو بأنه مؤثر بقوته مع الله، ولا تؤكل ذبيحته في الحالتين لا كما يرى الكتاني؛ لأنه قد أجمع العلماء على تحريم ذبيحة من ذبح لغير الله جل جلاله، أو ذكر فيها غير اسمه تعالى، فلا ينظر إلى اعتقاد الذابح إلى القبر عند الذبح، لأن ظاهر فعله مشابه لفعل المشركين، ولو ذكر فيه اسم الله-تعالى-(٣).

الكبير، (٤/٤٣٩)، وابن تيمية في اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٩٠)، والألباني، ينظر: صحيح سنن أبي داود، (٢/٣٢٨/ رقم٣٣١٣).

(١) تفسير ابن كثير (٣/٢٣)، ينظر: الدين الخالص (٢/ ٥٩-٦٣).

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (٧٥).

(٣) ينظر: جامع البيان (٨/٥٤)، تفسير ابن كثير (٣/٢٣).

فالذبح عند القبور حتى وإن جُهل حال الذابح ذبح لغير الله-عز وجل، وهو محرم، لأنه وإن كان لا يعتقد شيئا في القبور، فعمله بدعة ووسيلة إلى الشرك.

-قول محمد بن جعفر الكتاني بأن الذبح للجان "إن ذكر اسم الله عليه: يُنظر لقصد الذابح، فإن قصد اختصاص الجان بانتفاعه بثواب المذبوح، كما لو كان الذابح يعتقد فيه أنه من صالحي الجن، وأراد نفعه بالثواب المذكور ليستجلب به خاطره، ويكون وسيلة بينه وبين الله في قضاء مرغوبه، وحصول مطلوبه: كُره أكل ذبيحته؛ لأن صورتها صورة المذبوح لغير الله، لكون الجن، مما عبد من دون الله سبحانه، ولارتكاب صاحبها للنهي؛ لأنه-عليه السلام- نهى عن الذبح للجان مطلقا، ... وإنما نهى عن الذبح لهم لأنهم مما عبد من دون الله، فيؤدي الذبح لهم إلى اعقاد ما لا يجوز فيهم، بل ربما أدى إلى الكفر، كما هو مشاهد، نسأل الله السلامة والعافية!" (١)، فيه تصحيح لاعتقاد الذابح إذا ذبح لصالحي الجن مع ذكر اسم الله، وأراد نفع الجان بالثواب المذكور ليستجلب به خاطره، ويكون وسيلة بينه وبين الله في قضاء مرغوبه، لكنه كره هذا لأن صورته صورة المذبوح لغير الله، ولأن النبي نهى عن الذبح للجان مطلقا؛ لما يؤدي إلى اعتقاد ما لا يجوز!

والحقيقة أن الذبح للجان بهذا الاعتقاد الذي ذكره شرك أكبر مخرج من الملة، فهذا القصد وهو اعتقاد أن الجان وسيلة بينه وبين الله شرك أكبر مخرج من الملة، فليس حكمه مجرد الكراهة كما يرى، فهذه الحالة التي ذكرها بنفس حكم الحالة الأخيرة التي قال عنها:" وإن قصد التقرب إليه، أعني الجان، والانقياد له والخضوع، كما يتقرب إلى الله تعالى، كما لو كان الذابح يعتقد فيه أنه يؤثر في الأشياء فيوجدها ويعدمها بقدرته، وأنه قادر على نفع من شاء وضر من شاء، كما عليه كثير من جهلة النساء والعبيد، حُرم أكل ذبيحته؛ لأن معتقد هذا كافر مرتد"(٢).

وهذا الغلط منه في الحقيقة هو نتيجة للخلل في التوحيد، واعتقاده أن الربوبية هو الغاية، وما يتبعه من الخلل في معنى الشرك عنده، فقد حصر الشرك في الربوبية باعتقاد التأثير المستقل والخالقية والإيجاد، فإذا ذبح للجان بدون هذا الاعتقاد، وإنما لكونهم وسيلة في قضاء

(١) سلوة الأنفاس (١/٥٧-٥٩).

(٢) سلوة الأنفاس (١/٥٧-٥٩).

الحاجة لا يعد شركا أكبر عنده، وليس هو من صرف العبادة لغير الله، وقد تقدم بيان بطلان هذا، وأنه عين شرك المشركين الذين قاتلهم النبي-صلى الله عليه وسلم-واستحل دمائهم وأموالهم.

أما نقله بأن أهل فاس لو علموا قدر بانيها إدريس لذبحوا عليه أولادهم، فهذا غلوّ شنيع بالأولياء، فالذبح لغير الله من صور الشرك الأكبر المخرج من الملة، كما تقدم.

- السحر:

عرف محمد بن جعفر الكتاني السحر بقوله:" السحر لغة: كل ما دق ولطف من سحره، إذا أبدى له أمرا يدق عليه وخفي...

وشرعًا: يختص بكل أمر خفي سببه، وتخيل على غير حقيقة، ويجري مجرى التمويه والخداع" (١).

وقرر بأن السحر منه ما هو حقيقة ومنه ما هو تخييل، خلافا لمن زعم أنه تخييل، حيث قال:" واختلف العلماء هل هو حقيقة أم لا؟

فقيل: إنه تخييل لا حقيقة له؛ لقوله تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾ **[سورة طه:٦٦]**.

وقال الأكثرون، وهو الأصح الذي دلت عليه السنة: له حقيقة؛ لأن اللعين لبيد بن الأعصم الساحر(٢)، سحر رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وأمر -صلى لله عليه وسلم- بإخراجه من بئر ذي أروان بدلالة الوحي على ذلك، فأخرج منها، فكان ذا عقد فحلت عقدة، فكان كلما حلت منه عقدة خفَّ عنه -صلى الله عليه وسلم- إلى أن فرغت، فصار صلى الله عليه وسلم كأنما نشط من عقال...والجواب عن الآية: أنا لا نمنع أن من السحر ما هو تخييل؛ بل منه ذلك وما له حقيقة"(٣).

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٦٢/أ).

(٢) هو: لبيد بن الأعصم، من يهود بني زريق، وقيل لم يكن يهوديا، بل كان منافقا، ينظر: زاد المعاد (١٢٤/٤)، فتح الباري (٢٢٦/١٠).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٢/أ)، وينظر: تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٥).

ونقل محمد بن جعفر الكتاني أنواع السحر، عن الرازي(١)، الذي لا يرى في العلم بالسحر قبحا ولا محظورا، ولم يتعقبه الكتاني على ما ذكره، ولم يفصّل في حكمه(٢).

وقرر محمد بن جعفر الكتاني-حسب رأيه- بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- تعلم السّحر بإعلام الله تعالى، ورد على من ينكر هذا القول، بأن وجه الإنكار فيه كما يقول:" لو أراد أنه كان يعلمه بالتعلم من السحرة ونحوهم، إذ هو رذيلة لا تليق بآحاد المسلمين فضلا عن جنابه-صلى الله عليه وسلم-، ...أما لو كان أراد أن الله تعالى أعلمه به، وبكيفيته من جملة العلوم التي أعلمه إياها، وأمده بها معجزة له، فلا إنكار"(٣).

وقد امتدح غير واحد من الصوفية بمعرفته بعلم الحروف، والأسماء، والأوفاق(٤) (٥)، ومن ذلك قوله عن ماء العينين الشنقيطي: "وله-رحمه الله-مهارة في علوم الأسماء والأوفاق، وأصحابه المنتسبون له يصفونه بمقام عال في الولاية، ويحكون عنه كرامات كبيرة كثيرة"(٦).

وقد قرر-برأيه-أن آدم -عليه السلام-أول من تكلم في علم الحروف والأسماء، حيث قال في تعليم آدم-عليه السلام- الأسماء كلها: "وقد ذكر كثير ممن ألّف في علوم الجفر والحدثان، وكذا في علم الأوفاق وخواص الأسماء، إن الله تعالى علم آدم-عليه السلام-الأسماء كلها، ... وهو أول من تكلم في علم الحروف والأسماء، وقد كانت تتشكل له في قوالب نورانية عند إرادة مسمياته، وهي خاصية اختصه الله بها، وأنزل عليه كتاب حروف المعجم وهي تسعة

(١) ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٢/أ)، مفاتيح الغيب (٦١٩/٣ وما بعدها).

(٢) وقد تعقبه الإمام ابن كثير ورد عليه، ينظر: تفسير ابن كثير (٣٦٦/١).

(٣) جلاء القلوب (١١٤/١).

(٤) الأوفاق: جمع وفق: والوفاق: الموافقة والتوافق، الاتفاق، ووافقه أي صادفه، واستوفق الله: أي طلب منه التوفيق، ينظر: مختار الصحاح مادة وفق:(٣٠٤)، وهي أشياء من السحر تكتب للحب والبغض وغير ذلك، ترجع إلى مناسبات الأعداد وجعلها على شكل مخصوص مربع ولها كتب معروفة من شرح كيفية وضع وترتيب هذه الأعداد، ينظر: الفروق للقرافي: (٤/ ١٤٣ -١٤٤).

(٥) ينظر: سلوة الأنفاس (٢٩٠/١، ٣٦٢، ١١٥/٢، ٢١٣، ٢٤/٣).

(٦) الإجازة الأيوبية (٣٣).

وعشرون حرفا بلام الألف في إحدى وعشرين ورقة، ,أطلعه على أسرار أولاده وما يحدث لهم إلى يوم القيامة، وله كتاب جليل في علم الحروف يسمى بسفر الخفايا، وهو أول كتاب وجد في الدنيا في علم الحروف والأسماء"(١).

وقال:" وفي كشف الظنون في ترجمة علم الجفر والجامعة ما نصه: "وقد ادعى طائفة أن الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه-، وضع الحروف الثمانية والعشرين على طريق البسط الأعظم في جلد الجفر، يستخرج منها بطرق مخصوصة، وشرائط معينة وألفاظ مخصوصة، يستخرج منها ما في لوح القضاء والقدر، وهذا علم توارثه أهل البيت، ومن ينتمي إليهم، ويأخذ منهم من المشايخ الكاملين، وكانوا يكتمونه عن غيرهم كل الكتمان، وقيل: لا يقف في هذا الكتاب حقيقة إلا المهدي المنتظر خروجه في آخر الزمان"(٢).

ثم قال: " قال ابن طلحة: (الجفر) و (الجامعة): كتابان جليلان، أحدهما: ذكره الإمام علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه-، وهو يخطب بالكوفة على المنبر، والآخر: أسره رسول الله -صلى الله تعالى عليه وسلم-، وأمره بتدوينه، فكتبه علي -رضي الله عنه- حروفاً متفرقة على طريقة سفر آدم في جفر، يعني: في رق قد صبغ من جلد البعير، فاشتهر بين الناس به، لأنه وجد فيه ما جرى فيه للأولين والآخرين"" (٣).

وقال بعد سرده لتقريرات المتصوفة في كتاب الجفر وعلم الجفر: "قلت: يقتضي كلامهم أنهما كتابان: أحدهما لسيدنا علي، والآخر لسيدنا جعفر، ولا بُعد في ذلك"(٤).

إلى أن قال عن علم الجفر: "ولم يزل هذا العلم متوارثا إلى يومنا هذا، يأخذه الولد عن الوالد، والرجل عمن يسمح له به الأساتذة الأماجد، فليأخذه من يأخذه من أهله، واضعا الفرعة على أصله، ومن ظفر بشيء منه فليشكر الله على فضله، والله الموفق للسالك، وهو

---

(١) جلاء القلوب (٩٦/١).

(٢) كشف الظنون (٥٩١/١).

(٣) جلاء القلوب (٩٩/١)، وينظر المرجع نفسه (١٠٨/٢-١٠٩)، كشف الظنون (٥٩١).

(٤) المرجع السابق (١٠٣/١).

الهادي إلى أقوم المسالك، ... ويحتاج من يريد التحقيق في هذا الفن الذي هو علم الجفر إلى معرفة مفاتيحه، وهي على الإجمال ثلاثة:

الأول منها: علم الفلك والنجوم وأسرارها وما يتعلق بها.

الثاني: علم أسرار الحروف، وتركيبها، وبسطها، واستنطاقها.

الثالث: علم الوحي والكشف والإلهام"(١).

وسبق تقريره في أن القرآن له ظاهر وباطن وقوله:" ويقال: ما من حادثة إلا وإليها إشارة فيه بطريق علم الحروف، ولا تنكشف إلا لأهله، وقال بعض النظار: في القرآن أسماء الآلات وضروب المأكولات والمشروبات والمنكوحات، وجميع ما وقع ويقع من الكائنات"(٢).

النقد:

السحر لغة هو: مصدر سحر يسحر سحرا، يقول ابن فارس:" السين والحاء والراء أصول ثلاثة متباينة: أحدها: عضو من الأعضاء، والآخر: خدع وشبهه، والثالث: وقت من الأوقات"(٣)، ويطلق السحر على كل ما لطف ودق وخفي سببه(٤)، وهذا ما قرر محمد بن جعفر الكتاني.

السحر في الاصطلاح: اختلف أهل العلم في إمكان تعريفه؛ لكثرة الأنواع المختلفة الداخلة تحته(٥)، والقائلون بإمكانه اختلفوا في التعبير عنه(٦)؛ لكونه جامعا لمعان مختلفة(٧)، ومن التعريفات الجامعة تعريف الإمام موفق الدين ابن قدامة -رحمه الله- له حيث عرف السحر

---

(١) جلاء القلوب (١/١٠٤-١٠٥).

(٢) المرجع السابق (١/٢٩٠).

(٣) مادة (سحر) معجم مقاييس اللغة (٣/١٣٨).

(٤) ينظر مادة (سحر): تهذيب اللغة (٤/١٦٩)، الصحاح (٢/٦٧٩)، لسان العرب (٤/٣٤٨).

(٥) ينظر: أضواء البيان (٤/٤١).

(٦) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (١/٥١)، الفصل (٥/٢-٥)، المحلى (١/٥٨)، تفسير القرطبي (٢/٤٣)، فتح الباري (١٠/٤٣)، للاستزادة ينظر: السحر بين الحقيقة والخيال، أحمد الحمد (١٣-٢٠).

(٧) ينظر: الأم، للشافعي (١/٢٩٣).

بقوله:" عزائم ورقى وعُقَد تؤثر في الأبدان، والقلوب، فيمرض، ويقتل، ويفرق بين المرء وزوجه، ويأخذ أحد الزوجين عن صاحبه"(١).

والتعريف الذي ذكره محمد بن جعفر الكتاني في تقريره المتقدم موافق لتعريف بعض أهل العلم(٢).

وما قرره من كون السحر له حقيقة، وأنه ليس مجرد تخييل لا حقيقة له، موافق لما قرره أهل السنة والجماعة ومن وافقهم (٣)، وهو الحق، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة، وتبعهم عليه بعض أهل العلم كأبي جعفر الأستراباذي(٤)، وابن حزم(٥)، وغيرهما(٦)، وهم المشار إليهم في كلام محمد بن جعفر الكتاني المتقدم في قوله:" قيل: إنه تخييل لا حقيقة له".

وقولهم بإنكار حقيقة السحر على الإطلاق مجانب للصواب، ومخالف للحس، ولهذا يقول الإمام ابن قتيبة(٧)-رحمه الله-:" ونحن نقول إن الذي يذهب إلى هذا مخالف للمسلمين واليهود والنصارى وجميع أهل الكتب، ومخالف للأمم كلها"(٨).

وما أجاب به محمد بن جعفر الكتاني عن استدلالهم بقوله عز وجل: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ۝٦٦﴾ **[سورة طه:٦٦]**، في قوله: "والجواب عن الآية: أنا لا نمنع أن من السحر ما هو تخييل؛ بل منه ذلك وما له حقيقة"[١]، موافق لجواب جمع من المفسرين[٢].

---

(١) الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة (٦٤/٤)، وينظر: المغني (٢٨/٩).

(٢) ينظر: أحكام القرآن للجصاص (٥١/١)، الفصل لابن حزم (٢/٥-٣)، مفاتيح الغيب (٦١٩/٣).

(٣) ينظر: تأويل الحديث لابن قتيبة (١٧٩-١٨٧)، تأويل مشكل القرآن له (١١٦)، الحجة في بيان المحجة (٤٨١/١-٤٨٣)، شرح السنة للبغوي (٣٢٤/٧)، بدائع الفوائد (٢٢٧/٢)، أضواء البيان (٤١/٤)، شرح النووي على مسلم (١٧٤/١٤)، فتح الباري (٢٢٢/١٠).

(٤) هو: أبو جعفر الأستراباذي، نسبة إلى أستراباذ بلده بخراسان، فقيد شافعي، توفي عام٣٦٢هـ، ينظر: طبقات الشافعية للأسنوي (٣٤/١-٣٥).

(٥) ينظر: الفصل (٥/٥)، المحلى (٥٨/١).

(٦) ينظر: فتح الباري (٢٣٣/١٠).

(٧) هو: عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، أبو محمد، أحد أئمة السلف، من مؤلفاته: تأويل مختلف الحديث، الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية، توفي عام٢٧٦هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٩٦/١٣)، لسان الميزان (٣٥٨/٣).

(٨) ينظر: تأويل الحديث لابن قتيبة (١٧٩).

وقد نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج غلاة المتصوفة في إقرار السحر، فالطريق الوحيد لإثبات ولاية الشيخ الصوفي هو ادعاء الكرامات عن طريق خرق العادة بالسحر والشعوذة[٣]، وهو ثابت عنهم حتى اعترف بذلك شيخه الأكبر ابن عربي بذلك؛ فقال في الفتوحات المكية: "ومنهم الساحرون، والسحر بالإطلاق صفة مذمومة، وحظ الأولياء منها ما أطلعهم الله عليه من علم الحروف، وهو علم الأولياء؛ فيتعلمون ما أودع الله في الحروف والأسماء من الخواص العجيبة التي تنفعل عنها الأشياء لهم في عالم الحقيقة والخيال، فهو وان كان مذمومًا بالإطلاق فهو محمود بالتقييد، وهو عين السحر عند العلماء"[٤].

ويقول الغزالي:" أما السحر فهو عمل وكلام قد تداولوه بينهم في أوقات معلومة، وطوالع معروفة وطلسمات مضروبة، فإذا أردت أن تولد طلسما يصلح لما تريد، فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفاً، فإذا اجتمعت لك في التأليف ثلاثة أحرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريد"[٥].

يقول العلامة أبو أمامة بن النقاش[٦] -رحمه الله- عن الصوفية:" وقد ظهرت أمة ضعيفة العقل، نزرة العلم، اشتغلوا بهذه الحروف، وجعلوا لها دلالات، واشتقوا منها ألفاظ، واستدلوا منها على مدد وسموا أنفسهم بعلماء الحروف، ... ومن الحروف دخلوا للباطن، وأن للقرآن باطنا غير ظاهر، بل وللشرائع باطنا غير ظاهرها، ومن ذلك تدرجوا إلى وحدة الوجود"[٧].

وقد أثبت ابن خلدون-رحمه الله- بأن أول من تعامل بالسحر في الأمة المحمدية هم

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٢/أ)، وينظر: تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٥).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٤٦/٢)، تفسير ابن كثير (٣٦١/١-٣٦٩)، أضواء البيان (٥٠/٤).

(٣) ينظر: الطبقات الكبرى للشعراني (١٤٩/١)، مقدمة ابن خلدون (٣٩).

(٤) الفتوحات المكية (١٣٥/٢).

(٥) سر العالمين وكشف ما في الدارين (١١٤).

(٦) هو: محمد بن على بن عبد الواحد بن يحيى المغربي الدكالى الشافعي المصري، أبو أمامة المعروف بابن النقاش، من أعلام السلف، من مؤلفاته: تخريج أحاديث الرافعى، شرح العمدة، توفي عام٧٦٣هـ، ينظر: طبقات الشافعية لابن شهبة (١٣١/٣)، الدرر الكامنة (٣٢٥/٥).

(٧) نقلا عن البقاعي في مصرع التصوف (١٦١).

الصوفية، فقال في علم الحروف، وهو من علوم السحر: "حدث هذا العلم في الملة بعد صدر منها، وعند ظهور الغلاة من المتصوفة وجنوحهم إلى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم"(١).

مع أن السحر من المحرمات المتقرر حرمتها بالكتاب والسنة والإجماع، وهو من أكبر الكبائر والسبع الموبقات، يقول النووي -رحمه الله-: "فعمل السحر حرام وهو من الكبائر بالإجماع"(٢)؛ فالله تعالى قال: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٠٢].

وظاهر هذه الآية كما يقول ابن حجر-رحمه الله-:" فإن ظاهرها أنهم كفروا بذلك، ولا يكفر بتعليم الشيء إلا وذلك الشيء كفر، وكذا قوله في الآية على لسان الملكين: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ﴾ فإن فيه إشارة إلى أن تعلم السحر كفر فيكون العمل به كفرا"(٣).

يقول ابن كثير-رحمه الله-: "في هذه الآية الكريمة تبشيع لتعلم السحر"(٤).

ويقول الشوكاني-رحمه الله- في قوله عز وجل من هذه الآية: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ﴾: " فيه تصريح بأن السحر لا يعود على صاحبه بفائدة، ولا يجلب إليه منفعة، بل هو ضرر محض، وخسران بحت"(٥)، فكيف يرى الكتاني بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- تعلم السحر مع ضرره، وعدم فائدته، وقبحه عقلا وشرعا؟ وكيف يمتدح مدعي الولاية بذلك؟

وقد قال الإمام الطبري في معنى خاتمة الآية وهي قوله عز وجل: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [سورة البقرة:١٠٢]" قد دللنا فيما مضى قبل على أن معنى شروا:

(١) مقدمة ابن خلدون (٣٠٧).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٧٦/١٤).

(٣) فتح الباري (٢٢٥/١٠).

(٤) تفسير ابن كثير (٣٨٨/١).

(٥) فتح القدير (٢٢٥/١٠).

باعوا؛ فمعنى الكلام إذا: ولبئس ما باع به نفسه من تعلم السحر لو كان يعلم سوء عاقبته"[١].

وقد قال النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**اجتنبوا السبع الموبقات**)) قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: ((**الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات**))[٢]، فالنبي-صلى الله عليه وسلم-أمر باجتناب السبع الموبقات ومنها السحر، فكيف يأمر باجتنابه ثم يتعلمه كما قرر الكتاني؟

فالسحر حرام وتعلمه حرام بالكتاب والسنة، وما يراه في كون النبي-صلى الله عليه وسلم-تعلم السحر بإعلام الله مردود بالكتاب والسنة، كما أنه مخالف للعقول السليمة، والقول على النبي-صلى الله عليه وسلم-بأمر لم يثبت عليه، يكون كذبا عليه-صلى الله عليه وسلم-، فيدخل في وعيد: ((**من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار**)) [٣].

يقول الإمام أبو عثمان الصابوني-رحمه الله-:"إن قال: السحر ليس بحرام، وأنا أعتقد إباحته وجب قتله؛ لأنه استباح ما أجمع المسلمون على تحريمه"[٤]، مما يدل على خطورة تقريرات المتصوفة التي نهجها محمد بن جعفر الكتاني وأقرهم عليها.

ويقول ابن قدامة-رحمه الله-:" إن تعلم السحر وتعليمه حرام، لا نعلم فيه خلافا بين أهل العلم"[٥]، فتعلم السحر وتعليمه محرم بلا خلاف بين العلماء.

ويقول النووي-رحمه الله-:" عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد سبق في كتاب الإيمان أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عده من السبع الموبقات"[٦].

وجمهور العلماء يرون أنه مكفر مطلقا، وبعضهم ذهب إلى أنه معصية كبيرة[٧]، والحق

---

(١) جامع البيان (٣٦٧/٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: قول الله تعالى {إن الذين يأكلون أموال اليتامى}، رقم: (٢٦١٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الكبائر وأكبرها، رقم (٨٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث (١٠٧).

(٤) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (ص ١٠٥).

(٥) المغني (٢٩/٩).

(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم (١٧٦/١٤).

(٧) شرح النووي على مسلم (١٦٧/٤)، فتح الباري (٢٢٤/١٠).

أنه لا منافاة بين القولين؛ فالجمهور حينما حكموا على السحر بأنه كفر وقالوا بكفر الساحر مطلقا نظروا إلى السحر بمعناه الشرعي، ومن لم يكفر منهم فصل في حكم السحر وجعلوا منه ما هو كفر ومنه ما هو كبيرة، وفصلوا في حكم الساحر بناء على السحر بمعناه اللغوي(١).

وعلم الجفر، وعلم الأوفاق، وأسرار الحروف كلها من علوم السحر، وهي علوم مبتدعة حادثة، لا يعرف لها دليل، يزعم فيه المتصوفة كشف الحجاب، ويدّعون علم كثير من الغيبات التي لا يعلمها إلا الله تعالى، وهذا الذي يزعمون ما هو إلا ادعاء علم استأثر الله به، وهذا بلا شك من أعظم الشرك في الربوبية، ومن صَدَّقَ به، واعتقد فيه كفر، وقد رد السلف هذه العلوم وجعلوها من قبيل السحر(٢).

فقد سئل ابن تيمية -رحمه الله-عمن يجلس في الطرق والحوانيت للناس ويخبرهم عن الأمور الغيبية، معتمدين في ذلك على صناعة التنجيم، وكتابة الأوفاق والطلاسم؟ فأجاب بقوله:" لا يحل شيء من ذلك، وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكي والقوابل الأرضية: صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة"(٣).

ويقول الصنعاني -رحمه الله-:"علم الأوفاق وكيفيتها علم مبتدع وحادث، لا يعرف له دليل من كتاب ولا سنة ولا فعل صحابي ولا غيره، وإنما هو شيء مخترع، وأمر مبتدع، ...وهذا شأن الأسحار والابتداع، لا شأن الطريقة النبوية والاتباع، ومعلوم أنها طريقة سحرية، إذ المطلوب بها أمور دنيوية محضة، من جاه عند العباد، وجلب رزق من أيديهم، وإلقاء المهابة في قلوبهم، وغير ذلك "(٤).

وما زعموه ونقل رأيهم محمد بن جعفر الكتاني من أن آدم -عليه السلام-أول من

---

(١) ينظر: الأم (٢٩٣)، تيسير العزيز الحميد (٣٢٦-٣٢٧)، أضواء البيان (٥٠/٤).

(٢) ينظر: الاعتصام للشاطبي (٣٢٣/٢-٣٢٤)، مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥)، مجموعة الرسائل والمسائل لابن تيمية (٣٨٦/٣-٣٨٧)، مفتاح دار السعادة (٢١٧/٢)، الفروق للقرافي: (٤/ ١٤٣ -١٤٤)، مقدمة ابن خلدون (٣٠٧-٣٠٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥).

(٤) رسالة شريفة فيما يتعلق بـ(الأعداد للحروف، والأوفاق، وكم بقي من عمر الدنيا، وذكر المهدي المنتظر)، للصنعاني (٢١-٢٢).

تكلم في علم الحروف والأسماء، دعوى لا دليل عليها، يقول ابن تيمية-رحمه الله- "فهذا المنقول عن آدم من نزول حروف الهجاء عليه لم يثبت به نقل، ولم يدل عليه عقل"[١].

وكذلك ما نقله بأن علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- أول من وضع حروف علم الجفر، فهذه أوهام لا حقيقة لها، ويكفي ما جاء عند البخاري من سؤال أبي جحيفة لعلي: **هل عندكم شيء مما ليس في القرآن أو ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر**[٢]، "بهذا الحديث ونحوه من الأحاديث الصحيحة استدل العلماء على أن كل ما يذكر عن علي وأهل البيت، من أنهم اختصوا بعلم خصهم به النبي -صلى الله عليه وسلم- دون غيرهم كذب عليهم، مثل ما يذكر منه الجفر والبطاقة والجدول وغير ذلك"[٣].

وما جاء أيضا عند مسلم عن علي-رضي الله عنه- قوله: "ما خصنا رسول الله بشيء لم يعم به الناس كافة إلا ما كان في قراب سيفي هذا" وأخرج صحيفة مكتوب فيها: ((**لعن الله من ذبح لغير الله**...)) [٤].

فما يراه بقوله عن كتاب الجفر: "قلت: يقتضي كلامهم أنهما كتابان: أحدهما لسيدنا علي، والآخر لسيدنا جعفر، ولا بُعد في ذلك"[٥] باطل لا دليل عليه، يقول الذهبي-رحمه الله-:"مناقب جعفر كثيرة، وكان يصلح للخلافة لسؤدده وفضله وعلمه وشرفه -رضي الله عنه-، وقد كذبت عليه الرافضة، ونسبت إليه أشياء لم يسمع بها، كمثل كتاب الجفر"[٦]، فما قرره الصوفية هنا قد أخذوه عن الرافضة، وهو كذب.

ويقول ابن تيمية-رحمه الله-:" وأما الكذب والأسرار التي يدعونها عن جعفر الصادق

---

(١) مجموع الفتاوى (٥٨/١٢)، وينظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٤٩/٣).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الديات، باب: العاقلة، رقم: (٦٥٠٧).

(٣) مجموع الفتاوى (٢١٧/٢)، وينظر: المرجع نفسه (٧٨/٤-٧٩).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الأضاحي، باب: تحريم الذبح لغير الله، رقم (٤٥).

(٥) جلاء القلوب (١٠٣/١).

(٦) تاريخ الإسلام (٩٣/٩).

فمن أكبر الأشياء كذبا، حتى يقال: ما كُذب على أحد ما كُذب على جعفر-رضي الله عنه، ومن هذه الأمور المضافة كتاب: الجفر، الذي يدعون أنه كتب فيه الحوادث، والجفر: ولد الماعز، يزعمون أنه كتب ذلك في جلده"(١).

وقال: "الكتب المنسوبة إلى علي، أو غيره من أهل البيت، في الإخبار بالمستقبلات كلها كذب، مثل كتاب: الجفر، والبطاقة وغير ذلك، وكذلك ما يضاف إليه من أنه كان عنده علم من النبي - صلى الله عليه وسلم - خصه به دون غيره من الصحابة"(٢).

بهذا يتبين بطلان منهج محمد بن جعفر الكتاني في إقراره للسحر وأنواعه، وما يراه من أن النبي-صلى الله عليه وسلم-تعلم السحر بإعلام الله تعالى، ونهجه منهج غلاة المتصوفة في هذا.

- التنجيم:

يقول محمد بن جعفر الكتاني في بيان وجه الكفر في التنجيم:" قلت: وهذا إذا ادعى علمه بطريق الاستقلال، لا أن ادعى علمه بإعلام الله، أو بما هو راجع إلى إعلامه، فلا كفر، ... وموضوعه أيضا ادعاء العلم والجزم والقطع، وأما ظن الغيب بعلامة سماوية مثلا من نجم أو رعد أو سحاب أو غيرها، أو بتجربة عادية، فلا يكون كفرا، ولا فسقا، إن استند فيه لتجربة طبية كالطبيب، أو لعلامة أخبر الرسول-صلى الله عليه وسلم- بها كأمارات الساعة، وفي فسق المستند لعلامة لم يخبر النبي-صلى الله عليه وسلم- بها، سماوية أو غيرها، كقول المنجم: يكون كذا من نزول مطر، أو حدوث غلاء، أو موت رئيس، أو ما أشبه ذلك، مستندا فيه للقرانات، والطوالع، معتقدا أنه لا تأثير لها في شيء، وإنما المؤثر هو الله، ...عندنا يأثم ويفسق لإدخاله بذلك الشك على العامة، وإيهامه لهم أنه يعلم الغيب، ويُزجر ويؤدب، ولا يحل تصديقه"(٣).

-التنجيم:

التنجيم في اللغة: مصدر (نجَّم)، المشتق من النجم، وهو الكوكب.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٧٨-٧٩).

(٢) منهاج السنة النبوية (٨/١٣٦).

(٣) جلاء القلوب (١/١٨١)، وينظر المرجع نفسه (١/١٨٣).

والتنجيم، صنعة المنجم، وهو الذي ينظر في النجوم ويحسب مواقيتها وسيرها[١].

التنجيم في الاصطلاح: اختلفت عبارات أهل العلم في تعريف التنجيم، ويجمعها القول بأنه ادعاء معرفة ما يكون في الأرض قبل كونه[٢].

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"لاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية والتمزيج بين القوى الفلكي والقوابل الأرضية"[٣].

وعلم التنجيم على نوعين:" **نوع يسمى علم التأثير**: وهو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الكونية، فهذا باطل ودعوى لمشاركة الله في علم الغيب الذي انفرد به، أو تصديق لمن ادعى ذلك، وهذا ينافي التوحيد لما فيه من هذه الدعوى الباطلة، ولما فيه من تعلق القلب بغير الله، ولما فيه من فساد العقل، لأن سلوك الطرق الباطلة وتصديقها من مفسدات العقول والأديان.

النوع الثاني: **علم التسيير**: وهو الاستدلال بالشمس والقمر والكواكب على القبلة والأوقات والجهات، فهذا النوع لا بأس به، بل كثير منه نافع قد حث عليه الشارع، إذا كان وسيلة إلى معرفة أوقات العبادات، أو إلى الاهتداء به في الجهات"[٤].

وعلم التأثير مجمع على تحريمه، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"وصناعة التنجيم التي مضمونها الأحكام والتأثير، وهو الاستدلال على الحوادث الأرضية بالأحوال الفلكية، والتمزيج بين القوى الفلكية والقوابل الأرضية، صناعة محرمة بالكتاب والسنة وإجماع الأمة؛ بل هي محرمة

---

(١) ينظر مادة (نجم): معجم مقاييس اللغة (٣٩٦/٥)، الصحاح (٢٠٣٩/٥)، لسان العرب (٥٧٠/١٢).

(٢) ينظر: شرح السنة للبغوي (١٨٣/١٣)، معالم السنن (٢٢٩/٤)، مقدمة ابن خلدون (٢٦٠/٢)، مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، طاش كبرى زادة (٣٣٧/١)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة (١٩٣٠/٢)، للاستزادة ينظر: التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام لعبد المجيد المشعبي (ص٣٣)، مقدمة يوسف السعيد على القول في علم النجوم للخطيب البغدادي (١٠٤).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥).

(٤) القول السديد (١٢١)، وينظر: القول في علم النجوم (١٢٦)، مجموع الفتاوى (١٧١/٣٥)، تيسير العزيز الحميد (٣٨٥).

على لسان جميع المرسلين في جميع الملل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة طه:٦٩]، وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [سورة النساء:٥١]"[١]، وذلك لاشتراك التنجيم والسحر بادعاء علم الغيب، فما قرره محمد بن جعفر الكتاني من تحريم اعتقاد تأثير غير الله من الكواكب وغيرها والحكم بكفره موافق لما أجمع عليه أهل العلم[٢].

أما تفريق محمد بن جعفر الكتاني في حكم المنجم، بأنه إن ادعى علم الغيب بطريق الاستقلال يكفر، أما إن ادعاه كما يقول: "بإعلام الله، أو بما هو راجع إلى إعلامه، فلا كفر"[٣]، تفريق مبتدع باطل؛ ينتج عنه القول بإيمان المنجم وعدم كفره إن ادّعى أنه يعلم الغيب بإعلام الله، وهو قول مخالف للكتاب والسنة، لأن علم الغيب من خصائص الله وحدة، ودعوى علم الغيب كفر مخرج من الملة؛ لأنه تكذيب لقوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النمل:٦٥]، فنفى الله -عز وجل-علم الغيب عن الخلق عموماً، من في السماوات كالملائكة، ومن في الأرض كالأنبياء، فكيف يدعى علم ذلك لغيرهم؟

كما أن هذا التقرير يلزمه فيه أن يكون الساحر الذي يدعي أنه يتعلم السحر بإعلام الله لا بالاستقلال مؤمن، وهذا باطل، وقد قرره محمد بن جعفر الكتاني في النبي-صلى الله عليه وسلم-كما سبق.

وتقريره هنا شبيه بتقريره أن النبي-صلى الله عليه وسلم- أو غيره ممن يدعي الولاية يؤثر في قضاء الحاجة لا بالاستقلال، بل بما جعل الله فيه من القوة، وكل هذا من الشرك في الربوبية، سواء اعتقد أنه يعلم الغيب بالاستقلال، أو بإعلام الله، أو أنه يؤثر بالاستقلال، أو بالقوة التي

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩٢/٣٥)، وينظر المرجع نفسه (٥٣٦/٥).

(٢) وينظر: البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، لابن رشد (٤٠٧/١٧).

(٣) جلاء القلوب (١٨١/١).

منحها الله إياها، وتقريراته هذه مبنية على معنى الشرك عنده، وأنه اعتقاد التأثير المستقل، فلما حصره بالشرك في الربوبية جعل ما عدا هذا كله من التوحيد لا من الشرك، فالمنجم مدعي الغيب بإعلام الله-كما يرى- موحّد عنده، وهذا باطل مبني على باطل.

كما أن ما قرره بأن من ظن الغيب بعلامة سماوية من نجم أو رعد، أو غيرها، كقول المنجم: يكون كذا من نزول مطر، أو حدوث غلاء، أو موت رئيس، وحكمه بفسق وزجر من قال بهذا، فهذا ينبغي التفصيل فيه: فظن الغيب بعلامة سماوية، وليس بأمور خفية، كمن يظن نزول المطر بمشاهدة السحاب والرياح، هو من ربط الأسباب بمسبباتها، وهو من علم التسيير، وليس من التنجيم المحرم، قال عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [سورة الأعراف:٥٧]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ۝٤٨﴾ [سورة الفرقان:٤٨]، والله -عز وجل- جعل الرياح علامة على المطر، ففاعل ذلك لا يجزم بما يقول، وإنما يخبر بما غلب على ظنه، ولهذا قد يقع الخطأ كثيرا في خبره، وهذا لا كفر فيه كما قرر الكتاني؛ لأنه كما ذكر ظن الغيب ولم يجزم به.

يقول الخطابي-رحمه الله-:"فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والحس الذي يعرف به الزوال ويعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه"(١).

أما قول الكتاني: "وفي فسق المستند لعلامة لم يخبر النبي-صلى الله عليه وسلم- بها، سماوية أو غيرها، كقول المنجم: يكون كذا... من حدوث غلاء، أو موت رئيس، أو ما أشبه ذلك، مستندا فيه للقرانات، والطوالع، معتقدا أنه لا تأثير لها في شيء، وإنما المؤثر هو الله، ... فعندنا يأثم ويفسق لإدخاله بذلك الشك على العامة، وإيهامه لهم أنه يعلم الغيب، ويُزجر ويؤدب، ولا يحل تصديقه"(٢)، فهذا لأنه هو علم التأثير المنهي عنه، وهو التنجيم المحرم، ويُعد

---

(١) معالم السنن (٢٣٠/٤)، وينظر: شرح السنة للبغوي (١٨٣/١٢).

(٢) جلاء القلوب (١٨١/١).

من باب الشرك الأصغر، لأن هذه ليست أسبابا لا شرعا ولا عقلا [1]، ويُزاد عليه أيضا بأن من ادعى علم الغيب بإعلام الله -كما يرى- من المنجمين يوهمون العامة كذلك، وينبغي أن يزجروا ويؤدبوا كغيرهم.

- الدعاء والذكر والاستغاثة:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني مشروعية الدعاء والذكر، وذكر أن من فتح الله له باب الدعاء، فتحت له أبواب الرحمة، واستدل على ذلك ببعض الأدلة منها:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ۝٦٠﴾ [سورة غافر:٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ﴾ [سورة البقرة:١٨٦].

وقوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢﴾ [سورة النمل:٦٢] [2].

كما استدل بجملة كبيرة من الأحاديث، وذكر منها بعض شروط إجابة الدعاء، منها ما ذكره في شرحه لقول الله -جل جلاله- في الحديث القدسي: ((**وإن سألني لأعطينَّه، ولئن استعاذني لأعيذنَّه**)) [3] حيث قال: " فإن قيل: كثير من الناس يدعوا فلا يُستجاب له؟

فالجواب: إن كل داعٍ يُستجاب له، لكن تتنوع الإجابة، فتارة تقع بعين ما دَعا به، وتارة بِعِوَضِه... وقد تكون الإجابة مرتَّبة على شروط لا علم للدَّاعي بها، فتتأخر لعدم وقوع ذلك أو بعضه، وذلك مثل وجود الاضطرار، قال الله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ **[سورة النمل:٦٢]**، فرتَّب الإجابة على الاضطرار.

---

(١) ينظر: الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٨/١-٦٩)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله الغنيمان (١١٢/١)، تيسير العزيز الحميد (٣٧٩)، التنجيم والمنجمون (٣٣٩)، مقدمة يوسف السعيد على القول في علم النجوم (١١٩).

(٢) ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٥١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: (ويحذركم الله نفسه)، حديث: (٦٩٧٠)، ومسلم، كتاب: التوبة، باب: الحض على التوبة والفرح بها، حديث: (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

قال بعض العارفين: إذا أراد الله تعالى إجابة دعاء عبد رزقه الاضطرار في الدعاء، والاضطرار لا يتحققه العبد من نفسه في جميع حالاته، قال بعضهم: المضطر الذي إذا رفع إلى الله يده لم ير لنفسه عملا، قال: وهذا حال شريف ومقام منيف، يعز على أكثر الناس الوصول.

وأخرج مسلم وابن حبان والبغوي، عن أبي هريرة رفعهُ: ((**لا يزال يُستجاب للعبدِ ما لم يدع بإثمٍ أو قطيعة رحم، وما لم يستعجل**)). قيل: يا رسول الله، وما الاستعجال؟ قال: ((**يقول: قد دعوت، وقد دعوت، فلم أر يُستجاب لي. فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء**))(١).

وفيه أن من شروط الإجابة: ألا يدعو بإثم أو قطيعة رحم، وألا يَيْأس من الإجابة، ... ومن شروطها أيضًا: أن يكون طيِّب المطعم والملبس؛ لحديث: ((**فأنَّى يُستجاب لذلك**))(٢)، ...وله تأثيرٌ عظيم في الإجابة"(٣).

وذكر أن من الدعاء الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم-(٤)، وأن من المتواتر: أنهم قالوا: قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: ((**قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد**)) (٥) (٦).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: يستجاب للعبد مالم يعجل، حديث رقم: (٥٩٨١)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: بيان أنه يستجاب للداعي مالم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي، حديث رقم: (٢٧٣٥)، بلفظه، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب: قبول الصدقة من الكسب الطيب، رقم: (١٠١٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) شرح على دلائل الخيرات (ل ٥١-٥٢).

(٤) ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٥٣).

(٥) رواه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب قوله: {وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا}، رقم: (٣٣٦٩)، ومسلم، كتاب: الصلاة، باب: الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم-بعد التشهد، رقم (٤٠٥).

(٦) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٩٦).

وعدد فضائل الصلاة على النبي -صلى الله عليه وسلم- في أكثر من موضع، منها قوله: "أنها: تكشف الهموم، وتجلي الغموم، وتدفع العاهات، وتقضي الحاجات، وتكثر الأرزاق، ويحصل بها لصاحبها من الله كمال الإرفاق، وترفع الدرجات وتكثر الحسنات، وتكفر الخطايا والزلات، وتزيد في القرب من رب البريات"(١).

وقد سبق تقرير الكتاني في باب الأذكار قوله: "باب الأذكار وخواصها، وما يترتب عليها من الأجور ونحوها توقيفي، لا يقدم عليه إلا بنص صريح، أو كشف صحيح، ولا يجوز فيه القياس بوجه"(٢).

فهو يقرر بأن باب الأذكار توقيفي، إلا أنه يساوي بين النصوص الصريحة والكشف الصوفي في الاستدلال، ويعده مصدرا من مصادر التلقي، فأثبت جملة من الأذكار البدعية كتقريره لقول "الحمد لله" ألف مرة بعد كل صلاة، و"يا لطيف!" ستة عشر ألفا وستمائة وإحدى وأربعين مرة، وغير ذلك (٣).

ومما أقره بعض الأذكار التي وردت فيها أحاديث باطلة، بعد إثباته لبطلانها ووضعها، قال: " فالمعول عليه حينئذ في هذا هو كلام أهل الكشف الذين فراستهم لا تخطئ، وقد كوشفوا بصدق هذا الأثر وعملوا به، وحضوا عليه، وتبعهم الناس على العمل به مشرقا ومغربا علماء وغيرهم، وشاهدوا بركته، ورأوا منامات تدل على صحته"(٤)، فهو وإن كانت الأحاديث موضوعة وباطلة عنده يجعل دليله فيها كلام أهل الكشف والولاية، وما قرروه، وعملوا به.

---

(١) اليمن والإسعاد (١٢٥)، وينظر: الورد الشريف (١٥٥-١٥٦)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٧-٨)، جلاء القلوب (٢٩٨/٣).

(٢) شفاء الأسقام (٦٣)، ينظر: جلاء القلوب (٦٣/٢).

(٣) ينظر: شفاء الأسقام (٩، ٢٩، ٥٧، ٦١، ٦٣وما بعدها) النبذة اليسيرة النافعة (٣٤-٣٦، ٢٨٤، ٣٩١)، عمدة الراوين (٦٢/٩)، الرحلة السامية (٢٣٤)، الإجازة الأيوبية (٥١١)، الورد الشريف (١٥٣)، رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ٢)، شرح على دلائل الخيرات (٢٠، ١٠٦-١٠٨)، رسالة في سلب الإرادة وطريق القوم (ل ٣، ل ٦)، عمدة الراوين (٧٧/٩، ٣٢/١٠-٣٨).

(٤) شفاء الأسقام (٥٠)، ينظر المرجع نفسه (٥٦)، شرح على دلائل الخيرات (ل ١١، ٥٧-٥٨).

وكان ممن يقر الاجتماع على الذكر، ويرى استحباب قراءة القرآن اجتماعا بلسان واحد [١]، وقد صرّح في كتابه: نصرة ذوي العرفان فيما أحدثوه لذكر الهيللة جماعة من الطبوع والألحان، إقرار على ما أُحدث من الاجتماع على ترديد الهيللة بالألحان؛ لأن الغاية كما يقول:" استجلابًا بها للقلوب اللاهية، وردًّا لها عما هي به متلاغية ومتلاهية، واستراقًا لها بما هو ملائم لطبعها، وتحيُّلا على أخذها بما هو من أصلها وفرعها، وإيقاظًا مع ذلك لقلوبهم وأرواحهم، وتنشيطًا لنفوسهم وأشباحهم، وفرحًا بسيِّدهم ومولاهم، وتشويقًا لما وعدهم به وأولاهم، وكفًّا للجماعة المجتمعة عن قيلها وقالها، وإشغالًا بالمعبود الحق لفكرها وبالها، ولمقاصد لهم في ذلك شريفة، سنية لطيفة، يعرفها من خالطهم، ويتحققها من جالسهم ومازجهم"[٢].

وكان له ورد معروف عنه، ذكر أنه يفيد في قرائته عند الملمات، وأن على قارئه الالتزام بالصيغة الواردة فيه، إذ كل اسم سره في معناه، وخاصية في عدده، وفيه جملة من الأذكار الثابتة، وجملة مما لم يثبت، ومن الألفاظ الواردة فيه: أدركنا يا رسول الله! اجبر كسرنا يا حبيب الله! خذ بأيدينا يا أكرم الخلق على الله، وأنها تقال ١٢ مرة، ويا لطيف! ١٠٠ مرة، ويا ودود ١٠٠ مرة، والله ١١١مرة، وغير ذلك[٣]، فكان محمد بن جعفر الكتاني ممن يقر الاستغاثة بالنبي-صلى الله عليه وسلم- وغيره من الأولياء، أحياء وأمواتا.

وقد سبق أن حكى عن ابن التلاميد الشنقيطي ذاما له بأنه:" وينفي أيضا الاستغاثة بمخلوق، ولو النبي-صلى الله عليه وسلم-"[٤].

ومما ذكره حكاية عن بعض من ترجم لهم، بأنه قال: "من استغاث بي في كربة كشفت عنه، ومن ناداني في شدة فرجت عنه، ومن توسل بي إلى الله في حاجة قضيت"(٥)، وأقره على

---

(١) ينظر: مقدمة محمد المنتصر بن محمد الزمزمي الكتاني على الرسالة المستطرفة (٣١)، سلوة الأنفاس (١/١٠٥)،

(٢) نصرة ذوي العرفان (ل ٤).

(٣) ينظر: الورد الشريف (١٥٣-١٥٦)، وينظر: الرحلة السامية (١٠٩، ١١٩).

(٤) الرحلة السامية (١٣٥).

(٥) ينظر: سلوة الأنفاس (١/٢٤٣).

ذلك، وقال عن أحدهم:" وافق حين دفنه أن حُبس المطر مدة مع الاحتياج إليه، فاستشفع الحاضرون به وهو على النعش، واستغاثوا إلى الله به، فأرسل الله المطر عليهم في الحين"(١).

وعن آخر بأنه:"كان كثير الزيارة للصالحين، واللهج بذكرهم، لا ينام كل ليلة حتى يسرد عددا كثيرا منهم، يستعطفهم ويستغيث بهم، ويتلذذ بذكرهم"(٢)، وقال عن آخر:"كانت له الإغاثة في البر والبحر"(٣)، وعن بعضهم بأنه من أهل الإغاثة(٤)، وقال عن آخر: "وكان آية عظمى في قضاء الحوائج لمن قصده وتوسل به"(٥).

وذكر بعض ما يُقال من الشعر عند زيارة الأولياء، مما فيه استغاثة بهم وبجاههم(٦)، ومنه:

إني أتيت لبابكم مستصرخا ... يا من بهم كل الأماني والأمل
أنتم حماة الحي يا غوث الورى ... نصرا لنا عونا عيانا عن عجل

ومنه:

قسما بكم وبحقكم وبجاهكم ... لا حلت عن عهد لكم طول الأبد
يا ساكنين بمهجتي وبخاطري ... الله يشهد أنكم لي معتمد
أنا عبد عبد عبيدكم وببابكم ... أرجوا القبول يا سادتي المدد المدد
متوسلا بمحمد وبنته ... وببعلها وابنيها خيري ولد
صلى عليه الله جل جلاله ... والآل والصحب الكرام ذوي الرشد

ومنه:

أولياء الله إني مريض ... والدواء لديكم والشفاء
أنتم الباب والإله كريم ... من أتاكم له المنا والهناء
فانظروا لي بفضلكم في علاجي ... وامنحوني بجودكم ما أشاء

---

(١) سلوة الأنفاس (١١/٢).

(٢) المرجع السابق (٢١١/٢).

(٣) سلوة الأنفاس (٢٥٠/٢)، وينظر المرجع نفسه (٣١٧/١، ٣٢٩، ٣٦٦، ٩٣/٣).

(٤) ينظر: سلوة الأنفاس (٣١٢/١-٣١٣).

(٥) سلوة الأنفاس (٢٥٩/٢).

(٦) ينظر: سلوة الأنفاس (٦٧/١-٦٩، ٢٦/٢).

وأخبر محمد بن جعفر الكتاني عن بعض الأولياء بأنه موصوف بالقطبانية والغوثائية، أو بأنه القطب الغوث، وقطب الأقطاب، وغوث العالم [(١)]، ومن أقواله في مدح بعض الصوفية أنه:"قطب الأنام، وغياث الإسلام، الغوث الجامع، والبحر الواسع"[(٢)].

وأخبر عن بعضهم أنه يقول:"أنا القطب، أنا الجرس، أنا الغوث، أنا الوتد، ومن قال شيئا فها أنا"[(٣)].

وقال عن بعضهم: "كان الناس يقصدونه في قضاء حوائجهم المهمة، فتقضى لهم بطريق الغيب والهمة"[(٤)].

ونقل عن الحافظ ابن حجر قوله:" وأما القطب فورد في بعض الآثار، وأما الغوث بالوصف المشتهر بين الصوفية فلم يثبت"[(٥)].

- النقد:

خالف محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته السابقة منهج السلف الصالح، ونهج منهج المبتدعة المخالفين للكتاب والسنة، ولما عليه الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، فالدعاءُ شأنُه عظيم، ومكانتُه سامية، ومنزلتُه عالية؛ إذ هو من أنفع القربات، ومعناه استدعاء العبد ربه ﷻ العناية واستمداده إياه المعونة، وفيه إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٥]، وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [سورة غافر:٦٠]، وهذه الآية واضحة الدلالة على أن الدعاء

---

(١) ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٤، ٧٤)، سلوة الأنفاس (١/٧١، ٩٥، ١٧٠، ٣٣١، ١٤٥، ٤٠٩، ٢/٣٨، ٢٢٤، ٢٣٥)، جلاء القلوب (١/١١، ٢/٢٥٨)، نظم المتناثر (٢١٠)، النبذة اليسيرة النافعة (١٥٤)، حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٩٧)، الرحلة السامية (٤٩)، عمدة الراوين (٩/٧٥).

(٢) ينظر: سلوة الأنفاس (١/٤٠٩).

(٣) سلوة الأنفاس (١/٣٣٥)، وينظر المرجع نفسه (١/١٤٦).

(٤) سلوة الأنفاس (١/٣٧٣).

(٥) نظم المتناثر (٢٢١)، ينظر: شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للزرقاني (٧/٤٨٠).

نوع من أنواع العبادة؛ لأن الله ﷻ أمر بالدعاء، ثم قال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي ﴾، والمستكبر عن العبادة في هذه الآية هو المستكبر عن الدعاء؛ لأنه ﷻ أمر بالدعاء وتوعد المستكبر عنه، والدعاء على نوعين هما: دعاء العبادة، ودعاء المسألة[1]، و «دعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه، وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، ولهذا أنكر تعالى على من عبد من دونه ما لا يملك ضرا ولا نفعا، وذلك كثير في القرآن كقوله تعالى : ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ﴾ [سورة يونس:١٠٦]، وقال: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ ﴾ [سورة يونس:١٨]، فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين الضر والنفع القاصر والمتعدي، فلا يملكون لأنفسهم ولا لعابديهم، وهذا كثير في القرآن يبين تعالى أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر، فهو يدعو للنفع والضر دعاء المسألة، ويدعو خوفا ورجاء دعاء العبادة، فعلم أن النوعين متلازمان فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة»[2].

وبما أن الدعاء بنوعية من العبادة فلا يخفى أن العبادة لا تقبل بالإخلاص والمتابعة، لا بمجرد محبة النبي-صلى الله عليه وسلم- والأدب معه، كما يرى الكتاني في العبادة وأن محبة النبي تدل على متابعته، فمن دعا غير الله ﷻ طالبا منه أمرا من الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، فقد عبد غير الله وأشرك معه غيره[3]؛ لهذا كان الإخلاص من أهم شروط الدعاء، قال الله ﷻ ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا ١٨﴾ [سورة الجن:١٨]، أي: لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة، وإنما أفردوا له التوحيد، وأخلصوا له العبادة كلها[4].

ومن متابعة النبي -صلى الله عليه وسلم-، ألا يستغيث ولا يتوسل بالدعاء إلا بما جاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، من التوسل المشروع[5].

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/٢٣٧-٢٣٨) بدائع الفوائد لابن القيم (٣/٥١٣-٥١٤).

(٢) مجموع الفتاوى (١٥/١٠-١١).

(٣) ينظر: شأن الدعاء، للخطابي (ص٤).

(٤) ينظر: جامع البيان (٢٣/٦٦٥)، مجموع الفتاوى (١٥/١٠-١١)، تيسير الكريم الرحمن (٨٩٠).

(٥) سيأتي ذكر أنواع التوسل المشروع (ص ٤٢٢).

يقول ابن باديس-رحمه الله-:" لما ثبت شرعاً أن الدعاء عبادة فمن دعا شيئا فقد عبده، ولو كان هو لا يسمي دعاءه عبادة، جهلاً منه، أو عناداً؛ لأن العبرة بتسمية الشرع واعتباره، لا بتسمية المكلف واعتباره، ألا ترى لو أن شخصاً قام للصلاة بدون وضوء مستحلاً لذلك، فلما أنكرنا عليه قال: إنني لا أعتبر هذه الأفعال والأقوال عبادة ولا أسميها صلاة، أترى ذلك يجيز فعله ويدفع عنه تبعته؟ كلا! ولا خلاف في ذلك بين المسلمين، بل قد حكموا بردته إن كان يفعل ذلك ويراه حلالاً؛ لأنه يكون قد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة.

فالداعي لغير الله تعالى يطلب منه قضاء حوائجه قد عبد من دعاه، وإن لم يعتبر دعاءه عبادة، لأن الله قد سماه عبادة، وإذا استمر على فعله ذلك مستحلاً له بعد تعليمه، وإرشاده، يكون قد أنكر معلوماً من الدين بالضرورة، وهو أنَّ العبادة -والدعاء منها- لا تكون إلاَّ لله، فيحكم بردته، نظير مستحل الصلاة بلا وضوء بلا فارق"(١).

فقرر-رحمه الله-بأن الدعاء عبادة لله عز وجل، ولا تكون إلا له سبحانه-وإن لم يعتبرها الشخص عبادة-، وصرفه لغير الله عز وجل مع اعتقاد حل صرف الدعاء لغير الله ردة وكفر.

وعلى الرغم من أهمية هذين الشرطين وهما الإخلاص والمتابعة، لم يذكرهما محمد بن جعفر الكتاني ضمن الشروط التي ذكرها في الدعاء، وأوقعه ذلك في صرف هذه العبادة لغير الله عز وجل، فدعى النبي- صلى الله عليه وسلم- واستغاث به، ودعى الأولياء الأموات، وقرر بعض الأدعية والأذكار البدعية المتضمنة دعاء غير الله تعالى، كما جاء في ورده: أدركنا يا رسول الله! اجبر كسرنا يا حبيب الله! مع أن الله عز وجل قال لنبيه: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يونس:١٠٦]، وقال عز وجل: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [سورة الحج:٦٢]، وقال عز وجل: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [سورة المؤمنون:١١٧].

---

(١) آثار ابن باديس (١/٢٨٩-٢٩٠).

كما قرر بعض الأذكار التي لا دليل عليها من الكتاب والسنة، وإنما دليله فيها ما قرره أهل الكشف، وتجارب الناس، ورؤاهم، وسبق بيان بطلان هذه المصادر الصوفية البدعية بالتفصيل.

يقول الإمام ابن العربي المالكي-رحمه الله-في تفسير قول الله عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف:١٨٠]:" ألحد ولحد: إذا مال، والإلحاد يكون بوجهين: بالزيادة فيها، والنقصان منها، كما يفعله الجهال الذين يخترعون أدعية يسمون فيها الباري بغير أسمائه ويذكرونه بما لم يذكره من أفعاله، إلى غير ذلك، مما لا يليق به؛ فحذار منها، ولا يدعون أحد منكم إلا بما في الكتب الخمسة؛ وهي كتاب البخاري، ومسلم، والترمذي، وأبي داود، والنسائي؛ فهذه الكتب هي بدء الإسلام، وقد دخل فيها ما في الموطأ الذي هو أصل التصانيف؛ وذروا سواها، ولا يقولن أحد: أختار دعاء كذا؛ فإن الله قد اختار له، وأرسل بذلك إلى الخلق رسوله"(١).

ويقول أيضا:" والزم بعد ذلك بالألفاظ الصحيحة، ذكر الله والدعاء إليه بالأدعية الصحيحة، ولا تلتفت إلى ذكر الله بما لم يصح، ولا التضرع إليه بما لم يثبت، فإن الشيطان إذا لم يقدر عن صرف العبد عن ذكر الله، أقبل عليه، فجعل يشغله بالأذكار والأدعية التي لم تصح، فيربح معه العدول عن صحيح الحديث إلى سقيمه، فربما اعتقد في حديث أنه صحيح، وفي ذكر ودعاء أنه حق، وهو باطل"(٢).

فالأذكار من العبادة والدعاء، والعبادة لا تكون إلا بما جاء عن الله -عز وجل-، وبما جاء عن رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأنها توقيفية من كتاب الله -عز وجل-، وسنة نبيه -

---

(١) أحكام القرآن، لابن العربي المالكي (٢/٣٥١).

(٢) قانون التأويل، لابن العربي المالكي (ص٦٧٩).

صلى الله عليه وسلم-، لا من الكشف والإلهام، أو التجارب والرؤى، فلا يجوز لأحد أن يتعبد بشيء لم يشرعه الله -عز وجل-، ولا نبيه-صلى الله عليه وسلم-[١].

يقول القرطبي-رحمه الله-في تفسير قوله: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤٧﴾﴾ [سورة آل عمران:١٤٧]: " على الإنسان أن يستعمل ما في كتاب الله، وصحيح السنة من الدعاء ويدع ما سواه، ولا يقول أختار كذا، فإن الله تعالى قد اختار لنبيه وأوليائه، وعلمهم كيف يدعون"[٢].

وورد الكتاني الذي ذكر أنه يفيد في قراءته عند الملمات، وحثه الالتزام بالصيغة الواردة فيه، إذ كل اسم-كما يقول- له سره في معناه، وخاصية في عدده، كل هذا من هذه الأدعية والأوراد المبتدعة التي لم يدل عليها الدليل من الكتاب والسنة، يقول الريسوني-رحمه الله-:"إن مما ابتلي به المسلمون عبر تاريخهم ما ظهر فيهم من أوراد وصلوات مخترعة تولى وضعها ناس من أهل التصوف...فهذه الأوراد والأدعية والصلوات منها ما قد يسلم من الشركيات، ومنها ما يتضمن الشركيات، ...فصرف المسلمين عن الأذكار الشرعية، واختراع الأذكار يعني ما يعني، ومن بين ما يعني أن الشرع لم يستطع أن يستوعب متطلبات الإنسان في مجال العبادة وغيرها"[٣].

فاختراع هذه الأذكار فيه تنقص للشرع، مع أن الله -عز وجل- أكمل هذا الدين، ونبيه -صلى الله عليه وسلم- أدى الرسالة، وبلغ الأمانة، شرع للناس كل ما فيه خير لهم، ونهاهم عن كل ما فيه شر ضلال، وقال: **((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد))**[٤]، وكل ذكر أو ورد، لم يدل الدليل عليه، هو ليس من شرع النبي-صلى الله عليه وسلم- وهو مردود لا يقبله الله تعالى.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٦/١٧-٢٩)، فتاوى ورسائل محمد ابن إبراهيم (٣/٩٩)، لوامع الأنوار البهية (١/١٢٤)، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ حكمي (ص١٣٤).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٤/٢٣١)، وينظر: المصدر نفسه (٧/٢٢٦).

(٣) وكل بدعة ضلالة (١٤٢).

(٤) سبق تخريجه (ص٢٥٣).

ومن ذلك الاجتماع على الذكر بلسان واحد، وقد قرره محمد بن جعفر الكتاني، فقد جاء عن أبي موسى الأشعري أنه قال لعبد الله بن مسعود: يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفا أمرا أنكرته- ولم أر والحمد لله إلا خيرا- قال: فما هو؟ فقال: إن عشت فستراه، قال: ما رأيت؟ قال: رأيت في المسجد قوما حلقا جلوسا ينتظرون الصلاة، في كل حلقة رجل، وفي أيديهم حصا فيقول: كبروا مائة، فيكبرون مائة، فيقول: هللوا مائة، فيهللون مئة، ويقول: سبحوا مائة، فيسبحون مائة.

قال: فماذا قلت لهم قال: ما قلت لهم شيئا انتظار رأيك، وانتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم؟!، ثم مضى، ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن حصا نعد به التكبير والتهليل والتسبيح، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم صلى الله عليه وسلم متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد أو مفتتحوا باب ضلالة! قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير، قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدثنا أن قوما يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله ما أدري لعل أكثرهم منكم، ثم تولى عنهم(١).

فهؤلاء لم يتبعوا طريقة النبي -صلى الله عليه وسلم- في الذكر، ففقدوا الشرط الثاني من شروط قبول العمل عند الله تعالى، وهو المتابعة، وقد أنكر عليهم عبد الله بن مسعود وشنع عليهم فعلتهم المحدثة.

يقول الإمام الألباني(٢)-رحمه الله- في تعليقه على هذه القصة:" فيها عبرة لأصحاب الطرق وحلقات الذكر على خلاف السنة، فإن هؤلاء إذا أنكر عليهم منكر ما هم فيه اتهموه

---

(١) رواه الإمام الدارمي في سننه، (ص١٤٢ حديث رقم :٢٢٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٥٤٠٩/٢٢١/٣)، وابن وضاح في البدع والنهي عنها (٣٩-٤١)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٥/٩/حديث: ٨٦٣٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١١/٥).

(٢) هو: محمد ناصر الدين بن نوح الألباني، من المحدثين المعاصرين، من مؤلفاته: تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، التوسل، توفي عام١٤٢٠هـ، ينظر: الألباني حياته وآثاره لمحمد الشيباني.

بإنكار الذكر من أصله! وهذا كفر لا يقع فيه مسلم في الدنيا، وإنما المنكر ما ألصق به من الهيئات والتجمعات التي لم تكون مشروعة على عهد النبي-صلى الله عليه وسلم-، وإلا فما الذي أنكره ابن مسعود رضي الله عنه على أصحاب تلك الحلقات؟ ليس هو إلا هذا التجمع في يوم معين، والذكر بعدد لم يرد، وإنما يحصره الشيخ صاحب الحلقة، ويأمرهم به من عند نفسه، وكأنه مشرع عن الله تعالى! ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ﴾ **[سورة الشورى:٢١]**، زِد على ذلك أن السنة الثابتة عنه- صلى الله عليه وسلم- فعلا وقولا إنما هي التسبيح بالأنامل"(١).

وقد سئل الإمام الشاطبي-رحمه الله-عن الاجتماع بالذكر على صوت واحد فأجاب: "ذلك كله من البدع المحدثات، المخالفة طريقة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وطريقة أصحابه والتابعين لهم بإحسان، ...ولم يستقم لهم الاستدلال؛ لكونهم على ضد ما كان عليه القوم، فإنهم كانوا قد بنوا نحلتهم على ثلاثة أصول: الاقتداء بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في الأخلاق والأفعال، وأكل الحلال، وإخلاص النية في جميع الأعمال، وهؤلاء قد خالفوهم في جميع هذه الأصول"(٢).

ومنه الاجتماع على قراءة القرآن بلسان واحد إذا كان على وجه التعبد فهذا خلاف السنة(٣)، يقول الشاطبي أيضا-رحمه الله- في ذكر بعض البدع:" ومن أمثلة ذلك أيضا: قراءة القرآن بالإدارة على صوت واحد، فإن تلك الهيئة زائدة على مشروعية القراءة"(٤).

وقد بيّن الشيخ تقي الدين الهلالي-رحمه الله-عمل السلف في قراءة القرآن، ومفاسد القراءة المحدثة فقال: "اعلم أن الاجتماع لقراءة القرآن في المسجد في غير أوقات الصلاة مشروع؛ لقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله، ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة وحفتهم**

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة (١٣/٥).

(٢) الاعتصام (٩٩/٢-١٠٠).

(٣) أما قراءة القرآن بالإدارة جماعة من أجل الحفظ والتعليم فلا بأس به، ينظر: مجموع فتاوى اللجنة الدائمة (٤٨١/٢).

(٤) الاعتصام (٣٣٧/٢).

الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله، لم يسرع به نسبه)) (١) رواد مسلم من حديث أبي هريرة.

لكن الاجتماع لقراءة القرآن الموافقة لسنة النبي-صلى الله عليه وسلم-وعمل السلف الصالح: أن يقرأ أحد القوم والباقون يسمعون، ومن عرض له شك في معنى الآية استوقف القارئ، وتكلم من يحسن الكلام في تفسيرها حتى ينجلي تفسيرها، ويتضح للحاضرين، ثم يستأنف القارئ القراءة.

هكذا كان الأمر في زمان النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا في جميع البلاد الإسلامية، ما عدا بلاد المغرب في العصر الأخير، ... نشأ عن ذلك بدعة القراءة جماعة بأصوات مجتمعة، على نغمة واحدة، وهي بدعة قبيحة، تشتمل على مفاسد كثيرة:

الأول: أنها محدثة، وقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: **((وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة))** (٢).

الثانية: عدم الإنصات، فلا ينصت أحد منهم إلى الآخر، بل يجهر بعضهم على بعض بالقرآن، ...

الثالثة: أن اضطرار القارئ إلى التنفس، واستمرار رفقائه في القراءة يجعله يقطع القرآن ويترك فقرات كثيرة، فتفوته كلمات من لحظات تنفسه، وذلك محرم بلا ريب.

الرابعة: أنه يتنفس في المد المتصل، ...ولا شك أن ذلك محرم وخارج عن آداب القراءة، وقد نص أئمة القراء على تحريم ما هو دون ذلك...

الخامسة: أن ذلك تشبه بأهل الكتاب في صلواتهم في كنائسهم.

فواحدة من هذه المفاسد تكفي لتحريم ذلك، والطامة الكبرى أنه يستحيل التدبر في مثل تلك القراءة، وقد زجر الله عن ذلك بقوله في سورة محمد: ﴿**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾**﴾ [سورة محمد:٢٤]" (١).

---

(١) رواه الإمام مسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم (٢٦٦٩)، من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(٢) رواه الترمذي، كتاب العلم، باب ما جاء في الأخذ بالسنة اجتناب البدع، ورقمه (٢٦٧٦) وصححه، ورواه أبو داود، كتاب السنة، باب لزوم السنة، ورقمه (٤٦٠٧).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني من الأذكار في بعضها استغاثة بالنبي-صلى الله عليه وسلم-، وبعض الأولياء، كذلك في ذكره لبعض ما يقال من الشعر عند الزيارة ومنه قوله:

إني أتيت لبابكم مستصرخا ... يا من بهم كل الأماني والأمل
أنتم حماة الحي يا غوث الورى ... نصرا لنا عونا عيانا عن عجل

وغيرها مما سبق ذكره كله مخالف للكتاب والسنة، ولما أجمع عليه سلف الأمة، إذ الاستغاثة هي: طلب الغوث وهو إزالة الشدة والنقمة(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ۝٩﴾ [سورة الأنفال:٩].

وهي نوعان:

-**مشروعة:** وهي طلب الغوث والمساعدة وإزالة الشدة من قادر عليه، كما قال سبحانه:قال تعالى: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ۝١٥﴾ [سورة القصص:١٥]، فموسى عليه السلام استجاب لاستغاثة الإسرائيلي، فوكز الذي من عدوّه وأماته من تلك الوكزة، فهذه الاستغاثة من قادر، وهي شرعية.

والاستغاثة المشروعة على نوعين:

-الاستغاثة بالرب جل في علاه، وهي الاستغاثة المأمور بها في الشرع، فالله عز وجل هو المغيث على الإطلاق، وكل غوث فهو من عنده سبحانه، قال سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٩](٣).

قال ابن القيم رحمه الله(٤):

---

(١) الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق، تقي الدين الهلالي (٩٩-١٠١) ينظر: وكل بدعة ضلالة (١٣٨)، للاستزادة ينظر: الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع، محمد الخميس.

(٢) ينظر مادة (غوث): تهذيب اللغة (٨/١٥٩)، معجم مقاييس اللغة (٤/٤٠٠)، مفردات القرآن (٦١٧)، النهاية (٣/٧٤١)، تاج العروس (٥/٣٤١).

(٣) ينظر: الرد على البكري لابن تيمية (١/٤١٩)، مجموع الفتاوى (١/١١٠-١١١).

(٤) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم (ص٢٠٨).

وهو المغيث لكل مخلوقاته وكذا يجيب إغاثة اللهفان

وهذه الاستغاثة نوع من الدعاء، إلا أن الاستغاثة لا تكون إلا من المكروب كما قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الأنفال:٩]، والدعاء أعم؛ لأنه يكون من المكروب وغيره[١].

وقد اتفق العلماء على مشروعية هذا النوع من الاستغاثة، إذ الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله لا تطلب إلا منه سبحانه[٢].

-الاستغاثة بمخلوق قادر حاضر، كاستغاثة الإسرائيلي بموسى -عليه السلام-، وكاستغاثة التائه في الطريق بمن يستطيع دلالته ونحو ذلك.

وهذا النوع جائز سواء أكانت الاستغاثة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- حال حياته، أو غيره[٣].

يقول الشوكاني رحمه الله: «ولا خلاف أنه يجوز أن يستغاث بالمخلوق فيما يقدر على الغوث فيه من الأمور، ولا يحتاج مثل ذلك إلى استدلال، فهو في غاية الوضوح، وما أظنه يوجد خلاف فيه، ومنه: ﴿فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [سورة القصص:١٥]، كما قال: ﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾ [سورة الأنفال:٧٢].، وكما قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [سورة المائدة:٢]، وأما ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يستغاث إلا به، كغفران الذنوب، والهداية، وإنزال المطر، والرزق، ونحو ذلك»[٤].

-الاستغاثة الممنوعة: وهي طلب الغوث من غير الله، فيما لا يقدر عليه إلا الله، **وهي نوعان:**

١-طلب الغوث من غير القادر على الغوث.

---

(١) ينظر: الرد على البكري (٥٤٧/٢)، مجموع الفتاوى (١٠٣/١).

(٢) ينظر: الرد على البكري (٥٩٥/٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠٣/١-١٠٤).

(٤) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد (ص٩-١٠).

٢-وطلب الغوث من الميت، أو الغائب.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «الاستغاثة المنفية نوعان: أحدهما: الاستغاثة بالميت مطلقا في كل شيء، والثاني: الاستغاثة بالمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، فليس لأحد أن يسأل غير الله ما لا يقدر عليه إلا الله، لا نبيا ولا غيره، ولا يستغيث بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الخالق، وليس لأحد أن يسأل ميتا ولا يستغيث به في شيء من الأشياء، سواء كان نبيا أو غيره»(١).

وهذا النوع من الاستغاثة من الشرك الأكبر الذي حرمه الله ورسوله باتفاق المسلمين؛ إذ الاستغاثة المطلقة أو العامة في كل شيء لا تصلح إلا لله، وهي منفية عن المخلوق(٢).

وقد سئل الشيخ عبد الرحمن بن حسن رحمه الله عن حكم الاستغاثة بالموتى، فكان مما قاله: «وأما مسألة استغاثة الأحياء بالموتى في طلب الجاه والسعة، والرزق، والأولاد، فالجواب: هذا من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وهذا شرك في الربوبية، والألوهية، وقد كان شرك المشركين في جاهليتهم بطلب الشفاعة والقربة، وأما طلب الرزق والأولاد وشفاء المرضى، فقد أقروا بأن آلهتهم لا تقدر على ذلك، كما قال تعال: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾»(٣)، فهي شرك في توحيد الربوبية وشرك في توحيد الألوهية.

وقال محمود شكري الألوسي رحمه الله : «الاستغاثة بمخلوق بما لا يقدر عليه إلا الله تعالى مما لا يجوز، فإن الاستغاثة دعاء، والدعاء عبادة، بل مخ العبادة، وغير الله تعالى لا يعبد بل هو المخصوص بالعبادة»(٤).

والاستغاثة بالنبي-صلى الله عليه وسلم- وبالأولياء بعد موتهم باطلة من أوجه:

---

(١) الرد على البكري (٢/٤٧٢-٤٧٣).

(٢) ينظر: الرد على البكري (٢/٥٩٩-٦٠٠)، مجموع الفتاوى (١١/٦٦٤).

(٣) الدرر السنية (١٥/٤٩٧-٤٩٨)، وينظر: كتاب سيف الله على من كذب على أولياء الله، لصنع الله الحلبي (ص٥٠).

(٤) غاية الأماني في الرد على النبهاني (١/٣٣٥).

١-معارضتها لما جاء في القرآن الكريم، حيث أمر الله عباده بدعائه، ومسألته، والاستغاثة به، ونهى عن دعاء غيره والاستغاثة به، ومن الأدلة:

- قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [سورة يونس:١٠٦].

فالله سبحانه نهى في هذه الآية دعاء كل ما لا ينفع ولا يضر، وهذا وصف لكل مخلوق؛ إذ لا أحد ينفع ولا يضر على الإطلاق إلا الله جل جلاله، والاستغاثة بالنبي-صلى الله عليه وسلم- في قبره من الاستغاثة بالميت، وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، فالاستغاثة به وبغيره من الأولياء أو الأنبياء من الشرك، والدليل ما جاء في هذه الآية، حيث قال سبحانه: ﴿ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾﴾، أي: من المشركين بالله سبحانه الظالمين لأنفسهم، وقد قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة الزمر:٦٥]، فالاستغاثة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد مماته من الشرك المحبط لجميع الأعمال(١).

- قوله عز وجل: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ [سورة الأنعام:١٧].

فالله سبحانه هو المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع، ولا يكشف الضر إلا هو سبحانه ولازم ذلك إفراده بتوحيد الإلهية، فوجب أن تكون العبادة له وحده، والاستغاثة له وحده، فالاستغاثة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد موته استغاثة بمن لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره، وهي شرك بالله سبحانه، لأنها طلب كشف الضر وتفريج الكربات من غير الله، وغيره سبحانه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا.

-قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأحقاف:٥].

فالله عز وجل حكم في هذه الآية أنه لا أحد أضل ممن يدعو غيره سبحانه، بحيث يترك السميع المجيب سبحانه ويدعو غيره الذي لا يستجيب له إلى يوم القيامة، بل هو غافل

(١) ينظر: جامع البيان (٣٠٤/١٢)، تيسير الكريم الرحمن (٣٧٥).

عنه، والاستغاثة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد وفاته وبالأولياء من هذا؛ لأنهم من الأموات، والأموات قد قال عز وجل عنهم: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [سورة فاطر:١٤].

وقال عن نبيه-صلى الله عليه وسلم-: ﴿قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة الأعراف:١٨٨].

٢-معارضته لسنة النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ وهذا من أوجه:

-أن المستغيث بالنبي -صلى الله عليه وسلم- فيما لا يقدر عليه إلا الله قد أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه لا يغيثه، بل أخبر أنه لا يملك له من الله شيئا، كقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك**...))(١) الحديث.

فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يستغيث به أصحاب الغلول يوم القيامة، فلا يغيثهم، بل يقول: لا أملك لكم من الله شيئا(٢)، فكيف بمن يستغيث به بعد حياته؟

-أن النبي لم يشرع لأمته الاستغاثة به، أو دعاء أحد من الأموات والاستغاثة بهم، بل أمرهم بالإخلاص بالدعاء، ونهاهم عن دعاء غير الله عز وجل، ومن ذلك:

-قوله -صلى الله عليه وسلم-: ((من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار))(٣).

فمن استغاث بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد حياته فقد اتخذه ندا؛ لأنه استغاث به وهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا فضلا عن غيره، فجعله مشاركا لله فيما يختص به، وهذا

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: الغلول، حديث رقم: (٢٩٠٨)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: غلظ تحريم الغلول، حديث رقم: (١٨٣١).

(٢) ينظر: الرد على البكري (٢/٤٧٠-٤٧١).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله:{وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللهِ أَندَاداً اللهِ }، برقم (٤٢٠٧) واللفظ له، وأخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، برقم: (٩٢).

من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، كما قال تعالى: ﴿ **إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢** ﴾ [سورة المائدة:٧٢].

-وقد سئل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: ((أن تجعل لله ندا وهو خلقك))(١).

والاستغاثة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد موته من هذا؛ لأنه استغاث بغير خالقه المنعم عليه، مع علمه بأنه ليس هو الذي خلقه، ولا الذي أنعم عليه، وهذا من أقبح القبائح، وأعظم الجهالات؛ وعلى هذا فذلك أكبر الكبائر، وأعظم العظائم(٢).

٣-معارضته لما أجمع عليه سلف الأمة، من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم، حيث أجمعوا على أن الاستغاثة بالميت من الشرك الذي حرمه الله ورسوله، نقل لنا الإجماع على ذلك ابن تيمية رحمه الله حيث قال: «سؤال الميت والغائب نبيا كان أو غيره، من المحرمات المنكرة باتفاق أئمة المسلمين، لم يأمر الله به ولا رسوله، ولا فعله أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان، ولا استحبه أحد من أئمة المسلمين، وهذا مما يعلم بالاضطرار من دين المسلمين أن أحدا منهم ما كان يقول إذا نزلت به ترة أو عرضت له حاجة لميت: يا سيدي فلان أنا في حسبك، أو اقض حاجتي ،كما يقول بعض هؤلاء المشركين لمن يدعونهم من الموتى و الغائبين، ولا أحد من الصحابة رضي الله عنهم استغاث بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد موته، ولا بغيره من الأنبياء، لا عند قبورهم، ولا إذا بعدوا عنها، وقد كانوا يقفون تلك المواقف العظام في مقابلة المشركين في القتال و يشتد البأس بهم، و يظنون الظنون، ومع هذا لم يستغث أحد منهم بنبي ولا غيره من المخلوقين»(٣).

٤-معارضته لحكمة الله عز وجل؛ لأن الله عز وجل خلق خلقه لغاية وحكمة وهي عبادته جل جلاله: ﴿**وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦**﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، والاستغاثة بالنبي -

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قوله:{يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ }، برقم: (٧٠٩٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: كون الشرك أقبح الذنوب، برقم (٨٦)، واللفظ له.

(٢) ينظر: المفهم (١/ ٢٨٠).

(٣) الرد على البكري (١/ ٤٤٨)، وينظر: غاية الأماني (١/ ٣٢٩-٣٣٠).

صلى الله عليه وسلم- فيها منافاة لهذه الحكمة التي هي المقصودة بخلق السموات والأرض، وهي فتح لباب الشرك بالله(١).

٥-مما يدل على بطلان هذا النوع من الاستغاثة أن أصل شرك المشركين كان في الغلو بالصالحين، ثم بالاستغاثة بهم ودعائهم في قبورهم، فالاستغاثة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- بعد موته هو من هذه السبيل سواء بسواء(٢).

٦-ومما يُرد به على محمد بن جعفر الكتاني ما قرره نفسه في ذكره لبعض الحكم من ابتلاء الله للأنبياء-صلوات الله وسلامه عليهم- بالأمراض وغيرها، ومن الحكم التي ذكرها قوله:

" الرفق بضعفاء العقول لئلا يعتقدوا فيهم الألوهية بما يرون لهم -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-، من الخوارق التي خصّهم الله تعالى بها، ولهذا استدل تعالى على النصارى في قولهم بألوهية عيسى وأمّه -عليهما الصلاة والسلام- بافتقارهما إلى الأعراض البشرية، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [سورة المائدة:٧٢]، إلى قوله: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [سورة المائدة:٧٥]"(٣)، فبشرية الأنبياء تقتضي عدم ألوهيتهم والاستغاثة بهم من دون الله تعالى.

بهذا يتبين بطلان الاستغاثة بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وبالأولياء، وفي هذه الاستغاثة جعل النبي والأولياء منزلة الإله، بحيث يطلب الناس منهم ما يطلبونه من الله، وهي تبديل للدين الذي بُعث به-صلى الله عليه وسلم-، وتشريع مالم يشرعه، والنبي-صلى الله عليه وسلم- كما قال عز وجل: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝﴾ [سورة الإسراء:٩٣].

وهذا متعارض مع قوله: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [سورة الكهف:١١٠]، وقوله -صلى الله عليه وسلم- ((**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله**))(٤)(٥).

---

(١) ينظر: غاية الأماني (١/٣٤٤).

(٢) ينظر: الرد على البكري (١/١٤٥) ، تيسير العزيز الحميد (١٨٤)، غاية الأماني (١/٥٥، ٣٤٥).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٧/ب).

(٤) سبق تخريجه (ص٢٨٦).

(٥) ينظر: الرد على البكري (٢/٦٤٦، ٦٨٤، ٦٩٨).

وما ذكره محمد بن جعفر الكتاني عن بعض الأولياء بأنه القطب والغوث، أو قطب الأقطاب، وغوث العالم، فهذه ألفاظ تحتاج إلى تفصيل:

- **القطب**: المعروف عن الصوفية أن القطب هو الخليفة الأعظم عن الله في تصريف جميع الوجود، فكما أن الرب إلها، فالقطب خليفة له في تصريف الحكم، وهذا ما قرر محمد بن جعفر الكتاني، حيث بيّن في مواضع بأن القطب هو خليفة الله الذي لا تتحرك ذرة في الكون إلا بإذنه، وأن له التصرف التام الشامل في جميع الملكة الإلهية، نبيا كان أو وليا [١].

فإن أريد بالقطب هذا المعنى فهو باطل؛ لأنهم جعلوا لهذا القطب صفات الله تعالى - جل جلاله-تعالى الله عما يقولون، وإن لم يدّعوا أنه إله يعبد من دون الله، مع أنه مخلوق لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا[٢].

وإن أريد به المعنى اللغوي وهو أن القطب هو الحديدة التي يدور عليها الرحى، أو أنه سيد القوم الذي يدور عليه أمرهم[٣]، فهذا المعنى لا إشكال فيه، ولا يلزم أن يكون من أفضل الناس، بل قد يكون من أفضلهم وقد يكون من أسوأهم[٤].

-**الغوث**: إن أريد به المعنى المرادف للقطب عند الصوفية فذلك باطل، وهذا المعنى يراه محمد بن جعفر الكتاني، فعندما شرح مرتبة الخلافة العظمى عن الله، ذكر بأنها الخلافة الباطنية وفيها التصرف في الكون، والتحكم فيه بتحكيم الله، وهو مقام القطبية الكبرى ويسمى صاحبها بالفرد الجامع والغوث، وغوث العالم والقطب الجامع وقطب الأقطاب[٥]، يقول الجرجاني: "الغوث: هو القطب حينما يُلتجأ إليه"[٦].

---

(١) ينظر: جلاء القلوب (١/٣٠٣، ٢/٢٢٢)، وينظر: التعريفات (١٧٧)، معجم اصطلاحات الصوفية للحنفي (٢١٧).

(٢) ينظر: الهدية الهادية إلى الطريقة التجانية (٤٧، ١١٧).

(٣) ينظر مادة (قطب): المخصص لابن سيده (٢/٣٦٣)، النهاية لابن الأثير (٤/٧٩)، تاج العروس (٤/٥٦).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/٤٤٠، ٢٧/ ٩٦-١٠٥).

(٥) ينظر: جلاء القلوب (٢/٢٥٨).

(٦) التعريفات (٢٠٩).

وإن أريد به طلب الاستغاثة بالمخلوق الحي الحاضر فيما يقدر عليه، فهذا معنى لا إشكال فيه كما سبق بيانه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:" وأما سؤال السائل عن (القطب الغوث الفرد الجامع)، فهذا قد يقوله طوائف من الناس ويفسرونه بأمور باطلة في دين الإسلام، مثل تفسير بعضهم: أن " الغوث " هو الذي يكون مدد الخلائق بواسطته في نصرهم ورزقهم، حتى يقول: إن مدد الملائكة وحيتان البحر بواسطته، فهذا من جنس قول النصارى في المسيح -عليه السلام-، والغالية في علي -رضي الله عنه-، وهذا كفر صريح يستتاب منه صاحبه، فإن تاب وإلا قتل، فإنه ليس من المخلوقات لا ملك ولا بشر يكون إمداد الخلائق بواسطته"(١).

وقال-رحمه الله-:"فمن اعتقد في بشر أنه إله، أو دعا ميتا، أو طلب منه الرزق والنصر والهداية وتوكل عليه أو سجد له، فإنه يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه، ومن فضّل أحدا من المشايخ على النبي -صلى الله عليه وسلم- أو اعتقد أن أحدا يستغني عن طاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- استتيب، فإن تاب وإلا ضربت عنقه"(٢).

-التوسل:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر التوسل بالرسول-صلى الله عليه وسلم- في عرصات القيامة، وأنه مما قام عليه الإجماع، وتواترت الأخبار به، وذكر بأن من المتواتر كما يقول: "التوسل به -صلى الله عليه وسلم- في حال حياته الدنيوية"(٣).

ويقرر محمد بن جعفر الكتاني وساطة النبي-صلى الله عليه وسلم- بين الخالق والمخلوق، وأنه وسيلة الخلائق إلى ربهم، وينبغي التوسل إليه، بأسمائه وصفاته ورفعة ذاته(٤)، وردّ على من ينكر وساطة النبي-صلى الله عليه وسلم-حيث نقل، قوله ورد عليه، وهو أن المعترض يقول: "ذلك خلاف المطلوب من إفراد الوجهة إلى الله تعالى، وقطع النظر عن كل ما عداه،

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٩٦)، وينظر المرجع السابق (٤٤٢/١١).

(٢) المرجع السابق (٤٢٢/٣)، وينظر أيضا بمعناه في: مجموع الفتاوى (٤٧٥/٢٨)، درء تعارض العقل والنقل (٣٦٣/٥)، اقتضاء الصراط المستقيم (٧٥/١).

(٣) نظم المتناثر (٢٣٣).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (٨/١، ٩، ٤٥، ٤٨/٣، ٢٩٥، ٢٩٨).

لأنه هو المقصود المعبود سبحانه، وربما كانت هذه الملاحظة لدى قوتها واشتدادها قاطعة للعبد عن مولاه الحقيقي الخالق له والمدبر لأمره وشؤونه، والموصل إليه كل ما يحتاجه، وما يطلبه حقيقة.

لكن هذا خلاف ما أسلفناه قبل، ونص عليه الجم من أنه-صلى الله عليه وسلم-هو الواسطة العظمى بين الله تعالى وبين جميع العوالم، في كل قليل وكثير، جليل وحقير، دنيا وأخرى، وأنه تنبغي ملاحظته وتشخيصه في كل شيء، وكل عمل، وإن قطع النظر عنه وصرفه بالكلية قاطع عن الله تعالى وموجب لكل هلاك ووبال في الدنيا والآخرة، نسأل الله العافية!

ولا بد لنا من بسط هذه المسألة وتفصيلها حتى يهتدي من يريد الاهتداء لقصدها وسبيلها، فنقول: أما وساطته-صلى الله عليه وسلم-في نفس الأمر وحقيقته في كل شيء فلا قائل بنفيها لا من أهل الباطن، ولا ممن يعتد به من أهل الظاهر، ونافيها ممكور به، ويخشى عليه من زوال الإيمان إن لم يزل عنه في الحال نسأل الله العافية، كما أن قطع النظر عنه جملة وصرفه عنه بالكلية يؤدي إلى الكفر، بل نقول هو الكفر بعينه"[١]، وقال: "وأما الاستغناء عن وساطته-صلى الله عليه وسلم-فلا سبيل لأحد إليه، وإن وصل ما وصل"[٢].

ومن ذلك قوله عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:"أنه باب الله الأعظم، وصراطه الأقوم، فلا يصل أحد إليه ولا يدخل أبدا عليه إلا من بابه، ولا يشم شيئا من روائع القرب إلا بواسطته، ومن وراء حجابه، ولا غنى لمخلوق عنه ولا فوز لمن انفلت من ربقته أو أطلق بدا من عروته، وكيف يصرف أحد وجهه عنه وهو وسيلة الخلائق ومطرق جميع الطرائق؟"[٣]، ويقول: "لا وصول إلى الله تعالى إلا من بابه، ولا معول للخليقة في الدنيا والآخرة إلا عليه"[٤]، لأنه -صلى الله عليه وسلم- كما يرى-:" ما من نعمة لله علينا سابقة ولاحقة، من نعمة الإيجاد والإمداد في الدنيا وفي الآخرة إلا وهو -صلى الله عليه وسلم- السبب في وصولها إلينا وإجرائها

---

(١) جلاء القلوب (٣٠٢/٣)، وينظر المرجع نفسه (٢٧٣/٣).

(٢) المرجع السابق (٣٠٨/٣)، وينظر: سلوة الأنفاس (٣٦/١)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٨).

(٣) ينظر: جلاء القلوب (٤٨/٣)، وينظر المرجع نفسه (٢٤٩/٣).

(٤) شرح على دلائل الخيرات (ل ٩)، وينظر: جلاء القلوب (٤٥/١).

علينا، وكما أن نعم الله لا حصر لها، كذلك نعمه -صلى الله عليه وسلم- علينا لا حصر لها؛ لأنها تابعة لنعم الله تعالى، فيجب علينا في شكر نعمه أن لا نفتر على الصلاة عليه مع دخول كل نفس وخروجه"(١).

كما جعل الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم-هي الطريق الموصل إلى الله، وأن من لم يصل عليه-صلى الله عليه وسلم- فقد طلب المحال، حيث قال: "واعلم يا أخي أن طريق الوصول إلى حضرة الله من طريق الصلاة على النبي-صلى الله عليه وسلم-من أقرب الطرق، فمن لم يخدمه-صلى الله عليه وسلم-الخدمة الخاصة به، وطلب دخول حضرة الله فقد رام المحال، ولا يُمكّنه حجاب الحضرة أن يدخل، وذلك لجهله بالأدب مع الله تعالى، فحكمه حكم الفلاح إذا طلب الاجتماع بالسلطان من غير واسطة، فافهم"(٢).

وإن كان قد ذكر المحذور من التوسل بالنبي-صلى الله عليه وسلم- كما يرى بقوله:" وبالجملة فالمحذور الذي يتعين الاحتراز عنه هو الوقوف مع الواسطة، وقطع النظر عما عداها حتى تصير كأنها مقصد، فإن هذا والعياذ بالله تعالى نسيان للرب جل وعلا، الذي هو الخالق المالك المتصرف حقيقة، وربما أدى والعياذ بالله تعالى إلى الكفر المحض، باعتقاد أن هذه الواسطة متصفة بشيء من أوصاف الربوبية، وهذا هو الذي خافه النبي-صلى الله عليه وسلم- على أمته وحذرهم منه بقوله في حديث البخاري عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-: **((لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده فقولوا عبد الله ورسوله))**(٣)" (٤).

ثم قال: "وأما اعتقاد أنه-صلى الله عليه وسلم-واسطة بين الله تعالى وبين خلقه لا ينالهم منه تعالى شيء ولو قل إلا بواسطته، وإن الله تعالى جعل على يديه كلا من نعمتي الإيجاد والإمداد، وأنه لولا تعريف الله تعالى لنا به-صلى الله عليه وسلم-ما عرفناه، ... فلا محظور فيه،

---

(١) جلاء القلوب (٣/٢٤٢)، وينظر: رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ٣، ٥)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٨-٩).
(٢) جلاء القلوب (٣/٢٩٥).
(٣) سبق تخريجه (ص٢٨٦).
(٤) جلاء القلوب (٣/٣١١).

بل هو من الاعتقادات الصحيحة التي لا يسع مسلما جهلها، ومن اعتقد أنه أو غيره من جميع المخلوقات خارج عن وساطته–صلى الله عليه وسلم–فهو جاهل من أعظم الجاهلين، ضال باعتقاده هذا، بل من أكبر الضالين نسأل الله السلامة"(١)، وهذا يؤكد ما قرره، كما أنه قال عن النبي–صلى الله عليه وسلم–:"هو الواسطة بين الله والعباد في الإيجاد والإمداد"(٢).

وقرر محمد بن جعفر الكتاني أنه يتعين على كل مسلم التوسل بآل بيت النبي–صلى الله عليه وسلم– كما يقول: "التوسل بهم إلى الله تعالى في الشدائد، والاستشفاع بعليّ جاههم عند حصول المضايق والمكائد كي يسلم بذلك من العذاب المهين، ويدخل به في حرز الله وحرز رسوله الأمين"(٣).

وقال عن أهل بدر:" وقد نظم الناس فيهم ونثروا متوسِّلين بهم إلى الله تعالى في قضاء حوائجهم، ونيل مآربهم، فتُقضى في أسرع وقت، وقد كتب الناس أسماءهم وعلَّقوها عليهم بقصد التبرُّك والحفظ، فحفظوا من كل سوء، والقضايا في ذلك لا تنحصر، وهي معلومة مشهورة"(٤).

وذكر أن الكتانيين نسبهم متصل بالنبي–صلى الله عليه وسلم–(٥)، وأن من مزاياهم وفضلهم: "أن كثيرا من الناس يلتجئون إليهم، ويستشفعون بهم إلى الله تعالى في زمن الشدة وحصول الكرب، من مرض أو غيره، انفرادا واجتماعا، فيفرج الله عنهم ببركة جدهم–صلى الله عليه وسلم–وبركة الاعتقاد والصدق في الطلب، وقد استشفع الناس بهم غير ما مرة في زمن احتباس المطر عنهم، وخرجوا بهم إلى الصحراء مبتهلين متضرعين قائلين: جاه النبي قدمنا، يا مولاي ارحمنا، فتنزل عليهم المطر من يومهم، أو يومهم، وفرج الله عنهم"(٦).

---

(١) المرجع السابق (٣١٢/٣).
(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٥٠٩).
(٣) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٦).
(٤) شرح ختم صحيح مسلم (ل ٨٩).
(٥) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (٦٢ وما بعدها).
(٦) المرجع السابق (١٤٦).

وأن من فوائد زيارة قبور الأولياء: "التوسل بهم إلى الله تعالى، والاستشفاع بهم إليه، فإن شفاعتهم مقبولة، وجاههم عند الله عظيم، فلا يكاد يستشفع بجاههم أحد ويخيب"(١)، وقال في الأولياء: "أحباء الله وأصفياؤه من خلقه، ومظاهر أنواره وأسراره، وهم أساس الدين والدنيا، وورثة الأنبياء، فإذا عُرفوا، وتعلق بهم أحد، أو احتمى بجنابهم، ورث مما ورثوا، وظفر بشيء مما ظفروا"(٢).

وذكر بأن الأولياء هم: "مفزع الخائفين، ومستراح العاصين والمذنبين، إليهم يلجأ كل مكروب، وبهم يسلوا كل محزون، وكل من نزل به أمر أو شدة، توجه إليهم، وتوسل إلى الله بجاههم، لأنهم أبواب الله في الأرض"(٣).

وقال في بعض مدعي الولاية: "والناس في مدحه واستعطافه والتوسل بجاهه قصائد لا تحصى"(٤).

وقد فصّل في آداب الدعاء والتوسل عند القبور فقال: "منها: أن يستعمل الأدب في الدعاء إذا دعا؛ إذ لا بد لزائر الأموات من الدعاء والتضرع إلى الله تعالى، والتوسل إليه بهم، وطلب ما يريده منهم بجاههم، كأن لا يرفع به صوته، وألا يطلب ما لا ينبغي، وأن يعزم المسألة فيما يطلبه، ...

ولا يتوسل إلى الولي المزور بالله تعالى، بل يعكس، ويتوسل إلى الله تعالى به-كما ذكرنا-لأنه سبحانه هو الخالق الرازق المعطي المانع الضار النافع المتصرف في عباده على الحقيقة بما شاء وكيف شاء، ولا فعل لغيره-سبحانه وتعالى- البتة، والأولياء إنما هم مُصَرفون لا متصرفون، ويملكون لا مالكون، ومُشَفَّعون ولا مُستشفع بهم قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ **[سورة البقرة:٢٥٥]** (٥)، إلى أن قال: "وسبب هذا الجهل العظيم الصادر منهم: أنهم يعتقدون في الأولياء أنهم يضرون وينفعون، ويعزون ويذلون، ويعطون ويمنعون،

---

(١) سلوة الأنفاس (١/٢٤).

(٢) المرجع السابق (١/٢٦).

(٣) سلوة الأنفاس (١/٢٧).

(٤) المرجع السابق (١/١٨٩).

(٥) ينظر: سلوة الأنفاس (١/٥٤).

ويولون ويعزلون، إلى غير ذلك مما هو مختص بالباري تبارك وتعالى، ولذلك تجد أحدهم يأتي إلى ضريح الولي ويقول له: يا سيدي فلان أسألك بالله إلا ما شفيتني، أو إلا ما رفعت عني هذا الضرر، أو: إلا ما أعطيتني كذا، أو إلا ما سهلت علي كذا، إلى غير ذلك من سؤالاتهم الفظيعة، وأحوالهم الذميمة الشنيعة، التي يوهمون بها وجود شريك مع الباري سبحانه.

وقائل ذلك ونحوه إن اعتقد أن الولي هو الذي يؤثر في قضاء حاجته، ويوجد ما بقدرته على حسب إرادته كما يوجدها الباري سبحانه، كفر وكان مرتدا؛ لأنه أشرك مع الله غيره.

وإن اعتقد أنه يؤثر فيها بما جعله الله فيه من القوة والسر، كان مبتدعا، وفي كفره خلاف.

وإن اعتقد نفي التأثير عنه رأسا، وكان يرى أن الفاعل المختار في جميع الأشياء هو الله سبحانه لا غيره من جميع المخلوقات، ولكنه يرى أن هذا الولي لعظيم مكانته عند مولاه، ورفيع منزلته لديه، رزقه الله التصرف في مملكته، فهو يولي فيها ويعزل، ويعطي ويمنع، ويضر وينفع بإذن منه سبحانه على حسب ما جرى به علمه تعالى، وتعلقت به إرادته في سابق أزليته، بحيث لا يولي إلا من أراد الله توليته، ولا يعزل إلا من أراد عزله، وهكذا؛ كان مصيبا في اعتقاده المذكور، موافقا فيه لاعتقاد أهل السنة والجماعة، إلا أنه مخطئ من جهة إسناد الفعل ظاهرا إلى من ليس له على الحقيقة، مع أن المقام لا يصلح لذلك؛ لما فيه من شدة إيهام التأثير لغيره سبحانه، سيما إن وقع بحضرة الجهال ومن لا علم عندهم بالعقائد، ووقع من شخص مقتدى به، ولو في الجملة، فإنه ربما يوقعهم بكلامه في اعتقاد الكفر من حيث لا يشعر ولا يشعرون، فاجتنب ذلك هداك الله ووفقك، ولا تنسب الأشياء إلا إلى خالقها وبارئها، ولا تسألها إلا منه سبحانه.

نعم التوسل إليه سبحانه بأوليائه لا بأس به كما سبق، بل هو مطلوب محبوب؛ لكونهم أبواب الله تعالى وحُجَّاب حضراته، فلا يخرج منها خير لأحد إلا من جهتهم وعلى أيديهم"(١).

---

(١) سلوة الأنفاس (١/٥٤-٥٥).

كما قرر بأن الأولياء الكمّل:" يتصرفون أحياء وأمواتا"(١)، يمتدح بعض الصوفية باستغاثتهم بالصالحين الأحياء والأموات، والتوسل بهم، أو بجاههم، أو بأنه فلان المتوسل به في قضاء الحوائج، وبأن الدعاء عند قبره مستجاب، أو بأن ضريحه مجرب لقضاء الحوائج، أو أنه مكان للاستشفاء(٢).

ويخبر عن نفسه في إحدى رحلاته، فيقول: "فأوّل ما زرناه: الخليل-عليه الصلاة السلام-وهو عن يمين الداخل إلى المسجد الداخلي من الصحن، وعن يسار الداخل زوجته سارة، فقرأنا عنده ما تيسر، ودعونا وتبركنا، وتوسلنا إلى الله بجاهه العظيم ساعة"(٣).

وقال في خاتمة رسالة حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم متوسلا بجاه النبي-صلى الله عليه وسلم-:"والله يوفقنا وإياكم، ويصلح الأحوال، بجاه النبي، ومن له من الآل"(٤).

وقد ختم شرحه لصحيح البخاري بدعاء طويل قال مما قاله فيه:" اللهم إنا نسألك ونتوجّه إليك بنبيِّك وحبيبك محمد -صلى الله عليه وسلم- نبي الرحمة، يا سيدنا يا محمد، إنا نتوجه بك إلى ربك، فاشفع لنا عند المولى العظيم، اللهم شفِّعه فينا بجاهه عندك، آمين"(٥)، وقال:" اللهم إنَّا قد رفعنا أكف الضراعة إليك، مبتهلين بالدعاء لك وبين يديك، متشفعين إليك بحبيبك المصطفى، وبنعاله المباركة الكريمة، وكل ما هو منسوب إليه من الآثار المعظمة الجسيمة، فاستجب دعاءنا"(٦).

---

(١) ينظر: سلوة الأنفاس (٢٩/١، ٧٦، ١٥٥/٣-١٥٦).

(٢) ينظر: سلوة الأنفاس (٥٣/١، ٨٤، ١٧٩، ١٩٩، ٢٥٤، ٢٦١،٢٧٣، ٢٩٤، ٣٣٦، ٤١٨، ٥/٢، ٢٤، ٢٨، ١٥٩، ١٨٩، ١٨٠/٣، ٢٢٣)، الرسالة المستطرفة (٣٩)، الرحلة السامية (٢٨٣)، جلاء القلوب (٤٥/١)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٦)، اليمن والإسعاد (١٢٧).

(٣) ينظر: الرحلة السامية (٣١٨).

(٤) حقيقة سلب الإرادة وطريق القوم (ل ٦).

(٥) شرح ختم صحيح البخاري (ل ٢).

(٦) شرح ختم صحيح البخاري (ل ٣).

وقال في فاتحة سلوة الأنفاس في الأولياء الذين ترجم لهم: "أسأل الله من جانبهم الأقدس، ومكانهم العطر الأنفس، أن يعاملوني بالسمح فيما ارتكبته في حقهم من التقصير، وتركته من التعظيم والتكثير، فإني ما قصدت الإطناب والإسهاب"(١).

وقال في إدريس باني فاس:" ومن مدده الفياض أستمد، وبالله أعتصم وأصول"(٢).

وذكر مسألة بقوله: "فإن قيل: هل مدد الحي أقوى أو مدد الميت؟"(٣)، ثم نقل عن غير واحد القول بأن مدد الميت أقوى؛ لأنه خالي من العوارض والأغراض كالاستيناس والتصنع ونحوه.

وذكر في خاتمة مولده فصل خاص بالدعاء، ومما قاله فيه: "نسألك أن تُعطّف علينا قلب صاحب الوقت، وقلوب من معه، أو تقدم عنه أو تأخر من الأقطاب والأولياء، وغيرهم من جميع الأفراد والأصفياء، وخصوصا مسدي الأيادي إلينا، ومن هو أعظم منن الله في هذا القطر المغربي علينا، ذا التفريج والتعطيف والتنفيس، سيدنا ومولانا إدريس، أمدنا الله بمددهم وعطفهم"(٤).

وقد أخبر عن نفسه-كما سبق- أنه أصيب بحمى عظيمة، ثم تصدق ولاذ بضريح بعض مدعي الولاية، فقال:" وتضرعنا عنده ودعونا الله تعالى، وتصدقنا ببعض الخبز وبعض الفلوس، وجعلنا في تابوته أيضا شيئا، فعادت بركة ذلك علينا وكل الشفاء بفضل الله عز وجل"(٥).

وقد ذكر بأن رجلا قال له: "وحقّ جدك وهذا الطعام، لقد كنا في سفينة في البحر، وهاج البحر بنا، حتى أشرفنا على الغرق، فجعلنا نتوسل بك وبجاهك إلى الله تعالى، فنجّانا

---

(١) سلوة الأنفاس (١/١٠).

(٢) المرجع السابق (١/٧٠)، وينظر: إعلام الحاضر والآت (ل ٣٦/أ).

(٣) سلوة الأنفاس (١/٢٨).

(٤) اليمن والإسعاد (١٢٧).

(٥) الرجلة السامية (٣٣١).

سبحانه، وكشف ما بنا من بركتك، فامتلأت عيناي دموعا، وسكتّ، ولم أجاوبه بشيء، علما بذلّي ونقصي وحقارتي، تولّاني الله برحمته وفضله آمين"![1] فأقرّ الرجل على توسله به وبجاهه.

وقد نقل عن غيره كيفية التوسل بأحد مدعي الولاية وهي: "أن تصلي ركعتين بالفاتحة والإخلاص إحدى عشرة مرة، في كل ركعة، ثم تصلي على النبي -صلى الله عليه وسلم- مائة مرة، وتبدأ قبل ذلك بالاستغفار، وتتوب من الذنوب، ثم تخطو إلى جهة العراق وهي عين المشرق الذي تطلع منه الشمس يوم الاعتدال، ومن النجوم مطلع العواء إحدى عشر خطوة، وتذكر اسمه، وتذكر حاجتك، فإنها تقضى إن شاء الله"[2].

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته السابقة وأفعاله منهج المبتدعة المخالفين للكتاب والسنة، وما عليه الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، **فالتوسل**: طلب الوسيلة، والوسيلة هي القربة والشفاعة، يقال: وسل وتوسل إلى الله، إذا عمل عملا تقرب به إليه.

التوسل في اللغة: التقرب[3].

وهو في الشرع: التقرب إلى الله تعالى بوسيلة.

والتوسل قسمان:

-**الأول**: **توسل مشروع**: وهو التقرب إلى الله بوسيلة مشروعة، وجماع الوسيلة الشرعية، هو التوسل باتباع ما جاء به الرسول -صلى الله عليه وسلم-[4]، وهو على ثلاثة أنواع[5]:

---

(١) ينظر: النبذة اليسيرة النافعة (١٤٨)، وينظر المرجع نفسه (١٩٣).

(٢) سلوة الأنفاس (٢٤٣/١).

(٣) ينظر مادة (وسل): تهذيب اللغة (٤٨/١٨)، معجم مقاييس اللغة (١١٠/٦)، الصحاح (١٨٤١/٥)، لسان العرب (٧٢٤/١١).

(٤) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لابن تيمية (١٢٣)، التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي (ص٢٢)، التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (ص٣٠)، المشروع والممنوع من التوسل، لعبد السلام برجس (ص٢٧).

(٥) هذه الأنواع الثلاثة هي الأساس في أنواع التوسل المشروع، ويندرج تحتها الكثير من الأنواع؛ لهذا عد بعضهم أنواع التوسل المشروع إلى سبعة أنواع، وبعضهم إلى خمسة وهي تندرج تحت الثلاثة المشروعة.

الأول: توسل المؤمن إلى الله تعالى: بذاته العلية، وبأسمائه الحسنى، وبصفاته العلى، وهذا يكون بالثناء عليه ﷻ ودعائه.

وهذا النوع أشرف أنوع التوسل وأجلّها، والأدلة على هذا النوع أكثر من أن تحصى، منها قوله ﷻ:قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف:١٨٠].

الثاني: توسل المؤمن إلى الله تعالى بأعماله الصالحة.

وهو أن يقدم الداعي بين يدي دعائه بعض الأعمال الصالحة، ولا شك بأن هذا العمل الصالح لابد فيه من شرطي قبول العبادة، وهما: الإخلاص والمتابعة.

ومن الأدلة على هذا النوع من التوسل قول الرب ﷻ: قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة آل عمران:١٦]، والإيمان هو أساس كل عمل صالح، فلا عمل صالح بلا إيمان، وهؤلاء المتقون توسلوا بمنة الله عليهم بتوفيقهم للإيمان أن يغفر لهم ذنوبهم ويقيهم شر آثارها وهو عذاب النار[١].

ومن الأدلة عليه قصة أصحاب الغار الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة فتوسلوا إلى الله بصالح أعمالهم ففرج الله عنهم الصخرة[٢].

الثالث: توسل المؤمن إلى الله تعالى بطلب الدعاء من الصالحين الأحياء.

ومعنى هذا النوع من التوسل هو أن يطلب المؤمن من أخيه المؤمن أن يدعوا الله له، متوسلا إلى الله بدعائه، والأدلة على هذا النوع كثيرة منها: قول الله ﷻ: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ [سورة يوسف:٩٧].

ينظر: رسالة الشرك ومظاهرة: مبارك الميلي (٢٩٣-٣٠٤)، تسهيل العقيدة الإسلامية، لعبد الله الجبرين (٥١٦-٥٢١).

(١) ينظر: تيسير الكريم الرحمن (١٢٤)، التوصل إلى حقيقة التوسل (ص٧٧).

(٢) أخرجها البخاري، كتاب: الأدب، باب: إجابة الدعاء من بر بوالديه، حديث رقم (٥٦٢٩)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال، حديث رقم (٢٧٤٣).

ففي هذه الآية توسل إخوة يوسف إلى الله بدعاء أبيهم، وفيها أن وسل المؤمن بدعاء أخيه المؤمن له معروف عند الأمم المؤمنة قبلنا.

ومن الأدلة: ما جاء عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبد المطلب وقال: ((**اللهم كما نتوسل بنبينا فتسقينا وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا**))[1][2]، فالتوسل بالنبي-صلى الله عليه وسلم-حال حياته من المتواتر -كما قرر الكتاني- وهو من التوسل المشروع، كذلك طلب الدعاء من الصالحين الأحياء.

- **الثاني**: **توسل ممنوع**: وهو التقرب إلى الله بوسيلة ممنوعة، أو هو كل توسل لم يقم عليه دليل من كتاب الله أو سنة نبيه محمد-صلى الله عليه وسلم- [3]، وهو على أنواع، وكلها في تقريرات محمد بن جعفر الكتاني السابقة، وهي:

-التوسل إلى الله ﷻ بذوات المخلوقين، كأن يقول المتوسل: اللهم إني أتوسل إليك بفلان، كما فعل الكتاني في توسله بالأضرحه، وأقر من يتوسل به وبجاهه، وتشريعه وساطة النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقوله:" اللهم إنا نسألك ونتوجّه إليك بنبيّك وحبيبك محمد -صلى الله عليه وسلم- نبي الرحمة، يا سيدنا يا محمد، إنا نتوجه بك إلى ربك، فاشفع لنا عند المولى العظيم، اللهم شفِّعه فينا بجاهه عندك، آمين"[4]،

-التوسل إلى الله ﷻ بجاه أحد، أو حقه على الله ﷻ أو حرمته، ومنزلته عند الله سبحانه، كقول الكتاني في زيارته للقبر المنسوب إلى الخليل-عليه السلام-:" وتوسلنا إلى الله بجاهه العظيم ساعة"[5]، وغيرها من تقريراته السابقة الصريحة في التوسل بالجاه.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الاستسقاء، باب: سؤال الناس الإمام الاستسقاء إذا قحطوا، حديث رقم (٩٦٤).

(٢) ينظر: التوسل أنواعه وأحكامه (٣١-٤٦)، المشروع والممنوع من التوسل (٢٢-٣٧)، التوصل إلى حقيقة التوسل (٢٢-١٧٩).

(٣) ينظر: التوصل إلى حقيقة التوسل (١٨٤)، المشروع والممنوع من التوسل (٣٩).

(٤) شرح ختم صحيح البخاري (ل ٢).

(٥) ينظر: الرحلة السامية (٣١٨).

-الإقسام على الله بالمتوسل به، كأن يُقال: اللهم إني أقسم عليك بفلان أن ترزقني، وقد أقسم الكتاني على الأولياء في نظمه الذي أورده(١):

قسـما بكـم وبحقكـم وبجـاهكم لا حلت عن عهد لكم طول الأبد

يا سـاكنين بمهجـتي وبخـاطري الله يشـهد أنكـم لي معتمـد

أنا عبـد عبـد عبيـدكم وببـابكم أرجوا القبول يا سادتي المدد المدد

- التوسل إلى الله عز وجل بأعمال لم يرد دليل من الكتاب والسنة على مشروعيتها، أو ورد الدليل بالنهي عنها، وهذا كالتوسل إلى الله ﷻ بسؤال الأموات ودعائهم، أو التوسل إلى الله بالطواف حول القبور، وغيرها من المحدثات(٢).

وهذه الأنواع من التوسل لم ترد بالشرع، بل جاء النهي عنها إما بالدليل العام أو الدليل الخاص، وهي ما بين الشرك والبدعة، فالتوسل بدعاء الأموات، أو طلب الدعاء منهم شرك أكبر، والتوسل بجاه المخلوقين، أو ذواتهم أو حقهم، بدعة منكرة لم يرد بها الشرع(٣).

ومسألة التوسل بالنبي -صلى الله عليه وسلم- واعتقاد أن النبي هو الواسطة بين العبد وبين الله، تحتاج إلى بعض التفصيل؛ لأن منها ما يندرج تحت التوسل المشروع، ومنها تحت الممنوع، والتفصيل كما يلي:

١-التوسل بالإيمان به- صلى الله عليه وسلم- وطاعته، وهذا مشروع، بل هو فرض وأصل للدين، لا يتم الإيمان إلا به؛ لأن النبي-صلى الله عليه وسلم- وغيره من الأنبياء والمرسلين هم واسطة بين الله وبين عباده، وذلك بتبليغ شرع الله إلى من أرسلوا إليهم، وبيان ما ينفعهم، والتحذير مما يضرهم في دينهم ودنياهم، وقد قال عز وجل: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي

---

(١) ينظر: سلوة الأنفاس (١/٦٨).

(٢) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٨٥-وما بعدها)، كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس، لعبد الرحمن بن حسن (ص٢٩٢)، صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان (ص٢٠٧)، رسالة الشرك ومظاهره (٣٠٤-وما بعدها)، التوصل إلى حقيقة التوسل (١٨٥)، التوسل أنواعه وأحكامه (٤٢- وما بعدها)، المشروع والممنوع من التوسل (٣٩).

(٣) ينظر: المراجع السابقة.

﴿يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٣١﴾ [سورة آل عمران:٣١]، فالتوسل إلى الله عز وجل باتباعه وطاعته مشروع، لأنه واسطة مشروعة.

والواسطة المشروعة بين الله وبين خلقه هو الذي يبلّغ عن الله عز وجل، وهذه الوساطة هي وساطة تبليغ فحسب، ولا يمكن أن ترتقي إلى أن يصرف لها أي نوع من أنواع العبادة، وكون النبي واسطة بين الله وبين الخلق، يعني: أنه مبلّغ عن الله فحسب، ولا يعني هذا أنه قد امتاز بسبب هذا التبليغ أو هذا الاصطفاء بأي خصيصة من خصائص الألوهية التي تقتضي اتخاذه معبوداً، أو وسيطاً في العبادة بين الله والخلق، وإنما هو وسيط في التبليغ (١).

٢-التوسل بدعائه وشفاعته -صلى الله عليه وسلم-، وهذا كان في حياته، ويكون يوم القيامة حيث يتوسلون بشفاعته -صلى الله عليه وسلم-.

وهذا النوعان صحيحان باتفاق العلماء، من ذلك قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ((**اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا**))(٢)أي بدعائه لا بذاته، لهذا عدلوا عن التوسل به -صلى الله عليه وسلم- إلى التوسل بعمه العباس.

٣-التوسل بجاهه -صلى الله عليه وسلم-، أو حقه، أو بذاته، أو التوسل بسؤاله ودعائه، أو طلب الدعاء منه بعد وفاته.

وهذا هو التوسل الممنوع بالنبي -صلى الله عليه وسلم- الذي لم يفعله أحد من الصحابة رضوان الله عليهم، ولم يرد به نقل صحيح، وأجمع العلماء على أن الصحابة كانوا يستشفعون به، ويتوسلون به، في حياته بحضرته، كما في حديث عمر رضي الله عنه(٣)، وهذا النوع الذي شرّعه محمد بن جعفر الكتاني.

فالتوسل بالنبي-صلى الله عليه وسلم-وغيره من الأنبياء والأولياء بعد وفاتهم هو من التوسل الممنوع؛ لأن التوسل إليهم باعتقاد كونهم واسطة بين الله وبين عبادة هو اتخاذ شريك مع الله، وهذه هي الواسطة الممنوعة، وهي من أعظم الشرك الذي كفر الله به المشركين؛ حيث

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١/١٢٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: سؤال الإمام الناس إذا قحطوا، رقم : (٩٦٤).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٣١٧)، قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٣٥، ٨٥-٨٦)، كشف ما ألقاه إبليس (٢١٧).

اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء؛ يجتلبون بهم المنافع ويجتنبون المضار، وقد ذكر الله عنهم قولهم: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]، فهذه واسطة ممنوعة سواء أكان هذا الشريك في العبادة، أو كان وسيط فيما لم يشرعه الله عز وجل، كمن يُتبرك به، لكنها وساطة أخف من وساطة العبادة(١) لا كما قرر الكتاني، يقول ابن تيمية: "لفظ التوسل بالشخص، والتوجه به، والسؤال به، فيه إجمال واشتراك، غلط بسببه من لم يفهم...

يراد به التسبب به لكونه داعيا وشافعا مثلا، أو لكون الداعي مجيبا له، مطيعا لأمره، مقتديا به، فيكون التسبب: إما لمحبة السائل له واتباعه له، وإما بدعاء الوسيلة وشفاعته.

ويراد به الإقسام به والتوسل بذاته، فلا يكون التوسل لا لشيء منه، ولا شيء من السائل بل بذاته، أو بمجرد الإقسام به على الله، فهذا الثاني هو الذي كرهوه ونهوا عنه"(٢).

وتوسل محمد بن جعفر الكتاني بالنبي -صلى الله عليه وسلم- والاستشفاع به وبالأولياء، وطلب الدعاء منهم بعد وفاتهم، أو سؤال الله بحقهم وجاههم، هو من هذا النوع الممنوع، وهو توسل باطل، لم يرد به نقل صحيح، ولم ينقل عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن أحد ممن تبعهم، ولو كان مشروعا لكانوا أولى الناس به، فإنهم عدلوا عن الاستسقاء به إلى الاستسقاء بعمّه، ولم يعرف عن أحد منهم أنه توسل بجاه النبي -صلى الله عليه وسلم- وحقه(٣).

وهو كذلك تسبب بما ليس بسبب، إذ لا علاقة بين ذات النبي -صلى الله عليه وسلم- وجاهه، أو ذوات الأولياء، وإجابة الدعاء(٤).

والتوسل بحق المخلوقين أو جاههم كالتوسل بذواتهم من حيث عدم الرابط بينه وبين تحقق الإجابة؛ إذ هو توسل بأمر أجنبي عنه ليس سببا لنفعه وإنما ينفعه جاه النبي -صلى الله عليه وسلم-، باتباعه وطاعته، وقد قال الله سبحانه: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢٣/١)، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٤٠)، لوامع الأنوار البهية (٢٦٢/٢)، التوضيح عن توحيد الخلاق (١٧٢)، إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح الفوزان (١٢٧).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٣١٩/٢).

(٣) ينظر: قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة (٢٢٩)، كشف ما ألقاه إبليس (٢١٥/٢١٦).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣٣/٢٧).

النجم:٣٩]، فكل سعي ليس من سعي الإنسان، ليس له فيه نصيب، فالتوسل بجاهه -صلى الله عليه وسلم- مخالف لما ذكره الله عز وجل في الآية.

يقول الحافظ ابن كثير :«كما لا يحمل عليه وزر غيره، كذلك لا يحصل من الأجر إلا ما كسب هو لنفسه»(١).

فالتوسل بذات النبي-صلى الله عليه وسلم- أو غيره من المخلوقين توسل ممنوع، وهو بدعة من جهة كون السؤال بالنبي أو بالمخلوقين لم يكن معروفا في عهد النبي وأصحابه، وكل مالم يكن موجودا في عهدهم مع قيام المقتضى له فهو بدعة(٢).

فما قرره الكتاني من التوسل بذات النبي-صلى الله عليه وسلم-، وطلب الشفاعة منه، والتوسل بآل بيته، أو ما قرره من التوسل بأهل بدر، والتوسل بالكتانيين في الشدائد، وعند حصول المضايق، هو من التوسل الممنوع الباطل، وهو مخالف لقول الله عز وجل: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ﴾ [سورة الزمر:٤٤]، فالشفاعة له ﷻ ولا تطلب إلا منه سبحانه، والنبي -صلى الله عليه وسلم- وغيره من الأموات لا يملكون التصرف بعد الموت في شفاعة ولا في دعاء ولا في غير ذلك، وطلب الشفاعة من النبي -صلى الله عليه وسلم- وغيره من الأموات شرك أكبر؛ لأن طلبها منهم دعاء، والدعاء عباده، وصرف الدعاء لغير الله شرك أكبر-كما سبق-.

وهذا مخالف أيضا لما قرره النبي -صلى الله عليه وسلم- عندما سئل: من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال: ((**أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصا من قلبه**))(٣)، فأسعد الناس بشفاعته هم أهل الإخلاص بإذن الله، ولا تكون لمن أشرك بالله ﷻ وطلب الشفاعة من النبي أو من غيره؛ لأن من أشرك بالله قال الله فيه: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [سورة المدثر:٤٨]، يقول ابن كثير رحمه الله: «أي: ليس للذين ظلموا

(١) تفسير القرآن العظيم (٧/٤٦٥).

(٢) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢/٣٤٦)، جمع فهد بن ناصر السليمان.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: العلم، باب: الحرص على الحديث، رقم: (٩٩)، من حديث أبي هريرة ؓ.

أنفسهم بالشرك بالله من قريب منهم ينفعهم، ولا شفيع يشفع فيهم، بل قد تقطعت بهم الأسباب من كل خير»(١).

فكما أن الشافع لابد أن يكون من أهل التوحيد، فكذلك المشفوع له، فلا تطلب ولا ترجى الشفاعة إلا من الله ﷻ(٢)؛ لأن الشفاعة لا تحصل إلا بشرطين:

١-إذن الله للشافع أن يشفع.

٢-ورضاه عن المشفوع له، بأن يكون من أهل التوحيد.

قال ﷻ: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ٢٦﴾ **[سورة النجم:٢٦]**، وقد جمع الله ﷻ في هذه الآية بين هذين الشرطين، فلا تتحقق الشفاعة إلا بهما(٣).

فلا تطلب الشفاعة إلا من الله، ولا يدعى غير الله، ولا يعتصم بغيره، ولا يُرجى غيره ﷻ؛ لأن هذه كلها عبادات، وصرفها لغير الله شرك أكبر.

والذي أوقع محمد بن جعفر الكتاني وغيره بهذا فطلب منه -صلى الله عليه وسلم- ومن الأولياء الشفاعة، هو الجهل بحقيقة هذه الشفاعة، أو التوهم بأن الله إذا أكرم النبي -صلى الله عليه وسلم- أو بعض الصالحين يوم القيامة بالشفاعة فإنها تطلب منهم، وحقيقتة الشفاعة «أن الله هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص والتوحيد فيغفر لهم بواسطة دعاء الشافع الذي أذن له أن يشفع؛ ليكرمه بذلك وينال به المقام المحمود الذي يغبطه به الأولون والآخرون -صلى الله عليه وسلم-، ...ومقصود القرآن بنفي الشفاعة: نفي الشرك، وهو أن أحدا لا يعبد إلا الله ولا يدعو غيره، ولا يسأل غيره، ولا يتوكل على غيره، لا في شفاعة ولا غيرها، فليس له أن يتوكل على أحد في أن يرزقه وإن كان الله يأتيه برزقه بأسباب، كذلك ليس له أن يتوكل على غير الله في أن يغفر له ويرحمه في الآخرة، وإن كان الله يغفر له ويرحمه بأسباب من شفاعة وغيرها، فالشفاعة التي نفاها القرآن مطلقا، ما كان فيها شرك، وتلك منتفية مطلقا، ولهذا أثبت

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١٣٧/٧)، ينظر: مجموع الفتاوى (٨٧/٧).

(٢) ينظر: جامع البيان (٦٣٢/١٥)، تفسير القرآن العظيم (٢٦٥/٥)، تيسير الكريم الرحمن (٥٠٠).

(٣) ينظر: قرة عيون الموحدين (ص٩٨-٩٩)، القول المفيد (٣٣٦/١)، الشفاعة، لمقبل الوادعي (ص١٩-٢١).

الشفاعة بإذنه في مواضع، وتلك قد بين الرسول -صلى الله عليه وسلم- أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص فهي من التوحيد، ومستحقها أهل التوحيد»[^1].

فالشفاعة ملك لله ﷻ، ولا تطلب إلا منه، وليس معنى إكرام الله لنبينا -صلى الله عليه وسلم- بالشفاعة أن تطلب منه وأن يعتصم به، بل الشفاعة تطلب من الله ﷻ الذي أكرم النبي -صلى الله عليه وسلم- بالشفاعة ولا يعتصم إلا بالله.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في الرد على من يقول بأن الله أعطاه الشفاعة وأنا أطلبها منه: «إن الله أعطاه الشفاعة ونهاك عن هذا فقال: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ [سورة الجن:١٨]، فإذا كنت تدعو الله أن يشفع نبيه فيك فأطعه في قوله : ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ۝١٨﴾ وأيضا فإن الشفاعة أعطيها غير النبي -صلى الله عليه وسلم- فصح أن الملائكة يشفعون والأولياء يشفعون والأفراط يشفعون أتقول: إن الله أعطاهم الشفاعة فأطلبها منهم؟ فإن قلت هذا رجعت إلى عبادة الصالحين التي ذكر الله في كتابه، وإن قلت: لا ، بطل قولك : أعطاه الله الشفاعة وأنا أطلبه مما أعطاه الله»[^2].

بالإضافة إلى أن كل من خاطب النبي -صلى الله عليه وسلم- أو غيره من الأموات بلفظ من ألفاظ الدعاء والإستغاثة، كقول: أنت حسيبي، أو أنت رجائي، أو أرجو منك، أو أغثني، أنقذني، يتخذه واسطة بينه وبين الله في ذلك شركه شرك العرب الذين بُعث إليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- كما وضحه الله سبحانه في كتابه مخبرا عنهم أنهم يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [سورة الزمر:٣]، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [سورة يونس:١٨].

وما فصّله محمد بن جعفر الكتاني في حال المتوسل بالقبور، وأنه إن توسل بالولي المقبور إلى الله، مع اعتقاد تأثيره في قضاء حاجته أشرك وكفر، حق؛ لأن اعتقاد تأثير غير الله شرك في الربوبية-كما سبق- سواء أكان يعتقد أنه يؤثر بالاستقلال-كما قرر- أو أنه يؤثر بما جعل الله فيه من القوة والسر؛ لأن الله سبحانه وحده هو المعطي والمانع، المنفرد بخصائص الربوبية وحده دون غيره.

[^1]: مجموع الفتاوى (٧/٧٨-٧٩)، وينظر: كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد (٧٨-٨٢).
[^2]: كشف الشبهات، لمحمد بن عبد الوهاب (٢٢).

وتقريره بأن المتوسل بالقبور إذا اعتقد أنه يؤثر بما جعل الله فيه من القوة والسر مبتدعا، وفي كفره خلاف، تقرير باطل، لأنه لا خلاف في كفر من اعتقد تأثير غير الله عز وجل-كما سبق تفصيله في الربوبية-.

أما تقريره بأن المتوسل بالولي المقبور إن اعتقد نفي التأثير عنه رأسا، وكان يرى أن الفاعل المختار في جميع الأشياء هو الله سبحانه لا غيره من جميع المخلوقات، ولكنه يرى أن هذا الولي لعظيم مكانته عند مولاه، رزقه الله التصرف في مملكته، فهو يولي فيها ويعزل، ويضر وينفع بإذن منه سبحانه، وأن معتقد هذا مصيب في اعتقاده المذكور، بل قال بأنه موافق فيه لاعتقاد أهل السنة والجماعة، فهذا تقرير باطل شنيع؛ لأن ما قرره هنا هو عين شرك الأولين، الذين قاتلهم النبي-صلى الله عليه وسلم- واستحل دمائهم وأموالهم، وهذا هو التوسل الممنوع الباطل، بل هو أعظم منه؛ لأن شرك الأولين هو في اتخاذهم شفعاء عند الله وصرف العبادة لهم، بلا اعتقاد تصرفهم في الكون، قال عز وجل: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦١]، وقال عز وجل: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾ [سورة الزمر:٣].

كما أن شرك الأولين كان في الرخاء، أما في الشدة فيخلصون لله الدعاء، قال عز وجل: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة العنكبوت:٦٥]، وقال: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [سورة النحل:٥٤].

لكن ما قرره محمد بن جعفر الكتاني هو في التوسل بالأولياء المقبورين بالشدائد، وعند حصول المضايق، مع اعتقاد تصرفهم في الكون أحياء وأمواتا، وهذا أشد من شرك الأوائل! (١)

وقوله في دعائه: "نسألك أن تُعطّف علينا قلب صاحب الوقت، وقلوب من معه، أو تقدم عنه أو تأخر من الأقطاب والأولياء، وغيرهم من جميع الأفراد والأصفياء، وخصوصا

---

(١) ينظر: كشف الشبهات (٣٣)، تيسير العزيز الحميد (٥٨).

مسدي الأيادي إلينا، ومن هو أعظم منن الله في هذا القطر المغربي علينا، ذا التفريج والتعطيف والتنفيس، سيدنا ومولانا إدريس، أمدنا الله بمددهم وعطفهم"(١).

قد رد عليه الشيخ النتيفي -رحمه الله- فقال: "ونحن نقول عليه: أولا: ما أشبه قوله: أن تعطف علينا، إلى آخره قول الدهماء: اللهم عطّف عليها فلانا أو صاحب هذا القبر، عوض أن يقول اللهم اعطف علينا، وعطف الله أوسع من كل عطف، ولا يحتاج الله إلى غيره في ذلك.

فإن قيل: قد يجوز هذا السؤال في شأن من تحتاج إليه أو إلى دفع شره.

قلنا: نعم، ولكن فرق بين ما لا يقدر عليه إلا الله فلا يُسأل إلا منه، وبين ما يقدر عليه غيره، فيجوز أن يسأل من الله عطفه عليه، وبين أن يسأل منه، وسؤالي القطب ليس فيما بيده كما في يد الناس، بل في التصرفات التي زوّروا نسبتها إليه، وهي لا تكون إلا من ربنا وربه.

ثانيا: قوله: صاحب الوقت.

يقال عليه: ما الدليل على وجود القطب، ووصفه بالصفة التي يصفونه بها؟ ومع إنه بهذه الصفات تتوفر الدواعي على نقل دليله كتابا وسنة وإجماعا، وأين ذكره في واحدة منها، وكون صاحب الوقت مترتبا على وجوده وعلى عقد البيعة له من الله أو خليقته أو من أولي الأمر من خلفائه على مملكته في ذلك الوقت، وشيء من ذلك لم يوجد، ...

ثالثا: لِمَ لم يكفّ هذا الشيخ ما منحه الله من الخير الحسي والمعنوي، وسؤاله المرجو منه من الله عن سؤال صاحب الوقت وأصحابه ومن تقدم عنه وتأخر: ﴿**أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ**﴾ **[سورة الزمر:٣٦]**.

رابعا: قد كان في وقت هذا الشيخ من يدّعي القطبانية وينسبها إليه الكثير من أصحابه والمتعلقين به، وهو من فخذ الشيخ وأخاله ابن عمته(٢)، فليت شعري هل كان يعتقد أنه صاحب الوقت، وهو الذي لا يظهر في بلده ظهورا بذلك إلا هو؟ أو كان لا يعتقد ذلك؟

---

(١) اليمن والإسعاد (١٢٧).

(٢) وهو: محمد بن عبد الكبير الكتاني.

وإنما يعتقد موجودا أحط منه رتبة أو لا يعتقد إلا مخيلا لا موجودا، والظاهر أنه كان لا يعتقد الأول.

وقوله: وخصوصا مسدي الأيادي إلينا، ومن هو أعظم منن الله في هذا القطر المغربي علينا، ذا التفريج والتعطيف والتنفيس، سيدنا ومولانا إدريس، أمدنا الله بمددهم وعطفهم.

نقد: يقال عليه: بينما الشيخ يسأل الله كل خير حسي ومعنوي لنفسه، إذا هو ينتقل لسؤال غيره من صاحب الوقت، ومن منة الله على المغرب المولى إدريس، وهذا مناف لما تقدم... كما أنه قد يقال: إن صاحب الوقت عنده المتقدم هو منة المغرب، وإن مات بزمان طويل لأن تصرفاته لا تموت كغيره عنده، كما يحتمل ما تقدم من الاحتمالات، كما أن وصف هذه المنة بتنفيس الكروب وتفريج الهموم، والعطف بالنعم، ودفع النقم ليس إلا لله"(١).

بهذا يتبين بطلان تقريرات محمد بن جعفر الكتاني جملة وتفصيلا، فهي ما بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر.

-التبرك:

عرض محمد بن جعفر الكتاني لبعض مسائل التبرك، فقرر-برأيه- كما يقول: "بذكرهم تتنزل الرحمات، وتنزل سوابغ النعمات، وتستمطر سحائب البركات، وتستصحب السعادة في السكنات والحركات، وببركاتهم تنعقد العزمات، وتنحل عرى الشدائد والأزمات"(٢)، وأن ذكرهم سبب لغفران الذنوب(٣)، كما قرر-برايه- بركة الأرض التي فيها أضرحتهم؛ حيث يقول من فوائد وجود أضرحة الأولياء بيننا: "وجود البركة في الأرض، وكثرة النفع، وإدرار الرزق، إذ لولاهم ما أرسلت الأرض قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها"(٤).

---

(١) أصفى الموارد (٣٣٥-٣٣٦).

(٢) سلوة الأنفاس (١٢/١).

(٣) المرجع السابق (٢٥/١)، وينظر: إعلام الحاضر والآت (ل ٢٣/أ).

(٤) ينظر: سلوة الأنفاس (١٢/١-١٣، ٢٦).

وفصّل في مسألة حكم تقبيل القبور والتمسح بها، ومسها، ورجح "عدم التمسح بالقبر، وعدم تقبيله ومسّه؛ لأن ذلك من فعل النصارى، وقد نص على كراهته غير واحد من العلماء، خصوصا المالكية، ...والحاصل أنه اختلف في الكراهة وعدمها بين الصحابة والتابعين وغيرهم، والجامع بينهما قول الخطيب البغدادي: [لا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك، والقصد به التعظيم]" (١)، فكان يقر بعض من يلصق ظهره وبطنه بجدار القبر، لكي تغفر ذنوبه، وأن "الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، لكن الترك أولى لمن ملك نفسه، سيما إذا كان مقتدى به"(٢).

وذكر مسألة حكم الادهان بالماء الذي هو عند قبر الصالح، وهو:" ألا يدّهن بالماء الذي يكون عليه أو عنده؛ سدا للذريعة، لئلا يعتقد الجهال فيه شيئا من الاعتقادات الفاسدة، ...قلت: وعمل الناس اليوم على الجواز، قصدا للتبرك بآثار الصالحين، لكن مع حسن الاعتقاد، وسلامة النية والمراد، وإنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى"(٣)، فأقر العمل بالتمسح بقبور الصالحين، والادهان بالماء الذي عليها، إذا كان -كما يرى- مع حسن القصد وسلامة النية!

وقال: "والتبرك بآثار أهل الخير ومن يعظم للدين معمول به عند كثير من المشائخ المعتمد عليهم، وذلك منقول عنهم بالاستفاضة، وذلك كله مما يؤيد الجواز هاهنا، لكن لمن يريد التبرك ونحوه، لا لمن يعتقد فيه شيئا من اعتقادات الجاهلية"(٤).

بل قرر -برأيه- أن الزائر إذا عمل نيته في محل ولو كان صاحبه في نفس الأمر ليس كما يظن الناس، فإنه ينتفع من ذلك المحل له لا محالة، حيث قال: "المدار في الزيارة على النية

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٤٧/١).

(٢) ينظر: سلوة الأنفاس (٤٤/١).

(٣) سلوة الأنفاس (٥١/١).

(٤) المرجع السابق (٥٢/١)، وينظر المرجع نفسه (١٥٢/١).

الصالحة الصادقة، فإذا عمل الزائر نيته في محل وكانت صادقة، فإنه ينتفع من ذلك المحل لا محالة، ولو كان صاحبه في نفس الأمر ليس كما يظن الناس فيه، وعلى هذا فإذا اشتهر شخص في حياته بالولاية وكان خاليا منها في نفس الأمر، ثم إنه بعد وفاته دعته شهرته إلى القبة والدربوز والكسوة، وصار الناس يزورونه، فإنهم ينتفعون بزيارتهم بحسب نياتهم ومقاصدهم، وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، ويُروى مرفوعًا: لو حسن أحد ظنّه بحجر لنفعه الله به، لكن نصَّ ابن تيمية وابن حجر العسقلاني على أنه لا أصل له، يعنيان من حيث اللفظ، وإن كان صحيحًا من حيث المعنى... بل هذا المزور الخالي من الولاية يرجى له الخير بسبب ما يهدي الناس له من الدعاء والرحمة، وثواب القراءة والذكر، والصلاة على رسول الله-صلى الله عليه وسلم- وغير ذلك، سيما إن دام ذلك سنين عديدة، أو قرونا كثيرة"(١).

وأخبر عن نفسه بأنه كان يتبرك بحجر، حيث قال في كرامات نسبها لنفسه: "ومما أُكرمت به أيضا: أني رأيت حجرا على قدر الكفّ مكتوبا فيه في إحدى وجهيه: بقلم القدرة الإلهية الذي لا شك فيه ولا ريب، والكتابة سارية في جميعه: لا إله إلا الله، وفي الوجه الآخر، محمد رسول الله، وقد استعرته من صاحبه مرارا عديدة، وكنت أثبّته في ماء، وفي الصباح أفكّ الريق على ذلك الماء، فالحمد لله أيضا على رؤية هذه المعجزة والتبرك بها"(٢).

كما ذكر مسألة أخذ التراب من القبر للتبرك والاستشفاء ورجح الجواز؛ لأنها ليست من المسائل المتفق عليها -كما يرى-(٣).

وقد أخبر عن كثير من الأولياء بأنه متبرك بهم في حياتهم وبعد مماتهم(٤)، وعن بعضهم بأن ضريحه يقصده الناس للتبرك والاستشفاء، والغسل من ماء الحمّة، أو يؤخذ منه تراب

(١) ينظر: سلوة الأنفاس (١/٣٠-٣١).

(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٧-٤٨٨).

(٣) ينظر: سلوة الأنفاس (١/٢١، ٣٠).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١/٩٥، ١٠٨، ٢٦٠، ٣٥٩، ٣/١٥٨)، النبذة اليسيرة النافعة (١٦٧، ١٩٣).

التبرك(١)، ومن ذلك قوله عن أحد الأضرحة: "شوهد لضريحه-رضي الله عنه-كرامات كثيرة، وتصرفات شهيرة، وبركات ظاهرة، وخوارق باهرة، ولا زال الناس يستشفون به من جميع الأمراض والعاهات، وسائر العلل والآفات، فيشفون ببركته، ويجدون البرء بعنايته وسر نفحته، والأخبار بذلك منتشرة، وفي سائر الأذهان مقررة مشتهرة"(٢).

وقوله في ترجمة أحدهم: "كان الناس يستشفون بآثاره من العلل والأمراض، ويتوسلون بجاهه في دفع العوارض وتحصيل الأغراض"(٣).

وقد امتدح غير واحد ممن ادعى له الولاية بأن العامة كسروا أعواد نعشه تبركا(٤)، ومن ذلك قوله: "وكسّرت العامة أعواد نعشه وأخذوها تبركا على عادتهم في ذلك في جنازة من يعتقدونه"(٥).

وقد أخبر عن نفسه في رحلاته أنه زار أثر قدم النبي-صلى الله عليه وسلم-وتبرك به ولمسه، ودعا الله بما تيسر، وبشعرتان منسوبتان إليه-صلى الله عليه وسلم-، وتبرك بمكان كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يضطجع فيه، وبمكان مر فيه الخضر-عليه السلام-وصلى فيه، وأنه تبرك ببعض أماكن الأنبياء، وببعض آثار الأولياء، من نعل، ومشط، وعصابة وغيرها(٦)، ومن ذلك قوله: "ثم أكرمنا بواسطته المتولُّون للضريح المذكور بإخراج عمامة صاحبه، وسبحته، وهي العصبة، ومشطان له، صغير وكبير، وعصا صغيرة، وعصابة كان يجعلها بين عينية، فتبركنا بالجميع"(٧).

---

(١) ينظر: سلوة الأنفاس (١/١٥٢، ٢/٢٧، ٣/١٦٦، ٢٧١، ٢٩٢)، الرحلة السامية (٢٢٩).

(٢) المرجع السابق (٢/٢١، ٢٤) وينظر (٣/١٦٦، ٢٩٢).

(٣) سلوة الأنفاس (١/٣٥٩)، وينظر المرجع نفسه (٣/٢٢٣).

(٤) ينظر: الإجازة الأيوبية (١٧)، سلوة الأنفاس (١/٩٨، ٢٦٨، ٣٢٥، ٢/١٤٨، ٢٤٨، ٣/٦١).

(٥) النبذة اليسيرة النافعة (٣١٧).

(٦) ينظر: الرحلة السامية (١٢٩، ١٣٠، ١٣٣، ٢١١، ٢٣٠، ٢٨٧، ٢٩٧، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣١٤، ٣١٨).

(٧) المرجع السابق (١٣٠).

ومن ذلك ما ذكره عن تبركه بنعل النبي-صلى الله عليه وسلم-، حيث يقول: "ومما أكرمني الله تعالى به: أني رأيت فردة من النعال الشريفة التي كان يمشي بها رسول الله-صلى الله عليه وسلم- بعينها، وذاتها مرتين: مرة في ربيع الأول من سنة إحدى وعشرين بدرب الدرج من عدوة فاس الأندلس، ...وتبركت بها وتمسحت، ودعوت بدعوات أستجيب لي في بعضها، ...والمرة الثانية في أواخر شهر رمضان من سنة سبع وعشرين، ...وتبركنا بها، وتبرك الجميع، وقبّلنا، ودعونا، فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات"(١).

وقال في قبر إدريس باني فاس: "أطبق أكابر العلماء وجميع الأولياء وسائل الناس من جميع البلدان الأقطار والنواحي والأمصار على حسن الثناء عليه، وتعظيمه، وقصد زيارته والتبرك به وبآثاره-رضي الله عنه"(٢).

ومن ذلك قوله في بعض مزارات المدينة في رحلته: "ومسجد الموضع الذي طُعن فيه سيدنا حمزة، ومنه يؤخذ تراب التبرك"(٣).

وقال في موضع بفاس: "الموضع المعروف بحانوت النبي-صلى الله عليه وسلم- نسب إليه؛ لأن بعضهم على ما يقولون رأى النبي-صلى الله عليه وسلم فيها، فصاروا يتبركون بها ويزورونها تعظيما له-عليه السلام- وتيمُّنا بآثاره.

وبلغني عن بعض علماء العصر أنه أنكر هذه التسمية لما فيها من الإيهام بحسب ظاهر اللفظ في حق من غلبت عليه الأمية والجهل فيظن أنه-عليه السلام-وصل إلى فاس حال حياته وكان يجلس بهذا الحانوت، وذلك باطل، قال: وكان الأولى أن يقولوا: مظهر النبي، أو مرآه، أو نحو ذلك من الألفاظ السالمة من هذا الإيهام، قلت: وهذا الذي قاله ظاهر جلي، والله أعلم"(٤).

---

(١) النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٧)، وينظر الرحلة السامية (١٣٣-١٣٤)، سلوة الأنفاس (١/٣٩١-٣٩٥).

(٢) ينظر: سلوة الأنفاس (١/٨١).

(٣) الرحلة السامية (٢٢٩).

(٤) سلوة الأنفاس (١/٢٤٥).

وقد سئل: عما يفعله بعض الناس من مسح وجوههم بأيديهم عند سماع اسم النبي – صلى الله عليه وسلم–، أو وصفه، هل له أصل في السنة أم لا؟

فأجاب:" أني لم أقف فيه الآن على شيء بالخصوص، ولكنه من باب التبرك، والالتماس للخير والبركة بكل سبب ممكن... وقد ورد في الشرع ما يشهد للقول بالجواز، وهو أيضا من باب ما يفعل من التمسح بقبور الصالحين والستور المعلقة عندها، وتقبيل المصحف والخبز ووضعه على الرأس والوجه...ومشهور المذهب فيه الكراهة، وعمل كثير من الناس على الجواز، لما ورد عن غير واحد من السلف فعل مثل ذلك بالمنبر النبوي ونحوه، والأمر في ذلك سهل إذا حسنت النية، والأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى"(١).

وذكر في موضع بأن هذا التقبيل سبب لمغفرة الذنوب، وتحول الحياة من الشقاوة إلى السعادة(٢).

- **النقد:**

خالف محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته السابقة الكتاب والسنة، ومنهج السلف الصالح، وسلك سبيل المبتدعة في هذا، **فالتبرك:** طلب البركة، والبركة: هي كثرة الخير وثبوته واستمراره، والتبرك بالشيء طلب البركة بواسطته(٣).

والبركة كلها من الله تعالى وحدة، إذ أنه خالق الخير، وخالق أثره ونمائه، ولذلك كانت البركة لازمة لذاته، غني سبحانه عن كل أحد سواه، وليس لأحد بركة إلا أن يهبها الله تعالى له(٤).

- **والتبرك ينقسم من جهة حكمه إلى قسمين:**

---

(١) عمدة الراوين (٩/٣٣-٣٤).

(٢) ينظر: اليمن والإسعاد (٩٩).

(٣) ينظر مادة (برك): تهذيب اللغة (١٠/١٣٠)، معجم مقاييس اللغة (١/٢٣٠)، القاموس المحيط (١/٩٣٢)، النهاية في غريب الحديث والاثر (١/١٢٠).

(٤) ينظر: بدائع الفوائد (٢/٤٥).

تبرك مشروع: وهو طلب البركة بما ثبت شرعا أنه سبب لها، فيفعل المسلم العبادات المشروعة طلباً للثواب المترتب عليها، ومن ذلك التبرك بقراءة القرآن والعمل بأحكامه، قال عز وجل: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾ [سورة ص:٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ۝١٥٥﴾ [سورة الأنعام:١٥٥].

فالتبرك به هو ما يرجو المسلم من الأجور على قراءته له وعمله بأحكامه، لأن من بركاته أن الحرف الواحد بعشر حسنات.

وكالتبرك بذات النبي – صلى الله عليه وسلم – في حياته؛ لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– مبارك في ذاته، وما اتصل بذاته؛ ولهذا تبرك الصحابة –رضي الله عنهم– بذاته –صلى الله عليه وسلم–، ومن ذلك، ما ثبت عن أبي جحيفة–رضي الله عنه– قال: ((**خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالهاجرة إلى البطحاء، فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين، والعصر ركعتين، وقام الناس فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم، قال: فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج، وأطيب رائحة من المسك**)) (١).

ولا يقاس عليه غيره –صلى الله عليه وسلم–؛ فإنه لم يؤثر عنه –صلى الله عليه وسلم– أنه أمر بالتبرك بغيره، ولم ينقل أن الصحابة –رضي الله عنهم– فعلوا ذلك مع غيره، لافي حياته ولا بعد مماته، ولم يفعلوه مع أحد السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، ولا مع الخلفاء الراشدين المهديين، ولا مع العشرة المشهود لهم بالجنة.

يقول الإمام الشاطبي–رحمه الله–:" الصحابة رضي الله عنهم بعد موته –صلى الله عليه وسلم– لم يقع من أحد منهم شيء من ذلك [أي من التبرك] بالنسبة إلى من خلفه، إذ لم يترك النبي –صلى الله عليه وسلم– بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق–رضي الله عنه–، فهو كان خليفته، ولم يفعل به شيء من ذل، ولا عمر بن الخطاب، وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان بن عفان، ثم علي بن أبي طالب، ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركا تبرك به على أحد تلك

---

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: المناقب، باب: صفة النبي– صلى الله عليه وسلم–، حدري رقم: (٣٥٥٣).

الوجوه أو نحوها، بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي -صلى الله عليه وسلم-، فهو إذا إجماع منهم على ترك تلك الأشياء كلها"(١).

فالتبرك بغير ذات النبي-صلى الله عليه وسلم-ليس من التبرك المشروع، بل هو مخالفة لما أجمع عليه الصحابة-رضي الله عنهم-.

التبرك الممنوع: طلب حصول البركة بما لم يقم عليه دليل من الشرع، وهو ينقسم من حيث حكمه إلى قسمين:

تبرك شركي: وهو أن يعتقد المتبرِّك أن المتبرَّك به، وهو المخلوق، يهب البركة بنفسه، فيبارك الأشياء بذاته استقلالاً، وهذا شرك في الربوبية مخرج من الملة، وطلب البركة من غير الله، شرك أكبر.

تبرك بدعي: وهو التبرك بما لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك به، مع اعتقاد أن الله جعل فيه بركة.

أو التبرك بالشيء الذي ورد التبرك به في غير ما ورد في الشرع التبرك به فيه، وهذا بلا شك محرم؛ لأنه جعل ما ليس بسبب سبباً، وهو يؤدي إلى الوقوع في الشرك الأكبر(٢).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني في مسائل التبرك يمكن مناقشته فيما يلي:

-أن التبرك بذات النبي-صلى الله عليه وسلم-والتبرك بما بقي من آثاره المنفصلة عنه كثيابه، أو شعره، أو آنيته، من التبرك المشروع في حياته وبعد مماته، ولا يناقض توحيد الربوبية أو توحيد

---

(١) الاعتصام (٢/٣٠٢-٣٠٣)، وينظر: رسالة الشرك ومظاهره (١٤٨)، التبرك المشروع، والتبرك الممنوع، علي العلياني (٥١) التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر الجديع، (٣٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/١٣٧)، التوضيح عن توحيد الخلاق (٢٧٣)، تيسير العزيز الحميد (١٤٥، ١٥٠)، الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق، تقي الدين الهلالي (١٧، ٢٠، ٩٨)، فتاوى مهمة لعموم الأمة لابن باز (٨٨-٨٩)، القول المفيد على كتاب التوحيد (١/١٩٤)، التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ (١/١٢٨-١٢٩).

الألوهية وليس من الغلو المذموم، وإلا لنبّه النبي -صلى الله عليه وسلم-صحابته إليه، ونهاهم عنه، كما نهاهم عن بعض الألفاظ الشركية وحذرهم من ألفاظ الغلو(١).

وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب بعنوان: باب ما ذكر من درع النبي -صلى الله عليه وسلم- وعصاه، وسيفه، وقدحه، وخاتمه، وما استعمل الخلفاء بعده من ذلك مما لم يذكر قسمته، ومن شعره، ونعله، وآنيته، مما تبرك أصحابه وغيرهم بعد وفاته، ثم ساق البخاري جملة من أحاديث هذا الباب، ومنها ما وراه ن عاصم الأحول قال: **(رأيت قدح النبي -صلى الله عليه وسلم- عند أنس بن مالك، وكان قد انصدع، فسلسله بفضة)**، قال أنس: **(لقد سقيت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في هذا القدح أكثر من كذا وكذا)** (٢).

وقد روى الإمام مسلم عن أنس -رضي الله عنه-قال: **(رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه، وأطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعرة إلا في يد رجل)**(٣، فهذا الحديث يدل على جواز اقتناء شعر النبي -صلى الله عليه وسلم-للتبرك به(٤).

ومن الأدلة على تبركهم بآثاره-صلى الله عليه وسلم- بعد مماته ما جاء عن أسماء بنت أبي بكر الصديق-رضي الله عنها-أنها أخرجت جبة طيالسة، وقالت: **(هذه كانت عند عائشة حتى قبضت، فلما قُبضت قبضتها، وكان النبي-صلى الله عليه وسلم- يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها)**(٥).

---

(١) ينظر: أمثلة هذا في كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، باب: قول ما شاء الله وشئت، وباب: ماجاء في حماية النبي-صلى الله عليه وسلم-حمى التوحيد وسده طرق الشرك، (ص١٦٩، ٢٢١).

(٢) رواه البخاري في صحيحه، كتاب: فرض الخمس، باب: ما ذكر من درع النبي -صلى الله عليه وسلم- وعصاه، وسيفه، وقدحه، حديث رقم (٣١٠٩).

(٣) رواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: قرب النبي -صلى الله عليه وسلم-من الناس، وتبركهم به، حديث رقم: (٢٣٢٦)، من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعا بلفظه.

(٤) ينظر: شرح النووي على مسلم (٨٢/١٥)،

(٥) رواه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب: اللباس والزينة، باب: باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء، وخاتم الذهب والحرير على الرجل، وإباحته للنساء، وإباحة العلم ونحوه للرجل ما لم يزد على أربع أصابع، حديث رقم: (٢٠٩٦).

كما جاء عن التابعين كذلك تبركهم بآثاره-صلى الله عليه وسلم-، ومن ذلك ما جاء عن ابن سيرين، قال: قلت لعبيدة: **(عندنا من شعر النبي صلى الله عليه وسلم أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس)**، فقال: **(لأن تكون عندي شعرة منه أحب إلي من الدنيا وما فيها)** (١).

وعن عثمان بن عبد الله بن موهب -رضي الله عنه- قال: **(أرسلني أهلي إلى أم سلمة -زوج النبي صلى الله عليه وسلم - بقدح من ماء... فيه شعر من شعر النبي -صلى الله عليه وسلم-، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة...)** (٢).

قال ابن حجر-رحمه الله-: "والمراد أنه كان من اشتكى أرسل إناء إلى أم سلمة، فتجعل فيه تلك الشعرات وتغسلها فيه، وتعيده، فيشربه صاحب الإناء، أو يغتسل به استشفاء بها فتحصل له بركتها"(٣).

وما عدا ذلك من التبرك فلا يُشرع، فلا يُتبرّك بقبره-صلى الله عليه وسلم-، ولا يطلب الدعاء منه عند القبر، ولا تشد الرحال لزيارة قبره-كما سبق تقريره-، ولا يشرع تقبيله والتمسح به؛ لأنه ثبت باتفاق أهل العلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يمسح غير الحجر الأسود والركن اليماني، ولم يقبل إلا الحجر الأسود (٤).

فبركة آثار الرسول -صلى الله عليه وسلم- باقية فيها، وليس هناك ما يرفعها، إلا أنه ينبغي التنبه إلى أن ليس كل دعوى لآثار باقية له -صلى الله عليه وسلم-تكون صادقة، بل ليس ثمة ما يثبت بقاء شيء من ذلك، بل قد ثبت فقدان الكثير من آثار الرسول -صلى الله عليه وسلم- على مدى الأيام والقرون، بسبب الضياع، أو الحروب والفتن، وغير ذلك.

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الوضوء، باب: الأمر الذي يغسل به شعر الإنسان، حديث رقم: (١٧١).

(٢) رواه البخاري، كتاب: اللباس، باب: ما يذكر في الشيب، حديث رقم: (٥٨٩٦).

(٣) فتح الباري (١٠/٣٥٣).

(٤) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٣٥)، زاد المعاد (١/٤٩).

فقد ثبت فقدان البردة والقضيب في آخر الدولة العباسية حين أحرقهما التتار عند غزوهم لبغداد(١)، وثبت ذهاب نعلين ينسبان إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في فتنة بدمشق(٢).

أما شعرات النبي-صلى الله عليه وسلم- فكثر ادعاء وجود وامتلاك شعرات منسوبة له-صلى الله عليه وسلم- في كثير من البلدان الإسلامية في العصور المتأخرة، كالقاهرة، ودمشق، وعكا، حتى قيل إن في القسطنطينية وحدها ثلاثاً وأربعين شعرة سنة ١٣٢٧هـ، أهدي منها خمس وعشرون وبقي ثماني عشرة، مما جعل من الصعوبة تتميز صحيحها من زائفها(٣).

يقول الألباني-رحمه الله- "نعلم أن آثاره -صلى الله عليه وسلم- من ثياب أو شعر أو فضلات قد فقدت، وليس بإمكان أحد إثبات وجود شيء منها على وجه القطع واليقين، وإذا كان الأمر كذلك فإن التبرك بهذه الآثار يصبح أمراً غير ذي موضوع في زماننا هذا، ويكون أمراً نظرياً محضاً، فلا ينبغي إطالة القول فيه"(٤).

لاسيما مع مرور قروناً من الزمان على وجود تلك الآثار النبوية، ومع إمكان الكذب في ادعاء نسبتها إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- للحصول على بعض الأغراض، كما وضعت الأحاديث ونسبت إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم -كذباً وزوراً.

وعلى هذا فالتبرك بآثار النبي-صلى الله عليه وسلم-في هذا الوقت أمر منكر؛ لأنه لا دليل على كون هذا الأثر ثابت عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، بل هي موضع شك، ولا يعني هذا انتقاص حقه-صلى الله عليه وسلم-والتنقيص من شأنه، كما لا يعني إنكار أصل التبرك بآثاره -صلى الله عليه وسلم-.

---

(١) ينظر: تاريخ الخلفاء للسيوطي (ص٢١) خزانة الأدب ونهاية الأرب، لعبد القادر البغدادي (١٥٥/٩)، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، أحمد القرماني (٢٥٠/١)، الآثار النبوية، أحمد تيمور باشا (ص-١٥-٢١).

(٢) ينظر: فتح المتعال في مدح النعال، لأحمد المقري (١٦٨)، الآثار النبوية، أحمد تيمور باشا (١١٦).

(٣) ينظر: الآثار النبوية، أحمد تيمور باشا (٧٩-٩٩).

(٤) التوسل أنواعه وأحكامه للألباني (١٤٤).

وعلى كلٍ، فإن التبرك الأعلى بالرسول -صلى الله عليه وسلم- هو اتباع ما أثر عنه من قول أو فعل، والاقتداء به، والسير على منهاجه ظاهراً وباطناً.

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" كان أهل المدينة لما قدم عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في بركته لما آمنوا به وأطاعوه فببركة ذلك حصل لهم سعادة الدنيا والآخرة، بل كل مؤمن آمن بالرسول وأطاعه حصل له من بركة الرسول بسبب إيمانه وطاعته من خير الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله"(١).

-تبرك محمد بن جعفر الكتاني ببعض الأماكن التي مر بها النبي-صلى الله عليه وسلم-أو اضطجع فيها، مخالف لمنهج أهل السنة والجماعة؛ لأن ما فعله النبي -صلى الله عليه وسلم- من العبادات في أي مكان، دون قصده المكان بذاته، لا يشرع قصده، أو تحريه؛ وما فعله الرسول-صلى الله عليه وسلم-على وجه التعبد فهو عبادة يشرع التأسي به فيها، اقتداء برسول الله -صلى الله عليه وسلم-واتباعا له، أما مالم يكن كذلك فلا يشرع قصده، ولا التبرك به(٢).

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" لم يشرع الله تعالى للمسلمين مكاناً يقصد للصلاة إلا المسجد، ولا مكان يقصد للعبادة إلى المشاعر، فمشاعر الحج كعرفة ومزدلفة ومنى، تقصد بالذكر والدعاء والتكبير لا الصلاة، بخلاف المساجد، فإنها هي التي تقصد للصلاة، وما ثم مكان يقصد بعينه إلا المساجد والمشاعر، وفيها الصلاة والنسك، ...وما سوى ذلك من البقاع فإنه لا يستحب قصد بقعة بعينها للصلاة، ولا الدعاء، ولا الذكر؛ إذ لم يأت في شرع الله ورسوله قصدها لذلك، وإن كان مسكناً لنبي أو منزلاً أو ممراً.

فإن الدين أصله متابعة النبي -صلى الله عليه وسلم- وموافقته بفعل ما أمرنا به وشرعه لنا وسنه لنا، ونقتدي به في أفعاله التي شرع لنا الاقتداء به فيها بخلاف ما كان من خصائصه.

فأما الفعل الذي لم يشرعه هو لنا ولا أمرنا به ولا فعله فعلاً سن لنا أن نتأسى به فيه، فهذا ليس من العبادات والقرب، فاتخاذ هذا قربة مخالفة له-صلى الله عليه وسلم-"(٣).

---

(١) ينظر: فتاوى ورسائل الشيخ ابن إبراهيم (١٠٤/١)، فتح المجيد (١٠٨).

(٢) ينظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٩٨/٥)، اقتضاء الصراط المستقيم (٢٧٨/٢).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل (٩٨/٥).

فالتبرك بهذه الأماكن لم يرد دليل شرعي يدل على جواز التبرك بها، وهذا بدعة، وإن اعتقد المتبرك أنها تهب البركة بذاتها فهذا شرك أكبر مخرج من الملة.

وبناء على ذلك فإن المواضع التي جلس فيها النبي-صلى الله عليه وسلم-أو اضطجع فيها ما عدا المشاعر لا تقصد العبادة فيها ولا التبرك بها؛ لأمور:

-عدم الدليل على جواز التبرك بها أو قصدها؛ لأن العبادة مبناها على الاتباع لا الابتداع؛ وقصد هذه الأماكن والجلوس فيها للصلاة أو الدعاء قربة وتبركا من أنواع العبادة.

-أن الصحابة لم ينقل عن أحد منهم أنه تبرك بشيء من المواضع التي مر بها النبي-صلى الله عليه وسلم-أو اضطجع فيها مع شدة محبتهم له، واتباعهم لسنته، وعلمهم بتلك المواضع، بل جاء عنهم النهي عن هذا، ومن ذلك ما روي "أن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها -النبي صلى الله عليه وسلم- لأن الناس كانوا يذهبون تحتها "(١).

وتحري هذا ليس من سنة الخلفاء الراشدين التي حث الرسول-صلى الله عليه وسلم- على التمسك بها، بل هو مما ابتدع(٢).

-أن النهي عن هذا الفعل سد لذريعة الشرك والفتنة بتعظيم تلك المواضع، وربما أدى لجعلها معابد(٣).

يقول العلامة السعدي -رحمه الله- في تعليقه على كتاب التوحيد: باب من تبرك بشجرة أو حجرة أو نحوهما: "أي فإن ذلك من الشرك، ومن أعمال المشركين؛ فإن العلماء اتفقوا على أنه لا يشرع التبرك بشيء من الأشجار، والأحجار، والبقع، والمشاهد وغيرها؛ فإن هذا التبرك غلوٌّ فيها، وذلك يتدرّج به إلى دعائها وعبادتها وهذا هو الشرك الأكبر ...، وهذا عام في كل شيء حتى مقام إبراهيم، وحجرة النبي - صلى الله عليه وسلم -، وصخرة بيت المقدس، وغيرها من البقع الفاضلة.

---

(١) ينظر: الحوادث والبدع (١٤٨)، البدع والنهي عنها (٨٨/٢)، ورواه ابن سعد في الطبقات (٧٦/٢)، وصحح سنده الحافظ ابن حجر في الفتح (٤٤١/٧).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢٧٨/٢)، مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٣٣٤/٣).

(٣) ينظر: إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (٣٦٨/١).

وأما استلام الحجر الأسود وتقبيله، واستلام الركن اليماني من الكعبة المشرّفة، فهذا عبودية لله، وتعظيم لله، وخضوع لعظمته، فهو روح التّعبُّد، فهذا تعظيم للخالق وتَعبُّدٌ له، وذلك تعظيم للمخلوق، وتألُّه له.

والفرق بين الأمرين كالفرق بين الدعاء لله الذي هو إخلاصٌ وتوحيدٌ، والدعاء للمخلوق الذي هو شرك وتنديد"(١).

وتبرك محمد بن جعفر الكتاني بأثر قدم النبي-صلى الله عليه وسلم-باطل من أوجه:

-عدم وجود ما يثبت صحة شيء من أثار قدمه-صلى الله عليه وسلم-كما نص على ذلك المحققون من العلماء والحفاظ(٢).

-أنه لو صح وجود شيء من آثار قدم النبي-صلى الله عليه وسلم-فلا يجوز التبرك به، لما تقدم من عدم مشروعية التبرك بالمواضع التي مر بها النبي-صلى الله عليه وسلم-أو جلس فيها، وأثر القدم جزء من هذه المواضع، فلم يتبرك السلف -رحمهم الله-بشيء من ذلك.

-اتفاق العلماء على عدم مشروعية استلام وتقبيل مقام إبراهيم -عليه السلام-الموجود به موضع قدميه، وإن كان هذا غير مشروع في موضع قدمي إبراهيم -عليه السلام-الذي لا شك فيه، مع أنا أمرنا أن نتخذه مصلى، فكيف بما يقال إنه موضع قدم النبي-صلى الله عليه وسلم-كذبا(٣).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني من التبرك بذات الصالحين، وآثارهم، ومواضع عباداتهم، ومكان إقامتهم، أو التمسح بقبورهم، من التبرك الممنوع، المخالف لمنهج أهل السنة والجماعة، من عدة أوجه:

---

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (٥٤).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١٦٣/٢)، مجموع الفتاوى (١٣/٢٧)، الآثار النبوية (٤٩-٧٢).

(٣) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٣٣٦/٢)، إغاثة اللهفان (٢١٢/١).

-أن التبرّك بذات النبي – صلى الله عليه وسلم – في حياته خاص به، ولا يقاس عليه أحد من خلق الله – عز وجل –؛ لما جعل الله فيه من البركة، فلا يتبرك بغيره–صلى الله عليه وسلم؛ لعدم الدليل(١).

-أن هذا التبرك لم يرد فيه شيء عن النبي – صلى الله عليه وسلم –، ولم ينقل عن الصحابة، ولا عمن تبعهم بإحسان، وإنما فعله بعض المتأخرين من غير دليل شرعي(٢)، وقد قال النبي– صلى الله عليه وسلم–: ((**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**)) (٣).

فكل ما أحدث في دين الله تعالى فهو من البدع المردودة المذمومة، كهذا التبرك.

-أن المشروع من التبرك بالصالحين: محبتهم، والنصح لهم، ومجالستهم، والانتفاع بعلمهم، وصبر النفس معهم، وغير ذلك مما دلت عليه الأدلة الشرعية؛ لأن في ذلك رفع الهمة في طاعة الله عز وجل، وقد قال الله عز وجل لنبيه –صلى الله عليه وسلم–: ﴿**وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ۝٢٨**﴾ [سورة الكهف:٢٨] (٤).

وما جاء في بركة الصالحين مشروط في اتباعهم للسنة، قولا وفعلا، حتى نحصل ما أكرمهم الله به من الفضائل والبركات، قال عز وجل: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١**﴾ [سورة آل عمران:٣١].

يقول الإمام ابن كثير–رحمه الله–:" هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية، فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر، حتى يتبع الشرع المحمدي، والدين النبوي في جميع أقواله وأحواله، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**))"(٥).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/١١٣).

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٣٥-٣٣٧).

(٣) سبق تخريجه (ص٢٥٣).

(٤) ينظر: رياض الصالحين، للنووي (ص١٤٢ ومابعدها)، مجموع الفتاوى (٣/٣١٢)، رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، لابن القيم (ص٥-٦)، للاستزادة ينظر: التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر الجديع، (٢٦٩ وما بعدها).

(٥) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/٣٣٥-٣٣٧).

فليس كل من ادعى الصلاح والولاية صادقا في دعواه، وليس كل من سُمي صالح صالحا، وكثير ممن ذكرهم الكتاني وذكر أنهم من أهل البركة والصلاح والولاية هم من أهل البدع الذين خالفوا طريق النبي-صلى الله عليه وسلم-ومنهج السلف الصالح، بل بعضهم من أهل الضلال.

-أن السلف الصالح نهو عن التمسح بقبر النبي-صلى الله عليه وسلم-والنهي عن التمسح بقبر غيره أولى[1]، يقول الإمام مالك -رحمه الله-:"ويدنو ويسلم ولا يمس القبر بيده"[2].

ويقول الطرطوشي-رحمه الله-:" ولا يتمسح بقبر النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا يمسح كذلك المنبر"[3].

ويقول ابن تيمية-رحمه الله-:"وأما التمسح بالقبر - أيّ قبر كان - وتقبيله وتمريغ الخد عليه، فمنهي عنه باتفاق المسلمين ولو كان ذلك من قبور الأنبياء، ولم يفعل هذا أحد من سلف الأمة وأئمتها، بل هذا من الشرك، ... لا سيما إذا اقترن بذلك دعاء الميت والاستغاثة به"[4].

فهذه المسألة ليست مما اختلف في كراهتها- كما قرر محمد بن جعفر الكتاني- بل منهي عنها باتفاق المسلمين، والكتاني رجح القول بمنع التبرك بالقبر، وعدم تقبيله ومسّه، ومنع الادهان بالماء الذي على القبر، ثم مع ذلك قرر العمل بالجواز مع حسن الاعتقاد، وسلامة النية، وهذا تناقض!! وسبق أن حسن النية في الأعمال وحده لا يكفي في قبول العبادات.

-أن ذلك ناشئ عن اعتقاد في المقبور وأنه سبب للنفع، ولم يجعله الله سبباً.

- رأيه بأن الزائر إذا عمل نيته في محل ولو كان صاحبه في نفس الأمر ليس كما يظن الناس، فإنه ينتفع من ذلك المحل له والدربوز والكسوة لا محالة، وقوله: "ويُروى مرفوعًا: لو حسن أحد ظنّه بحجر لنفعه الله به، وهو وإن نصَّ ابن تيمية وابن حجر على أنه لا أصل له، يعنيان من

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٧/٨٠، ٩١)، إغاثة اللهفان (١/٢٠٤)، تجريد التوحيد المفيد (١٨).

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٩٨).

(٣) الحوادث والبدع للطرطوشي (ص١٥٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٧/٩١)، وينظر: الصارم المنكي (٨١).

حيث اللفظ، وإن كان صحيحًا من حيث المعنى"(١)، رد عليه عبد الحي الكتاني في إعلام الحاضر والآت، فقال: "هذا عجيبٌ جدًّا؛ لأنه يُفهم منه أن الحديث إذا قال الحفَّاظ كابن تيمية وابن حجر: إنه لا أصل له، وصحَّ الحديث من جهة المعنى استدلَّ به، واحتجَّ به حتى بالتبرُّك بالدرابيز، واعتقاد كساوى الأضرحة، بل الأحجار والصخور والشعور والخرق، إن هذا لعجب عجاب؟"(٢).

وقال أيضا في رده على الكتاني بعد ختمه لكثير من التراجم بقوله: له دربوز، وهو مزار متبرك به(٣) :" تعبير فظيع، كأن الدرابيز دليل قطعي على الخصوصية، أو المزور عند الزائرين هو الدربوز"(٤).

-ما قرره في مسألة تقبيل اسم النبي-صلى الله عليه وسلم-عند رؤيته في كتاب، ووضعه على العين، واعتماده في ذلك على المنامات والحكايات وأنه سبب لمغفرة الذنوب، ووقوله بأن محبة النبي -صلى الله عليه وسلم-ينشأ عنها جميع الخيرات، متعقب بأن المنامات والحكايات ليست مرجعا للأحكام الشرعية-وقد سبق بيان بطلان هذا-، كما يتعقب عليه بأن محبة النبي-صلى الله عليه وسلم-تكون باتباعه-صلى الله عليه وسلم-، وتقبيل اسمه-صلى الله عليه وسلم- إذا كان على وجه التعبد فهو بدعة، كما أن مسح الوجه عند سماع اسم النبي-صلى الله عليه وسلم-إذا كان من باب التبرك والتعبد بدعة أيضا، لأن هذه المسائل ليس لها أصل شرعي يعتمد عليه، كما أن السلف الصالح -رضي الله عنهم- لم ينقل عنهم أنهم فعلوها(٥).

---

(١) ينظر: المرجع السابق (١/٥٢-٥٣).

(٢) إعلام الحاضر والآت (ل ٣٢/أ).

(٣) ينظر على سبيل المثال: سلوة الأنفاس (١/٢٠٢، ٢٠٧-٢٠٨، ٣٣١، ٣٦١، ٣٤٨، ٤٢١، ٤٢٥، ٢/٣، ١٤، ٣/٣٧، ١٠١، ١٣٨، ٢٥٠، ١٧٠، ٢٦٥، ٤١١، ٤٧٤).

(٤) إعلام الحاضر والآت (ل ١٤/ب).

(٥) ينظر: السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، محمد عبد السلام الحوامدي (٤٩، ٧١)، فقه السنة سيد سابق، (١/١٩٦)، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي (ص٦٠٦)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني (ص٢٠)، تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد (ص١٢٧)، فقه الأدعية والأذكار (٢/١٩٥).

يقول الشيخ النتيفي في الرد عليه: "لو كان ذلك صحيحا لكان القياس عليه أحرى أن يغفر الله لمن لم يترك شاذة ولا جادة من الأمة المحمدية، ويزوجه سبعين حورا بتقبيل اسم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ووضعه على عينيه مهما رآه في المصحف الكريم، كما يكون بالأولى تقبيل جسد رسول الله، بل أولى من الكل تقبيل اسم الله في التوراة والقرآن وغيرهما كذلك وأحرى، وشيء من ذلك لم يثبت"(١).

ويقول الريسوني-رحمه الله- في مسح الوجه عند سماع اسم النبي-صلى الله عليه وسلم-:"هذا بدون شك من البدع؛ إذ لم تنص السنة على ذلك، وما فعله الصحابة ولا السلف الصالح من بعدهم وهم أعرف منا بهذا وأكثر محبة لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-، وبدون شك أيضا أن هذا من اختراع الناس، سيما أنصار الطرق الذين يدعون محبة النبي-صلى الله عليه وسلم-ولا يؤطرونها في قالب الشرع، وما خرج عن قالب الشرع أصبح منكرا؛ لأنه زيادة، وهذه الزيادة تؤدي إلى المبالغة، والمبالغة تؤدي إلى ما لا يحبه الشرع الحكيم"(٢).

هذا ما يسر الله جمعه من آراء محمد بن جعفر الكتاني فيما يناقض توحيد العبادة، ويتبين به تناقضه، ومخالفته لمنهج أهل السنة والجماعة جملة وتفصيلا، وسلوكه سبيل المبتدعة المحادين لله ورسوله.

---

(١) أصفى الموارد (٢١١-٢١٢).

(٢) وكل بدعة ضلالة (١٤٦).

المبحث الثالث

آراء محمد بن جعفر الكتاني
في توحيد الأسماء والصفات

وفيه مطلبان:

- **الأول**: آراؤه في أسماء الله تعالى.
- **الثاني**: آراؤه في صفات الله تعالى.

المبحث الثالث: آراء محمد بن جعفر الكتاني في توحيد الأسماء والصفات

تعريف توحيد الأسماء والصفات

الأسماء والصفات لغة:

الأسماء: جمع اسم، وهو مشتق من السّمو، وهو العلو، أو من الوسْم، وهو العلامة(١).

والاسم «هو ما دل على معنى في نفسه»(٢)، و« أسماء الأشياء هي الألفاظ الدالة عليها»(٣).

الصفات: جمع صفة، وأصلها: وصَفَ، حُذفت واوها، وأبدلت تاء في آخرها(٤)، وهي: الاسم الدال على بعض أحوال الذات، والأمارة اللازمة بذات الموصوف الذي يعرف بها(٥).

- الأسماء والصفات شرعا:

أسماء الله هي: كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به، مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير.

صفات الله هي: نعوت الكمال القائمة بالذات، كالعلم والحكمة والسمع والبصر(٦).

---

(١) ينظر مادة (سما): تهذيب اللغة (٧٥/١٣)، الصحاح (٢٣٨٣/٦)، الصاحبي في فقه اللغة العربية، لابن فارس (٥٢/١)، شرح المفصل، لابن يعيش (٢٣/١)، الإنصاف في مسائل الخلاف، لكمال الدين الأنباري (٦/١).

(٢) التعريفات (ص٤٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩٥/٦)، وينظر: الفروق اللغوية، لأبي الهلال العسكري (٢٩)، المخصص (٢١٥/٥)، الكليات (١٠٦).

(٤) ينظر مادة وصف: الصحاح (١٤٣٨/٤)، معجم مقاييس اللغة (١١٥/٦)، لسان العرب (٣٥٦/٩)، القاموس المحيط (١١١١).

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة (١١٥/٦)، التعريفات (١٧٥).

(٦) ينظر: فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، المجموعة الثانية (١١٦/٣)، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، لمحمد أمان الجامي (ص٨٤).

والفرق بين أسماء الله وصفاته:

-الأسماء تدل على ذات الله -عز وجل-، مع دلالتها على صفات الكمال لله سبحانه، أما الصفات فتدل على المعنى القائم بذات الله- سبحانه-، وهذا يشترك في الفرق اللغوي بين الاسم والصفة.

-أن كل اسم متضمن لصفة من صفات الله -عز وجل-، وليس كل صفة متضمنة لاسم، فالأسماء يشتق منها صفات، بينما الصفات لا يشتق منها أسماء.

-أن الأسماء لا تشتق من أفعال الله، بينما الصفات تشتق من أفعاله، إلا إذا كانت الصفة منقسمة، هذا ضابط دقيق جدا، فلا نقول من صفة الله المكر والاستهزاء(١)

-كل اسم متضمن لصفة.

-أن من صفات الله ما لم يذكر منه اسم لا في الكتاب ولا في السنة، فلا تشتق الأسماء منها.

-أن أسماء الله وصفاته تشترك في جواز الاستعاذة بها والحلف، وتختلف في التعبيد والدعاء، ففي التسمية يصح التعبيد بأسماء الله دون صفاته(٢)، ويقال: عبد الله، ولا يقال: عبد الكرم، ويُدعى اسمه ولا تدعى صفته، فيقال: يا رحيم، ولا يقال: يا رحمة الله(٣).

وقد نقل شيخ الإسلام اتفاق العلماء على أن دعاء صفات الله وكلماته إذا قُصد الصفة نفسها كفر، حيث قال رحمه الله في هذه المسألة: «مسألة الله بأسمائه، وصفاته، وكلماته، جائز مشروع-كما جاءت به الأحاديث- وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين، فهل يقول مسلم: يا كلام الله اغفر لي وارحمني وأغثني أو أعني؟

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (١٦٩/١)، مدارج السالكين (٤١٥/٣)، شفاء العليل (٥٣٠).

(٢) وإنما يتوسل إلى الله بها كما سبق بين بيان أنواع التوسل المشروع.

(٣) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (٩٧/٢)، مجموع الفتاوى (١٤٢/٦)، مدارج السالكين (٣/ ٤١٥)، بدائع الفوائد (١٦٩/١)، فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء (١١٦/٣)، الصفات الإلهية (١٧٥)، القواعد المثلى (٢١)، فتاوى الشيخ ابن عثيمين (٢٦/١).

أو يا علم الله أو يا قدرة الله أو يا عزة الله أو يا عظمة الله ونحو ذلك؟ أو سمع من مسلم أو كافر أنه دعا لذلك من صفات الله وصفات غيره، أو يطلب من الصفة جلب منفعة، أو دفع مضرة، أو إعانة أو نصرا، أو إغاثة أو غير ذلك»(١).

توحيد الأسماء والصفات هو:

اعتقاد انفراد الله بالكمال المطلق من جميع الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسوله-صلى الله عليه وسلم- من الأسماء والصفات، ومعانيها، وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة، ونفي ما نفاه الله عن نفسه وما نفاه عنه رسوله-صلى الله عليه وسلم-، مع اعتقاد أنه ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله(٢).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-مبينا اعتقاد السلف في هذا الباب: «فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله نفيا وإثباتا، فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه، وقد عُلم أن طريقة سلف الأمة وأئمتها إثبات ما أثبته من الصفات من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تحريف ولا تعطيل، وكذلك ينفون عنه ما نفاه عن نفسه، مع إثبات ما أثبته من الصفات، من غير إلحاد لا في أسمائه، ولا في آياته، ...فطريقتهم تتضمن إثبات الأسماء والصفات مع نفي مماثلة المخلوقات، إثباتا بلا تشبيه وتنزيها بلا تعطيل، كما قال تعالى﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ **[سورة الشورى: ١١]**»(٣).

---

(١) الرد على البكري (١/١٨١)، ينظر: الجواب الصحيح (٣/٢٢٦-٢٢٧)، فتاوى الشيخ ابن عثيمين (١/٢٦).

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد (١٩)، الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، لعبد العزيز السلمان (ص٤١٧-٤١٨) معارج القبول بشرح سلم الوصول (١/٩٨)، موقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، لمحمد التميمي (ص٢١)، معتقد أهل السنة في توحيد الأسماء والصفات، لمحمد التميمي (٣١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣/٣)، وينظر (٥/٢٦، ٦/٥١٥).

وقد ذكر محمد بن جعفر الكتاني بأن" الإيمان بالصفات إنما هو ثناء على الله، ونحن لا نحصي ثناءً عليه؛ بل هو كما أثنى على نفسه ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]" (١).

وقد قرر –كما سبق– في بيانه لوحدة الوجود بأن الله كان موجودا وجودا مطلقا، ليس له صفة وليس له اسم، ثم اتصف بعد ذلك (٢)، وهذا كله باطل ببطلان عقيدة وحدة الوجود، فالله عز وجل لم يزل متصفا بصفاته، فلم يزل عالما سميعا قديرا بصيرا سميعا تبارك وتعالى.

المطلب الأول: آراء محمد بن جعفر الكتاني في أسماء الله تعالى

المسألة الأولى: آراء محمد بن جعفر الكتاني في أسماء الله–تعالى– إجمالا.

عرض محمد بن جعفر الكتاني لبعض المسائل المتعلقة بأسماء الله –تعالى– إجمالا، كما شرح بعضها، وبيّن معانيها، وفيما يلي بيان آراء محمد بن جعفر الكتاني فيها، مع التعقيب عليه.

-أسماء الله توقيفية:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن أسماء الله تعالى توقيفية، حيث يقول في ذلك: "واختلف في أسمائه تعالى، والصحيح أنها توقيفية أيضًا؛ أي: يتوقف إطلاقها عليه –تعالى– على نص من كتاب، أو سنة، أو إجماع"(٣)، وقال: " أسماؤه تعالى توقيفية على النقل، فما سمَّى به نفسه في كتابه أو سنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– سميناه به، وإلَّا تركناه"(٤).

– المناقشة:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني هو الذي عليه أهل السنة والجماعة، فقد قرر أهل السنة والجماعة بأن أسماء الله –عز وجل– توقيفية، يجب الوقوف فيها على ما جاء به الكتاب والسنة، فلا يزاد فيها ولا ينقص، قال عز وجل: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٦/أ).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (١/٣٢-٣٣، ٣٨).

(٣) ختم موطأ الإمام مالك (ل ٢)، وينظر: جلاء القلوب (١/٣٤٢)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٦/ب).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٣/ب).

يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [سورة الأعراف:١٨٠]، فقوله: ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ يدل على أنه ليس في الأسماء الأخرى أحسن منها، وأن غيرها لا يقوم مقامها، فلا يجوز أن يدخل في أسماء الله ما ليس منها، فهذا الوصف يؤكد كونها توقيفية (١).

يقول ابن حزم-رحمه الله-:"منع تعالى أن يسمى إلا بأسمائه الحسنى، وأخبر أن من سماه بغيرها فقد ألحد"(٢)، فقرر بأن تسمية الله -تعالى- بغير الأسماء الحسنى التي سمى الله -عز وجل- بها نفسه، أو سماه بها رسوله-صلى الله عليه وسلم-من الإلحاد في أسماء الله.

ويقول الإمام البغوي-رحمه الله-" الإلحاد في أسماء الله: تسميته بما لم يسم به ولم ينطق به كتاب الله ولا سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-"(٣)، فتسمية الله عز وجل بما لم يسم به نفسه من الإلحاد فيها؛ لأن أسماء الله -عز وجل- توقيفية من كتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-.

ويقول الأصبهاني(٤)-رحمه الله-:" فلا يسمى [أي: الله عز وجل] إلا بما سمى به نفسه في كتابه، أو سماه به رسوله - صلى الله عليه وسلم - وأجمعت عليه الأمة أو أجمعت الأمة على تسميته به، ولا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله - صلى الله عليه وسلم -، أو أجمع عليه المسلمون، فمن وصفه بغير ذلك فهو ضال"(٥).

فأسماء الله -عز وجل-توقيفية، يتوقف إطلاقها عليه-تعالى- من الكتاب والسنة والاجماع، كما قرر السلف الصالح، وهو ما قرره محمد بن جعفر الكتاني، ولكن يضاف على ما قرره بأن صفات الله-عز وجل- كذلك توقيفية، فلا نثبت لله تعالى من الصفات إلا ما دل

---

(١) ينظر: أصول السنة، لابن أبي زمنين (ص٦٠)، مجموع الفتاوى (١٩٩/٦)، بدائع الفوائد (١٦٢/١)، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن قيم الجوزية (ص٢٧٧) لوامع الأنوار البهية (١٢٤/١).

(٢) المحلى بالآثار، لابن حزم (٥٠/١).

(٣) معالم التنزيل (٣٠٧/٣).

(٤) هو: إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني الشافعي، أبو القاسم التيمي، الحاظ الكبير، سلفي شافعي، المعروف بقوام السنة، من مؤلفاته الحجة في بيان المحجة، دلائل النبوة، توفي عام٥٣٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٨٠/٢٠)، شذرات الذهب (١٠٥/٤).

(٥) الحجة في بيان المحجة (٤١٠/٢).

الكتاب والسنة على ثبوته، قال الإمام أحمد-رحمه الله تعالى-: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يتجاوز القرآن والحديث"(١)، فقرر-رحمه الله-بأن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله -صلى الله عليه وسلم- وهذا معنى كون صفات الله توقيفية.

ويقول ابن عبد البر-رحمه الله-:" أهل السنة مجموعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة لا على المجاز"(٢)، فكون صفات الله-عزوجل-توقيفية على الكتاب والسنة هو مما أجمع عليه أهل السنة والجماعة.

ويقول ابن تيمية-رحمه الله-"فالأصل في هذا الباب أن يوصف الله بما وصف به نفسه، وبما وصفته به رسله: نفيا وإثباتا؛ فيثبت لله ما أثبته لنفسه، وينفي عنه ما نفاه عن نفسه"(٣)، وما قرره هو معنى أن صفات الله -عز وجل- توقيفية.

فكما أن أسماء الله -عز وجل- توقيفية فصفاته كذلك توقيفية، فلا يثبت لله-تعالى- الوجود المطلق، ولا يثبت له وحدة الوجود، كما زلّ في ذلك الكتاني وضلّ -كما سبق بيانه- في تقريره لوحدة الوجود؛ لأنها صفات مخالفة لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-، ولما يلزم عليها من وصف الله بالممتنع، ووصفه بالنقائص، -تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-.

-الاسم والمسمى:

يرى محمد بن جعفر الكتاني بأن الاسم للمسمى، حيث يقول في بيان قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**إن لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**))(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/٢٦)، وينظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، جمع: عبد الإله الأحمدي (١/٢٧٦)، لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، (ص٧).

(٢) التمهيد (٧/١٤٥).

(٣) التدمرية (٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم: (٣٣٣٩)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: في أسمائه-صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم: (٢٣٥٤).

"والأسماء جمع اسم، وهو لغة كلمة وُضعت بإزاء مسمَّى، متى أطلقت فهم منها ذلك المسمَّى، فيشمل الأسماء الاصطلاحيَّة عند النحاة والأفعال والحروف؛ لأنها كلها ألفاظ موضوعة بإزاء معنى، متى أطلقت فُهم منها ذلك المعنى.

وعلى هذا، فلا بد في تحقق الاسم ووجوده من أربعة أشياء:

١- مُسَمٍّ بكسر الميم: وهو الواضع لذلك اللفظ، وهو الله تعالى، إن كان من أسمائه تعالى اتفاقًا، أو من أسماء الأجناس على الراجح، أو البشر إن كان من أسماء الأشخاص.

٢- ومسمًّى بفتحها: وهو الذات أو العرض المقصودُ تمييزها أو تمييزه بالاسم؛ كمسمى زيد والبياض.

٣- واسم: وهو اللفظ الموضوع بإزاء الجوهر والعرض للتمييز.

٤- وتسمية: وهي جعل الواضع الاسم دالًّا على المسمَّى.

وأسماء النبي -صلى الله عليه وسلم -كأسماء الله تعالى، كما قاله ابن القيم: أعلام دالة على معان هي أوصاف مدح، فلا تُضاد فيها العَلَميَّة الوصفيَّة، فمحمدٌ عَلَم وصفة في حقِّه، وإن كان عَلَمًا محضًا في حقِّ غيره "(١).

وقال في أسماء الله:" والاسم عند بعض المتكلمين هو ما دل على الذات، باعتبار صفة كالعالم والخالق، وأهل العربية يسمون هذا وصفا وصفة ويقابلونه بالاسم، وهو ما دل على الذات، لا باعتبار وصف من أوصافها، وما للبعض المذكور هو الذي جرى عليه المحلي، والموافق لحديث الصحيحين ((**إن لله تسعة وتسعين اسما**)) (٢)، الحديث"(٣).

---

(١) ختم الموطأ (٦٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الصلح، باب: ما يجوز من الاشتراط، حديث رقم: (٢٥٨٥) ، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، حديث رقم: (٢٦٧٧).

(٣) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٢).

وقال في موضع: " سائر الصفات هي له على ما يعلم هو، فلا نقول: هي هو، ولا: هي غيره، ولا إن الذات والصفات شيئان، ولا شيء واحد؛ بل نكف عن القول، ونسلِّم علم ذلك إلى الله؛ لأنه حرَّم علينا أن نقول عليه ما لا نعلم"(١).

وذكر بأن الخوض في هذه المسألة مما لا ينبغي؛ لأنها كما يقول: "مما لم يأمر به الشرع، وسكت عنه الصحابة ومن سلك سبيلهم؛ بل نهوا عن الخوض فيه؛ لأنه بحث عن كيفية ما لا نعلم كيفيته بالعقل، فينبغي الوقف والإمساك عن ذلك، فإنه أسلم من الخطر، وهو الذي عوَّل عليه غير واحدٍ"(٢).

وقرر بأن الخلاف في هذه المسألة لفظي فقال:" والخلاف لفظي، فمن نظر إلى الغير الاصطلاحي، وهو: ما يمكن انفكاكه عن الموصوف، قال ليست غيرا، أي: ليست منفكة عن الذات، فلا يحتاج إلى استثنائها، ومن نظر إلى الغير اللغوي، وهو: المغاير قال الصفة غير الموصوف"(٣).

-المناقشة:

في الحقيقة-كما قرر الكتاني- أن الكلام في هذه المسألة من الأمور المحدثة التي لم ترد في الكتاب والسنة، ولم يتحدث فيها الصحابة، ولا التابعون، وإنما أحدثها أهل الأهواء بعدهم(٤)؛ ولذلك أنكر بعض أهل العلم الحديث فيها، ومنعوا منه، قال الإمام الشافعي رحمه الله: «إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى، أو الاسم المسمى، فاشهد عليه أنه من أهل الكلام ولا دين له» (٥).

وقال الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله: « وأما القول في الاسم، أهو المسمى أو غير المسمى؟ فإنه من الحماقات الحادثة التي لا أثر فيها فيتبع، ولا قول من إمام فيستمع، والخوض

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٦/أ).
(٢) المرجع السابق (ل ٢٦/أ).
(٣) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٠).
(٤) صريح السنة، للطبري (ص٣٩) مجموع الفتاوى (١٨٧/٦).
(٥) طبقات الشافعية الكبرى (١٧٤/٢).

فيه شيْن، والصمت عنه زيْن، وحسب امرىء من العلم به والقول فيه أن ينتهي إلى قول الصادق عز وجل، وهو قوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة الإسراء:١١٠].، وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [سورة الأعراف:١٨٠]»[١].

لكن لما خاض أهل البدع في هذه المسألة، وجانبوا فيها الصواب، كان لابد لأهل الحق من الحديث فيها بالصواب، كغيرها من المسائل التي تحدث عنها أهل السنة، ولم يتكلم فيها من قبلهم؛ لأنهم ابتلوا بالرد على أهل البدع، يقول الإمام الدارمي رحمه الله: «قد كان من مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه[المسائل المبتدعة]، وقد كانوا رزقوا العافية منهم، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام، وذهاب العلماء، فلم نجد بُدا من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق»[٢].

وكان سبب حدوث هذه المسألة، أن الجهمية قالوا: الاسم غير المسمى، وأسماء الله غيره، وما كان غيره فهو مخلوق؛ لأن الله تعالى وحده هو الخالق، وما سواه مخلوق، فإذا كانت أسماؤه غيره، فهي مخلوقة، فرد عليهم السلف، واشتد نكيرهم عليهم؛ لأن أسماء الله من كلامه، وكلام الله غير مخلوق، فهو الذي سمى نفسه بهذه الأسماء[٣].

والناس في هذه المسألة على أقوال هي[٤]:

١-قول الجهمية والمعتزلة، وهو أن الاسم غير المسمى.

٢-الاسم هو المسمى، وهذا رأي كثير من المنتسبين إلى السنة، كاللالكائي[٥](١)، والبغوي صاحب شرح السنة(٢)، وأحد قولي أصحاب أبي الحسن الأشعري(٣).

---

(١) صريح السنة (ص٣٩).

(٢) الرد على الجهمية (ص٢٣).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/١٨٦).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/١٨٥-٢٠٧).

(٥) هو: هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي، أبو القاسم، سلفي شافعي، من مؤلفاته: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، كرامات الأولياء، توفي عام ٤١٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/٤١٩)، شذرات الذهب (٥/٩٢).

٣-الامساك عن القول في هذه المسألة نفيا وإثباتا، وهذا قول بعض السلف، إذ يرون أن كل من الإطلاقين بدعة، وممن ذهب له ابن جرير، وقد سبق ذكر قوله، وقد مال إليه محمد بن جعفر الكتاني.

٤-أن الأسماء ثلاثة أقسام: تارة يكون الاسم هو المسمّى، كاسم الموجود، وتارة يكون غير المسمى كاسم الخالق، وتارة لا يكون هو ولا غيره، كاسم العليم، وهذا التفصيل مشهور عن أبي الحسن(٤).

٥-أن الاسم للمسمى، وهذا قول أكثر أهل السنة، وهو الذي دل عليه الكتاب والسنة، وأيده المعقول، قال سبحانه: ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا** ﴾ **[سورة الأعراف:١٨٠]**، وقال: ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾**﴾ **[سورة طه:٨]**، ويُبينه قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**إن لله تسعة وتسعين اسما**))(٥)، **وقوله:** ((**إن لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**))(٦).

وهذا القول هو الذي قرره محمد بن جعفر الكتاني، وقد وافق هذا ما ذكره السلف الصالح، ومن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، يقول ابن القيم رحمه الله: «وهذا المذهب مخالف لمذهب المعتزلة، الذين يقولون أسماؤه تعالى غيره، وهي مخلوقة، ولمذهب من رد عليهم، ممن يقول اسمه نفس ذاته لا غيره، وبالتفصيل تزول الشبه ويتبين الصواب والحمد لله»(٧).

---

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢٠٤/٢)، وما بعدها.

(٢) ينظر: شرح السنة، للبغوي (٢٩/٥).

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري (ص١٧٢، ٢٩٠، ٢٩٣).

(٤) ينظر: المواقف في علم الكلام (٣٠١/٣).

(٥) تقدم تخريجه (ص ٤٥٨).

(٦) سبق تخريجه (ص ٤٥٧)

(٧) بدائع الفوائد (٢٣/١).

وقال شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي رحمه الله(١) مبينا هذا القول:«الاسم يراد به المسمى تارة، ويراد به اللفظ الدال عليه أخرى، فإذا قلت: قال الله كذا، أو سمع الله لمن حمده، ونحو ذلك، فهذا المراد به المسمى نفسه، وإذا قلت: الله: اسم عربي، والرحمن: اسم عربي، والرحيم: من أسماء الله تعالى، ونحو ذلك فالاسم ههنا هو المراد للمسمى، ولا يقال: غيره، لما في لفظ الغير من الإجمال، فان أريد بالمغايرة أن اللفظ غير المعنى، فحق، وإن أريد أن الله سبحانه كان ولا اسم له، حتى خلق لنفسه أسماء، أو حتى سماه خلقه بأسماء من صنعهم، فهذا من أعظم الضلال والإلحاد في أسماء الله تعالى»(٢).

وهؤلاء إذا قيل لهم: هل الاسم هو المسمى أو غيره، « فصّلوا، فقالوا: ليس هو نفس المسمى، ولكن يراد به المسمى، وإذا قيل إنه غيره، بمعنى أنه يجب أن يكون مباينا له، فهذا باطل، فإن المخلوق قد يتكلم بأسماء نفسه، فلا تكون بائنة عنه، فكيف بالخالق وأسماؤه من كلامه؟ وليس كلامه بائنا عنه، ولكن قد يكون الاسم نفسه بائنا، مثل أن يسمي الرجل غيره باسم، أو يتكلم باسمه، فهذا الاسم نفسه ليس قائما بالمسمى، لكن المقصود به المسمى، فإن الاسم مقصوده إظهار المسمى وبيانه»(٣).

- في التسمية بأسماء الله والتخلق بها:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني في شرحه لبعض أسماء الله تعالى، بأنها من أسماء الله المختصة به -تعالى- وحده، كاسم "الله"، و"الرحمن"، ومما قرره قوله في اسم الجلالة- الله- :"عَلم على ذات الإله الواحد، الموصوفة بالكمالات، المنزهة عن النقائص والآفات؛ فهو اسم للذات العلية"(٤)، وقال: "تفرد به تعالى، يجري في وصفه مجرى الأسماء الأعلام، قال تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ﴾ [سورة مريم: ٦٥]، أي: هل تعلم أحدًا سُمِّي الله غير الله؟ وقيل: هل

---

(١) هو: علي بن علي بن محمد بن أبي العز الصالحي الدمشقي، بو الحسن، المعروف بابن أبي العز الحنفي، من مؤلفاته: التنبيه على مشكلات الهداية، شرح العقيدة الطحاوية. ينظر: إنباء الغمر (٤/٨٠)، شذرات الذهب (٦/٣٢٦).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/١٠٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/٢٠٧).

(٤) رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ٢).

تعلم له كفؤًا ونظيرًا؟ إذ لا مثل له موجودًا ولا موهومًا، وحظ العبد منه التوله، وهو استغراق القلب والهمة به تعالى، فلا يرى غيره، ولا يلتفت لسواه، وهو اسم جامعٌ لمعاني الأسماء الحسنى كلها، وما سواه خاص بمعنًى، فلهذا يضاف إليه جميع الأسماء، ولا يُضاف هو إلى شيء، وكل أسمائه تعالى للتخلق إلا هذا الاسم؛ فإنه للتعلق فحسب"(١).

وقال في اسم الرحمن:" وذلك لا يصدق على غيره تعالى، ومن ثَمَّ كان مختصًّا به"(٢).

وقال في اسم الله" الأحد":" ولا يستعمل في الإثبات إلَّا له تعالى؛ فيقال: "الله أحد"، ولا يقال: "زيد أحد"...والحكمة في تنكير "أحد" التعظيم، والإشارة إلى أنَّ مدلوله وهو الذَّات المقدسة غير ممكن تعريفها، والإحاطة بها (٣)".

ونبه على خطأ من بالغ في إطراء النبي–صلى الله عليه وسلم–حتى سماه بأسماء لا تليق إلا بالله –عز وجل–، يقول: " النبي –صلى الله عليه وسلم– بشر، فربما تسوهل في شأنه بأسماءٍ لا تليق به؛ لإيهامها نقصًا في جانبه، وأيضًا فربما بلغ الإطراء من بعض الناس إلى تسميته بأسماء لا تليق إلّا به تعالى"(٤)، وقال في موضع: "وصفه–عليه السلام–بالأوصاف اللائقة ليس بتوقيفي، أي: لا يتوقف على ورود الشرع بوصفه بها بخصوصها، بل يجوز وصفه لكل ما هو من أوصاف الكمال، من غير إشعار بنقص، وإن لم يرد من الشرع وصف به"(٥).

ويقول:" والتقرُّب بالأسماء: هو العمل بما يناسبها وتقتضيه، وأمَّا التخلُّق بها: فهو الاتصاف بمعانيها على ما يليق بالعبد"(٦).

- **المناقشة:**

---

(١) شرح على دلائل الخيرات (ل ٤)، ينظر: شرح أول حديث في صحيح البخاري (ل ٤).

(٢) رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ٣).

(٣) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ١).

(٤) ختم الموطأ (ل ٢).

(٥) جلاء القلوب (٣٤٢/١)، وينظر المرجع نفسه (٥٤/٣).

(٦) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٢)، وينظر: جلاء القلوب (٦٠/٣).

من الأصول المقررة أن أسماء الله الحسنى كلها مختصة بالله -عز وجل، فلا شريك له سبحانه، ولا سميّ له، ولا مثيل له، قال سبحانه: ﴿ **وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا** ﴾ **[سورة الأعراف:١٨٠]**، فقصر سبحانه كمال الحسن الثابت لأسمائه عليه، كذلك قوله ﴿**هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ** ﴾ **[سورة الحشر:٢٤]**، أما عن حكم التسمية بأسمائه -سبحانه وتعالى-، **فهي على وجهين:**

١-ما كان من الأسماء مختصا بالله، فهذا لا يجوز تسمية غيره به، كالله، والأحد، والصمد، والرحمن، والخالق، والبارئ، والرزاق، والقيوم، والقاهر، والظاهر، والجبار، والمتكبر، والأول، والآخر، والباطن، وعلام الغيوب.

قال ابن القيم رحمه الله: «ومما يمنع تسمية الإنسان به: أسماء الرب تبارك وتعالى، فلا يجوز التسمية بالأحد، والصمد، ولا بالخالق، ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب تبارك وتعالى، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر، والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار، والمتكبر، والأول، والآخر، والباطن، وعلام الغيوب»(١)، فقرر رحمه الله أن الأسماء المختصة به لا يجوز تسمية غيره بها.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله: «الحاصل أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك» (٢).

فما قرره محمد بن جعفر الكتاني في كون "الله" و"الرحمن" و"الأحد" من أسماء الله-عز وجل- المختصة به، وتنبيهه على خطأ من بالغ في إطراء النبي-صلى الله عليه وسلم-حتى سماه بأسماء لا تليق إلا بالله عز وجل كذلك حق؛ لأنها من الأسماء المختصة بالله تعالى، ولا يجوز تسمية غيره بها-كما قرر السلف-.

٢-ما كان من الأسماء له معنى كلي تتفاوت فيه أفراده، كالملك، والعزيز، فيجوز تسمية غيره به، ولا يلزم من ذلك التماثل؛ لأن الإضافة تقتضي التخصيص، فما يضاف إلى الله سبحانه فهو يخصه ويليق به، وما يضاف إلى المخلوق فهو خاص به(١)(٢).

---

(١) تحفة المودود بأحكام المولود (١٢٥).

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/١٢٦).

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"وصفات الله نوعان: نوعٌ يختص به كالإلهية، فليس لأحدٍ أن يتصف بذلك فإنه لا إله إلا الله.

ونوعٌ يتصف عباده منه بما وهبه لهم، كالعلم والرحمة والحكمة، فهذا وإن اتصف به العبد فالله تعالى لا كفوًا له سبحانه، فهو منزَّهٌ عن النقائص مطلقًا، ومنزَّه عن أن يكون له مِثْلٌ في شيء من صفات كماله، بل هو موصوف بصفات الكمال على وجه التفصيل، وهو منزَّه فيها عن التمثيل"(٣).

وذكر الكتاني بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- اختُص بتسميته بالكثير من الأسماء الحسنى، أو أكثرها(٤)، وقال: "وصفه-عليه السلام-بالأوصاف اللائقة ليس بتوقيفي، أي: لا يتوقف على ورود الشرع بوصفه بها بخصوصها، بل يجوز وصفه لكل ما هو من أوصاف الكمال، من غير إشعار بنقص، وإن لم يرد من الشرع وصف به"(٥)، فبالغ في وصف النبي-صلى الله عليه وسلم- ووصفه بالحقيقة المحمدية حتى سماه بأسماء الله-تعالى-المختصة به كلها، كمالك الملك، والظاهر والباطن، والأول والآخر، وغيرها، وقال: "معانيها بالنسبة إليه-صلى

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (١٧٢/١)، تحفة المودود (١٢٥-١٢٧)، تفسير القرآن العظيم (١٢٦/١) معجم المناهي اللفظية (٣٨٤)، فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر (ص٥٢).

(٢) ويذكر الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- فائدة نفسية في الأسماء التي لها معنى كلّي، وهي: أنه إذا أريد بالاسم معنى الصفة وكان مُحلاً ب(أل)، فلا يسمى به غير الله، ولهذا غير النبي -صلى الله عليه وسلم- كنية أبي الحكم التي تكنى بها؛ لأن أصحابه يتحاكمون إليه، فدل ذلك على أنه إذا تسمى أحد باسم من أسماء الله ملاحظًا بذلك معنى الصفة التي تضمنها هذا الاسم فإنه يمنع؛ لأن هذه التسمية تكون مطابقة تمامًا لأسماء الله – سبحانه وتعالى – وإن أسماء الله – تعالى – أعلام وأوصاف لدلالتها على المعنى الذي تضمنه الاسم، أما إذا لم يقصد بالاسم الصفة فلا بأس بالتسمّي به، فمن بعض الصحابة من اسمه حكيم لكن لم يقصد بالاسم الصفة، كحكيم بن حزام، ينظر: فتاوى الشيخ ابن عثيمين، (٢١/١-٢٢).

(٣) الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، لابن تيمية (ص٩٨).

(٤) جلاء القلوب (٤١/٣).

(٥) المرجع السابق (٣٤٢/١).

الله عليه وسلم-غير معانيها بالنسبة إلى الله تعالى، ككل ما سمى به النبي-صلى الله عليه وسلم-من أسماء الله تعالى"(١).

والحقيقة أن هذا خلاف الصواب؛ لأن اسم الظاهر والباطن، ومالك الملك من الأسماء المختصة بالله جل جلاله، التي لا يجوز أن يسمى بها غيره، وهي صفات لله تعالى؛ لأنه لا أول قبله ولا معه، ولا آخر بعده ولا معه(٢)، بخلاف الأسماء المشتركة التي يصح إطلاقها على الله تعالى وعلى المخلوق، مع نفي المشابهة بين الخالق والمخلوق(٣).

وغلط محمد بن جعفر الكتاني في هذا هو فرع عن قوله بالحقيقة المحمدية، ووحدة الوجود وهذا باطل ببطلانهما؛ لأن ما بني على باطل فهو باطل، ومما يؤكد تقريره هذا قوله بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- "كان متخلقا بأخلاق الله، عاملا بمقتضى أسمائه وصفاته، قائما بها قياما لا يقدر عليه غيره، وما قام بذلك القيام التام إلا لخلافته عنه وكونه مرآة لظهوره"(٤)، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

وأما مسألة التقرب والتخلق بأسماء الله تعالى، وقول الكتاني:" والتقرُّب بالأسماء: هو العمل بما يناسبها وتقتضيه، وأمَّا التخلُّق بها: فهو الاتصاف بمعانيها على ما يليق بالعبد"(٥)، ففيه معنى التعبد بصفات الله وأسمائه وموجبها، كالصفات التي يحب الله من عباده أن يتصفوا بمقتضاها كالعلم والقوة والرحمة والحلم والكرم والجود والعفو، فهو سبحانه عليم يحب العلماء، قوي يحب المؤمن القوي أكثر من حبه للمؤمن الضعيف، كريم يحب الكرماء، رحيم يحب الرحماء، لكن الذي لله سبحانه من هذه الصفات أكمل وأعظم من الذي للمخلوق، بالمقاربة

---

(١) جلاء القلوب (١٠٤/٢)، وينظر المرجع نفسه (٢٢/٣ وما بعدها)، رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ٣-٤).

(٢) ينظر: أسنى المطالب في شرح روض الطالب وبهامشه حاشية الرملي لزكريا الأنصاري (٢٤٤/٤)، اكمال المعلم بفوائد مسلم (١٨/٨)، تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم (١٢٥)، أصفى الموارد (١٦٣).

(٣) ينظر: التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (٥١/١).

(٤) جلاء القلوب (٥٣/٣).

(٥) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٢).

بينهما؛ لأنه سبحانه ليس كمثله شيء في صفاته وأفعاله، كما أنه لا مثل له في ذاته، وإنما حسب المخلوق أن يكون له نصيب من معاني هذه الصفات يليق به ويناسبه.

إلا أن لفظ التخلق بأخلاق الله، أو التخلق بأسماء الله، غير سديدة؛ لما فيها من معنى مشابهة شيء من مخلوقاته له، كما أنها من الألفاظ المحدثة المجملة التي لا دليل عليها، وأحسن منها عبارة التعبد بأسماء الله، أو لفظ الدعاء المتضمن للتعبد والسؤال، وهو لفظ القرآن، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾ [سورة الأعراف:١٨٠](١).

كما أن لفظ الخُلُق لم يوصف به الله، بخلاف ما ورد عن اسمائه وصفاته؛ وعليه لا يصح إطلاقه في حق الله تعالى؛ فلم يرد حديث صحيح يفيد إثبات نسبة الخُلُق لله تعالى.

وقد كان من آثار عقيدة وحدة الوجود -كذلك-على هذا قوله: "وقيل يمكن التعبد والتخلق بالأسماء الحسنة كلها، حتى باسم الجلالة؛ نظرا إلى أن الكامل قد يتجلى عليه الحق تعالى بأوصاف ألوهيته فتصدر عنه تصرفات الإلهية، من الإماتة والإحياء واللطف والقهر، والإعطاء والمنع وغير ذلك، وقد يغلب عليه السكر حينئذ، فينطق بالأنانية، كقول الحلاج أنا الله، أنا الحق"(٢).

ونقل:" ولا يكون القطب قطبا حتى يستكمل التعلق والتخلق بأسماء الله الصالحة للتعلق والتخلق كلها، فإذا أراد الولي أن يعلم منزلته من مقام القطبانية، فلينظر إلى ما حصل له من التعلق والتخلق بالأسماء، وللقطب أسرار وفتوحات في المعارف، لا يدركها غيره"(٣).

وقوله في الإنسان الكامل: "قلت: والكامل إذا تخلق بالأسماء الإلهية وتحقق بها يصير ملحوظا من جانب الأزل، محفوظا بالكلية عن أن يلم به الخطأ، أو يعرض له الزلل، لكونه تخلق في جميع حركاته وسكناته بأسماء الحق، وتحقق في ذاته وصفاته بطهارته عن أحكام ما

---

(١) ينظر: بدائع الفوائد (١٦٤/١)، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم (ص٢٠)، شرح العقيدة الطحاوية (٨٨/١)، مجموع فتاوى ومقالات ابن باز (٢٥١/٦)، معجم المناهي اللفظية (١٨٥)

(٢) جلاء القلوب (٢١٧/٢)، وينظر المرجع نفسه (٦٠/٣-٦١)، حاشية على شرح ميارة (ل ٦٧/ب).

(٣) جلاء القلوب (٦٣/٣).

سوى الحق، بحيث لم يبق له فعل سوى فعل حق بحق لحق، قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [سورة الأنفال:١٧] ، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾ [سورة الفتح:١٠]، وقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ [سورة النجم:٣]، لتحققه بجميع ذراته وسائر حالاته بالحق تعالى، ومن وصل لهذه المرتبة لا تكون له إرادة ممتازة عن إرادته تعالى، بل هو مرآة إرادة ربه وغيرها من الصفات، وحينئذ لا تخرج أحكامه عن أحكامه، ولا تصرفاته الباطنية عن تصرفه، ويقع ما يريد من غير احتياج إلى قول ولا دعاء لموافقة إرادته لإرادة ربه، وهو تعالى فعال لما يريد"(١).

وهذا باطل ببطلان هذه العقيدة الكفرية، يقول ابن تيمية-رحمه الله-في معرض رده على الحلولية(٢): " ولهذا ضل من سلك سبيل هؤلاء فصار مقصدهم هو التشبه بالله، ... وصنف أبو حامد "شرح أسماء الله الحسنى" وضمنه التشبه بالله في كل اسم من أسمائه، وسماه التخلّق حتى في اسمه الجبار والمتكبر والإله ونحو ذلك من الأسماء التي ثبت بالنص والإجماع أنها مختصة بالله، وأنه ليس للعباد فيها نصيب"(٣)، والحلاج قد قتل على الزندقة بما ثبت عليه ما يوجب القتل باتفاق المسلمين(٤)، ومع ذلك يحكم عليه محمد بن جعفر الكتاني بالإيمان لفنائه بالربوبية ووقوعه بالحلول مع أن قوله قول كفري مخرج من الملة، وهذا من آثار عقيدة وحدة الوجود الباطنية عند المتصوفة؛ وما بني على باطل فهو باطل، والله المستعان!

بهذا يتبين تناقض واضطراب محمد بن جعفر الكتاني في هذه المسألة.

المسألة الثانية: شرحه لبعض أسماء الله الحسنى:

عرض محمد بن جعفر الكتاني لشرح بعض الأسماء الحسنى، ومن ذلك:

-الرب:

---

(١) المرجع السابق (١٥٥/٣)، وينظر المرجع نفسه (٣٥/٢، ٢١٠، ٥٣/٣، ٢٣٨).

(٢) الحلولية: قوم يزعمون أن الله يحل بذاته في أجسام المخلوقات، ومن القائلين به من هذه الأمة: غلاة الشيعة والصوفية، وقسمهم شيخ الإسلام على قسمين: منهم من يقول بالحلول الخاص، ومنهم من يقول بالحلول العام، كما سبق بيانه في معنى الحلول (ص٢٧٢ من هذا البحث)، ينظر: مجموع الفتاوى (١٧١/٢)، الملل والنحل (٣٩٦/١).

(٣) الصفدية (٣٣٧/٢).

(٤) ينظر: تاريخ بغداد؛ للخطيب البغدادي (١١٢/٨)، سير أعلام النبلاء (٢٥٤/١٤)، مجموع الفتاوى (١٠٨/٣٥).

ذكر محمد بن جعفر الكتاني معنى الرب، وأن رب الناس كما يقول: "مالكهم، وخالقهم، ... الرَّبِّ من التربية بمعنى السياسة والفوقية"(١).

-المناقشة:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في بيان معنى الرب، موافق لما قرره أهل اللغة، وقد تقدم ذكر أقوال العلماء في بيان معناه(٢)، وهذا الاسم إذا أُفرد تناول في دلالاته سائر أسماء الله الحسنى وصفاته العليا، يقول ابن القيم رحمه الله: «إن الرب هو القادر الخالق البارئ المصور الحي القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد، المعطي المانع، الضار النافع، المقدم المؤخر، الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ويسعد من يشاء ويشقي ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، إلى غير ذلك من معاني ربوبيته التي له منها ما يستحقه من الأسماء الحسنى»(٣).

- الصمد:

يقول محمد بن جعفر الكتاني في بيانه لقول الله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [سورة الإخلاص:٢]:" الصَّمد: هو الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم ومسائلهم، قاله ابن عباس، أي: يقصد فيها، ومنه يسألونها، ولا يسألونها من أحدٍ سواه، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ﴾ [سورة الرحمن:٢٩] وقيل: هو السيِّد الذي انتهى سؤدده، قاله أبو وائل، وقال الحسن وقتادة: هو الباقي بعد خلقه، وقال الحسن: هو الحيُّ القيوم الذي لا زوال له، وقال عكرمة(٤): الذي لا يخرج منه شيء، ولا يُطعَم، وقال الضحاك، والسري: الذي لا جوف له. وقيل: الدائم، وقيل: المنزَّه عن أن تعرض له حاجة، أو تعتريه آفة.

---

(١) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٦).

(٢) ينظر: (ص٢٦١).

(٣) بدائع الفوائد (٤٧٣/٢).

(٤) هو: عكرمة القرشي الهاشمي، أبو عبد الله، مولى ابن عباس، من أعلام التابعين ومفسريهم، توفي عام ١٠٧هـ. ينظر: سير اعلام النبلاء (١٢/٥)، شذرات الذهب (١٣٠/١).

كل هذه الأوصاف صحيحة في صفاته تعالى، على ما لا يخفى، ... ثم قوله: {الصمد} إشارة إلى افتقار كل ما عداه إليه"(١).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني في هذا- معنى "الصمد"- هو الذي قرره السلف كما نقله بنفسه عنهم، وهذ مبسوط في كتب التفسير(٢).

-العظيم:

يقول محمد بن جعفر الكتاني في بيانه:" (العظيم) الذي لا حدَّ ولا نهاية لكماله"(٣)، وقال:" عظم ذاتًا وصفات وأسماء"(٤).

المناقشة:

ورد هذا الاسم في الكتاب والسنة، ومن ذلك ما ورد في ختام آية الكرسي، حيث قال سبحانه: ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٢٥٥﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ٤﴾ [سورة الشورى:٤]، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات هذا الاسم لله تعالى(٥)، وأنه سبحانه العظيم في ذاته، وصفاته، وأفعاله كما ذكر الكتاني، والعظيم جامع لصفات العظمة والكبرياء، تحبه القلوب، وتعظمه الأرواح، ويعرف العارفون أن عظمة كل شيء، وإن جلت في الصفة، فإنها مضمحلة في جانب عظمة العلي العظيم(٦).

-المولى والنصير:

---

(١) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٣)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٢٨/أ).

(٢) ينظر: جامع البيان (٧٣١/٢٤)، تفسير القرآن العظيم (٥٢٨/٨).

(٣) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٥).

(٤) المرجع السابق (ل ١٦).

(٥) ينظر: التوحيد وإثبات صفات الرب (٦٣/١)، المنهاج في شعب الإيمان (١٩٥/١)، مجموع الفتاوى (٩٨/١٦).

(٦) ينظر: تفسير الطبري (٤٠٦/٥)، معالم التنزيل (٣٩٧/٥)، تيسير الكريم الرحمن (١١٠، ٩٥٤).

يقول في شرحها: "المولى: السيد والناصر، والمتولي لأمور عبيده، والقائم بمعاشهم ومعادهم، ... النصير: الناصر لعباده المؤمنين، فينصرهم على عدوهم، ومنه سبحانه يسألون النصر والإعانة؛ إذ لا مثل له فيهما، بل لا ناصر ولا معين سواه في الحقيقة"(١).

– المناقشة:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في بيان هذين الاسمين لله -عز وجل- حق، قال عز وجل: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٤٠﴾ [سورة الأنفال:٤٠]، وقال تعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [سورة الحج:٧٨]، يقول ابن القيم-رحمه الله- في بيان معنى هذه الآية:" أي متى اعتصمتم به تولاكم، ونصركم على أنفسكم وعلى الشيطان، وهما العدوان اللذان لا يفارقان العبد، وعداوتهما أضر من عداوة العدو الخارج، فالنصر على هذا العدو أهم، والعبد إليه أحوج، وكمال النصرة على العدو بحسب كمال الاعتصام بالله"(٢).

ومما ذكره بعض أهل العلم في بيان معنى الولي قول الزجاج:" الوليّ: هو فعيل من الموالاة، والولي: الناصر، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۖ ﴾ [سورة البقرة:٢٥٧]، وهو تعالى وليهم بأن يتولى نصرهم وإرشادهم، كما يتولى ذلك من الصبي وليه، وهو يتولى يوم الحساب ثوابهم وجزاءهم"(٣).

والله – سبحانه وتعالى – هو مولى الذين آمنوا، وهو سيدهم وناصرهم على أعدائهم، ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ۝٧٨﴾ [سورة الحج:٧٨] (٤)، فالله – عز وجل – هو الذي يتولّى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، ويُيَسِّر لهم منافعهم الدينية والدنيوية ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ

---

(١) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٥).

(٢) مدارج السالكين (١/١٩٨).

(٣) تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج (ص٥٥).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/٣١٠).

﴿٧٨﴾ لمن استنصره، فهو الذي ينصرهم، ويدفع عنهم كيد الفجار وتكالب الأشرار، ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه[1].

المطلب الثاني: آراء محمد بن جعفر الكتاني في صفات الله

-المسألة الأولى: أراء محمد بن جعفر الكتاني في صفات الله إجمالا.

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج الأشاعرة في صفات الله تعالى، فعرض لبعض المسائل المتعلقة بصفات الله تعالى ضمنا في ثنايا حديثه عن مواضيع متفرقة في كتبه، ومما عرضه:

- أقسام الصفات:

يقسّم محمد بن جعفر الكتاني صفات الله إلى عدة تقسيمات، حيث يقول:" اعلم أنَّ صفات الباري تنقسم إلى ثلاثة أقسام أيضًا: منها ما يقال فيه: هي هو، وهي صفات الوجود، ومنها ما يقال: هي غيره، وهي السلبية، ومنها ما لا يقال: هي هو، ولا: هي غيره أو خلافه، وهي: صفات المعاني والمعنوية...

وتقسم أيضًا صفات الباري إلى ثلاثة أقسام: قسم موجود في الذهن والخارج؛ وهو صفات المعاني، وقسم لا وجود له في الذهن ولا في الخارج؛ وهو السلبية، وقسم له وجود في الذهن دون الخارج؛ وهي الأحوال المعنوية "[2].

ويقسّم أيضا الصفات إلى: صفات المعاني أو المعنوية، مقابل الصفات النفسية الذاتية والصفات الفعلية، وقسّم الفعلية بقوله:" تنقسم إلى قسمين: صفة فعلية وجودية؛ كالخلق والرزق والإماتة وغير ذلك، وصفة فعلية سلبية؛ كعفوه عمن شاء من أهل المعاصي...

---

(١) ينظر: الأسماء والصفات للبيهقي (١/١٧٨)، تفسير ابن كثير (٤/٥٧، ٥/٤٥٧)، تفسير السعدي (٥٤٦).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤١/أ)، وينظر المرجع نفسه (ل ٤٠/ب).

والفرق بين صفة الفعل وصفة الذات: أن صفات الفعل هي كمالات للصفات؛ لأنها عبارة عن صدور الممكنات عن القدرة والإرادة إلخ.. المعاني، وصفات الذات قائمة بها، لا يتصور عدمها عنها، بخلاف صفات الفعل؛ فإنه يصح وجودها وعدمها...

وهذا الصدور هو التعلق التنجيزي للقدرة والإرادة، ويُشكل إطلاقنا على الفعل أنه صفة لله، حيث يقال: هذا من صفاته الفعلية، والصفة هي: المعنى القائم بالوجود، والفعل كالخلق والرزق حادث، فلا يقوم بالله تعالى، فكيف أطلق عليه: إنه صفة له؟

وهذا على المذهب الحق: أن التكوين حادث غير قائم بذات الله تعالى...

وقد يجاب عنه بأن: الخلق والرزق ونحوهما ترجع إلى كون الذات تعلقت قدرته القديمة بشيء عنها، وهذا معنى إضافي اعتباري قائم بالخالق، بمعنى: تعلقه بالخالق، واتصاف الخالق به، وليس بصفة حقيقية متقررة فيه حتى يلزم كون القديم محلا للحوادث"(١).

وقال عن الله تعالى:" له من صفات المعاني السبعة"(٢)، فأثبت محمد بن جعفر الكتاني صفات المعاني السبع، على ما قرره الأشاعرة، وهي: العلم، والحياة، والقدرة، والسمع، والبصر، والكلام والإرادة(٣)، وسردها في نظمه "عقيدة النجاة" الذي ضمّنها عقائد الإيمان الواجبة، فقال:

فواجب لربنا الوجود — قدمه ثم البقا الممدود
وقدرة إرادة ثم الحياة — والعلم والدليل خلق الكائنات
وسمعه والبصر الكلام — دليلها نقله الأعلام(٤)

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٩/ب)، وينظر: تشنيف المسامع (ل ١١).

(٢) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٣).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠٣/٣)، حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد (١٢٠)، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (١٦٨)، التحقيق التام في علم الكلام، محمد الحسيني الظواهري (٥٨-٥٩)، القواعد المثلى (٨٢)، الصفات الإلهية للجامي (٢٠٧)، أضواء البيان (١٩/٢).

(٤) الكشف والبيان (١٦٨-١٧٠).

فجعل الدليل على صفة القدرة والإرادة والحياة والعلم هو العقل من خلال النظر في خلق الكائنات، بخلاف صفة السمع والبصر والكلام، فقد جعل دليلها النقل، حيث قال فيها:

وسمعه والبصر الكلام   دليلها نقله الأعلام

وقد قرر هذا التقسيم كذلك في موضع آخر، حيث يقول عن الله:" وجوب اتصافه بصفات المعاني، وهي قسمان: قسم يتوقف عليه الفعل عقلًا، وهو هذه الأربعة، وهي الحياة والإرادة والعلم والقدرة، وقسم لا يتوقف عليه، وهو الثلاثة بعد"(١).

- النقد:

تقسيم محمد بن جعفر الكتاني للصفات هو تقسيم الأشاعرة(٢)، المخالف لتقسيم السلف الصالح لها، فقد قسم السلف الصالح صفات الله تعالى إلى قسمين: ثبوتية، وسلبية.

والثبوتية هي: ما أثبته الله تعالى لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-، وهي كلها صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، كالعلم، والاستواء، والنزول، والوجه واليدين، ونحو ذلك.

أما السلبية: فهي ما نفاها الله سبحانه عن نفسه في كتابه، أو سنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-، وهي كلها صفات نقص في حقه، كالموت، والنوم، والجهل، والنسيان، والتعب.

وقسموا الثبوتية إلى قسمين: ذاتية، وفعلية.

والصفات الذاتية: هي التي لا تنفك عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلا وأبدا، ولا تتعلق بها مشيئته تعالى وقدرته، كالحياة، والقوة، والملك، والعظمة، والكبرياء.

أما الصفات الفعلية فهي: التي تتعلق بها مشيئته وقدرته، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال، وإن كان هو لم يزل موصوفا بها، بمعنى أن نوعها قديم، وأفرادها حادثة، فلم يزل يتكلم ويخلق، ويدبر الأمور، تبعا لحكمته وإرادته(١).

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣١/ب).

(٢) ينظر: حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد (١٤٠ وما بعدها)، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (١٦٨)، التحقيق التام في علم الكلام، محمد الحسيني الظواهري (٥٨-٥٩).

أما تقسيم الأشاعرة للصفات فقد كان له أثر كبير على إيمانهم بصفات الله تعالى، كنفي الصفات الخبرية والصفات الفعلية عن الله تعالى، وتأويل بعض الصفات أو تفويضها، وهذا ما وقع فيه الكتاني كما سيأتي تفصيله بحول الله تعالى، ونفي الصفات الفعلية واضح في تقريره السابق، حيث أشكل عليه كون الفعل صفة لله تعالى، ثم قرر بأنه معنى إضافي اعتباري، وليس بصفة حقيقية، حيث قال:" ويُشكل إطلاقنا على الفعل أنه صفة لله، حيث يقال: هذا من صفاته الفعلية، والصفة هي: المعنى القائم بالوجود، والفعل كالخلق والرزق حادث، فلا يقوم بالله تعالى، فكيف أطلق عليه: إنه صفة له؟ وهذا على المذهب الحق: أن التكوين حادث غير قائم بذات الله تعالى... وقد يجاب عنه بأن: الخلق والرزق ونحوهما ترجع إلى كون الذات تعلقت قدرته القديمة بشيء عنها، وهذا معنى إضافي اعتباري قائم بالخالق، بمعنى: تعلقه بالخالق، واتصاف الخالق به، وليس بصفة حقيقية متقررة فيه حتى يلزم كون القديم محلا للحوادث"(٢)، وسيأتي مناقشة هذا في موضعه من كل صفة بحول الله تعالى.

يقول ابن تيمية-رحمه الله-منكرا على الأشاعرة:" وهؤلاء يقسمون الصفات إلى ذاتية، ومعنوية، وفعلية، وهذا تقسيم لا حقيقة له؛ فإن الأفعال عندهم لا تقوم به، فلا يتصف بها، لكن يخبر عنه بها، وهذا التقسيم يناسب قول من قال: الصفات هي الأخبار التي يخبر بها عنه، لا معاني تقوم به، كما تقول ذلك الجهمية والمعتزلة، ...فمن فسر الصفات بهذا أمكنه أن يجعلها ثلاثة أقسام: ذاتية ومعنوية وفعلية، وأما من كان مراده بالصفات ما يقوم به فهذا التقسيم لا يصلح على أصلهم، ولكن أخذوا التقسيم عن أولئك وهم مخالفون لهم في المراد بالصفات"(٣).

فهذا التقسيم أخذوه عن النفاة، وهو تقسيم لا حقيقة له لمن يثبت الصفات، كما أنه تقسيم غير معقول؛ لأن" الذين فرقوا بين الصفات النفسية والمعنوية قالوا: القيام بالنفس والقدم

---

(١) ينظر: الصفدية (١٠٢)، التسعينية (١٥٧/١)، مجموع الفتاوى (٣٢٥/١٧)، القواعد المثلى (٢١-٢٥)، شرح العقيدة الواسطية للهراس (١٥٩-١٦٠) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٩/ب).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٩/ب)، وينظر: تشنيف المسامع (ل ١١).

(٣) مجموع الفتاوى (٣٧٤/١٦-٣٧٥).

-ونحو ذلك من الصفات النفسية- بخلاف العلم والقدرة، فإنهم نظروا إلى ما لا يمكن تقدير الذات في الذهن بدون تقديره، فجعلوه من النفسية، وما يمكن تقديرها بدونه فجعلوه معنويا، ولا ريب أنه لا يعقل موجود قائم بنفسه ليس قائما بنفسه، بخلاف ما يقدر أنه عالم، فإنه يمكن تقدير ذاته بدون العلم، وهذا التقدير عاد إلى ما قدروه في أنفسهم، وألا ففي نفس الأمر جميع صفات الرب اللازمة له هي صفات نفسية ذاتية، فهو عالم بنفسه وذاته، وهو عالم بالعلم، وهو قادر بنفسه وذاته، وهو قادر بالمقدرة، فله علم لازم ، وقدرة لازمة لنفسه، وليس ذلك خارجا عن مسمى اسم نفسه "(١).

كذلك تقسيمه للصفات السبع، وأن منها ما دل عليه العقل، وهي القدرة، والإرادة، والعلم، والحياة، ومنها ما دل عليه السمع، وهي السمع والبصر والكلام، فهذا تقسيم مبتدع نهج فيه منهج الأشاعرة، وليس هو من منهج السلف الصالح-رحمهم الله- الذي يقوم على الإقرار بما ورد في الكتاب والسنة، وإن لم نعلمه بعقولنا.

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" وجوب تصديق كل مسلم بما أخبر الله به ورسوله من صفاته ليس موقوفا على أن يقوم عليه دليل عقلي على تلك الصفة بعينها، فإنه مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- إذا أخبرنا بشيء من صفات الله تعالى وجب علينا التصديق به، وإن لم نعلم ثبوته بعقولنا، ومن لم يقر بما جاء به الرسول حتى يعلمه بعقله فقد أشبه الذين قال الله عنهم:﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ حَتَّىٰ نُؤۡتَىٰ مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ ٱللَّهِۘ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ ﴾ [سورة الأنعام:١٢٤]، ومن سلك هذا السبيل فهو في الحقيقة ليس مؤمنا بالرسول، ولا متلقيا عنه الأخبار بشأن الربوبية، ولا فرق عنده بين أن يخبر الرسول بشيء من ذلك أولم يخبر به، فإن ما أخبر به إذا لم يعلمه بعقله لا يصدق به بل يتأوله أو يفوضه، وما لم يخبر به إن علمه بعقله آمن به، وإلا فلا فرق عند من سلك هذا السبيل بين وجود الرسول وإخباره، وبين عدم الرسول وعدم إخباره، وكان ما يذكره من القرآن والحديث والإجماع في هذا الباب عديم الأثر عنده، وهذا قد صرح به أئمة هذا الطريق"(٢).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٣/٢١-٢٢).

(٢) شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (٢٧-٢٨).

كما أن مما يُرد به على هذا التصنيف أن يقال: أن هذا التصنيف مبني على أن الأدلة السمعية لفظية فقط، ولذلك لا يستدل بها لإثبات النوع الأول، ولأن النوع الثاني لا يحتاج إلى استدلال عقلي فيكفي فيه النقلي، وهذا باطل؛ لأن الأدلة النقلية نوعان: نوع خبري فقط، ونوع خبري عقلي، بمعنى أنه يدل العقول وينبهها على الأدلة العقلية، وهذا أكثر النوعين في القرآن المتضمن لإثبات الوحدانية، والصفات، والنبوة، والبعث، والمعاد، وهذا النوع مرشد إالى طريقة الاستدلال الصحيحة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾ [سورة الفرقان:٣٣]، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ۝١٧٤﴾ [سورة النساء:١٧٤]، ومن زعم غير هذا يكون قد ناقض ما وصف الله به كتابه من كونه هدى للناس، ومخرجا لهم من الظلمات إلى النور(١).

وهذا التفريق ظهر في المتأخرين من الأشاعرة، حيث فرقوا بين هذه الصفات السبع في طرق ثبوتها، فأثبتوا بعضها بالعقل، وبعضها بالسمع، حتى نفوا الصفات الخبرية عن الله تعالى(٢)، وهذا المنهج نهجه محمد بن جعفر الكتاني فلجأ إلى تفويض الصفات الخبرية، وتأويل بعض الصفات كما سيأتي بحول الله تعالى.

-بعض القواعد التي قد تُشعر بموافقته للسلف في صفات الله تعالى:

– أوصاف الله كلها كمال، وتنزيه الله تعالى عن التشبيه والنقائص:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن الله –عز وجل –كامل بذاته وصفاته، منزه عن النقص والشريك والشبيه والمثيل، وأن القول بمساواة الخالق والمخلوق كفر، وهو مستحيل عقلا ونقلا،(٣) من تقريراته قوله: "أما العقل فلأنه لا يتصور شرعا اشتراك المخلوق مع الخالق في

---

(١) ينظر: الصواعق المرسلة (٢/٤٦٠-٤٩٧).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الأصفهانية (٢٤).

(٣) ينظر: جلاء القلوب (١/١٢٢، ٢٠٠، ٢٧٩، ٢/١٢٠، ٨٠، ١٧٢)، نيل المنى وغاية السول (١٣٢)، بلوغ القصد والمرام (ص٢)، شرح على دلائل الخيرات (ل ١٥، ٣٩)، ختم الموطأ (ل ٢)، ختم البخاري (ل٥، ٨)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٢/أ).

نعت من النعوت بحسب الوصف الحقيقي أبدا؛ لما يلزم عليه من حدوث ذلك الوصف المستلزم لحدوث الذات العلية، تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا!

وأما النقل فلقوله: ذاتا وصفاتا وأفعالا، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾ يعني: مثلا، ﴿أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:٤].أي لا في ذات ولا في صفة ولا في فعل"(١).

وقال أيضا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾ :"مكافئًا ومماثلًا، ونفي الكفؤ يعم الوالدية، والولدية، والزوجية وغيرها، ففيه سلب ما يوصف به غيره عنه، قالوا: ولا طريق في معرفته تعالى أوضح من سلب صفات المخلوقين عنه"(٢).

وقال عن معنى (عزّ) أي:" ارتفع شأنه عن مدارك الخلق، (وجلَّ) أي: تقدس عن كل نقص"(٣).

وقرر هذا في نظمه "عقيدة النجاة" الذي ضمنه عقائد الإيمان الواجبة، حيث قال في ضد صفات الكمال:

وضـــــدها ممتنـــــع ثم الكمـــــال ... لله والـــنقص قـــد غـــدا محـــال(٤)

- **النقد:**

يقول شارح الطحاوية رحمه الله: «اتفق أهل السنة على أن الله ليس كمثله شيء، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله»(٥).

ومحمد بن جعفر الكتاني لم يجر هذه القاعدة على جميع الصفات، بل توهم بأن في إثبات الصفات الخبرية، وبعض الصفات الفعلية كالكلام والاستواء، على ظاهرها يوقع في المماثلة والمشابهة، ويلزم منه حلول الحوادث في ذات الله تعالى، فوقع في قياس الله وتشبيهه بخلقه، ثم قرر تفويض بعض الصفات، وتأويل بعضها، أو القول بأزليتها، ومما قاله: "أبقاها

---

(١) جلاء القلوب (١٢٣/١).

(٢) تفسير مختصر للإخلاص والمعوذتين (ل ٣).

(٣) شرح على دلائل الخيرات (ل ٣٩).، وينظر المرجع نفسه: (ل ١٦).

(٤) الكشف والبيان (١٧٠).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (١٥٤/١)، ينظر: التدمرية (٤٣).

السلف كأمثالها في التشبيه، من الوجه والعين واليد والقدم والاستواء ونحوها على حالها، وآمنوا بها على حد علم الله تعالى فيها، لا على حد علمهم، من غير تأويل، مع التنزيه له تعالى عن الظاهر المستحيل"(١).

وهذا هو مذهب التفويض كما سيأتي تفصيله، فظن بأن في إثبات هذه الصفات على ظاهرها المتبادر تشبيه لله تعالى بغيره من المخلوقات، وموضع الزلل عند الكتاني أنه اعتمد في تنزيه الله تعالى على نفي التشبيه، فقرر بأن الله لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء على الإطلاق، ثم ذكر صور مماثلة المحدثات التي تستحيل على الله ففصل في النفي حتى نفى الجسم، والجهة، والحيز، والزمان، والمكان، كما سبق بيان هذا في استعماله للمصطلحات البدعية المجملة، ومن ذلك قوله عن الله تعالى: "لا يكون جرما؛ أي: تأخذ ذاته العلية قدرًا من الفراغ، ويكون عرضًا بأن يقوم بالجرم، أو يكون في جهة للجرم أو له جهة، أو يتقيد بمكان أو زمان، أو تتصف ذاته العلية بالحوادث، أو يتصف بالصغر أو الكبر، أو يتصف بالأغراض في الأفعال أو الأحكام"(٢)، وهذه الطريقة أدت إلى نفي جلّ صفات الله تعالى، بناء على أن إثباتها يلزم منه مشابهة الله تعالى للمخلوقات.

وهذا خلاف منهج السلف الصالح، فهم لا يعتمدون في تنزيه الله تعالى على نفي التشبيه عنه من كل وجه؛ لأن هذا لم يرد في كتاب الله تعالى، وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم، وإنما الذي ورد هو نفي التمثيل وما في معناه، كالند والشريك، والمساوي والكفؤ، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى:١١]، ولم يرد في القرآن نفي أو ذم للتشبيه؛ وذلك لأن "لفظ التشبيه فيه إجمال واشتراك وإيهام، بخلاف لفظ التمثيل الذي دل عليه القرآن؛ ونفى مُوجَبَه عن الله عز وجل"(٣).

فلفظ التشبيه لم يرد في الكتاب والسنة نفيه عن الله -عز وجل- من كل وجه؛ لأنه يؤدي إلى نفي وجود الله تعالى، فالأشياء تتشابه من بعض الوجوه مع اختلاف حقائقها، يقول

---

(١) جلاء القلوب (٢/٤٠)، وينظر المرجع نفسه (١/٢٠٧).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٨/ب).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/٣٨٧).

ابن تيمية-رحمه الله-:"التشابه الذي هو التماثل لا يكون بالموافقة في بعض الصفات، بل الموافقة في جميع الصفات الذاتية التي بها يقوم أحدهما مقام الآخر، وأما التشبيه في اللغة فإنه قد يقال بدون التماثل في شيء من الحقيقة، كما يقال للصورة المرسومة في الحائط: إنها تشبه الحيوان، ويقال هذا يشبه هذا في كذا وكذا، وإن كانت الحقيقتان مختلفتين، ولهذا كان أئمة أهل السنة ومحققو أهل الكلام يمنعون من أن يقال: لا يشبه الأشياء بوجه من الوجوه، فإن مقتضى هذا كونه معدومًا"(١).

وذلك لأن كل موجودَين لا بد أن يكون بينهما نوع من مشابهة، وقد ذكر الإمام أحمد-رحمه الله- عن الجهمية أنهم يقولون عن الله تعالى بأنه شيء لا كالأشياء، فقال لهم:" إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لا شيء، فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون في العلانية"(٢).

والمنهج الصحيح في التنزيه هو نفي التمثيل، مع نفي النقص عن الله -جل جلاله-، لا نفي المشابهة، يقول ابن تيمية-رحمه الله تعالى-:"الاعتماد في نفي ما يُنفى على مجرد نفي التشبيه لا يفيد، إذ ما من شيئين إلا ويشتبهان من وجه ويفترقان من وجه، بخلاف الاعتماد على نفي النقص والعيب، ونحو ذلك مما هو سبحانه وتعالى مقدس عنه، فإن هذه طريقة صحيحة"(٣).

هذا جانب، ومن جانب آخر -ينبغي الإشارة إليه- فإن القدر المشترك بين الخالق والمخلوق في الصفات، لا يعرف بالمشاهدة والحس، حتى يُنفى مطلقا، وإنما هو مطلق كلي داخل الذهن، ولا يستلزم التشبيه، وعند الإضافة والتخصيص، يختص كل بما يناسبه، فللّه صفات لائقة بجلاله وعظمته، وللمخلوقات صفات تناسب ضعفهم وعجزهم(٤).

---

(١) المرجع السابق (٣/١٣٥-١٣٦).

(٢) الرد على الزنادقة والجهمية (٢١).

(٣) التدمرية (١٢٤).

(٤) ينظر: التدمرية (١٢٦-١٣١)، الصواعق المرسلة (٢/٤٢٦-٤٢٨).

فصفة النزول على سبيل المثال: يوصف بها الله ويوصف بها المخلوق، لكن نزول الله غير نزول المخلوق، وقد أثبت الكتاني هذه الصفة -كما سيأتي-، ولم يجهل هذا القدر المشترك؛ لأنه عرّف المشترك في موضع فقال:" هو الكلِّيُّ الذي اتَّحد لفظه، وتعدَّد مسمَّاه، بأن وضع لمعنى بخصوصه، ثمَّ لمعنى آخر بخصوصه، من غير اعتبار نقله من المعنى الأوَّل إلى المعنى الثاني؛ كعين"(١).

إلا أنه اعتمد في تنزيه الله تعالى على نفي التشبيه، فوقع فيما وقع فيه من يتوهم التشبيه في ظواهر بعض الصفات، مع قوله بأن أوصاف الله كلها كمال، وقوله-كما سيأتي-بأذن الله- بأن الله تعالى لا يدرك كنه ذاته وصفاته أحد من خلقه.

يقول الإمام الخطيب البغدادي(٢) رحمه الله في وصف منهج السلف ومن ضل عنه:«أما الكلام في الصفات، فإن ما روي منها في السنن الصحاح، مذهب السلف إثباتها وإجراؤها على ظواهرها، ونفي الكيفية والتشبيه عنها، وقد نفاها قوم، فأبطلوا ما أثبته الله، وحققها قوم من المثبتين، فخرجوا في ذلك إلى ضرب من التشبيه والتكييف، والقصد إنما هو سلوك الطريقة المتوسطة بين الأمرين، ودين الله تعالى بين الغالي فيه والمقصر عنه، والأصل في هذا أن الكلام في الصفات فرع الكلام في الذات، ويحتذى في ذلك حذوه ومثاله، فإذا كان معلوما أن إثبات رب العالمين إنما هو إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات صفاته إنما هو إثبات وجود لا إثبات تحديد وتكييف»(٣).

فقد ذكر رحمه الله منهج السلف في الصفات، وذكر أنه منهج وسط؛ لجمعه بين الإثبات والتنزيه، بخلاف مناهج أهل البدع، فإما أن يقع أصحابها في التعطيل نتيجة الاعتماد

---

(١) ختم البخاري (ل ١١)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (١٣/أ).

(٢) هو: أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي، أبو بكر الخطيب، أحد أعلام المحدثين، سلفي المعتقد، من مؤلفاته: تاريخ بغداد، تقييد العلم، توفي عام ٤٦٣هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٧٠/١٨)، شذرات الذهب (٢٦٢/٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٦٠/٣٥).

على نفي التشبيه، وإما أن يقعوا في التمثيل وذلك نتيجة الغلو في الإثبات، ودين الله وسط بين الغالي والمقصر عنه.

بهذا يتبين موافقة محمد بن جعفر الكتاني للحق في جانب ومخالفته له من جانب آخر، فقد وافق الحق في تقريره بأن صفات الله كلها كمال، وأنه تعالى كامل في ذاته وصفاته، وخالف الحق في الاعتماد في التنزيه على نفي التشبيه، والحق في التنزيه هو نفي التمثيل والنقص عن الله تعالى، كما قال في نظمه في ضد صفات الكمال:

وضدها ممتنع ثم الكمال لله والنقص قد غدا محال(١)

وهو عندما قرر عقيدة وحدة الوجود الباطنة، قرر وجوب التنزيه مع وجوب التشبيه بقوله:" لا بد من التنزيه والتشبيه معا باعتبارين: فالتنزيه باعتبار حقيقته الواحدة، والتشبيه باعتبار ظهوره في الصور وتجليه في كل متعين"(٢)، وهذا مردود بتقريراته هنا، نفي التشبيه مع وجوب التنزيه، كما أنه مردود ببطلان عقيدة وحدة الوجود؛ لأن ما بني على باطل فهور باطل.

-لا يدرك كنه ذاته وصفاته -تعالى- إلا هو -عز وجل-:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن ذات الله وصفاته لا يدرك كنهها إلا هو-سبحانه- كما قال عز وجل: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ **[سورة طه:١١٠]**، ونقل الاجماع على عدم الإحاطة به-عز وجل-، وأن من قال بإمكان ذلك لا يعوّل على قوله، لا عقلا ولا شرعا(٣)، يقول فيمن قال بإمكان الإحاطة:" ذلك ليس بصحيح ولا يعول عليه لا عقلا ولا شرعا ولا كشفا"(٤).

ويقول في ذات الله-عز وجل-: "الذات العلية لا يحيط بها بشر ولا مخلوق أصلا، وإن بلغ في العلم بالله والمعرفة به المبلغ الأعلى"(٥)، وقال:" وأما معرفة كنهها، أو الإحاطة بها، أو

---

(١) الكشف والبيان (١٧٠)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٤/أ).

(٢) جلاء القلوب (٣٨/٢).

(٣) ينظر: جلاء القلوب (١٢٥/١، ٣٠٠، ٢١٤/٢، ٣٣٥/٣)، عمدة الراوين (٣٩/٩).

(٤) جلاء القلوب (٣٠٠/١).

(٥) ينظر: جلاء القلوب (٣١٣/١).

بشيء مما لها فليست لأحد أصلا، ولا مطمع لمخلوق فيها بوجه من الوجوه، ولا باعتبار من الاعتبارات"(١).

وقال: "والاعتقاد الحق أن الله ... لا يعلم ذاته إلا هو تعالى"(٢)، وقد نقل نقولا كثيرة في تقرير ذلك منها أن: "الجهل بحقيقته، وكنه ذاته، من حيث ماهي هي، هو صريح الإيمان، وكمال المعرفة بالله تعالى"(٣).

ونقل بأن من الجهل جهل لا نؤاخذ به "بفضل الله تعالى للزومه لنا، وهو الجهل بجلال الله وصفاته"(٤).

واستدل بكثير من الآيات على ما قرره، منها قوله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [سورة الزمر:٦٧]، وقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [سورة الأنعام:١٠٣]، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة طه:١١٠]، ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الإسراء:٨٥]، وبقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك**)) (٥)، و غيرها(٦).

- النقد:

هذه القاعدة نصت الأدلة عليها وقررها السلف الصالح-رحمهم الله-(٧)، ومن الأدلة على هذه القاعدة- كما استدل بها الكتاني- قول الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا

---

(١) جلاء القلوب (١٣٢/١)، وينظر المرجع السابق: (١٥٥/١، ٣٠٧، ٣١٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٦/أ، ٢٩/أ، ٣٠/ب).

(٢) الكشف والبيان (٢٤٠).

(٣) جلاء القلوب (٣٣٠/١)، وينظر المرجع نفسه (١٧٣/٢)، تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٣).

(٤) الكشف والبيان (٢٤٣)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٤/أ، ٢٩/أ).

(٥) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، رقم (٤٨٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) ينظر: جلاء القلوب (٣١٣/١-٣٤٥).

(٧) ينظر: لمعة الاعتقاد (ص٥)، شرح العقيدة الطحاوية (١١٧/١)، تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (١٧)، معارج القبول (٢١١/١)، الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية لمحمد أمان الجامي (ص٦٥، ٧٠)، القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى (ص٢٧).

شَآءَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، وقال سبحانه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة طه:١١٠]، يقول الحافظ أبو القاسم الأصبهاني: "وإثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات ... وعلى هذا مضى السلف "(١).

وذلك لأنه تعالى أخبرنا عن صفاته ولم يخبرنا عن كيفيتها، فيكون تكييفنا قفواً لما ليس لنا به علم، وقولاً بما لا يمكننا الإحاطة به، ولأن الشيء لا تعرف كيفية صفاته إلا بعد العلم بكيفية ذاته، أو العلم بنظيره المساوي له، أو بالخبر الصادق عنه، وكل هذه الطرق منتفية في كيفية صفات الله – عز وجل – فوجب بطلان تكييفها، فالله –جلّت عظمته أكبر من أن نعرف كيفية ذاته أو صفاته، لأننا لن ندرك ذلك بعقولنا القاصرة، قال عز وجل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [سورة الإسراء:٨٥]، (٢)وقد سئل الإمام مالك–رحمه الله– عن قوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [سورة طه:٥]، كيف استوى؟ قال: "الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة"(٣) ، فبيّن أن الاستواء معلوم المعنى، مجهول الكيفية، وهكذا بقية الصفات، يقال فيها ما قيل في الاستواء.

ويقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي–رحمه الله–:"إدراك حقيقة الكيفية مستحيل، وهذا نص الله عليه في سورة طه حيث قال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة طه:١١٠]، ... فيصير المعنى: لا إحاطةَ علمٍ برب السماوات والأرض، فينفي جنس أنواع الإحاطة عن كيفيتها، فالإحاطة المسندة للعلم منفية عن رب العالمين"(٤).

إلا أن محمد بن جعفر الكتاني عندما قرر عقيدة وحدة الوجود مع الحقيقة المحمدية، قرر هذه القاعدة وطبقها على الحقيقة المحمدية، حيث قال:" كما أنه تبارك وتعالى لا يدرك

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/١٩٠).

(٢) ينظر: التدمرية (٥٦)، الحموية (٣٦٨، ٥٤٣)، مجموع الفتاوى (٣/٢٨، ٣٠-٣٤، ٥/١١٥، ١١٦).

(٣) حلية الأولياء (٦/٣٢٦،٣٢٥) وأخرجه أيضا الصابوني في عقيدة السلف أصحاب الحديث للصابوني (٤٥)، وابن عبد البر في التمهيد (٧/١٥١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٨)، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: سنده جيد، (١٣/٤٠٦، ٤٠٧) وصححه الذهبي في العلو للعلي الغفار (ص١٣٨).

(٤) منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، لمحمد الأمين الشنقيطي (٤٣) وينظر: آداب البحث والمناظرة، محمد الأمين الشنقيطي (ص٣٦٨).

بالكنه والحقيقة لمخلوق، ولا يحاط به بوجه من الوجوه لا في الدنيا ولا في الاخرة، كذلك نبيه وحبيبه سيدنا محمد–صلى الله عليه وسلم–، الذي حقيقته الكلية الجامعة لجميع الأرواح ولسائر الحقائق الكلية والجزئية، هي أول موجود اخترعه الله، وأعظم مخلوق خلقه من ذاته العلية"(١).

وهذا شنيع باطل ببطلان عقيدة وحدة الوجود، والحقيقة المحمدية، وسيأتي مزيد بيان بطلان ما قرره هنا في الإيمان بالنبي–صلى الله عليه وسلم–.

كما أنه غلا بالأولياء حتى وصفهم بذلك، ومن ذلك ما قاله في مناقب إدريس باني فاس في آخر ترجمته: "ومناقبه–رضي الله عنه–أجلّ من أن يحيط بها أحد، أو يأتي عليها حصر ولا حد، ما وسعتها المجلدات والأسفار"(٢).

وهذا كلام لا يقال إلا لله تعالى، وقد تعقبه عبد الحي الكتاني في هذا وقال:"قوله: أجلّ أن يحاط بها: كلمة كبيرة؛ لأنه لا يقال ذلك إلا في الألوهية؛ إذ هي التي لا يحيط بكمالاتها أحد، ولا يأتي عليها حصر أوحد، والمخلوق متناهي فحقّقْهُ"(٣).

فهذا تشبيه للخلق بالله–تعالى الله عن ذلك– وتقريراته هذه مردودة بتقريراته في نفي التشبيه عن الله تعالى، وأنه مخالف للعقل والنقل؛ حيث قال بنفي التشبيه–كما سبق–: "أما العقل فلأنه لا يتصور شرعا اشتراك المخلوق مع الخالق في نعت من النعوت بحسب الوصف الحقيقي أبدا؛ لما يلزم عليه من حدوث ذلك الوصف المستلزم لحدوث الذات العلية، تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا!، وأما النقل فلقوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ﴾ يعني: ذاتا وصفاتا وأفعالا، وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا﴾ يعني: مثلا، ﴿أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص:٤].أي لا في ذات ولا في صفة ولا في فعل"(٤)، وهذا يؤكد تناقض محمد بن جعفر الكتاني واضطراب منهجه.

– -بعض شبهات محمد بن جعفر الكتاني في الصفات:

(١) جلاء القلوب (١٤٤/٢)، وينظر المرجع نفسه (١٤٩/٢).

(٢) سلوة الأنفاس (٨٥/١)، وينظر: جلاء القلوب (١٤٦/٢).

(٣) إعلام الحاضر والآت (ل ٤٤/ب).

(٤) جلاء القلوب (١٢٣/١).

-حصر مذاهب الناس في الصفات بثلاثة: التأويل والتفويض والتشبيه.

تقدم أن محمد بن جعفر الكتاني ظن أن في إثبات بعض الصفات كالخبرية وبعض الصفات الفعلية على ظاهرها موهم للتشبيه والتجسيم والتحيز،، وأن هذا الظاهر الموهم للتشبيه مستحيل، وهو غير مراد، وذكر أن الناس تورطوا فيها بين التأويل والتشبيه، وأن الحق ومذهب جمهور السلف هو التفويض، وهو الأسلم والأحوط، ومن تقريراته قوله بأن من المتشابه كما يقول: "ألفاظ التشبيه الواردة في النعوت الذاتية والصفات الإلهية كالاستواء، والوجه، والعين، واليد، وغيرها مما يوهم الجارحة، أو الجسمية أو التحيز، أو نحوها من سمات الحدوث"(١) وأن ظاهرها المستحيل الموهم للتشبيه هو غير مراد، وقد تورط الناس فيه بين التأويل والتشبيه، وأن الحق هو التفويض(٢)؛ لأن المؤول -كما يقول: "يرُد ما ورد عن التشبيه إلى التنزيه بضرب من التأويل الذي يستحسنه عقله العليل، فيقع في سوء الأدب، وإكذاب الحق والرسل وهو لا يشعر، ويكون كمن آمن ببعض الكتاب وكفر ببعض" (٣).

فكان ممن يميل إلى مذهب التفويض، ويقرر بأنه مذهب السلف وهو الأسلم والأحوط، وأيد النووي بقوله:" من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها حق، وأن ظاهرها غير مراد، ولها معنى يليق بها، وهذا مذهب جمهور السلف، وهو أحوط وأسلم"(٤).

كما حكى قول السيوطي بالتفويض، حيث نقل عنه قوله:" فصل من المتشابه آيات الصفات...نحو: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ **[سورة طه:٥]**، ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۝٨٨﴾ **[سورة القصص:٨٨]**، ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ **[سورة الرحمن:٢٧]**، ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ۝٣٩﴾ **[سورة طه:٣٩]**. ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [سورة الفتح:١٠]، ﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ **[سورة**

(١) جلاء القلوب (٢٠٧/١)، ينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٢٨/ب).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (٤٠/٢، ٢٠٤).

(٣) جلاء القلوب (٣٨/٢).

(٤) جلاء القلوب (٢٠٨/١)، ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي (١٦٦/١٦).

الزمر:٦٧]، وجمهور أهل السنة ومنهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها، وتفويض المعنى المراد منها إلى الله تعالى، ولا نفسرها مع تنزيهنا له تعالى عن حقيقتها"(١).

وقال:" نُقل عن بعض السلف ما عرف منهم من التوقف عن تأويل الظواهر المستحيلة، فتُوُهّم أنَّ ذلك لاعتقادهم ظاهرها، وحاشاهم من ذلك، وإنما وقفوا لتعدد التأويلات، من غير أن يقوم عندهم دليل على تعيين المراد"(٢).

النقد:

حصر الناس في ثلاثة أقسام: أهل التأويل، وأهل التشبيه، وأهل التفويض، وجعل مذهب السلف الصالح ضمن ما يراه من مذهب المشبهة، أو المفوّضة خطأ بيّن؛ وقد بيّن المذهب الحق، مذهب أهل السنة والجماعة في الصفات عدد من علماء السلف عند تقسيمهم لأصناف الناس تجاه نصوص الصفات، فقرروا مذهب السلف الصالح، وهو الإثبات مع نفي التشبيه والتمثيل، فهذا أحمد بن إبراهيم الواسطي الشافعي(٣)رحمه الله ، قال:«كنت متحيرا في الأقوال المختلفة الموجودة في كتب أهل العصر في جميع ذلك[أي في مسائل الصفات]: من تأويل الصفات وتحريفها، أو إمرارها، أو الوقوف فيها، أو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل» (٤)، فذكر معها رحمه الله مذهب السلف الصالح، وهو إثباتها بلا تأويل ولا تعطيل، ولا تشبيه ولا تمثيل، وقرر بأنه المذهب الحق بعد ذلك.

وكذلك شيخ الإسلام ابن تيميةرحمه الله فقد ذكر أن الناس اضطربوا في مباحث صفات الله، على ستة أقسام، وهي كما يقول:

- « **قسمان يقولان:** تجرى على ظواهرها.

---

(١) جلاء القلوب (٢٠٩/١)، ينظر: الاتقان في علوم القرآن، للسيوطي (١٤/٣).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٨/ب).

(٣) هو: أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن، عماد الدين الواسطي، المعروف بابن شيخ الحزّاميين، وهي طائفة من الأحمدية الرفاعية وكان أبوه شيخها، فتصوف، وقدم دمشق فتتلمذ لابن تيمية، ورد على المبتدعة الذين خالطهم، توفي عام٧١١هـ، ينظر: ذيل طبقات الحنابلة (٣٨٠/٤)، شذرات الذهب (٢٤/٦).

(٤) النصيحة في صفات الرب جل وعلا، أحمد بن إبراهيم الواسطي (٩) وقد ذكر قبله المقريزي هذا التقسيم، ينظر: المواعظ والاعتبار (٤٣٠/٣).

- **وقسمان يقولان:** هي على خلاف ظاهرها.
- **وقسمان:** يسكتون.

أما الأولان: فقسمان:

- **أحدهما:** من يجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين، فهؤلاء المشبهة، ومذهبهم باطل أنكره السلف، وإليهم توجه الرد بالحق.
- **والثاني:** من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله، ... وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره من السلف، وعليه يدل كلام جمهورهم، وكلام الباقين لا يخالفه...

وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها... **فهؤلاء قسمان:**

- **قسم يتأولونها:** ويعينون المراد مثل قولهم: استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علو المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق إليه، إلى غير ذلك من معاني المتكلفين.
- **وقسم يقولون:** الله أعلم بما أراد بها، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجة عما علمنا.

وأما القسمان الواقفان:

- **فقسم يقولون:** يجوز أن يكون المراد ظاهرها الأليق بجلال الله، ويجوز ألا يكون المراد صفة الله ونحو ذلك، وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.
- **وقوم يمسكون عن هذا كله،** ولا يزيدون على تلاوة القرآن وقراءة الحديث، معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.

فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها» (١).

---

(١) الفتوى الحموية الكبرى لابن تيمية (٥٤١-٥٥١).

والمقصود أن محمد بن جعفر الكتاني حصر مذاهب الناس في الصفات بثلاثة، وجعل مذهب السلف ضمن المشبهة، والمفوضة، وظن بأن كل من يجري النصوص على ظاهرها مشبّه مجسّم، وهذا خطأ بيّن.

ومن الجدير هنا التفصيل في مذهب التأويل والتفويض، وذلك لمعرفة مدى صواب معتقد محمد بن جعفر الكتاني فيما قرره، والمذهب الأول الذي ذكره هو مذهب التأويل، والتعريف به كما يلي:

مذهب التأويل

التأويل لغة: مصدر أوّل يؤول، وهو مأخوذ من الأوْل، يُقال: آل يؤول إذا رجع وعاد، وأوّل الكلام إذا فسّره.

والتأويل له معان كثيرة، ترجع إلى معنيين رئيسين:

الأول: العاقبة، والمرجع، والمصير.

الثاني: التفسير، والتدبر، والبيان (١).

ويؤيد هذا ما قاله ابن جرير الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما معنى التأويل في كلام العرب، فإنه التفسير والمرجع والمصير » (٢).

التأويل في الاصطلاح: ينقسم إلى قسمين:

١- التأويل عند السلف الصالح:

فالسلف الصالح يطلقون لفظ التأويل، ويستعملونه كاستعماله في المعنى اللغوي، فيريدون بالتأويل أحد المعنيين الرئيسين، وهما: العاقبة، والتفسير (٣).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، مادة: آل (١٥/٣١٤-٣١٧)، الصحاح، مادة: أول (٤/١٦٢٧-١٦٢٨)، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة: أول (١/١٥٨-١٦٢)، لسان العرب مادة: أول، (١١/٣٢-٤٠)، القاموس المحيط، مادة: آل، (ص١٢٤٤)، تاج العروس من جواهر القاموس، مادة: أول (٢٨/٣١-٤٠).

(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، (٥/٢٢٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/٦٨-٦٩)، الإكليل في المتشابه والتأويل (ص٢٧-٢٩)، نقض المنطق، لابن تيمية(ص٥٥-٥٦)، الصواعق المرسلة، (١/١٧٦-١٧٧)، (٣/٩٢٢-٩٢٥).

ومما يشهد على استعمال السلف للتأويل بمعنى العاقبة والمصير، ما ذكروه في تفسير قوله ﷻ: قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [سورة النساء:٥٩]، حيث فسّر جماعة من السلف قوله ﷻ: ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ بأحسن عاقبة، وفسرها مجاهد(١) بأحسن جزاء وهو قريب(٢).

وقال شيخ الإسلام بعد ذكر هذه التأويلات: «وهذا تفسير السلف أجمعين» (٣).

والشواهد كثيرة في استعمال السلف للتأويل بمعنى التفسير، وهي ظاهرة جدا، منها أن ابن جرير رحمه الله يقول في تفسيره عند كل آية: « القول في تأويل قوله.. »، وكذلك قوله: "اختلف أهل التأويل في تأويل قوله...» (٤) .

٢- التأويل عند المتأخرين:

ابتدع المتأخرون للتأويل معنى لم يكن معروفا عند السلف الصالح، فعرّفوه بصرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح (٥).

والتأويل بهذا المعنى له ثلاث أحوال:

الأولى: إما أن يصرف النص عن ظاهره المتبادر منه، لدليل صحيح من كتاب أو سنة، وهذا النوع من التأويل صحيح مقبول، يجب الرجوع إليه.

---

(١) هو: مجاهد بن جبر المكي الأسود، أبو الحجاج، إمام حافظ مفسر، من أئمة التابعين، توفي عام ١٠٢هـ. ينظر: طبقات ابن سعد (٤٦٦/٥)، سير أعلام النبلاء (٦/٨).

(٢) ينظر: جامع البيان (١٨٨/٧)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (٢٦/٥)، تفسير القرآن العظيم، (٣٤٦/٢).

(٣) تفسير سورة الإخلاص (ص١١٣).

(٤) ينظر على سبيل المثال: جامع البيان (٢٢٣/٦، ٢٥١، ٢٥٨، ٢٨٨)، وغيرها.

وللاستزادة في الشواهد ينظر: منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان علي حسن (٥٣٧/١-٥٤٣) موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة لسليمان الغصن (٤٨٨/١-٤٩٦).

(٥) ينظر: الحدود للباجي (ص٤٨) التعريفات للجرجاني (٧٢) البرهان في أصول الفقه للجويني (٣٣٦/١)، المستصفى في علم الأصول (ص١٩٦)، الإحكام للآمدي (٥٩/٣).

قال ابن القيم رحمه الله: « بالجملة فالتأويل الذي يوافق ما دلت عليه النصوص وجاءت به السنة ويطابقها هو التأويل الصحيح »(١) .

الثانية: أن يصرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه، لشيء يعتقده الصارف دليلا وهو في الحقيقة ليس بدليل، فهذا تأويل فاسد.

- **الثالثة**: أن يصرف اللفظ على غير ظاهره لا لدليل، فهذا لا يسمى تأويلا، بل يسمى لعبا؛ لأنه تلاعب بكتاب الله وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم- (٢).

فالتأويل في الحال الثانية والثالثة هو في الحقيقة ليس تأويلا وإنما تحريف للكلم عن مواضعه؛ لأنه صرف للفظ عن ظاهره بلا دليل من كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وهذا ما نهجه محمد بن جعفر الكتاني في بعض صفات الله تعالى، يقول شيخ الإسلام عن هذا النوع من التأويل: «وكان السلف ينكرون التأويلات التي تخرج الكلام عن مراد الله ورسوله-صلى الله عليه وسلم- التي هي من نوع تحريف الكلم عن مواضعه، فكانوا ينكرون التأويل الباطل الذي هو التفسير الباطل، كما ننكر قول من فسر كلام المتكلم بخلاف مراده»(٣).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني في رده للتأويل، وتقريره بأن التأويل فيه سوء أدب، وإكذاب للحق-تعالى- والرسل، وهو كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض، موافق لما قرره السلف الصالح، إلا أنه مع ذلك أعمله في بعض صفات الله تعالى(٤)، وهذا باطل، وقد رد

(١) الصواعق المرسلة، (١٨٧/١).

(٢) ينظر: منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات (٣٣-٣٤)، جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، لمحمد أحمد لوح (١٨-٢٤).

(٣) الصفدية (٢٩١/١)، وينظر: الإكليل في المتشابه والتأويل (٣٤)، درء تعارض العقل والنقل (٣٢٨/٥)، مجموع الفتاوى (٦٩/٤).

(٤) ينظر: (ص٢١٩).

السلف الصالح على أهل التأويل وبيّنوا بطلان مذهبهم إجمالا وتفصيلا(١)، **ومن أظهر الأدلة على بطلانه:**

- أن أصحاب التأويل لم يستندوا إلى دليل من كتاب الله وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- أصلا، والتأويل لم ينقل إلا عن مبتدع أو منسوب إلى البدعة (٢).

- اجماع الصحابة ومن بعدهم على ترك التأويل، ولاريب أن الإجماع حجة قاطعة يجب اتباعه ويحرم خلافه، فإن الله لا يجمع أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- على ضلالة(٣).

- أن هذا التأويل عند المتأخرين مبني على أساس فاسد وهو ظنهم بأن ظواهر النصوص هو التشبيه والتمثيل وهو غير مراد، ولا ريب أن هذا باطل؛ لأن الله عز وجل لم يجعل ظاهر القرآن والحديث كفرا وباطلا (٤).

- أن التأويل يلزم منه أن يكون الصحابة والسلف الصالح بين أمرين باطلين، وهما:

أ. أن الصحابة والسلف لم يفهموا الحق الظاهر من النصوص.

ب. أنهم علموا الحق، لكنهم كتموه ولم يقوموا بواجب النصح للمسلمين (٥).

- التناقض وعدم وجود ضابط لما يسوغ تأويله وما لا يسوغ، بحيث إذا سئلوا: ما الفرق بين ما جوّزتم تأوله، وبين ما أقررتموه على ظاهره؟ فإن جمهورهم يقولون: كل ما عارضه دليل عقلي قاطع تأولناه، وما لم يعارضه دليل عقلي قاطع أقررناه، فليزمهم عدم إمكان نفي التأويل عن أي

---

(١) ينظر على سبيل المثال رد ابن القيم عليهم في تأويل الاستواء، فقد رد عليهم وأبطل تأويلهم من أربعين وجها، في الصواعق المرسلة (٢٩٢/١).

(٢) ينظر: ذم التأويل (ص٤٠) درء تعارض العقل والنقل (٢٤٤/١) إعلام الموقعين عن رب العالمين (٢٤٩/٤)، إيثار الحق على الخلق (٨٥).

(٣) ينظر: ذم التأويل (ص٤٠) إبطال التأويلات لأخبار الصفات لأبي يعلى الفراء (٧١/١).

(٤) ينظر: التدمرية (٦٩).

(٥) ينظر: إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى مذهب الحق من أصول التوحيد لابن الوزير اليماني (١٣٠-١٣١) ذم التأويل (٤١).

شيء؛ لأنه لابد أن توجد عقول جماعة من المؤولة متعارضة حول مدلوله [1]، وهذا ما ذكره الكتاني، حيث ذكر بأن المؤول كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

وبهذا يتبين مخالفة محمد بن جعفر الكتاني للسلف في إعماله للتأويل، مع موافقته لهم في ذمهم له.

مذهب التفويض

التفويض لغة: مأخوذ من قولهم: فوّض إليه الأمر، أي: ردّه إليه وصيره إليه وجعله الحاكم فيه، ومنه قوله تعالى :قال تعالى: ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة غافر:٤٤] [2].

التفويض اصطلاحا: هو رد العلم بمعاني نصوص الصفات في القرآن والسنة إلى الله ﷻ وحده دون غيره [3].

وهو على نوعين [4]:

-تفويض العلم بحقيقة وكيفية الصفات إلى الله سبحانه وتعالى، مع الإيمان بالمعاني اللائقة بالله عز وجل، وهذا أصل من أصول السلف الصالح، يقول الإمام البربهاري-رحمه الله-: «كل ما سمعت من الآثار شيئا مما لم يبلغه عقلك... فعليك بالتسليم والتصديق والتفويض والرضا، ولا تفسر شيئا من هذه بهواك فإن الإيمان بهذا واجب» [5] .

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٥/٣٤٣).

(٢) ينظر: الصحاح، مادة: فوض (٣/١٠٩٩)، معجم مقاييس اللغة، مادة: فوض (٤/٤٦٠)، لسان العرب، مادة: فوض (٧/٢١٠-٢١٣).

(٣) ينظر: مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات (عرض ونقد)، لأحمد القاضي (١٥٢)، موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (٢/٨٢٩)، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، لإبراهيم البريكان (ص٤٠) تبرئة السلف من تفويض الخلف، لمحمد اللحيدان (ص١٧).

(٤) ينظر: المراجع السابقة.

(٥) كتاب شرح السنة(٣٠-٣١).

-تفويض العلم بمعاني الصفات إلى الله سبحانه وتعالى، وهو بدعة ابتدعها المتأخرون، وهو الذي عناه محمد بن جعفر الكتاني بأنه مذهب السلف وهو باطل، **فقد بين السلف الصالح فساد وبطلان مذهب التفويض وبراءة السلف منه، ومن الأدلة على بطلانه:**

-أن القول بالتفويض فيه تعطيل لمعاني النصوص التي أمر الله ﷻ عبادة بتدبرها [١].

-أن القول بالتفويض يلزم منه تجهيل النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة والتابعين، لأنهم زعموا بأنهم على مذهب التفويض فنسبوا لهم الجهل بمعاني نصوص الصفات، لهذا أطلق العلماء على أهل التفويض أهل التجهيل.

قال شيخ الإسلام رحمه الله : « والصحابة والتابعون لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم في هذا الباب [أي في باب الصفات] على سبيل الاستقامة، وأما المنحرفون عن طريقهم : فهم ثلاث طوائف: أهل التخييل، وأهل التأويل، وأهل التجهيل » [٢] ،إلى أن قال: « وأما الصنف الثالث وهم أهل التجهيل فهم كثير من المنتسبين إلى السنة واتباع السلف، يقولون: إن الرسول-صلى الله عليه وسلم- لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات، ولا جبريل يعرف معاني الآيات، ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك.

وكذلك قولهم في أحاديث الصفات: إن معناها لا يعلمه إلا الله مع أن الرسول تكلم بها ابتداء فعلى قولهم تكلم بكلام لا يعرف معناه» [٣].

-أن القول بالتفويض مبني على أساس فاسد، وهو نفس الأساس الذي بني عليه التأويل، وهو اعتقاد أن ظواهر النصوص التشبيه والتجسيم، وسيأتي الرد على هذا قريبا -بإذن الله-.

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١/٢٠١-٢٠٢).
(٢) مجموع الفتاوى (٥/٣١).
(٣) المصدر السابق (٥/٣٤)، وينظر: الصواعق المرسلة (٢/٤٢٢).

-القول بالتفويض يلزم منه اتهام العلماء الذين نقلوا لنا الإجماع، بأنهم زوّروا حقيقة مذهب السلف في ذلك، وإن جاز هذا فيلزم منه إبطال الإجماع من أصله، لأن هذا الاتهام يشير إلى أنهم يجمعون على غير الحق!! (١)

-أن السكوت عن تعيين معاني الصفات الثابتة وعدم تفسيرها، مخالف لما أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم؛ لأنهم فسّروا كثيرا من آيات الصفات، وبيّنوا معانيها، ولم يحفظ عن أحد منه التفويض أو السكوت في هذا المسألة (٢).

يقول ابن خزيمة(٣) رحمه الله: «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز، وتهامة، واليمن، والعراق، والشام، ومصر، مذهبنا أنا نثبت لله ما أثبته الله لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين وجل ربنا عن مقالة المعطلين وعز أن يكون عدما كما قاله المبطلون»(٤) ، فقرر رحمه الله بأنهم يثبتون ما أثبته الله بقلوبهم، ويقرونه بألسنتهم، فأين من يقول بأن أهل التفويض هم السلف؟

وقال ابن كثير رحمه الله في تفسير قوله ﷻ ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ *[سورة الأعراف:٥٤]*: « فللناس في هذا المقام مقالات كثيرة جدا، ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسلك في هذا المقام مذهب السلف الصالح: ... من أئمة المسلمين قديما وحديثا، وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تشبيه ولا تعطيل، والظاهر المتبادر إلى أذهان المشبهين منفي عن الله، فإن الله لا يشبهه شيء من خلقه: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]،... فمن أثبت لله تعالى ما وردت به الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة، على الوجه الذي يليق بجلال الله

---

(١) ينظر: علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين، لرضا نعسان معطي (٨٤).

(٢) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١٠٨/٧-١٠٩).

(٣) هو: محمد بن إسحاق بن إسحاق أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي، المشهور بابن خزيمة، من أئمة السلف وعلمائهم، من مؤلفاته: التوحيد، والصحيح، توفي عام٣١١هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٤١٦/١٤)، شذرات الذهب (٢٦٢/٢).

(٤) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب (١٨/١).

تعالى، ونفى عن الله تعالى النقائص، فقد سلك سبيل الهدى»(١)، فقرر رحمه الله أن مذهب السلف الصالح وسبيل الهدى، هو إثبات ما أثبت الله تعالى لنفسه من الصفات في الآيات الصريحة والأخبار الصحيحة!

-أن النبي- صلى الله عليه وسلم- كان يحضر في مجلسه الشريف أناس متفاوتون في الإدراك، فمنهم العالم، والجاهل، والذكي، والبليد، والأعرابي الجافي، ولم ينقل عنه أنه كان يحذر الناس من الإيمان بما يظهر من كلامه(٢).

-ومما يدل على بطلانه، استحالة كون النبي -صلى الله عليه وسلم- علم أمته كل شيء حتى الخراءة، وسكت عن بيان ما يقولونه بألسنتهم، ويعتقدونه في قلوبهم، في ربهم ومعبودهم، الذي معرفته غاية المعارف، ورد علمه إلى الله (٣).

-أن التفويض مناقض لقوله تعالى: {هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ} [سورة آل عمران:١٣٨]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة يونس:٥٧]، قال تعالى: ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [سورة الشعراء:١٩٥]، وقوله: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ٢٩﴾ [سورة ص:٢٩]، وقوله: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ [سورة المائدة:١٥]، ونحو ذلك.

-أن الله -عز وجل- ما وصف لنا نفسه بهذه الصفات إلا لنثبتها ونعرفه بها، والقول بالتفويض إثبات للفظ مفرغ عن المعنى، وهذا عدول عن المقصود في تعريفنا إياه وجهلٌ به(٤).

بهذا يتبين بطلان مذهب التفويض، وبراءة السلف منه، **كما يلزم من هذا المذهب أمور**(٥):

-عدم العلم بمعاني القرآن والحديث، وهذا ليس مما يحبه الله ورسوله، ولا شك ببطلان هذا.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/٤٢٧).

(٢) ينظر: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، لمرعي الكرمي (ص٨٥).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٥/٧).

(٤) ينظر: النصيحة في صفات الرب جل وعلا (٢١-٢٢).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٥/١٧٩-١٨٠).

-أن أصحاب هذا المذهب في الباطن يوافقون النفاة أو يقرونهم، ويعارضون المثبتة، فعُلم أنهم أقروا أهل البدعة وعادوا أهل السنة.

-يلزم منه الشك والحيرة؛ لأن من لم يثبت ولم ينف وقع في الشك، بخلاف من علم الحق بدليله الموافق لبيان رسوله -صلى الله عليه وسلم-، فليس للواقف الشاك الحائر أن ينكر على هذا العالم الجازم المستبصر المتبع للرسول العالم بالمنقول والمعقول.

-قوله: بأن مذهب التفويض هو مذهب السلف، وهو الأسلم.

تقدم أن محمد بن جعفر الكتاني ممن يميل إلى مذهب التفويض، ويقرر بأنه مذهب السلف وهو الأسلم والأحوط، وأيد النووي بقوله:" من العلماء من يمسك عن تأويلها ويقول نؤمن بأنها حق، وأن ظاهرها غير مراد، ولها معنى يليق بها، وهذا مذهب جمهور السلف، وهو أحوط وأسلم"(١).

وهذه العبارة من العبارات التي يروجها أهل البدع، ومعناها أن «طريقة الخلف فيها معرفة النفي الذي هو عنده الحق، وفيها طلب التأويل لمعاني نصوص الإثبات، فكان في هذه عندهم علم بمعقول وتأويل لمنقول ليس في الطريقة التي ظنها طريقة السلف، وكان فيه أيضا رد على من يتمسك بمدلول النصوص وهذا عنده من إحكام تلك الطريق.

ومذهب السلف عنده عدم النظر في فهم النصوص؛ لتعارض الاحتمالات، وهذا عنده أسلم؛ لأنه إذا كان اللفظ يحتمل عدة معان فتفسيره ببعضها دون بعض فيه مخاطرة، وفي الإعراض عن ذلك **سلامة من هذه المخاطرة**» (٢)، ولازم هذه المقولة -في الحقيقة -تصحيح المذهبين، لأن كلا المذهبين على أن نصوص الصفات ليست على ظاهرها لكن السلف أمسكوا عن تأويلها، والخلف رأوا المصلحة في تأويلها.

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :«وقد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف،... بمعنى أن الفريقين[أي: أهل التأويل والتفويض] اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى، ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها والمتأخرون رأوا المصلحة في

(١) جلاء القلوب (٢٠٨/١)، ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي (١٦٦/١٦).

(٢) درء تعارض العقل والنقل (٣٧٨/٥).

تأويلها؛ لمسيس الحاجة إلى ذلك، ويقولون: الفرق بين الطريقين أن هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل، وأولئك لا يعينون؛ لجواز أن يراد غيره، وهذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف... والله يعلم أني بعد البحث التام ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ما رأيت كلام أحد منهم يدل - لا نصا ولا ظاهرا ولا بالقرائن - على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر، بل الذي رأيته أن كثيرا من كلامهم يدل - إما نصا وإما ظاهرا - على تقرير جنس هذه» (١).

والحق كما قال ﷺ، فلم ينقل عن أحد من السلف أنه قال بالسكوت عن هذه الصفات، وقد سبق ذكر أقوال من يحكي إجماعهم على هذا، وهذا دليل بيّن على بطلان نسبة هذه المقولة إلى السلف، وبطلان مذهب الخلف، **ومما يبيّن بطلان هذه المقولة أيضا:**

-أن هذا فيه إساءة ظن بالسلف، حيث جعلوهم بمنزلة الصالحين البُلّه الذين لم يتبحروا في حقائق العلم بالله عز وجل، وأن الخلف هم أهل العلم الذين استخرجوا معاني النصوص بأنواع من المجازات والتأويلات، وهذا بلا ريب مخالف لما ثبت من تفضيل سلف هذه الأمة على خلفها (٢).

-أنه لا يتصور أن يكون الخلف الحيارى أهل التحريف أعلم بالله وصفاته من سلف أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، والذين اتبعوهم بإحسان، من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل (٣).

-أن السلف يردون تنازعهم لكتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، بينما الخلف، يردون التنازع إلى عقولهم، فكيف يقال بأن طريقة الخلف أعلم ومصدرها العقول؟ (٤)

---

(١) مجموع الفتاوى (٥/١٠٩-١١٠).

(٢) ينظر: الحموية (١٨٨) الصواعق المرسلة (١/١٦٥) مجموع الفتاوى (٥/١٠-١٢) فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب (٢٩).

(٣) ينظر: الحموية (١٩٦) مجموع الفتاوى (٥/١٠).

(٤) ينظر: فضل علم السلف على الخلف (١٨)، القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف (٤١٥-٤١٦).

-القائلين بهذه المقولة-عموما- جمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف، وهذا سببه ما يعتقدونه أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها هذه النصوص، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات لأن ظاهرها التشبيه عندهم، وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى، بقوا بين الإيمان باللفظ والسكوت عن المعنى وهي عندهم طريقة السلف برأيهم، وبين صرف اللفظ عن ظاهره وتحريف معناه وهي عندهم طريقة الخلف، فجمعوا بين فساد العقل والكفر بالنقل[1].

بهذا يتبين بطلان القول بأن مذهب السلف هو التفويض وهو الأسلم، إلا أن السلامة التي يمكن إثباتها في مذهب السلف هي السلامة من التحريف الذي وقع فيه أهل التأويل، ولا ريب أن هذا نوع من السلامة.

-إثبات بعض الصفات يقتضي التجسيم:

كان محمد بن جعفر الكتاني يفوض ويؤول بعض الصفات الإلهية، كالخبرية وبعض الصفات الفعلية، بحجة أن ظاهرها يقتضي التجسيم والتشبيه، يقول في ذلك: "أبقاها السلف كأمثالها في التشبيه، من الوجه والعين واليد والقدم والاستواء ونحوها على حالها، وآمنوا بها على حد علم الله تعالى فيها، لا على حد علمهم، من غير تأويل، مع التنزيه له تعالى عن الظاهر المستحيل"[2].

وحكم على من يثبت الصفات على ظاهرها وهو الحشوي المجسم - برأيه - بأنه لا يُكفّر، وعلل ذلك بقوله: " ومحل عدم تكفير معتقد الجسمية على الصحيح، أنه إذا اعتقد أنه تعالى جسم لا كالأجسام، أما إن اعتقد أنه جسم كالأجسام فهو كافر اجماعا، والاعتقاد الحق أن الله تعالى ليس بجسم" [3]، فقرر بأن الاعتقاد الحق هو نفي الجسمية عن الله تعالى.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٥/٩-١٠).

(٢) جلاء القلوب (٢/٤٠)، وينظر: جلاء القلوب (١/٢٠٧).

(٣) الكشف والبيان (٢٤٠).

وقرر في "نظم المتناثر" بأن من المتواتر كما قال: " أنه سبحانه وتعالى فوق سماوته، على عرشه على حسب ما يليق بكماله، من غير حلول، ولا كيف، ولا تمثيل ولا تشبيه، ولا جسمية"(١)، فنفى الجسمية عن الله تعالى.

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج المتكلمين في استعمال هذه الألفاظ المجملة، ويمكن مناقشته بما يلي:

لفظ الجسم من الألفاظ المجملة المبتدعة التي لم ترد في كتاب الله عز وجل، ولا سنة نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، ولا قال أحد من السلف الصالح أن الله بجسم أو ليس بجسم، يقول شيخ الإسلام رحمه الله مبينا سبب عدم إطلاق السلف لفظ الجسم لا نفياً ولا إثباتاً، أنه لوجهين: «**أحدهما**: أنه ليس مأثوراً لا في كتاب ولا سنة، ولا أثر عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ولا غيرهم من أئمة المسلمين، فصار من البدع المذمومة.

الثاني: أن معناه يدخل فيه حق وباطل، فالذين أثبتوه أدخلوا فيه من النقص والتمثيل ما هو باطل، والذين نفوه أدخلوا فيه من التعطيل والتحريف ما هو باطل»(٢).

-أنه إذا كان النفي والإثبات بدعة في الشرع(٣)، فيستفصل في معناه-كما سبق في بيان منهج السلف في الألفاظ المجملة-، فيقال له: ماذا أردت بلفظ الجسم الذي نفيته عن الله -عز وجل- وزعمت بنفيه تنزيه الله جل جلاله من التشبيه؟

فإن قال: أردت بالجسم الذي نفيته عن الله هو المركب من الأجزاء-عظام ولحم وغيرها-، والمركب مفتقر إلى جزئه، فهذه لا يجوز إثباتها لله لا لفظا ولا معنى.

أو قال: أردت بنفي الجسم نفي ما يُوصف بالصفات، ويُرى بالأبصار، ويتكلم ويُكلم، ويسمع ويبصر، ويرضى ويغضب.

---

(١) نظم المتناثر (٤٤).

(٢) منهاج السنة النبوية (٢/١٣٤).

(٣) ينظر: منهاج السنة النبوية (٢/١١٩) مجموع الفتاوى (٥/٤٣٤).

فيقال له: نفيك بهذا المعنى باطل؛ لأن هذه المعاني ثابتة للرب تعالى، وهو موصوف بها، فلا ننفيها عنه بتسميتك للموصوف بها جسما، كما أنا لا نسب الصحابة لأجل تسمية الروافض لمن يحبهم ويواليهم نواصب!

وهكذا كل من نفى ما أثبته الله ورسوله وقال إن هذا تجسيم فنفيه باطل لفظا ومعنى، وتسميته ذلك تجسيما تلبيس منه(١).

-مما يدل على بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني أن التجسيم إن كان لازما لبعض الصفات، فهو لازم للصفات الأخرى التي أثبتها، وبالعكس، أي إذا لم يكن التجسيم لازما للصفات التي أثبتها، فكذلك لا يلزم في الصفات التي فوضها أو أوّلها، وهكذا؛ فالقول في بعض الصفات كالقول في بعض(٢).

-أن هذه الطريقة نتج عنها نفي حقيقة صفات الكمال الثابتة لله عز وجل بالسمع والعقل- كصفة الكلام مثلا-وهذا يبين بطلان هذه الطريقة المبتدعة.

تبين بهذا أن لفظ الجسم لفظ مجمل، يحتمل حقا وباطلا، وهو لفظ مبتدع لم يرد في النصوص نفيا ولا إثباتا ، فلزم اجتنابه.

-شبهة حلول الحوادث.

هذه الشبهة يرددها نفاة الصفات كثيرا، وقد أوردها محمد بن جعفر الكتاني في بعض الصفات -كما سيأتي-، وبيانها: أنهم يقولون بنفي حلول الحوادث بذات الله تعالى، أي نفي ما يتعلق بالله من الصفات الفعلية والاختيارية التي تقوم بذاته، وأن ما حلت به الحوادث فهو حادث(٣).

---

(١) ينظر: تفسير سورة الإخلاص (ص٨٠-٨١) الصواعق المرسلة (٣/٩٣٩-٩٤٣) قطف الثمر (٤٦).

(٢) ينظر: التدمرية (٣١، ١٢١) شرح حديث النزول (١١٢-١١٣)، نقض التأسيس (٢/٢٥، ٦٤-٦٥) الصواعق المرسلة (١/٢٢٦-٢٢٧).

(٣) ينظر في شبهة حلول الحوادث: مجموع الفتاوى (٦/٩٠-٩١، ١٥٠، ٢٤٧-٢٥٦، ٢٨٤-٢٨٧، ٣٤٢-٣٤٤، ٨/١٥٠-١٥١)، منهاج السنة (٢/٢٢٤-٢٢٥)، رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٢/٧-١٠)، درء تعارض العقل والنقل (٢/١٢) شرح العقيدة الطحاوية (١/١٨٨-١٩١).

ومما قرره محمد بن جعفر الكتاني في هذا قوله:" يشكل إطلاقنا على الفعل أنه صفة لله حيث يقال: هذا من صفاته الفعلية، والصفة هي: المعنى القائم بالوجود، والفعل كالخلق والرزق حادث، فلا يقوم بالله تعالى، فكيف أطلق عليه: إنه صفة له؟ ...

وقد يجاب عنه بأن: الخلق والرزق ونحوهما ترجع إلى كون الذات تعلقت قدرته القديمة بشيء عنها، وهذا معنى إضافي اعتباري قائم بالخالق، بمعنى: تعلقه بالخالق، واتصاف الخالق به، وليس بصفة حقيقية متقررة فيه حتى يلزم كون القديم محلا للحوادث.

ونعني بهذا التعلق التنجيزي وهو أمر حادث عنده تحدث الحوادث، وهو من حيث انتسابه للعالَم صدور العالم، ومن حيث انتسابه إلى القدرة إيجاد القدرة للعالم، ومن حيث انتسابه إلى الذات الموصوفة بالقدرة القديمة خلق العالم، فمعنى الخلق: كون الذات تعلقت قدرته القديمة بشيء عنها، وهذا معنى إضافي اعتباري قائم بالخالق، بمعنى: تعلقه بالخالق، واتصاف الخالق به، وليس بصفة حقيقية متقررة فيه حتى يلزم كون القديم محلا للحوادث "(١).

وقوله بأن من المتشابه: "ألفاظ التشبيه الواردة في النعوت الذاتية والصفات الإلهية كالاستواء، والوجه، والعين، واليد، وغيرها مما يوهم الجارحة، أو الجسمية أو التحيز، أو نحوها من سمات الحدوث"(٢)، ونفيه بأن يكون ظاهرها مرادا.

ومن ذلك قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿لَمْ يَلِدْ﴾ **[سورة الإخلاص:٣]**: " لأنه سبحانه وتعالى قديم، والقديم لا يكون محلًّا للحادث"(٣).

وقرر بأن "ذاته العلية المنزهة عن مماثلة الحوادث"(٤)، كما قرر امتناع حوادث لا أول لها، حتى لزمه ذلك نفي الأفعال المتعلقة بمشيئته تعالى واختياره (٥).

النقد:

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٠/ب)، وينظر: تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٢).

(٢) جلاء القلوب (١/٢٠٧).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣/ب).

(٤) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٣)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣/ب).

(٥) ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٤/أ، ٣١/أ وما بعدها).

هذه الشبهة متهافتة ضعيفة على كثرة من يرددها من الأشاعرة، ويمكن مناقشتها وبيان بطلانها فيما يلي:

-أن حلول الحوادث أو قيام الحوادث بالله تعالى، لا يقبل نفيه ولا إثباته في حق الله سبحانه وتعالى من جهة اللفظ؛ لأنه من الألفاظ المجملة التي لم يرد نفيها ولا إثباتها في الشرع(١)، أما المعنى فيستفصل عنه، فإذا كان المراد به ما دلت النصوص على نفيه عن الله تعالى فهو حق، ولا حاجة لهذا اللفظ المحدث، وإن كان المراد بذلك ما دلت النصوص الشرعية على إثباته، مما وصف الله به نفسه، فهذا باطل، ولا يضُر الحق أن يسمّى بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

يقول شارح الطحاوية رحمه الله: «وحول الحوادث بالرب تعالى المنفي في علم الكلام المذموم، لم يرد نفيه ولا إثباته في كتاب ولا سنة، وفيه إجمال: فإن أريد بالنفي أنه -سبحانه- لا يحل في ذاته المقدسة لشيء من مخلوقاته المحدثة، أو لا يحدث له وصف متجدد لم يكن، فهذا نفي صحيح، وإن أريد به نفي الصفات الاختيارية، من أنه لا يفعل ما يريد، ولا يتكلم بما شاء إذا شاء، ولا أنه يغضب ويرضى لا كأحد من الورى، ولا يوصف بما وصف به نفسه من النزول والاستواء والإتيان كما يليق بجلاله وعظمته، فهذا نفي باطل، وأهل الكلام المذموم يطلقون نفي حلول الحوادث، فيُسلّم السّني للمتكلم ذلك، على ظن أنه نفى عنه سبحانه ما لا يليق بجلاله، فإذا سلّم له هذا النفي ألزمه نفي الصفات الاختيارية وصفات الفعل، وهو غير لازم له، وإنما أُتي السّني من تسليم هذا النفي المجمل، وإلا فلو استفسر واستفصل لم ينقطع معه»(٢).

بهذا الاستفصال، يمتنع التلازم المزعوم من أن حدوث الصفة حدوث للموصوف.

-أن النصوص الشرعية، وكلام السلف والأئمة، ليس فيه إنكار قيام هذه الصفات به تعالى، متى شاء إذا شاء(٣)، ولو كان هذا مما ينزه الله عنه -كما يرى- لكان الكتاب والسنة أولى بذلك، ولا سيما مع كثرة النصوص الدالة على قيام الأفعال الاختيارية به سبحانه.

-إن تعلق بعض الصفات الفعلية بمشيئته وحكمته، دليل كمال عقلا وشرعا، لا كما يرون.

---

(١) سبق بيان موقف السلف من الألفاظ المجملة (ص٢٤٣).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (١٨٩/١)، وينظر: درء تعارض العقل والنقل (١٢/٢).

(٣) ينظر: منهاج السنة (٢٩٨/٢)، رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٤/٢).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله في معرض مناقشته لهذه الشبهة: « إذا قُدّر ذات تفعل شيئا بعد شيء، وهي قادرة على الفعل بنفسها، وذات لا يمكنها أن تفعل بنفسها شيئا، بل هي كالجماد الذي لا يمكنه أن يتحرك، كانت الأولى أكمل من الثانية، فعدم هذه الأفعال نقص بالضرورة، وأما وجودها بحسب الإمكان فهو الكمال، ويقال، ...لا نسلم أن عدم هذه مطلقا نقص ولا كمال، ولا وجودها مطلقا نقص ولا كمال، بل وجودها في الوقت الذي اقتضته مشيئته وقدرته، وحكمته هو الكمال ووجودها بدون ذلك نقص، وعدمها مع اقتضاء الحكمة عدمها كمال، ووجودها حيث اقتضت الحكمة وجودها هو الكمال»(١).

-مما يبين فساد هذه الشبهة، أن محمد بن جعفر الكتاني مع ما قرره أثبت بعض الصفات التي يلزم من إثباتها حلول الحوادث على ما يراه، كصفة الكلام، والسمع والبصر والإرادة، وهذا تناقض بلا شك، وقد أدرك هذا التناقض، ثم قرر أزلية هذه الصفات، وأنها لازمة لذات الله أزلا وأبدا، وهذا خلاف المعقول والمنقول، ويبقى ما قرره متناقضا؛ لأن حلول الحوادث إذا كان لازما لبعض الصفات فهو لازم للصفات الأخرى التي أثبتها؛ لأن القول في بعض الصفات كالقول في بعض(٢).

-ظاهر نصوص الصفات غير مراد:

سبق أن محمد بن جعفر الكتاني كان يرى بأن ظواهر بعض نصوص الصفات مستحيل؛ لأنه موهم للتشبيه، وهو غير مراد، وترجيحه لمذهب التفويض على مذهب التأويل؛ لأن التأويل -كما قرر-فيه سوء أدب، وإكذاب للحق-تعالى- والرسل، وهو كمن يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض(٣)، وقد قال:" والتمسك في أصول العقائد بمجرد الظواهر هو أصل ضلالة الحشوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/١٠٧-١٠٨).

(٢) ينظر: التدمرية (٣١، ١٢١)، شرح حديث النزول (١١٢-١١٣).

(٣) ينظر: جلاء القلوب (١/١٢٩، ٢٠٧، ٢/٣٨، ٤٠، ٢٠٤)، الرسالة المستطرفة (٣٠)، حاشية على شرح ميارة (ل ٢٩/أ).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٠/أ)، وينظر: الكشف والبيان (٢٣٨-٢٣٩).

- **النقد:**

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني متعقب بما يلي:

-الأصل في نصوص الكتاب والسنة عند السلف الصالح هو حملها على الظاهر والحقيقة، مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، بحيث لا يتبادر إلى أذهانهم إلا التعظيم والتنزيه(١).

وبناءً على هذا الأصل كان السلف يُفسرون نصوص الوحيين على المعنى الظاهر لها، ويعتقدون وجوب العمل به، ولا يعدلون عن ظاهر كتاب الله ﷻ وسنة رسول-صلى الله عليه وسلم- في حال من الأحوال، حتى يرد دليل شرعي صارف عن المعنى الظاهر إلى المحتمل المرجوح (٢)، وقد نقل غير واحد من أئمة السلف إجماعهم على هذا (٣).

وقول محمد بن جعفر الكتاني وغيره بأن ظواهر نصوص الصفات غير مراد، يحتاج إلى تفصيل؛ لأن «لفظة "**الظاهر**" قد صارت مشتركة، فإن الظاهر في الفطر السليمة واللسان العربي والدين القيم ولسان السلف غير الظاهر في عرف كثير من المستأخرين»(٤)، فقد يُراد بالظاهر ما يظهر من النصوص مما يليق بالله تعالى، وقد يُراد به ما يُفهم من صفات المخلوقين.

يقول الذهبي رحمه الله مزيلاً للبس، ومبينًا الفرق بين الظاهر عند أهل السنة، والظاهر عند المتكلمين: «المتأخرون من أهل النظر قالوا مقالة مولدة ما علمت أحدًا سبقهم بها، قالوا: هذه الصفات تمر كما جاءت ولا تؤول، مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد، فتفرع من هذا أن الظاهر يعنى به أمران:

---

(١) ينظر: ذم التأويل لابن قدامة (ص٤٥)، مجموع الفتاوى (٣٥٦/٦)، مدارج السالكين (٨٥/٢).

(٢) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٦٥٩/٩)، (٤٦٣/١٠)، ذم التأويل (ص١١- وما بعدها)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٦٩/٧).

(٣) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي (٤٣٢/٣)، كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة (١٨/١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٤٥/٧)، الحجة في بيان المحجة (١٠١/١)، ذم التأويل، (ص١١)، التدمرية، (٦-٨)، درء تعارض العقل والنقل (١٠٨/٧-١٠٩)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب (١٠٠/٥).

(٤) التسعينية (٥٥٧/٢).

- **أحدهما**: أنه لا تأويل لها غير دلالة الخطاب، كما قال السلف: الاستواء معلوم، ...يعني أنها بينة واضحة في اللغة لا يبتغي بها مضائق التأويل والتحريف، وهذا هو مذهب السلف، مع اتفاقهم أيضاً أنها لا تشبه صفات البشر بوجه، إذ الباري لا مثل له لا في ذاته، ولا في صفاته.
- **الثاني**: أن ظاهرها هو الذي يتشكل في الخيال من الصفة، كما يتشكل في الذهن من وصف البشر، فهذا غير مراد، فإن الله فرد صمد، ليس له نظير، وإن تعددت صفاته فإنها حق، ولكن ما لها مثل ولا نظير»[١].

يتبين بهذا أنه إن أُريد بالظاهر منها ما يشبه صفات المخلوقين، كأن يكون لله ﷻ عين كأعين المخلوقين، أو غضب كغضبهم ونحو ذلك، فلا شك بأن هذا غير مراد قطعا، ومن قال بأن ظواهر النصوص من هذه المعاني غير مراد فقد أصاب، لكنه أخطأ بجعل هذا هو ظاهر النصوص، فالله عز وجل لم يجعل ظاهر القرآن والحديث كفرا وباطلا [٢]، إلا إذا كان هذا المعنى صار يظهر لبعض الناس فيكون مصيباً معذورا، والأحسن من هذا «أن يبين لمن اعتقد أن هذا هو الظاهر، أن هذا ليس هو الظاهر، حتى يكون قد أعطى كلام الله وكلام رسوله حقه لفظاً ومعنى» [٣] .

وإن أريد بالظاهر منها ما يظهر من آيات وأحاديث الصفات من المعاني اللائقة بجلال الله وعظمته فلا ريب بأن هذا مراد، فإن قال بأن الظاهر غير مراد على هذا المعنى فقوله باطل؛ لأن هذا هو الظاهر منها[٤]، وهو قول أهل السنة والجماعة قاطبة –كما سبق-.

-مما يُرد به على من يتوهم بأن ظواهر النصوص التشبيه، بأن يقال: «لم يقل أحد من أهل السنة: إذا قلنا إن لله علما وقدرة وسمعا وبصرا إن ظاهره غير مراد ثم يفسر بصفاتنا، فكذلك لا

(١) العلو للعلي الغفار (ص٢٥١).
(٢) ينظر: التدمرية (٦٩).
(٣) الفتوى الحموية (٥٢٩).
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/٢٠٧)، (٦/٣٥٦-٣٥٨)، التدمرية (٦٩- وما بعدها)

يجوز أن يقال: إن ظاهر اليد والوجه غير مراد؛ إذ لا فرق بين ما هو من صفاتنا جسم، أو عرض للجسم»(١).

ومحمد بن جعفر الكتاني لما قرر بأن ظواهر النصوص التشبيه، وقع في محذور يقع فيه من يقول بأن الظاهر هو التشبيه وهو التفويض والتأويل، بحجة نفي التشبيه والتجسيم (٢).

يقول العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : « والجاهل المفتري الذي يزعم أن ظاهر آيات الصفات لا يليق بالله لأنه كفر وتشبيه، إنما جر إليه ذلك تنجيس قلبه، بقذر التشبيه بين الخالق والمخلوق، فأدّاه شؤم التشبيه إلى نفي صفات الله جل وعلا، وعدم الإيمان بها، مع أنه جل وعلا هو الذي وصف بها نفسه، فكان هذا الجاهل مشبها أولا، ومعطلا ثانيا، فارتكب ما لا يليق بالله ابتداء وانتهاء، ولو كان قلبه عارفاً بالله كما ينبغي، معظما لله كما ينبغي، طاهرا من أقذار التشبيه، لكان المتبادر عنده السابق إلى فهمه: أن وصف الله جل وعلا بالغٌ من الكمال والجلال ما يقطع أوهام علائق المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين، فيكون قلبه مستعدا للإيمان بصفات الكمال والجلال الثابتة لله في القرآن والسنة الصحيحة، مع التنزيه التام عن مشابهة صفات الخلق»(٣) .

- قوله عن مذهب السلف الصالح في الصفات بأنه مذهب التشبيه والتجسيم، أو بأنهم مجسمة وحشوية:

تقدم قوله بأن:" التمسك في أصول العقائد بمجرد الظواهر هو أصل ضلالة الحشوية، فقالوا بالتشبيه والتجسيم والجهة"(٤).

وقال في بيان معنى الحشوية:" الحشوية بسكون الشين نسبة للحشو؛ لأنهم يقولون في القرآن كلام حشو لا معنى له، وبفتحها نسبة إلى الحشا، وهو الجانب لقول الحسن البصري لما

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٥٦/٦).

(٢) ينظر: التدمرية (٦٩).

(٣) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، (٣١/٢).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٠/أ).

تكلموا معه، وهم في أمام حلقه درسه، ووجد كلامهم ساقطا مخالفا لما عليه الجماعة، ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أي جانبها"(١).

وقال: "وقلت: ومحل عدم تكفير معتقد الجسمية على الصحيح إن اعتقد أنه تعالى جسم لا كالأجسام، أما إن اعتقد أنه جسم كالأجسام فهو كافر إجماعا "(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]، يرد به على المجسّمة القائلين بأنَّ الله جسم، واعلم أنَّ من اعتقد أنَّ الله جسم كالأجسام فهو كافر، ومن اعتقد أنه جسم لا كالأجسام فهو عاصٍ غير كافر، والاعتقاد الحقّ: أنَّ الله ليس بجسم ولا صفة، ولا يعلم ذاته إلَّا هو.

ويردُّ أيضًا على الجهوية القائلين: إنَّ الله في جهة الفوق، وفي كفرهم: قولان، والمعتمد: عدم كفرهم، وأمَّا أهل السنة فهم مبرؤون من القول بالجهة البتة"(٣).

النقد:

هذه الألفاظ جيء بها لتنفير الناس عن منهج السلف وأهل الحديث في مسائل الصفات، يقول أبو المظفر السمعاني رحمه الله : « **قد لهج بذم أصحاب الحديث صنفان**: أهل الكلام، وأهل الرأي، فهم في كل وقت يقصدونهم بالثلب والعيب، وينسبونهم إلى الجهل وقلة العلم، واتباع السواد على البياض،...وفي الحقيقة ما ثلموا إلا دينهم، ولا سعوا إلا في هلاك أنفسه»(٤).

وما نبزوا به أهل السنة والجماعة من قولهم: الحشوية، أو النابتة، أو المشبهة، هذه وغيرها كلها أسماء مصنوعة لم يأت بها خبر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وإنما صنعها أهل

---

(١) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٧).

(٢) الكشف والبيان (٢٤٠-٢٤١)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٨/أ).

(٣) حاشية على شرح ميارة (٢٨/ب)، وينظر: الكشف والبيان (٢٤٠).

(٤) فصول من كتاب الانتصار لأصحاب الحديث للسمعاني (ص١-٢).

البدع؛ كما قرر ابن قتيبة وغيره(١)، بل هي من علامات أهل البدع كما قرر ابن أبي حاتم رحمه الله(٢)(٣).

ومعناها: أن أهل السنة والجماعة أصحاب الحديث والأثر من حشو الناس وسقطهم(٤)، وهذا ما أشار إليه محمد بن جعفر الكتاني في تقريره السابق، فلا يعتد بكلامهم في العقيدة؛ لأنهم لم يتعمّقوا كما تعمّق غيرهم في التأويل، وكل من آمن بظواهر النصوص، ولم يشتغل بصرفها، أو تفويضها فهو حشوي عندهم بعيد عن التحقيق، والحقيقة أن العكس هو الصحيح، فهم أولى بهذا الوصف من أهل الحديث؛ لأنهم من أعظم الناس قولا وحشوا للآراء، الذي لا تعرف صحته، بل يعلم بطلانه(٥).

أما قولهم عن أهل الإثبات بأنهم مشبّهة وذلك أنهم شبّهوا الله بخلقة لما أثبتوا ظواهر النصوص، فهذا مجانب للصواب فمذهب الإثبات هو مذهب السلف الصالح، ولم يكن السلف مشبهة، بل كانوا يعتقدون نفي تشبيه وتمثيل الخالق بالمخلوق، يقول ابن أبي زمنين رحمه الله: «فهذه صفات ربنا التي وصف بها نفسه في كتابه، ووصفه بها نبيه -صلى الله عليه وسلم-، وليس في شيء منها تحديد ولا تشبيه ولا تقدير، فسبحان من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، لم تره العيون فتحده كيف هو كينونيته»(٦)، وفي الحقيقة أنهم هم المشبّهة؛

---

(١) ينظر: تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة (ص٨٠-٨١) وينظر: كلام شيخ الإسلام في أول من اخترع مسمى الحشوية: بيان تلبيس الجهمية (٢٤٤/١)، منهاج السنة (٣٠٩/٢).

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس التميمي الحنظلي، أبو محمد، إمام سلفي حافظ، من مؤلفاته: الجرح والتعديل، مناقب الإمام الشافعي، توفي عام ٣٢٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٦٣/٢٥)، طبقات الشافعية (٣٢٤/٣).

(٣) ينظر: شرح اعتقاد أصول أهل السنة والجماعة (١٧٩/١).

(٤) وقد أشار إلى هذا المعنى أهل اللغة، منهم ابن منظور حيث يقول: «والحشو من الكلام الفضل الذي لا يعتمد عليه، وكذلك هو من الناس، وحشوة الناس: رذالتهم»، لسان العرب، مادة (حشا)، (١٧٨/١٤).

(٥) ينظر: نقض المنطق (٦٧)، شرح القصيدة النونية، للهراس (٣٦٤/١-٣٦٥).

(٦) أصول السنة، لابن أبي زمنين (ص ٧٤).

لأنهم توهموا أن ظواهر النصوص التشبيه ،كما توهم محمد بن جعفر الكتاني في ظواهر الصفات، فحرفوا الصفات، أو عطلوا المعاني التي أثبتها الله لنفسه في كتابه العزيز.

أما لمزهم بالمجسمة فليس غريبا؛ إذ كل نفاة الصفات يسمون من أثبتها مجسما؛ لشبهتهم في أن إثبات الصفات يستلزم التجسيم -وقد سبق بيانها-، ويلزم من قولهم إن كل ما جاء به الكتاب والسنة، وما فطر الله عليه عبادة وما عليه سلف الأمة وأئمتها تجسيما!![1]

ولفظ المكان والجهة من الألفاظ المجملة التي يُستفصل فيها-كلفظ الجسم-، فلفظ المكان، يقال لمن أطلقه: ماذا تريد بالمكان الذي نفيته عن الله عز وجل؟

فإن قال: أريد أن الله عز وجل لا يحيط به غيره، ولا هو مفتقر إلى أحد، أو قال أريد بالمكان المكان الوجودي، فيكون ما نفاه من المكان بهذا المعنى صواب.

وإن قال: أريد بالمكان المكان العدمي، بأن الله عز وجل ليس فوق العالم، فقد أخطأ بنفي المكان عن الله عز وجل بهذا المعنى؛ لأن الله بائن عن المخلوق ليس فوقه شيء سبحانه وتعالى[2].

وينبغي أن يُرشد صاحب المعنى الصحيح إلى الألفاظ الشرعية الثابتة، أو أن يبين مراده عند إطلاقها؛ حتى يحصل التعريف بالحق بوجه شرعي، ولأن هذه ألفاظ مجملة تحتمل الحق وغيره، وتحوي معان مشتبهة تؤدي إلى التنازع والتخاصم[3].

ويقال لمن أطلق لفظ الجهة: ماذا تريد بلفظ الجهة الذي نفيته عن الله؟

فإن قال: أردت أنه تعالى ليس داخل المخلوقات، أو أنه ليس في جهة سفل، أو: أردت بالجهة أمر وجودي- أي الأمكنة الوجودية-فيُقال له: أخطأت في إطلاق لفظ الجهة؛ لأن هذه اللفظة لم ترد في كتاب الله ولا في سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-، وأصبت في المعنى، فالله -عز وجل- ليس في جهة سفل، ولا هو داخل في المخلوقات والمخلوقات تحيط به، وإنما هو سبحانه عال على مخلوقاته مستو على عرشه، وهو مباين لخلقه غير مختلط بهم.

---

(١) ينظر: نقض التأسيس (٦٢٦/١).

(٢) ينظر: منهاج السنة النبوية (٨٣/٢)، درء تعارض العقل والنقل (٣١٣/٦-٣١٥).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١١٤/١٢).

وإن قال: أردت أن الله تعالى ليس في جهة علو، وأنه غير مستو على عرشه، أو: أردت بالجهة أمر عدمي-أي جهة العدمية-- فيُقال له: أخطأت في اللفظ والمعنى؛ لأن ما نفيته من المعنى بهذه الألفاظ المحدثة ثابت بالأدلة القاطعة، فلا يكون هذا اللفظ الحادث سببا في نفي ما ثبت عن الله من صفات الكمال [(١)].

هذا ما يمكن الاستفصال عنه، ويقول شيخ الإسلام رحمه الله باعتبار المعاني الأخرى للجهة عند المتكلمين: «لفظ الجهة قد يراد به شيء موجود غير الله فيكون مخلوقًا، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش أو نفس السماوات، وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى، كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم، ... فيقال لمن نفى الجهة: أتريد بالجهة أنها شيء موجود مخلوق، فالله ليس داخلاً في المخلوقات، أم تريد بالجهة ما وراء العالم، فلا ريب أن الله فوق العالم بائن من المخلوقات.

وكذلك يقال لمن قال: إن الله في جهة، أتريد بذلك أن الله فوق العالم؟ أو تريد به أن الله داخل في شيء من المخلوقات؟، فإن أردت الأول فهو حق، وإن أردت الثاني فهو باطل»[(٢)].

أما قول الكتاني بتقريره السابق: "والاعتقاد الحق أن الله تعالى ليس بجسم ولا صفة"[(٣)]، فهذا فرار من التشبيه وغلوّ في التنزيه إلى حد التعطيل؛ لأن الذي لا يوصف بشيء هو المعدوم[(٤)]، وقد نقل محمد بن جعفر الكتاني نفسه بأن من الجهل:" من أثبت الأحكام بدون

---

(١) ينظر: التدمرية (٦٦/٦٧) بيان تلبيس الجهمية (٤٧/١)، درء تعارض العقل والنقل (٢٥٣/١-٢٥٥)، مجموع الفتاوى (٢٩٩/٥)، (٦٦٣/٧-٦٦٤)، منهاج السنة النبوية (٣٣٤/٢-٣٣٥)، الصواعق المرسلة (٩٣٥/٣، ٩٤٧).

(٢) التدمرية/ (٦٦-٦٧)، وينظر: مجموع الفتاوى (٢٦٢/٥-٢٦٣، ٢٩٩، ٣٨/٦-٣٩)، درء التعارض (٢٥٣/١-٢٥٤)

(٣) الكشف والبيان (٢٤٠).

(٤) ينظر: التدمرية (٣٩)، بيان تلبيس الجهمية (٦٦٣/٣).

الصفات، فقال: الله عالم بغير علم، قادر بغير قدرة، وهو مذهب المعتزلة "(١)، وقال في حكمهم:" قلت والراجح كما ذكره عياض في الشفا وغيره عدم تكفيرهم، لكنه يغلظ عليهم بوجيع الأدب، وشديد الزجر والهجر، حتى يرجعوا عن بدعتهم"(٢).

فأقر بأن نفي الصفات بدعة يجب التغليظ على صاحبها وزجره وهجره، فيُرد عليه به، فهذا هو الحق، إلا أنه غلط فأطلق نفي الصفات في معرض تنزيهه لله عن التشبيه فزلّ مع كونه أثبت الصفات لله عموما، ومن تقريراته العامة بهذا قوله: " وأسماء النبي -صلى الله عليه وسلم -كأسماء الله تعالى، كما قاله ابن القيم: أعلام دالة على معان هي أوصاف مدح، فلا تُضاد فيها العَلَميَّة الوصفيَّة"(٣)، فأقر بأن أسماء الله تعالى أعلام وأوصاف، وقد وقرر بعض القواعد التي قد تُشعر بموافقته للسلف في الصفات- كما سبق-، وكما سيأتي بيان رأيه تفصيلا فيها بما يلي:

المسألة الثانية: آراء محمد بن جعفر الكتاني في صفات الله تفصيلا:

- أولا: رأيه في الصفات الذاتية:

أثبت محمد بن جعفر الكتاني الصفات السبع وجعلها في تقسيمه من صفات المعاني على ما قرره الأشاعرة، ورأيه فيها تفصيلا ما يلي:

-رأيه في صفة العلم:

أثبت محمد بن جعفر الكتاني بأن علم الله عز وجل واحد لا يتعدد، حيث قال في علم الله: " هو صفة من صفاته الأزلية الأبدية القائمة بذاته العلية، المنزهة عن التغير والنقص والزيادة والمشاركة والانقسام، والمحو والإثبات وغيرها من سمات الحوادث "(٤).

---

(١) الكشف والبيان (٢٣٦)، عمدة الراوين (٤٠/٩) وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٤/أ).

(٢) الكشف والبيان (٢٣٦)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٤/أ).

(٣) ختم الموطأ (٦٧).

(٤) جلا القلوب (١٢٣/١).

وقال: "مذهب جماعة من الأشاعرة أنه صفة واحدة لا تعدد فيها، ...فإن قلنا إن العلم نسبة خاصة كما قيل به في الصفات، وأنها نسب واعتبارات، وهو مذهب الصوفية فالنسب ليست بشيء موجود في الخارج، تتعلق الرؤية بخصوصه، وإنما هي أمور اعتبارية"(١).

وقال عن الله تعالى:" خلق العالم بما فيه وأخرجه من العدم، على وفق ما سبق في علمه القديم"(٢)، وقال في تنزيه الله:" منزها عن حدوث الكلام والعلم والإرادة"(٣).

وقال: "واعلم أن للعلم تعلقًا تنجيزيًّا قديمًا، وهو انكشاف جميع الأمور له أزلًا"(٤).

فقرر بأن علم الله لا يتجدد، وإنما الذي يتجدد هو مجرد التعلق بين الصفة ومقتضاها، وهذا التعلق هو مجرد نسب وإضافات، وهي لا وجود لها في الخارج.

النقد:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في كون علم الله-عز وجل- واحد أزلي لا يتجدد بتجدد المعلومات، هو ما قرره الأشاعرة، فقد أثبتوا صفات المعاني وقالوا بأنها صفات أزلية، فرارا من التشبيه، ومن القول بحلول الحوادث بالله تعالى، يقول البغدادي: "أجمع أصحابنا على أن قدرة الله -عز وجل-، وعلمه، وحياته، وإرادته، وسمعه، وبصره، وكلامه، صفات له أزلية"(٥).

وما قرره مخالف للكتاب والسنة، وما عليه السلف الصالح، وهو قول باطل من عدة أوجه:

-أن ما قرره مخالف للأدلة ولما جاء عن سلف الأمة، فأن الله عز وجل عالم بما كان، وما يكون، وما لو كان كيف يكون، مع أنه تعالى قد أخبر بأن علمه قد أحاط بكل شيء قبل

---

(١) جلا القلوب (٣٣٥/١).

(٢) المرجع السابق (١٧٤/٢)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣١/أ-ب).

(٣) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٢).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٨/ب-٣٩/أ).

(٥) أصول الدين (١١٣).

كونه، وهذا " هو الذي يدل عليه صحيح المنقول، وعليه دل القرآن في أكثر من عشرة مواضع، وهو الذي جاءت به الآثار عن السلف"(١).

ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، قال جمع من أهل العلم في هذه الآية:" قالوا: لنعلمه موجودا واقعا بعد أن كان قد عُلم أنه سيكون، ولفظ بعضهم قال: العلم على منزلتين: علم بالشيء قبل وجوده، وعلم به بعد وجوده، والحكم للعلم به بعد وجوده لأنه يوجب الثواب والعقاب، قال فمعنى قوله: لنعلم، أي: لنعلم العلم الذي يستحق به العامل الثواب والعقاب، ولا ريب أنه كان عالما سبحانه بأنه سيكون، لكن لم يكن المعلوم قد وجد، وهذا كقوله:﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة يونس:١٨]، أي بما لم يوجد فإنه لو وجد لعلمه، فعلمه بأنه موجود ووجوده متلازمان، يلزم من ثبوت أحدهما ثبوت الآخر ومن انتفائه انتفاؤه"(٢).

-قول الكتاني بأن الصفات نسب واعتبارات، هو ما قرره الأشاعرة حيث قرروا بأن الصفات لا تتجدد، وإنما الذي يتجدد هو مجرد التعلق بين الصفة ومقتضاها، وعرفوا التعلق بأنه: "طلب الصفة أمرا زائدا على الذات"(٣)، وهذا التعلق كما قرر الكتاني مجرد نسب لا وجود لها بالخارج، وقد قال بنفسه عن هذا التعلق: "معرفة التعلقات غير واجبة على المكلف؛ لأنها من غوامض علم الكلام"(٤)، فهذه من المسائل الغامضة في علم الكلام كما قرر هو وغيره، وحقيقتها أنهم لا يثبتون تجدد حقيقة الصفات لله تعالى -ومنها العلم وسائر الصفات الفعلية-؛ لأن النسب الاعتبارية الغير موجودة في الخارج عدم، والعدم لا يتجدد.

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٠/١٧).
(٢) الرد على المنطقيين (١/٤٦٦-٤٦٧).
(٣) تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد (١٤٢).
(٤) الكشف والبيان (٢٣٧).

يقول الكتاني في التعلق التنجيزي: " فهي حينئذ إضافات واعتبارات، ولا محذور في اتصاف الباري تعالى؛ ... لأنه لا وجود لها في الخارج حتى يلزم من اتصافه تعالى بها كونه محلا للحوادث "(١).

يقول ابن تيمية-رحمه الله- في الرد عليهم بهذا:" يقال لهم: هذا التعلق إما أن يكون وجودا وإما أن يكون عدما، فإن كان عدما فلم يتجدد شيء؛ فإن العدم لا شيء، وإن كان وجودا بطل قولهم، وأيضا فحدوث " تعلق " هو نسبة وإضافة من غير حدوث ما يوجب ذلك ممتنع، فلا يحدث نسبة وإضافة إلا بحدوث أمر وجودي يقتضي ذلك"(٢).

وقول محمد بن جعفر الكتاني بهذا التعلق العدمي -في الحقيقة-فرار من القول بحلول الحوادث، مع إقراره بأنه هذه التعلقات نسب اعتبارية لا وجود لها في الخارج، وأنها من غوامض علم الكلام، وهي كذلك.

- أن تجدد علم الله تعالى وتكثره يدل على كماله؛ لأن:" الرب إله واحد، وإنما يستلزم تكثر علمه وكلماته، وهذا حق، وهو من أعظم كمالاته"(٣).

-أنه قد جعل دليله على صفة العلم العقل، لأنه قال:

وقـــدرة إرادة ثم الحيـــاة والعلم والدليل خلق الكائنات

وهذا ليس منهج السلف الصالح-رحمهم الله- الذي يقوم على الإقرار بما ورد في الكتاب والسنة، وإن لم نعلمه بعقولنا، وقد سبق بيان بطلان هذا في تقسيمه للصفات.

-ما قرره الكتاني في قدم علمه الله، وأنه لا يتجدد ولا يتعدد، مخالف لما أجمع عليه السلف الصالح، فقد نقل الإمام ابن بطة رحمه الله الإجماع على أن الله -عز وجل- لم يزل عالما، حيث يقول: «فإن أهل الإثبات من أهل السنة، يجمعون على الإقرار بالتوحيد وبالرسالة، ... وأن الله على عرشه بائن من خلقه، وعلمه محيط بالأشياء، ... لم يزل عالما، ناطقا ، سميعا ، بصيرا، حيا ، حليما ، قد علم ما يكون قبل أن يكون، ... هذا وأشباهه مما يطول شرحه، لم

---

(١) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٢٢٩).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (١٠/٧٧).

يزل الناس مذ بعث الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- إلى وقتنا هذا مجمعون عليه في شرق الأرض وغربها، وبرها وبحرها، وسهلها وجبلها، يرويه العلماء رواة الآثار، وأصحاب الأخبار، ويعرفه الأدباء والعقلاء، ويجمع على الإقرار به الرجال والنسوان، والشيب والشبان، والأحداث والصبيان، في الحاضرة والبادية، والعرب والعجم، لا يخالف ذلك ولا ينكره ولا يشذ عن الإجماع مع الناس فيه إلا رجل خبيث، زائغ، مبتدع، محقور، مهجور، مدحور، يهجره العلماء، ويقطعه العقلاء، إن مرض لم يعودوه، وإن مات لم يشهدوه»(١).

-رأيه في الإرادة والقدرة:

يرى محمد بن جعفر الكتاني بأن قدرة الله-عز وجل-وإرادته شاملة للممكنات، حيث يقول في بيان اسم الله القدير: " تام القدرة، فلا يعجزه شيء من الممكنات، ولا حجر عليه في ملكه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد"(٢).

غير أنه يرى قدم وأزلية إرادة الله عز وجل وقدرته، حيث قال بعد سرده لأنوع تعلقات القدرة والإرادة خلاصة رأيه فيها، وهو أن تعلقهما:" تعلقًا صلوحيا قديما؛ أي: صالحًا للتأثير في كل ممكن، وليس المراد تعلقًا تنجيزيًّا؛ لأن ما لا يدخل في الوجود من الممكنات لا ينحصر، فأين التأثير فيه الذي هو التعلق التنجيزي؟"(٣).

ونقل بأن من الجهل تخصيص المعتزلة متعلق القدرة والإرادة ببعض الممكنات(٤)، كما نقل بأن من الجهل " الجهل بقدم الصفات، مع الاعتراف بها، كجهل الكرامية(١) في قولهم أن الإرادة حادثة، وفي التكفير بذلك قولان، والصحيح عدم التكفير"(٢).

---

(١) الإبانة (٢/٥٥٧-٥٥٨).

(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل١٤-١٥)، وينظر: جلاء القلوب (١/٢٤٦-٢٤٨)، حاشية على شرح ميارة (ل ٣٨/ب، ٤٣/أ).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٧/ب)، وينظر: تشنيف المسامع (ل ١٢).

(٤) ينظر: الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان (٢٣٧)، ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣١/أ).

وقال: "و مما قد يعتقده بعض العامة وربما لا يهتدي لمعرفة حكمه مما سبق ثبوت التأثير لقدرة الله تعالى بنفسها وذلك كفر" (٣)، وسبق قوله عن الله:" منزها عن حدوث الكلام والعلم والإرادة"(٤).

النقد:

القول بأزلية القدرة والإرادة، وإثبات التعلق الصلوحي القديم؛ ونفى التعلق التنجيزي وتأثيره صراحة قول باطل؛ لأن الله ﷻ موصوفا بالإرادة والقدرة ولم يزل -سبحانه- قادرا مريدا، ومن الأدلة على ذلك: قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [سورة يس:٨٢]، وإذا ظرفية، تجعل الفعل الماضي للاستقبال، ففي هذه الآية إثبات إرادة مستقبلية تتعلق بالمراد(٥).

وقال عز وجل: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [سورة الأنعام:٦٥].

يقول الخطابي-رحمه الله-:" ووصف الله نفسه بأنه قادر على كل شيء، أراده: لا يعترضه عجز ولا فتور، وقد يكون القادر بمعنى المقدر للشيء"(٦).

والأدلة من كتاب الله وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم -كثيرة جدا على كون الله موصوفا بالقدرة والإرادة ولم يزل سبحانه مريدا؛ وهي بصيغة الماضي والمضارع.

---

(١) الكرامية: هم أتباع أبي عبد الله محمد بن كرام السجستاني، المتوفى عام٢٥٥هـ، لهم بدع عديدة، منها، القول بالإرجاء وأن الإيمان مجرد الإقرار باللسان، والقول بالتجسيم، ينظر: مقالات الإسلاميين (١٤١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٦٧).

(٢) الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان (٢٤١)، عمدة الراوين (٩/٤٠)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٤/أ).

(٣) الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان (٢٤٣)، وينظر: عمدة الراوين (٩/٣٩-٤٠).

(٤) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٢).

(٥) ينظر: رسالة الصفات الاختيارية لشيخ الإسلام ضمن جامع الرسائل (٢/ ١٤).

(٦) شأن الدعاء (٨٥).

وقد أجمع سلف الأمة على ذلك، وممن حكى إجماعهم أبو الحسن الأشعري، حيث قال: «وأجمعوا على إثبات حياة الله ﷻ، لم يزل بها حيا، وعلماً لم يزل به عالماً، وقدرة لم يزل بها قادراً، وكلاماً لم يزل به متكلماً، وإرادة لم يزل بها مريدا»(١).

فالسلف أجمعوا على أن الله ﷻ قادر مريد ولم يزل، فالقول بقدم صفة القدرة والإرادة مخالف لظاهر نصوص الكتاب والسنة، ومخالف لما أجمع عليه السلف الصالح.

أما من جهة مخالفته للعقل، فيقال لمن قال بأنها قديمة: أنتم تسلمون قدم القدرة والإرادة، وحدوث المخلوقات بعد أن لم تكن، فما الذي أوجب حدوثها في وقت دون وقت آخر؟ فإما أن يوجد سبب، أو لا يوجد، ولا يجوز أن يقال بلا سبب؛ لأن حدوث الشيء بلا سبب ممتنع، فلم يبق إلا أن لذلك سببا، ويردون ذلك إلى القدرة والإرادة القديمة، فيجاب عن قولهم: بأنه لو ثبت ذلك للزم وجود المرادات أزلا؛ لأن القدرة والإرادة تامة ثابتة لله، والمرادات لم تحدث أزلا(٢).

وكذلك إثبات قدرة وإرادة مستقبلية لا ينافي إثبات قدرة وإرادة أزلية؛ إذ هي من لوازم ذاته ﷻ، يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «كون الشيء واجب الوقوع لكونه قد سبق به القضاء، وعُلم أنه لا بد من كونه، لا يمتنع أن يكون واقعا بمشيئته وقدرته وإرادته، وإن كانت من لوازم ذاته كحياته وعلمه، فإن إرادته للمستقبلات هي مسبوقة بإرادته للماضي ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [سورة يس:٨٢]، وهو إنما أراد هذا الثاني بعد أن أراد قبله ما يقتضي إرادته؛ فكان حصول الإرادة اللاحقة بالإرادة السابقة»(٣).

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في قدم القدرة والإرادة والله أعلم.

أما قوله عن المعتزلة بأن من جهلهم تخصيص متعلق القدرة والإرادة ببعض الممكنات، فهذا نتيجة لقولهم في أفعال العباد، فعندما قرروا بأن الفعل واقع من العبد لا من الله، قالوا بأن

---

(١) رسالة إلى هل الثغر (٢١١-٢١٢).

(٢) ينظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٣٤/٢)، رسالة الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٢١/٢)، بيان تلبيس الجهمية (٢٠٥/٢).

(٣) رسالة الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٣٩/٢).

الله لم يزل مريدا لطاعته دون معصيته، وأن إرادة القبيح قبيحة، فخصصوا إرادته -عز وجل- ولم يجعلوها شاملة لكل شيء [(١)]، وهذا باطل.

وحصر محمد بن جعفر الكتاني لإرادة الله وقدرته للممكنات كلها دون المستحيلات[(٢)] هو مذهب أهل السنة والجماعة؛ فقدرة الله -تعالى- لا تتعلق بالمستحيلات؛ لأن المستحيل ليس بشيء على الصحيح، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"ولا ريب أن الله على كل شيء قدير كما نطق به القرآن في غير موضع، ...فلا اختصاص لها بممكن دون ممكن [كما قالت المعتزلة]، لكن الممتنع لذاته ليس شيئا باتفاق العقلاء، فلا يعقل وجوده في الخارج، فإنه لا يعقل في الخارج كون الشيء موجودا معدوما، أو متحركا ساكنا، أو كون أجزاء الحركة المتعاقبة مقترنة في آن واحد، أو كون اليوم موجودا مع أمس وغدا، وأمثال ذلك"[(٣)].

وقوله عن اعتقاد العامة في تأثير القدرة نفسها وحكمه عليه بالكفر حق؛ لأن الإنسان إذا عبد صفة من صفات الله، أو دعاها، فإن هذا يشعر بكون الصفة بائنة عن الله تعالى مستقلة عنه، وهذا هو وجه كونه كفراً[(٤)].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- في أن دعاء صفة من صفات الله كفر: "إن مسألة الله تعالى بأسمائه وصفاته وكلماته جائز مشروع كما جاءت به الأحاديث، وأما دعاء صفاته وكلماته فكفر باتفاق المسلمين، فهل يقول مسلم: يا كلام الله اغفر لي وارحمني وأغثني أو أعني؟ أو يا علم الله؟ أو يا قوة الله، أو يا عزة الله، أو يا عظمة الله؟ ونحو ذلك، أو سمع من مسلم أو كافر أنه دعا ذلك من صفات الله وصفات غيره، أو يطلب من الصفة جلب منفعة، أو دفع مضرة، أو إعانة، أو نصر، أو إغاثة، أو غير ذلك؟"[(٥)].

---

(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٤٣٢، ٤٦٢)، المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢٦٢/٦)، الفرق بين الفرق (٢٠٥)، مقالات الإسلاميين (٥٠٩)، الصفدية (١٠٩/٢).

(٢) ينظر أيضا في تقريره لهذه المسألة: جلاء القلوب (٢٤٦/١-٢٤٨)، حاشية على شرح ميارة (ل ٤٣/أ).

(٣) الصفدية (١٠٩/٢)، وينظر: شرح العقيدة الواسطية، لمحمد خليل هراس (١٢٥)، شرح العقيدة السفارينية لابن عثيمين (١٩٥).

(٤) ينظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١١٤/٣)، معجم المناهي اللفظية (٣٠٥).

(٥) الاستغاثة في الرد على البكري (١١٤).

رأيه في صفة الكلام:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن كلام الله تعالى قديم(١)، وأن كلام الله كما يقول: "منزه عن التقديم والتأخير، والإعراب واللحن، والحروف والأصوات"(٢)، ومن تقريراته قوله:" كلامه تعالى معنى نفسي وهو كذلك، ومثله ثابت له في الشاهد، فإن كل من يأمر وينهى ويخبر يجد من نفسه معنى، ثم يدل عليه بالعبارة والكتابة والإشارة، ... والقديم من ذلك إنما هو المعنى القائم بالذات العلية"(٣)، وسبق قوله بأن الله تعالى:" منزها عن حدوث الكلام والعلم والإرادة"(٤).

ورد على من يرى بأنهم حشوية أنهم يقولون:" أنَّ الحروف والأصوات التي نزل بها جبريل على الرسل –عليهم الصلاة والسلام– من كلام الله حقيقة، قياسًا منهم على الشاهد، وذلك باطل...فكلام المولى قائم بذاته، والعبارات تدل عليه، وهي حادثة، وما دلَّت عليه قديم، فسيدنا جبريل يسمع من كلام المولى القائم بذاته ما يأمره به أن يبلغه لرسله –عليهم الصلاة والسلام– فيعبر بلسان كل رسول"(٥).

وقال في تعلقات صفة الكلام:" إذا علمت هذا، فإنَّ للكلام باعتبار كونه لا أمرًا ولا نهيًا؛ بل خبرًا، أو استخبارًا، أو وعدًا، أو وعيدًا، تعلّقًا تنجيزيًّا قديمًا، وهو دلالته في الأزل على معنى مطابق للواقع، وعلى طلب العلم، وعلى ثواب مستقبل، وعلى توقع عذاب كما مرّ.

---

(١) ينظر: سلوة الأنفاس (١٨٩/٢)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١/ب، ٣٤/أ– ٣٤/ب)، تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٧).

(٢) نيل المنى وغاية السول (١٤٤)، وينظر: الكشف والبيان (٢١٩)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٥/أ).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٤/ب)، وينظر المرجع نفسه (ل ٩٣/ب)، تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٦).

(٤) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٢).

(٥) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٤/ب).

وأما تعلقه باعتبار كونه أمرًا أو نهيًا؛ فله تعلق تنجيزي حادث عند وجود المأمور والمنهي، وهو طلب الفعل من الأول، وطلب الترك من الثاني، وصلوحي قديم، وهو صلاحيته في الأزل للدلالة على طلب الفعل والترك ممن سيوجد"(١).

كما يقول عن سماع كلام الله في الآخرة:" منزه عن القراءة والتلاوة، والحرف والصوت واللغة، وإذا تكلَّم لا يلفظ ولا ينطق، ... فإن قلت: إذا كانت التلاوة حادثة، فما معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۝٥٨﴾ [سورة آل عمران:٥٨].

والجواب: إنه يحتمل أن يكون جبريل -عليه السلام- هو التالي، ويضيف الله ذلك إلى نفسه"(٢).

وذكر فتنة القول بخلق القرآن، وتعذيب الإمام أحمد-رحمه الله-، وأن أهل السنة يرون بأنه كلام الله غير مخلوق(٣).

- **النقد:**

الكلام صفة من صفات الله تعالى، ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الكلام صفة ذاتية لله تعالى باعتبار أصلها، فعلية باعتبار أفرادها، وأن الله ﷻ لم يزل متكلما، إذا شاء، ومتى شاء، وكيف شاء، وأنه يتكلم بحرف وصوت، وكلامه مسموع (٤).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني في أن كلام الله قديم، وأن كلامه تعالى بلا حرف ولا صوت، موافق لتقريرات الأشاعرة، وهو مخالف للكتاب والسنة ولما أجمع عليه سلف الأمة، ومخالف كذلك للعقل، وليس عليه دليل صحيح، إذ أن كلام الله تعالى بحرف وصوت مسموع، لم يزل يتكلم بما شاء كيف شاء، **ومن الأدلة على ذلك ما يلي:** قوله تعالى:﴿ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ

---

(١) المرجع السابق (ل ٣٤/أ).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٥/أ)، وينظر: نيل المنى وغاية السول (١٣٢).

(٣) ينظر: تشنيف المسامع (ل ١٧)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٥/أ).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/٢٩١-٢٩٢)، درء تعارض العقل والنقل (٢/٢٥٥)، مختصر الصواعق المرسلة (٤٥٦)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١/٢٥٤-٢٦٠)، قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر للقنوجي (٦٩-٧٧).

تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ [سورة النساء:١٦٤]، وقوله تعالى: قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦]، وقوله ﷻ: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة القصص:٣٠]، وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ﴾ [سورة فصلت:٤٧]، وقوله: ﴿وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ [سورة طه:١٣]، والآيات في هذا كثيرة جدا، وكلها تدل على أن كلام الله تعالى بحرف وصوت مسموع(١).

من الأدلة في السنة قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان**))(٢).

وقول النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((**إن الله يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة، فيقولون: لبيك وسعديك والخير في يديك، فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تعط أحدا من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضل من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأي شيء أفضل من ذلك؟ فيقول: أحل عليكم رضواني، فلا أسخط عليكم بعده أبدا**))(٣).

وقوله –صلى الله عليه وسلم–: ((**يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب: أنا الملك أنا الديان**))(٤)، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة جدا(١)،

---

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١١٥/٢–١٢١)، للاستزادة ينظر: العقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله الجديع.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: كلام الله ¸ يوم القيامة، حديث رقم: (٧٠٧٤)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: الحث على الصدقة، حديث رقم: (١٠١٦)، من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: كلام الرب مع أهل الجنة، حديث رقم: (٧٠٨٠)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: إحلال الرضوان على أهل الجنة، حديث رقم: (٢٨٢٩)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا مرة بصيغة الجزم، ومرة بصيغة التمريض، كتاب: التوحيد، باب: قوله: {وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾، ورواه في الأدب المفرد مسندا مرفوعا، ينظر: الأدب المفرد (٣٣٧/١/رقم: ☜

ويلحظ بأن جميع الألفاظ التي تدل على الكلام قد جاءت بها النصوص، كالتكليم، والمناداة، والمناجاة، والقول ماضيا ومستقبلا[٢].

أما الإجماع: فقد أجمع السلف على أن الله ﷻ يتكلم بحرف وصوت يسمع[٣]، وأن حروفه ومعانيه من الله تعالى[٤]، بل قرروا اتفاق اليهود والنصارى مع المسلمين على أن لله كلاما بحرف وصوت، كما قال الإمام السجزي[٥] رحمه الله: «واليهود والنصارى مقرون بأن لله كلاما، ...ومجمعون على أن الكلام لا يكون إلا حرفا وصوتا»[٦].

أما العقل: فالكلام صفة من صفات الكمال، وكل كمال اتصف به المخلوق فالله أولى بالاتصاف به، وضد الكلام الخرس والبكم، وهو صفة نقص، والله تبارك وتعالى له الكمال المطلق، فكيف يعطي عبادة صفة الكمال ويتصف بالنقص؟ تعالى الله عن ذلك[٧].

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني يمكن نقده بالآتي:

- قوله بأن كلام الله قديم أزلي:

المقصود بالقديم عند المتكلمين: أنه لازم لذات الله، لا يتجدد، ولا يتعلق بمشيئته وقدرته، ولهذا منعوا أن يوصف الله بالحدوث لأنه إذا كان بعضه حادثا كان ذلك نقضا

---

٩٧٠)، ورواه الحاكم (٤٧٥/٢) رقم: (٣٦٣٨)، والإمام أحمد (٤٣١/٢٥-٤٣٢)، حديث: (١٦٠٠٤٢)، والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص٣٧٩).

(١) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١٢٤/٢-١٤٥).

(٢) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٤٦٥ وما بعدها).

(٣) ينظر: رسالة السجزي إلى زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للسجزي (ص٨٠-٨١)، إبطال التأويلات (٣٣٦/٢)، التسعينية (٤٣٦/١)، مجموع الفتاوى (٥٣٢/٦).

(٤) ينظر: الاستقامة (١١٢/١)، مجموع الفتاوى (١٤٤/٣، ١٣٢/٧-١٤٠)

(٥) هو: عبيد الله بن سعيد بن حاتم الوائلي البكري، أبو نصر السجزي، الإمام السلفي العالم الحافظ، توفي عام ٤٤٤هـ، من مؤلفاته: الرد على من أنكر الحرف والصوت، الإبانة الكبرى، ينظر: سير أعلام النبلاء (٦٥٤/١٧)، شذرات الذهب (٢٧١/٣).

(٦) رسالة السجزي إلى زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت (ص١٥٢).

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٩٢/٦-٢٩٣)، الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة لابن الحنبلي(٢٦٠/١-٢٦٢).

لقدمه الذي اعتقدوه، وهذا خلاف ما كان عليه السلف الصالح الذين يثبتون لله تعالى ما يقوم به من الصفات، والأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته، ولم يقل أحد منهم بأن كلام الله قديم، وإنه لا يتعلق بمشيئته وقدرته(١).

والقول بأن كلام الله قديم، يلزم منه لوازم باطلة كثيرة، منها: نفي تعلق كلام الله بمشيئته واختياره، وهذا مبني على نفي قيام الصفات الاختيارية بالله عز وجل، ومنها: أن كلام الله هو المعنى دون اللفظ، ومنها نفي الحرف والصوت في كلام الله(٢).

- قوله بأن كلام الله بلا حرف ولا صوت.

هذا القول باطل، لما يلي:

-القول بأن كلام الله بصوت وحرف هو مقتضى الأدلة من الكتاب والسنة، وقد نوّع الله هذه الصفة في إطلاقها عليه تنويعا يستحيل معه نفي حقائقها، ومن ذلك: النصوص قد أثبتت المناجاة والمناداة لله تعالى، كقوله سبحانه: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۝٥٢﴾ **[سورة مريم:٥٢]**، ومعلوم أن المناداة والمناجاة لا يكونان إلا بصوت، والصوت لا يكون إلا بحرف(٣).

كما دلت النصوص على أن الله-تعالى-متكلم، وأن كلامه مسموع، كقوله تعالى: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة:٦]، والمسموع لا يكون إلا صوتا(٤).

- أن الكلام الحقيقي هو الكلام المنتظم من الحروف المسموعة، فكيف يكون المتكلم يتكلم بلا صوت ولا حرف؟ هذا واضح البطلان(٥).

---

(١) ينظر: التسعينية (٢/٤٦٦-٤٦٧)، مجموع الفتاوى (١٢/١٧٨).

(٢) ينظر: الصفدية (٢/٥٥).

(٣) ينظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (٢١٥، ٢١٩)، الصراط المستقيم لابن قدامة (٤٧)، مجموع الفتاوى (٦/٥٣٠-٥٣١).

(٤) ينظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (٢٣١)، الصراط المستقيم لابن قدامة (٢٥).

(٥) ينظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (٨٠-٨١) ، الصراط المستقيم (٣٨).

– ولو سلمنا هذا، لصح أن يسمى الأخرس متكلما بكلام لا يسمع منه ولا ينطق به، وهذا ما لا تقول به جماهير العقلاء(١).

–يلزم من هذا بأن الله لم يُسمع أحدا من ملائكته ورسله كلامه، وهذا باطل مخالف للنصوص(٢).

– أن حقيقة الإرسال تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى، وإذا انتفت عنه حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة، فإذا كان كلامه وتكليمه، وخطابه ونداؤه، وقوله وأمره، وعهده وإذنه، وحكمه وانباؤه، وأخباره وشهادته، بلا حرف ولا صوت بطلت الحقائق كلها، فإن الحقائق إنما حقت بكلمات تكوينه ﴿وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [سورة يونس:٨٢] (٣).

– مخالفته لإجماع السلف الصالح، فإن السلف الصالح–كما سبق– أجمعوا على أن الله تكلم بحرف وصوت مسموع، بل كما قال شيخ الإسلام: «ليس من طوائف المسلمين من أنكر أن الله يتكلم بصوت إلا ابن كلاب(٤) ومن اتبعه»(٥).

–تناقض محمد بن جعفر الكتاني وخرقه للإجماع؛ لأن الأمة مجمعة على أن ما بين دفتي المصحف كلام الله، واتفقوا على أن القرآن سور وآيات وحروف(٦)، وعلى أن من أنكر حرفا من القرآن فقد كفر، والقرآن هو كلام الله، فدل هذا الإجماع على أن كلام الله حروف، وعلى

---

(١) ينظر: الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة، لابن الحنبلي (٢٨٢/١).

(٢) ينظر: فتح الباري (٤٥٨/١٣) ، وقد مال ابن حجر بعد هذا إلى التأويل والتفويض.

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٤٧١)، الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة (٢٤٠/١–٢٤٨، ٢٥٠–٢٥٦).

(٤) هو: عبد الله بن سعيد القطان، أبو محمد، المعروف بابن كلاب، من أئمة المتكلمين وهو رأس الكلابية، وشيخ الأشعري، وافق المعتزلة في بعض أقواله، وأحدث بدعة الكلام النفسي، توفي عام ٢٤٠هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧٤/١١)، طبقات الشافعية الكبرى (٢٩٩/٢).

(٥) مجموع الفتاوى (٥٢٨/٦)، وينظر: (٣٠٤/١٢–٣٠٥).

(٦) ينظر: كلام محمد بن جعفر الكتاني في مسألة علم النبي بالحروف القطعة في أوائل السور، جلاء القلوب (٢٠٧/١).

تحريم إنكار حرف منه، وكفر من قال بذلك[1]، وهذا القول في الحقيقة هو إنكار لكلام الله ﷻ، وإن سموه كلاما[2].

-محمد بن جعفر الكتاني يريد أن الحرف والصوت من صفات المخلوقين، فلا تثبت لله لأن في إثباتها لله تشبيه له بخلقه، فيرد عليه بأن الله ليس كمثله شيء في ذاته ولا صفاته، فكما أن أثبات العلم ليس بتشبيه، فكذلك إثبات الكلام ليس بتشبيه، ولو كان هذا تشبيها لزمه نفي سائر الصفات[3].

– قوله بأن كلام الله معنى نفسي قائم بذاته.

هذا القول باطل، لما يلي:

-أن القول بالكلام النفسي بدعة محدثة لا تعرف في الإسلام، ولم يعرفها أهل الأرض من سائر الملل[4]، وقد اعترف الشهرستاني بأن الأشعري ابتدع قولا ثالثا بعد قول أهل السنة وقول المعتزلة فقال:" فأبدع الأشعري قولاً ثابتاً وقضى بحدوث الحروف وهو خرق للإجماع"[5].

وقال الرازي كذلك: "... وذلك هو كلام النفس الذي لا يقول به أحد إلا أصحابنا"[6].

-يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن كلام الله لفظ مشترك بين الكلام النفسي واللفظ الحادث، ويريد بذلك أن كلام الله تعالى المضاف إليه نوعان: كلام مضاف إليه إضافة صفة إلى موصوفها، وهو الكلام النفسي القديم، وكلام مضاف إليه إضافة مخلوق إلى خالقه، وهو اللفظ

---

(١) ينظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (١١٠، ١٦٧)، الصراط المستقيم (٣٦)، حكاية المناظرة (٣٣، ٣٦).

(٢) ينظر: التسعينية (٤٣٢/١).

(٣) الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة (٥١١/٢-٥١٦، ٥٤١)، الصراط المستقيم (٤٣-٤٤).

(٤) ينظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (٨٠-٨٢)، الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة (٤٨٠/٢-٤٨١)، التسعينية (٨٧٥/٣).

(٥) نهاية الاقدام (٣١٣).

(٦) المحصول في علم أصول الفقه للرازي (٢٢٤/٤).

الحادث، سواء قيل لفظ جبريل أو غيره، ويرى بأن كلا النوعين كلام الله، والجواب عن هذا من وجوه:

-أن حقيقة الكلام اللفظ والمعنى، فالكلام "اسم عام لهما جميعا، يتناولهما عند الإطلاق، وإن كان مع التقييد يراد به هذا تارة وهذا تارة"(١).

- أن ما اصطلح عليه الأشاعرة على تسميته كلاما نفسيا، ليس كلاما في الحقيقة لا في اللغة ولا في الشرع، فقد انعقد الإجماع على عدم كونه كلاما؛ فإن الكلام" إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظا ومعنى، ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان، وإنما حصل النزاع بين المتأخرين من علماء أهل البدع، ثم انتشر"(٢).

يقول السجزي-رحمه الله-:" الإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً، فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل، وهم لا يخبرون أصول السنة، ولا ما كان السلف عليه، ... وخرقوا الإجماع المنعقد بين الكافة المسلم والكافر"(٣).

- أن الأشاعرة القائلين بالكلام النفسي، لم يتصوروا ماهيته، وعجزوا عن بيانه بتعريف منضبط، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" فالكلام القديم " النفساني " الذي أثبتموه لم تثبتوا ما هو؟ بل ولا تصورتموه وإثبات الشيء فرع تصوره فمن لم يتصور ما يثبته كيف يجوز أن يثبته؟"(٤).

- أن الأدلة التي ساقها الأشاعرة على قولهم بأن حقيقة الكلام معنى قائم بالنفس لا يصح الاستدلال بها، لكونها إما مطعونا في ثبوتها، أو غير مسلّم بدلالتها(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (٦٧/١٢)، وينظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (٨٠-٨٢)، التسعينية (٤٣٥/٢)، مجموع الفتاوى (٥٣٣/٦، ١٣٢/٧-١٣٤، ٤٥٦/١٢).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢٠٢/١).

(٣) الرد على من أنكر الحرف والصوت (١١٨-١١٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٩٦/٦).

(٥) ينظر: الرد على من أنكر الحرف والصوت (٨١ وما بعدها)، مسألة القرآن لابن عقيل (١١٢ وما بعدها) مجموع الفتاوى (٢٩٦/٦)، الصواعق المرسلة (٣٤٤/١-٣٤٥)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (١٩٩/١-٢٠٤)، لعقيدة السلفية في كلام رب البرية لعبد الله الجديع (٣٤٧ وما بعدها).

- أن الكلام النفسي شيء معدوم محض لا وجود له ولا عبرة به، فلا تتعلق به الأحكام لا نفيا ولا إثباتا، وإن قدّر تصوره فهو من قبيل حديث النفس وخواطرها، ووساوس القلب، وهواجس الصدور، فلا يحل به حرام، ولا يحرم به حلال، ولا يخرج به عن الإسلام، ولا يقع به الطلاق(١).

- أن القرآن الكريم مُعجز ومتحدى به، والكلام النفسي لا يتصور معارضته، ولا يتحدى به، فليس هذا الإعجاز والتحدي إلا بالقرآن العربي الذي هو كلام الله لفظا ومعنى(٢).

- مما يدل على بطلانه لوازمه الباطلة، كبدعة إنكار الحرف والصوت في كلام الله، وتشبيه الله بالأخرس، وجعل القرآن العربي ليس من كلام الله الذي تكلم به، وأن يكون القرآن والتوراة والإنجيل كلها بمعنى واحد، والاختلاف بينهما بحسب التعبير عنها باللغات-كما قرر الكتاني في كلامه المتقدم- (٣).

-أن القول بذلك قد أفضى إلى القول بخلق ألفاظ القرآن، وأنه لفظ جبريل، أو محمد- صلى الله عليه وسلم-وهو ما صرح به محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته السابقة، حيث قال: "فإن قلت: إذا كانت التلاوة حادثة، فما معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾﴾ [سورة آل عمران:٥٨].

والجواب: إنه يحتمل أن يكون جبريل -عليه السلام- هو التالي، ويضيف الله ذلك إلى نفسه"(٤).

والقول بخلق ألفاظ القرآن هو ما استقر عليه مذهب الأشاعرة، ويُنقض بما أورده الأشاعرة أنفسهم على المعتزلة في قولهم بخلق القرآن، لأن ما أوردوه وارد عليهم، لأنهم متفقون على القول بخلق ألفاظ القرآن (٥).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣٧/٧-١٣٨)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢٠١/١)، البحر المحيط في أصول الفقه (٣٠٣/٢).

(٢) ينظر: مسألة القرآن لابن عقيل (٥٩-٦٤)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٢٠٣/١).

(٣) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (١١٤/٢-١١٥، ٢٨٨/٦)، مختصر الصواعق المرسلة (٣١٢).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٥/أ)، وينظر: نيل المنى وغاية السول (١٣٢).

(٥) ينظر: مسألة القرآن (٥١)، التسعينية (٦١٨/٢).

أما القول بأن ألفاظ القرآن إنما هي ألفاظ جبريل، أو محمد-صلى الله عليه وسلم-، فهو قول لمتأخري الأشاعرة دون أبي الحسن الأشعري، وهذا القول هو ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في تقريره السابق، وسيأتي غير تقريره هذا في تقريراته في نزول القرآن(١)، ومن أظهر الأدلة على بطلان القول بالكلام النفسي؛ ما فيه من مشابهة المشركين الذين كانوا يقولون: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾ [سورة المدثر:٢٥] (٢).

-أن القول بالتعلق التنجيزي الحادث في صفة الكلام قول باطل؛ لأنه كما -سبق-وكما قرر الكتاني بأن هذه التعلقات اعتبارية لا وجود لها في الخارج، وهي تعلقات عدمية غير موجودة، لا يراد بها إلا نفي تجدد صفة الكلام لله تعالى والقول بأزليتها، وهذا التعلقات هي من غوامض علم الكلام كما قرر بنفسه(٣).

وبهذا يتبين بطلان ما قرره في القول بأن كلام الله معنى نفسي قديم بلا حرف ولا صوت، وموافقته للأشاعرة في هذا.

رأيه في السمع والبصر:

يثبت محمد بن جعفر الكتاني بأن سمع الله وبصره قديم في الأزل، وكان يميل إلى القول بأن السمع والبصر يتعلقان بالمعدوم، دون الموجود، ومن تقريراته قوله عن الصوفية:" أطبقوا على رؤيته تعالى وسمعه للمعدوم الممكن الذي علم أنه سيوجد، مخالفين في ذلك للمتكلمين في قولهم: إن السمع والبصر إنما يتعلقان بالموجودات، والمراد بها: كل ماله تحقق في الخارج فقط، ولا يتعلقان بالمعدوم ممكنا كان أو مستحيلا، ومن أدلة الصوفية في هذا قوله تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [سورة المجادلة:١] فإن قولها إنما كان فيما لا يزال، وتعلق سمعه وبصره إنما هو في الأزل"(٤).

---

(١) ينظر: (ص٥٩٥).

(٢) ينظر: البرهان في بيان القرآن، لابن قدامة (٨١-٨٢)، مجموع الفتاوى (١٢/٢٦٦-٢٦٧، ٣٠٧، ٥٥٧، ١٥/٢٢٢، ١٧/ ٦٩-٧٠).

(٣) يراجع صفة العلم.

(٤) جلاء القلوب (١/٢٦٥).

وقال عمن يثبت بأن السمع والبصر يتعلقان بالموجودات:" هذا هو مذهب المتكلمين.

وذهب أبو طالب المكي(١) وغيره من الصوفية إلى أنهما يتعلقان بالممكن المعدوم الذي تعلق في علم الله أنه سيوجد كالموجود مطلقا، وقد قال بعض الصوفية: نوديت في سري: قل للجاهلين بي أن سمعي وبصري يتعلقان بالمعدوم الممكن، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [سورة المجادلة:١]. الآية، أي: سمعه في أزله؛ لأن لفظ القرآن دل على الكلام القديم وتعلقه القديم، فيكون متكلما في أزله بأنه سمعه، والأصل عدم التأويل...

تنبيه: قال بعضهم: جاء رجل اليهودي إلى إشبيلية من على مسافة عشرة أيام إلى أبي عبد الله محمد بن الخليل، وذكر اليهودي أنه ما جاء إلا لأجل مسألة عجز الناس عنها، فاتفق اجتماع أعيان الناس.

فقال اليهودي: أتقولون إن الباري قديم؟ فقال الشيخ المذكور: نعم. فقال: سمعه قديم؟ فقال الشيخ: نعم. فقال: فبماذا تعلق سمعه قبل خلق الخلق وأصواتهم وكلامهم؟ فقال: تعلق سمعه القديم بكلامه القديم.

فبادر اليهودي وقبّل يده، فقال الشيخ: وأزيدك أختها، وهي: إن رؤية الله تعالى قديمة، أي: بصره، وتعلق في الأزل بذاته وصفاته القديمة"(٢).

وتارة يميل إلى القول بأن السمع والبصر يتعلقان بكل موجود" قديما كان أو حادثا، فيتعلق سمعه تعالى بذاته وصفاته الوجودية في الأزل تعلّقًا تنجيزيًّا قديمًا، وبجميع الحوادث عند وجودها تعلّقًا تنجيزيًّا حادثًا، وقبل ذلك تعلّقًا صلاحيًّا"(٣).

---

(١) هو: محمد بن علي بن عطية الحارثي، كنيته: أبو طالب، متصوف نشأ واشتهر بمكة، ورحل إلى البصرة فاتهم بالاعتزال، من مؤلفاته: قوت القلوب في التصوف، يقول الخطيب البغدادي: "ذكر فيه أشياء منكرة مستشنعة في الصفات"، توفي عام٣٨٦هـ، ينظر: تاريخ بغداد (٣/٨٩)، سير أعلام النبلاء (١٣٦/٣٢).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٨/ب-٣٩/أ).

(٣) المرجع السابق (ل ٣٣/أ)، وينظر المرجع نفسه (ل ٣٩/أ)، تشنيف المسامع (ل ١٢).

كما أن محمد بن جعفر الكتاني يجعل السمع والبصر نوعان من صفة العلم، فيرد السمع والبصر إلى صفة العلم، حيث يقول:" اختلف في السمع والبصر هل هما نوعان من العلم كما يظهر من تعريفهما أم لا؟"(١)، وأقر بكونهما نوعان عن العلم، وأنهما غير زائدتين عليه، حيث قال:" وفي جعلهما زائدتين على العلم مع أنهما نوعان نظر، والحق: ...أنهما على هذا القول غير زائدتين عليه" (٢).

النقد:

السمع والبصر صفتان ذاتيتان فعليتان، ثابتتان لله ﷻ بالكتاب والسنة والإجماع، والعقل، والفطرة، فالله ﷻ له سمع وبصر، يسمع الشيء الموجود المسموع عند حصوله، ويرى الشيء الموجود عند وجوده، ولم يزل الله –سبحانه وتعالى– سميعا بصيرا.

فالسمع والبصر من الصفات الذاتية الفعلية، قديمة النوع حادثة الآحاد، والتعلق أمر وجودي يحصل عند وجود المسموع والمبصر(٣).

الأدلة على ذلك كثيرة لا تخفى من كتاب الله وسنة رسوله –صلى الله عليه وسلم– وقد ذكر بعضها الكتاني في تقريره السابق.

أما الإجماع: فقد حكى الإجماع على هذا غير واحد من أهل العلم(٤)، منهم أبو الحسن الأشعري حيث يقول: « وأجمعوا على إثبات حياة الله ﷻ، لم يزل بها حيا، وعلما، لم يزل به عالما، ... وسمعا وبصرا لم يزل به سميعا بصيرا»(٥).

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٣/ب).

(٢) المرجع السابق (ل ٣٣/ب).

(٣) ينظر: الرد على المنطقيين (٤٦٥)، مجموع الفتاوى (٦/٢٢٨).

(٤) ينظر في حكاية الإجماع: الإبانة الكبرى (٢/ ٥٥٧)، الحجة في بيان المحجة (١/١٩١)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث (١٦٥)، مجموع الفتاوى (٥/١٩٦).

(٥) رسالة إلى أهل الثغر (٢١٤-٢١٥).

أما العقل: فلأن الله ﷻ حي، والحي إذا لم يتصف بالسمع والبصر اتصف بضد ذلك، وهو العمى والصمم وذلك ممتنع يتعالى الله عنه(١)، وأيضا العقول تدرك بأن عدم السمع والبصر عيب، يمتنع معه دعوة الفاقد لذلك لامتناع كونه إلها.

الفطرة: فالإنسان مفطور بأن الله ﷻ يسمع ويبصر، فإذا أصابته مصيبه دعا ربه، الذي فُطر بأنه يسمعه ويبصره.

أما ما يظهر من تأييد محمد بن جعفر الكتاني بأن السمع والبصر يتعلقان بالمعدوم، دون الموجود، وأنهما صفتان أزليتان، حيث قال: "وتعلق سمعه وبصره إنما هو في الأزل"(٢)، فهو موافقة للأشاعرة في جانب وهو كون هذه الصفات من الصفات الأزلية، وأن سمعه وبصره تعالى إنما هو في الأزل، فقد نفوا أن تكون الصفتان اختياريتين لله، فقالوا: سمع الله وبصره قديم؛ خوفا من التشبيه(٣)، وخوفا من القول بحلول الحوادث بذات الله -تعالى-(٤).

وخالف الأشاعرة في تعلقهما بالموجودات في موضع، حيث قرر بأنهما يتعلقان بالمعدوم الممكن دون الموجود، وهذا في الحقيقة إدراك منه بأن قول الأشاعرة في تعلق السمع والبصر بالموجودات يلزم منه طرد دليل حلول الحوادث بذاته تعالى وهذا حق، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- رد على الجويني(٥) في مسألة حدوث الحوادث، وألزمه ذلك في مسألة السمع والبصر، فقال:" يلزمه مثله في تجدد حكم السمع والبصر، فإنه إنما يتعلق بالموجود دون المعدوم،

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٢٨/٦).

(٢) جلاء القلوب (٢٦٥/١)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٢/ب).

(٣) ينظر: أصول الدين (١١٧-١١٨)، تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للبيجوري (ص٨٥، ٩٧-٩٨)، جامع الرسائل (١٨١/١-١٨٢، ٣٣/٢-٤٠).

(٤) ينظر في شبهة حلول الحوادث: مجموع الفتاوى (٩٠/٦-٩١، ١٥٠، ٢٤٧-٢٥٦، ٢٨٤-٢٨٧، ٣٤٢-٣٤٤، ١٥٠/٨-١٥١)، منهاج السنة (٢٢٤/٢-٢٢٥)، رسالة في الصفات الاختيارية ضمن جامع الرسائل (٧/٢-١٠)، درء تعارض العقل والنقل (١٢/٢) شرح العقيدة الطحاوية (١٨٨/١-١٩١)،

(٥) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي، أبو المعالي، المعروف بإمام الحرمين، من كبار الأشاعرة وأعلامهم، من مؤلفاته الإرشاد في أصول الاعتقاد، الشامل في أصول الدين، لمع الأدلة، توفي عام٤٦٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٤٣/١٨)، شذرات الذهب (٣٥٨/٣).

فإما أن يكون الرب بعد أن خلق الموجودات، كحاله قبل وجودها في السمع والبصر، أو لا يكون، فإن كان حاله قبل كحاله بعد، وهو قبل لم يكن يسمع شيئًا ولا يراه، فكذلك بعد لاستواء الحالين، فإن قيل: إن حاله بعد ذلك خلاف حاله قبل، فهذا قول بتجدد الأحوال والحوادث ولا حيلة في ذلك، ولا يمكن أن يقال في ذلك ما قيل في العلم، وأن العلم يتعلق بالمعدوم، فأمكن المفرق أن يقول: حاله قبل وجود المعلوم وبعده سواء"(١)، وذلك لأن العلم هو الذي له تعلق بالمعدوم، فالله عز وجل يعلم المستقبلات قبل حدوثها، ويعلمها بعد حدوثه، بخلاف السمع والبصر فإنهما يتعلقان بالمسموع والمبصر من الموجودات، دون المعدومات؛ لامتناع رؤية وإبصار المعدوم، فتبين الفرق بين العلم والسمع والبصر.

ومع فساد هذه الحجة ظهر ميل الكتاني لها في موضع، وقال بتعلق السمع والبصر بالمعدوم دون الموجود، لرده السمع والبصر إلى صفة العلم، وتقريره بأنهما نوعان من العلم، وكذلك قوله: " أطبقوا على رؤيته تعالى وسمعه للمعدوم الممكن الذي علم أنه سيوجد"(٢)، أي: أنه عالم بالمبصور والمسمع، وهذا أقرب إلى التأويل المذموم الذي يلزم منه عدم إثبات السمع والبصر لله تعالى، وردهما إلى صفة العلم، والعلم عند الأشاعرة كذلك صفة قديمة، فلا يثبتون إلا العلم الأزلي، فالله يعلم المستقبلات أزلا قبل حدوثها، ولا يتبتون تجدد هذا العلم حين وجودها(٣).

فقول الكتاني بأزلية السمع والبصر هو في الحقيقة تعطيل لهما، يقول شيخ الإسلام رحمه الله في الرد على الأشاعرة بهذا: «إذا خلق العباد وعملوا وقالوا، فإما أن نقول: إنه يسمع أقوالهم ويرى أعمالهم، وإما لا يرى ولا يسمع، فإن نفى ذلك، فهو تعطيل لهاتين الصفتين، وتكذيب للقرآن، وهما صفتا كمال لا نقص فيه، فمن يسمع ويبصر أكمل ممن لا يسمع ولا يبصر»(٤).

---

(١) ينظر: التسعينية (٣/٧٧٦-٧٧٧).
(٢) جلاء القلوب (١/٢٦٥).
(٣) ينظر: رسالة في تحقيق علم الله: جامع الرسائل (١/١٧٧-١٧٩)، وينظر المرجع السابق: (٢/١٧-١٨).
(٤) مجموع الفتاوى (٦/٢٢٨).

كذلك ما قرره في تعلق السمع والبصر بالمعدوم دون الموجود، هو فرار من التشبيه وقول بالممتنع، لاستحالة رؤية وسمع المعدوم، وهو خلاف ما اتفق عليه سلف الأمة؛ لأنه «قد دل الكتاب والسنة، واتفاق سلف الأمة، ودلائل العقل، على أنه سميع بصير، والسمع والبصر لا يتعلق بالمعدوم، فإذا خلق الأشياء رآها سبحانه، وإذا دعاه عباده سمع دعاءهم، وسمع نجواهم، كما قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [سورة المجادلة:١]، أي تشتكي إليه وهو يسمع التحاور»(١).

يتبين بهذا بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في هذه المسألة والله أعلم! (٢)

ثانيا: رأيه في الصفات الذاتية الخبرية، كالوجه، والعين، والأذن، واليد، والقدم:

تقدم بأن محمد بن جعفر الكتاني يرى بأن ظاهر الصفات الخبرية وبعض الصفات الفعلية موهم للتشبيه، وهو غير مراد، وترجيحه لمذهب التفويض، بشبهة أن إثبات هذه الصفات على ظاهرها يوقع في التمثيل والتشبيه(٣)، حتى قال:" ما ورد في الكتاب أو السنة من التنزيه مصروف إلى الذات الهوية، وما ورد فيها من التشبيه مصروف إلى الصور التي يقع التجلي فيها، والله أعلم"(٤)، فأقر حلول الله بخلقه -تعالى الله عن ذلك- حتى لا يثبت صفاته تعالى الموهمة للتشبيه برأيه! فكأنه يقول الوجه وجه خلقه الذي حل فيه، واليد يد خلقه الذي حلّ فيه، وهذا شنيع باطل ببطلان عقيدة وحدة الوجود.

كما نفى أن يكون سمع الله بأذن، ورؤيته بعين، حيث ذكر الحكمة من الافتتاح بالتنزيه في قول الله عز وجل: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى:١١]، فقال:" لأنه لو بدأ بالسمع والبصر لأوهم التشبيه؛ إذ الذي يألفون في السمع أنه بأذن، وفي البصر أنه

---

(١) الرد على المنطقيين، لابن تيمية (ص٤٦٥).

(٢) للاستزادة في آراء الأشاعرة في صفة السمع والبصر ينظر: إثبات الأشاعرة صفتي السمع والبصر لله تعالى عرض ونقد، صالح سندي.

(٣) ينظر: جلاء القلوب (٤٠/٢)، حاشية على شرح ميارة (ل ٢٩/ أ).

(٤) جلاء القلوب (٢٧٩/١).

بحدقة، ... فبدأ في الآية بالتنزيه ليستفاد نفي التشبيه له تعالى مطلقًا حتى في السمع والبصر"(١).

وقال في صفة الوجه بقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: **((وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن))** (٢): " لا وجه حقيقة، ...فإما أن يفوض معناه إلى الله، بعد القطع بالتنزيه عن الظاهر المستحيل، كما هو مذهب السلف والصوفية، وإما أن يؤول الوجه فيه بالذات...إلا أنه لا يناسب هنا حمل الوجه على الصفة، وإنما يناسب تفسيره بالذات، كما ذكرنا والله أعلم"(٣)، فرجح التأويل على التفويض.

وقال:" فالوجه عند الجمهور الذات، وعند الأشعري صفة لله تعالى معلومة من الشرع، يجب الإيمان بها مع نفي الجارحة المستحيلة، وليس المراد بالنظر ميل الحدقة إلى المرئي، إن هذا محال في حقه تعالى، وإنما المراد صفة تقوم بالموصوف توجب له كونه رائيًا من غير تشبيه ولا تكييف"(٤).

وتقدم نقله الحط من شيخ الإسلام وابن القيم لإثباتهم صفة اليد على ظاهرها الموهم للتشبيه-كما يرى-، ونقله لأقوال من دافع عنهما، وقوله بعد نقل الأقوال في ذلك: "فأنت ترى هذا الاضطراب الواقع فيهما في هذا الباب، والله تعالى أعلم بالصواب، وإليه الرجوع والمآب، ونسأله سبحانه التوفيق والهداية إلى أقوم طريق، آمين"(٥).

- **النقد:**

تقريرات محمد بن جعفر الكتاني السابقة ما بين تفويض هذه الصفات، وتأويل بعضها، على ما نهجه الأشاعرة، وقد تقدم بيان بطلان التفويض والتأويل، وفيما يلي بيان الحق على

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٨/ب).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: قول الله عز وجل: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ}، حديث رقم:(٧٠٠٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، حديث رقم: (١٨٠).

(٣) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٤).

(٤) حاشية على شرح ميارة (ل ٩١/ أ).

(٥) الدعامة في أحكام سنة العمامة (٥٤).

كون هذه الصفات من صفات الله -تعالى- الذاتية الثابتة لله -عز وجل- بدلالة الكتاب، والسنة، وإجماع السلف الصالح، ومن الأدلة ما يلي:

من الأدلة على إثبات صفة الوجه لله تعالى: قوله-عز وجل-: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ﴾ **[سورة الإنسان:9]**، وقوله-تعالى-: قال تعالى: ﴿ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ﴾ **[سورة الأنعام:52]**.

فهذه الآيات فيها إثبات الوجه، فأول ما يتبادر إلى الذهن منها هو إثبات هذه الصفة لله ﷻ، كما يليق بجلاله.

قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في وصف الله ﷻ: ((**حجابه النور-وفي رواية النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه**)) [1].

وقوله -صلى الله عليه وسلم- في الحديث الطويل في الرؤية: ((**وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**))[2].

وقوله - صلى الله عليه وسلم- عندما نزلت: قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ [سورة الأنعام:65]، قال - صلى الله عليه وسلم-: ((**أعوذ بوجهك**))، وقال: **قال تعالى:** ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال - صلى الله عليه وسلم-: ((**أعوذ بوجهك**))[3].

فهذه الأحاديث صريحة في إثبات الوجه لله تبارك وتعالى.

وقد حكى غير واحد من العلماء إجماع السلف الصالح على إثبات الوجه لله تبارك وتعالى[4]، منهم ابن خزيمة رحمه الله حيث صرح باجتماع علماء الأمصار، من جميع الأقطار، على إثبات صفة الوجه حقيقة لله تبارك وتعالى، حيث يقول: «نحن نقول وعلماؤنا جميعا في

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: قوله عليه السلام (إن الله لا ينام)، حديث (١٧٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب: قول الله عز وجل: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ}، حديث رقم:(٧٠٠٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، حديث رقم: (١٨٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى: (كل شيء هالك إلا وجهه) حديث: (٦٩٧١).

(٤) ينظر في حكاية الإجماع: رد الدارمي على المريسي (٢/٧٢٣-٧٢٤)، بيان تلبيس الجهمية (٢/٣٥، ٢٤٤)، مجموع الفتاوى (٤/١٧٤)، وإثبات الوجه معروف عن أهل السنة، ينظر: مقالات الإسلاميين (٢٩٠) للأشعري، حيث ذكر هذا عن أهل السنة وأصحاب الحديث.

جميع الأقطار: أن لمعبودنا ﷻوجها، كما أعلمنا الله في محكم تنزيله، فذوّاه بالجلال والإكرام، وحكم له بالبقاء، ونفى عنه الهلاك، ونقول: إن لوجه ربنا -عز وجل- من النور والضياء والبهاء ما لو كشف حجابه لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره، محجوب عن أبصار أهل الدنيا، لا يراه بشر ما دام في الدنيا الفانية، ونقول: إن وجه ربنا القديم لا يزال باقيا، فنفى عنه الهلاك والفناء»(١).

ويقول رحمه الله كذلك: «فنحن وجميع علمائنا من أهل الحجاز وتهامة واليمن، والعراق والشام ومصر، مذهبنا: أنا نثبت لله ما أثبته لنفسه، نقر بذلك بألسنتنا، ونصدق ذلك بقلوبنا، من غير أن نشبه وجه خالقنا بوجه أحد من المخلوقين، عز ربنا عن أن يشبه المخلوقين، وجل ربنا عن مقالة المعطلين»(٢) فالسلف الصالح يثبتون الوجه لله تعالى، ولم يقل أحد منهم بأن ظاهر هذه الصفة موهم للتشبيه، أو أنه أثبت اللفظ مفرغ عن المعنى، أو قال بأنه مما يوهم الجارحة أو الجسمية لله -عز وجل-.

وترجيح محمد بن جعفر الكتاني لتأويل الوجه بالذات تارة والقول بتفويضها تارة أخرى متعقب بما يلي:

-أن ما قرره مخالف لظاهر نصوص الكتاب والسنة، ومخالف لما قرره وأجمع عليه سلف الأمة من إثبات هذه الصفة لله عز وجل.

- ما قرره هنا مردود بذمه للتأويل وبيانه لفساده، ومن ذلك كونه تحريف للكلم عن مواضعه.

-أنه لا يعرف في لغة من لغاة الأمم أن وجه الشيء هو بمعنى ذاته ونفسه، فلا يجوز أن يعبر بهذه الصفة عن الذات(٣).

-أنه إذا تأول الوجه بالذات يلزمه نظير ما فر منه، لأن المخلوق له ذات فيلزمه التشبيه(٤).

---

(١) كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب (١/٣٥-٣٦).

(٢) المصدر السابق (٢/١٨).

(٣) ينظر: بيان تلبيس الجهمية (١/٣٧)، مختصر الصواعق المرسلة (٣٨٨).

(٤) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣٤).

- أنه كما أن لله ذات لا يعقل ماهي، ولا تشبه ذوات خلقه، فكذلك صفاته ومنها الوجه، لأن الكلام في الذات كالكلام في الصفات[1]، وقد سبق الرد على هذا في بيان بطلان التأويل.

وقوله بتفويض الوجه تارة، وترجيحه للتأويل تارة أخرى دليل على اضطراب منهجه.

ومن الأدلة على إثبات العين لله -عز وجل-: قول الله تعالى: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴾ **[سورة طه:٣٩]**، وقول النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الدجال: ((**إنه أعور وأن الله تبارك وتعالى ليس بأعور**))[2].

وظاهر هذه الأدلة إثبات صفة العين لله ﷻ، وقد جاءت العين في القرآن مفردة ومجموعة، وجاءت في السنة مثناة، كما في هذا الحديث، وذكر العين مفردة لا يدل على أنها عين واحدة، بل العين المفردة مضافة إلى ضمير المفرد، والمجموعة مضافة إلى الجمع، والواجب اعتقاد أن لله عينين اثنتين لا أكثر[3].

وقد حكى الإجماع على إثبات هذه الصفة غير واحد من أهل العلم[4]، يقول ابن خزيمة ﵀: «نحن نقول: لربنا الخالق عينان يبصر بهما ما تحت الثرى، وتحت الأرض السابعة السفلى، وما في السموات العلى، وما بينهما من صغير وكبير، لا يخفى على خالقنا خافية في السموات السبع والأرضين السبع، ولا مما بينهم، ولا فوقهم، ولا أسفل منهن، لا يغيب عن بصره من ذلك شيء، يرى ما في جوف البحار ولججها»[5].

---

(١)أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد، باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي، حديث: (٢٨٩٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، حديث: (١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الجهاد، باب: كيف يعرض الإسلام على الصبي، حديث: (٢٨٩٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال، حديث: (١٦٩).

(٣) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣٨-٣٩)، شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (٣١٤/١).

(٤) ينظر في حكاية الإجماع: الإبانة عن أصول الديانة (٢٠)، عقيدة السلف أصحاب الحديث (ص١٦٥)، الفتوى الحموية (٤٩٤)، مجموع الفتاوى (٩٠/٥)، اجتماع الجيوش الإسلامية (١٨٤).

(٥) التوحيد وإثبات صفات الرب (٧٦/١).

وإثبات هذه الصفة معروف عن أهل السنة، وقد ذكر أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين أن أهل السنة وأصحاب الحديث يثبتون أن له عينين بلا كيف(١).

فتنزيه محمد بن جعفر الكتاني الله عن العينين هو في الحقيقة نفي لهذه الصفة الثابتة بالكتاب والسنة، والإجماع.

أما تنزيهه الأذن عن الله تعالى فالصواب أنها لا تثبت لله ولا تنفى؛ لعدم ورود دليل على ذلك؛ فما لم يدل على نفيه ولا على إثباته دليل بوجه من الوجوه، لا بالنص ولا بطريق التضمن ولا بطريق اللزوم، فإنه يجب التوقف فيه(٢).

أما الأدلة على صفة اليدين لله -عز وجل- فقد «ورد لفظ اليد في القرآن والسنة وكلام الصحابة والتابعين في أكثر من مائة موضع، ورودا متنوعا متصرفا فيه، مقرونا بما يدل على أنها يد حقيقة من الإمساك، والطي، والقبض والبسط، والمصافحة، والحثيات، والنضح باليد، والخلق باليدين، والمباشرة بهما، وكتب التوراة، بيده وغرس جنة عدن بيده،...»(٣).

وقد حكى الإجماع على إثبات هذه الصفة غير واحد من أهل العلم(٤)، منهم الإمام السجزي رحمه الله حيث يقول: «وأهل السنة متفقون على أن لله سبحانه يدين، بذلك ورد النص في الكتاب والأثر»(٥).

ومن الأدلة على إثبات صفة القدم أو الرجل لله عز وجل: قوله-صلى الله عليه وسلم-: ((**لا تزال جهنم تقول: هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه، فتقول: قط**

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين (٢٩٠).

(٢) ينظر: التعليق على القواعد المثلى، عبد الرحمن البراك (٩٥-٩٦).

(٣) مختصر الصواعق المرسلة (٣٨٤).

(٤) ينظر في حكاية الإجماع: رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٥-٢٢٦)، العلو للعلي الغفار، للذهبي (ص٢٠٨)، رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٥)، الشريعة للآجري (١٢٧/٢)، مجموع الفتاوى (١٧٤/٤)، بيان تلبيس الجهمية (٢٤٤/٢، ٣٥).

(٥) الرد على من أنكر الحرف والصوت (١٧٣).

قط، وعزتك...)) [(١)]، وقوله: ((**فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله...**)) الحديث [(٢)]، فظاهر هذه الأحاديث، وأول ما يتبادر إلى الذهن منها هو إثبات هذه الصفة لله ﷻ كما يليق بجلاله.

وقد أجمع السلف الصالح على إثبات هذه الصفة كما يليق بالله ﷻ، ولم ينكرها أو يفوضها، أو يتأولها أحد منهم، بل عدوا من ينكرها من المعطلة الذين يكفرون بصفات الله ﷻ[(٣)].

يقول الإمام الترمذي رحمه الله: «وقد روي عن النبي –صلى الله عليه وسلم– روايات كثيرة مثل هذا ما يذكر فيه أمر الرؤية، أن الناس يرون ربهم، **وذكر القدم وما أشبه هذه الأشياء**، والمذهب **في هذا عند أهل العلم من الأئمة**، مثل: سفيان الثوري، ومالك بن أنس، وابن المبارك[(٤)]، وابن عيينة[(٥)]، ووكيع[(٦)] وغيرهم، أنهم رووا هذه الأشياء، ثم قالوا: تروى هذه الأحاديث، ونؤمن بها ولا يقال كيف؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث، أن تروى هذه الأشياء كما جاءت، ويؤمن بها ولا تفسر، ولا تتوهم، ولا يقال: كيف؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه»[(٧)].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الأيمان والنذور، باب: الحلف بعزة الله وصفاته وكلماته، برقم:(٦٢٨٤)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها، باب: النار يدخلها الجبارون، برقم: (٢٨٤٨).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، برقم (٢٨٤٦).

(٣) ينظر: العقيدة الواسطية (١٩، ٢٢).

(٤) هو: عبد الله بن المبارك الحنظلي، المروزي، أبو عبد الرحمن عالم فقيه محدث مفسر، من مؤلفاته: الزهد، البر والصلة، توفي عام ١٨١هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٧٨/٨)، شذرات الذهب (٢٩٥/١).

(٥) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران بن ميمون، أبو محمد، حافظ عصره، إمام في السنة، حمل العلم عن الكبار، وانتهي إليه علو الإسناد، توفي عام ١٩٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٧٨/١٥)، شذرات الذهب (٣٥٤/١).

(٦) هو: وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، أبو سفيان الرؤاسي، إمام محدث من أئمة السلف، من مؤلفاته: الزهد، فضائل الصحابة، توفي عام ١٩٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤٠/٩)، شذرات الذهب (٣٤٩/١).

(٧) سنن الترمذي (٦٩١/٤).

ويقول ابن خزيمة رحمه الله: «باب ذكر إثبات الرجل لله عز وجل، وإن رغمت أنوف المعطلة الجهمية الذين يكفرون بصفات خالقنا عز وجل، التي أثبتها لنفسه في محكم تنزيله وعلى لسان نبيه المصطفى» (١).

فالسلف الصالح أثبتوا هذه الصفات على معناها وظاهرها المتبادر للذهن، مع تنزيه الله سبحانه وتعالى عن التشبيه، ولم يقل أحد منهم بأن ظاهر هذه الصفات يوهم الجارحة لله-عز وجل-، وفوّضها كما عمل الكتاني، والجارحة من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى استفصال، فيقال للكتاني ولمن أطلق هذا اللفظ: لا يقال لهذه الصفات بأنها أعضاء أو جوارح؛ لأن هذه الألفاظ لم ترد في الكتاب ولا في السنة، ولأن لفظهما يتضمن ما لا يليق بالله -عز وجل-، فالجوارح مفرد جارحة، وتسمى الصائدة من الكلاب والفهود والطيور جوارح، لأنها تجرح أو تكسب، وسميت الأعضاء جوارح تشبيها بها لأحد هذين، ولفظ الأعضاء يتضمن معنى التفريق والتعضية، والجوارح يتضمن الاكتساب والانتفاع(٢)، وهذه المعاني منتفية عن الله -عز وجل-.

وإن نفى أحد الجوارح عن الله، وكان قصده تنزيه الله عن تشبيهه، مع إثباته للصفة، فهذا حق، (٣)، لكن إدخال هذه المصطلحات تحت صفات الله باطل من وجوه:

-أن الأمة مجمعة على أن من أثبت لله جوارح وأعضاء فقد شبه الله بخلقه، إذ الجوارح والأعضاء من خصائص المخلوقين والله منزه عن مشابهة الخلق (٤).

-أن هذه الصفات إنما سميت في المخلوقين جوارح وأعضاء لقيام مسماها فيهم، أما الخالق سبحانه فلا يقوم به معنى الجوارح والأعضاء فلا تسمى صفاته أعضاء وجوارح (٥).

-أن السلف يثبتون معاني اليد والوجه وغيرها التي دل عليها الكتاب والسنة والإجماع، إثباتها ليس على معنى الجوارح والأعضاء المعقولة من خصائص المخلوقين (١).

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب (١/١٣٢).

(٢) ينظر: المفردات في غريب القرآن، كتاب: الجيم (ص١٩١)، لسان العرب، مادة: (جرح)، (٢/٤٢٢)، مجموع الفتاوى (٤/١٧٣)، الصواعق المرسلة (١/٢٢٦-٢٢٧)، شرح العقيدة الطحاوية (١/٣٣٣).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/٣٦٣).

(٤) ينظر: نقض التأسيس (١/١٠٨)، بدائع الفوائد (٢/٨٢).

(٥) ينظر: نقض التأسيس (١/٣٩)، مجموع الفتاوى (٤/١٧٣).

يقول الدارمي في رده على بشر المريسي: «وأما تشنيعك على هؤلاء المقرين بصفات الله، المؤمنين بما قال الله أنهم يتوهمون فيها جوارح وأعضاء، فقد ادعيت عليهم في ذلك زورًا وباطلاً، وأنت من أعلم الناس بما يريدون بها، إنما يثبتون منها ما أنت معطل، وبه مكذب، ولا يتوهمون فيها إلا ما عنى الله ورسوله، ولا يدعون جوارح وأعضاء كما تقولت عليهم»(٢).

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في هذه الصفات.

-الصورة:

ينفي محمد بن جعفر الكتاني الصورة عن الله تعالى، ويرى بأن الله منزه عن الشكل والصورة والمثال(٣)، ومن ذلك قوله: "الحمد لله المنزه عن الجسم والصورة والمثال"(٤).

ومما قال في توجيه قول النبي-صلى الله عليه وسلم-:(**(فإن الله خلق آدم على صورته)**)(٥)، وقوله: (**(خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا)**) (٦)،:

" وليس معنى هذه الأحاديث إن الله خلق آدم وبنيه على صورة الذات المقدسة؛ لأن ذاته تعالى لا صورة لها، لا في الحس، ولا في العقل، ولا في الخيال، ومن المحال أن يتخيله – تعالى– على ما هو عليه خيال مطلق، أو مقيد، أو يتخيل صفة من صفاته، أو اسما من أسمائه، أو فعلا من أفعاله، أو حكما من أحكامه، وإنما يتخيل المتخيل من منفعلاته التي في الخيال المطلق، ويتخيل معها ثبوتا وتحققا منسوبا إلى ذات غيبية، وصفات وأفعال، وأسماء وأحكام مضافة إلى تلك الذات الغيبية على وجه يليق بها، منزها جميع ذلك عن مشابهة كل شيء.

---

(١) ينظر: نقض التأسيس (٧٧/١).

(٢) رد الدارمي على بشر المريسي (٣٧٤-٣٧٥) ، وينظر: بدائع الفوائد (٢٤٣/٢).

(٣) ينظر: بلوغ القصد والمرام (ص٢)، رسالة المسلسلات (٦٤).

(٤) بلوغ القصد والمرام (ص٢).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة والآداب، باب: النهي عن ضرب الوجه، حديث رقم (٢٦١٢).

(٦) أخرجه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: بدء السلام، حديث رقم: (٥٨٧٣)، ومسلم، كتاب: الجنة، باب: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم من أفئدة الطير، حديث رقم: (٢٨٤١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

نعم عندنا شيء واقع وهو تجليه سبحانه وتعالى وظهوره في الصور والأمثلة التي يريد أن يظهر بها من غير حلول فيها ولا اتحاد معها، ولا امتزاج بها، ولا تغير أو تبدل لذاته العلية، أو حدوث صفة فيها لم يكن عليها- تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا-"(١).

وقال في معرض تقريره لوحدة الوجود: "وقال بعض العارفين: الحق تعالى منزه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة، ومع ذلك لا يخلو منه أين، ولا مكان، ولا كم، ولا كيف، ولا جسم، ولا جوهر، ولا عرض، لأنه للطفه سار في كل شيء، ولنورانيته ظاهر في كل شيء، وإطلاقه وإحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد بقيد بذلك، ومن لم ير هذا أو يشهده فهو أعمى البصيرة محروم عن مشاهدة الحق"(٢).

ويقول:" وبكون الرؤية هنا منامية، يرتفع إشكال قوله: ((**رأيت ربي في أحسن صورة**))(٣)،لأن الرائي قد يرى غير المتشكل متشكلا، والمتشكل بغير شكله، على أن الصوفية-رضوان الله عليهم-ذكروا أن الحق تعالى يتجلى لخلقه على طريق التنزل منه إليهم في الصور كلها من غير حلول ولا كيفية، ولا تغير عما هو عليه في ذاته العلية من التنزيه وعدم المثلية... وحينئذ فما ورد في الكتاب أو السنة من التنزيه مصروف إلى الذات الهوية، وما ورد فيها من التشبيه مصروف إلى الصور التي يقع التجلي فيها، والله أعلم"(٤).

- **النقد:**

---

(١) جلاء القلوب (٢/٢٠٢-٢٠٣).

(٢) جلاء القلوب (١/٧٩-٨٠).

(٣) روي هذا الحديث من اثنى عشر صحابيا، أصحها حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، فقد ذكر الإمام أحمد أنه أصحها. ينظر الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي (٨/٦١).

وقد أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: التفسير، باب: ومن سورة ص، حديث رقم (٣٢٣٥)، والإمام أحمد (٣٦/٤٢٢)، حديث رقم (٢٢١٠٩)، وابن خزيمة في التوحيد (١/٣٢١) رقم (٣١٩)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٠/١٠٩)، والدار القطني في الرؤية (ص٣٠٨-٣١٥) برقم: (٢٢٧-٢٣٢)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن صحيح سألت محمد بن إسماعيل عن هذا الحديث فقال هذا حديث حسن صحيح".

(٤) جلاء القلوب (١/٢٧٨-٢٧٩).

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من نفي الصورة عن الله باطل؛ إذ الصورة صفة ذاتية خبرية ثابتة لله ﷻ بالأحاديث الصحيحة، ومنها: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا**))(١).

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((**رأيت ربي في أحسن صورة**))(٢)، وظاهر هذه الأحاديث إثبات الصورة لله ﷻ.

يقول ابن قتيبة رحمه الله: « والذي عندي -والله تعالى أعلم- أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه؛ لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد»(٣).

فما قرره محمد بن جعفر الكتاني باطل من وجوه:

-أن الأدلة النقلية والعقلية تثبت الصورة لله ﷻ، فالأحاديث الصحيحة قد جاءت بإثبات الصورة لله ﷻ، ووردت بألفاظ مختلفة، كلها تؤكد أن المراد بها حقيقتها.

أما الأدلة العقلية التي تثبت الصورة، فإثبات وجود الله يقتضي القول بأن الله ﷻ له صورة، والقول بنفي الصورة يستلزم نفي وجود الله ﷻ؛ لأن «الصورة هي الصورة الموجودة في الخارج، ولفظ (صَ وَ رَ) يدل على ذلك، وما من موجود من الموجودات إلا له صورة في الخارج، ...، فيمتنع أن يكون قائما بنفسه ليس له صورة يكون عليها؛ لأنه لابد لكل موجود صفات تقوم به»(٤).

-أن الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة على اتفاق بأن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة، وهي الزيادة التي فسر بها النبي -صلى الله عليه وسلم- والصحابة في قوله

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الصراط على جسر جهنم، حديث رقم :(٦٢٠٤) ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، حديث رقم: (١٨٢).

(٢) سبق تخريجه في هامش (٢).

(٣) تأويل مختلف الحديث (٢٢١).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٦/٤٦٠-٤٦١).

﴿* لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [سورة يونس:٢٦](١)، وقد أثبتها الكتاني-كما سيأتي-، وهذا تناقض؛ لأن القول باستحالة ونفي الصورة يستلزم نفي الرؤية، إذ لا تعقل رؤية إلا لمن له صورة في الخارج تُرى(٢).

-ما ذكره محمد بن جعفر الكتاني من نفي عود الضمير إلى الله في حديث ((**فإن الله خلق آدم على صورته**))(٣)، باطل؛ لأن الذي عليه جمهور السلف-رحمنا الله وإياهم- أن الضمير فيه راجع إلى الله تعالى، وقد خالف في ذلك بعض العلماء من أهل السنة والجماعة، فنفوا رجوعه إلى الله واختلفوا فيما يرجع إليه(٤).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير في هذا الحديث عائد إلى الله تعالى، فإنه مستفيض من طرق متعددة، من عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها تدل على ذلك، ...ولكن ظهر لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة، جعل طائفة الضمير فيه عائدا إلى غير الله تعالى، حتى نقل عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم والسنة في عامة أمورهم، كأبي ثور(٥)، وابن خزيمة، وأبي الشيخ الأصبهاني(٦)، وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم (١٨١)، من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٢) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣٩١).

(٣) تقدم تخريجه (ص٥٤٢).

(٤) ينظر: تأويل مختلف الحديث (٢١٧)، التوحيد لابن خزيمة (١/٥٨-٦٣)، الشريعة (٢/١٠٦/١١٤)، طبقات الحنابلة لأبي يعلى (١/٢٤-٢٩)، بيان تلبيس الجهمية (٦/٣٧٣)، عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، للتويجري (١٢)، تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمن، لحماد الأنصاري (١٦٧-١٧٨)، مطبوع ضمن رسائله العقدية، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، للغنيمان (٢/٣٩).

(٥) هو: إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، أبو ثور البغدادي، ويكنى أيضا أبا عبد الله، الإمام المجتهد الحافظ، صاحب الإمام الشافعي، وأحد الفقهاء المشهورين، توفي عام ٢٤٠هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/٧٢).

(٦) هو: عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان، المعروف بأبي الشيخ، إمام حافظ، من مؤلفاته: العظمة، الفرائض، توفي عام٣٦٩هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/٢٧٦)، شذرات الذهب (٢/٩٣).

(٧) بيان تلبيس الجهمية (٦/٤٦٠-٤٦١).

فالضمير عائد إلى الله ﷻ، ويؤيده قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في بعض ألفاظ الحديث: ((**خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا**))(١)، وهذا ما عليه جمهور السلف، بل ورد عنهم الإنكار على من قال بخلافه، وعَدُه من الجهمية(٢).

-أن نفي محمد بن جعفر الكتاني للصورة مع إثباته لحلوله وظهوره في صور خلقه، تناقض واضطراب شنيع باطل، فكيف ينفي الصورة عن الله -تعالى-الثابتة بالأحاديث الصحيحة ومن ثم يقرر ظهوره وحلوله في صورة الخلق؟ بل الصحيح أن يثبت الصورة لله -تعالى- كما دلت النصوص، وكما أجمع عليها السلف الصالح، وأن يُنزه الله-تعالى- عن حلوله وظهوره في الصور كلها، لبطلانه وشناعة القول به-كما سبق-.

وبهذا يتبين بطلان قول محمد بن جعفر الكتاني باستحالة الصورة على الله ﷻ.

-إطلاق النفْس على الله.

يقرر محمد بن جعفر الكتاني كما يقول:" جواز إطلاق النفس عليه تعالى من غير مشاكلة، وهو الحق، بدليل قوله تعالى: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ**﴾ **[سورة آل عمران:٣٠]** خلافًا لمن قال: لا يجوز إطلاقها عليه إلَّا على سبيل المشاكلة، كما في قوله تعالى: ﴿**تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ**﴾ **[سورة المائدة:١١٦]**" (٣)، ورجح بأن معنى نفس الله ذاته تعالى، وقال: "النفس: الذات؛ كما في قوله: ﴿**وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ**﴾ أي: ذاته؛ أي: عقوبة ذاته، وقوله﴿ **تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ**﴾ **[سورة المائدة:١١٦]**" (٤).

المناقشة:

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥٤٢).

(٢) ينظر: إبطال التأويلات (١/٨٨).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٧/أ).

(٤) ختم البخاري (ل ٥).

النفس ثابتة لله بالكتاب والسنة، والآيات فيها كثيرة، منها ما ذكره محمد بن جعفر الكتاني، أما الأحاديث، فمنها: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**لما خلق الله الخلق كتب في كتابه وهو يكتب على نفسه، وهو وضع عنده على العرش، إن رحمتي تغلب غضبي**)) (١).

وقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**اللهم أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك**))(٢).

وقد عقد الإمام البخاري رحمه الله في كتاب التوحيد من صحيحه بابا في إثبات النفس له تعالى.

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني بأن النفس لله هي ذاته عز وجل، هو ما ذهب إليه عامة علماء السلف الصالح- رحمنا الله وإياهم-، فهم أقروا بأن نفس الله هي ذاته المتصفة بالصفات.

يقول الإمام الدارمي رحمه الله: «فنفس الله هو الله، والنفس تجمع الصفات كلها فإذا نفيت النفس نفيت الصفات، وإذا نفيت الصفات كان لا شيء»(٣).

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ومعلوم أن نفس الله التي هي ذاته المقدسة الموصوفة بصفات الكمال، ليست مثل نفس أحد من المخلوقين، وقد ذهب طائفة من المنتسبين إلى السنة من أهل الحديث وغيرهم، وفيهم طائفة من أصحاب الشافعي، وأحمد وغيرهما، إلى أن النفس صفة من الصفات، والصواب أنها ليست صفة بل نفس الله هي ذاته سبحانه الموصوفة بصفاته سبحانه»(٤).

- ثالثا: رأيه في الصفات الفعلية:

وهي الصفات المتعلقة بإرادة الله ومشيئته مثل الاستواء والمجيء والنزول، وقد نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج الأشاعرة-بالجملة- في إثباتها، حيث قال في الصفات الفعلية: "صفات الأفعال كالخلق والرز والإحياء والإماتة فليست أزلية خلافا للحنفية

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء، حديث رقم (٣٠٢٢)، ومسلم، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، حديث رقم (٢٧٥١)، واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلة، باب: ما يقال في الركوع والسجود، حديث رقم: (٤٨٦).

(٣) نقض الإمام عثمان الدارمي على المريسي (٨٤٧/٢-٨٤٨).

(٤) درء تعارض العقل والنقل (٣٠٨/١٠)، وينظر: مجموع الفتاوى (٢٩٢/٩-٢٩٣).

بل هي حادثة أي متجددة بعد عدم؛ لأنها عبارة عن صدور الممكنات فيما لا يزال عن قدرته تعالى وإرادته، أي عن تعلق القدرة بالممكنات تعلقا تنجيزيا على وصف ما أراده تعالى وسبق في علمه فهي حينئذ إضافات واعتبارات، ولا محذور في اتصاف الباري تعالى بها، ...لأنه لا وجود لها في الخارج حتى يلزم من اتصافه تعالى بها كونه محلا للحوادث"(١)، وقال: :" وأمَّا صفات الأفعال فهي حادثة عند الأشعري"(٢).

ورأيه فيها تفصيلا ما يلي:

صفة النزول:

يثبت محمد بن جعفر الكتاني صفة النزول لله-جل جلاله-، ويقرر بأن من المتواتر حديث النزول، ويفسر النزول بقوله:" النزول أي: نزول الحق -تعالى- في كل ليلة إلى السماء الدنيا، ... وفي الصارم المنكي ما نصه: [وحديث النزول متواتر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، قال عثمان بن سعيد الدارمي: [هو أغيظ حديث للجهمية](٣)، وقال أبو عمر بن عبد البر: [هو حديث ثابت من جهة النقل، صحيح الإسناد لا يختلف أهل الحديث في صحته] (٤)" (٥).

- المناقشة:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في النزول، هو الذي دلت نصوص الكتاب والسنة عليه، وهو الذي أجمع عليه سلف الأمة؛ إذ النزول صفة من صفات الله ﷻ الفعلية الثابتة له في الكتاب والسنة والإجماع، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا

---

(١) تشنيف المسامع (ل ١٢).

(٢) حاشية على شرح ميارة (ل ٢٧/ب)، وينظر المرجع نفسه (ل ٤٠/ب).

(٣) نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد، للدارمي (١٩٢)، تحقيق: أبو عاصم الشوامي، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ.

(٤) التمهيد (١٢٨/٧).

(٥) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٧٩)، الصارم المنكي (٢٢٩).

﴿٢٢﴾ [سورة الفجر:٢٢]، وقول الله ﷻ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [سورة البقرة: ٢١٠].

والذي ينزل يوم القيامة ليحكم بين عباده، قادر على أن ينزل كل يوم من سماء إلى سماء(١).

والأحاديث على إثبات نزول الرب ﷻ كثيرة جدا، عدها غير واحد من أهل العلم أنها من قبيل المتواتر كما قرر الكتاني(٢)، واهتم عدد منهم بإحصاء رواتها(٣).

و قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر**))(٤).

يقول الإمام ابن خزيمة رحمه الله: « باب: ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام، رواها علماء الحجاز والعراق عن النبي-صلى الله عليه وسلم- في نزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا كل ليلة، نشهد شهادة مقر بلسانه، مصدق بقلبه، مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن نصف الكيفية؛ لأن نبينا المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا، أعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيه عليه السلام بيان ما بالمسلمين الحاجة إليه من أمر دينهم، فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الأخبار من ذكر النزول، غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية، إذ النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يصف لنا كيفية النزول.

---

(١) ينظر: الرد على الجهمية لدارمي (٧٤)، عقيدة السلف أصحاب الحديث (٧٦)، التمهيد (١٥٢/٧)، مختصر الصواعق المرسلة (٤٢٣).

(٢) منهم: ابن عبد البر في التمهيد (١٢٨/٧)، وابن تيمية في شرح حديث النزول (٦٩، ١٤٧، ٣٢٣)، والتسعينية (٩١٤/٣)، وابن القيم في مختصر الصواعق المرسلة (٤٣٠)، والذهبي في العلو (١٠٠).

(٣) ينظر: رد الدارمي على بشر المريسي (٤٩٧/١)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤٣٤/٣)، الأربعين في صفات رب العالمين، للذهبي (ص٦٨).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: أبواب التهجد، باب: الدعاء في الصلاة من آخر الليل، حديث رقم (١٠٩٤)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين، باب: الترغيب في الدعاء والذكر من آخر الليل، حديث رقم (٧٥٨).

وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح: أن الله -جل وعلا- فوق سماء الدنيا، الذي أخبرنا نبينا-صلى الله عليه وسلم- أنه ينزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: نزل من أسفل إلى أعلى، ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل»(١).

وقد أجمع السلف الصالح على إثبات نزول الله ﷻ، حكى الإجماع على ذلك أكثر من تسعة عشر إماما(٢)، وقد سبق ذكر قول ابن خزيمة وفيه حكاية الإجماع على إثبات هذه الصفة.

فإثبات محمد بن جعفر الكتاني لصفة النزول هو الحق، ويُعد مخالفة منه لمذهب الأشاعرة، ولما قرره في الصفات الفعلية بالجملة، وهذا يدل على تناقضه في صفات الله تعالى.

- المجيء.

يرى محمد بن جعفر الكتاني استحالة المجيء على الله-تعالى- حيث يقول في قوله عز وجل: [سورة الفجر:٢٢]:" أي: أمره؛ لاستحالة المجيء على الله تعالى"(٣).

- النقد:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من استحالة المجيء على الله ﷻ باطل؛ لأن ما ذكره خلاف ظاهر النصوص، وخلاف ما أجمع عليه السلف الصالح، ومن النصوص التي دلت على هذه الصفة قول الله: قال تعالى: ﴿**هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ**﴾ **[سورة الأنعام:١٥٨]**، وهذه الآية من أشد الآيات صراحة في إثبات إتيان الله ﷻ؛ لأن الله ﷻ بين أن إتيانه غير إتيان الملائكة وغير إتيان الآيات.

قول الله تعالى: ﴿**وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢**﴾ **[سورة الفجر:٢٢]**، وهذه الآية صريحة في مجيئ الله ﷻ.

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله،**

---

(١) التوحيد وإثبات صفات الرب (١/١٨٥)

(٢) ينظر: صفة النزول الإلهي ورد الشبهات حولها (ص٢٢٣).

(٣) ختم البخاري (ل ٨).

فيقول: أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا...))[١]، وهذا الحديث صريح في إثبات إتيان الله ومجيئه ﷻ.

أما الإجماع: فقد حكى الإجماع على هذا غير واحد من أهل العلم[٢]، منهم أبو الحسن الأشعري حيث يقول: « أجمعوا على أنه عز وجل يجيء يوم القيامة والملك صفا صفا؛ لعرض الأمم وحسابها وعقابها وثوابها، فيغفر لمن يشاء من المذنبين، ويعذب منهم من يشاء كما قال»[٣].

فما قرره محمد بن جعفر الكتاني من استحالة المجيء على الله، باطل من وجوه:

-قوله بأن المجيء هو مجيء أمره، تأويل ليس عليه دليل صحيح، بل هو مخالف مخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة، ومخالف لما قرره نفسه من التشنيع على أهل التأويل، وهو مخالف لما أجمع عليه سلف الأمة في مجيء الله يوم القيامة.

-أن الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة والحديث والأئمة الأربعة على اتفاق بأن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة، وهي الزيادة التي فسر بها النبي -صلى الله عليه وسلم -والصحابة لقوله:: ﴿* لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ **[سورة يونس:٢٦]**، [٤]، والقول باستحالة ونفي المجيئ يستلزم نفي الرؤية؛ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ **[سورة الفجر:٢٢]**، وقال: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ **[سورة البقرة:٢١٠]**، فبين في هذه الآيات أنه يأتي ويجيء، وهذا يقتضي الرؤية[٥].

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الصراط على جسر جهنم، حديث رقم :(٦٢٠٤) ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية، حديث رقم: (١٨٢).

(٢) ينظر في حكاية الإجماع: عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٩١-١٩٢)، الاستقامة (١٦/١)، الحموية (٣٧٣)، مجموع الفتاوى (٤٢٢/١٦)،

(٣) رسالة إلى أهل الثغر (٢٢٧).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم (١٨١)، من حديث صهيب رضي الله عنه.

(٥) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٣٩١)، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (٥٩/٢).

-أن ما قرره في صفة المجيء متعارض مع ما قرره في النزول، وهذا يبين اضطراب محمد بن جعفر الكتاني في الصفات، حيث أثبت النزول ثم قرر استحالة المجيء على الله تعالى وتأولها بمجيء أمره، والصحيح أن الله ينزل ويجيء كما يليق بجلاله -سبحانه-، وما قرره مبني على قياس الخالق بالمخلوق، -وقد سبق بيان بطلان هذا-(١).

-القرب والدنو.

يرى محمد بن جعفر الكتاني بأن دنو الله كما يقول: "دنو قُرب ومكانة لا دنو مكان، لتعاليه سبحانه عن الزمان والمكان"(٢).

وقال: "القرب أنواع ثلاثة: قرب مسافة، وهو محال على الله سبحانه، وقرب إحاطة، وهي بمعنى شمول العلم والقدرة والإرادة، وجميع الصفات المتعلقات، ... وقرب رحمةٍ وكرامة ومنة وتشريف، وهو تقريب الحق عبده قربًا معنويًّا، وتوجيهه -أي: الحق- بعنايته إليه -أي: إلى العبد- حتى يكون العبد مشاهدًا لقربه -أي: الحق- منه وإحاطته -أي: به- فيتولاه الحق دون ما سواه، ويقتضي ذلك منه وجود تعظيمه، أي: لربه عزَّ وجلَّ، حتى لا يراهُ حيث نهاه، ولا يفقده حيث أمره"(٣).

- النقد:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني مخالف للكتاب والسنة والإجماع؛ إذ القرب والدنو من صفات الله تعالى الفعلية الاختيارية، وهما ثابتتان لله ﷻ بالكتاب والسنة والإجماع، حقيقة على الوجه اللائق به، من غير تكييف ولا تمثيل.

وما يدل على إثبات هذه الصفة: قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [سورة البقرة:١٨٦]، وقوله ﷻ: ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الأعراف:٥٦].

---

(١) وينظر: مجموع الفتاوى (٤٢٢/١٦).

(٢) نيل المنى وغاية السول (١٤٤).

(٣) شرح على دلائل الخيرات (ل ٨)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٣١/ب).

وقول الله ﷻ في الحديث القدسي: ((**إن تقرب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا...**))[1].

إلى غير ذلك من الأدلة، وهذا لا يتنافى علو الله ﷻ، فهو سبحانه قريب في علوه عال في قربه، لأنه تعالى ليس كمثله شيء[2].

أما الإجماع على إثبات القرب والدنو لله ﷻ، فقد حكاه غير واحد من أهل العلم[3]، منهم الإمام الشافعي -رحمه الله- حيث قال: «القول في السنة التي أنا عليها، ورأيت عليها الذين رأيتهم مثل سفيان ومالك وغيرهما، الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وأن الله على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء»[4].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «قربه من عباده وتقريبه لهم عند سلف الأمة وأمتها وعامة المشايخ الأجلاء ليس مجرد الإنعام والكرامة، بل يقرب من خلقه كيف شاء ويقرب إليه منهم من يشاء»[5].

هذا ما أجمع عليه السلف الصالح، مع التنبيه على أنه لا يلزم من جواز قرب الله-تعالى- أن يكون كل موضع في القرآن أو السنة يدل على قربه-تعالى- بنفسه، بل ينظر في النص الوارد، فإن دل عليه حمل على ذلك وإلا فلا يحمل عليه، ونصوص الكتاب والسنة ظاهرها أن القرب والدنو على نوعين:

-القرب العام الذي هو من لوازم ذات الله ﷻ، مثل العلم والقدرة، فهو سبحانه قريب بعلمه وقدرته، وهذا النوع يقر به جميع المسلمين، إلا من ينكر علمه القديم، أو ينكر قدرته على

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قوله تعالى: (ويحذركم الله نفسه) حديث: (٦٩٧٠)، ومسلم، كتاب: التوبة، باب: الحض على التوبة والفرح بها، حديث: (٢٦٧٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٤٣/٣)، مختصر الصواعق المرسلة (٤٢٨)، معارج القبول (٢٠٥/١).

(٣) ينظر: اجتماع الجيوش الإسلامية (١٠٠).

(٤) ينظر: إثبات صفة العلو (١٢٤)، العلو للذهبي (١٦٥)، مجموع الفتاوى (١٧٥/٤-١٨١، ١٨٤)، اجتماع الجيوش الإسلامية (٩٤).

(٥) الاستقامة (١٣٨/١)، وينظر: مجموع الفتاوى (٢٣١/٥، ٤٦٦).

الشيء قبل كونه، والقرب على هذا المعنى من الصفات الذاتية، وهذا أقر به محمد بن جعفر الكتاني في قوله بقرب الإحاطة(١).

-القرب الخاص، وهو قربه سبحانه قربا يقوم به بفعله القائم بنفسه، ويتضمن دنوه وقربه ممن شاء من عباده، في وقت دون وقت، وهذا النوع يثبته من يثبت قيام الصفات الاختيارية بالله تعالى، كنزوله-تعالى-، وتكليمه، وهذا مذهب أئمة السلف، لكن الكتاني قرر استحالته على الله تعالى، مع أن هذا النوع هو الأصل في القرب؛ لأنه هو معناه في اللغة، أما القرب العام فهو يتعلق بالمعية(٢)، ومن أنكر هذا النوع من القرب وأول القرب في جميع المواضع بقربه العام واكتفى بذلك فقد نفى حقيقة هذه الصفة عن الله ﷻ(٣).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني في استحالة قرب الله ودنوه ﷻ، خلاف ظاهر الكتاب والسنة، وخلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، كما أنه خلاف ما دلت اللغة عليه، وهو مبني على ما قرره في أن ظاهر النصوص يستلزم التشبيه والتمثيل، وهذا باطل-كما سبق-.

-رأيه في العلو والاستواء والمعية:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني في كتابه" **نظم المتناثر من الحديث المتواتر**" بأن من المتواتر كما قال: " أنه سبحانه وتعالى فوق سماوته، على عرشه على حسب ما يليق بكماله، من غير حلول ولا كيف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا جسمية ولا اتصال ولا انفصال.

ذكر تواترها ابن تيمية في غير ما رسالة من رسائله، ونصه في العقيدة الواسطية:[وقد دخل فيما ذكرناه من الإيمان بالله: الإيمان بما أخبر الله به في كتابه، وتواتر عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم-، وأجمع عليه سلف الأمة، من أنه سبحانه فوق سماوته على عرشه، عليّ على خلقه وهو معهم سبحانه أينما كانوا، يعلم ما هم عاملون] (٤) ... وقال في العقيدة الحموية الكبرى بعد ما ذكر فيها[أن كتاب الله من أوله إلى آخره، وسنة رسوله كذلك، ثم

---

(١) ينظر: شرح حديث النزول (٣٥٦)، مجموع الفتاوى (١٣/٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٩٩/٥).

(٣) ينظر: المرجع السابق (١٤/٦).

(٤) العقيدة الواسطية (٢٣).

عامة كلام الصحابة والتابعين، ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص وأما ظاهر، في أنه سبحانه فوق كل شيء، وعلى كل شيء، وأنه فوق العرش، وأنه فوق السماء] (١)، مثل كذا وكذا وذكر آيات وأحاديث في هذا المعنى ما نصه، إلى أمثال مما لا يحصيه إلا الله مما هو من أبلغ التواترات اللفظية والمعنوية، التي تورث علماً يقيناً من أبلغ العلوم الضرورية أن الرسول المبلغ عن الله ألقى إلى أمته المدعوين أن الله سبحانه على العرش استوى، وأنه فوق السماء"(٢).

فأثبت صفة الاستواء والعلو والمعية لله-عز وجل- مع نفي بعض الألفاظ المجملة، إلا أنه في مواضع أخرى قرر تفويض صفة الاستواء، بشبهة أن هذه الصفة من صفات التشبيه، وأن إثباتها على ظاهرها يوقع في المماثلة والمشابهة، ومن ذلك قوله: "أبقاها السلف كأمثالها في التشبيه، من الوجه والعين واليد والقدم والاستواء ونحوها على حالها، وآمنوا بها على حد علم الله تعالى فيها، لا على حد علمهم، من غير تأويل، مع التنزيه له تعالى عن الظاهر المستحيل"(٣).

وقال: "القول بأن متشابه القرآن ومنه الحروف المقطعة في أوائل السور، وألفاظ التشبيه الواردة في النعوت الذاتية والصفات الإلهية كالاستواء، والوجه، والعيد، واليد، وغيرها مما يوهم الجارحة أو الجسمية، أو التحيز ونحوها من سمات الحوادث، يعلمه الراسخون في العلم، وهو قول مجاهد، والضحاك، وابن عباس في رواية عنه، واختار النووي فقال في شرح مسلم: [إنه الأصح؛ لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته] (٤)"(٥).

كما أنه ذكر بأن الذات العلية منزهة عن" سائر الجهات"(٦)، وقال:" ولا تضمه الأماكن والجهات"(٧)، وقال في قوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [سورة الحديد:٤]، وقوله: ﴿مَا

(١) الفتوى الحموية الكبرى (٢٠١).
(٢) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٤٤).
(٣) جلاء القلوب (٢/٤٠).
(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/٢١٨).
(٥) جلاء القلوب (١/٢٠٧).
(٦) نيل المنى وغاية السول (١٤٤)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٧/ب).
(٧) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٢)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٢/أ).

يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [سورة المجادلة:٧]، وقوله: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [سورة النساء:١٠٨].

قال: "والمراد من الآيات تعلق العلم بكل شيء في محله، وإن علمه تعالى محيط بجميع الكائنات في أمكنتها، وأنه مطلع على جميع أحوالها، اطلاع الحاضر معها في محالها، بل أتم، كما أنه يسمع ويرى جميع ذلك، وليس المراد بها المصاحبة في المكان؛ لتنزيهه تعالى عنها، وقد تكون المعية في حقه تعالى بمعنى النصرة والحفظ، ... ومع العامة بالعلم والإحاطة"(١).

وقال فيما قاله في رؤية الله يوم القيامة:" ولا مسافة، ولا مكان، أو جهة تقصد للعيان، وهذا جواب عن إشكال النافين للرؤية، بأنها تستلزم المقابلة والجهة والمكان، وهو تعالى منزه عن ذلك، وحاصل الجواب: منع الاستلزام المذكور؛ لأنه إنما يكون في رؤية المتحيزات، والحق تعالى منزه عن التحيز"(٢).

وفي ذكره لأنواع الجهل ذكر بأن من الجهل بذات الله اعتقاد الجهة، والمكان، والصحيح عدم تكفيره، قال: "إذا كان يعتقد أنه في جهة العلو، أما إذا كان يعتقد أنه في جهة غيرها، فهو كافر إجماعا"(٣).

وقرر بأن قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]: فيه رد كما يقول:" على الجهوية القائلين: إنَّ الله في جهة الفوق، وفي كفرهم: قولان، والمعتمد: عدم كفرهم، وأمَّا أهل السنة فهم مبرؤون من القول بالجهة البتة"(٤).

وقصر العلو على علوّ الشأن، حيث قال: "في تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾ [سورة الشورى:٤]:" الذي علا شأنه ففات مدارك العقول"(٥).

---

(١) تشنيف المسامع (ل ١٢).

(٢) المرجع السابق (ل ١٣).

(٣) الكشف والبيان (٢٤٠-٢٤١).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٨/ب).

(٥) شرح دلائل الخيرات (ل ١٥).

ومع قوله بهذا قال في معرض تقريره لعقيدة وحدة الوجود: "وقال بعض العارفين: الحق تعالى منزه عن الأين والجهة والكيف والمادة والصورة، ومع ذلك لا يخلو منه أين، ولا مكان، ولا كم، ولا كيف، ولا جسم، ولا جوهر، ولا عرض، لأنه للطفه سار في كل شيء، ولنورانيته ظاهر في كل شيء، وإطلاقه وإحاطته متكيف بكل كيف غير متقيد بقيد بذلك، ومن لم ير هذا أو يشهده فهو أعمى البصيرة محروم عن مشاهدة الحق"(١).

– **النقد:**

يظهر من تقريرات محمد بن جعفر الكتاني تخبطه واضطرابه في هذه الصفات، فتارة يقررها مع النفي بالألفاظ المجملة، وتارة يقرر بأنها من ألفاظ التشبيه والجسمية وأن المنهج الحق هو تفويضها، كما قرر بأن الله منزه عن الجهات، وأنه متعال عن المكان.

مع تقريره قرر بأن صفة الاستواء مما يعلمه الراسخون في العلم؛ لأنه يبعد أن يخاطب الله عباده بما لا سبيل لأحد من الخلق إلى معرفته!

وفي معرض تقريره لعقيدة وحدة الوجود يثبت بأن الله لا يخلو منه مكان، وأنه في كل شيء! تعالى الله عن ذلك!

وقد سبق ذكر قوله بأن هذه المسألة مما وقع الاضطراب فيها، ورده العلم بها إلى الله تعالى(٢).

والحقيقة أن علو الله–تعالى– واستوائه–عز وجل– ومعيته ﷻ، من الصفات الثابتة لله ﷻ بالكتاب والسنة، وبإجماع سلف الأمة.

أما العلو: فهو من الصفات الذاتية، والعلو بمعانيه في اللغة، وهي: علو الذات، وعلو القهر، وعلو القدر(٣)، يثبته السلف لله ﷻ(١).

---

(١) جلاء القلوب (١/٧٩–٨٠).

(٢) ينظر: الدعامة في أحكام سنة العمامة (٥٤).

(٣) ينظر: تهذيب اللغة، باب: العين اللام (٣/١١٨–١١٩)، ومادة (علو): معجم مقاييس اللغة (٤/١١٣)، ومادة: (علا): لسان العرب (١٥/٨٣).

وألفاظ العلو لم تستعمل في القرآن عند الإطلاق إلا في معنى علو الذات، وهذا المعنى مستلزم لمعاني العلو الأخرى(٢).

الأدلة من الكتاب والسنة: تواترت الأدلة من الكتاب والسنة تواترا لفظيا ومعنويا على إثبات العلو الذاتي لله تعالى، حتى عد بعض أهل العلم أن أدلة العلو تزيد على ألف دليل(٣).

وقد عد ابن القيم رحمه الله أنواع الأدلة النقلية الدلة على علو الله جل جلاله بذاته، فعد منها أنواعا كثيرة منها: التصريح بالاستواء، والعروج إليه، والصعود إليه، والفوقية بمن وبدونها، ورفعه بعض المخلوقات إليه، والعلو المطلق، وتنزيل الكتاب منه، واختصاص بعض مخلوقاته بكونها عنده، وأنه في السماء، ورفع الأيدي إليه، ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا، والإشارة إليه حسا(٤).

الإجماع: أجمع السلف الصالح على علو الله جل جلاله بذاته على جميع خلقه، بل كان السلف مطبقين على تكفير من أنكر ذلك؛ لأنه عندهم معلوم بالاضطرار من الدين(٥).

وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد من أهل العلم(٦)، يقول أبو نصر السجزي رحمه الله: «فأئمتنا... متفقون على أن الله سبحانه **بذاته فوق العرش،** وأن علمه بكل مكان، وأنه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنه ينزل إلى سماء الدنيا...»(١).

---

(١) ينظر: العرش وما روي فيه، لابن أبي شيبة (ص٢٨٥)، العلو للعلي الغفار (٢٦١، ٢٦٤)، إثبات صفة العلو، لابن قدامة (ص٤١)، العرشية لشيخ الإسلام ضمن مجموع الفتاوى (٥٤٥/٦)، اجتماع الجيوش الإسلامية (١٠٧-١٠٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٣٧/٢)، إثبات علو الله ومباينته لخلقه، لحمود التويجري (ص٣٢) الصفات الإلهية للجامي (٢٢٦).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٥٨/١٦-٣٥٩).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢١/٢)، الجواب الصحيح (٣١٨/٤)، الصواعق المرسلة (١٢٧٩/٤).

(٤) ينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٤١٩)، النونية مع شرحها للهراس (١٨٤/١-٢٥١).

(٥) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٢٧/٧)، الاستقامة (١٦٤/١)، والمراد بالتكفير هنا التكفير المطلق، وهو مثل الوعيد المطلق الذي لا يستلزم تكفير الشخص المعين حتى تقوم عليه الحجة التي تكفر تاركها.

(٦) ينظر في حكاية الإجماع: رد الدارمي على بشر المريسي (٢٢٨/١)، الرد على الجهمية للدارمي (٤٤-٤٥)، الإبانة عن أصول الديانة (١٠٥)، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٣٤/٧)، الحجة في بيان المحجة (١١٧/٢)، اجتماع الجيوش الإسلامية (١٠٧-١٠٨).

وممن نقل الاجماع كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية كما نقل عنه الكتاني سابقا.

الفطرة: فبني آدم كلهم مفطورون على الإقرار بعلو الله بذاته، لا يستطيع أحد منهم أن ينفك عن ذلك، إذا نابهم شيء اتجهوا بقلوبهم وأيديهم إلى جهة العلو اضطرارا بحيث لا يستطيع أحد دفعه(٢).

العقل: فالعقل يدل على علو الله ﷻ بذاته على جميع خلقه؛ لأنه من المعلوم ببداهة العقول أن الله ﷻ كان ولا شيء معه، ثم خلق الخلق، ولا يخلو أن يكون خلقهم في نفسه أو خارج نفسه، والأول باطل قطعا بالاتفاق؛ لأن الله منزه عن النقائص، فلزم أن يكون بائنا من خلقه، ولا يخلو أن يكون إما مباين لهم من فوقهم، أو من تحتهم، أو عن يمينهم، أو عن شمالهم، والفوقية هي أشرفها، وهي صفة كمال فوجب اختصاصه بها(٣).

ومن وجه آخر لدلالة العقل أنه إذا ثبت أن العالم كُري، وأن الله لا بد أن يكون مباينا لخلقه، والعلو المطلق فوق الكره، فيلزم أن يكون في العلو(٤).

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني ومخالفته للكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة في نفيه بأن يكون الله عال على خلقه، بقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١﴾ [سورة الشورى:١١]: بأن فيه رد كما يقول:" على الجهوية القائلين: إنَّ الله في جهة الفوق"(٥)، وقد نفى المكان والجهة عن الله تعالى وسبق الاستفصال في هذه الألفاظ المجملة(٦).

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٢٥٠/٦) ، العلو للذهبي (٢٤٨)، سير أعلام النبلاء (٦٥٦/١٧).

(٢) ينظر: الرد على الجهمية للدارمي (٤٤-٤٥) ، التوحيد لان خزيمة (٢٥٤/١) ، الإبانة عن أصول الديانة (١٠٥)، التمهيد (١٣٤/٧-١٣٥)، درء تعارض العقل والنقل (١٢/٦)، بيان تلبيس الجهمية (٤٤٥/٢-٤٤٧).

(٣) الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (٤٠) ، درء تعارض العقل والنقل (١٤٣/٦-١٤٦)، مختصر الصواعق المرسلة (٤١٨).

(٤) ينظر: درء تعارض العقل والنقل (٣/٧).

(٥) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٨/ب).

(٦) ينظر: (ص٥١٠).

أما صفة الاستواء، فهي صفة فعلية متعلقة بمشيئة الله تعالى، وقد ورد استواء الله على عرشه في القرآن في سبعة مواضع، منها قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [سورة الأعراف:٥٤].

والأحاديث في الاستواء كثيرة منها قوله-صلى الله عليه وسلم-: ((**لما خلق الله الخلق، كتب في كتابه فهو عنده فوق العرش، إن رحمتي تغلب غضبي**))(١).

ومن الأدلة قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»(٢).

يقول ابن خزيمة رحمه الله معلقا على هذا الحديث: « الخبر يصرح أن عرش ربنا جل وعلا فوق جنته، وقد أعلمنا جل وعلا أنه مستو على عرشه، فخالقنا عال فوق عرشه الذي هو فوق جنته»(٣).

وقد أجمع السلف على إثبات صفة الاستواء لله جل جلاله، وقد حكى إجماعهم على هذا غير واحد من أهل العلم(٤)، منهم ابن قدامة رحمه الله حيث يقول: «قد ثبت بكتاب الله، والمتواتر عن رسول الله، وإجماع السلف، أن الله تعالى في السماء على عرشه»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء، حديث رقم (٣٠٢٢)، ومسلم، كتاب: التوبة، باب: في سعة رحمة الله تعالى، حديث رقم (٢٧٥١)، واللفظ له.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله، رقم (٢٧٩٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) التوحيد وإثبات صفات الرب (١/١٥٣).

(٤) ينظر في حكاية الإجماع: خلق أفعال العباد (٢/١٧)، رسالة إلى أهل الثغر (٢٣٢)، العلو للذهبي (١٦٥)، الإبانة لابن بطة (٧/١٣٦)، عقيدة السلف أصحاب الحديث (١٨٨)، التمهيد (٧/١٣٨-١٣٩)، الحجة في بيان المحجة (٢/١١٦)، الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٦/٤٦٨)، مجموع الفتاوى (٢/٢٩٧).

(٥) ذم التأويل (٤٥-٤٦).

وممن نقل الاجماع كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية كما نقل عنه الكتاني سابقا، إلا أنهم أثبتوها بلا نفيها بألفاظ مجملة كما فعل الكتاني، وهذا غلط؛ لأن هذه الألفاظ المجملة تحتمل الحق وتحتمل الباطل.

ومن أشهر ما يروى في ذلك قول الإمام مالك ﷺ وقد سأله رجل عن قول الله ﷻ: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [سورة طه:٥]، كيف استوى؟ فقال مالك: «استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤال عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء»(١).

وعليه فتفويض محمد بن جعفر الكتاني في بعض المواضع لصفة الاستواء، أو إثباته مع نفي الألفاظ المجملة، مخالف لما كان عليه السلف الصالح؛ فقد ظن بأن ظاهر هذه الصفة التشبيه، والحق أن منهج السلف كما سبق هو إثبات هذه الصفة على ظاهرها اللائق بالله تعالى مع نفي مشابهة المخلوقين، وتفويض الكيفية لا المعنى، وللسلف في معنى الاستواء في أربع عبارات هي: العلو، والارتفاع، والصعود، والاستقرار(٢)، يقول ابن القيم ﷺ في نونيته في تفسير معنى الاستواء على العرش(٣):

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا ... كذلك ارتفع الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو أربع ... وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره ... أدرى من الجهمي بالقرآن

فالسلف -رحمنا الله وإياهم- أجمعوا على إثبات الاستواء لله على العرش استواء حقيقيا على المعنى اللائق به تعالى، بل حتى اليهود والنصارى قالوا إن الله على العرش(٤).

---

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣٩٨/٣)، الرد على الجهمية للدارمي (ص٦٦)، التمهيد (١٥١/٧).

(٢) ينظر: صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب: {ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ}، جامع البيان (٤٥٤/١-٤٥٧)، معالم التنزيل (٢٣٥/٣)، مجموع الفتاوى (٥١٨/٥-٥٢٠).

(٣) الكافية الشافية (٨٧).

(٤) ينظر: خلق أفعال العباد للبخاري (١٧/٢)، العلو للذهبي (١٥٨).

وينبغي الإشارة هنا إلى العلاقة بين علو الله ﷻ واستواءه على العرش، وهو أن علو الله علو عام على جميع المخلوقات، أما استواءه فهو علو خاص بالعرش(١)، ولهذا نجد أن الذين ينفون علو الله العام على جميع خلقه، ينفون كذلك علوه الخاص على العرش، لكن العلو «من الصفات المعلومة بالسمع مع العقل، عند أئمة المثبتة، وأما الاستواء على العرش، فمن الصفات المعلومة بالسمع لا بالعقل»(٢).

كما أن معية ﷻ، صفة من صفاته الثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، وقد عد الكتاني جملة من الآيات في تقريره السابق، ومن الأحاديث قول الله ﷻ في الحديث القدسي: ((**أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني**))(٣).

وحديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلى قدمين أبصرنا تحت قدميه، فقال- صلى الله عليه وسلم-: ((**يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما**))(٤).

أما الإجماع، فقد حكى غير واحد من أهل العلم الإجماع على إثبات معية الله ﷻ(٥) لخلقه حقيقة، منهم شيخ الإسلام ابن تيمية كما نقل محمد بن جعفر الكتاني، **ومعية الله ﷻ لخلقه تنقسم إلى قسمين:**

-**عامة:** وهي التي تشمل كل أحد، مؤمن وكافر وبر وفاجر، وهي على ظاهرها، وتستلزم الإحاطة بالخلق علما وقدرة وسمعا وبصرا وغير ذلك من معاني الربوبية، ودليلها قوله ﷻ: ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ**﴾ [سورة الحديد:٤].

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/٣٨٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/٢٢٧).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، حديث: (٣٤٥٣)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أبي بكر، حديث رقم (٢٣٨١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: مناقب المهاجرين وفضلهم، حديث: (٣٤٥٣)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل أبي بكر، حديث رقم (٢٣٨١).

(٥) ينظر حكاية الإجماع: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/١٢٩، ١٣٨)، ذم التأويل (٤٥-٤٦)، درء تعارض العقل والنقل (٦/٢٥٠-٢٥١).

-**خاصة**: وهي التي تقتضي النصرة والتأييد، والإعانة والتسديد، ودليلها قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ۝١٢٨﴾ [سورة النحل:١٢٨]، وهذه المعية على ظاهرها، وحكمها النصر والتأييد[1].

وليس معنى هذا التقسيم أن المعية صُرفت عن ظاهرها، بل هذا الواجب في النصوص كما فسر ذلك السلف، ولقد أزال الإشكال شيخ الإسلام-رحمه الله- حيث قال: «ففرق بين معنى المعية وبين مقتضاها، وربما صار مقتضاها من معناها، فيختلف باختلاف المواضع، فلفظ "المعية" قد استعمل في الكتاب والسنة في مواضع يقتضي في كل موضع أمورا لا يقتضيها في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها - وإن امتاز كل موضع بخاصية-، **فعلى التقديرين ليس مقتضاها** أن تكون ذات الرب ﷻ مختلطة بالخلق، حتى يقال قد صرفت عن ظاهرها»[2].

فمعية الله لخلقه معية حقيقية خاصة تليق به ﷻ، فالله ﷻ معنا على الحقيقة، وهذه المعية لا يستلزم حلولا ولا اختلاطا؛ لأن كلمة (مع) في اللغة إذا أطلقت فالمراد منها مطلق المصاحبة والمقارنة من غير مماسة[3]، وإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى، وهذا كقولنا ما زلنا والقمر معنا، أو النجم معنا.

والله ﷻ مع خلقه حقيقة، وهو فوق عرشه حقيقة، كما أخبر بذلك وجمع بينهما في قوله: قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [سورة الحديد:٤]، فأخبر أنه فوق العرش يعلم كل شيء وهو معنا أينما كنا.

---

(١) ينظر: شرح حديث النزول (٣٥٦-٣٦٣)، مجموع الفتاوى (١٠٣/٥-١٠٤)، مختصر الصواعق المرسلة (٤٥٦)، جامع العلوم والحكم (٥٦١/٢-٥٦٢)، تفسير القرآن العظيم (٦١٥/٤)،

(٢) مجموع الفتاوى (١٠٤/٥)، وينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٤٥٦).

(٣) ينظر مادة (مع): معجم مقاييس اللغة (٢٧٤/٥)، المفردات في غريب القرآن (٧٧١).

وليس معنى قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أنه مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة، وخلاف ما فُطر عليه الخلق(١).

والله ﷻ قد أخبر عن نفسه بأنه مع خلقه عموما معية حقيقية، فقال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾، ومن لوازم هذه المعية الحقيقية العلم والإحاطة، والنصر والتأييد(٢).

ولم يقل أحد من السلف بأن الله معنا بذاته على الحقيقة، أو قال هو مع خلقه بذاته معية عامة، فالقول بأن الله معنا بذاته خروج عن منهج السلف-، وهذا ما قرر الكتاني عندما قال:" وليس المراد بها المصاحبة في المكان؛ لتنزيهه تعالى عنها"(٣) وما قرره الكتاني هنا يُرد به على ما قرره في وحدة الوجود- كما سبق-؛ لأن هذا تناقض ظاهر، والحقيقة أن الاتحادية لا معنى عندهم للمعية؛ لقولهم باتحاد الله تعالى ومخالطته لمخلوقاته (٤).

وما ذكره بأن الله منزه عن الجهات، وأنه متعال عن المكان والتحيز، فهذه ألفاظ مجملة تحتاج إلى استفصال، وقد سبق الاستفصال عن لفظ المكان والجهة، أما لفظ الحيز، فيستفصل فيه، فيقال لمن أطلقه: ماذا تريد بالحيز الذي نفيته عن الله؟فإن قال: أردت أن الله عز وجل يحيط به أمر موجود، أو يحوزه شيء، أو قال أردت بالحيز الحيز الوجودي، يقال له: هذا باطل لا يطلق في حق الله تعالى؛ لأن الله أعظم وأكبر من أن يحيط به شيء من مخلوقاته، وقد أصبت المعنى بنفيك، وأخطأت في اللفظ.

وإن قال: أردت بالحيز، أن الله عز وجل مباين للمخلوقات منفصل عنها، أو قال أردت بالحيز الحيز العدمي، فيقال له: هذا المعنى صحيح وقد أخطأت بنفيه عن الله سبحانه، لأن الله عز وجل منحاز عن خلقه فوق سماواته ﷻ(٥).

---

(١) ينظر: الفتوى الحموية (٥٢٠-٥٢١) ، العقيدة الواسطية (٢٣-٢٤)، مجموع الفتاوى (١٠٣/٥، ١٤٢/٣)، القواعد المثلى (٦٣).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠٤/٥)، وينظر: مختصر الصواعق المرسلة (٤٥٦).

(٣) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٢).

(٤) ينظر رد ابن تيمية على الاتحادية (١٢٢/٥-١٢٦).

(٥) ينظر: منهاج السنة النبوية (٢٠٥/٢-٢٠٦)، التدمرية (٦٧-٦٨)، درء تعارض العقل والنقل (٢٥٣/١-٢٥٥)، بيان تلبيس الجهمية (١١٧/٢-١١٩).

أما قوله: " أنه سبحانه وتعالى فوق سماوته، على عرشه على حسب ما يليق بكماله، من غير حلول، ولا كيف، ولا تمثيل ولا تشبيه، ولا جسمية، ولا اتصال، ولا انفصال"(١).

فليس في الكتاب والسنة وصف له-تعالى-بأنه لا داخل العالم، ولا خارجه، ولا مباينه، ولا مداخله، ولا متصل ولا منفصل، ومعلوم أن الله -عز وجل-مباين للمخلوقات، ليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فإن أراد بنفي الاتصال هذا المعنى فقد أصاب المعنى، وأخطأ في اللفظ.

أما نفي الانفصال عن الله -عز وجل- في سياق الإثبات فمشكل؛ لأن محمد بن جعفر الكتاني أثبت في تقريره السابق أن الله -عز وجل- فوق سماواته، فهو بائن من خلقه، ثم نفى الاتصال عن الله -عز وجل-، ونفى أن يكون -عز وجل-منفصل من خلقه! وهذا باطل؛ لأن كل موجود إما أن يكون داخلاً فلا يكون خارجاً، وإما أن يكون خارجاً فلا يكون داخلاً، وأما إذا كان لا داخلا ولا خارجاً، فهذا ليس بشيء موجود وإنما هو معدوم!، ولعل عبارته هذه من آثار اعتقاده بعقيدة وحدة الوجود، فنفى الانفصال لاعتقاده بحلوله وهذا تناقض، إذ كيف يكون فوق سماواته على عرشه، ومع ذلك هو في كل مخلوقاته؟(٢)، مع أن تقريره هنا متناقض مع تقريره السابق في نفي علو الله تعالى، حيث قال في قوله:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]: بأن فيه رد كما يقول:" على الجهوية القائلين: إنَّ الله في جهة الفوق"(٣)، فنفى العلو تارة، وأثبته تارة مع نفي الألفاظ المجملة.

هذا ما تيسر جمعه، ويتبين فيه تناقض واضطراب محمد بن جعفر الكتاني، ونهجه لمنهج الأشاعرة في الجملة.

---

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٤٤).

(٢) ينظر: التدمرية (٦٦-٦٧).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٨/ب).

الفصل الثالث

آراء محمد بن جعفر الكتاني في بقية أركان الإيمان

المبحث الأول

آراء محمد بن جعفر الكتاني

في الإيمان بالملائكة والكتب

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: آراؤه في الإيمان بالملائكة
- المطلب الثاني: آراؤه في الإيمان بالكتب

الفصل الثالث: آراء محمد بن جعفر الكتاني في بقية أركان الإيمان

المبحث الأول: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالملائكة والكتب

المطلب الأول: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالملائكة

تعريف الملائكة:

عرف محمد بن جعفر الكتاني الملائكة بقوله:" والملائكة: جمع ملك، وهو يشمل جبريل وغيره -عليهم السلام-"(١)، وقال:" (ملكًا) بفتح اللام: واحد الملائكة"(٢).

وهذا ما قرره أهل اللغة فالملائكة: جمع ملك، واختلف أهل اللغة هل هو جامد أو مشتق، والقول باشتقاقه أصوب من جهة اللغة والمعنى(٣).

يقول ابن جرير رحمه الله: « والملائكة جمع ملأك، غير أن واحدهم بغير الهمز أكثر وأشهر في كلام العرب منه بالهمز، وذلك أنهم يقولون في واحدهم ملك من الملائكة، ...وقد يقال في واحدهم: مألك، فيكون ذلك مثل قولهم: جبذ وجذب، وشأمل وشمأل، وما أشبه ذلك من الحروف المقلوبة، ... فمن قال: ملأكا، فهو مفعل من لأك إليه يلأك: إذا أرسل إليه رسالة ملأكة ومن قال: مألكا، فهو مفعل من ألكت إليه آلك: إذا أرسلت إليه مألكة وألوكا، ...فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة؛ لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه، ومن أرسلت إليه من عباده»(٤).

---

(١) شرح على دلائل الخيرات (ل ٢٢)، وينظر: جلاء القلوب (٢/٢٢٤).

(٢) المرجع السابق (ل ٣٩)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٨٥/ ب).

(٣) ينظر: مادة (ملك): تهذيب اللغة (١٠/١٥٢) ، معجم مقاييس اللغة، مادة: (ألك)، (١/١٣٢)، الصحاح، مادة (ملك)، (٤/١٦١١)، لسان العرب، مادة: (ألك)، (١٠/٣٩٢)، القاموس المحيط (ص١٢٠٣).

(٤) جامع البيان (١/٤٧٢-٤٧٥).

وذكر الكتاني بأن الله تعالى عدّ في القرآن كما يقول: "من أسماء الملائكة اثنا عشر"(١)، وسردهم تفصيلا.

وقد ورد في كتاب الله-عز وجل- وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-ما يبين حقيقة الملائكة، ويوضح أوصافهم، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿**ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ**﴾ [سورة الحج:٧٥]، وقوله عز وجل: ﴿**ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ**﴾ [سورة فاطر:١].

وقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**خلقت الملائكة من نور**)) (٢).

فالملائكة خلق من خلق الله تعالى، خلقهم الله لعبادته، واصطفاهم لقربه، واختصهم بتدبير أمره، وجعلهم سفراء رسله إلى خلقه.

وقد بين محمد بن جعفر الكتاني حقيقة الملائكة، وشيئا من صفاتهم، كما سيأتي تفصيله بحول الله.

والإيمان بالملائكة الركن الثاني من أركان الإيمان، والذي لا يصح إيمان عبد حتى يقر به، قال ﷻ: ﴿**ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ**﴾ [سورة البقرة:٢٨٥]، وقال ﷻ: ﴿**مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ٩٨**﴾ [سورة البقرة:٩٨].

وقد حكم الله بالكفر على من أنكر وجود الملائكة، ولم يؤمن بهم، فقال تبارك وتعالى: ﴿ **وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦**﴾ [سورة النساء:١٣٦].

والإيمان بالملائكة ينتظم أمورا أربعة، هي:

-الإيمان بوجودهم.

-الإيمان بمن علمنا اسمه منهم كجبريل وإسرافيل، ومن لم نعلم اسمه نؤمن به إجمالا.

-الإيمان بما علمنا من صفاتهم.

---

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٨٦/ ب).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: في أحاديث متفرقة، رقم: (٢٩٩٦).

-الإيمان بمن علمنا من أعمالهم(١).

يقول ابن القيم رحمه الله: «وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات، ... تتنزل بالأمر من عنده في أقطار العالم، وتصعد إليه بالأمر قد أطّت بهم السماء، ... ويدخل البيت المعمور كل يوم منهم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليه، ... والقرآن مملوء بذكر الملائكة، وأصنافهم، وأعمالهم، ومراتبهم، ... بل لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحا، أو تلويحا، أو إشارة.

وأما ذكرهم في الأحاديث النبوية فأكثر وأشهر من أن يذكر، ولهذا كان الإيمان بالملائكة عليهم السلام أحد الأصول الخمس التي هي أركان الإيمان"(٢).

وقد عرض محمد بن جعفر الكتاني لجملة من المسائل المتعلقة بالملائكة، وهي: أعمالهم، ومادة خلقهم، وتشكلهم، ورؤيتهم ومحادثتهم، عصمتهم، وموتهم، والمفاضلة بينهم وبين صالحي البشر، وقد نهج بهذا منهج الأشاعرة الموافق لما قرره السلف الصالح في الجملة(٣)، إلا في بعض المسائل التي نهج فيها منهج الصوفية، وبيان ذلك فيما يلي:

أعمالهم:

عدد محمد بن جعفر الكتاني بعض أعمال الملائكة، بعد تعريفه بالملائكة فقال:" قسم: شأنهم الاستغراق في معرفة الحق، والتنزه عن الاشتغال بغيره، كما وصفهم في محكم التنزيل فقال: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ۝﴾ [سورة الأنبياء:٢٠]، وهم العلوية والملائكة المقربون.

وقسم: يدبر الأمر من السماء إلى الأرض على ما سبق به القضاء، وجرى به القلم الإلهي، وهم المدبرات أمرا، فمنهم سماوية، ومنهم أرضية، فهم بالنسبة إلى ما هيأهم الله له أقسام:

---

(١) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (٣٠٢/١)، شعب الإيمان للبيهقي (٢٩٦/١)، الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي (ص٩-١٠).

(٢) إغاثة اللهفان (١٢٥/٢-١٣١).

(٣) ينظر: ينظر: الإرشاد (٧٦)، نهاية الإقدام (٩٣)، غاية المرام (٣٢٥)، المواقف (٦٩٣/٢).

فمنهم: حملة العرش، ومنهم: كروبيون الذين هم حول العرش، وهم أشراف الملائكة مع حملة العرش، وهم الملائكة المقربون، ومنهم: جبريل ومكائيل وإسرافيل، وقد ذكر الله تعالى أن يستغفروا للمؤمنين بظهر الغيب.

ومنهم: سكان السماوات السبع يعمرونها عبادة لا يفترون، فمنهم الراكع دائما، والقائم دائما، والساجد دائما.

ومنهم: الذين يتعاقبون زمرة بعد زمرة إلى البيت المعمور كل يوم سبعون ألفًا لا يعودون إليه.

ومنهم: الموكلون بالجنان، وإعداد الكرامة لأهلها، وتهيئة الضيافة لساكنيها من ملابس ومساكن ومآكل ومشارب وغير ذلك مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

ومنهم: الموكلون بالنار، ومنهم الزبانية، ومقدموهم تسعة عشر، وخازنها مالك، وهو مقدم على جميع الخزنة.

ومنهم: الموكلون بحفظ بني آدم، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه.

ومنهم: الموكلون بحفظ أعمال العباد، لا يفارقون الإنسان إلا عند الجنابة والغائط والغسل"(١).

كما ذكر بأن الله وكل إلى الملائكة تصريف الكون وتدبيره، واستدل على هذا بقول الله -عز وجل-: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ۝٥﴾ [سورة النازعات:٥]، وقوله: ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ [سورة الذاريات:٤]، وقال في ذكر التفاسير فيها :"يدبر الأمر في الدنيا أربعة أملاك: جبريل، وميكائيل، وملك الموت، وإسرافيل-عليهم السلام-، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأنفس، وأما إسرافيل فهو ينزل عليهم بالأمر من الله تعالى، وفيها [أي: في التفاسير] أيضا لدى قوله في سورة الذاريات ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾ [سورة الذاريات:٤]، إنها الملائكة تقسم الأمور من الأمطار والأزواد،

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٨٦/أ)، ينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٦١).

وغيرها بين الخلق على ما أمروا به، وقيل هم أربعة: جبريل للوحي إلى الأنبياء والغلظة والعذاب، وميكائيل للرزق والرحمة، وإسرافيل للصور واللوح، وعزرائيل لقبض الأرواح"(١).

وبيّن بأن الملائكة ضد الشياطين، يقول في ذلك: "الملائكة ضد الشياطين، وما نفرت من موضع إلا وعمره إبليس وجنوده، وحرم صاحبه دخول ملائكة البركة والرحمة بيته، وصلاتها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه وفي بيته، ودفعها أذى الشياطين، ودخل عليه الشر من كل جانب نسأل الله العافية!" (٢).

وقال:" منهم رسل الله إلى أنبيائه وأمناؤه على وحيه ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴾ [سورة النحل: ٥٠]"(٣).

ويرى بأن الحفظة لا تفارق بني آدم بحال من الأحوال؛ لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم، وأيد ذلك بنقل تقريرات كثير من أهل العلم، كالنووي وابن حجر، والشوكاني وغيرهم(٤).

وقد ألّف محمد بن جعفر الكتاني كتابا بيّن فيه بعض ما تنفر منه الملائكة، وسماه: "بلوغ القصد والمرام ببيان بعض ما تنفر منه الملائكة الكرام"، فذكر فيه جملة مما يؤذي الملائكة، ويوجب نفورهم من الذنوب والمعاصي والكفر والشرك، واستدل على ذلك ببعض الأدلة.

المناقشة:

ما ذكره محمد بن جعفر الكتاني من أعمال الملائكة هو ما دل عليه الكتاب والسنة، فإن "كل حركة في السماوات والأرض ... فهي ناشئة عن الملائكة، الموكلين بالسموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ۝﴾ [سورة النازعات:٥]، وقال: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا

---

(١) جلاء القلوب (٢/٢٩٣)، وينظر المرجع نفسه (٢/٢٢٣)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٨٥/ب).

(٢) بلوغ القصد والمرام (٢)، وينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٣٦).

(٣) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٦)، ينظر: بلوغ القصد والمرام (٥-٦، ٢٥).

(٤) ينظر: بلوغ القصد والمرام (٥-٦، ٢٥).

﴿٤﴾ [سورة الذاريات:٤]، وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل -عليهم السلام-، ... وقد دل الكتاب والسنة على أصناف الملائكة، وأنها موكلة بأصناف المخلوقات"(١).

والأعمال العظيمة التي وكل الله الملائكة بالقيام بها ومباشرتها كثيرة جدا ومتنوعة، لكنها من حيث التعلق تنقسم إلى قسمين:

- **الأول:** ما يتعلق بالكون والسموات والأرض وما فيهن.

  ومنهم حملة العرش، وخزنة الجنة، وخزنة النار.

- **الثاني:** ما يتعلق بالإنسان، وهم ملازمون له من خلق أبي البشر آدم عليه السلام إلى دخولهم الجنة والنار(٢).

يقول ابن القيم -رحمه الله-« والملائكة الموكلة بالإنسان من حين كونه نطفة إلى آخر أمره، لهم وله شأن آخر ...»(٣).

ويقول ابن كثير رحمه الله: "للعبد ملائكة يتعاقبون عليه، حرس بالليل وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات، كما يتعاقب ملائكة آخرون لحفظ الأعمال من خير أو شر، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، فاثنان عن اليمين الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات، وملكان آخران يحفظانه ويحرسانه، واحدا من ورائه وآخر من قدامه، فهو بين أربعة أملاك بالنهار، وأربعة آخرين بالليل بدلا، حافظان وكاتبان"(٤).

إلا أن تسميته ملك الموت بعزرائيل، وقوله: "وإسرافيل للصور واللوح، وعزرائيل لقبض الأرواح"(٥) غلط؛ لأنه لا وجود لهذا الاسم في القرآن، ولا في الأحاديث الصحيحة(١).

---

(١) إغاثة اللهفان (١٢٥/٢).

(٢) ينظر: الحبائك في أخبار الملائك (١٦/ وما بعدها)، معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، لمحمد العقيل (ص١٤٣-٢٠٤) عالم الملائكة أسراره وخفاياه، مصطفى عاشور (ص٢٩-وما بعدها).

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان (١٣٠/٢-١٣١).

(٤) تفسير ابن كثير (٤٣٧/٤).

(٥) جلاء القلوب (٢٩٣/٢)، وينظر المرجع نفسه (٢٢٣/٢)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٨٥/ب).

مادة خلقهم:

يقول محمد بن جعفر الكتاني:" واختلف العقلاء في حقيقتهم بعد اتفاقهم على أنهم ذوات موجودة قائمة بأنفسها: فذهب أكثر المسلمين إلى أنهم أجسام لطيفة قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، مستدلين بأن الرسل كانوا يرونهم كذلك"(٢).

كما يقول:" قول أكثر الأمة: أجسام لطيفة نورانية، قادرة على التشكُّل بأشكالٍ مختلفة"(٣).

وقال في قوله عز وجل: ﴿**جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ**﴾ **[سورة فاطر:١]**:"أي: منهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة أجنحة، ومنهم من له أربعة، يعني: ومنهم من له أكثر كما تدل له الأحاديث"(٤).

- **المناقشة:**

من المعلوم أن "كل مخلوق محدث كائن بعد إن لم يكن، ... قد خلق من مادة كما في صحيح مسلم عن عائشة- رضي الله عنها- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: **((خلق الله الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم))** (٥) "(٦).

(١) ينظر: البداية والنهاية (١/١٠٦).

(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٦).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٥/ب).

(٤) شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٠)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٦/أ).

(٥) رواه الإمام مسلم، كتاب: الزهد والرقائق، باب: في أحاديث متفرقة، رقم: (٢٩٩٦)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) مجموع الفتاوى (١٨/٢١٨)، وينظر: منهاج السنة (١/٣٦٤).

فالملائكة خلقت من نور كما قال-صلى الله عليه وسلم-، ولم يرد عنه -صلى الله عليه وسلم- ما يبين حقيقة هذا النور، وما ورد عن بعض السلف في بيانه لا يصح؛ لأن الحديث نص على إطلاق خلقهم من نور، دون تعيين له(١).

فما قرره محمد بن جعفر الكتاني في أنهم أجسام نورانية لطيفة تعبير سليم موافق لما جاء في الحديث بأنهم خلقوا من نور.

قدرتهم على التشكل:

يقر محمد بن جعفر الكتاني بأن الملائكة قادرة على التشكل، ومما قاله في الملائكة:" قادرة على التشكُّل بأشكالٍ مختلفة"(٢)، ومن الأدلة التي استدل بها قوله عز وجل: ﴿**فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ١٧﴾ [سورة مريم:١٧]، وقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول**)) (٣)، (٤).

ومما قاله في رؤية الملائكة المتشكلة: "وكل ما يرى فيها لا بد أن يكون حقا مطابقا للواقع، أي: للصورة الخارجية من غير اختلال"(٥).

- المناقشة:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من قدرة الملائكة على التشكل، هو ما دل عليه الكتاب والسنة، فمن الخصائص التي اختص بها الملائكة قدرتهم على التشكل بأشكال متعددة، حسب ما تقتضيه المناسبات التي ينزلون فيها بأمر الله تعالى، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، كما قرر الكتاني.

---

(١) ينظر: السلسلة الصحيحة (٨٢٠/١)، معتقد فرق المسلمين في الملائكة للعقيل (٢١-٢٦).

(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب: بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حديث رقم (٢).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (٦٣/٢).

(٥) المرجع السابق (٦٣/٢-٦٤).

وقدرة الملائكة على التشكل جائزة عقلا وشرعا، وقول من قال بمنعها، وأنها مجرد خيالات تظهر للرائي دون أن يكون لها حقيقة في الخارج، مبني على قياس الملائكة على البشر، وهو قياس مع الفارق؛ للاختلاف في الخلقة والقدرة(١).

رؤية الملائكة ومحادثتهم:

نقل محمد بن جعفر الكتاني أنه "لا يجمع بين رؤية الملك وسماع كلامه إلا الأنبياء فقط، أما غيرهم فإن وقع أنه رأى ملكا، لا يكلمه الملك، وإن كلمه لا يرى شخصه"(٢)، فأقر النفي في الجمع بين رؤية وسماع الملائكة إلا للأنبياء فقط، وخالف هذا بقوله في موضع: "فالصواب في الفرق بين النبي والولي وإن كان كل منهما ينزل عليه جبريل أو غيره من الملائكة فيراه ببصره، ويسمع خطابه بالأمر والنهي أو غيرهما على ما تحرر: أن النبي ينزل عليه الملك بالنبوة وبما يناسبها، ويتبعها من الأحوال والأقوال والشرائع، والولي لا يأتيه بنبوة ولا بما يناسبها، وإنما ينزل عليه بغير ذلك بما يناسب حال الولاية"(٣).

وقال عن جبريل-عليه السلام-:" ما اشتهر من أنه لا ينزل على الأولياء، وإن نزوله خاص بالأنبياء لا أصل له ولا يصح، بل ينزل على الأولياء ويصافحهم"(٤).

وتقدم تقريره بأن كثيرا من الأولياء ممن يحصل عنده طهارة النفس، يُكشف لهم، وقد يشاهدون الملائكة، ويستفيدون منهم (٥).

وقال: "الولي قد يطلع أيضا [أي: على الغيب] بإخبار الرسول-صلى الله عليه وسلم- أو غيره من الأنبياء والرسل، أو بإخبار ملك الإلهام أو غيره من الملائكة" (٦).

---

(١) ينظر: غاية المرام للآمدي (٣٢٥)، فتح الباري (٢١/١)، الحبائك (٢٦١)، بيان تلبيس الجهمية (٣٦٤/٢).

(٢) بلوغ القصد والمرام (٤٨).

(٣) جلاء القلوب (١٢٤/٣).

(٤) المرجع السابق (١٢٣/٣).

(٥) ينظر: رسالة المسلسلات (٦٣-٦٤)، جلاء القلوب (١٥/١، ١٤٩)، الإجازة الأيوبية (٤٩)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٦، ١٥٣، ٣٩٢).

(٦) جلاء القلوب (١٤٨/١)، وينظر: (١٧٢/١، ١٩٢).

- **النقد:**

خالف محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته السابقة منهج السلف الصالح، فلما كانت الملائكة أجساماً نورانية لطيفة، فإن العباد لا يستطيعون رؤيتهم إلا عند تشكلهم، ولم ير الملائكة في صورهم الحقيقية من هذه الأمة إلا الرسول -صلى الله عليه وسلم، فإنه رأى جبريل في صورته التي خلقه الله عليها مرتين (١).

فإذا كان النبي-صلى الله عليه وسلم-لم ير جبريل على صورته الحقيقية إلا مرتين وقد هاله-صلى الله عليه وسلم- عظم خلقه، فإنه لا يراهم غيره من باب أولى.

أما رؤيتهم عند تشكلهم فهذا ثابت، كما في تمثل جبريل لمريم في صورة بشر، قال تعالى: ﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝﴾ [سورة مريم:١٧].

وكما جاءت الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، ولم يعرف أنهم ملائكة حتى كشفوا له حقيقة أمرهم، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ۝ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۝﴾ [سورة الذاريات:٢٥].

وكما رأى الصحابة -رضي الله عنهم- جبريل-عليه السلام- وهذا كثير(٢)، إلا أنهم لم يعلموا أنه ملك إلا بإخبار النبي-صلى الله عليه وسلم- ومن ذلك حديث أسيد بن حضير- رضي الله عنه- بينما هو يقرأ من الليل سورة البقرة، وفرسه مربوطة عنده، إذ جالت الفرس فسكت فسكتت، فقرأ فجالت الفرس، فسكت وسكتت الفرس، ثم قرأ فجالت الفرس فانصرف، وكان ابنه يحيى قريبا منها، فأشفق أن تصيبه فلما اجتره رفع رأسه إلى السماء، حتى ما يراها، فلما أصبح حدث النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((**اقرأ يا ابن حضير، اقرأ يا**

---

(١) كما في البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء، آمين فوافقت إحداهما الأخرى، غفر له ما تقدم من ذنبه، رقم (٣٢٣٢)، ينظر: فتح الباري (٩/٦٢-٦٥)، بيان تلبيس الجهمية (١/٣٢٧).

(٢) ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب سؤال جبريل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الإيمان والإسلام والإحسان، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه رقم (٥٠)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان الحديث رقم (١) من حديث عمر بن الخطاب، والحديث رقم (٩٥) من حديث أبي هريرة وقال في آخره: «هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم».

ابن حضير))، قال: فأشفقت يا رسول الله أن تطأ يحيى، وكان منها قريبا، فرفعت رأسي فانصرفت إليه، فرفعت رأسي إلى السماء، فإذا مثل الظلة فيها أمثال المصابيح، فخرجت حتى لا أراها، قال: ((**وتدري ما ذاك؟**))، قال: لا، قال: ((**تلك الملائكة دنت لصوتك، ولو قرأت لأصبحت ينظر الناس إليها، لا تتوارى منهم**)) [(١)].

وكما ورد أيضاً أنه جاء إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– في صورة رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، وأنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان كما جاء في الحديث المشهور، وفي آخره قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((**يا عمر أتدري من السائل؟**))، قال: قلت: الله ورسوله أعلم، قال: ((**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**)) [(٢)].

فإثبات أنهم ملائكة متوقف على وحي من الله عز وجل؛ ولأنه إذا كان أمرهم لم يتبين لإبراهيم ولوط –عليهما السلام– حتى أخبرتهم الملائكة، ولا للصحابة، فباقي الناس أولى بعدم التبين.

فليس كل من ادعى: أنه رأى ملكاً من الملائكة، أو سمع كلامه يقظة صدقناه، فما أكثر من يدعي أنه رأى جبريل أو غيره من الملائكة، وهو في ذلك كله متوهم أو ضال مبتدع أو مدّع بباطل.

ورؤية الملائكة لا تعرف إلا من الأتقياء من الصحابة، والأنبياء، قال الحافظ ابن حجر–رحمه الله–: " قال النووي: في هذا الحديث جواز رؤية آحاد الأمة للملائكة، كذا أطلق وهو صحيح، لكن الذي يظهر التقييد بالصالح مثلا، والحسن الصوت، قال: وفيه فضيلة القراءة، وأنها سبب نزول الرحمة وحضور الملائكة، قلت: الحكم المذكور أعم من الدليل، فالذي في الرواية إنما نشأ عن قراءة خاصة من سورة خاصة بصفة خاصة، ويحتمل من الخصوصية ما لم يذكر، وإلا لو كان على الإطلاق لحصل ذلك لكل قارئ، وقد أشار في آخر الحديث بقوله ما

---

(١) رواه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن، رقم: (٥٠٨١)، ومسلم، كتاب: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: نزول السكينة عند قراءة القرآن، رقم: (٢٤٢).

(٢) رواه مسلم، كتاب: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب: نزول السكينة عند قراءة القرآن، رقم: (٨).

يتوارى منهم إلى أن الملائكة لاستغراقهم في الاستماع كانوا يستمرون على عدم الاختفاء الذي هو من شأنهم"(١).

فرؤيتهم على صورتهم الحقيقية لم يثبت عن أحد من هذه الأمة أنه رآهم على صورتهم إلا الرسول -صلى الله عليه وسلَّم-، فهم أجسام نورانية لم يجعل الله تعالى في مقدور البشر رؤيتهم إلا إن تشكلوا-كما سبق- وهي لا تحصل إلا من الأتقياء، ولا تثبت إلا بالوحي.

فقول محمد بن جعفر الكتاني بإمكان رؤية غير الأنبياء للملائكة، وإمكان تكليم الملائكة، والأخذ عنهم باطل؛ لعدم الدليل على ذلك، فلا دليل على مخاطبة الملائكة للأولياء من جنس مخاطبتهم الأنبياء، كما أنه لم يدَّع أحد من السلف الصالح مجيء الملائكة إليه ومخاطبته، أو الوحي إليه، وأخذ الأحكام الشرعية منه(٢)،وهذا من بدع الصوفية، وغلوهم في الأولياء وانحرافهم بالكرامات.

ومحمد بن جعفر الكتاني متناقض في هذه المسألة، فمرة يجمع بين إمكان رؤية الملائكة وسماعهم والأخذ منهم، ومرة ينفي الجمع بين الرؤية والسماع! حيث قال: "لا يجمع بين رؤية الملك وسماع كلامه إلا الأنبياء فقط، أما غيرهم فإن وقع أنه رأى ملكا، لا يكلمه الملك، وإن كلمه لا يرى شخصه"(٣)، والتناقض دليل على فساد تقريره ومنهجه.

أما رؤية الملائكة في المنام فهي جائزة (٤)، وقد وقعت للنبي-صلى الله عليه وسلم- وغيره، ومن ذلك قول النبي-صلى الله عليه وسلم- من حديث عائشة: ((**أريتك قبل أن أتزوجك مرتين، رأيت الملك يحملك في سرقة من حرير، فقلت له: اكشف، فكشف فإذا**

---

(١) ينظر: فتح الباري (٩/٦٥).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/٧٤)، للاستزادة ينظر: معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (٢٦٢).

(٣) بلوغ القصد والمرام (٤٨).

(٤) ينظر: شرح السنة للبغوي (١٢/٢٢٨)، بيان تلبيس الجهمية (١/٣٢٧).

هي أنت، فقلت: إن يكن هذا من عند الله يمضه، ثم أريتك يحملك في سرقة من حرير، فقلت: اكشف، فكشف، فإذا هي أنت، فقلت: إن يك هذا من عند الله يمضه)) (١).

وقد وقعت في المنام لغير النبي-صلى الله عليه وسلم-ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه من حديث عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- في قصة رؤياه وقال فيها: **((فرأيت في النوم كأن ملكين أخذاني فذهبا بي إلى النار، فإذا هي مطوية كطي البئر، وإذا لها قرنان، وإذا فيها أناس قد عرفتهم، فجعلت أقول: أعوذ بالله من النار، قال: فلقينا ملك آخر، فقال: لم تُرَعْ))** (٢).

وفي لفظ آخر قال: **((فبينما أنا كذلك إذ جاءني ملكان في يد كل واحد منهما مقمعة من حديد يقبلان بي إلى جهنم، وأنا بينهما أدعو الله، اللهم أعوذ بك من جهنم، ثم أراني لقيني ملك في يده مقمعة من حديد، فقال: لن تُراع، نعم الرجل أنت لو تكثر الصلاة))** (٣).

قال العيني -رحمه الله -في شرح هذا الحديث: "وفيه رؤية الملائكة في المنام، وتحذيرهم للرائي لقوله: **((فرأيت ملكين أخذاني))** "(٤).

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "ويحتمل أن يكونا أخبراه بأنهما ملكان، أو اعتمد النبي – صلى الله عليه وسلم – لما قصته عليه حفصة فاعتمد على ذلك"(٥).

والقول بجواز رؤية الملائكة في المنام لا يعني وصف حقيقة الملائكة، كما قال ابن تيمية -رحمه الله- في أثناء حديثه عن رؤية الله في المنام: "بل نفس الجن والملائكة لا يتصورها الإنسان، ويتخيلها على حقيقتها، بل هي خلاف ما يتخيله، ويتصوره في منامه، ويقظته، وإن

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التعبير، باب: رؤية الحرير في المنام، رقم: (٧٠١٢)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضل عائشة، رقم (٢٤٣٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب: التهجد، باب: فضل قيام الليل، رقم (١١٢١)، ومسلم كتاب: الفضائل، باب: فضائل عبد الله بن عمر، حديث: (٢٤٧٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب: التعبير، باب: الأمن وذهاب الروع في المنام، رقم: (٧٠٢٨).

(٤) عمدة القاري (١٧٠/٧).

(٥) فتح الباري (٤١٨/١٢)،) وقوله (اعتمد) هكذا في الفتح، ولعل الصواب: اعتد على حكم النبي.

كان ما رآه مناسبًا ومشابها لها"(١)، كما لا يعني رؤية الملائكة في المنام جواز التلقي عنهم وأخذ الشرائع منهم.

عصمة الملائكة:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني عصمة الملائكة، ويقول:" أما الرسل منهم فاتفق على عصمتهم، كعصمة رسل البشر، وأنهم معهم كهُم مع أممهم في التبليغ وغيره، واختلف في غير الرسل منهم، ... والذي عليه المحققون عصمة الملائكة مطلقا "(٢).

وعلل تعليم هاروت وماروت للناس السحر بقوله: "قوله تعالى في الملكين الذين كانا يعلمان الناس السحر ببابل، وهما هاروت وماروت: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، فكان تعليمهما للسحر على قول بعض المفسرين بأمر من الله تعالى؛ ابتلاء للخلق وامتحانا لهم"(٣).

- **المناقشة:**

العصمة هي: الالتزام بالمأمورات، والبعد عن المنهيات(٤)، يقول ابن تيمية–رحمه الله:" العصمة مطلقا... هي فعل المأمور وترك المحذور"(٥).

وقد اتفق المسلمون على عصمة المرسلين من الملائكة، واختلفوا فيما عداهم، يقول القاضي عياض–رحمه الله–:" أجمع المسلمون على أن الملائكة مؤمنون فضلاء، واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة، ... واختلفوا في غير المرسلين منهم، فذهبت طائفة إلى عصمة جميعهم عن المعاصي، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ

(١) بيان تلبيس الجهمية (٣٢٧/١).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٥/ب)، وينظر: حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٦٢-٦٣، ١٢٢).

(٣) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٧٨)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٦/أ).

(٤) ينظر: منهاج السنة (٤٠٦/٦، ٤٢٩، ٤٦٩، ٨٥/٧)، فتح الباري (٥١٠/١١)، شرح الكوكب المنير، لابن النجار الحنبلي (١٦٧/٢)، للاستزادة ينظر: عصمة غير الأنبياء، يوسف السعيد (٢١٨-٢١٩)، مجلة جامعة الإمام، العدد (٢١)، ١٤٢١هـ.

(٥) منهاج السنة (٨٥/٧).

مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [سورة التحريم:٦]...وذهبت طائفة: إلى أن هذا مخصوص للمرسلين منهم والمقربين...

والصواب: عصمة جميعهم، وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم"(١).

وعليه فما قرره محمد بن جعفر الكتاني في القول بعصمة جميع الملائكة هو الصواب الذي تعضده الأدلة، أما هاروت وماروت الوارد ذكرهما في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [سورة البقرة:١٠٢]، فقد اختلف أهل العلم فيهم على قولين:

الأول: أنهما ليسا من الملائكة، وإنما هم شيطانان، و(ما) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ نافية.

الثاني: أنهما من الملائكة، و(ما) في الآية موصولة(٢)، واختلفوا في الجواب عن قصتهما:

فمنهم من ذهب إلى القول بأنه يمكن أن تكون هذه شريعة من الشرائع، ثم نسخت هذه الشرائع(٣).

ومنهم من ذهب إلى القول بأن هذا من امتحان الله لعباده، وهو أمر جائز(٤)، وهذا ما ذهب إليه محمد بن جعفر الكتاني، -مع التذكير بأن محمد بن جعفر الكتاني لم يحرم السحر كما سبق-.

ومنهم من ذهب إلى القول بأن فعلهما ليس بمعصية، وأنهما لم يعصيا؛ لكونهما يعلمان الناس السحر تعليم إنذار وتحذير، لا تعليم دعاء إليه(١).

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٣٧٢).

(٢) ينظر: جامع البيان (٤١٩/٢، ٤٢٣)، معالم التنزيل (١٢٩/١)، الجامع لأحكام القرآن (٥٠/٢)، تفسير ابن كثير (٣٥٠/١).

(٣) ينظر: الفصل في الملل (٢٧/٤).

(٤) ينظر: معاني القرآن للزجاج (١٨٤/١)، جامع البيان (٤٢٢/٢)، معالم التنزيل (١٢٩/١).

ومنهم من ذهب إلى أن ما ورد من الدلائل على عصمة الملائكة لا يعارضه ما ورد في قصة هاروت وماروت؛ لكونهما قد سبق في علم الله لهما ذلك، فيكون تخصيصا لهما[٢].

موتهم:

يقر محمد بن جعفر الكتاني بموت الملائكة، فيقول في رده على من أنكر موت الملائكة الآن:" وأقول: هذا كلام جزافي لا دليل عليه، وموت البعض من الملائكة الآن لأسباب عارضة من بني آدم لا مانع منه لا عقلا ولا شرعا، ولم يرد في حديث ولا في كلام أحد من العلماء التنصيص على أنهم لا يموتون الآن"[٣].

- **المناقشة:**

الله -عز وجل- هو المتفرد بالبقاء، قال تعالى: ﴿**كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ**﴾ [سورة القصص:٨٨]، وقال عز وجل: ﴿**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [سورة الزمر:٦٨]، يقول ابن كثير-رحمه الله-:"هذه النفخة هي الثانية، وهي نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله، ... ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولا وهو الباقي آخرا بالديمومة والبقاء، ويقول: ﴿**لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ**﴾ **[سورة غافر:١٦]**؟؟ ثلاث مرات، ثم يجيب نفسه بنفسه فيقول: ﴿**لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**﴾ **[سورة غافر:١٦]**، أي: الذي هو واحد وقد قهر كل شيء، وحكم بالفناء على كل شيء"[٤].

وقد اختلف الناس في موت الملائكة، هل يموتون أم هم ممن استثنى الله؟

يقول الحافظ ابن حجر العسقلاني-رحمه الله- في شرحه لحديث ابن عباس-رضي الله عنه- أن النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول: ((**أعوذ بعزتك، الذي لا إله إلا أنت الذي لا**

(١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج (١/١٨٣)، الشفا (٣٧٣)، الجامع لأحكام القرآن (٢/٥٣).

(٢) ينظر: أحكام القرآن لابن العربي (١/٤٧)، تفسير ابن كثير (١/٣٥٢).

(٣) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٦٣)، وينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٣٩).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/١١٦).

يموت، والجن والإنس يموتون)) [(١)]: "قوله **((والجن والإنس يموتون))** استدل به على أن الملائكة لا تموت، ولا حجة فيه، ... ولا اعتبار له، وعلى تقديره فيعارضه ما هو أقوى منه، وهو عموم قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [سورة القصص:٨٨]،مع أنه لا مانع من دخولهم في مسمى الجن؛ لجامع ما بينهم من الاستتار عن عيون الإنس"[(٢)].

والقول بموت الملائكة هو الذي عليه أكثر أهل العلم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"الذي عليه أكثر الناس، أن جميع الخلق يموتون، حتى الملائكة وحتى عزرائيل ملك الموت، ... والمسلمون واليهود والنصارى متفقون على إمكان ذلك وقدرة الله عليه؛ وإنما يخالف في ذلك طوائف من المتفلسفة[(٣)]، ... ومن دخل معهم من المنتسبين إلى الإسلام أو اليهود والنصارى، ... وأمثالهم ممن زعم أن الملائكة هي العقول والنفوس وأنه لا يمكن موتها بحال، بل هي عندهم آلهة وأرباب لهذا العالم"[(٤)].

وبما سبق يتضح موافقة محمد بن جعفر الكتاني للحق ولما قرره أكثر أهل العلم في موت الملائكة.

أما ما ذكره في موت البعض من الملائكة الآن لأسباب عارضة من بني آدم، وأنه لا مانع منه لا عقلا ولا شرعا، فلم يرد في حديث ولا في كلام أحد من العلماء التنصيص على

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله عز وجل: {وهو العزيز الحكيم}، حديث رقم: (٧٣٨٣)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: باب التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل، حديث (١٧١٧).

(٢) فتح الباري (١٣/٣٧٠).

(٣) المتفلسفة: هم المتأثرون بآراء الفلاسفة، وقد تقدم بيان المراد بالفلاسفة (ص ١٦٨)، ومن أشهر المتفلسفة المنتسبين إل الإسلام: ابن سيناء، والفارابي، وابن عربي، سعوا في الجمع بين نصوص الشريعة، وآراء الفلاسفة، مما جعلهم يحرفون النصوص عن دلالتها، ويتأولونها تأويلات باطنية، ينظر: الملل والنحل (٥٨/٢)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (١٤٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٥٩/٤).

أنهم لا يموتون الآن، فالأصل عدم الخوض في هذه المسألة؛ لعدم النصوص المثبتة له أو النافية عنه، والله أعلم(١).

المفاضلة بين الملائكة، والمفاضلة بينهم وبين صالحي البشر:

عرض محمد بن جعفر الكتاني لتفاضل الملائكة في مواضع متفرقة من كتبه، وفصّل في أقوال الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، ورجح ما رآه منها، وفيما يلي عرض رأيه في هاتين المسألتين:

- المفاضلة بين الملائكة:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني تفاضل الملائكة، حيث يقول: "وورد في قصة الإسراء أن جبريل وميكائيل وهما أفضل الملائكة، أو من أفضلهم كانا آخذين بركابه عن يمينه وشماله" (٢).

ويقول: "خواص الملائكة وهم حملة العرش، والكروبيون المقربون الذين حول العرش، كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ومن في طبقتهم، وخواص الملائكة أفضل من عوام البشر"(٣).

- المناقشة:

الملائكة متفاوتون في الفضل، يفضل بعضهم بعضا، شأنهم في ذلك شأن سائر مخلوقات الله ﷻ، وأفضلهم رؤساء الملائكة وهم: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل، وعلى هذا دليل من السنة النبوية، وهو دعاء النبي -صلى الله عليه وسلم- في استفتاحه لصلاة قيام الليل، حيث يقول: ((**للهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**)) (٤)، يقول ابن كثير رحمه الله في سياقه

---

(١) ينظر: معتقد الفرق في الملائكة لمحمد العقيل (٩٤).

(٢) جلاء القلوب (٣/٤٩).

(٣) المرجع السابق (٢/٢٣٦).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، حديث رقم: (٧٧٠).

لأصناف الملائكة: «ومنهم الكروبيون الذين هم حول العرش، وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش، وهم الملائكة المقربون كما قال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ [سورة النساء:١٧٢]، ومنهم جبريل وميكائيل عليهما السلام»(١).

ويقول ابن القيم رحمه الله عن حديث استفتاح النبي -صلى الله عليه وسلم- لقيام الليل: «فذكر[أي النبي -صلى الله عليه وسلم-] هؤلاء الثلاثة مِن الملائكة؛ لكمال اختصاصهم، واصطفائهم، وقربهم من الله، وكم مِن مَلَك غيرهِم في السماوات، فلم يُسم إلا هؤلاء الثلاثة، فجبريل: صاحبُ الوحي الذي به حياةُ القلوب والأرواح، وميكائيلُ: صاحب القَطْرِ الذي به حياةُ الأرض والحيوان والنبات، وإسرافيل: صاحب الصُور الذي إذا نفخ فيه، أحيت نفختُه بإذن الله الأموات، وأخرجتهم مِن قبورهم»(٢)ن اما ما قرره في تسمية ملوك الموت بعزرائيل، فهذا لم يثبت كما سبق.

وقد اختلف في المفاضلة بين هؤلاء الثلاثة على أقوال:

الأول: أن أفضلهم جبريل ثم إسرافيل ثم ميكائيل.

الثاني: أن أفضلهم إسرافيل، ثم جبريل ثم ميكائيل.

الثالث: أن أفضلهم جبريل ثم ميكائيل ثم إسرائيل.

الرابع: التوقف(٣)؛ لأن الأحاديث في ذلك لا يثبت بها حكم؛ لكونها ضعيفة، وهي تدل على مطلق تفضيلهم(٤).

- -المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني أقوال الناس في هذه المسألة، ورجح ما رآه منها، وبين أدلته على قوله، حيث يقول في بيان ذلك: "واعلم أنه قد اختلف النقل عن العلماء والصوفية في هذه المسألة على طرائق: الأولى: تقول إن مذهب جمهور الأشاعرة وأهل الحديث

---

(١) البداية والنهاية (١١٢/١).

(٢) زاد المعاد (٤٣/١)، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٤٦١/٢).

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي، (٦١٤/٣)، المطالب العالية في العلم الإلهي للرازي (٤٠٥/٧)، الحبائك (٢٧٤)، فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٤٥٢/٥).

(٤) ينظر: الحبائك (١٩-٣٧).

والتصوف، ... تفضيل الأنبياء على الملائكة كيفما كانت علوية أو وسطية؛ لأن الله تعالى قال بعد ذكر جمع منهم: ﴿وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٨٦﴾ [سورة الأنعام:٨٦]، وقال: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ۝٣٢﴾ [سورة الدخان:٣٢]، وقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝٧﴾ [سورة البينة:٧]، أي: الخلق، وأسجد لآدم ملائكته، وفي الأنبياء من هو أفضل منه؛ ولأن النفوس البشرية داعية إلى الشهوات، وبمخالفتها عادة فاقت الملائكة؛ ولأن أهل الموقف إنما يستشفعون بالأنبياء لا الملائكة، إلى غير ذلك.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني(١)...وابن حزم الظاهري، والمعتزلة والفلاسفة، بتفضيل الملائكة مطلقا"(٢).

ثم ذكر الثانية وهي: قصر الخلاف السابق على الملائكة العلوية، وهي ملائكة السماء، فالملائكة العلوية أفضل من الأنبياء، وأما الملائكة السفلية، وهم ملائكة الأرض فلا خلاف أن الأنبياء أفضل منهم(٣).

وقال في الثالثة:" أن خواص البشر أفضل من خواص الملائكة، وخواص الملائكة أفضل من عامة البشر من المؤمنين، وعامة البشر من المؤمنين أفضل من عامة الملائكة...قلت: وطريقتهم هذه موافقة للطريقة الأولى لا تزيد عليها، إلا بما فيها من التفضيل المسكوت عنه في الأولى.

الرابعة: ... تفضيل الرسل على الملائكة، واختلفوا في تفضيل الملائكة على المؤمنين، وبين الملائكة تفاضل كما بين المؤمنين.

الخامسة: ... سكت جمهورهم – يعني الأشاعرة– عن التفضيل بين الملائكة والرسل، وقالوا الفضل لمن فضّله الله...

---

(١) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر البصري ثم البغدادي، القاضي أبو بكر الباقلاني، أحد أعلام الأشاعرة وأئمتهم، من مؤلفاته: الإنصاف، إعجاز القرآن، توفي عام٤٠٣هـ، ينظر: سير اعلام النبلاء (١٨٣/١٧)، شذرات الذهب (١٦٨/٣).

(٢) جلاء القلوب (٢٣٨/٢)، وينظر المرجع نفسه (٢٣١/٢).

(٣) المرجع السابق (٢٣٨/٢).

السادس: ...أن الأنبياء أفضل، ... والملائكة أشرف...

السابع: ... الإنسان في الرتبة فوق الملائكة..." (١).

ورجح ما اختاره بقوله:" جمهور أهل السنة، والمحققون من العلماء، ...من أن خواص البشر، والمراد بهم الأنبياء، وقيل: هم الصحابة، والأفراد، والأقطاب، أفضل من خواص الملائكة، وهم حملة العرش، والكروبيون المقربون الذين حول العرش، كجبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ومن في طبقتهم، وخواص الملائكة أفضل من عوام البشر" (٢)، ورد على من قال بأفضلية الملائكة مطلقا، فقال: "خلاف ما عليه جمهور الصوفية، وأهل السنة من العكس، وهو الحق الذي لا يعول إلا عليه ولا يعدل عنه أصلا؛ لقوة أدلته، وكثرة من قال به من العلماء والعارفين والصوفية"(٣).

وقد استثنى الكتاني النبي-صلى الله عليه وسلم-من هذه المفاضلة وقال: "قال المحققون: هو أفضل من كل واحد من الأنبياء والملائكة، وجميع الخلق على حدته، وأفضل من مجموعهم، وأفضل من جميعهم، والموجودات وإن تفاوتت في الدرجات فهو في الدرجة التي لا درجة فوقها"(٤).

- **النقد:**

هذه المسألة ليست من المسائل الحادثة، وإنما هي مسألة أثرية سلفية صحابية(٥)، أكثر الناس الخوض فيها، وتعددت أقوالهم، وحاصلها ثلاثة أقوال، هي:

١- القول بأفضلية صالحي البشر على الملائكة، وهذا مشهور عن أهل السنة والجماعة، ومن وافقهم من الأشاعرة، وهو ما قرره الكتاني في تقريره السابق.

---

(١) جلاء القلوب (٢/٢٣٨-٢٤٠)، وينظر المرجع نفسه (٢/٢٣١).

(٢) جلاء القلوب (٢/٢٣٦)، وينظر المرجع نفسه (٢/٢٣٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٢/٢٣٢).

(٤) جلاء القلوب (٢/٢٣٦)، وينظر المرجع نفسه (٣/٢٧٣).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/٣٥٧)، البداية والنهاية (١/١٢٦).

٢- القول بأفضلية الملائكة على صالحي البشر، وهو قول المعتزلة، وبعض أهل السنة، والأشاعرة.

٣- السكوت وعدم القطع بقول(١).

يقول البيهقي(٢)-رحمه الله-:" وقد تكلم الناس قديما، وحديثا في المفاضلة بين الملائكة، والبشر، فذهب ذاهبون إلى أن الرسل من البشر أفضل من الرسل من الملائكة، والأولياء من البشر أفضل من الأولياء من الملائكة.

وذهب آخرون إلى أن الملأ الأعلى مفضلون على سكان الأرض، ولكل واحد من القولين وجه"(٣).

ويقول ابن أبي العز الحنفي:" قد تكلم الناس في المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر، وينسب إلى أهل السنة تفضيل صالحي البشر والأنبياء فقط على الملائكة، وإلى المعتزلة تفضيل الملائكة، وأتباع الأشعري على قولين: منهم من يفضل الأنبياء والأولياء، ومنهم من يقف ولا يقطع في ذلك قولا.

وحكي عن بعضهم ميلهم إلى تفضيل الملائكة، وحكي ذلك عن غيرهم من أهل السنة وبعض الصوفية"(٤).

هذه أهم الأقوال في هذه المسألة ولكل قول أدلة يحتج بها(١)، والتحقيق في هذه المسألة هو ما قرره السلف الصالح ورجحه وذهب إليه شيخ الإسلام رحمه الله، واستدل عليه بثلاثة عشر

---

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين (٢٢٦، ٤٣٩، ٤٤٠) مجموع الفتاوى (٣٤٣/٤)، بدائع الفوائد (٦٨٤/٣)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٦٢/٢-٤٦٣)، لوامع الأنوار البهية (٣٨٩/٢)، للاستزادة ينظر: مباحث المفاضلة في العقيدة، لمحمد الشظيفي (ص٣٥٤-٣٦٠)، معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين (ص٢٠٥-٢٠٩).

(٢) هو: أحمد بن الحسين بن علي البيهقي الشافعي، أبو بكر، الحافظ الفقيه الشافعي، من فضلاء الأشاعرة، من مؤلفاته: دلائل النبوة، والاعتقاد، توفي عام٤٥٨هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦٣/١٨)، طبقات الشافعية الكبرى (٨/٤).

(٣) شعب الإيمان (٣٠٦/١).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٤١٠/٢).

دليلا، ورد على من خالفه(٢)، حيث يقول: «صالحي البشر أفضل باعتبار كمال النهاية، والملائكة أفضل باعتبار البداية، فإن الملائكة الآن في الرفيق الأعلى، منزهون عما يلابسه بنو آدم، مستغرقون في عبادة الرب، ولا ريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر، وأما يوم القيامة بعد دخول الجنة فيصير صالحو البشر أكمل من حال الملائكة»(٣).

ويقول ابن القيم رحمه الله معقّبا على ما قرره شيخه: «وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل، وتتفق أدلة الفريقين، ويصالح كل منهم على حقه، فعلى المتكلم في هذا الباب أن يعرف أسباب الفضل أولا، ثم درجاتها ونسبة بعضها إلى بعض، والموازنة بينها ثانيا، ثم نسبتها إلى من قامت به ثالثا كثرة وقوة، ثم اعتبار تفاوتها بتفاوت محلها رابعا، (فربّ)(٤) صفة هي كمال لشخص، وليست كمالا لغيره، بل كمال غيره بسواها، فكمال خالد بن الوليد بشجاعته وحروبه، وكمال ابن عباس بفقهه وعلمه، وكمال أبي ذر بزهده وتجرده عن الدنيا، فهذه أربع مقامات يضطر إليها المتكلم في درجات التفضيل، وتفضيل الأنواع على الأنواع أسهل من تفضيل الأشخاص على الأشخاص، وأبعد من الهوى والغرض»(٥).

فخلاصة القول في هذه المسألة أن يقال: إن صالحي البشر أفضل من الملائكة باعتبار كمال النهاية؛ فإن الله -عز وجل- قد أعد لهم من الثواب العظيم في الجنة الكثير مما لم يذكره للملائكة-عليهم السلام-، وقد انقطع عملهم ولم يبق لهم إلا التمتع بما أنعم الله به عليهم، وعمل الملائكة دائم لا ينقطع، ولذلك يدخلون على المؤمنين ويسلمون عليهم.

أما باعتبار كمال البداية فإن الملائكة أفضل؛ لأنهم جبلوا على الطاعة قبل بني آدم، وأطاعوا الله ولم يعصوه طرفة عين، وعباداتهم أكثر بالجملة من عبادات البشر، والله أعلم! (٦)

---

(١) ينظر المراجع السابقة.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/٣٥٠-٣٩٣).

(٣) مجموع الفتاوى (٤/٣٤٣).

(٤) في الأصل (قرب)، ولعل الصحيح ما أثبته، والله أعلم!

(٥) بدائع الفوائد (٣/٦٨٤).

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/٣٥٠-٣٩٣).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن مسألة المفاضلة بين الملائكة وصالحي البشر جائزة مالم تكن على وجه التنقص، أو العصبية للجنس، فإن أدت إلى ذلك فلا شك بردها(١).

أما ما قرره محمد بن جعفر الكتاني ورجحه من تفضيل خواص البشر من الأنبياء والصالحين، وإدخال الأقطاب من أهل وحدة الوجود ومدعي الولاية منهم على خواص الملائكة، ورده على من فضّل الملائكة مطلقا، بأن العكس هو الصحيح، قول مبتدع لا دليل عليه، ولم يسبق إليه أحد من السلف، بل هو مبني على الغلو بالأولياء، يقول السيوطي في الرد على من زعم تفضيل مدعي الولاية على خواص الملائكة: "كيف يجسر أحد على تفضيل غير الأنبياء من البشر على جبريل وميكائيل؟"(٢).

هذا مجمل ما وقفت عليه من آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالملائكة.

وقد كان من آثار عقيدة وحدة الوجود عند الكتاني على الإيمان بالملائكة ما قرره في شرحه لوحدة الوجود بأن من الملائكة ملائكة تجلى الله لهم فأفناهم، حتى أنهم "لا يعرفون أن الله خلق آدم، ولا شيئا غيرهم، لشغلهم به، بل ليس لهم التفات قط لذواتهم، وأنفسهم، وإنما لهم الغرق في بحر المشاهدة"(٣).

وقال فيهم أيضا:" هم الذين أوجدهم الله من أبنية العماء، ولما أوجدهم تجلى في اسمه الجميل، فهيمهم وأفناهم عنهم فلا شعور لهم بذواتهم فضلا عن غيرهم، ولا يعرفون ما هم فيه، ولا ما هيمهم فهم في الحيرة سكارى"(٤).

ونقل بأن حكم السجود سقط عنهم؛ "لأن الحق لما أوجدهم تجلى لهم في اسمه الجميل فهيمهم وأفناهم عنهم، وعن كل ما سواه، فكانوا في حكم المجاذيب الغائبين الذين سقط

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٤٦٤/٢).

(٢) الحبائك في أخبار الملائك (٢٤٣).

(٣) جلاء القلوب (٤٢/٢)، وينظر المرجع نفسه (٢٧٢/٣).

(٤) المرجع السابق (٢٢٣/٢).

التكليف عنهم"(١)، وقال: "ولا يخفاك أن هذا لا يستلزم أفضلية هؤلاء الذين لم يؤمروا السجود على آدم ولا على غيره من سائر البشر"(٢).

ولا شك بأن ما قرره باطل ببطلان عقيدة وحدة الوجود والفناء الصوفي-كما سبق- وهو مخالف للكتاب والسنة، ومخالف لما اتفق عليه أهل الملل؛ وسلف الأمة وأئمتها متفقون على بطلان هذا القول؛ لأن الله عز وجل أمر الملائكة عموما بالسجود لآدم-عليه السلام- فسجدوا له جميعا بلا استثناء بنص القرآن، كما قال عز وجل: ﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سورة الحجر:٣٠]، وقد اتفق على ذلك أهل الملل كلهم(٣)، فمن قال بأن من الملائكة ملائكة لم يؤمروا بالسجود، أو بأن الملائكة لم يسجدوا كلهم لآدم" فقد رد القرآن بالكذب والبهتان، وهذا القول ونحوه ليس من أقوال المسلمين واليهود والنصارى، وإنما هو من أقوال الملاحدة المتفلسفة"(٤).

المطلب الثاني: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالكتب

تعريف الكتب، ومعنى الإيمان بها.

يقول محمد بن جعفر الكتاني في تعريف الكتب:" جمع كتاب، وهو في الأصل مصدر كتب، ...وفي الشرع: ما أنزل على نبي من الأنبياء مكتوبا في الألواح، أو مسموعا من وراء حجاب، أو من ملك"(٥).

وهو ما قرره أهل اللغة، فالكتب في اللغة: جمع كتاب، بمعنى مكتوب، يقول ابن فارس: «الكاف والتاء والباء أصل صحيح واحد يدل على جمع شيء إلى شيء، من ذلك الكتاب والكتابة، يقال: كتبت الكتاب أكتبه كتبا»(٦).

---

(١) جلاء القلوب (٢/٢٣٠).

(٢) المرجع السابق (٢/٢٣٠).

(٣) ينظر: بغية المرتاد (٢٤٣)، مجموع الفتاوى (٤/٣٤٥-٣٤٦، ٣٦١).

(٤) مجموع الفتاوى (٤/٣٤٥-٣٤٦).

(٥) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٢/أ).

(٦) معجم مقاييس اللغة (٥/١٥٨)، وينظر مادة: كتب: تهذيب اللغة (١٠/٨٨)، لسان العرب (١/٦٩٨-٧٠٢)، القاموس المحيط (١٦٥).

والكتاب اسم جنس لكل كتاب أنزله الله ﷻ على رسله، وأشهرها التوراة التي أنزلت على موسى، والإنجيل على عيسى مصدقا لما بين يديه من التوراة، والزبور على داود، والقرآن المنزل على محمد-صلى الله عليه وسلم- بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه(١)، والمراد بالكتب هنا-التي يجب الإيمان بها-هي: «الكتب التي أنزلها -تعالى- على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة»(٢).

وقد أشار محمد بن جعفر الكتاني إلى بعضها، في مواضع متفرقة ولم يفصل بذلك، ومما قاله: " فالمسمى منها أربعة: التوراة والإنجيل والزبور والفرقان"(٣)، وقال في مسألة اختصاص النبي-صلى الله عليه وسلم-بالصلاة دون سائر الرسل:" هذا بالنسبة إلى القرآن صحيح قطعًا، وبالنسبة إلى التوراة والإنجيل والزبور قد يكون صحيحًا، وأما بالنسبة لغيرها من الكتب فلا ندري"(٤).

وقال في سبب الافتتاح بالبسملة: " لأن الكتب السماوية كلها مفتتحة بها، ولأن النبي -صلى الله عليه وسلم -كان يفتتح بها كتبه ورسائله إلى الملوك وغيرهم، ولأنه جرى عمل السلف والخلف بافتتاح كتب العلم بها"(٥).

وقرر بأن النبي" صلى الله عليه وسلم موصوف في الكتب السالفة وغيرها بأنه من العرب، وبأن لسانه عربي، وكتابه عربي"(٦).

وقال في شرح أول حديث من صحيح البخاري:" لما كان الوحي أصل الشرائع كلها، ومنه عرف الإيمان والعلم، بدأ كتابه هذا ببدء الوحي، فقال: كيف كان بدء الوحي إلى رسول

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٧٦/٨)، معارج القبول (٤٠٨/٢).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٢٠/٥).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٦/أ).

(٤) شرح على دلائل الخيرات (٢٢).

(٥) التعريف بالإمام الترمذي (ل١)، وينظر رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل١).

(٦) المطالب العزيزة الوفية في تكلمه-عليه السلام-بغير اللغة العربية (ل ٤).

الله -صلى الله عليه وسلم-... والوحي لغة: الإعلام في خفاء، ويُطلق على الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفي، والأمر، والتسخير وغير ذلك، وشرعًا: إعلام الله أنبياءه الشيء؛ إما بكتابٍ، أو بإرسال ملكٍ، أو بمنام، أو بإلهام، أو بغير ذلك"(١).

فبيّن أن الوحي هو أصل الشرائع كلها، وأن من طرقه الإعلام بكتب الله المنزلة إلى الأنبياء -عليهم السلام-.

والإيمان بالكتب هو ركن من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، ومن الأدلة قول الله ﷻ: ﴿ **لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ** ﴾ [سورة البقرة:١٧٧]، وقوله: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾**﴾ [سورة النساء:١٣٦]، فختم الله ﷿ هذه الآية بأن من كفر بشيء من أركان الإيمان، فقد ضل ضلالا بعيدا وخرج عن قصد السبيل، ومن أركان الإيمان المذكورة الإيمان بكتب الله.

وقول النبي-صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل المشهور: ((**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**))(٢).

وما أنزل الله ﷻ من الكتب ينقسم إلى قسمين:

- **الأول**: ما لم يرد تسميته بالكتاب والسنة، وهذه يجب الإيمان بها إيمانا مجملا.
- **الثاني**: ما ورد تسميته في الكتاب والسنة، وهي:

١-التوراة: وهي المنزّلة على موسى عليه السلام.

٢-الإنجيل: وهو المنزّل على عيسى عليه السلام.

٣-الزبور: وهو المنزّل على داود عليه السلام.

---

(١) شرح أول حديث في صحيح البخاري (ل ٤)، وينظر: جلاء القلوب (١٢٠/٣-١٣٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: سؤال جبريل النبي-صلى الله عليه وسلم- عن الإيمان والإسلام، حديث: (٥٠)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، حديث رقم (٩)، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

٤-صحف إبراهيم عليه السلام.

٥-صحف موسى عليه السلام.

٦-القرآن الكريم المنزّل على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، وهو خاتمها.

فهذه الكتب يجب الإيمان بها على التعيين، والإيمان بالقرآن غير الإيمان بسائر الكتب؛ لأنه يزيد عليها بنسخه لها، ووجوب تصديقه والعمل بما فيه[(١)].

يقول الإمام المروزي[(٢)] رحمه الله في معنى الإيمان بالكتب: «تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه من التوراة والإنجيل والزبور خاصة، وتؤمن بأن لله سوى ذلك كتبا أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها، وتؤمن بالفرقان، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب، إيمانك بغيره من الكتب: إقرارك به بالقلب واللسان، وإيمانك بالفرقان: إقرارك به واتباعك بما فيه»[(٣)].

ومما لا شك فيه مما أُجمع عليه ويجب اعتقاده أن الكتب السابقة قد دخلها التحريف والتبديل، كما قال عز وجل: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [سورة النساء:٤٦]، وأن جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن الكريم، كما قال تعالى *قال تعالى*: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [سورة المائدة:٤٨]، أي حاكما عليه، وعلى هذا فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صح وأقره القرآن[(٤)].

وقد بيّن ابن القيم رحمه الله كيفية التحريف في الكتب السابقة كما بيّنها الله عز وجل في القرآن الكريم، حيث قال: «وأما التحريف فقد أخبر سبحانه عنهم في مواضع متعددة، وكذلك ليّ اللسان بالكتاب ليحسبه السامع منه وما هو منه، فهذه خمسة أمور:

- **أحدها**: لبس الحق بالباطل وهو خلطه به بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

---

(١) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٣٩٣/١)، المنهاج في شعب الإيمان (٣١٧/١-٣٢٥) ، شعب الإيمان (٣٢٥/١)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٧٥/٢)، فتح الباري (١٧٢/١٢)، معارج القبول (٦٧٥/٢).

(٢) هو: محمد بن نصر بن الحجاج المروزي، أبو عبد الله، إمام حافظ من أئمة السلف، من مؤلفاته: تعظيم قدر الصلاة، قيام الليل، توفي عام٢٩٤هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٠/١٤)، شذرات الذهب (٢١٦/٢).

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٣٩٣/١).

(٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم (١٢٨/٣)، تيسير الكريم الرحمن (٢٣٤) ، وفي حكاية الإجماع ينظر: الجواب الصحيح (١٢٣/٥).

- **الثاني**: كتمان الحق.
- **الثالث**: اخفاؤه وهو قريب من كتمانه.
- **الرابع**: تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه.
- **الخامس**: ليّ اللسان به ليلبس على السامع اللفظ المنزل بغيره »(١).

آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالكتب:

لم يفصل محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالكتب، وإنما عرض لبعض المسائل المتعلقة في الإيمان بالقرآن الكريم، وهي:

- - نزول القرآن ومعناه:

يقول محمد بن جعفر الكتاني عن القرآن الكريم: "أجمع أهل السنة أن كلام الله مقروء بالألسنة، مكتوب في المصاحف، محفوظ في الصدور"(٢)، ونقل عن جماعة من الصوفية مقررا قولهم:

" القرآن أنزل على قلبه–صلى الله عليه وسلم–جملة واحدة بلا واسطة جبريل، فكان في صدره، إلا أنه كان ممنوعا من النطق به إلى إتيان جبريل–عليه السلام–، فكان جبريل كالمفتاح لما في خزانة صدره، ولهذا كان–عليه السلام–يعجل بقراءته عند نزول جبريل–عليه السلام– به حتى نزلت الآية وهي: ﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾ [سورة القيامة:١٦]"(٣).

ونقل عن الغزالي قوله في قول الله عز وجل: ﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤﴾ [سورة الرحمن:٤]:" يمكن أن يكون الإنسان شخص محمد–صلى الله عليه وسلم–، وأن الله تعالى علمه القرآن، وكتب معانيه في قلبه، ثم أوحي به إليه بواسطة جبريل–عليه السلام–وأمره بالبيان عن المسموع المعلوم له بلسانه مع أمته وأصحابه، كما قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٩٢ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ [سورة الشعراء:١٩٣]" (٤)

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم (ص٤٨).
(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٥/أ).
(٣) جلاء القلوب (١/١٥٩).
(٤) المرجع السابق (١/١٥٩).

وقال في موضع:" القرآن نزل به سيدنا جبريل إلى سماء الدنيا جملة، ثم نزل به بعد ذلك آية وآية على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- حسب الوقائع والأحكام"(١).

وصرح في موضع بسماع جبريل من الله إلا أنه قال:" فسيدنا جبريل يسمع من كلام المولى القائم بذاته ما يأمره به أن يبلغه لرسله -عليهم الصلاة والسلام- فيعبر بلسان كل رسول، فإن كان عربيًّا؛ عبَّر بلسان قومه، وسمَّاه: قرآنًا، وإن كان عجميًّا؛ عبَّر بلسان قومه، وسمَّاه: إنجيلًا، وإن كان عبرانيًّا؛ عبَّر بلسان قومه وسمَّاه: تورية، وإن كان سريانيًّا؛ عبَّر بلسان قومه، وسمَّاه: زبورًا"(٢)، وسبق قوله:" :" كلامه تعالى معنى نفسي وهو كذلك، ومثله ثابت له في الشاهد، فإن كل من يأمر وينهى ويخبر يجد من نفسه معنى، ثم يدل عليه بالعبارة والكتابة والإشارة، ... والقديم من ذلك إنما هو المعنى القائم بالذات العلية"(٣).

كما يقول عن سماع الكلام من الله:" منزه عن القراءة والتلاوة، والحرف والصوت واللغة، وإذا تكلَّم لا يلفظ ولا ينطق، ... فإن قلت: إذا كانت التلاوة حادثة، فما معنى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ۝٥٨﴾ [سورة آل عمران:٥٨].

والجواب: إنه يحتمل أن يكون جبريل -عليه السلام- هو التالي، ويضيف الله ذلك إلى نفسه"(٤).

- النقد:

تواترت نصوص الكتاب والسنة على أن القرآن الكريم منزّل من عند الله ﷻ، ومن الأدلة على ذلك: قول الله ﷻ: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ۝١٠٢﴾ [سورة النحل:١٠٢].

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤/أ).

(٢) المرجع السابق (ل ٣٤/أ-٣٤/ب).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٤/ب)، وينظر المرجع نفسه (ل ٩٣/ب)، تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٦).

(٤) المرجع السابق (ل ٣٥/أ)، وينظر: نيل المنى وغاية السول (١٣٢).

وقوله عز وجل: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ [سورة الأنعام:١١٤]، وغيرها.

أما الأدلة من السنة: فجميع الأحاديث في أسباب نزول الآيات تدل على نزول القرآن الكريم من الله ﷻ(١).

وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن القرآن الكريم منزل، نزل من الله لفظا ومعنى، سمعه جبريل منه -سبحانه-، وسمعه محمد-صلى الله عليه وسلم-من جبريل، وليس لجبريل-عليه السلام-ولا لمحمد إلا التبليغ والأداء، وهذا هو معنى قولهم: القرآن كلام الله منه بدأ، وإليه يعود(٢)، فالقرآن بالإجماع بدأ من الله ﷻ، فهو المتكلم به ابتداء(٣).

واضطرب الأشاعرة ونهج نهجهم في ذلك الكتاني في نزول القرآن، وتعددت أقوالهم، نتيجة لرأيهم بأن كلام الله ليس بحرف ولا صوت(٤).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله مبينا الحق في هذه المسألة:" القرآن العظيم كلام الله العزيز العليم، ليس شيء منه كلاما لغيره لا جبريل ولا محمد ولا غيرهما، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [سورة النحل:٩٨-١٠٣].

---

(١) ينظر: العجاب في بيان الأسباب لابن حجر، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢٦/٢).

(٣) ينظر: المرجع السابق (٥٢٨/٦-٥٢٩)، درء تعارض العقل والنقل (١١٣/٢)، مختصر الصواع المرسلة (٤٤٣)، شرح العقيدة الطحاوية (١٧٤/١-١٨٥)، توضيح المقاصد لابن عيسى (٢٧٥/١)، فتاوى ورسائل ابن إبراهيم (٢١٤/١-٢٣٩).

(٤) ينظر: الإنصاف للباقلاني (٩٦-٩٧)، الإرشاد (١٠٣)، غاية المرام (١١١).

فأمره أن يقول: {نزله روح القدس من ربك بالحق}، فإن الضمير في قوله: {قل نزله}، عائد على ما في قوله: {بما ينزل}، والمراد به: القرآن كما يدل عليه سياق الكلام...

فقوله: {نزله روح القدس من ربك بالحق} بيان لنزول جبريل به من الله، فإن روح القدس هنا هو جبريل؛ بدليل قوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [سورة البقرة:٩٧]" (١).

ثم قال:"وهذه الآية تبطل قول من يقول: إن القرآن العربي ليس منزلا من الله، بل مخلوق: إما في جبريل أو محمد أو جسم آخر غيرهما، كما يقول ذلك الكلابية والأشعرية الذين يقولون إن القرآن العربي ليس هو كلام الله، وإنما كلامه المعنى القائم بذاته، والقرآن العربي خلق ليدل على ذلك المعنى، ثم إما أن يكون خلق في بعض الأجسام الهواء أو غيره، أو ألهمه جبريل فعبر عنه بالقرآن العربي أو ألهمه محمد فعبر عنه بالقرآن العربي، أو يكون أخذه جبريل من اللوح المحفوظ أو غيره، فهذه الأقوال التي تقدمت هي تفريع على هذا القول، فإن هذا القرآن العربي لا بد له من متكلم تكلم به أولا قبل أن يصل إلينا"(٢)، وهذه قررها محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته السابقة، فقرر-برأيه-أن القرآن المعنى قائم بذاته، وأن الله أمر جبريل فعبر عنه، وهذه كلها نفي للقرآن أن يكون منزلا من عند الله تعالى، بل مخلوق في جبريل، أو في قلب محمد -صلى الله عليه وسلم-.

إلى أن قال:"والمقصود هنا أن هذه الآية تبين بطلان هذا القول، كما تبين بطلان غيره، فإن قوله: {قل نزله روح القدس من ربك بالحق} يقتضي نزول القرآن من ربه، والقرآن اسم للقرآن العربي لفظه ومعناه، بدليل قوله: {فإذا قرأت القرآن} وإنما يقرأ القرآن العربي لا يقرأ معانيه المجردة.

وأيضا فضمير المفعول في قوله: {نزله} عائد على ما في قوله: {والله أعلم بما ينزل} فالذي أنزله الله هو الذي نزله روح القدس، فإذا كان روح القدس نزل بالقرآن العربي لزم أن يكون نزله من الله، فلا يكون شيء منه نزله من عين من الأعيان المخلوقة، ولا نزله من نفسه.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/١١٧-١١٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١٢/١٢٠).

وأيضا فإنه قال عقيب هذه الآية: {ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين} وهم كانوا يقولون: إنما يعلمه هذا القرآن العربي بشر ... والله أبطل ذلك بأن لسان ذلك أعجمي وهذا لسان عربي مبين، فعُلم أن روح القدس نزل باللسان العربي المبين، وأن محمدا لم يؤلف نظم القرآن بل سمعه من روح القدس، وإذا كان روح القدس نزل به من الله عُلم أنه سمعه منه، ولم يؤلفه هو، وهذا بيان من الله أن القرآن الذي هو اللسان العربي المبين سمعه روح القدس من الله ونزل به منه.

ونظير هذه الآية قوله تعالى:﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ **[سورة الأنعام:١١٢]**، إلى قوله: ﴿ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾، وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾ **[سورة الأنعام:١١٤]**" (١).

وما نقله محمد بن جعفر الكتاني وأقره في أن القرآن ألقي على قلب النبي-صلى الله عليه وسلم- بأن كتب معانيه في قلبه بلا واسطة جبريل، وعدم التصريح بسماع جبريل لكلام الله-تعالى- وتصريحه بأنه لفظ جبريل، وأن يكون القرآن والتوراة والإنجيل كلها بمعنى واحد، والاختلاف بينهما بحسب التعبير عنها باللغات باطل، يتضمن أن الله ﷻ لم يتكلم به حين إنزاله، ولم يسمعه النبي-صلى الله عليه وسلم- ولا جبريل من الله تعالى، وأن إنزاله فعل حادث منفصل عن الله تعالى، وهذا لاشك ببطلانه؛ لأن الأدلة تدل على أن القرآن الكريم نزل من عند الله تبارك وتعالى، وأن الله ﷻ تكلّم به على الحقيقة، وسمعه جبريل منه، وبلغة محمدا -صلى الله عليه وسلم- كما سمعه، وهذا لا ينافي كتابته في اللوح المحفوظ، ونزوله جملة إلى بيت العزة في السماء الدنيا قبل نزول جبريل به منجما على محمد -صلى الله عليه وسلم-(٢).

وما قرره هنا مبني على ما قرره من قدم كلام الله، موافقة للأشاعرة، وأن كلامه ﷻ بلا حرف ولا صوت، ولا شك أن ما بُني على باطل فلا بد أن يكون باطلا.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٢/١٢٣-١٢٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/١٢٦، ١٨/٣٦٧-٣٦٨).

وهذا القول في الحقيقة قريب من قول بعض المتصوفة بأن كلام الله هو ما يفيض على القلوب من المعاني، فما يسمعه النبي-صلى الله عليه وسلم- عندهم هو في نفسه لا في الخارج، وهو قول شنيع باطل يستلزم إنكار صفة الكلام لله تعالى، وإنكار تكلمه بحرف وصوت مسموع، وهذا باطل(١).

أما قوله: " القرآن نزل به سيدنا جبريل إلى سماء الدنيا جملة، ثم نزل به بعد ذلك آية وآية على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- حسب الوقائع والأحكام"(٢)، فهذا موافقة لقول أهل السنة والجماعة في الجملة، لكن محمد بن جعفر الكتاني عند بيانه للسماع وافق الاشاعرة، حيث قال:" سيدنا جبريل يسمع من كلام المولى القائم بذاته ما يأمره به أن يبلغه لرسله -عليهم الصلاة والسلام- فيعبر بلسان كل رسول"(٣)، وهذا مخالف للعقل، فكيف يسمع جبريل الكلام القائم بالنفس؟

بهذا يتبين موافقة محمد بن جعفر الكتاني للأشاعرة واضطرابه في نزول القرآن.

- -إعجاز القرآن وفضائله:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني في "نظم المتواتر من الحديث المتواتر" أن من المتواتر دعوى النبوة منه -صلى الله عليه وسلم- وإظهاره للمعجزات، وقال:" وناهيك بمعجزة القرآن التي ليس قبلها ولا بعدها معجزة تساويها، بل ولا تدانيها، فإنها معلومة قطعاً منقولة إلينا بالتواتر، ولا مرية ولا خلاف بمجيئ النبي -صلى الله عليه وسلم -وظهورها من قبله، واستدلاله بحجتها، قال عياض في الشفا: [وإن أنكر هذا معاند جاحد فهو كإنكاره وجود سيدنا محمد في الدنيا](٤)"(٥).

وقال في وجوه إعجازه:" ووجوه إعجازه كثيرة، لكنها ترجع إلى أربعة:

أحدها: حسن تأليفه، والتئام كلمه، وفصاحته، وإيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢٦/١١، ٣٦٧/١٨-٣٦٨)، منهاج السنة (٣٥٩/٢)، الصفدية (٢٤٩/١).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤/أ).

(٣) المرجع السابق (ل ٣٤/أ-٣٤/ب).

(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١٥٧).

(٥) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٠٣).

ثانيها: صورة نظمه العجيب، والأسلوب الغريب.

ثالثها: ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيّبات، وما لم يكن، وما لم يقع، فوجد على الوجه الذي أخبر.

رابعها: ما أنبئنا به من أخبار القرون الماضية والأمم الفانية"(١).

وذكر جملة من الأحاديث المتواترة في فضائل القرآن الكريم، منها أحاديث أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن(٢)، وحديث أنه -صلى الله عليه وسلم- سمع قراءة أبي موسى الأشعري فقال: ((**لقد أوتي مزمارا من مزامير آل داود**)) (٣) ، وغيرها(٤).

- **المناقشة:**

المقصود بإعجاز القرآن: هو ارتقاؤه في البلاغة، وعجز البشر عن معارضة(٥)، وقد اتفق المسلمون على القول بإعجاز القرآن الكريم، وأقروا بأنه أظهر معجزات النبي -صلى الله عليه وسلم- وأعظمها(٦)، وهذا ما قرره محمد بن جعفر الكتاني، وهو محل إجماع أهل القبلة- وإن اختلفوا في وجه إعجازه-(٧).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في بيان إعجاز القرآن ودلالته على نبوة محمد -صلى الله عليه وسلم-: «قد علمت الخاصة والعامة من عامة الأمم، علما متواترا أنه هو الذي أتى

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٤/أ).

(٢) وقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل قل هو الله أحد، رقم (٥٠١٣)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة قل هو الله أحد، رقم (٢٥٩).

(٣) وقد رواه البخاري في صحيحه، كتاب: فضائل القرآن، باب: حسن الصوت بالقراءة للقرآن، رقم (٥٠٤٨)، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: استحباب تحسين الصوت بالقرآن، رقم (٢٣٥).

(٤) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٧٢-١٧٥).

(٥) ينظر: التعريفات (١١٢)، الكليات (٢١٤)، مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني (٣٣١/٢).

(٦) ينظر: الجواب الصحيح (٤٢٩/٥)، وللاستزادة ينظر: إعجاز القرآن عند شيخ الإسلام ابن تيمية، لمحمد العواجي.

(٧) ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٩٢/٢-١٠٧)، الإتقان في علوم القرآن (١٨٧٩/٥-١٨٩٥).

بهذا القرآن، وتواترت بذلك الأخبار، أعظم من تواترها بخبر كل أحد من الأنبياء، والملوك، والفلاسفة، وغيرهم»[١].

وقد وردت النصوص بإثبات ذلك، ومنها قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة**))[٢].

وقد أكثر أهل العلم ممن صنف في إعجاز القرآن الكريم من ذكر أوجه إعجازه[٣]، حتى عد السيوطي منها خمسة وثلاثين وجها[٤].

وما أورده محمد بن جعفر الكتاني فيما تواتر من فضائل القرآن الكريم حق لا مرية فيه [٥]، ففضائله كثيرة جدا، ولكثرتها تعددت أسماؤه وصفاته، وقد ألف العلماء المؤلفات في فضائل القرآن الكريم[٦]، وابتدأ بعضهم تفسيره بذكر فضائله[٧]، وترجم المحدثون في فضائله كذلك[٨].

هذا ما وقفت عليه من آراء محمد بن جعفر الكتاني في القرآن الكريم، والله أعلم!

---

(١) الجواب الصحيح (٤٢٢/٥).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: كيف نزل الوحي وأول ما نزل، حديث رقم: (٤٦٩٦)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد، رقم: (١٥٢) ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) ينظر: إعجاز القرآن، للباقلاني (ص٣٣)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (١٤/١).

(٤) ينظر: معترك الأقران (١٤/١).

(٥) ينظر: الموافقات، للشاطبي (١٤٤/٤).

(٦) منها على سبيل المثال: فضائل القرآن للنسائي، وفضائل القرآن لابن كثير، وقاعدة في فضائل القرآن لابن تيمية، وفضائل القرآن لمحمد بن عبد الوهاب، وغيرها.

(٧) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٣٨/١–٤١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٤/١–٩)، تفسير القرآن العظيم (١٧/١–٢٣).

(٨) ينظر على سبيل المثال: كتاب: فضائل القرآن من صحيح البخاري، وباب: فضائل القرآن وما يتعلق به من صحيح مسلم.

المبحث الثاني

آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالرسل

وفيه ثلاثة مطالب:

- الأول: آراؤه في النبي والرسول والفرق بينهما.
- الثاني: آراؤه في الإيمان بالأنبياء والرسل.
- الثالث: آراؤه في الإيمان بنبينا محمد ﷺ.

المبحث الثاني: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالرسل

المطلب الأول: آراؤه في النبي والرسول والفرق بينهما

النبي لغة: مشتق من النبأ، فهو منبئ عن الله؛ أي مخبر، وقيل: مشتق من النَّبوة أو النَّباوة، وهو ما ارتفع من الأرض(١).

الرسول: مأخوذ من الإرسال، بمعنى: التوجيه، أو الرَّسلُ، بمعنى التتابع(٢).

وقد اختُلف في تعريف النبي والرسول والفرق بينهما على قولين:

أنهما بمعنى واحد ولا فرق بينهما(٣).

أنهما متغايران، وهو قول الجمهور، وإن اختلفوا في تحديد وجهه(٤).

والقول بالتفريق بينهما هو ما قرره محمد بن جعفر الكتاني، حيث قال في تعريف النبي والرسول: « الرسول: إنسان أوحي إليه بشرع، وأُمر بتبليغه، فإن لم يُؤمَر بالتبليغ؛ فهو نبيٌّ فقط»(٥).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة، مادة: نبا، (٣٤٩/١٥)، معجم مقاييس اللغة، مادة: نبأ (٣٨٥/٥) ، لسان العرب، مادة: نبا، (٣٠٢/١٥)، تاج العروس، مادة: نبأ، (٤٤٤/١)، القاموس المحيط، مادة: نبا (١٧٢٣).

(٢) ينظر مادة (رسل): تهذيب اللغة (٢٧٢/٢)، معجم مقاييس اللغة (٣٩٢/٢)، تاج العروس (٧٢/٢٩)، القاموس المحيط (١٣٠٠).

(٣) ينظر: أعلام النبوة، للماوردي (ص٣٣)، غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي (ص٣١٧)، المواقف للإيجي (٣٢٩/٣).

(٤) ينظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي (٢٩٨/١)، المنهاج للحليمي (٢٣٩/١)، الفصل في الملل والنحل (١١٩/٥-١٢٠)، النبوات (٧١٤/٢)، شرح العقيدة الطحاوية (٢٣٩/١)، لوامع الأنوار البهية (٤٩/١)، وللاستزادة ينظر كتاب: تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول، لمحمد بن عبد الله الإمام.

(٥) شرح أول حديث في صحيح البخاري (ل٥)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٥/أ).

وقال:" والصحيح والذي عليه الجمّ الغفير: أن كل رسول نبي ولا عكس، وأول الرسل آدم، وآخرهم سيدنا -محمد صلى الله عليه وسلم-"(١).

ويشكل على ما ذكره محمد بن جعفر الكتاني في الفرق بين النبي والرسول ثبوت الإرسال في حق النبي، وحصول الكتمان بعد البلاغ، وقد قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [سورة الحج:٥٢] وهذه الآية كما يقول الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «تبين أن ما اشتهر على ألسنة أهل العلم، من أن النبي هو من أوحي إليه وحي، ولم يؤمر بتبليغه، وأن الرسول هو النبي الذي أوحي إليه، وأمر بتبليغ ما أوحي إليه، غير صحيح; لأن قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [سورة الحج:٥٢] ، يدل على أن كلا منهما مرسل، وأنهما مع ذلك بينهما تغاير»(٢).

ولهذا فإن أصح التعاريف وأسلمها -فيما يظهر- تعريف ابن تيمية-رحمه الله-، حيث يقول: «النبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ بما أنبأ الله به، فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي، وليس برسول، ... فالأنبياء ينبئهم الله؛ فيُخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره، وهم يُنبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر، والنهي، ... فقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [سورة الحج:٥٢] دليلٌ على أن النبيّ مرسل، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق؛ لأنّه لم يرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنّه حقّ» (٣).

فالنبي والرسول بينهما عموم وخصوص مطلق، وكذا النبوة والرسالة، فالرسالة أعم من جهة نفسها، إذ النبوة داخلة فيها، كما أنها أخص من جهة أهلها؛ لأن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، وهذه قاعدة قررها جم غفير من أهل العلم، يقول القاضي عياض: " الصحيح

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٥/أ).
(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٢٩٠/٥).
(٣) النبوات (٧١٤/٢-٧١٨).

والذي عليه الجَمَّاء الغفير أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا"(١)، كما أن الرسالة أفضل من النبوة، والرسول أفضل من النبي(٢).

ويقول السفاريني: «بين النبي والرسول عموم وخصوص مطلق، فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا، والرسول أفضل من النبي إجماعا; لتميزه بالرسالة التي هي أفضل من النبوة على الأصح»(٣).

المطلب الثاني: آراؤه في الإيمان بالأنبياء والرسل

عرض محمد بن جعفر الكتاني لبعض المسائل المتعلقة بالإيمان بالرسل، وهي معنى الإيمان بالأنبياء والرسل، ومسألة عصمة الأنبياء، وفضل الأنبياء والمفاضلة بينهم، وله رأي في بعض من اختلف في نبوته، وآراؤه فيها كما يلي:

- معنى الإيمان بالرسل:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني بأن الوحي إلى الرسل هو وحي رسالة يجب اتباعه والعمل بما فيه، يقول في قوله عز وجل: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [سورة النساء:١٦٣]:" ووجه التشبيه: كونه وحي رسالة لا وحي إلهام؛ لأن الوحي ينقسم على وجوه، والمعنى: أوحينا إليك وحي رسالة، كما أوحينا إلى الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وحي رسالة"(٤).

وقال في قوله عز وجل: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠﴾ [سورة يس:٢٠]:" الرسول لا يكون إلَّا غير سائل الأجر، وإلَّا مهتديًا، ولكن أتى به لنكتة؛ وهي زيادة الحثِّ على اتِّباعهم والترغيب فيهم"(٥).

وقال في نظمه "عقيدة النجاة" الذي ضمنه عقائد الإيمان الواجبة:

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (ص١٥٦).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٦٥/٨٧)، طريق الهجرتين (٣٥٠)، شرح الطحاوية (١/١٥٥)، لوامع الأنوار البهية (١/٤٩).

(٣) لوامع الأنور البهية (١/٤٩-٥٠).

(٤) شرح أول حديث في صحيح البخاري (ل ٦).

(٥) ختم البخاري (ل ٨).

وواجـــب لرســـله الأمانـــة	والصـــدق والتبليـــغ لا خيانـــه
كـــذا باقـــي ضـــدها محـــال	إذ لهـــم مـــن ربنـــا الكمـــال
وجـــائز عليهمـــوا محـــو المـــرض	من عرض لا نقص فيه إذ عرض(١)

وقال:" والحق أن كلا من الأنبياء والرسل لا يعلم عدته إلا الله؛ لقوله تعالى: ﴿مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [سورة غافر:٧٨]، ... والإيمان به-صلى الله عليه وسلم- وبما جاء به يتضمن الإيمان بهم" (٢).

وقال:" وقع في القرآن من أسماء الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام خمس وعشرون(٣)، سرد أسمائهم تفصيلا.

وقرر بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- كما يقول:" الآخر، عقب الأنبياء وآخرهم؛ لأن الله تعالى ختم به الأنبياء والرسل"(٤).

والإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، قال ﷻقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [سورة البقرة:٢٨٥]، ولا شك بأن من أنكر هذا الأصل فهو كافر، فقد قال ﷻ:قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [سورة النساء:١٣٦].

والإيمان بالرسل يقتضي أمور، هي:

-الإيمان بأن رسالتهم حق من الله ﷻ.

-الإيمان بمن سمّاه الله تعالى منهم، كمحمد-صلى الله عليه وسلم-، وإبراهيم عليه السلام، وأما من لم يسمّه منهم فنؤمن به إيمانا مجملا.

---

(١) الكشف والبيان (١٧٠-١٧١).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٤/ب).

(٣) المرجع السابق (ل ٨٦/ب).

(٤) ختم الموطأ (ل ١١).

-تصديق كل ما صح عنهم، من أخبارهم.

-العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء، والمرسل إلى الناس كافة(١).

يقول الإمام محمد بن نصر المروزي-رحمه الله- في معنى الإيمان بالرسل:" أن تؤمن بمن سمى الله في كتابه من رسله، وتؤمن بأن لله سواهم رسلا وأنبياء، لا يعلم أسماءهم إلا الذي أرسلهم، وتؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الرسل، إيمانك بسائر الرسل إقرارك بهم، وإيمانك بمحمد صلى الله عليه وسلم إقرارك به وتصديقك إياه، واتباعك ما جاء به"(٢).

وبناء على ما سبق فما قرره محمد بن جعفر الكتاني بوجوب اتباع الرسل والعمل بما جاؤوا به؛ لأن ما جاؤوا به هو وحي رسالة من الله-تعالى-، وأن أخر الرسل هو النبي-صلى الله عليه وسلم- هو الذي دلت الأدلة عليه، وإن كان يرى -كما سبق- وحي الأولياء وأنه عام إلى الآن وقد سبق الرد عليه.

- **عصمة الأنبياء:**

يقر محمد بن جعفر الكتاني بعصمة الأنبياء، ومن تقريراته قوله: "العصمة متعذرة إلا لصفوة الخلق وهم الأنبياء-صلوات الله وسلامه عليهم-"(٣)، وقوله: " والعصمة إنما هي للأنبياء والملائكة الكرام-عليهم وعلى آلهم أفضل الصلاة والسلام-"(٤). وقال: "العصمة لغير الأنبياء محال، ومن غلب كماله على نقصه فهو من الرجال"(٥).

---

(١) ينظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٣٩٣/١)، المنهاج للحليمي (٢٣٧/١-٢٣٨)، شعب الإيمان للبيهقي (٢٧٢/١)، معارج القبول (٦٧٧/٢).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٣٩٣/١).

(٣) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٧٩).

(٤) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٢٢)، وينظر المرجع السابق (٦٢-٦٣)، حاشية على شرح ميارة (ل ٨٥/ب).

(٥) سلوة الأنفاس (١١/١).

وقال في قوله عز وجل: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝﴾ [سورة الضحى:٧]:"ليس معناه ما ظنه أهل الضلال من أنه كان قبل النبوة على دين قومه فهداه الله للإسلام؛ لأن النبي-صلى الله عليه وسلم-وجميع الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام-نشأوا على التوحيد والإيمان وركبوا على الفطرة، فكانوا من أول وهلة عليها معصومين قبل النبوة وبعدها من الجهل بصفات الله وتوحيده.

ومما يدل لهذا أن قريشا رموا النبي-صلى الله عليه وسلم-وعابوه بكل ما قدروا عليه من السحر والكهانة والجنون والشعر ونحو ذلك، وما قدروا على رميه بعبادة صنم، أو شرك، ولا بشيء مما كان عليه أهل الجاهلية والشرك؛ لعدم وجود السبيل إلى ذلك"(١).

ويبين عصمة الأنبياء وأنهم معصومون كما يقول من:" المحرمات صغائر أو كبائر، عمدًا أو سهوًا، قبل النبوءة وبعدها، في سائر حركاتهم وسكناتهم، في باطنهم وظاهرهم، سرهم وعلانيتهم، جدهم ومزحهم، رضاهم وغضبهم، والخلاف في بعض ذلك لا يعول عليه.

ومن تأمَّل أحوال الصحابة معه -صلى الله عليه وسلم- في الاقتداء والتأسي به في كل ما يفعله استحيا من الله، ...أن يخطر له تشكك في أنه معصوم في كل ما ذكرناه، وكذلك الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

وحكم عصمته قبل النبوة خلاف، ومحله في غير الجهل بالله وصفاته، أما هذا فهم معصومون منه إجماعًا؛ بل لا ينشأ إلا على أكمل الأحوال من الإيمان بالله ومعرفته كما ينبغي.

وحكي في عصمتهم من الصغائر بعد النبوءة خلاف أيضا، وهو في غاية الضعف؛ بل ألزم قائلوه بخرق الإجماع، وما لا يقول به مسلم، ومحله في غير صغائر الخسة كسرقة لقمة، وفي غيرها مما يتعلق بطرق التبليغ، أما هذه فهم معصومون منها إجماعا" (٢).

النقد:

---

(١) جلاء القلوب (١٦٢/١)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٦/أ، ٥٧/أ).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٧/أ)، وينظر المرجع نفسه (ل ٩٣/ب)، جلاء القلوب (١٢٦/٣-١٢٧، ٦٤)، إرشاد العوام لما به العمل في الصيام (١٠٢-١٠٣).

نظرا لتشعب هذه المسألة، وكثرة الخلاف في كثير من فروعها(١)، سأبين مجمل مذهب أهل السنة والجماعة فيها، ثم موافقة محمد بن جعفر الكتاني للحق من عدمه.

المراد بعصمة الأنبياء عند أهل السنة:

هي حفظ الله ﷻ لأنبيائه ورسله من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات، والثبات في الأمور، مع قدرتهم على الخير وضده(٢).

وفي هذا التعريف للعصمة، فارق أهل السنة والجماعة القدرية(٣) والجبرية(٤)، ومن قال بقولهما؛ لأن في قولهم بأن العصمة حفظ الله، احتراز من قول القدرية القائلين بأن العبد يخلق فعله، وفي قولهم بأن هذه العصمة مع القدرة على الخير وضده، احتراز من قول الجبرية القائلين بأن الله خالق أفعال العباد، وأن العبادة لا اختيار لهم فيها(٥).

---

(١) ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٢٣٠)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٤)، عصمة الأنبياء، للرازي (ص٧-وما بعدها)، الجامع لأحكام القرآن (٣٠٨/١-٣٠٩)، المنهاج شرح مسلم (٥٣/٣-٥٥)، مجموع الفتاوى (٣١٩/٤-٣٢٠، ٢٨٩/١٠-٢٩٣، ١٣٤٨/١٥)، منهاج السنة (٣٣٨/١)، لوامع الأنوار البهية (٣٠٣/٢-٣٠٥)، وللاستزادة: ينظر: عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يوسف السعيد، العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة (٥٢ وما بعدها)، حقوق النبي -صلى الله عليه وسلم- على أمته في ضوء الكتاب والسنة، لمحمد التميمي (١٢٦/١-١٦٠).

(٢) ينظر: فتح الباري (٥٠١/١١-٥٠٢)، الكليات (١٠٢٥)، التعريفات (١٩٥)، رد شبهات حول عصمة النبي عماد الشربيني(ص٢٥).

(٣) القدرية: سموا بذلك لنفيهم القدر، وهم طائفتان: منهم من ينفي علم الله، وهم الغلاة وقد انقرضوا، ومنهم من ينفي الإرادة وهم القدرية غير الغلاة من المعتزلة وغيرهم، وكلهم مجمعون على أن العبد يخلق فعل نفسه، وأن الله لا يخلق أفعال العباد. ينظر: التنبيه والرد على أهل البدع والأهواء (١٧٦)، الملل والنحل (٤٥/١)، التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، للإسفراييني (ص٦٣).

(٤) الجبرية اسم عام يشمل كل من ينفي حقيقة الفعل عن العبد، ويضيفه إلى الله تعالى، وهم أصناف متعددة، يدخل فيهم الجهمية، والضرارية، والكلابية والأشعرية، ومن وافقهم. ينظر: الملل والنحل (٨٤/١) ، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٦٨).

(٥) ينظر: شرح الأصول الخمسة (٧٨٠)، أوائل المقالات للمفيد (١٣٥).

فيما أجمع عليه أهل السنة والجماعة من العصمة: أجمع أهل السنة والجماعة على عصمة الأنبياء في التبليغ ودعوى الرسالة، وعصمتهم من تعمّد كبائر الذنوب، ومن تعمّد الصغائر التي تزري بصاحبها، كسرقة الحبة والحبتين(١).

يقول ابن حزم رحمه الله: «وذهبت جميع أهل الإسلام من أهل السنة، ...إلى أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلا معصية بعمد، لا صغيرة ولا كبيرة، ...ونقول إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد، ويقع منهم أيضا قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب منه، فيوافق خلاف مراد الله تعالى، إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيء من هذين الوجهين»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في عصمة الأنبياء من الإقرار على الذنوب: «والقول الذي عليه جمهور الناس وهو الموافق للآثار المنقولة عن السلف: إثبات العصمة من الإقرار على الذنوب مطلقا»(٣).

وتقرير محمد بن جعفر الكتاني بأن الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها من الكفر والشرك أو الجهل بالتوحيد، هو مما أُجمع عليه، يقول الجرجاني: « وأما الكفر فأجمعت الأمة على عصمتهم منه قبل النبوة وبعدها، ولا خلاف لأحد منهم في ذلك»(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ففي الجملة كل ما يقدح في نبوتهم وتبليغهم عن الله فهم متفقون على تنزيههم عنه»(٥)، وهذا يشمل قبل النبوة وبعدها.

فيما اختلف فيه أهل السنة والجماعة من العصمة: اختلف أهل السنة والجماعة في زمن العصمة، هل هي قبل النبوة وبعدها؟ أو هي مختصة بما بعد النبوة؟، والأكثر على أنها قبل النبوة وبعدها(١)، وهو ما قرره محمد بن جعفر الكتاني.

---

(١) ينظر: الشفا (٣١٩-٣٢٤)، مجموع الفتاوى (٢٨٩/١٠-٢٩٠)، منهاج السنة (٣٣٨/١)، بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، لشمس الدين الأصفهاني (٤٧٧/١)، إرشاد الفحول (٩٨)، لوامع الأنوار البهية (٣٠٤/٢).

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٩٣/١٠).

(٤) شرح المواقف للجرجاني (٢٨٨/٨).

(٥) منهاج السنة (٣٣٩/١).

واختلفوا أيضا في وقوع الأنبياء فيما عدا الصغائر التي تزري بصاحبها، والخطأ والنسيان والسهو، والجمهور على جوازها عليهم، مع عصمتهم من إرادة المخالفة، ومن الإصرار على المعصية، فهم لا يصرون عليها، وإنما يتوبون منها، ويتنبهون لها(٢).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ: «القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر، هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، ...وهو أيضا قول أكثر أهل التفسير، والحديث، والفقهاء، بل هو لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة والتابعين وتابعيهم، إلا ما يوافق هذا القول»(٣).

وقال أيضا: « وجمهور العلماء على جواز وقوع الصغائر من الأنبياء، وإن كانوا لا يقرون عليها»(٤).

وعلى هذا فمحمد بن جعفر الكتاني مخالف لمذهب أهل السنة والجماعة؛ حيث قرر العصمة المطلقة للأنبياء، والقول بالعصمة المطلقة غلو في الأنبياء؛ لأن الغاية من عصمة الأنبياء اليقين في دين الله، فيدينون بدين الأنبياء، وهذا لا ينافي وقوعهم في أخطاء من صغائر الذنوب، فيغفر الله لهم ولا يقرون على ذلك الخطأ، كما قال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَىٰ آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾﴾ [سورة طه:١٢١]، ثم تاب الله عليه فقال: ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ **[سورة طه:١٢٢]** (٥).

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٢٠١/٧)، الشفا (٣١٩)، تفسير آيات أشكلت، لابن تيمية (١٨١/١-١٨٦، ٢٣٠).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢٠/٤)، لوامع الأنوار البهية (٣٠٤/٢)، شرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين (ص٥٧٣-٥٧٤)، وينظر: الفصل في الملل والأهواء (٢/٤)، الدرة فيما يجب اعتقاده، لابن حزم (ص٢٢٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٣١٩/٤)، وينظر: منهاج السنة (٣٣٩/١).

(٤) الرد على البكري (٣٠٦/١).

(٥) ينظر: منهاج السنة (٤٧١/١).

فقوله مخالف لمذاهب الطوائف المشهورة، وإنما القول بالعصمة المطلقة للأنبياء هو قول لبعض الرافضة، والمتكلمين من المعتزلة والأشاعرة(١).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"وإنما نقل ذلك القول في العصر المتقدم عن الرافضة، ثم عن بعض المعتزلة ثم وافقهم عليه طائفة من المتأخرين.

وعامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يقرون عليها، ولا يقولون إنها لا تقع بحال، وأول من نقل عنهم من طوائف الأمة القول بالعصمة مطلقا وأعظمهم قولا لذلك الرافضة؛ فإنهم يقولون بالعصمة حتى ما يقع على سبيل النسيان والسهو والتأويل"(٢).

وقد انتقد الإمام ابن قتيبة-رحمه الله-هذا القول، ورد على أصحابه فقال:" يستوحش كثير من الناس من أن يلحقوا بالأنبياء ذنوبا، ويحملهم التنزيه لهم، -صلوات الله عليهم-، على مخالفة كتاب الله جلّ ذكره، واستكراه التأويل، وعلى أن يلتمسوا لألفاظه المخارج البعيدة بالحيل الضعيفة"(٣).

- **المفاضلة بين الأنبياء:**

يقرر محمد بن جعفر الكتاني المفاضلة بين الأنبياء، ويقول:" بل هو مما يجب الإيمان به؛ لتصريح الكتاب والسنة"(٤)، وأورد بعض الأدلة كقوله تعالى: ﴿۞ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [سورة البقرة:٢٥٣]، وقول الله ﷻ: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿٥٥﴾﴾ [سورة الإسراء:٥٥].

---

(١) ينظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد (٨/٧، ٢١)، تنزيه الأنبياء، للشريف المرتضى (ص١٥-١٧)، مجموع الفتاوى (٣٢٠/٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٣٢٠/٤).

(٣) تأويل مشكل القرآن (٢٣٠)، وينظر: مجموع الفتاوى (٣١٣/١٠-٣١٤).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٣/أ)، وينظر: جلاء القلوب (٣٠٧/١).

وقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**أنا سيد ولد آدم**))(١).

وقرر بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- هو أوّل أولي العزم من الرسل، حيث قال في قول الله -عز وجل-: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [سورة النساء:١٦٣]: " واختلف لِمَ خصَّه مع أن أوَّل الرسل آدم؟ ... لأنه أوَّل أولي العزم -أي: الصبر- من الرسل"(٢)، وقال:" أولوا العزم؛ أي: الجد والثبات"(٣).

ووجّه الأحاديث التي فيها النهي عن التفضيل بين الأنبياء كقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**لا تفضلوا بين أنبياء الله**)) (٤)، بقوله: "أي تفضيلا يؤدي إلى المنازعة والمخاصمة، أو إلى هضمه، والحطّ من مرتبته"(٥).

ونقل الإجماع على أن النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- هو خير الرسل وأفضلهم، وأنه سيد ولد آدم، وأنه ما من نبي إلا تحت لوائه(٦)، فمما قال:"أجمع العلماء والصوفية والعارفون وجميع الأمة الإسلامية على أنه -صلى الله عليه وسلم-أفضل الخلق على الإطلاق إلا من لا يعتد بخلافه"(٧).

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: تفضيل نبينا -صلى الله عليه وسلم- على جميع الخلائق، رقم: (٢٢٧٨).

(٢) شرح أول حديث في صحيح البخاري (ل ٥)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٣/أ، ٨٤/أ).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٣/ب).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الأنبياء، باب: قول الله: : (**وإن يونس لمن المرسلين**)برقم: (٣٢٣٣)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضائل موسى-عليه السلام-، برقم: (٢٣٧٣), من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٥) تشنيف المسامع (ل ١٢)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٣/أ).

(٦) ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٣/أ)، جلاء القلوب (١/١٠٩، ٣/٢١)، رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ٤).

(٧) جلاء القلوب (٢/٢٣٤)، وينظر: المرجع السابق (١/٣١٢، ٣/٢١)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٤/أ).

حتى قرر أفضلية النبي–صلى الله عليه وسلم– على كل شيء حتى الملائكة:"وقد ثبت بالسنة المتواترة والإطباق، أفضليته–صلى الله عليه وسلم–على غيره من النبيئين والمرسلين بإطلاق، بل بأفضليته على جميع العالمين، والخلائق أجمعين، حتى الملائكة المقربين ونحوهم من المهيمين، وهذا مما يكاد معلوما من دين الأمة ضرورة، بحيث لا يحتاج إلى سرد دليل عليه من حديث أو سورة، وهو مما يجب على كل مسلم اعتقاده حتما لقطعية دليله وثبوته جزما"(١).

النقد:

المفاضلة بين الأنبياء هو الذي دلت نصوص الكتاب والسنة عليه كما قرر الكتاني واستدل عليه، وقد أجمع السلف الصالح على أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضل، وأن أفضل الرسل نبينا محمد–صلى الله عليه وسلم– (٢).

يقول القاضي عياض رحمه الله: «لا خلاف أنه أكرم البشر، وسيد ولد آدم، وأفضل الناس منزلة عند الله، وأعلاهم درجة، وأقربهم زلفى، واعلم أن الأحاديث الواردة في ذلك كثيرة جدا»(٣).

أما أولو العزم من الرسل، فأصح الأقوال إنهم الخمسة المذكورون في قول الله عز وجل: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [سورة الأحزاب:٧].

وهذا ما قرره الكتاني، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «أفضل أولياء الله تعالى هم أنبياؤه، وأفضل أنبيائه هم المرسلون، وأفضل الرسل هم أولو العزم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد –صلى الله عليه وسلم–، وأفضل الرسل: نبينا محمد –عليه الصلاة والسلام–»(٤).

---

(١) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (١٢٠)، جلاء القلوب (٢/٢٣٦).

(٢) ينظر: الشفا (٩٩)، تفسير القرآن العظيم (٥/٨٧)، لوامع الأنوار البهية (٢/٣٠٠).

(٣) الشفا (٩٩).

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص١٠).

اما النصوص الواردة في النهي عن المفاضلة وتوجيه الكتاني لها فهو ما قرره أكثر أهل العلم؛ لأنه قد يُتوهم التعارض، وقد أجاب العلماء عن هذا وحاصل أقوالهم يرجع إلى مذهبين:

الأول: مذهب الجمع بين الأحاديث: وهو مذهب أكثر أهل العلم، واجتهدوا في توجيه أحاديث منع التفضيل (١).

الثاني: مذهب النسخ، وهو أن النهي عن التفضيل منسوخ، وقد كان النهي قبل أن يوحى إليه -صلى الله عليه وسلم- بالتفضيل، وقبل أن يعلم بأنه سيد ولد آدم، وهذا مذهب ضعيف قال به بعض أهل العلم (٢).

ولا شك بأن القول بالجمع بين الأحاديث مقدم على النسخ، لأن إعمال الأدلة مقدم على إهمالها (٣)، وأولى الأقوال فيه القول بأن نصوص النهي محمولة على ما يؤدي إلى تنقيص بعضهم أو ازدراؤهم، ونصوص المفاضلة محمولة على ما خلا عن ذلك (٤).

أما ما يراه من عموم تفضيل النبي-صلى الله عليه وسلم- على كل شيء حتى الملائكة، فهو باطل، لأن عموم تفضيل النبي-صلى الله عليه وسلم-على كل شيء حتى الملائكة لم يثبت كما زعم، بل ثبت فضله على الأنبياء، كقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: **((فُضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون))**

---

(١) ينظر: شرح مشكل الآثار (٥٧/٣)، تأويل مختلف الحديث (١١٦)، دلائل النبوة، للبيهقي (٤٩١/٥-٤٩٩)، المنهاج في شعب الإيمان (١١٧/٢-١٢١)، شرح صحيح مسلم (٣٨/١٥)، شرح الطحاوية (٢٤٣/١-٢٤٤)، فتح الباري (٤٤٦/٦)، لوامع الأنوار البهية (٢٩٨/٢).

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٦٢/٣)، شرح النووي (٣٨/١٥)، فتح الباري (٤٥٢/٦).

(٣) ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة (ص٣٨٧)، فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي (٦٧/٤-٦٨).

(٤) اختار هذا الخطابي في معالم السنن (٢٨٦/٤)، والحليمي في المنهاج (١١٧/٢)، وشيخ الإسلام في منهاج السنة (١٨٥/٧)، ومجموع الفتاوى (٤٣٦/١٤)، وابن أبي العز في شرحه على الطحاوية (٢٤٣/١).

[(١)]، كما ثبت فضله وسيادته على ولد آدم كقول النبي-صلى الله عليه وسلم-((**أنا سيد ولد آدم**))[(٢)]، ولم يرد أنه أفضل من الملائكة، وقد رد عليه الشيخ النتيفي الجعفري فقال:

"قوله: وهذا مما يكاد أن يكون معلوما من دين الأمة ضرورة، يقال عليه: عبّر بـ: يكاد، من أفعال المقاربة، وذكر بعده من القطع بذلك وجعله من ضروريات الدين ما ينافي تعبيره هذا.

قوله: بحيث لا يحتاج إلى سرد دليل عليه من حديث أو سورة، يُقال عليه، إذا بلغ هذا المعنى هذه الضرورة من الدين كان كل من خالفه كافرا، وقد تقدم أن أكثر علماء الأمة على خلاف ما قاله من عموم هذا التفضيل لكل شيء"[(٣)].

مما يُبين اضطراب محمد بن جعفر الكتاني وعدم اتزانه في تقريراته، ومخالفته للكتاب والسنة ولمنهج السلف الصالح في القول بعموم تفضيل النبي-صلى الله عليه وسلم-على كل شيء حتى الملائكة!

- **المفاضلة بين الأنبياء والأولياء:**

يقرر محمد بن جعفر الكتاني فضل الأنبياء-عليهم الصلاة والسلام- على كل أحد، ومن ذلك قوله: "الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- لا يعتمدون في ظاهر علمهم إلا على الوحي؛ لعلو مرتبته بمجيئ الملك به، ولأمر الله لهم باتباعه، كقوله لنبينا-صلى الله عليه وسلم- ﴿وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ﴾ [سورة الأحزاب:٢]، وأشدهم اتباعا له واعتمادا عليه نبينا-صلى الله عليه وسلم-ولذا قال: ﴿ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ **[سورة الأحقاف:٩]**، ويتركون مقام كشفهم وعلمهم الباطني غالبا؛ لأنه في الجملة مقام من دونهم من الأولياء والصالحين"[(٤)]، فأقر بأن

(١) رواه مسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، رقم (٥٢٣)، من حديث: أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) سبق تخريجه (ص٦١٤).
(٣) أصفى الموارد (٣١٥).
(٤) جلاء القلوب (٩٦/١).

بفضل الأنبياء على الأولياء، وأن مقام الأولياء والصالحين دون الأنبياء، مع بطلان اعتماده على الكشف الصوفي، ورأيه بعلم الظاهر والباطن، والحقيقة والشريعة، كما سبق بيانه(١).

وقال: "الأقطاب وإن بلغوا من وحي الله ما بلغوا تقصر رتبتهم عن رتبة النبيين"(٢).

وقال في الجواب على سؤال كما يقول:" هل يجوز أن يكون غير النبي أعلم من النبي كما يُتوهم من كلام بعض القوم؟ وجوابه: أن هاهنا مقامين:

أحدهما: مقام العلم بالله تعالى وصفاته وأسمائه وتجلياته، وما تشمل عليه من المنح والمواهب والفيوض، وهذا المقام لا يتأتى فيه أن يكون غير النبي من ولي أو صديق أو غيرهما أعلم؛ لأن النبوة فيه أكبر علما وأوسع دائرة وأعظم إدراكا، ولو كان غير النبي أعلم في هذا الميدان للحق بدرجة النبي في الفضل، أو كان أفضل منه، وذلك خلاف الواقع.

الثاني: مقام العلم بمراتب الكون، وما يقع فيه جملة وتفصيلا، وتقلبات أطواره، وانكشاف ما سيقع فيه في المستقبل قبل وقته، وهو كشف الغيوب الكونية، وهذا المقام يمكن أن يكون غير النبي فيه أعلم، لكن لا بمعنى أزيد علما، بل بمعنى أقوى مشاهدة والتفاتا ونظرا؛ لأن بصائر النبيين والمرسلين أبدا تنظر إلى جانب الحق، شديدة العكوف والدؤوب عليه، فقلوبهم أبدا تنظر إلى الله، لا التفات لها إلى الأكوان"(٣).

إلى أن قال:" وعلى هذا فالكلام الموهم لكون غير النبي قد يكون أعلم من النبي، إما محمول على ما ذكرناه من أنه قد يكون أعلم منه، أي: أقوى مشاهدة في مراتب الكون، وما يقع فيه جملة وتفصيلا.

---

(١) ينظر: (ص٢٢٠).

(٢) جلاء القلوب (١٥١/٣)، وينظر المرجع نفسه (١٢٦/٣).

(٣) جلاء القلوب (١٦٤/٢).

وإما مؤول بتأويل يقبله الكلام، ولا يُحمل على ظاهره، كأن تقول في قول الشيخ أبي يزيد البسطامي، أو أبي الغيث بن جميل اليمني(١)، أو الشيخ محيي الدين ابن عربي: خضنا بحورا وقفت الأنبياء بسواحلها، ومثله قول ابن الفارض:

وذلك بحرا خضته وقف الألى ... بساحله صونا لموضع حرمتي

وقول الشيخ مولانا عبد القادر الجيلاني: معاشر الأنبياء أوتيتم اللقب، وأوتينا ما لم تؤتوه، وقول الشيخ الأكبر قدس الله سره: آتاني الله علما لم يعلم به آدم فمن دونه، يعني: من النبين والمرسلين، أنه: محمول على أنهم قالوه على لسان الحضرة المحمدية؛ لأنه-عليه السلام- قد يعير بعض أثوابه وألبسة ذاته المختصة به لبعض الكاملين من أمته، فإذا لبسه واكتسى به تكلم بهذا الكلام، ومثله على لسانه بحسب النيابة عنه، فهو في الحقيقة منسوب إليه-صلى الله عليه وسلم-، فهو الخائض لتلك البحور، والتي أوتي من المسميات والعلوم ما لم يؤته غيره من النبيين والمرسلين، ولم يعلم به آدم فمن دونه.

وكذا قول بعض العارفين، نهاية أقدام النبيين بداية أقدام الأولياء، يريد بالأولياء نفسه هو من نمط هذا رأى صاحبه نفسه لابسة لبعض أثواب النبي الكامل، فظن وهو في تلك الحال أن مرتبة الولاية أعلى، وليس الأمر في الواقع كذلك، لأنه ما رأى إلا مرتبته-صلى الله عليه وسلم-...، فإن الولي تارة يتكلم في حال غيبته وسكره عن نفسه على لسان الحضرة المحمدية، وتارة على لسان حضرة الألوهية"(٢).

النقد:

المطلع على تقريرات محمد بن جعفر الكتاني السابقة يظهر له محاولته عدم القول بتفضيل الأولياء على الأنبياء، فقرر فضل الأنبياء على الأولياء، وقال: "الأقطاب وإن بلغوا من

---

(١) هو: أبو الغيث بن جميل اليمني، الملقب بشمس الشموس، من غلاة المتصوفة في اليمن، توفي عام ٦٥١هـ، ينظر: شذرات الذهب (٤٤٢/٧)، النور السافر عن أخبار القرن العاشر (٤١٢).

(٢) جلاء القلوب (١٦٧/٢-١٦٨).

وحي الله ما بلغوا تقصر رتبتهم عن رتبة النبيين"(١) وقال عن الأنبياء: "يتركون مقام كشفهم وعلمهم الباطني غالبا؛ لأنه في الجملة مقام من دونهم من الأولياء والصالحين"(٢).

ثم قرر بأن الأولياء أعلم من الأنبياء في العلم بمراتب الكون وكشف الغيوب الكونية، وتعذر لغلاة المتصوفة الذين كفرهم العلماء في التصريح بفضل الأولياء على الأنبياء بذلك(٣)، وأنهم ما يعنون في عباراتهم بأن الولي أعلم من النبي إلا هذا، وهو الكشف بالعلوم الكونية، وهذا ناشئ عن تصحيحه لكشفهم، بل قد عده مصدرا من مصادر التلقي عن الله-كما سبق-، وتعذر لهم كذلك بأن كلامهم لا يحمل على ظاهره، بل يُتأول بتأويل يقبله الكلام، كأن يُحمل على أنهم قالوه بلسان الحضرة المحمدية، أو لسان حضرة الألوهية، وهذا باطل ببطلان عقيدة وحدة الوجود والحقيقة المحمدية.

كما تعذر لهم بأنهم قالوه في حال سكر وفناء، ولو فاقوا لرجعوا عن كلامهم هذا، والاحتجاج بالفناء والسكر مع فعل المكفر أو قوله غير معتبر، وقد سبق الرد على الكتاني في تعذره للحلاج مع قوله: أنا الله؛ لفنائه بالربوبية؛ مع اتفاق المسلمين على قتله لزندقته! (٤)

فكل هذه تعذرات مردودة؛ وهي ناشئة عن تعظيمه لغلاة المتصوفة، مع صراحة عباراتهم في تفضيل الأولياء على الأنبياء، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" وتجد عامة أهل الكلام ومن أعرض عن جادة السلف – إلا من عصم الله – يعظمون أئمة الاتحاد بعد تصريحهم في كتبهم بعبارات الاتحاد، ويتكلفون لها محامل غير ما قصدوه، ولهم في قلوبهم من الإجلال والتعظيم والشهادة بالإمامة والولاية لهم، وأنهم أهل الحقائق ما الله به عليم، هذا ابن عربي يصرح في فصوصه: أن الولاية أعظم من النبوة، بل أكمل من الرسالة، ومن كلامه:

مقام النبوة في برزخ ... فويق الرسول ودون الولي

---

(١) المرجع السابق (١٥١/٣)، وينظر المرجع نفسه (١٢٦/٣).

(٢) جلاء القلوب (٩٦/١).

(٣) ينظر: ختم الأولياء، للحكيم الترمذي (٣٤٧)، الفتوحات المكية (٩/٢)، الطبقات الكبرى للشعراني (٣٥/٢)، الفتوحات الإلهية لابن عجيبة (٣٢١)، مقالات الإسلاميين (٤٣٩).

(٤) ينظر: (ص٢٧١-٢٩٤).

وبعض أصحابه يتأول ذلك بأن ولاية النبي أفضل من نبوته، وكذلك ولاية الرسول أفضل من رسالته، أو يجعلون ولايته حاله مع الله، ورسالته حاله مع الخلق، وهذا من بليغ الجهل، ... فما يقول هذا المتكلف في قول هذا المعظّم: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- لبنة من فضة، وهو لبنتان من ذهب وفضة؟ ويزعم أن لبنة محمد -صلى الله عليه وسلم- هي العلم الظاهر، ولبنتاه: الذهب علم الباطن، والفضة علم الظاهر، وأنه يتلقى ذلك بلا واسطة، ويصرح في فصوصه أن رتبة الولاية أعظم من رتبة النبوة؛ لأن الولي يأخذ بلا واسطة والنبي بواسطة؟"(١).

فلهم عبارات صريحة لا تحتمل التأويل في تفضيل الأولياء على الأنبياء، ومحمد بن جعفر الكتاني قد أقرهم على ما قرروه بجعل علم الحقيقة الذي هو علم مدعي الولاية لبّ علم الشريعة وباطنها(٢)، وفي هذا تفضيل لعلم الولي على النبي.

وأقرهم على أن: "النبوة لا تأتي علومها إلا على يد ملك، بخلاف الولاية فإنه ليس فيها واسطة بين الله وبين عبده"(٣).

كما أقرهم بأن الإلهام فيض إلهي لا يخطئ، يختص به الولي والنبي، قد يُستغنى فيه عن الوسائط، حيث ترفع عنه الحُجب، "فيقول الذي قلّت وسائطه: حدثني قلبي عن ربي، ويقول من استغنى عنها: حدثني ربي، أي: بطريق الإلهام"(٤).

وقال مقررا: "وقال بعضهم: قد يحصل للورثة من هذه الأمة من العلوم التي اقتبسوها من مشكاة نبوته-عليه الصلاة والسلام-، بالمتابعة له والاقتداء ما لم يحصل للأنبياء الماضين-عليهم السلام-بسبب عدم كونهم من هذه الأمة، والورثة من هذه الأمة ما نالوها من جهة أنفسهم وإنما نالوها من نبوة نبيهم، ولا يلزم من ذلك تفضيلهم على الأنبياء الماضين؛ لأن

---

(١) مجموع الفتاوى (١٧١/٤-١٧٣)، منهاج السنة (٥٩/٨)، بغية المرتاد (٣٨٧)، وينظر: الفتوحات المكية (٢٥٢/٢-٢٥٣)، فصوص الحكم (١٣٤).

(٢) ينظر تقريره لهذه المسألة (ص٢٢٠).

(٣) جلاء القلوب (١٢٦/٣).

(٤) المرجع السابق (٤٢/١)، وينظر المرجع نفسه (٥٠/١، ١٠٥)، اختصار الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين من عقائد الإيمان للرهوني في عمدة الراوين (٤٠/٩).

حصول العلم من الغير السابق إليه لا تلزم الفضيلة به، وإنما الفضيلة لمتبوعهم في حصوله، وهو سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم-لأن الحاصل له -عليه السلام-من نبوته الكاملة"(١)، بل يلزم هذا تفضيلهم، وإن قرر -برأيه- أنهم نالوه من جهة نبيهم محمد-صلى الله عليه وسلم-.

وقد قال في قول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [سورة الجن:٢٦-٢٧]: "وتخصيص الرسل لم يرد به إخراج الولي، للقطع باطلاع الله تعالى أولياءه على كثير من مغيباته، بدليل إخبار غير واحد منهم في كل عصر وكل قطر بمغيبات ظهر صدقها في المستقبل، وذلك منقول عنهم بطريق التواتر، ...ولهذا قال غير واحد من المعتبرين: إن الولي التابع للرسول داخل معه؛ لاغترافه من بحره، واستمداده من فيضه، كدخول التابع مع المتبوع فيما يكرم به المتبوع، أو يخص من أنواع البر والاتحافات"(٢)، وفي هذا تسوية بين الأولياء والأنبياء.

حتى قال عن موضع مقابر متبرك بها بفاس: "فيهم الأقطاب والأوتاد والأفراد، وأهل المعرفة الكبرى بالله تعالى ونحوهم، وقد بلغنا عن بعض الأكابر أنه كان يقول في رجال هذا الخارج: كادوا أن يكونوا أنبياء، وهو كذلك، حشرنا الله في زمرتهم وأعاد علينا من بركاتهم"(٣)، وهذا إلحاق لفضل الأولياء بالأنبياء.

فهذه تقريرات مناقضة لما قرره من فضل الأنبياء على كل أحد، ومخالف للأدلة على عموم فضلهم على غيرهم، كقول الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾﴾ [سورة الأنعام:٨٤-٨٧]، فذكر الله عز وجل أنه فضلهم على العالمين، بل اجتباهم وهداهم إلى صراط مستقيم.

---

(١) جلاء القلوب (١٦٩/٢).

(٢) المرجع السابق (٩١/١-٩٢)، وينظر المرجع نفسه (٤٦/١، ١١٢، ١٤١، ١٤٥، ١٤٩، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٣).

(٣) سلوة الأنفاس (١٨٣/٢).

وقال تعالى بعد ذكره للأنبياء مع أقوامهم إبراهيم، وموسى، وإسماعيل وإدريس: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَٱجْتَبَيْنَآ﴾ [سورة مريم:٥٨]، فذكر الاجتباء لهم والاصطفاء، فهم المصطفون وأفضل الخلق، وأصحاب الدرجات العلى في الآخرة[(١)]، وقد نقل الإجماع على فضلهم غير واحد من أهل العلم، يقول ابن حزم-رحمه الله-:"ولا خلاف بين مسلمين في أن الأنبياء - عليهم السلام - أرفع قدرا ودرجة وأتم فضيلة عند الله عز وجل وأعلى كرامة من كل من دونهم، ومن خالف في هذا فليس مسلما"[(٢)].

ويقول الطحاوي-رحمه الله-:"ولا نفضل أحدا من الأولياء على أحد من الأنبياء- عليهم السلام-، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء"[(٣)].

بهذا يتبين تناقض محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته وتعظيمه لغلاة المتصوفة وتعذره لهم، وموافقته لهم في حقيقة قولهم وما يؤول إليه، والله أعلم!

رأيه فيمن اختلف في نبوته:

- رأيه في ذي القرنين:

يرى محمد بن جعفر الكتاني عدم نبوة ذي القرنين، وقرر بأنه ملِك صالح، حيث قال « وهو على الأصح ومذهب الأكثرين ملك صالح عادل أحب الله فأحبه الله، وناصح الله فناصحه الله، ولم يكن نبيا ولا ملَكا ﴿**إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ**﴾ **[سورة الكهف:٨٤]**، يعني جعلنا له فيها مكانة واعتلاء وتصرفا، يتصرف فيها كيف يشاء"[(٤)].

المناقشة:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٣٨٥/٩)، تفسير ابن كثير (٢٤١/٥).

(٢) المحلى بالآثار (٤٥/١).

(٣) متن الطحاوية (٢٣).

(٤) جلاء القلوب (٩٣/١)، ويظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٦/ب).

ذكر الله ﷻ ذا القرنين في سورة الكهف، وبيّن تمكينه له في الأرض، واختلف أهل العلم في ذي القرنين اختلافا كثيرا في تعيينه واسمه وعصره ونبوته، وجملة أقوال أهل العلم ثلاثة، هي:

-القول بأنه ملك من الملائكة، وليس من الأنبياء.

-القول بأنه نبي من الأنبياء.

-القول بأنه عبد صالح، مكّنه الله حتى ملك الأرض(١).

والقول بعدم نبوته هو ما عليه جمهور أهل العلم، وظاهر سياق القصة في القرآن الكريم يدل على ذلك، وهو الصحيح -إن شاء الله-(٢)

وعليه فإن محمد بن جعفر الكتاني موافق لما عليه جمهور أهل العلم في القول بعدم نبوته، وأنه ملك صالح عادل.

- رأيه في لقمان:

يميل محمد بن جعفر الكتاني إلى كون لقمان حكيما حيث يقول:" أما لقمان وهو اسم أعجمي منع من الصرف للتعريف والعجمة الشخصية، أو عربي مشتق من اللقم، وهو حينئذ مرتجل؛ لأنه لم يسبق له وضع في النكرات، ومنعه حينئذ للتعريف وزيادة الألف والنون، قال ابن إسحاق: لقمان هو ابن باعوراء ابن ناحور بن تارح، وهو آزر، وقال وهب: كان ابن أخت أيوب، وقال الواقدي: كان قاضيًا في بني إسرائيل، ولم يكن نبيا، خلافا لعكرمة، واتفق على أنه كان حكيما" (٣).

-المناقشة:

---

(١)ينظر: جامع البيان (١٥/٣٦٨-٣٧١)، معالم التنزيل (٥/١٩٧-١٩٨)، المحرر الوجيز، لابن عطية (٣/٥٣٨)، الجامع لأحكام القرآن (١١/٤٦-٤٧)، تفسير القرآن العظيم (٥/١٨٩)، البداية والنهاية (٢/٥٣٧)، فتح الباري (٦/٣٨٢-٣٨٣)، تيسير الكريم الرحمن (٤٨٦)، وللاستزادة ينظر: ذو القرنين وسد الصين، لمحمد راغب الطباخ (ص٩٩-وما بعدها).

(٢) ينظر: معالم التنزيل (٥/١٩٨)، المحرر الوجيز (٣/٥٣٨)، فتح الباري (٦/٣٨٣).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٦/ب).

ذكر الله ﷻ لقمان في كتابه، وبيّن أنه آتاه الحكمة، قال ﷻ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [سورة لقمان:١٢]، وقد اختلف أهل العلم، هل كان حكيما أم نبيا؟ على أقوال:

-ذهب جمهور أهل العلم إلى أنه كان حكيما ولم يكن نبيا (١)، وحكى بعضهم إجماع أهل العلم على حكمته ولم يعتد بخلاف من خالف (٢).

-ذهب عكرمة إلى أنه كان نبيا، وقد عدّ غير واحد من أهل العلم، بأن هذا من تفرده، كما أشار الكتاني في تقريره السابق (٣).

-ذهب بعض أهل العلم إلى أنه خُيّر بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة (٤).

وما قرره محمدة بن جعفر الكتاني في القول بعدم نبوته موافق لما قرره جمهور أهل العلم.

- رأيه في الخضر.

يقرر محمد بن جعفر الكتاني ولايته وعدم نبوته، حيث يقول: «الخضر-عليه السلام- هو ولي لا نبي على الصحيح عند العلماء والعارفين»[٥].

وسبق بيان ثنائه على كثير من الأولياء بالاجتماع بالخضر-عليه السلام-، وبالنبي- صلى الله عليه وسلم- ومشاهدته والأخذ منه يقظة ومناما[٦]، وأنهم من أهل الكشف[١]، حتى أخبروا بكثير من المغيبات[٢].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥٤٥/١٥-٥٤٩)، معالم التنزيل (٢٨٦/٦)، تفسير القرآن، للسمعاني (٢٢٩/٤)، الجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٤)، المنهاج شرح صحيح مسلم (١٤٤/٢)، تفسير القرآن العظيم (٣٣٣/٦)، البداية والنهاية (٦/٣)، فتح الباري (٤٦٦/٦)، تيسير الكريم الرحمن (٦٤٨).

(٢) ينظر: المنهاج شرح صحيح مسلم (١٤٤/٢).

(٣) ينظر: المصدر السابق (١٤٤/٢)، فتح الباري (٤٦٦/٦).

(٤) ينظر: تفسير القرآن، للسمعاني (٢٢٩/٤)، معالم التنزيل (٢٨٦/٦)، الجامع لأحكام القرآن (٥٩/١٤). للاستزادة ينظر: لقمان الحكيم في ضوء الكتاب والسنة، لعبد الله الغامدي (ص٢٦-٣٠).

(٥) جلاء القلوب (٩٣/١).

(٦) ينظر: جلاء القلوب (١٤٨/١، ٢٧٧/٣)، سلوة الأنفاس (١١٤/١، ٧٢/٢، ٢٠٨، ١٦٠/٣، ١٥٨، ٤٧٢)، الإجازة الأيوبية (٢٩، ٥١)، النبذة اليسيرة النافعة (٣٨٧، ٢٨٥)، حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٦)، ☜

ويصحح اجتماعه بالنبي-صلى الله عليه وسلم- وروايته للأحاديث، حيث يقول عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:" واجتماع الخضر به-عليه السلام-مختلف فيه بين العلماء، والصحيح عندهم اجتماعه به وملاقاته، ... وذكر بعضهم أنه جاء إلى النبي-صلى الله عليه وسلم-مرارا وصحبه وروى عنه أحاديث"(٣).

النقد:

الخضر بفتح الخاء وكسر الضاد، أو بكسر الخاء مع إسكان الضاد(٤)، وهو عبد من عباد الله، ذكر الله قصته مع موسى-عليه السلام-في القرآن الكريم مجملة، وفُصلت بعض أحواله في السنة النبوية، وقد اختلف الناس حوله اختلافا كثيرا(٥)، يقول ابن حجر-رحمه الله:" والخضر قد اختلف في اسمه قبل ذلك وفي اسم أبيه وفي نسبه وفي نبوته وفي تعميره"(٦).

وقد اختلف أهل العلم في نبوته على أقوال، أشهرها قولان:

أحدهما: أنه نبي، وهو قول الجمهور، واختلف القائلون به في كونه نبيا رسولا أو نبيا فقط، وأكثرهم على القول بنبوته دون رسالته(٧).

رسالة المسلسلات (٥٩-٦٠)، الرحلة السامية (٢٧٧)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٦، ل ٩، ل ٢١)، اليمن والإسعاد (١٢٥).

(١) ينظر: سلوة الأنفاس (١/٢٨٠،٢٥١،٣٧٢، ٤١٠، ٢/١٨،٢٠، ٤٦، ١٩٣،٢٦٦، ٢٢٩، ٢٥٨، ٣/٧٢، ٤٧٩)، جلاب القلوب (١/١٥، ٤٦-٤٧، ٣/٢٧٧)، إعلان الحجة وإقامة البرهان (١٦، ٢٠٢)، الإجازة الأيوبية (٣١)، النبذة اليسيرة النافعة (١٥٣، ٢٣٣، ١٧٠، ٢٦٧، ٢٧٥، ٣٨٥، ٣٩٢)، الرحلة السامية (٢٧٦).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (١/١٠٤، ١٤٨، ٣٠٢)، النبذة اليسيرة النافعة (١٧٩، ١٨٩)، سلوة الأنفاس (١/٤٠٠، ٢/ ١٨،٦٧،١١٩، ١٧٠،٢٢١، ٣/٤٨٣)، الإجازة الأيوبية (٣١).

(٣) رسالة المسلسلات (٥٦).

(٤) ينظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/١٧٦)، فتح الباري (١/١١٢).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/٣٣٨)، زيارة القبور، له (ص٧٠)، الزهر النضر في حال الخضر، لابن حجر العسقلاني، (ص٧٣ وما بعدها)، الحذر في أمر الخضر لعلي القاري (٧٤ وما بعدها)، جواب سؤال يتعلق فيما أظهر الخضر للشوكاني، ضمن الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني (٣/١٢٤٩).

(٦) فتح الباري (٤/٣٣٧).

(٧) ينظر: تفسير القرطبي (١١/١٦)، مدارج السالكين (٢/٤٧٥-٤٧٦)، فتح الباري (٦/٤٣٤)، الزهر النضر (٦٨)، الحذر في أمر الخضر لعلي القاري (٨٣)، روح المعاني (٨/٣٠٢).

الثاني: أنه ولي لا نبي، وهو قول بعض الصوفية-كالكتاني-ومن وافقهم(١).

والصحيح هو قول الجمهور بأنه نبي لا ولي، وقول من قال منهم بنبوته دون رسالته، والأدلة على ذلك كثيرة ذكرها غير واحد من أهل العلم، يقول القرطبي-رحمه الله-:"والخضر نبي عند الجمهور، ...والآية تشهد بنبوته؛ لأن بواطن أفعاله لا تكون إلا بوحي"(٢).

ويقول ابن كثير -رحمه الله-:" قد دل سياق القصة على نبوته من وجوه، **أحدها:** قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾﴾ **[سورة الكهف:٦٥]**.

الثاني: قول موسى له: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ [سورة الكهف: ٦٦-٧٠] فلو كان وليا وليس بنبي، لم يخاطبه موسى بهذه المخاطبة، ولم يرد موسى هذا الرد، بل موسى إنما سأل صحبته لينال ما عنده من العلم، الذي اختصه الله به دونه، فلو كان غير نبي لم يكن معصوما، ولم تكن لموسى، وهو نبي عظيم، ورسول كريم، واجب العصمة، كبير رغبة، ولا عظيم طلبة في علم ولي غير واجب العصمة، ولما عزم على الذهاب إليه، والتفتيش عليه، ولو أنه يمضي حقبا من الزمان، ... ثم لما اجتمع به تواضع له، وعظمه، واتبعه في صورة مستفيد منه، دل على أنه نبي مثله يوحى إليه كما يوحى إليه، ...

الثالث: أن الخضر أقدم على قتل ذلك الغلام، وما ذاك إلا للوحي إليه من الملك العلام. وهذا دليل مستقل على نبوته، وبرهان ظاهر على عصمته، ... ولما أقدم الخضر على قتل ذلك الغلام، الذي لم يبلغ الحلم، علما منه بأنه إذا بلغ يكفر، ويحمل أبويه عن الكفر؛ لشدة محبتهما له، فيتابعانه عليه، ففي قتله مصلحة عظيمة تربو على بقاء مهجته؛ صيانة لأبويه عن الوقوع في الكفر وعقوبته، دل ذلك على نبوته، وأنه مؤيد من الله بعصمته، ...

---

(١) ينظر: نشر المحاسن الغالية في فضل مشائخ الصوفية، لليافعي (ص٥٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/١١)، الحاوي للفتاوى للسيوطي (٣٨٢/٢)، روح المعاني (٣٠٢/٨).

الرابع: أنه لما فسر الخضر تأويل تلك الأفاعيل لموسى، ووضح له عن حقيقة أمره، وجلى، قال بعد ذلك كله: ﴿رَحۡمَةً مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾ [سورة الكهف:٨٢]، يعني: ما فعلته من تلقاء نفسي، بل أمرت به، وأوحي إلي فيه، فدلت هذه الوجوه على نبوته"(١).

فهذه القصة دلت على نبوة الخضر -عليه السلام- وعدم ولايته، من أوجه بيّنها ابن كثير ووضحها رحمنا الله وإياه!

وقال ابن حجر-رحمه الله- عن أكابر العلماء:" أول عقدة تحل من الزندقة: اعتقاد كون الخضر نبيا، لأن الزنادقة يتذرعون بكونه غير نبي، إلى أن الولي أفضل من النبي"(٢).

بهذا يتبين بطلان قول الكتاني في تقرير ولايته دون نبوته.

وأما ما يتعلق بحياته وتعميره، فقد اختلف الناس فيها أيضا على قولين:

أحدهما: القول بوفاته، وهو ما عليه المحققون من أهل العلم(٣).

الثاني: القول بتعميره، وهو ما قرره الكتاني، وهو قول بعض الصوفية ومن وافقهم(٤)، وحكاه بعضهم عن أكثر أهل العلم(٥)، وفي حكايته نظر.

والأدلة من الكتاب والسنة والمعقول تدل على قول من قال بوفاته وتؤيده، ومنها: قول الله عز وجل: ﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ۝٣٤﴾ [سورة الأنبياء:٣٤]، والخضر -عليه السلام- بشر يدخل في عموم هذه الآية لا محالة؛ لأنه لو دام لكان خالدا، فلا يجوز استثناؤه إلا بدليل صحيح، والأصل عدمه حتى يثبت، ولم يذكر ما يدل على التخصيص دليل مقبول(٦).

---

(١) البداية والنهاية (٢/٢٤٨-٢٤٩).

(٢) الزهر النضر (٢٩)، وينظر: (١٦٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٠٢/٨) المنار المنيف لابن القيم (٧٢)، البداية والنهاية (٢٦٥/٢)، الزهر النضر (٨٦-٨٩)، فتح الباري (٤٣٤/٦).

(٤) لطائف المنن (٨٢)، نشر المحاسن الغالية في فضل مشائخ الصوفية، لليافعي (٣٧٣)، إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٣٨٤/٥).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٥/١٣٥-١٣٦)، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١/١٧٦-١٧٧).

(٦) ينظر: المنار المنيف (٦٩-٧٠)، البداية والنهاية (٢٦٥/٢) أضواء البيان (٣٢٨/٣).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ﴾ [سورة آل عمران:٨١]، فما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمداً -صلى الله عليه وسلم- وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق: لئن بعث محمد وهم أحياء; ليؤمنن به ولينصرنه(١)، والخضر إن كان نبيا أو وليا فقد دخل في هذا الميثاق، ولو كان حيا في زمن النبي-صلى الله عليه وسلم-لما وسعه إلا اتباعه والإيمان به ونصرته، ولم يثبت أن الخضر اجتمع بالنبي-صلى الله عليه وسلم-فدل ذلك على موته(٢).

ومن السنة: قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**)) (٣).

وقوله-صلى الله عليه وسلم-: ((**تسألوني عن الساعة؟، وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة**)) (٤).

قال ابن الجوزي-رحمه الله-:"فهذه الأحاديث الصحاح تقطع دابر دعوى حياة الخضر"(٥).

وأما المعقول: فقد نقل ابن القيم-رحمه الله-عن الحافظ ابن الجوزي-رحمه الله-وجوها من المعقول تدل على موته الخضر، منها:

-أن الخضر-عليه السلام-لو كان كذلك، لكانت خلقته ليست على خلقتنا، بل كان مفرطا في الطول والعرض، ولم يذكر أحد ممن زعم رؤيته أنه رآه على هذه الخلقة العظيمة.

---

(١) ينظر: جامع البيان (٦/٥٥٠-٥٦٠)، تفسير ابن كثير (٢/٦٧).

(٢) ينظر: البداية والنهاية (٢/٢٦٦).

(٣) رواه البخاري، كتاب: العلم باب: السمر في طلب العلم، رقم (١١٦)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قوله صلى الله عليه وسلم لا تأتي مائة سنة، رقم (٢٥٣٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: قوله صلى الله عليه وسلم لا تأتي مائة سنة، رقم (٢٥٣٨)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٥) نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية (٢/٢٧٠)، وأصل كلامه في كتابه عجالة المنتظر في شرح حال الخضر، وهو غير مطبوع.

-أن الخضر لو كانت كذلك لكان ممن مات زمن نوح-عليه السلام-، فإن العلماء قد اتفقوا على أن نوحا لما نزل من السفينة مات من كان معه، ثم مات نسلهم، ولم يبق غير نسل نوح، بليل قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ۝٧٧﴾ [سورة الصافات:٧٧]، ومعلوم أن الخضر ليس من نسل نوح عند القائلين بتعميره.

-أن هذا لو كان صحيحا أن بشرا من بني آدم يعيش من حين يولد إلى آخر الدهر ومولده قبل نوح، لكان هذا من أعظم الآيات، وكان خبره في القرآن مذكورا في غير موضع؛ لأنه من أعظم آيات الربوبية.

-أنه لو كان حيا لكان جهاده الكفار ورباطه في سبيل الله، وحضور الجمعة والجماعة خيرا له وأفضل من سياحته في الصحاري والبراري، وهل هذا إلا من أعظم الطعن له والعيب عليه؟[١]

فيتبين بمجموع هذه الأدلة أن الراجح هو القطع بموته، والأحاديث الدالة على بقائه كلها ضعيفة لا تقوم بها حجة[٢].

كما أن القصص والحكايات عن الصالحين ومدعي الولاية من رؤية الخضر والاجتماع به، والاحتجاج بها غير معتبرة؛ لأنها ليست حجة في نفسها، والضعف والكذب فيها غالب[٣].

المطلب الثالث: آراؤه في الإيمان بنبينا محمد ﷺ

---

(١) ينظر: المنار المنيف (٧٣-٧٦)، وذكرها الألوسي في روح المعاني (٣٠٢/٨)، وينظر: زيارة القبور (٧٠)، للاستزادة ينظر: الخضر بين الواقع والتهويل، محمد خير رمضان يوسف (١٢٥ وما بعدها).

(٢) ينظر: الموضوعات لابن الجوزي (١٩٨/١)، مجموع الفتاوى (٣٨٨/٤)، زيارة القبور له (٧٠)، المنار المنيف (٦٧)، البداية والنهاية (٢٧١/٢)، الزهر النضر (٨٣)، فتح الباري (٤٣٤/٦-٤٣٥)، الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، للكرمي (ص٧٩-٨٠)، أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب لأبي عبد الرحمن الحوت (١٥١).

(٣) ينظر: زيارة القبور (٧٢)، البداية والنهاية (٢٧١/٢)، الزهر النضر (١١٥-١٦٠)، فتح الباري (٤٣٥/٦).

عرض محمد بن جعفر الكتاني لبعض المسائل المتعلقة بنبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- وهي الواجب تجاه النبي-صلى الله عليه وسلم-، وبعض معجزاته -صلى الله عليه وسلم- وخصائصه، وآراؤه فيها كما يلي:

- واجب المسلم تجاهه:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني وجوب محبة النبي-صلى الله عليه وسلم- حيث يقول: "محبته -صلى الله عليه وسلم- لو لم تكن واجبة شرعا، لأحبه كل عاقل طبعا، يعلمه من حسنه وإحسانه، ... مع أن محبته اكد فروض الله وأولاها بالبيان، بل هي شرط في صحة إيمان كل إنسان، والمنجية من الهلاك والمخلصة من النيران، والمحصلة لحلاوة الإيمان ورضى الرحمن، ... وكمالها شرط في حصول كل كمال، ولم يؤته إلا أكابر الخلق وفحول الرجال، ومن ثم كان الناس يتفاوتون في الإيمان، على قدر تفاوتهم في محبة هذا النبي العدنان، فمن كان فيه أكثر محبة كان أكثر إيمانا، وأقوى يقينا وعرفانا.

أخرج الشيخان عن أنس مرفوعا: ((**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**)) (١)، ...وأخرج مسلم عن أنس رفعه ((**لا يؤمن الرجل حتى أكون أحب إليه من أهله وماله**)) (٢) ...

ولمحبته-صلى الله عليه وسلم-علامات ودلائل وآيات، منها: اتباع سنته، والعمل بما جاء به من شريعته، أمرا ونهيا، إثباتا ونفيا.

ومنها: صلة قرابته وأهل بيته ومودتهم، واستعمال كل الوسائل في الدفاع عنهم، ...

ومنها: الإكثار من ذكره، وذكر أوصافه الجميلة، ونعوته الرفيعة الجليلة، تلذذا بذكره، وذكر مزاياه ومآثره، وفرحا بنشره، ونشر فضائله، ومفاخره.

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: باب: حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان، رقم (١٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد، رقم (٦٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من الأهل والولد والوالد، رقم (٧٠).

ومنها: الإكثار من الصلاة والسلام عليه، امتثالا لأمره تعالى بهما وتشوقا إليه، اغتماما لما فيها من الفوائد العظيمة، والأجور المضاعفة الجسيمة"(١).

وقرر بأن النبي- صلى الله عليه وسلم- مفوَّض إليه في الأحكام الشرعية، وأن الإعراض عما شرعه النبي أو سنّه هو في الحقيقة إعراض عن كتاب الله عز وجل، واستدلاله ببعض الأدلة على ذلك، كقول الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ ۝٧﴾ **[سورة الحشر:٧]**، وقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ﴾ **[سورة النساء:٨٠]**، وتفسيره بأن من يطع الرسول، أي: بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، ﴿فَقَدْ أَطَاعَ﴾، أي: فطاعته طاعة لله تعالى؛ لأن شرعه شرعا لله، وحكمه حكما له، ومخالفته مخالفة لله(٢).

واستشهاده بقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**))(٣)، وتقريره بأنه " لا حاجة بالحديث أن يعرض على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-كان حجة بنفسه، ودليلا مستقلا، وإن لم يوجد في الكتاب ما يشهد له بخصوصه، إلا أن يعرض عليه لغرض الفهم، أو الجمع، ونحو ذلك، فهذا لازم، دون عرضه لغرض رده إذا لم يوجد فيه ما يشهد له، فهو غير جائز"(٤).

وقرر أن العمل بالسنة لازم مطلقا كلزوم العمل بما في القرآن؛ لأن الله تعالى فرض على الأمة بل على العالم كله طاعته، والتأسي به فرضا مطلقا لا شرط فيه ولا استثناء، قال عز وجل: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾ **[سورة النجم:٣]**، أي ما نطقه، ﴿وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ **[سورة النجم:٤]**، وقوله: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ۝١١٣﴾ **[سورة النساء:١١٣]**، "وهما القرآن

---

(١) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (١٢٣-١٢٤)، ينظر معنى الصلاة على النبي عنده: دلائل الخيرات (٣٥)، شرح أول حديث في صحيح البخاري (ل ١٥).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (٣/٣٣-٨٤) شرح على دلائل الخيرات (ل ٢٤).

(٣) رواد أبو داود، كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، رقم (٤٦٠٤)، والإمام أحمد (٢٨/٤١٠/برقم ١٧١٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٥١٦/١/ برقم ٤٤٠٨).

(٤) جلاء القلوب (٨٧/٣).

والسنة، في قول بعض أهل التحقيق، وقولهم: الوحي وحيان، وحي متلوا وهو القرآن، ووحي غير متلوا وهو السنة بأجمعها"(١).

- المناقشة:

«فرض الله على جميع الخلق الإيمان بنبيه -صلى الله عليه وسلم-، وطاعته، واتباعه، وإيجاب ما أوجبه، وتحريم ما حرمه، وشرع ما شرعه، وبه فرق الله بين الهدى، والضلال، والرشاد، والغي، والحق، والباطل، والمعروف، والمنكر، وهو الذي شهد الله له بأنه يدعو إليه بإذنه، ويهدي إلى صراط مستقيم وأنه على صراط مستقيم، **قال تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة الأحزاب:٤٥]، وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٥٢﴾﴾ [سورة الشورى:٥٢]، وقال تعالى: **قال تعالى**: ﴿فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾﴾ [سورة الزخرف:٤٣]،. وهو الذي جعل الرب طاعته طاعة له في مثل قوله تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾﴾ [سورة النساء:٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ﴾ [سورة النساء:٦٤]، هو الذي لا سبيل لأحد إلى النجاة إلا بطاعته، ولا يسأل الناس يوم القيامة إلا عن الإيمان به واتباعه وطاعته، وبه يمتحنون في القبور، قال تعالى: ﴿(﴾﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَة آلِ عِمْرَان ﴾ [سورة الأعراف:٦]»(٢).

فما قرره محمد بن جعفر الكتاني من وجوب محبة النبي-صلى الله عليه وسلم- واتباع سنته والعمل بما جاء به، حق(٣)، إلا أنه جعل وجوب محبته ووجوب اتباعه أدلة على ما يراه من كون النبي-صلى الله عليه وسلم-خليفة الله الأكبر في ربوبيته-(٤)، وهذا باطل ببطلان القول بوحدة الوجود والحقيقة المحمدية كما سبق، كما أنه لم يؤكد على شرط متابعة النبي-صل-في شروط قبول العمل عند الله، بل جعل المحبة دليل على قوة المتابعة، وسبق أن العكس

---

(١) جلاء القلوب (٣/٨٨-٨٩)، ينظر: (٣/١٢٠).

(٢) الرد على الأخنائي (٣٠٧-٣٠٨).

(٣) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٣٥-وما بعدها) ، زاد المعاد في هدي خير العباد (١/٣٧-٣٨)، أصول الإيمان لمحمد بن عبد الوهاب (ص١٥٥-١٥٨)، حقوق النبي بين الإجلال والإخلال، لنخبة من المؤلفين (ص٦٧-وما بعدها)، وللاستزادة ينظر: حقوق النبي في ضوء الكتاب والسنة، لمحمد التميمي.

(٤) ينظر: جلاء القلوب (٣/٥-٨٤، ١٣٧-١٣٨).

هو الصحيح، فتوقير النبي -صلى الله عليه وسلم- ومحبته يستلزم اتباعه، وطاعته، وعدم صرف شيء من أنواع العبادة الواجبة لله ﷻ لأحد من خلقه، فحقوقه ﷻ لا يشاركها فيها أحد، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

يقول ابن القيم رحمه الله:

لله حـــــق لا يكـــــون لغـــــيره ولعبـــــده حـــــق هـمـــــا حقـــــان

لا تجعلـــوا الحقـــين حقـــا واحـــدا مـــــن غـــــير تمييـــــز ولا فرقـــــان

(١)

– معجزات النبي-صلى الله عليه وسلم-:

اعتمد محمد بن جعفر الكتاني على تعريف المعجزة بأنها: "الأمر الخارق للعادة، المقارن لدعوى الرسالة، المتحدى به قبل وقوعه، الذي يعجز من يبغى معارضته عن الإتيان بمثله، يقول:" هذا تعريف للمعجزة بشروطها، ...

الأمر إلخ: قياس في الحد يشمل كل أمر، وهو أحسن من تعبير بعضهم بفعل؛ لأنه يتناول الفعل كانشقاق القمر وكلام الضب وحنين الجذع، ويشمل الترك كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم، وعدم قطع السكين له أيضا حين أمره الله بذبح ولده، وعدم قدرة من أراد من الكفار معارضة شيء من القرآن، بخلاف التعبير بالفعل، فلا يتناوله بناء على أن الترك ليس بفعل.

الخارق للعادة: شامل لما إذا تعلَّقت به القدرة الحادثة؛ كالطيران في الجو، والمشي على الماء، وما لم تتعلق به؛ كإحياء الموتى، ونبع الماء من بين الأصابع، واحترز به عما لم يخرق العادة؛ إذ لا دلالة فيه لاتحاد نسبته، فلا يدل ...

المقارن لدعوة الرسالة إلخ: احترز به من كرامات الأولياء...

المتحدي به قبل وقوعه إلخ: معنى التحدي: دعوى الخارق دليلًا على الصدق بلسان الحال والمقال...

(١) الكافية الشافية (٢٤٩).

الذي يعجز من يبغي معارضته عن الإتيان بمثله إلخ: احترز به من السحر والشعوذة"(١).

وقال عن الأنبياء:" وهم الذين دلت المعجزة على صدقهم لتحديهم بها، ... فالإيمان بالله مسنده دلالة الصنعة على الصانع، والإيمان بالرسل مسنده دلالة المعجزة"(٢).

كما قال:" ذكر بعض المحققين من المتأخرين أن الاستناد في العقائد كلها إلى القرآن أو السنة المتواترة كاف، وأن صاحب ذلك لا يسمى مقلدا، بل يحصل له الخروج من التقليد به؛ حيث كان ممن ثبتت عنده رسالة الرسول بالمعجزات المتواترة كما هو حال المؤمن، لأنه إذا ثبتت الرسالة بالبرهان ثبت به جميع ما استند إليه"(٣).

وعرض محمد بن جعفر الكتاني لبعض معجزات وخصائص النبي-صلى الله عليه وسلم-في مواضع متفرقة من كتبه(٤)، وذكر بأن النبي هو صاحب الشفاعة العظمى والحوض والمورود(٥)، من تقريراته في معجزة الإسراء والمعراج ما قرره في كتابه" نيل المنى وغاية السول بذكر معراج النبي الرسول"، حيث قال: "قصة الإسراء والمعراج من أشهر المعجزات، وأظهر البراهين البينات، وأقوى الحجج المحكمات، وأصدق الأنبياء وأعظم الآيات، أتم العلامات، وأكبر الدلالات الدالة على تخصيصه -صلى الله عليه وسلم- بغاية القرب، ونهاية المقامات، ...

---

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٦١/أ-٦٢/أ).

(٢) المرجع السابق (ل ٥٥/ب)، وينظر المرجع نفسه: حاشية على شرح ميارة (ل ٦٠/ب).

(٣) الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين من عقائد الإيمان (٢٠٠)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩/أ، ٤٤/ب).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (٧٩/١، ٣١/٣)، نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٠٣-٢١٧)، تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٩)، حاشية على شرح ميارة (ل ٦٢/ب، ٦٣/ب، ٨٩/ب)، إسعاف الراغب الشائق (٦٠)، اليمن والإسعاد (٩٠).

(٥) ينظر: إسعاف الراغب الشائق (٧٠)، الدعامة (٩٥)، جلاء القلوب (٢٩٢/٣)، شرح على دلائل الخيرات (ل ١٠، ٥٤).

وقد اختلفوا في الإسراء والمعراج الواقعين فيها، فقيل: كانا يقظة بروحه–صلى الله عليه وسلم–وجسده الشريف في القصة كلها، وهذا هو الصحيح والقول المعتبر لدى معظم السلف والخلف، ...

واختلفوا أيضا: هل هو معراج واحد، كان له من الله الواحد، أو هما معراجان، ... والصحيح وهو الذي عليه معظم السلف، وأكثر عامة الخلف: أن الإسراء الذي اتصل به المعراج وفرضت فيه الصلوات الخمس، كان مرة واحدة، من غير تكرر ولا لبس، وأنه مكان بمكة بعدة المبعث وقبل الهجرة السنية بثمانية أشهر أو بستة وفية، وأنه كان بروحه وجسده معا، يقظة"(١).

وذكر قصة الإسراء والمعراج مجملة، وبعض الروايات فيها(٢)، وقال في الإيمان به وحكم منكره: "أجمع عليه العلماء والموحدون، وأعرض عنه الزنادقة والملحدون؛ ليطفؤوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون فشوّه وظهوره، وقد قال العلماء في منكره من أصله بالكفر والارتداد؛ لتكذيبه لما أخبر به رب العباد" (٣).

– النقد:

وافق محمد بن جعفر الكتاني جمهور المتكلمين في تعريف المعجزة، وفيه حصره لدلائل النبوة بالمعجزات، وإخراج كثير من دلائل النبوة عن دلالتها، وهذا باطل(٤)، **فالمعجزة في اللغة**: مأخوذة من العجز، يقول ابن فارس:" العين والجيم والزاء أصلان صحيحان، يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء...

فالأول: عجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز، أي ضعيف...

---

(١) نيل المنى وغاية السول بذكر معراج النبي الرسول (١٣١–١٣٢)، وينظر: جلاء القلوب (٩٣/١، ٢٦٩، ٤٩/٣).

(٢) المرجع السابق (١٣٦).

(٣) نيل المنى وغاية السول (١٣٦).

(٤) ينظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (٣٧–٣٨)، شرح المقاصد (١٩/٥)، وينظر في الرد عليهم: الجواب الصحيح (٥٠٦/٦)، شرح الأصفهانية (٤٧١/٢–٤٩١)، درء تعارض العقل والنقل (٤٠/٩)، النبوات (٤٨٠/١، ٥٢٢–٥٢٣).

وأما الأصل الآخر فالعجز: مؤخر الشيء، والجمع أعجاز"(١).

والمعجزة في الاصطلاح: لم ترد بهذا اللفظ في كتاب الله ولا سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولم يكن السلف الصالح يستعملونه بهذا المعنى الذي تعارف عليه من بعدهم، وإنما الوارد في كتاب الله تعالى وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-والمتعارف عليه عند السلف هو لفظ: الآية، والبينة، والبرهان، كما قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗ﴾ [سورة هود:٦٤]، وقوله: ﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهۡبِۖ فَذَٰنِكَ بُرۡهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ٣٢﴾ [سورة القصص:٣٢]، وقال عزوجل: ﴿۞وَلَقَدۡ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [سورة البقرة:٩٢].

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ المعجزات موجودا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ الآية، والبينة، والبرهان"(٢).

أما المتأخرون أطلقوا لفظ المعجزة واختلفوا في تعريفها، وشروطها، وجمهورهم على ما ذكره محمد بن جعفر الكتاني(٣)، والصواب أن المعجزة تعم كل خارق للعادة، ويفرق بينها بحسب حال من تقع منه أو يدعيها؛ لأن" اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة في اللغة، وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره، ويسمونها : الآيات، لكن كثيرا من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما الأمر الخارق للعادة"(٤).

(١) معجم مقاييس اللغة مادة (عجز): (٢٣٣/٤).

(٢) الجواب الصحيح (٤١٢/٥)، وينظر: النبوات (٢١٥/١، ٨٢٨/٢)، مجموعة الرسائل والمسائل (٢/٥)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (٧٤٦/٢)، لوامع الأنوار البهية (٢٩٠/٢).

(٣) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢١٩/١٥)، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني (٣٥-٣٦، ٤٥-٤٦)، غاية المرام في علم الكلام للآمدي (٣٣٣)، شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني (١١/٥).

(٤) قاعدة في المعجزات والكرامات لابن تيمية، (ص٧)، مجموع الفتاوى (٣١٢/١١)، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٧٤٦/٢).

ومنشأ خطأ المتكلمين الذين نهج نهجهم الكتاني في حصر دلائل النبوة بالمعجزات: هو اعتقادهم أن دلائل النبوة وكرامات الأولياء، وخوارق السحر، كلها من جنس واحد، فذهبت المعتزلة إلى إنكار الكرامات والسحر، وحاول الأشاعرة التفريق بما لا يصح(١).

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" وأصل خطأ الطائفتين: أنهم لم يعرفوا آيات الأنبياء، وما خصهم الله به، ولم يقدروا قدر النبوة، ولم يقدروا آيات الأنبياء قدرها، بل جعلوا هذه الخوارق الشيطانية من جنسها؛ فإما أن يكذّبوا بوجودها، وإما أن يسوّوا بينهما، ويدعوا فرقاً لا حقيقة له"(٢).

والصواب أن دلائل النبوة، وكرامات الأولياء، وخوارق السحر ليست من جنس واحد، وإلا لما كانت دلائل للنبوة، فآيات" الأنبياء التي يُعلم أنّها مختصة بالأنبياء، وأنّها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لا بُدّ أن تكون خارقةً للعادة، خارجةً عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن أحداً أن يعارضها، لكن كونها خارقة للعادة، ولا تمكن معارضتها: هو من لوازمها ليس هو حداً مطابقاً لها..." (٣).

أما ما ذكره محمد بن جعفر الكتاني من الشروط التي تعاقب عليها جمهور المتكلمين، فهي متعقبة بما يلي:

-أن اشتراط خرق العادة بالمعجزة لا يصح؛ لكونه غير مختص بالأنبياء، بل شاركهم فيه غيرهم، كالسحرة مثلا، يأتون بما هو خارق لعادة من شاهده، ولا يستطيع معارضته، مع أنه ليس خارقا لعادة السحرة أمثاله، كما أن العادة أمر نسبي، فقد يكون عادة عند قوم دون غيرهم(٤).

-أن اشتراط اقتران التحدي بها لا يصح؛ لكون التحدي لم يقع في كثير من دلائل الأنبياء-عليهم السلام-(٥)، وبناء على اشتراط هذا الشرط، فـ"شكوى البعير، ومجيء الذئب، ليس

---

(١) ينظر: المغني (١٨٩/١٥)، البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (٩١، ٩٦)، شرح المقاصد (١١/٥، ٧٢-٧٤)، شرح الصاوي على جوهرة التوحيد (٢٩٨-٣٠٠).

(٢) النبوات (١٠٤٠/٢)، وينظر: الجواب الصحيح (٤٠٠/٦، ٥٠٠).

(٣) المرجع السابق (٧٧٥/٢).

(٤) ينظر: النبوات (١٧٣/١-١٧٤، ١٦٤، ١٦٥، ١٧٠).

(٥) ينظر: الفصل (١٦٤/٤)، لنبوات (٥٤١/١)، الجواب الصحيح (٣٠٨/٦، ٤٠٨).

شيء من ذلك دلالة على صدق رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في نبوته؛ لأنه –عليه السلام– لم يتحد الناس بذلك"[1]، وهذا باطل.

تفسير المعجزة بدعوى النبوة، وأمن المعارضة، مردود من أوجه:

الأول: أن هناك من ادعى النبوة كذبا، وجرى على يديه بعض الخوارق، ولم يعارض، ومع ذلك عرف الناس كذبه كما في مسيلمة الكذاب[2]، والأسود العنسي[3]، وغيرهما[4].

الثاني: أن آيات الأنبياء على هذا القول لا تتميز بصفة تختص بها، وإنما تكون آية إن اقترنت بدعوى النبوة، وإلا فلا، وهذا باطل[5].

الثالث: أن هذا القول يلزمه منه أن تكون آية النبي هي صرف الناس عن المعارضة، سواء كان خارقا، أو ليس بخارق[6].

أما الكلام على ما أورده محمد بن جعفر الكتاني من المعجزات، وبسط القول فيها بإيراد أدلتها وكلام أهل العلم عليها، فهو مما يطول تسطيره، وقد أفرد أهل العلم كتبا كثيرة في دلائل النبوة وأوسعوها بحثا رواية ودراية، بما يغني عن الإطالة[7].

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني من أن الإسراء والمعراج كان بروحه وجسده يقظة لا مناما موافق لما في الكتاب والسنة، ولما أجمع عليه سلف الأمة[1]، حيث أجمعو على وقوع

---

(١) الفصل (٤/١٦٤).

(٢) هو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، ادعى النبوة، حتى عرف برحمان اليمامة، قتل في معركة اليمامة عام١٢هـ، ينظر: البداية والنهاية (٧/٢٥٦)، شذرات الذهب (١/٢٣)، الأعلام (٧/٢٦٦).

(٣) هو: عهيلة بن كعب بن عوف العنسي المذحجي، ذو الحمار، متنبئ مشعوذ، أسلم يوم أسلمت اليمن، ثم ارتد عن الإسلام وادعى النبوة، قتل عام١١هـ، ينظر: البداية والنهاية (٩/٤٢٥)، الأعلام (٥/١١١).

(٤) ينظر: النبوات (١/٢٤٢).

(٥) ينظر: النبوات (١/٢٢٩، ٦٠٣، ٦٠٥).

(٦) ينظر: النبوات (١/٢٤٢).

(٧) ينظر: دلائل النبوة للفريابي، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني، أعلام النبوة للماوردي، دلائل النبوة للبيهقي، وقد ذكر صلاح الدين المنجد في معجم ما ألّف عن رسول الله ما يزيد على سبعين مؤلفا في دلائل النبوة (ص٦٢-٦٥، ١٨٧-١٩٠).

حادثة الإسراء والمعراج لنبينا محمد -صلى الله عليه وسلم، وقد أنزل الله ﷻ بشأنها سورة تتلى إلى يوم القيامة وهي سورة الإسراء، قال الله ﷻ في فاتحتها: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①﴾ [سورة الإسراء:١]، يقول القرطبي رحمه الله: «ثبت الإسراء في جميع مصنفات الحديث، وروي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام، فهو من المتواتر بهذا الوجه، وذكر النقاش ممن رواه عشرين صحابياً»(٢).

فجماهير السلف على ما قرره محمد بن جعفر الكتاني بأن الإسراء كان رؤية عين، يقظة لا مناما(٣).

مع التنبيه على أن محمد بن جعفر الكتاني استدل بالمعجزات على ما يراه من كون النبي-صلى الله عليه وسلم-خليفة الله الأكبر في ربوبيته، حيث قال بعد ذكره لما يُرى بأنها أدلة عليها: "أحاديث كراماته ومعجزاته-صلى الله عليه وسلم- وما ظهر على يديه من خوارق عاداته، فإنها تعطي بمجموعها وجملتها أن بيديه في العالم العلوي والسفلي وجميع المملكة الربانية التصرف والتحكيم، والأمر والنهي، والرد لما شاء، أو التسليم من غير منازعة ولا معارضة، ولا مناقشة ولا مناقضة، وإن الكل تحت خدمته وطاعته، لا قدرة له على معصيته، أو مخالفته"(٤)، وهذا مناف للحكمة من المعجزات؛ لأن المعجزات فيها دلالة على نبوة الرسل وصدقهم-عليهم السلام- فيما جاؤوا به، وهي تقتضي إيمان من صدقهم، وهذا كما قال الكتاني نفسه: "الله تعالى أخبر عن صدقهم فيما أخبروا به إخبارًا مصدرا بالمعجزة"(٥)، فهذه هي الحكمة من المعجزات، لا أنها دالة على ربوبية الرسل وألوهيتهم كما قرر الكتاني، بل قد أمر الله رسوله-صلى الله عليه وسلم- بالبراءة من هذه الأمور، قال عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ

---

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٤٤٦/١٦)، مفاتيح الغيب (٢٩٢/٢)، تفسير القرآن العظيم (٥/٥)، فتح القدير (٢٨٦/٣)، تيسير الكريم الرحمن (٤٥٣).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٠٥/١٠).

(٣) ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (١١٣)، وذكر عدد كبير في أعلام السلف يقررون ما قرره محمد بن جعفر الكتاني.

(٤) جلاء القلوب (٦٧/٣)، وينظر المرجع نفسه (٨٣/٣).

(٥) حاشية على شرح ميارة (ل ٦٠/ب).

عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّى مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الأنعام:٥٠][١]، وقد عد السلف الصالح المعجزة دلالة على ربوبية الله عز وجل ووحدانيته، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" المعجزة تدل على الوحدانية والرسالة؛ وذلك لأن المعجزة – التي هي فعل خارق للعادة – تدل بنفسها على ثبوت الصانع، كسائر الحوادث بل هي أخص من ذلك؛ لأن الحوادث المعتادة ليست في الدلالة كالحوادث الغريبة؛ ولهذا يسبح الرب عندها ويمجد ويعظم ما لا يكون عند المعتاد، ويحصل في النفوس ذلة من ذكر عظمته ما لا يحصل للمعتاد؛ إذ هي آيات جديدة فتعطى حقها وتدل بظهورها على الرسول، وإذا تبين أنها تدعو إلى الإقرار بأنه رسول الله، فتتقرر بها الربوبية والرسالة"[٢].

ويقول ابن القيم-رحمه الله-رحمه الله: «وهذه الطريق من أقوى الطرق وأصحها وأدلها على الصانع، وصفاته، وأفعاله، وارتباط أدلة هذه الطريق بمدلولاتها أقوى من ارتباط الأدلة العقلية الصريحة بمدلولاتها، فإنها جمعت بين دلالة الحس والعقل، ودلالتها ضرورية بنفسها، ولهذا يسميها الله سبحانه آيات بيّنات، وليس في طرق الأدلة أوثق ولا أقوى منها»[٣]، فدلالة المعجزة من أقوى الطرق التي يستدل بها على وجود الله تعالى وتوحيده، ومحمد بن جعفر الكتاني قرر عكس ما قرره السلف الصالح برأيه أن المعجزات دليل على تصرف الأنبياء وملكهم للكون وربوبيتهم!

- ختم النبوة:

قرر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر أحاديث أنه-صلى الله عليه وسلم-خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده[٤].

---

(١) ينظر: النبوات (٧/١٥-١٦، ٤٦)، فتح الباري (٩/٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٧٩).

(٣) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة (٣/١١٩٧).

(٤) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٠٧)، إسعاف الراغب الشائق (٦٠)، اليمن والإسعاد (٩٠)، جلاء القلوب (١/٧٩).

وقال في قول النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((**وأنا العاقب**))(١):" عقب الأنبياء وآخرهم؛ لأن الله تعالى ختم به الأنبياء والرسل، وختم بمسجده مساجد الأنبياء، فلا نبي بعده ولا رسول، كما قال تعالى: ﴿ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [سورة الأحزاب:٤٠]"(٢).

وقد قال في "جلاء القلوب" بأن النبي–صلى الله عليه وسلم–: "ختم نبوة التشريع ورسالته، فلا يوجد بعده نبي مشرع أصلا"(٣)، فخص الختم بختم نبوة التشريع.

ويقول في الفرق بين النبي والولي: "فالصواب في الفرق بين النبي والولي وإن مكان كل منهما ينزل عليه جبريل أو غيره من الملائكة فيراه ببصره ويسمع خطابه بالأمر والنهي أو غيرهما على ما تحرر أن النبي–صلى الله عليه وسلم–ينزل عليه الملك بالنبوة وما يناسبها، ويتبعها من الأحوال والأقوال والشرائع، والولي لا يأتيه بنبوة ولا بما يناسبها، وإنما ينزل عليه بغير ذلك بما يناسب حال الولاية"(٤).

النقد:

مادة: ختم، لها عدة معان، منها: الطبع، والتغطية، آخر الشيء ونهايته.

وهذه المعاني هي المعاني الرئيسية لمادة ختم، يقول ابن فارس–رحمه الله–:" الخاء والتاء والميم أصل واحد، وهو بلوغ آخر الشيء يقال ختمت العمل، وختم القارئ السورة.

فأما الختم، وهو الطبع على الشيء، فذلك من الباب أيضا؛ لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره، في الإحراز، والخاتم مشتق منه؛ لأن به يختم، ...والنبي –صلى الله عليه وسلم– خاتم الأنبياء؛ لأنه آخرهم، وختام كل مشروب: آخره، قال الله تعالى: ﴿خِتَٰمُهُۥ

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المناقب، باب: ما جاء في أسماء رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، حديث رقم: (٣٣٣٩)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: في أسماءه–صلى الله عليه وسلم–، حديث رقم: (٢٣٥٤).

(٢) ختم الموطأ (ل ١١).

(٣) جلاء القلوب (٢/٢٧٤).

(٤) جلاء القلوب (٣/١٢٤).

مِسۡكٞۚ ﴾ **[سورة المطففين:٢٦]**. أي: إن آخر ما يجدونه منه عند شربهم إياه رائحة المسك"(١)، فذكر هذه المعاني الثلاثة للختم، وأكد عليها غيره (٢).

وهذه المعاني مع تعدد ألفاظها، وهي الختم، والطبع، وآخر الشيء ونهايته، تؤكد دلالة قول الله عز وجل: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠**﴾ [سورة الأحزاب:٤٠].

يقول ابن كثير-رحمه الله-:"فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث جماعة من الصحابة"(٣).

فالنبوة قد طبع عليها فلا تفتح، وهي قد انتهت وسدت بمحمد- صلى الله عليه وسلم-، وهو -صلى الله عليه وسلم- آخر الأنبياء وشرعه آخر الشرائع وعاقبتها.

والوحي هو لب النبوة وأساسها، وقد انقطع بوفاة النبي-صلى الله عليه وسلم- وبانقطاعه تنتهي النبوة، يقول ابن حزم -رحمه الله-:" الوحي قد انقطع مذ مات النبي -صلى الله عليه وسلم- برهان ذلك أن الوحي لا يكون إلا إلى نبي، وقد قال عز وجل: ﴿**مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ**﴾ [سورة الأحزاب:٤٠]"(٤).

فلما مات النبي -صلى الله عليه وسلم- انقطع الوحي بجميع مراتبه المذكورة في قوله عز وجل: ﴿**۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ**

---

(١) معجم مقاييس اللغة، مادة: ختم (٢/٢٤٥).

(٢) ينظر مادة: ختم: الصحاح (٥/١٩٠٨)، أساس البلاغة للزمخشري (١/٢٣١)، القاموس المحيط (١٠٩٩)، تاج العروس من جواهر القاموس (٣٢/٤١).

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٨).

(٤) المحلى بالأثار، لابن حزم (١/٤٦).

﴿إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٥١﴾ [سورة الشورى:٥١]، لأن الوحي لا يكون إلا إلى نبي، والنبي -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين لا نبي بعده[١].

يقول القاضي عياض-رحمه الله- ناقلا إجماع الأمة على عقيدة ختم النبوة:" أخبر- صلى الله عليه وسلم- أنه خاتم النبيين، لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل كافة للناس، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص "[٢].

وقد نقل الإجماع الإمام ابن حزم-رحمه الله- أيضا حيث يقول في كتابه مراتب الإجماع، في باب: من الإجماع فِي الاعتقادات يكفر من خَالفه بإجماع، قال:" وأنه لا نبي مع محمد -صلى الله عليه وسلم- ولا بعده أبدا "[٣].

وتقرير محمد بن جعفر الكتاني بأن أحاديث ختم النبوة من المتواتر حق، أما تخصيصه الختم بختم نبوة التشريع فقد نهج فيه منهج غلاة المتصوفة [٤]، كذا تقريره بأن الوحي يتنزل على الأولياء بما يناسب حالة الولاية، فهذا باطل، من عدة أوجه:

-أن دعوى استمرار نزول الوحي على الأئمة والأولياء، وتخصيص الختم بختم نبوة التشريع، دعوى مجردة من أدلة الكتاب والسنة، بل إن الأدلة تعارضها وتبطلها، وكل دعوى بهذه الصورة باطلة من أساسها ومرفوضة، فالوحي انقطع بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم، فعن أنس -رضي الله عنه- أنه قال: قال أبو بكر -رضي الله عنه-، بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لعمر: انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يزورها، فلما

---

(١) ينظر: الشريعة للآجري (٣/٨٥)، النبوات (٢/٧٢٠)، مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (١/٦٤).
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/٦١٠).
(٣) مراتب الإجماع في العبادات والاعتقادات والمعاملات (١٧٣).
(٤) ينظر: الفتوحات المكية (٢/٣)، فصوص الحكم (١/٦٢).

انتهينا إليها بكت، فقالا لها: ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله -صلى الله عليه وسلم-؟ فقالت: ما أبكي ألا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله -صلى الله عليه وسلم-، **ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء،** فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها (١).

-أن الله عز وجل قال: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [سورة المائدة:٣]، فأي فائدة وأي حاجة إلى نزول الوحي بعد النبي-صلى الله عليه وسلم-.

-أن مصطلح نبوة التشريع مصطلح مبتدع، لا مرجع له من كتاب الله تعالى، ولا سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-.

-أن تخصيص الختم بختم النبوة التشريعية تخصيص باطل؛ وذلك أن نفي النبوة أعم من نفي الرسالة، والذي يتلقى النبوة قد يؤمر بتبليغ ما أوحى إليه من تشريع أو غيره فيصبح نبيا رسولا، وقد لا يؤمر بذلك فيكون نبيا فقط، والنصوص الشرعية قد نفت كلا الحالتين وذلك بنفي الأعم وهو النبوة، وانتفاء النبوة يعني انقطاع الوحي (٢).

-أن الكتاني مع قوله باستمرار الوحي للأولياء دون التشريع شرّع بعض الأذكار والأدعية، فناقض ما قرره، وهذه حال كل من أعرض عن الكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" فكل من أعرض عن الطريقة السلفية الشرعية الإلهية، فإنه لا بد أن يضل ويتناقض، ويبقى في الجهل المركب أو البسيط"(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أم أيمن رضي الله عنها، حديث (٢٤٥٤).

(٢) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/١٥٨)، مصرع التصوف (١٧٣)، التصوف المنشأ والمصادر (١٨٦ وما بعدها)، للاستزادة ينظر: عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية للغامدي (١٦٢-١٦٧).

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥/٣٥٧).

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من استمرار تنزل الوحي على الأولياء، وكون الختم هو ختم نبوة التشريع، ومخالفته للكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة.

وقد بالغ محمد بن جعفر الكتاني في مدح النبي-صلى الله عليه وسلم- حتى قال: "وصفه-عليه السلام-بالأوصاف اللائقة ليس بتوقيفي، أي: لا يتوقف على ورود الشرع بوصفه بها بخصوصها، بل يجوز وصفه بكل ما هو من أوصاف الكمال، من غير إشعار بنقص، وإن لم يرد من الشرع وصف به"(١)، وسبق قوله: " وقد عدوا من سوء الأدب معه-صلى الله عليه وسلم-وفي حقه البحث فيما مال إلى تعظيمه-صلى الله عليه وسلم-وإكباره وإعزازه وبدره والمطالبة فيه بدليل خاص، فضلا عن عدم العمل فيه بالدليل الوارد، لوجود كلام خفيف في بعض رواته، بل كل ما فيه تعظيم له، وتشريف لجنابه وإعزاز لقدره الرفيع ومقامه، ولا مزاحمة فيه للربوبية من قائله، لا سيما إن جل، واعتقاد أن الله تعالى أمده وتفضل عليه بما هو أعظم مما لا يدخل تحت عقولنا، ولا يتمشى على قواعدنا وأصولنا، فاعرف ذلك، واقدر هذا النبي العظيم قدره، وكن من الكاملين، واحذر أن تكون من الجاهلين"(٢).

وقال: "كمالاته-صلى الله عليه وسلم-لا حصر لها ولا حد لها في الواقع ونفس الأمر مطلقا، وهو كذلك عند المحققين من أهل الله تعالى، خلافا لمن يقول من العلماء إنها محصورة متناهية، ومن اطلع على شيء من أحوال الحقيقة المحمدية وعلم تدرجها بانسلاخها عن العوارض الإمكانية في مدارج المعارف الأحدية دنيا وأخرى علم ذلك وتحققه، إذ ما من كمال حصل لها إلا وبعده كمال آخر وهكذا إلى ما لا نهاية له ابدا"(٣).

فعدّ بناء على ما قرره خصائص لم تثبت للنبي-صلى الله عليه وسلم-، ومنها:

- اختصاصه-صلى الله عليه وسلم- بأنه أول النبيين في الخلق والنبوة:

---

(١) جلاء القلوب (٣٤٢/١).

(٢) المرجع السابق (٢٥٢/٣-٢٥٣).

(٣) جلاء القلوب (١/ ٣٤٢)، وينظر المرجع نفسه (٥٤/٣).

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بان النبي-صلى الله عليه وسلم-أول النبيين في الخلق والنبوة، حيث يقول: " فكان -صلى الله عليه وسلم-أول مخلوق على الإطلاق، لم يتقدمه قلم ولا لوح، ولا ماء، ولا عرش، ولا غيرها بإطباق"(١)، وقال: "فتح به الأنبياء فكان أولهم خلقا ونورا"(٢).

وقرر بأن الله عز وجل كما يقول: "نبأه بالفعل وآدم بين الروح والجسد، والماء والطين"(٣)، وقال:" بمعنى أن الله خلق حقيقته التي هي أصل الحقائق، قبل تكوين شيء من الخلائق، ثم صورها على شكل خاص من نور، وخلع عليها خلع الكمال والفتوّة والنبوة والظهور، فكان -صلى الله عليه وسلم-نبيا أميا، وآدم -عليه السلام-لم يزل طينا، بل لم تكون طينته، ولم تخرج للوجود ماهيته ولا حقيقته، ولذا كان -صلى الله عليه وسلم-سيد الأكوان"(٤).

وقال كذلك: "وذكروا أنه-عليه السلام-عقدت له النبوة قبل خلق آدم-عليه السلام، بل قبل خلق الأرواح، وفي بعض العبارات أنه دعا الخليقة إلى الله تعالى في عالم الأنوار والحقائق، ثم في عالم الأرواح، ثم في عالم الذر، كما دعاهم أخيرا في خلقة جسده المكرم آخر الزمان، قالوا: والأنبياء الذين تقدموا هم نواب عنه بشرائعهم التي بعثوا بها، وهو نبي الكل، ورسول الرسل.

وهذه عقيدة أهل الله قاطبة، وعقيدة من نحا نحوهم من العلماء الراسخين، وكمل المؤمنين، ولا التفات إلى من اعترض هذا أو خالفه"(٥).

- **النقد:**

---

(١) اليمن والإسعاد (٨٧-٨٨)، وينظر: رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ١)، جلاء القلوب (٣٢/٣).

(٢) اليمن والإسعاد (٩٠)، وينظر: جلاء القلوب (٢٢٠/٢).

(٣) جلاء القلوب (٧/١)، ينظر: إسعاف الراغب الشائق (٥٩، ٦٠).

(٤) إسعاف الراغب الشائق (٥٩)، وينظر: جلاء القلوب (٣١٢/١).

(٥) جلاء القلوب (٣١/٣-٣٢)، وينظر المرجع نفسه (٨/١، ٥٠/٢، ٢٣٧/٣).

القول بأن نبينا محمدا-صلى الله عليه وسلم-أول الكائنات خلقا، وأنه متقدم على سائر الأنبياء بالنبوة، قرره غير واحد من المتصوفة، ونهج محمد بن جعفر الكتاني نهجهم في ذلك(١)، وهو باطل لوجوه:

-أن هذا خلاف النصوص الشرعية؛ فالنصوص الشرعية وإن اختلفت في تحديد أول ما خلق الله من الكائنات، إلا أنه لم يصح في شيء منها أن أول المخلوقات نبينا-صلى الله عليه وسلم-(٢).

-أن الأدلة العقلية والحسية والشرعية كلها تدل على أن نبينا-صلى الله عليه وسلم-آخر الأنبياء خلقا، وخاتمهم نبوة.

-قول الكتاني بأن الله نبأه وآدم بين الروح والجسد، أصله حديث فيه سؤال النبي-صلى الله عليه وسلم-متى كنت نبيا؟ فقال: ((**وآدم بين الروح والجسد**)) (٣).

وهذا الحديث لا يدل على ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من كون النبي-صلى الله عليه وسلم-أول النبيين في الخلق والنبوة، وإنما غاية ما يدل عليه أنه-صلى الله عليه وسلم-كُتب نبيا وآدم لم تنفخ فيه الروح، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"هؤلاء الضلال يتوهمون أن النبي-صلى الله عليه وسلم-كان حينئذ موجودا، وأن ذاته خلقت قبل الذوات، ...والمقصود هنا أن الله-عز وجل-كتبه نبيا بعد خلق آدم وقبل نفخ الروح فيه، وهو موافق لما أخرجاه في الصحيحين من حديث ابن مسعود، ((**إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك**...)) (٤)، إلى آخره، يبين فيه خلق

---

(١) ينظر: الفتوحات المكية (١٣٤/١)، الخصائص الكبرى للسيوطي (٧/١).

(٢) ينظر: العرش للذهبي (٣١٠)، شرح العقيدة الطحاوية (٣٤٥/٢)، تيسير العزيز الحميد (٦٠٣).

(٣) أخرجه الترمذي في السنن كتاب: المناقب، باب: فضل النبي-صلى الله عليه وسلم- (٥٨٥/٥)، رقم (٣٦٠٩)، والحاكم في المستدرك على الصحيحين (٦٦٥/٢)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، السنن (٥٨٥/٥).

(٤) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، رقم (٣٢٠٨)، ومسلم كتاب: القدر، باب: كيفية خلق الآدمي، رقم (٢٦٤٣).

الجنين، وتنقله من حال إلى حال، فناسب هذا أنه بين خلق آدم ونفخ الروح فيه تكتب أحواله، ومن أعظمها كتابة سيد ولده" (١).

-قول الكتاني بأنه-صلى الله عليه وسلم- كان نبيا بين الماء والطين، أصله من حديث ((**كنت نبيا وآدم بين الماء والطين**)) (٢)، وهذا لا أصل له، ولا هو في كتب العلم المعتمدة، وهو باطل؛ لأن آدم-عليه السلام-لم يكن بين الماء والطين، إذ الطين ما وتراب، فإن الله خلقه من تراب، وخلط التراب بالماء حتى صار طينا؛ وأيبس الطين حتى صار صلصالا كالفخار، فلم يكن له حال بين الماء والطين، مركب من الماء والطين، ولكن لما خلق الله جسد آدم قبل نفخ الروح فيه كتب نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقدرها (٣).

- أما قوله:" لم يتقدمه قلم ولا لوح، ولا ماء، ولا عرش، ولا غيرها بإطباق"(٤)، يقال فيه كما قال الشيخ النتيفي الجعفري: "هو في عهدة قائله، إذ ليس ذلك بصحيح عند أهل التحقيق فضلا عن إطباقهم عليه، بل لو حكي في عكسه لكانت الحكاية أحق"(٥).

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في أن النبي-صلى الله عليه وسلم- أول النبيين في الخلق والنبوة.

- اختصاصه-صلى الله عليه وسلم-بأنه خلق من نور:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن أول ما خلق الله النور المحمدي، حيث يقول:" أولية النور المحمدي حقيقية، وغيره إضافية نسبية"(٦).

---

(١) تلخيص كتاب الاستغاثة (١/٦٦-٦٧).

(٢) قال السخاوي:" لم نقف عليه بهذا اللفظ"، ينظر: المقاصد الحسنة (٥٢١)، وقال العجلوني:" وأما الذي يجري على الألسنة بلفظ "كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين"؛ فلم نقف عليه بهذا اللفظ"، ينظر: كشف الخفاء (٢/١٥٢)، وذكر الصنعاني بأنه من الموضوع، ينظر: الدر الملتقط في تبيين الغلط (٤٣)، وحكم بوضعه كذلك الألباني، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (١/٤٧٣).

(٣) ينظر: الاستغاثة في الرد على البكري (ص٩٩)، مجموع الفتاوى (٢/١٤٧، ٢٣٨).

(٤) اليمن والإسعاد (٨٧-٨٨)، وينظر: رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ١).

(٥) أصفى الموارد (١٦٣).

(٦) نظم المتناثر (١٧٢)، وينظر: جلاء القلوب (١/٨، ٣٠١، ٣١٢، ٣/٢٤٢-٢٤٣)

ويقول:" النور المحمدي الذي خلق قبل كل شيء ...لأن الله تعالى بدأ به الوجود، وافتتحه به قبل كل موجود، فكان أول صادر عن الله من الموجودات، وفاتح لهذا الكون من المخلوقات، وببركاته وجدت، ومنه استمدت.

ففي حديث جابر بن عبد الله –رضي الله عنهما–: سألت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن أول شيء خلقه الله تعالى؟ فقال: ((هو نور نبيك يا جابر، خلقه الله، ثم خلق منه كل خير، وخلق بعده كل شر، وحين خلقه أقامه قدامه في مقام القرب إثنى عشر ألف سنة)) الحديث، ولهذا يُسمَّى –صلى الله عليه وسلم– أيضًا بالأول؛ أي: بالنظر إلى سائر المخلوقات حقيقة، وأولية الماء أو العرش أو القلم أو اللوح أو غيرها إضافية نسبية لا حقيقية، والأولية الحقيقية له صلى الله عليه وسلم ليس إلَّا"(١).

وقال في تقرير هذا أيضا: " اقتضت حكمته الباهرة، وإرادته المخصصة القاهرة أن يخلق الأكوان، وأن يعرفهم بما هو عليه في ذاته من العظمة والكمال وعلو الشأن، فبدأ منها بخلق الحقيقة الأحمدية من أنواره الأحدية الصمدية"(٢).

– النقد:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من كون النبي–صلى الله عليه وسلم–خلق من نور، هو ما قرره جماعة من غلاة الصوفية(٣)، وهو قول باطل، من وجوه:

–أن ما قرره خلاف الكتاب والسنة؛ لأنه ينافي كون النبي–صلى الله عليه وسلم– من البشر؛ لأن البشر من تراب لا من طين، وقد قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ **[سورة الكهف:١١٠]**، وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ **[سورة الروم:٢٠]**، وقال–صلى الله عليه وسلم–: في مادة خلق البشر وغيرهم: ((**خلقت**

(١) رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ١)، ينظر: إسعاف الراغب الشائق (٥٥).

(٢) اليمن والإسعاد (٨٧–٨٨)، وينظر: إسعاف الراغب الشائق (٥٥، ٥٧)، جلاء القلوب (٢/٥٠، ٦٠، ٣/٢٤٢-٢٤٣)

(٣) ينظر: الفتوحات المكية (١/١١٩)، الإنسان الكامل للجيلي (١٨٢)، الابريز للدباغ (٤٣٠).

الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم)) [(١)]، وتخصيص النبي-صلى الله عليه وسلم- بأنه خلق من نور، يحتاج إلى مخصص، ولا مخصص[(٢)].

-أن ما قرره خلاف الحس والعقل، لأن الحس والواقع أنه خلق من أب وأم كسائر البشر، ونسبه معروف[(٣)].

- أن مقتضى حكمة الله تعالى أن يرسل إلى المنذرين من جنسهم، والقول بأنه خلق من نور ينافي هذا، قال ﷻ: قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا﴾ [سورة الإسراء:٩٤]، يقول ابن كثير -رحمه الله-: " قال تعالى منبها على لطفه ورحمته بعباده: إنه يبعث إليهم الرسول من جنسهم؛ ليفقهوا عنه ويفهموا منه، لتمكنهم من مخاطبته ومكالمته، ولو بعث إلى البشر رسولا من الملائكة لما استطاعوا مواجهته ولا الأخذ عنه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝١٦٤﴾ [سورة آل عمران:١٦٤] "[(٤)].

- أن القول بذلك يفضي إلى عقائد فاسدة أخرى قررها الكتاني، كاعتقاد أن النبي-صلى الله عليه وسلم- مخلوق من نور الله تعالى، وأن العالم كله خلق من نوره، وأنه أول المخلوقات، وأن خلقه متقدم على العرش والقلم[(٥)]،ومن ذلك قوله عن الله: "بدأ منها بخلق الحقيقة الأحمدية من أنواره الأحدية الصمدية"[(٦)]، وقوله: "اعلم أن أول شيء برز عن الذات العلية الإلهية بمحض التخصيص الأزلي والعناية الربانية نور سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم-الذي هو أصل كل نور"[(٧)].

---

(١) سبق تخريجه (٥٧٣).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/٩٤-٩٥)، فتاوى اللجنة الدائمة (١/٤٦٤)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١/٣٣٣).

(٣) ينظر: أصفى الموارد في الرد على غلو المطرين (١٦٢).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٥/١٢١).

(٥) ينظر: الفتوحات المكية (١/١١٩)، الإنسان الكامل للجيلي (١٨٢).

(٦) اليمن والإسعاد (٨٧-٨٨)، وينظر إسعاف الراغب الشائق (٥٥، ٥٧)، جلاء القلوب (٢/٤٤، ١٨٨).

(٧) جلاء القلوب (٣/٢٤٢-٢٤٣).

وقال:" وأولية الماء، أو العرش، أو القلم، أو اللوح، أو غيرها إضافية نسبية لا حقيقية، والأولية الحقيقية له -صلى الله عليه وسلم- ليس إلَّا"(١).

-أن ما استدل به محمد بن جعفر الكتاني لا يصح؛ فحديث جابر ((**هو نور نبيك يا جابر، خلقه الله، ثم خلق منه كل خير**...)) حديث باطل، لم يخرجه أحد من أئمة الحديث، ومن القواعد المقررة التي يعرف بها وضع الحديث: ألا يتداوله المحدثون في كتبهم(٢).

-أن هذا القول مأخوذ من بعض الفلسفات القديمة والنظريات الفاسدة(٣).

- قوله: " فبدأ منها بخلق الحقيقة الأحمدية من أنواره الأحدية الصمدية"،(٤) متناقض، كما يقول الشيخ النتيفي الجعفري في الرد عليه حيث قال: "فيه تناقض مع ما بعده؛ لأن الأنوار الأحدية الصمدية التي هي من تجلي الله لنفسه من صفات الله القديمة، والقديم لا يكون مخلوقا، وصفات الرب لا تنتقل للعبد"(٥).

وهو مخالف لما قرره نفسه حيث قال في تفسير: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ **[سورة الإخلاص:٣]**: "لم يتولَّد وجود شيء عن ذاته العليّة؛ بأن يكون بعضًا منها، أو ناشئًا عنها من غير قصد"(٦).

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في أن النبي-صلى الله عليه وسلم-خلق من نور.

- اختصاصه-صلى الله عليه وسلم- بأنه المقصود من الخلق، وأن الكون خلق من نوره-صلى الله عليه وسلم-:

---

(١) رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ١)، ينظر: إسعاف الراغب الشائق (٥٥).

(٢) ينظر: تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور محمد أحمد الشنقيطي (١٠)، النور المحمدي، بين هدي الكتاب المبين وغلو الغالين، عداب الحمش (٥٠)، أصفى الموارد في الرد على غلو المطرين (١٣٧).

(٣) ينظر: الجواب الصحيح (٣/٣٨٤)، مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية (١/٣٥٧)، خصائص المصطفى بين اللغو والجفاء (٩٦)، أصفى الموارد (١٦٢).

(٤) اليمن والإسعاد (٨٧-٨٨).

(٥) أصفى الموارد (١٦٢)، وينظر المرجع نفسه (ص٢٩٣).

(٦) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٣).

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- هو المقصود من الخلق، وأن الكل خلق من نوره، ومن تقريراته قوله:" وأصل الأرواح وأعظمها وأشرفها وأكرمها الروح الأعظم الأقدم الأوحد الكل، الذي منه تنسلت حقائق الموجودات، واستمدت جميع المخلوقات، وهو الحقيقة المحمدية المبعوثة إلى جميع الحقائق، والمطرقة لكل طريق من سائر الطرائق، وهو الذي انتشأت منه جميع الأرواح المدبرة للأشباح، وبعث إلى جميعها قبل ظهور الأشباح، وهو الروح المدبر للجسد الطاهر المكرم-صلى الله عليه وسلم- "(١).

ويقول: "كل موجود حدث وكان، لدخوله في حيطة الإمكان، في أي زمان وأي مكان، حتى نفس الزمان والمكان، هو منه-صلى الله عليه وسلم-وبه، وإليه انتسابه وبسببه، وكل كرامة ومنحة ونعمة وفضيلة، ومزية ورحمة في الوجود كله وبأجمعه، والعالم بتمامه سفله وأرفعه، كثرت أو قلّت، رقّت أو جلّت، صعدت أو نزلت، برزت أو خفيت، به كانت، وبوجوده وجدت، وبطلعته ظهرت، ومنه حصلت، وهو الواسطة في كل شيء، وبواسطته خُلق كل شيء، وهو-صلى الله عليه وسلم-المستمد من ربه تعالى بلا واسطة شيء، والممد بواسطته وبسببه كل شيء، فهو ممد أهل السموات والأرضين... هو السبب في وجودنا وإمدادنا وبقاء مهجتنا وأرواحنا وعافيتنا وسلامتنا"(٢).

ويقول:" فكانت الموجودات كلها وجميع ما يرد منه وبسببه، وكل الأرزاق الحسية والمعنوية من كفّه، ومحال بحكم المشيئة الإلهية أن يبرز شيء للوجود جوهرًا كان أو عرضًا، مما دق أو جل، خارجًا عن حقيقته"(٣)، ويشبهه قوله عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:"أصل الأكوان ومادتها وعنه نشأت وإليه انتسبت، وبه اتصلت"(٤)، وقوله عن النبي-صلى الله عليه

(١) جلاء القلوب (٤٣/٢)، وينظر المرجع السابق (٧/١، ٨، ٣٠١، ٤٥/٢، ١٨٣، ٢٤٣/٣).

(٢) اليمن والإسعاد (٨٩)، وينظر إسعاف الراغب الشائق (٥٧)، الكشف والبيان (ص١٥٠)، جلاء القلوب (١٣١/٢، ١٦٤، ٢٤٧/٣).

(٣) رسالة في البسملة على طريق الإشارة للجناب النبوي (ل ٢)، وينظر المرجع نفسه (ل ١)، جلاء القلوب (٢٤٩/٣).

(٤) جلاء القلوب (١٨٩/٢).

وسلم-:"أصل الموجودات، وعنصر جميع المخلوقات، وأساسا ستند إليه كل حي، ونورا خلق من نوره كل شيء"(١).

- **النقد:**

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من كون النبي-صلى الله عليه وسلم- هو المقصود من الخلق، وأن الكون خلق من نوره، أو بأنه الممد للخلق، هو ما قرره غلاة المتصوفة(٢)، وهو قول باطل، لوجوه:

-أن هذا القول مخالف للكتاب والسنة، ولما أجمع عليه سلف الأمة، فكل هذا دل على أن المقصود من الخلق هو عبادة الله وحدة لا شريك له، قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، قال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧﴾ [سورة الكهف:٧]، والله سبحانه وتعالى وحده الممد للمخلوقات، المتفرد بالربوبية، المتصرف فيها كيف يشاء-سبحانه-، قال عز وجل: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩﴾ [سورة الشورى:٤٩]، وهو سبحانه السبب في بقاء أرواحنا، فهي باقية لإبقاء الله تعالى لها، لا بسبب النبي-صلى الله عليه وسلم- (٣).

-أن القول بذلك ينافي بشرية النبي-صلى الله عليه وسلم-، وأنه بشر من البشر، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، قال عز وجل: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [سورة الكهف:١١٠]، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾ [سورة الأعراف:١٨٨].

وقال-صلى الله عليه وسلم: ((**يا معشر قريش - أو كلمة نحوها - اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئا، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد**

---

(١) إسعاف الراغب الشائق (٥٦).

(٢) ينظر: الابريز للدباغ (٤٣٠)، حجة الله على العالمين للنبهاني (١٤، ٥٢).

(٣) ينظر: أصفى الموارد في الرد على غلو المطرين (١٦٨، ١٧٦)، ولما سبق تقريره في الألوهية.

المطلب لا أغني عنك من الله شيئا، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئا)) (١).

-أن هذا القول ليس عليه دليل يعتمد عليه، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" ما يذكرون أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان كوكبا أو أن العالم كله خلق منه، أو أنه كان موجودا قبل أن يخلق أبواه، أو أنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل؛ وأمثال هذه الأمور، فكل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته، والأنبياء كلهم لم يخلقوا من النبي -صلى الله عليه وسلم- بل خلق كل واحد من أبويه، ونفخ الله فيه الروح، ولا كان كلما يعلم الله لرسله وأنبيائه بوحيه يأخذونه بواسطة سوى جبريل، بل تارة يكلمهم الله وحيا يوحيه إليهم، وتارة يكلمهم من وراء حجاب كما كلم موسى بن عمران، وتارة يبعث ملكا فيوحي بإذنه ما يشاء، ومن الأنبياء من يكون على شريعة غيره، كما كان أنبياء بني إسرائيل على شريعة التوراة، وأما كونهم كلهم يأخذون من واحد، فهذا يقوله ونحوه أهل الإلحاد من أهل الوحدة والاتحاد كابن عربي صاحب "الفتوحات المكية"، و"الفصوص"، وأمثالهما"(٢)، وقد تبعه على ذلك محمد بن جعفر الكتاني ونقل عنه.

-أن هذا القول مأخوذ من بعض الفسفات والعقائد الفاسدة(٣).

وقد نقد عليه الشيخ النتيفي-رحمه الله- في قوله: "المستمد من ربه تعالى بلا واسطة شيء، والممد بواسطته وبسببه كل شيء، فهو ممد أهل السماوات والأرضين... هو السبب في وجودنا وإمدادنا وبقاء مهجتنا وأرواحنا وعافيتنا وسلامتنا "(٤)، ومما قاله:

"يقال عليه: كان عليه أن يبين هذا المدد الذي لا يستمده رسول الله إلا من ربه بغير واسطة، ولفظه يقتضي العموم، وأنت إذا نظرت إلى المعقول والمنقول والقياس حكمت بأن

---

(١) رواه البخاري، كتابك التفسير، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين، رقم (٤٧٧١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) مجموع الفتاوى (١٨/٣٦٧-٣٦٨).

(٣) ينظر: الجواب الصحيح (٣/٣٨٤).

(٤) اليمن والإسعاد (٨٩).

رسول الله لا يستمد من ربه بلا واسطة إلا الوحي بالمشافهة من وراء حجاب كغيره، أو الإلهام، أو ما ليس في علمنا مما يعلمه الله كائنا بتلك الصفة، ...

قوله: والممد بواسطته وبسببه كل شيء...الخ، يقال عليه: لا برهان لكم معقول أو منقول يثبت هذه الدعوى، المعقول والمنقول والحس والقياس كلها تدل على أن ممد الأشياء هو إلهها، ...

قوله: فهو ممد أهل السموات والأرضين: يقال عليه: معاذ الله أن يرضى الله ولا رسوله بهذه النسبة وإن جعلتموها قربى منكم على الله ورسوله، إذ لا برهان على هذا من الله ولا رسوله غير بعض الكلمات اللائح عليها ظلام الوضع، المنافية للكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولو كان يمد هذا كله لكان القيّم في خزائن الله، وكيف يكون وهو الذي أخبر عنه القرآن بأن الله أمره أن يقول: ﴿وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ﴾ [سورة هود:٣١]، الآية، و﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا ۝٩٠ أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا ۝٩١ أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ۝٩٢ أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا ۝٩٣﴾ [سورة الإسراء:٩٠-٩٣]، ولا أخبرنا الله ورسوله بأنه كان يمد العالم قبل وجوده"(١).

وقال: "قوله: وبقاء مهجتنا وأرواحنا وعافيتنا...الخ يقال عليه: ذلك لإبقاء الله لها، حيث أجّلها إلى أجل غير معلوم كغيرها من جميع الكائنات التي كتب عليها الموت، والارتحال إلى غير هذا العالم أو الفناء بالكلية، وبكونه كتب عليها ألا تفنى، ولا تموت حتى تقضى المآرب والحاجات وتنتهي منها، لا لكون بعض النبيين-عليهم السلام-أو الفضلاء معهم أو رحلوا قبلهم"(٢)

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في كون النبي-صلى الله عليه وسلم- هو المقصود الخلق والممد لهم.

---

(١) أصفى الموارد (١٧٦-١٧٧).

(٢) المرجع السابق (١٨١).

- اختصاصه-صلى الله عليه وسلم-بإحياء أبويه وإيمانهما به:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني في "نظم المتناثر" بأن من المتواتر تواترا معنويا: "أن جميع آبائه -عليه السلام- وأمهاته كانوا على التوحيد، لم يدخلهم كفر ولا عيب ولا رجس، ولا شيء مما كان عليه أهل الجاهلية"(١).

وقال: "ثم إن الله منّا عليه وإنعاما، زاده فضلا وإكراما، فأحيى له أبويه الشريفين حتى آمنا به، ليكونا من أمته المخصوصة به ومن أحزابه، خصوصية لهما، ومعجزة له-صلى الله عليه وسلم-، وشرّف وكرّم وعظّن، وهذا شيء متأكد بل متعين في الاعتقاد، لتوجه أنفاس أكثر الأئمة إليه بالاعتماد، والطرق به وإن كانت ضعافا، فالضعيف يعمل به في الفضائل والمناقب وفاقا لا خلافا، وقد تأيّد أيضا بالكشف الصحيح الصادر من أهل القلوب الطاهرة والعلم الفسيح، والقائل بأن أبويه -عليه السلام-، أو أحدا من آبائه في النار، عليه من الله ما يستحقه من الطرد عن منازل الصديقين والأبرار، أو هو مخطئ في نظره واجتهاده، ناقص الفكر في مرامه"(٢).

وقال:" ومما ينبغي القول به جزما، بل يتعين على كل مسلم اعتقاده حتما: أن الله تعالى طهّر جميع آبائه وأمهاته إلى آدم وحواء من الشرك وسائر العلل الباطنة والأدواء، فلم يكن فيهم إلا مؤمن كامل الإيمان؛ لحملهم لنوره الذي به يكمل الإيقان"(٣).

- النقد:

القول بحياة أبوي النبي-صلى الله عليه وسلم-وإيمانهما به بعد وفاتهما قرره غير واحد من المتصوفة(٤)، وهو قول باطل، لوجوه:

-أن هذا القول مخالف للكتاب والسنة والإجماع(١)، ، فقد قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ

---

(١) نظم المتناثر (١٩٠).

(٢) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٢)، وينظر: إسعاف الراغب الشائق (٦٢، ٦٤).

(٣) إسعاف الراغب الشائق (٦٤).

(٤) ينظر: الدرر المنيفة في الآباء الشريفة، للسيوطي (١٣) الحاوي للفتاوى له (٢٧٨/٢)، روح المعاني للألوسي (٣٦٩/١).

أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ **[سورة النساء:١٨]**، وأبوي النبي-صلى الله عليه وسلم- ماتا على الكفر، وقد قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ **[سورة التوبة:١١٣]**، يقول الشيخ ابن سعدي-رحمه الله- في هذه الآية:" ما يليق ولا يحسن للنبي وللمؤمنين به ﴿ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: لمن كفر به، وعبد معه غيره ﴿ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ فإن الاستغفار لهم في هذه الحال غلط غير مفيد، فلا يليق بالنبي والمؤمنين، لأنهم إذا ماتوا على الشرك، أو علم أنهم يموتون عليه، فقد حقت عليهم كلمة العذاب، ووجب عليهم الخلود في النار، ولم تنفع فيهم شفاعة الشافعين، ولا استغفار المستغفرين.

وأيضا فإن النبي-صلى الله عليه وسلم- والذين آمنوا معه، عليهم أن يوافقوا ربهم في رضاه وغضبه، ويوالوا من والاه الله، ويعادوا من عاداه الله، والاستغفار منهم لمن تبين أنه من أصحاب النار مناف لذلك، مناقض له، ولئن وجد الاستغفار من خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام لأبيه فإنه ﴿ عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ ﴾ [سورة التوبة:١١٤]، في قوله قال تعالى: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [سورة مريم:٤٧]، وذلك قبل أن يعلم عاقبة أبيه، فلما تبين لإبراهيم أن أباه عدو لله، سيموت على الكفر، ولم ينفع فيه الوعظ والتذكير ﴿ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴾ [سورة التوبة:١١٤]، موافقة لربه وتأدبا معه"(٢).

فقد نهى الله تعالى نبيه -صلى الله عليه وسلم- والمؤمنين، عن الاستغفار للمشركين، ونهى إبراهيم-عليه السلام-عن الاستغفار لأبيه، فترك الاستغفار له وتبرأ منه امتثالا لأمر ربه.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٢٤/٤)، رسالة في حق أبوي النبي-صلى الله عليه وسلم- لإبراهيم الحلبي (ص٢٥)، أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في حق أبوي الرسول، للقاري (٦٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (٣٥٣).

وأبوي النبي-صلى الله عليه وسلم-ماتا على الكفر، وقد جاء أن رجلا قال: يا رسول الله، أين أبي؟ قال: ((**في النار**))، فلما قفى دعاه، فقال: ((**إن أبي وأباك في النار**)) (١).

وقال-صلى الله عليه وسلم-: ((**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لي**)) (٢)، وذلك لأنها ماتت على الكفر.

فالقول بأن الله أحيا له أبويه حتى آمنا به مخالف للكتاب والسنة، ومخالف للإجماع؛ فقد اتفق السلف والخلف من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة على ذلك، "من غير إظهار خلاف لما هنالك، والخلاف من اللاحق لا يقدح في الإجماع السابق"(٣).

- أن الأحاديث التي تدل على إحياء أبويه-صلى الله عليه وسلم- حتى آمنا به، لا تصح، وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-: هل صح عن النبي-صلى الله عليه وسلم-أن الله تعالى أحيى له أبويه حتى أسلما على يديه، ثم ماتا بعد ذلك؟ فأجاب بقوله:" لم يصح ذلك عن أحد من أهل الحديث؛ بل أهل المعرفة متفقون على أن ذلك كذب مختلق وإن كان قد روى ... بإسناد فيه مجاهيل، ...فلا نزاع بين أهل المعرفة أنه من أظهر الموضوعات كذبا كما نص عليه أهل العلم، وليس ذلك في الكتب المعتمدة في الحديث؛ لا في الصحيح ولا في السنن ولا في المسانيد ونحو ذلك من كتب الحديث المعروفة، ولا ذكره أهل كتب المغازي والتفسير وإن كانوا قد يروون الضعيف مع الصحيح، لأن ظهور كذب ذلك لا يخفى على متدين "(٤).

ومحمد بن جعفر الكتاني أقر بضعف الأحاديث في هذه المسألة، ثم ذكر بأن هذه المسألة في الفضائل فلا بأس من الاحتجاج بالضعيف فيها، والحقيقة أن الحديث لا يحتج به في

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن من مات على الكفر فهو في النار، رقم (٢٠٣)، من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الجنائز، باب: باب استئذان النبي صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل في زيارة قبر أمه، رقم (٩٧٦)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في حق أبوي الرسول (١١٨)، وينظر: رسالة في حق أبوي الرسول (٢٧).

(٤) ينظر: الموضوعات لابن الجوزي (٢٨٣/١)، اللآلئ المصنوعة (٢٦٦/١)، مجموع الفتاوى (٣٢٤/٤)، تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لابن عراق (٣٣٢/١)، كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني (٧١/١).

الفضائل إلا بشروط قد قررها الكتاني نفسه-وسبق بيانها- وقد ذكر منها: ألا يكون الضعف شديدا، والأحاديث في هذه المسألة كما قرر أهل العلم من الموضوعات التي لا يحتج بها(١).

كما أن تقرير هذه المسألة يترتب عليها أحكام عقائدية، كالاستغفار للكفار، وقد نهينا عن الاستغفار لهم.

- مما يدل على بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في هذه المسألة أنه أقر بأن الأحاديث في هذا ضعيفة، ثم استدل بالكشف فقال:" وقد تأيّد أيضا بالكشف الصحيح الصادر من أهل القلوب الطاهرة والعلم الفسيح، والقائل بأن أبويه -عليه السلام-، أو أحدا من آبائه في النار، عليه من الله ما يستحقه من الطرد عن منازل الصديقين والأبرار، أو هو مخطئ في نظره واجتهاده، ناقص الفكر في مرامه"(٢)، وهذا كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية عن المتصوفة:" وعامة هؤلاء إذا خوطبوا ببيان فساد قولهم قالوا من جنس قول النصارى: هذا أمر فوق العقل! ويقول بعضهم: ... يثبت عندنا في الكشف، ما يناقض صريح العقل"(٣).

والحقيقة أن الكشف الصحيح لا يخالف البراهين القاطعة، كالقرآن الكريم، والسنة النبوية، ولو صح هذا الكشف لما خفي على أهله عدم صحة تلك الأخبار، مما يدل على بطلانه.

- أن القول بإحياء أبوي النبي-صلى الله عليه وسلم- جرّ بعض القائلين به، ومنهم محمد بن جعفر الكتاني إلى القول بنجاة كل أصول النبي-صلى الله عليه وسلم-من النار، وهذا قول باطل مردود؛ لأنه لا دليل عليه، كما يلزم منه أن تكون قبيلة قريش كلهم مؤمنين؛ لحديث: **((إن الله اصطفى بني كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من كنانة))** (٤)، وهذا لم يقل به أحد من المسلمين(٥).

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٢٤/٤).

(٢) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٢).

(٣) الجواب الصحيح (١٨٦/٣-١٨٧).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضل نسب النبي-صلى الله عليه وسلم-، حديث رقم (٢٢٧٦) من حديث واثلة بن الأسقع به.

(٥) ينظر: اليمن والإسعاد (٨٩).

- مما يدل على بطلان هذا كما قرر أهل العلم أنه لو صح، لأخبر به النبي-صلى الله عليه وسلم-أصحابه واشتهر؛ لأنه من أعظم الأمور خرقا للعادة (1).

وبهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في القول بإحياء أبوي النبي-صلى الله عليه وسلم- حتى آمنا به.

- اختصاصه-صلى الله عليه وسلم-بعلم الغيب:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر في خصائص النبي- صلى الله عليه وسلم- اطلاعه على المغيبات وإنبائه عنها، ومعرفته-صلى الله عليه وسلم-بالأمور الكونية الدينية والدنيوية وأحوالها تفصيلا(2)، وقال: "وقد ذكر أرباب القلوب أن علمه-صلى الله عليه وسلم- اتسع اتساعا عظيما خارقا للعادات، خارجا عن دائرة العقول القاصرة والكمالات، وأن الله تعالى أطلعه على كل ذرة من ذرات العالم الكوني، وعلى حقيقتها وما هي عليه في نفسها، وعلى أسمائها ومفهوماتها وما يجري عليها من ابتداء خلقها إلى انتهائه، وعلى جميع لغات الحيوانات كلها، والجمادات بأسرها، والمخلوقات بأجمعها أصولها وفروعها"(3).

قرر محمد بن جعفر الكتاني هذه المسألة بكتابه: "جلاء القلوب من الأصداء الغينية، ببيان إحاطته-عليه السلام- بالعلوم الكونية" وذكر ما قيل فيها، ومما قاله تحت عنوان: في بيان إحاطة الذات المحمدية بالعلوم الجديدة الكونية، وبيان أن لها من علوم الذات والصفات ما ليس عند غيرها من جميع المخلوقات: " وقع نزاع عظيم وخبط شديد وهيم بين المتأخرين من المشارقة والمغاربة في أن علمه -عليه السلام-:

كان محيطا بالأشياء كلها إلا الخمس والروح، وما هو في معناهما.

أو غير محيط بها، والإحاطة بالأشياء جميعها إنما هي لله تعالى وحده.

---

(1) ينظر مجموع الفتاوى (٤/٣٢٤)، أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في حق أبوي الرسول (٩٠)، رسالة في حق أبوي الرسول (٢٩).

(2) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٠٤-٢٠٦)، جلاء القلوب (١/٩٥ وما بعدها، ٢/١٣٩).

(3) جلاء القلوب (١/٩٥)، وينظر: المرجع نفسه (١/٢٣٢)، لمطالب العزيزة الوفية (ل ١١).

أو محيطا بها، ولكن لا كإحاطة علم الله، بل إحاطة ما لا تخلو عن شيء مخصوص منها، استأثر الله به.

أو متوقف فيه، فلا يقال في إنه محيط ولا غير محيط؛ لتعارض الأدلة، وعدم وجود قاطع، أقوال أربعة"(١).

ثم ذكر من أفتى بالقول الأول وهو الإحاطة، وأنه لا ملام على قولهم؛ لأنهم أرادوا بالإحاطة الإحاطة الجزئية، وهي إحاطته-صلى الله عليه وسلم-بعلوم الكائنات خاصة، أما من فهم بأن مرادهم إحاطته-صلى الله عليه وسلم- الإحاطة المطلقة، أو إحاطته بعلوم الذات العلية فهو بعيد(٢)، وقال:" القول الفصل أنه-صلى الله عليه وسلم- أوتي علم كل شيء قبل أن يفارق الدنيا"(٣).

وذكر من أفتى بالقول الثاني وهو عدم الإحاطة، وأنهم قالوا: إن الإحاطة بالأشياء كلها إنما هي لله، والقائل بالإحاطة لغيره إن كان يعتقد ويرى مساواة علم غيره تعالى لعلمه فهو كافر، وردّ هذا القول، وعلل رده له بقوله: "وهؤلاء جماعة من الأولياء الكبار أخبروا عن أنفسهم بأنهم يعلمون ما كان ويكون بإعلام الله، أفيقدر أحد على أن يسميهم بشيء فضلا عن أن يكفرهم؟ إلا إن كان كافرا والعياذ بالله ممكورا به، ممن سبقت له من الله الشقاوة الكبرى والخزي الدائم"(٤).

وقال أيضا:" وأجاب بعضهم عنه بأنه لا يدعي مشاركته لربه تعالى في علمه الحقيقة الذاتي، حاشا وكلا، ولا مساواة علمه لعلمه في الحقيقة والذات، ولا يلزم من علمه جميع علمه على ما قاله الشيخ[يعني: ابن عربي] أو غيره، ذلك لأن علمه تعالى واجب، وهو صفة من صفاته الأزلية الأبدية القائمة بذاته العلية المنزهة عن التغير والنقص والزيادة والمشاركة والانقسام والمحو والإثبات وغيرها من سمات الحوادث ليس بضروري ولا كسبي ولا دفعي ولا تدريجي، ولا

---

(١) جلاء القلوب (١/١٠٨)، وينظر المرجع نفسه (١/٢٢٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق (١/١٠٨-١١٠، ٢٢٥-٢٢٦، ٢/٩٤).

(٣) جلاء القلوب (١/١١٠).

(٤) المرجع السابق (١/١١٢).

مستمد من شيء، بل من ذاته العلية، بخلاف علمه-صلى الله عليه وسلم-فإنه جائز، وليس بواجب، حادث لم يكن ثم كان، ... وهو مستمد من علم الله تعالى لا من ذاته؛ لأنه بإعلام الله تعالى واطلاعه: وقد قال: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [سورة الجن:٢٧]، وهذا رسول، بل من أعظم الرسل، وأفضلهم، فلا بعد أن يطلعه الله تعالى على جميع معلوماته، ولا محذور في ذلك عقلا، فإن الاختلاف المذكور قاطع بأن الحقيقة غير الحقيقة، وبأنه لا مشاركة بينهما في الذات أصلا، بل بينهما غاية التباين"(١).

وقال: "وقد ذاكرني بعض الأصحاب في أنه يلزم أن يساوي علمه-صلى الله عليه وسلم- علم الله تعالى إذا قلنا إنه يعلم كل شيء، فأجبته بأنه لا يلزم شيء من ذلك؛ لأن ذلك لله تعالى بالأصالة، وله-صلى الله عليه وسلم-بالتبعية، وكذا من علم شيئا وأحاط به فإنه بإعلام الله تعالى وتحويطه، فأعجبه هذا الجواب"(٢).

ونقل عن البوصيري، وقال: "وإلى مثل ذلك أشار البوصيري:

إن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علوم اللوح والقلم

"(٣).

وأجاب عمن يقول بأنه يلزم تساوي علم النبي بعلم الله، بقوله:" يقال: إن الله تعالى تجلى عليه بذاته، وأفناه عنه وعن فنائه وجميع صفاته، حتى اضمحلت رسومه، وذهبت آثاره، وعلومه، وغرق في أنوار ذات الحق، فصار عند ذلك مظهرا له تعالى علما بمعلوماته، وإنما العالم بذلك هو سبحانه لا غيره"(٤).

وذكر بأن التكفير في هذه المسألة يبعُد؛ لأنه كما قال:" لا سيما في حق من أجمل في الكلام ولم يصرح بما يفيد العموم الحقيقي والمساواة لعلم الله تعالى، وعلى فرض التصريح فإنما يظهر لو ادعى أن ذلك حاصل له-صلى الله عليه وسلم-من ذاته وبطريق الاستقلال، أو

---

(١) جلاء القلوب (١٢٣/١)، وينظر: (١٤٩/١).

(٢) المرجع السابق (١٢٥/١)، ينظر المرجع نفسه (١٤١/١).

(٣) جلاء القلوب (١٢٤/١)، البردة للبوصيري، (ص١٥).

(٤) جلاء القلوب (١٢٧/١).

ادعى قدم علمه-صلى الله عليه وسلم-أو حدوث علم الله تعالى، أو تماثلهما في الحقيقة والذات، وهذا لا يدعيه أحد ممن ذكر، ولا يتفوه به، بل ينكره أشد الإنكار، ويكفر القائل به إذا عرض عليه، فإن قيل: بعض هذا لازم من قولهم، قلنا: لا نسلم اللزوم، ...ولازم القول لا يعد قولا إلا إذا كان اللزوم بينا، وهو هنا غير بين، وحينئذ فلا يكفر في هذه المسألة بالنسبة لما ذكر أصلا"(١).

وذكر أن ممن أفتى بالقول الثالث وهو أن علمه-صلى الله عليه وسلم-محيط بالأشياء، ولكن لا كإحاطة علم الله، ابن عربي في فتوحاته، واستحسن قوله(٢).

ثم ذكر القول الرابع وهو التوقف عند من تعارضت عندهم الأدلة، وقال بعد ذكر الأقوال: "فهذه أقوال أربعة، وهي ما وقفنا عليه لساداتنا العلماء رضوان الله عليهم في هذه المسألة، والأخير منها وهو الوقف أحوط وأورع وأسلم، والثالث بالتوسط أحسن وأبين وأقوم، والثاني بعدم الإحاطة لأحد إلا لله تعالى أجرى على ظواهر أكثر النصوص الشرعية وأوفق، بقاعدة سد الذرائع المرعية، والرابع بالإحاطة محتمل لوجوه:

أحدهما: أن يريد قائله الإحاطة الحقيقية الكلية في كل شيء حتى في الذوات العلية، وهذا هو محط التهويل والإنكار، ومحل اختلاف الأذهان والأفكار.

الثاني: أن يريد به الإحاطة المجازية الإجمالية دون الحقيقية التفصيلية، وهذا يرجع للقول الثالث.

الثالث: أن يريد به الإحاطة الإضافية باعتبار نوع أو جنس من الأجناس الكونية، إلا أنه لم يقع منه له بيان...

وبقي في المسألة قول خامس لم يذكره أهل الظاهر، وذكره جماعة من الأفراد الأكابر، وهو أن علمه-صلى الله عليه وسلم-محيط بجميع المكنونات، وسائر ما أوجده الله من الذوات، فالذوات من الأزل إلى الأبد عرشا وفرشا، وما فوقهما، وما تحتهما وما بينهما لا يشذ عن علمه شيء من ذلك، ولا ما يعرض له من ابتدائه إلى انتهائه، وأما الذات العلية أوصافها،

---

(١) جلاء القلوب (١٢٧/١)، وينظر المرجع نفسه (١١٥/١، ١٤٩-١٥٠).

(٢) ينظر: جلاء القلوب (١٢٨/١-١٢٩).

وأسماؤها فما حصل له من العلم بها لم يحصل لبشر ولا مخلوق سواه، ولم يشم أكابر الأنبياء والرسل والمقربون من الملائكة رائحته، فضلا عمن دونهم.

وأما معرفة كنهها، أو الإحاطة بها، أو بشيء مما لها فليست لأحد أصلا، ولا مطمع لمخلوق فيها بوجه من الوجوه، ولا اعتبار من الاعتبارات، لا في الدنيا ولا في الآخرة، ومستندهم في هذا الكشف والبصيرة وما أمدهم الله به من الفراسة وصدق السريرة، مع ما يؤيد ذلك من الأحاديث والأخبار، ويؤكده من الإشارات الجليلة المقدار.

وقد خرج أنها أقاويل خمسة، وأن الثلاثة المتوسطة منها مقبولة عند العلماء، والأول مردود عند أكثر العارفين والفقهاء، والأخير هو المعول عليه عند كثير من أهل الله" (١).

وقال عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:" تجلى له جميع ما في الكون حتى رآه وعلمه علما تفصيليا، ولا مانع من ذلك لا عقلي ولا شرعي، وربنا قدير على كل شيء ونبيه أهل لكل خير-صلى الله عليه وسلم-"(٢).

وقال بعد تقريره لمسألة إحاطة علم النبي-صلى الله عليه وسلم-بأمور الدنيا والآخرة عن الصوفية في مسائل الخلاف: "ومن قواعدهم في مسائل الاشتباه والنزاع والخلاف الرجوع إلى ما يقوله الصوفية والصالحون لما لهم من النورانية والإنصاف"(٣)، إلى أن قال:" وكلام الصوفية في هذه المسألة قد عُلم وقُرر، وبأبسط بيان ذُكر وحُرر، والنصوص الشرعية لا تأباه بل تعضده وتؤيد فحواه، فإليه المصير وعليه التعويل"(٤).

وقد قرر أيضا في" المطالب العزيزة الوفية في تكلمه-صلى الله عليه وسلم-بغير اللغة العربية" بأن النبي-صلى الله عليه وسلم-كما يقول: "كان عالما بجميع اللغات والألسن، بل وبمنطق جميع الحيوانات والجمادات والنباتات"!!(٥) لكنه إما أنه لم يكن مأمورا بإظهارها، وإما

---

(١) جلاء القلوب (١/١٣١-١٣٢)، وينظر المرجع نفسه (١/٣٠٠).

(٢) المرجع السابق (١/٢٨٢).

(٣) جلاء القلوب (٢/١٤١).

(٤) المرجع السابق (٢/١٤٤).

(٥) المطالب العزيزة الوفية (ل ١١)، وينظر: جلاء القلوب (١/٩٥، ٢٣٢).

أنه أراد أن يبين أن الكلام بالعربية هو السنة، أو خاف أن ينسب إلى العجمة ونحوها، مع تقريره بأن لم يثبت في خبر صحيح أنه تكلم بغير العربية، عدا ألفاظ يسيرة (١).

واستدل على كون النبي-صلى الله عليه وسلم-كان عارفا بجميع اللغات بقوله: "وإذا كان الولي الكامل من هذه الأمة يقدر على التكلم بجميع اللغات ويحسنها أكثر من إحسان أهلها لها، ويحفظ الكتب المنزلة كلها حفظ الفاتحة، ويعرف مع هذا منطق سائر الحيوانات والجمادات والنباتات، كما ذكره غير واحد من الأئمة، فكيف بمرتبة النبوءة التي لو بلغ الولي ما عسى أن يبلغ لا يصل إلى أولى درجة من درجاتها، وعلم الولي من حيث هو في جانب علم النبي كنقطة من بحر، أو كحلقة ملقاة في فلات من الأرض، إلا أنهم -عليهم الصلاة والسلام- لم يؤمروا بإظهار جميع ما عندهم من العلم، بل غالب علومهم لا يطيق حملها بشر سواهم، ولذا ما أبانوا لغالب البشر إلا عن أمر الدين والشرائع التي لا انفكاك لهم عنها، فافهم واقدر قدر النبوءة، وإياك أن يغرك كلام من لا يعرف لمنصب النبوءة حقه، والله أعلم"(٢).

ولما لم يجد نصا صريحا صحيحا على ما قرره قال آمرا:" تطلَّب النص في هذا وفي غيره مما ذكرت أني لم أقف عليه تجِدهُ، وإن وجدته فسطّره في الحاشية، وأقبل عذر المعتذر، فإنه قد اجتمع في هذا المتكلم أمران، كلاهما يقتضي غاية القصور والعجز:

الأول: قلة العلم الغاية، وغلبة الجهل النهاية، ومن قل علمه وغلب جهله لم يدر في شيء مما يقول حقيقة ولا مجازا، وخفيت عليه المظان، وصار بمنزلة الأعمى الذي لا يبصر الشمس ولا غيرها من الكواكب النيرة.

الثاني: قلة الكتب المنقول منها، بل فقدها رأسا، سيما كتب فن الحديث والسير، فقد صارت بمنزلة الغول والعنقاء وغيرهما مما يُسمع ولا يُرى، بل غاب أكثرها حتى عن السمع، وزاد

---

(١) ينظر: المطالب العزيزة الوفية (ل ٤).

(٢) المطالب العزيزة الوفية (ل ١١).

الأمر بفقد المعير والمعين وكثرة الأهوال والمحن والمصائب، فإنه لله وإنا إليه راجعون"(١)، وقرر بأن ممن يرى ذلك في النبي-صلى الله عليه وسلم-المكي أحمد دحلان، مقويا رأيه! (٢).

بل زعم-كما سبق- بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- يعلم السحر، وذكر بأن الإنكار في هذه المسألة كما يقول: "إنما يتوجه إنكارهم لو أراد أنه كان يعلمه بالتعلم من السحرة ونحوهم، إذ هو رذيلة لا تليق بآحاد المسلمين فضلا عن جنابه-صلى الله عليه وسلم-، ...أما لو كان أراد أن الله تعالى أعلمه به وبكيفيته من جملة العلوم التي أعلمه إياها، وأمده بها معجزة له، فلا إنكار"(٣).

وذكر محمد بن جعفر الكتاني الخلاف في الخمس والروح، هل يعلمها النبي-صلى الله عليه وسلم-أو لا، وذكر بأن الصواب هو كون النبي-صلى الله عليه وسلم- لم يخرج من الدنيا حتى أطلعه الله على الخمس المذكورة في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ [سورة لقمان:٣٤]، كما أطلعه على كل ما ابهمه عنه أو أخفاه، وقال:" وهذا هو مذهب المحققين من العلماء، وجزم به كثير من أرباب الخصوصية والأولياء، وهو الحق الذي لا مرية فيه لمنصف، ولا يعدل عنه بعد الوقوف على ما في هذه الرسالة إلا متوان أو مستغفل"(٤).

ووجه الآيات والأحاديث التي تدل على اختصاص الله بعلم الغيب مع ما يقرره من علم النبي وبعض مدعي الولاية بالغيب بقوله: " ذكر العلماء والصوفية وغيرهم من سائر المعتبرين أنها محمولة على أنه تعالى هو المختص بالغيب أصالة وبطريق الاستبداد بغير واسطة، ولا استمداد من شيء، بخلاف غيره من نبي أو ملك أو ولي، فإنه إنما يعلمه أو نبأه منه شيئا قليلا

---

(١) المرجع السابق (ل ١٢-١٣).

(٢) ينظر: المطالب العزيزة الوفية (ل ٢١).

(٣) جلاء القلوب (١١٤/١).

(٤) جلاء القلوب (١٩٢/١)، وينظر المرجع نفسه (٨/١، ١٩٤).

كان أو كثيرا بإعلامه تبارك وتعالى، إما بواسطة ملك ونحوه، وإما بدونها، وإما بإلهام منه سبحانه"(١).

وقال: "لا يعلم مفاتيح الغيب، ويعلم الغيب من نفسه وذاته بطريق الاستقلال والاستبداد، وعدم الاستمداد من شيء إلا هو سبحانه وتعالى، وأما غيره إذا علمها أو علم الغيب فإنما يعلمه بإعلامه تعالى واطلاعه؛ لأنها ليست له صفة يقدر بها على الاستبداد، وهذا الجواب هو المشهور لدى الجمهور"(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ [سورة لقمان:٣٤]، :"وإنما هذا كله بإعلام الله، قلنا: هذا هو المقصود؛ لأنا رجعنا إلى تأويل الآية بأن معناها: لا تدري ذلك بذاتها ومن قبل نفسها، وإنما تدري بإعلام الله تعالى"(٣).

وذكر أن تحاشي بعض من يدعي الولاية عن دعوى شيء من الخمس إنما هو أدبا مع الله، وعبودية له، وإبقاء لسور الشريعة حتى لا يدعي هذا المقام من ليس من أهله، فيحصل الضلال، حيث قال:" وأقول تحاشي الجمهور من الأولياء عن دعوى شيء من الخمس إنما هو أدبا مع الله تعالى وعبودية له وإبقاء لسور الشريعة مخافة أن يدعي هذا المقام من ليس من أهله فينهدم ويحصل الضلال والعياذ بالله تعالى"(٤).

- النقد:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني مخالف لنصوص الكتاب والسنة، ومخالف لما عليه سلف الأمة، بل هو منهج غلاة المتصوفة كابن عربي ومن وافقة، وقد أقر له بذلك؛ إذ الأصل أن الله عز وجل مختص بالغيب المطلق وحده دون سواه، قال عز وجل: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة الأنعام:٥٩]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى

---

(١) المرجع السابق (١/١٤١).

(٢) جلاء القلوب (١/١٥٠)، وينظر المرجع نفسه (١٥٣-١٥٨).

(٣) المرجع السابق (١/٢١٩).

(٤) المرجع السابق (١/٢١٤).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [سورة النمل:٦٥]، يقول ابن كثير- رحمه الله-: "يقول تعالى آمرا رسوله -صلى الله عليه وسلم- أن يقول معلما لجميع الخلق: أنه لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب، وقوله: {إلا الله} استثناء منقطع، أي: لا يعلم أحد ذلك إلا الله-عز وجل-، فإنه المنفرد بذلك وحده، لا شريك له، كما قال: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [سورة الأنعام:٥٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [سورة لقمان:٣٤]، والآيات في هذا كثيرة"(١).

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١٨٨﴾﴾ [سورة الأعراف:١٨٨]، وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ إِنِّي مَلَكٌۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [سورة الأنعام:٥٠]، وهاتان الآيتان من الآيات الصريحة على تبرؤ النبي-صلى الله عليه وسلم- من علم الغيب، ونفيه عنه (٢).

وقد دلت الأدلة أيضا على عدم معرفة الرسل جميعا بالغيب، قال عز وجل: ﴿۞ يَوۡمَ يَجۡمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبۡتُمۡۖ قَالُواْ لَا عِلۡمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾﴾ [سورة المائدة:١٠٩].

يقول ابن جرير-رحمه الله-:"يقول تعالى ذكره: واتقوا الله أيها الناس، واسمعوا وعظه إياكم وتذكيره لكم، واحذروا يوم يجمع الله الرسل، ... وأما قوله: ماذا أجبتم، فإنه يعني به: ما الذي أجابتكم به أممكم حين دعوتموهم إلى توحيدي والإقرار بي والعمل بطاعتي والانتهاء عن معصيتي؟ قالوا: لا علم لنا"(٣).

أما من قال: إن معناها ماذا عملت الأمم بعدكم، وماذا أحدثوا؟ فهو تأويل كما يقول ابن جرير لا معنى له؛ " لأن الأنبياء لم يكن عندها من العلم بما يحدث بعدها إلا ما أعلمها الله

(١) تفسير ابن كثير (٢٠٧/٦)، وينظر: جامع البيان (٤٨٦/١٩).
(٢) ينظر: جامع البيان (٣٠٢/١٣)، تفسير ابن كثير (٥٢٣/٣).
(٣) جامع البيان (١٠٩/٩).

من ذلك، وإذا سئلت عما عملت الأمم بعدها والأمر كذلك فإنما يقال لها: ماذا عرفناك أنه كائن منهم بعدك؟ وظاهر خبر الله تعالى ذكره عن مسألته إياهم يدل على غير ذلك"(١).

وقد استحسن ابن كثير هذا القول وقال:" ولا شك أنه قول حسن، وهو من باب التأدب مع الرب-عز وجل-، أي: لا علم لنا بالنسبة إلى علمك المحيط بكل شيء، فنحن وإن كنا قد أجبنا وعرفنا من أجابنا، ولكن منهم من كنا إنما نطلع على ظاهره، لا علم لنا بباطنه، وأنت العليم بكل شيء، المطلع على كل شيء، فعلمنا بالنسبة إلى علمك كلا علم، فإنك ﴿إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ۝١٠٩﴾"(٢).

فالرسل- عليهم السلام- لا يعلمون شيئا مما عملت الأمم بعدهم إلا بما أعلمهم الله به؛ لأن هذا من علم الله الذي اختص به دون ما سواه، وقد تبرأ الرسل جميعا من معرفة علم الغيب، فما من رسول إلا وقد نفى عن نفسه العلم بالغيب، ووكله إلى الله علام الغيوب(٣).

وقد ثبت في حديث طويل أن أم العلاء -امرأة من الأنصار- بايعت النبي-صلى الله عليه وسلم- وأخبرته: أنه اقتسم المهاجرون قرعة فصار لنا عثمان بن مظعون، فأنزلناه في أبياتنا، فوجع وجعه الذي توفي فيه، فلما توفي وغسل وكفن في أثوابه، دخل رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب، فشهادتي عليك: لقد أكرمك الله، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم-: ((**وما يدريك أن الله قد أكرمه**)) فقلت: بأبي أنت يا رسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: ((**أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير، والله ما أدري، وأنا رسول الله، ما يفعل بي**)) قالت: فوالله لا أزكي أحدا بعده أبدا(٤).

فقوله-صلى الله عليه وسلم-: ((**والله ما أدري، وأنا رسول الله**)) يدل على أنه – صلى الله عليه وسلم- لا يعلم الغيب.

---

(١) المصدر السابق (٩/١١٢)، وينظر: الجامع لأحكام القرآن (١/٣٦١).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/٢٢٢).

(٣) ينظر: علم الغيب في الشريعة الإسلامية، أحمدة الغنيمان، (٢٨٦-٣٠٩)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٥هـ.

(٤) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: الدخول على الميت بعد الموت، رقم (١٢٤١).

وقال-صلى الله عليه وسلم-: ((**مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله**))(١)، فأقر بأن هذه الخمس لا يعلمها إلا الله وحده، ولم يدّع علم شيء منها.

وفي مسلم عن أنس-رضي الله عنه- وفيه: ((**أتدرون ما الكوثر؟**)) فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: ((**فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك**)) (٢)، وهذا يدل على أنه-صلى الله عليه وسلم- مات ولم يطلعه الله على حال أمته بعده، ولا يدري ما أحدثوا، وهو جزء يسير من الغيب، فكيف يقول الكتاني بأنه لم يمت إلا بعد أن أطلعه الله على جميع الغيوب؟

وعن عائشة-رضي الله عنها قالت: ((من حدثك أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- رأى ربه، فقد كذب، وهو يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ **[سورة الأنعام:١٠٣]**، ومن حدثك أنه يعلم الغيب، فقد كذب، وهو يقول: لا يعلم الغيب إلا الله))(٣).

فقد دلت هذه الأدلة على أنه -جل وعلا- منفرد بالغيب المطلق وحده دون خلقه، لأن الله عز وجل اختص به دون ما سواه، وأن النبي-صلى الله عليه وسلم-لا يعلم الغيب، بل يتبرأ منه، وينهى من ينسب إليه شيئا من ذلك؛ لأنه من خصائص الله تعالى وحدة.

وقد أكرم الله بعض رسله كالنبي-صلى الله عليه وسلم-، فأطلعهم على شيء من الغيوب؛ إكراما لهم، ولتكون معجزة لهم وحجة على أقوامهم، وهي داخلة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ **[سورة الجن:٢٧]**، وفي قوله: ﴿وَمَا

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب قوله: {الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام} [الرعد: ٨]، رقم (٤٦٩٧)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، رقم (٤٠٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب قول الله تعالى: {عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا} [الجن: ٢٦]، رقم (٧٣٨٠).

كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ [سورة آل عمران:١٧٩]، ولا يعني هذا بأنه- صلى الله عليه وسلم- أو غيره من الأنبياء يوصفون بعلم الغيب؛ لأنهم لم يعلموا إلا بتبليغ الله لهم، وما بلغه لهم من الغيب محدود بحسب ما يكشفه الله-عز وجل- لهم.

قال القرطبي-رحمه الله-" قال العلماء -رحمة الله عليهم-: لما تمدح سبحانه بعلم الغيب واستأثر به دون خلقه، كان فيه دليل على أنه لا يعلم الغيب أحد سواه، ثم استثنى من ارتضاه من الرسل، فأودعهم ما شاء من غيبه بطريق الوحي إليهم، وجعله معجزة لهم ودلالة صادقة على نبوتهم"(١).

أما ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في أن النبي-صلى الله عليه وسلم-لم يخرج من الدنيا حتى أطلعه الله على العلوم كلها؛ فاتسع علمه حتى شمل كل ذرة من ذرات العالم الكوني، وسائر علوم الأولين والآخرين، وتأييده لمن قال بإحاطة علمه-صلى الله عليه وسلم- كابن عربي، والبوصيري، فهو تقرير باطل، وحججه متهافتة، لما يلي:

- أن هذا القول لا دليل عليه، لا كما قرر الكتاني بأنه موافق لبعض النصوص، بل هو خلاف كتاب الله وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-.

فلا دليل على كون الله تعالى أعلم نبيه كل شيء قبل قبضه إليه، بل الأدلة تدل على أن النبي-صلى الله عليه وسلم- لا يعلم الغيب حتى بعد قبضه وبعثه، كقول النبي-في حديث **((أتدرون ما الكوثر))**، وفيه قوله -صلى الله عليه وسلم-: **((فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك))** (٢).

ومحمد بن جعفر الكتاني مقر بأن القول بعدم الإحاطة لأحد إلا لله تعالى أجرى على ظواهر أكثر النصوص الشرعية وأوفق، إلا أنه عدل عنه واختار القول بالإحاطة لا كإحاطة علم الله! وهذا تناقض.

- قول الكتاني بإحاطة النبي-صلى الله عليه وسلم- بجميع المكنونات والذوات من الأزل إلى الأبد باطل؛ وإن قال لا كإحاطة علم الله، أو بأن علم النبي كسبي، وعلم الله واجب، أو بأن

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٢٨/١٩).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من أول كل سورة سوى براءة، رقم (٤٠٠).

النبي محيط بالعلوم الكونية دون علوم الذات العلية، لانتفاء الإحاطة لأحد إلا لله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [سورة طه:١١٠]، فما قرره مخالف للنصوص، ولم يقل به أحد من السلف.

- يُرد على محمد بن جعفر الكتاني بما قرره نفسه في موضع بأن معتقد أهل السنة أن الأنبياء يجوز في حقهم الأعراض البشرية التي لا تنافي علوّ رتبتهم كالفقر والجوع، والأكل والشرب، والنسيان بعد التبليغ، فقال:" خلافا للنصارى الذين أفرطوا في تنزيه الرسل، حتى وصفوا عيسى -عليه السلام- بصفة الألوهية، فجعلوا صفة العلم القديم قائمة بجسده، وجعلوه لذلك إلها على خبط لهم شديد، وتخليط عظيم لا يفوه به عاقل، وقد قال عليه -الصلاة والسلام-: **((لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا عبد الله فقولوا: عبد الله ورسوله))** (١)"(٢).

- أن احتجاج الكتاني بقول الله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [سورة الجن:٢٧]، على كون النبي-صلى الله عليه وسلم-يعلم جميع ذرات الكون قبل موته لا حجة فيه؛ لأن معناها كما قال ابن عباس:" أعلم الله -سبحانه- الرسل من الغيب الوحي، وأظهرهم عليه بما أوحي إليهم من غيبه، وما يحكم الله، فإنه لا يعلم ذلك غيره"(٣)، فما قرره معارض للنصوص، ومخالف لتفسير حبر الأمة وترجمان القرآن ابن عباس-رضي الله عنه-.

- أن الاحتجاج بقول البوصيري: "ومن علومك علوم اللوح والقلم"، غلوّ مذموم، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ [سورة المائدة:٧٧] ولم يقل نبي قط، ولا أخبرنا الله -

---

(١) سبق تخريجه (ص ٢٨٦).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (٥٩/ب).

(٣) جامع البيان (٦٧١/٢٣)، وينظر: الكبائر للذهبي (١٦٩).

سبحانه وتعالى- أن هناك بشراً اطلع على ما في اللوح المحفوظ، والقول بأن علم اللوح والقلم من بعض علومه-صلى الله عليه وسلم-شرك بالله تعالى(١).

- أن محمد بن جعفر الكتاني جعل من الأدلة على هذا القول الكشف، والكشف إذا عارض الكتاب والسنة لا يعتد به، بل هو باطل.

- أن مدح النبي-صلى الله عليه وسلم-بأمر لم يثبت عليه، يكون كذبا عليه-صلى الله عليه وسلم-، فيدخل في وعيد: **((من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار))** (٢).

- أن احتجاجه بزعم من يدعي الولاية بإعلام الله له ما كان وما يكون، وأنه لا يقدر أحد على أن يسميهم بشيء فضلا على أن يكفرهم احتجاج باطل؛ لأن الاحتجاج بحكايات الناس ليس من منهج أهل السنة والجماعة، كما أن علماء السلف الذين فهموا كتاب الله -عز وجل- وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم- فهما صحيحا، شنّعوا على من يدعي علم الغيب، وحكموا عليه بالكفر والضلال، منهم الإمام أبو حيان(٣)-رحمه الله-، حيث قال مشنعا على المتصوفة الذين يدعون علم الغيب، مع جهالتهم بالأحكام الشرعية تحت قوله تعالى: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ ﴾ [سورة الأنعام:٥٩]، :" ولقد يظهر من هؤلاء المنتسبة إلى الصوف أشياء من ادعاء علم المغيبات، والاطلاع على علم عواقب أتباعهم، وأنهم معهم في الجنة مقطوع لهم، ولأتباعهم بها يخبرون بذلك على رؤوس المنابر، ولا ينكر ذلك أحد، هذا مع خلوهم عن العلوم، يوهمون أنهم يعلمون الغيب، وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها:

---

(١) ينظر: تيسير العزي الحميد (٢١٦، ٥٢٢)، المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، عبد الرحمن بن حسن (٢٣٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: إثم من كذب على النبي صلى الله عليه وسلم، حديث (١٠٧).

(٣) هو: محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الغرناطي الأندلسي، أبو حيان، عالم بالعربية والتفسير والحديث والتراجم، من مؤلفاته: البحر المحيط، طبقات نحاة الأندلس، توفي عام٧٤٥هـ، ينظر: الدرر الكامنة (٥٨/٦)، شذرات الذهب (١٤٥/٦).

((ومن زعم أن محمدا يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفرية)) (١) والله تعالى يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ۝٦٥﴾ [سورة النمل:٦٥](٢)".

وقال القرطبي-رحمه الله-:"قال علماؤنا: أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه في غير ما آية من كتابه، إلا من اصطفى من عباده، فمن قال: إنه ينزل الغيث غدا وجزم فهو كافر، أخبر عنه بأمارة ادعاها أم لا، وكذلك من قال: إنه يعلم ما في الرحم فهو كافر، فإن لم يجزم وقال: إن النوء، ينزل الله به الماء عادة، وأنه سبب الماء عادة، وأنه سبب الماء على ما قدره وسبق في علمه لم يكفر، إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به، فإن فيه تشبيها بكلمة أهل الكفر، وجهلا بلطيف حكمته، لأنه ينزل متى شاء"(٣).

- أن جوابه على من رد هذا القول، وقال بأنه يلزم منه تساوي علم النبي بعلم الله، بأن الله تجلى عليه بذاته فصار مظهرا لمعلومات الله وإنما العالم هو الله، رد شنيع باطل؛ لبطلان القول بحلول الله -تعالى الله عن ذلك- بخلقة، أو أحد منهم-كما سبق-.

-قول الكتاني بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- محيط بالغيب بإعلام الله له، لا باستقلاله بعلم الغيب، شبيه بما قرره في أن النبي-صلى الله عليه وسلم- وغيره ممن يدعي الولاية، يؤثر في قضاء الحاجات لا بالاستقلال، وإنما بما جعل الله فيه من القوة والسر، وكلاهما باطل؛ لأن اعتقاد تأثير غير الله في قضاء الحاجات شرك في الربوبية، حتى وإن اعتقد أنه لا يؤثر بذاته وإنما بما جعله الله فيه من القوة، وكذلك اعتقاد أن غير الله محيط بعلم الله من الأزل إلى الأبد لا بالاستقلال، بل بزعم اطلاع الله له على الغيب، شرك في الربوبية؛ لأن الله وحده هو المحيط بخلقه دون ما سواه، وهذا مبني على حصره الشرك بالربوبية واعتقاد الاستقلال.

-أن ما يراه في كون النبي -صلى الله عليه وسلم-كان عارفا بجميع اللغات، باطل ليس عليه دليل صحيح يعتمد عليه، كما قرر هو بنفسه، بل هو خلاف ما ثبت؛ لأن الذي ثبت خلاف ذلك، وهو أنه -صلى الله عليه وسلم- كان أميّا يدعو إلى الإسلام هو وأصحابه

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٣٢).

(٢) البحر المحيط (٥٣٥/٤).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢/٧).

باللسان العربي وبالقرآن، ولو ثبت كونه عارفا بجميع لغات الإنس وبمنطق الحيوان والنبات والجماد-كما زعم- لكان من أعظم المعجزات الدالة على نبوته ولتواتر عنه ذلك واشتهر.

- قوله بأن النبي-صلى الله عليه وسلم-مبعوث حتى للملائكة والجمادات والحيوانات:

يقول محمد بن جعفر الكتاني في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [سورة الفرقان:١]: "فإن العالمين هم جميع الخلق، من إنس وجن، وملك وحيوان، ومعدن، ونبات، وعرش، وما فوقه وما تحته إلى ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فيكون رحمة للكل، ومأمور بإنذار الكل"(١).

ويقول في تقرير هذا: "هذه عقيدة أهل الله قاطبة، وأنه-عليه السلام-مرسل إلى جميع المخلوقات ناطقها وصامتها حيها وجمادها، أعلاها وأسفلها، لم يخرج عن رسالته شيء منها أيا كان، علم أو لم يعلم؛ لأنها مخلوقة منه وبسببه، وهو الممد لها أزلا وأبدا، والآمر لها والناهي عن الله تعالى حقيقة"(٢).

مع أنه قال في موضع عن بعثته-صلى الله عليه وسلم-إلى الملائكة:" لا خلاف في عموم بعثته -صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الإنس والجن؛ لقوله تعالى: ﴿ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ١﴾ [سورة الفرقان:١]، **ولقوله** -صلى الله عليه وسلم-: ((**بعثت للأحمر والأسود**))، قيل: الإنس والجن، وقيل: العرب والعجم، واختلف في بعثته إلى الملائكة، والأكثر على عدم بعثته إليهم"(٣)، ثم نقل الإجماع عن غير واحد على عدم بعثته إليهم.

النقد:

اتفق المسلمون وتواتر عن نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-، أنه مبعوث إل الثقلين الجن والإنس، قال عز وجل: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾ [سورة الذاريات:٥٦]، وقد استمعت الجن القرآن وولوا إلى قومهم منذرين، وأخبره الله بذلك في القرآن بقوله: ﴿وَإِذۡ صَرَفۡنَآ

---

١ جلاء القلوب (٢٢/٣)، وينظر المرجع نفسه (٧/١، ٨، ٢٤/٣-٢٩).

٢ المرجع السابق (٢٥/٣)، وينظر المرجع نفسه (٨/١، ٢٨/٣، ٣٠٠)، تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٩).

٣ حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٥/أ).

إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ۝٢٩ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٣٠ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣١ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٣٢﴾ [سورة الأحقاف:٢٩-٣٢] (١).

يقول ابن حزم الظاهري-رحمه الله-:"واتفقوا أن...محمد بن عبد الله... رسول الله - صلى الله عليه وسلم- إلى جميع الجن والانس إلى يوم القيامة"(٢).

وأما الملائكة فالصحيح أن النبي-صلى الله عليه وسلم- "أرسل إلى الثقلين: الإنس والجن، ولم يرسل إلى الملائكة"(٣)، وهذا هو قول جماهير أهل العلم(٤).

والقول بأنه مرسل إليهم رجحه السيوطي في "الخصائص"(٥)، وفي "الحبائك"(٦)، وصنف فيه" تزيين الأرائك في إرسال النبي-صلى الله عليه وسلم-إلى الملائك"(٧)، وهذا القول قرره محمد بن جعفر الكتاني في مواضع وقرر-برأيه- أنه عقيدة أهل الله قاطبة، ويمكن بيان بطلان ما قرره في إرسال النبي إلى الملائكة والجمادات والحيوانات، من عدة أوجه، منها:

-أن القول بأن النبي-صلى الله عليه وسلم-مبعوث إلى الملائكة والجمادات والحيوانات، قول مخالف لجماهير المفسرين بأن المراد بالعالمين بقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [سورة الفرقان:١]، هم الجن والإنس(٨)، وقد نقل الإجماع على ذلك فخر الدين الرازي حيث قال:" أجمعنا أنه -عليه

---

(١) ينظر: النبوات (٢٣٢/٢)، مجموع الفتاوى (٢٠٤/٤، ٣٠٣/١١).

(٢) مراتب الإجماع (١٦٨).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٢١/١٢).

(٤) وبهذا القول جزم الحليمي والبيهقي ومحمود بن حمزة الكرماني، ونقل الفخر الرازي الإجماع عليه، وجزم به الحافظ زين الدين العراقي، وجلال الدين المحلي، ينظر: الحبائك في أخبار الملائك (٢٥٦)، فيض القدير للمناوي (٥٣٦/١)، روح المعاني (١٠٠/٩).

(٥) ينظر: الخصائص (٢٨١/٢).

(٦) ينظر: الحبائك (٢٥٦).

(٧) طبع ضمن الحاوي للفتاوى (٣٧٥-٣٧٦).

(٨) ينظر: جامع البيان (٣٩٤/١٧)، تفسير البغوي (٣٦٠/٣)، المحرر الوجيز (١٩٩/٤)، مفاتيح الغيب (٤٠/٢٤)، تفسير القرطبي (٢/١٣)، تفسير ابن كثير (٣٢٠/٣)، فتح القدير (٦٠/٤)، أضواء البيان (٢٨٩/٦).

السلام- لم يكن رسولاً إلى الملائكة، فوجب أن يكون رسولاً إلى الجن والإنس جميعاً"(١)، وهذا ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في موضع، فيُرد عليه به.

-النذارة في الآية للجن والإنس؛ لأن الملائكة مقيمون على عبادة الله تعالى، وعلى توحيده، وتسبيحه، كما قال تعالى: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝﴾ [سورة التحريم:٦]، وقال: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ۝﴾ [سورة الأنبياء:٢٧]، وهم عباد مكرمون عصمهم الله عز وجل من الخطأ، ومن كانت هذه حاله فلا يصلح له الإنذار(٢).

-أن من الملائكة من أتى بالرسالة إلى محمد-صلى الله عليه وسلم- وهو جبريل-عليه السلام، وأمره أن يبلغها للناس، ودخول الآمر في مثل هذا الأمر يحتاج إلى دليل(٣).

-أن الملائكة هم أنصار الأنبياء، ويستغفرون للمؤمنين، وهذا يدل على أنهم خارجون عن الاتباع، لأنهم لو كانوا تابعين لصارت النصرة متعينة بلا أمر(٤).

-أن الجمادات والنباتات والحيوانات لا عقول لها فهي ليست مكلفة، وإنما الذي كُلِّف وأعطاه الله تعالى أهلية التكليف هم الإنس والجن، ولم يقل أحد من أهل التفسير بأنه-صلى الله عليه وسلم- مرسل لعالمين من النباتات والجمادات، بل الذي قرروه بأن العالمين من يعقل خاصة؛ ولا يقال للبهائم والجمادات عالم؛ لأنها لا تعقل(٥).

وعلى هذا: فالقول بأن رسولنا محمد-صلى الله عليه وسلم- أرسله الله إلى الخلق أجمعين: قول غير صحيح، فإنه لم يرسل إلى الملائكة، كما أنه لم يرسل إلى سائر المخلوقات التي لا عقول لها من الجمادات والنباتات والحيوانات.

---

(١) مفاتيح الغيب (٤٠/٢٤).

(٢) ينظر: الحبائك (٢٥٢)، تفسير ابن كثير (١٨٥/٣)، وهذا البحث في الفصل الثالث: المبحث الأول: آراءه في الإيمان بالملائكة والكتب، مسألة عصمة الملائكة.

(٣) ينظر: الوافي في اختصار شرح عقيدة أبي جعفر الطحاوي، صالح آل الشيخ (ص٥٠).

(٤) ينظر المرجع السابق (٥٠-٥١).

(٥) ينظر: جامع البيان (٤٤١/١٦)، تفسير ابن كثير (١٣٢/١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٣٨/١، ٢/١٣)، أضواء البيان (٣/٦).

وبهذا يتم عرض ونقد آراء محمد بن جعفر الكتاني في معجزات النبي-صلى الله عليه وسلم- وخصائصه، ويتبين من خلالها موافقته-في الجملة- للأشاعرة وغلاة الصوفية.

وقد ذكر محمد بن جعفر الكتاني خصائص أخرى يدرك بطلانها كل عاقل، ومن ذلك قوله: "ذكر غير واحد من العلماء والعارفين أن الله تعالى خلق الإنسان الذي هو الحضرة الجامعة على صورة حروف اسمه-صلى الله عليه وسلم- محمد وشكل كتابته، ليُرى اسمه الشريف في الصورة الآدمية كلها، ويتذكر به ذاته المحمدية، وأنواره الشريفة الأحمدية، وليعلم بذلك أن مسماه هو المقصود الأكبر من هذا النوع الإنساني، الذي هو المقصود من خلق العالم"[١]، إلى أن قال: "فبتأمل هذا كله ونظره بعين الاعتبار والاستبصار فيه بشيء ما من الاستبصار تفهم من فحواه أنه-عليه السلام-النقطة التي عليها المدار، والفائز من ربه تعالى بما عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على سر من الأسرار، وتعلم أنه المحبوب من الأزل والمخصوص بالخلافة العظمى فيما لم يزل، فضلا منه تعالى عليه ومنة سابقة من جنابه لديه، وقد قال جماعة في اسمه الشريف محمد أنه الاسم الأعظم من أسمائه-عليه السلام-الذي تنفعل به الأشياء، كما تنفعل باسمه تعالى ودونوا في ذلك عجائب وأسرار، لكن التصرف به يحتاج لرياضة أو إذن من شيخ كامل يعطيه ويعطي معه أسراره"[٢]، وهذا يدل على اعتماده على مشائخ الصوفية وتقريراتهم، وسبق بطلان الاعتماد عليها.

ومن المستحسن ختم هذا المبحث برأي محمد بن جعفر الكتاني بالكرامات وختم الولاية؛ لتعلقها بالنبوة ومعجزات الأنبياء، ورأيه فيها ما يلي:

- كرامات الأولياء:

عرف محمد بن جعفر الكتاني الكرامة وقرر جوازها ورد على من أنكرها، وفرق بينها وبين المعجزة، وخوارق السحرة.

---

(١) جلاء القلوب (٤٢/٣-٤٣).

(٢) المرجع السابق (٤٥/٣-٤٦).

يقول في تعريف الكرامة والفرق بينها وبين خوارق السحرة:" والكرامة: هي أمر خارق للعادة، لكنه غير مقارن لدعوى النبوءة، على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه فيما جاء به، وإلا فهي سحر، أو استدراج، أو إذلال كما وقع لمسيلمة الكذاب " (١).

وقد ذكر ما يراه في الفرق بين الكرامة والمعجزة من خلال تعريفه لهما، وهو أن المعجزة مقرونة بدعوى والنبوة، والكرامة ليست كذلك، ثم قال:" ظهورها يكاد يلحق بظهور معجزات الأنبياء"(٢).

وردّ محمد بن جعفر الكتاني على من أنكر الكرامات، فقال:" وأنكر جماعة محرومون كأكثر المعتزلة، وإن وافقهم بعض منا لكن يتعين تأويل كلامه؛ لأن جلالته تأبى أن ترضى بهذا الزيف الذي انتحلوه- جواز للكرامة ووقوعها... ومن أدلة الجواز: أن الوقوع ممكن كالمعجزة، وقدرة الله تعالى شاملة لها، ولا بِدْعَ أن الملك يصدق رسوله بخرق بعض العادات، ثم يفعل ذلك ببعض أتباعه إكراما له.

ومن أدلة الوقوع: النص القاطع بما وقع لمريم ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا﴾ [سورة آل عمران:٣٧]، الآية، وفي ولادة عيسى عليه السلام، ولأصحاب الكهف، ولوزير سليمان في عرش بلقيس، ونظائر ذلك... والتواتر المعنوي وإن كانت التفاصيل آحادًا في كرامات الصحابة، لا سيما ما وقع لعمر وعلي رضي الله عنهما، وتابعيهم، ومن بعدهم إلى زمننا..." (٣).

وقد ساق محمد بن جعفر الكتاني جملة من الكرامات لمن ثبتت ولايته من الصحابة، وبعض مدعي الولاية كابن عربي وأمثاله، -وسبق ذكر بعضها-(٤)، ومن ذلك قوله: "وقد

---

(١) حاشية على شرح ميارة (٦١/ ب).

(٢) المرجع السابق (٦١/ ب).

(٣) حاشية على شرح ميارة (٦١/ ب).

(٤) ينظر: جلاء القلوب (١/ ١٦) وما بعدها، سلوة الأنفاس (١/١٤٠، ١٣٣، ٢٣٦، ٢٨٣، ٣٥٠، ٣٥٢، ٤١٣، ٤١٠، ٢/٣٤، ٢١، ٢٢، ٥٧، ١١٩، ١٢٤، ٢٣٢، ١٩١، ٢٦٦، ٢٧٥، ٢٨٧، ٢٩٦، ٤١٦، ٣/١٣، ٣٢، ٣٣، ٥٥، ١٦٨، ١٧٥، ٢٦١، ١٠٤)، النبذة اليسيرة النافعة (١٥٥، ١٩٥-٢٠٢- ٢٤١، ٢٣٤-٢٣٩، ٢٥٢-٢٥٣، ٢٥٨-٢٥٩، ٢٨٧)، حاشية على شرح ميارة (٦١/ ب).

أخبرني بعض الثقات عن بعض المجاذيب أنه ناوله مرة السيكارة فلما مصها لم يجد إلا طعم العنبر وريحها، وقال إن زوجته بقيت تشم من فمه رائحة العنبر نحوا من شهرين، وقال لي جماعة أخرى وفيهم من هو من أهل العلم إنه يستعملها بحضرتهم بعض المجاذيب بالمدينة المنورة وأكثر منها، فما وجدوا لها رائحة كريهة أصلا، وبعض المجاذيب بفاس أُخبرت أنه كان يقرب السيكارة من فيه، ويميل رأسه معها يمينا وشمالا ولا يمصها أصلا، وبعض كان الناس يشترون لهم الخمر الحقيقية، ولما يريدون تناولها تُحول لهم عسلا أو لبنا أو ماء، وأحوال أهل الله لا تنضبط ولا يكاد أحد عن غيرهم أن يعرف حقائقها، وحسب المعتمد أن يُسلّم لأهل الأحوال أحوالهم، ولا يقتدى بهم فيها؛ لأن الاقتداء خاص بأهل السلوك الذين ظهرت عليهم أنوار الشريعة، وعرفوا بالاتباع لها والوقوف معها"(١).

وقال في امرأة: "كانت من أهل الخطوة والطيران في الهواء، والتطور في الأطوار المختلفة"(٢).

وقال عن بعض من يدعي الولاية: "كان الشيخ المجذوب هذا عظيم الحال، باهر الخوارق، كثير الكرامات، بحيث عزت عن الحصر، وملأت الوجود، عزيز المكاشفات، وكانت له الإغاثة في البر والبحر، ويمشي بالخطوة، حتى كان يقف في كل سنة بعرفات، وكان يجري في كلامه الإخبار عن اللوح المحفوظ ورؤية ما به"(٣).

وقال: "كان من أهل الخطوة، لا يصلي صلاة إلا بمكة أو المدينة، أخبر بذلك عن نفسه في حكاية له، فكان لأجل ذلك لا يراه الناس بفاس يصلي في مسجد من مساجدها أبدا، حتى الجمعة، فصار ذلك في ظاهر الأمر ملامة"(٤).

---

(١) التدخين عند الأئمة الأربعة (١٣٠).

(٢) سلوة الأنفاس (١٥٣/١)، وينظر المرجع نفسه (٣٣٢/١، ١٣٣/٣، ٢٢١).

(٣) سلوة الأنفاس (٢٥٠/٢)، وينظر المرجع نفسه (٢٦٢/٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٧٢، ١٣١/٣).

(٤) المرجع السابق (١٣٣/٣).

ونحوه قوله عن آخر: "كان-رحمه الله-لا تحده الحدود، ولا يمنعه حائط ولا باب، وشوهد عند الكعبة أعزها الله تعالى مرارا"(١)، وعن آخر أنه: "كان يدخل ويخرج عليهم من حائط البيت، وكانوا يرون ذلك منه عيانا"(٢).

وذكر عن بعضهم أنه" أخذ عنه من مومني الجن أحد وعشرون، أو اثنان وعشرون ألفا، وأنه مات منهم يوم موته ثلاثة من الازدحام عليه"(٣).

بل عد جملة من كراماته هو نفسه، حيث قال: "وقد وقع لي في بعض أسفاري وأحضاري أشياء تشبه كرامات الأولياء، وربما عدّها بعض من حضرها كرامة، وهي كثيرة جدا لو أحصيت لخرجت في عدة كراريس، ووقعت كراريس، ووقعت لي أيضا أشياء كنت أتعجب منها ولا أدري حقيقتها.

منها: أني كنت في بعض الأيام مستقبل القبلة أذكر الله تعالى، فرأيت كأن شبحا لطيفا وقف بين يدي، فقلت له: ما الذي قطع فلانا عن الله، وسمّيت له بعض من كان في الوقت يُنسب إلى الصلاح، ويُحدّث عن نفسه بأشياء، فقال: كثرة مزاحه مع الناس، وكان سؤالي له بلساني الذي يذكر من غير قطع للذكر الذي كنت مشتغلا به أصلا، فلا أدري كيف وقع فيّ ذلك"(٤).

قال في بعض مدعي الولاية: "كان صاحب الترجمة-رحمه الله- وليا كبيرا، وعارفا شهيرا، له كرامات عديدة، وبركات حميدة، ومما سمعنا من كراماته وحدثني به بعض الثقات من العلماء عن أمه، وكانت خيّرة دينة، أنها باتت في ضريحه بعض الليالي، فبينما هي هنالك إذ سمعت رجفة، فنظرت فإذا صاحب الترجمة فد خرج من قبره ومعه عمود من نور يكاد يخطف

---

(١) المرجع السابق (٢٤٨/٢).
(٢) المرجع السابق (٤٨٣/٣).
(٣) المرجع السابق (٢٩٨/١).
(٤) النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٥).

الأبصار، وبقي كذلك هنية ثم رجع لقبره، قالت المحدثة المذكورة: فمرضت عيناي من رؤية ذلك النور، وصارتا كأنهما قطعة دم مدة من شهرين أو ما يزيد عليهما"(١).

وقال في كرامات الأولياء: "وأمور الأولياء خارجة عن مدارك العقول، ومن لم يفهم، فالتسليم له أسلم، لا سيما لمن كان منهم ساقط التكليف، أو كان ممن يغلب عليه الحال"(٢).

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج الأشاعرة والمتصوفة في تقريراته السابقة، **فالكرامة في اللغة**: مصدر كرُمَ، يقول ابن فارس:" الكاف والراء والميم أصل صحيح له بابان: أحدهما: شرف في الشيء في نفسه، أو شرف في خلق من الأخلاق...

والأصل الآخر: الكرم، وهي القلادة"(٣).

والكرامة من الباب الأول؛ لشرفها في نفسها وشرف صاحبها.

وأما في الاصطلاح: فلفظ الكرامة كالمعجزة، لم يرد في كتاب الله تعالى، ولا في سنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، ولم يكن السلف الأوائل يستعملونه بمعناه الاصطلاحي الذي تعارف عليه من بعدهم؛ والمتأخرون اصطلحوا على استعماله للدلالة على خوارق الأولياء(٤).

يقول محمود شكري الألوسي-رحمه الله-:"كل من يذكر تعريف الكرامة وحدّها يقول: هي خرق الله العادة لوليه، لحكمة ومصلحة تعود عليه أو على غيره، وعلى هذا التعريف لا فعل للولي فيها، ولا إرادة، فلا تكون سبباً يقتضي دعاء من قامت به أو فعلت له، ومن أي وجه دلّت الكرامة على هذا؟"(٥).

---

(١) سلوة الأنفاس (٤١٨/١)، وينظر المرجع نفسه: (٢٣٢/٣).

(٢) سلوة الأنفاس (٢٨٩/٢).

(٣) معجم مقاييس اللغة مادة (كرم): (١٧١/٥-١٧٢).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٣١٢/١١)، مجموعة الرسائل والمسائل (٢/٥)، الجواب الصحيح (٤١٩/٥)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٧٤٦/٢).

(٥) فتح المنان تتمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان، محمود شكري الألوسي (٢٢٤)، وينظر: لوامع الأنوار البهية (٣٩٢/٢).

وبهذا يظهر أن تعريف محمد بن جعفر الكتاني للكرامة بما سبق لا يخرج عن قول من عرفها من المتأخرين.

الفرق بين الكرامة والمعجزة وخوارق السحرة:

اختلف الناس في خوارق العادات هل هي من جنس واحد أم لا؟

فذهب أهل السنة والجماعة إلى أنها ليست من جنس واحد(١)، وذهب المعتزلة والأشاعرة إلى أنهما من جنس واحد ثم اختلفوا، فأثبت المعتزلة المعجزات ونفوا ما عداها(٢)، وأثبت الأشاعرة الجميع واضطربوا في الفرق بينهما(٣).

وما ذكره محمد بن جعفر الكتاني في الفرق بين المعجزة والكرامة بناه على معتقده الأشعري، حيث حصر الفرق في دعوى النبوة، دون اختلافهما في قدر خرق العادة وهو الأظهر، ومال إلى ما قرره جمهورهم في القول باستوائهما، وأن كل ما جاز خرقه للنبي جاز خرقه للولي، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" أصلهم: أنّ ما يأتي به النبيّ، والساحر، والكاهن، والولي: من جنسٍ واحد، لا يتميّز بعضه عن بعضٍ بوصف، لكن خاصّة النبيّ: اقتران الدعوى، والاستدلال، والتحدي بالمثل بما يأتي به.

فلم يجعلوا لآيات الأنبياء خاصّة تتميّز بها عن السحر، والكهانة، وعمّا يكون لآحاد المؤمنين، ولم يجعلوا للنبيّ مزيّة على عموم المؤمنين، ولا على السحرة، والكهّان من جهة الآيات التي يدل الله بها العباد على صدقه... فهؤلاء سوّوا بين الأجناس الثلاثة"(٤).

وعليه فما قرره محمد بن جعفر الكتاني من كون الفرق بين المعجزة والكرامة هو دعوى النبوة، وقوله بأن الكرامة تكاد تلحق بالمعجزة، باطل متعقب بما يلي:

-القول بأن الفرق بينهما هو دعوى النبوة غلط؛ لأن آيات الأنبياء-صلوات الله وسلامه عليهم- أعلى من الكرامة في خرق العادة؛ لأن آيات الأنبياء لا يقدر عليها جن ولا إنس(١).

---

(١) ينظر: النبوات (٥٢٦/١، ٦٠٦، ١٠٤٠/٢).

(٢) ينظر: المغني (٢٤١/١٥-٢٤٣)، الكشاف (٦٣٢/٤).

(٣) ينظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (٩١، ٩٦)، شرح المقاصد (١١/٥، ٧٢-٧٤).

(٤) النبوات (٦٠٦/١-٦٠٧).

-أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبوة، ودالة على صدق النبي، فدلالتها على النبوة قطعية، والنبي يعلم أنه بني، بخلاف الكرامة، فإن دلالتها على الولاية ظنية، فقد يعلم أنه ولي وقد لا يعلم؛ لاحتمال أن تكون استدراجا له(٢).

-أن الكرامة خارقة لعادة الصالحين، بخلاف المعجزة، فهي خارقة لعادة البشر.

-أن الكرامة ينالها الولي باتباعه للنبي-صلى الله عليه وسلم فهي مكتسبة، بخلاف المعجزة فلا تحصل بشيء من ذلك، بل يفعلها الله آية وعلامة لهم.

-أن الكرامة تابعة للمعجزة، فإن الولي لم تحصل له الكرامة إلا لاتباعه النبي، ولو لم يتبعه لما وقعت له(٣).

أما ما ذكره في الفرق بين الكرامات وخوارق السحرة فهو موافق لما قرره أهل السنة والجماعة؛ يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"وبين كرامات الأولياء، وبين ما يشبهها من الأحوال الشيطانية فروق متعددة: منها، أن كرامات الأولياء سببها الايمان والتقوى، والأحوال الشيطانية، سببها ما نهى الله عنه ورسوله، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة الأعراف:٣٣]، فالقول على الله بغير علم، والشرك والظلم والفواحش، قد حرمها الله تعالى ورسوله، فلا تكون سببا لكرامة الله تعالى بالكرامات عليها، فإذا كانت لا تحصل بالصلاة والذكر وقراءة القرآن، بل تحصل بما يحبه الشيطان، وبالأمور التي فيها شرك، كالاستغاثة بالمخلوقات، أو كانت مما يستعان بها على ظلم الخلق وفعل الفواحش، فهي من الأحوال الشيطانية، لا من الكرامات الرحمانية"(٤).

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٥٢٦/١، ٥٥٩، ٨٠١/٢).

(٢) ينظر: الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان (١٤٣)، النبوات (٨٠١/٢).

(٣) ينظر: النبوات (٥٥٨/١-٥٦٠)، للاستزادة ينظر: كرامات الأولياء، عبد الله العنقري (٣٤-٣٦).

(٤) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (٢٧١-٢٧٢).

وعليه فما قرره محمد بن جعفر الكتاني في قصر التفريق بين المعجزة والكرامة على دعوى النبوة خطأ مجانب للصواب، أما ما قرره في التفريق بين الكرامة وخوارق السحرة باعتبار حال من وقعت منه فهو الحق الذي قرره السلف الصالح.

كذلك ما قرره من جواز وقوع الكرامة، ورده على من خالف ذلك من المعتزلة، هو موافق لما قرره أهل السنة والجماعة[١].

وما ذكره عن المعتزلة من أنكارهم ذلك، فهو مبني على اعتقادهم في كون المعجزة والكرامة وخوارق السحر من جنس واحد، ومن ثم قالوا لو أثبتنا الكرامة لالتبست بالمعجزة، والتبس أمر الولي بالنبي، فنفواها حتى تسلم لهم المعجزة، وقولهم باطل[٢]، يقول ابن تيمية–رحمه الله–:"والمنازع لهم يقول: هي موجودةٌ مشهودةٌ لمن شهدها، متواترةٌ عند كثير من الناس، أعظم ممّا تواترت عندهم بعض معجزات الأنبياء. وقد شهدها خلق كثير لم يشهدوا معجزات الأنبياء، فكيف يكذّبون بما شهدوه، ويصدّقون بما غاب عنهم، ويكذّبون بما تواتر عندهم أعظم مما تواتر غيره؟!"[٣].

ومراد محمد بن جعفر الكتاني بمن وافق المعتزلة من الأشاعرة هو أبو إسحاق الإسفراييني[٤]، وما قرره حق في الاعتذار عنه، يقول ابن تيمية–رحمه الله–:"قالت طائفة: لا تخرق العادة إلا لنبي، وكذبوا بما يذكر من خوارق السحرة والكهان، وبكرامات الصالحين، وهذه

---

(١) ينظر: كرامات الأولياء للآلكائي (ص٧٠) وما بعدها، النبوات (١٣٢/١)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (٧٥٢/٢)، الإنصاف في حقيقة الأولياء للصنعاني (٦٤)، لوامع الأنوار البهية (٣٩٤/٢).

(٢) ينظر: كرامات الأولياء للآلكائي (ص٧٠) وما بعدها، شرح الطحاوية لابن أبي العز (٧٤٥/٢)، لوامع الأنوار البهية (٣٩٤/٢)، للاستزادة ينظر: كرامات الأولياء للعنقري.

(٣) النبوات (١٣٣/١).

(٤) هو: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن مهران الإسفراييني، أشعري شافعي، من مؤلفاته: جامع الخلي في أصول الدين، توفي عام٤١٨هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٣٤٣/٣٣)، شذرات الذهب (٩٠/٥-٩١).

طريقة أكثر المعتزلة، وغيرهم، ... بل يُحكى هذا القول عن أبي إسحاق الاسفراييني، وأبي محمد بن أبي زيد(١)، ولكن كأنّ في الحكاية عنهما غلطاً، وإنما أرادوا الفرق بين الجنسين"(٢).

أما ما حكاه محمد بن جعفر الكتاني من قصص الأولياء وكراماتهم، كما في حكايته لكرامة من ثبتت عدم ولايته وصلاحه، بل ثبت جنونه وفسقه، أو غلوه وإلحاده، كابن عربي وأمثاله من أهل وحدة الوجود، فهو مردود بمخالفتهم الكتاب والسنة ولما قرره أهل السنة والجماعة، ومردود بما قرره هو في كلامه عن الكرامات؛ لأن" كرامات الأولياء لا تكون بما نهى الله عنه ورسوله من أكل الخبائث، كما لا تكون بترك الواجبات"(٣)، "وإنما الكمال في الولاية أن يستعمل خرق العادات في إقامة الأمر والنهي الشرعيين، مع حصولهما بفعل المأمور وترك المحظور، فإذا حصلت بغير الأسباب الشرعية فهي مذمومة، وإن حصلت بالأسباب الشرعية لكن استعملت ليتوصل بها إلى محرم كانت مذمومة، وإن توصل بها إلى مباح، لا يستعان بها على طاعة كانت للأبرار دون المقربين، وأما إن حصلت بالسبب الشرعي واستعين بها على فعل الأمر الشرعي فهذه خوارق المقربين السابقين"(٤).

والولاية التي ينسبها محمد بن جعفر الكتاني لمن لا يستحقها لا بد أن تكون مضبوطة بضوابط الكتاب والسنة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله-:"وقال غير واحد من الشيوخ والعلماء: لو رأيتم الرجل يطير في الهواء ويمشي على الماء فلا تغتروا به حتى تنظروا وقوفه عند الأمر والنهي، ومثل هذا كثير في كلام المشائخ والعارفين وأئمة الهدى.

وأفضل أولياء الله عندهم أكملهم متابعة للأنبياء، ولهذا كان الصديق أفضل الأولياء بعد النبيين، فما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل من أبي بكر؛

---

(١) هو: عبد الله بن أبي زيد القيرواني، أبو محمد، سلفي مالكي، من من مؤلفاته: الرسالة، الجامع، وغيرهما توفي عام٣٨٦هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠)، شذرات الذهب (٤/ ٤٧٧).

(٢) النبوات (١/ ١٣٠-١٣١)، وينظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات (٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٦١٠)، وينظر الفرقان (١٠٢-١١٠).

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٩٩-٥٠٠).

لكمال متابعته، وهم كلهم متفقون على أنه لا طريق للعباد إلى الله إلا باتباع الواسطة الذي بينهم وبين الله وهو: الرسول-صلى الله عليه وسلم-.

ولكن دخل في طريقهم أقوام ببدع وفسوق وإلحاد، وهؤلاء مذمومون عند الله وعند رسوله وعند أولياء الله المتقين-وهم صالحوا عباده-، مثل من يظن أن لبعض الأولياء طريقا إلى الله بدون اتباع الرسول، أو يظن أن من الأولياء من يكون مثل النبي أو أفضل منه، أو أنه يكون من هو خاتم الأولياء أفضل من السابقين الأولين، أو أعلم بالله من خاتم الأنبياء، وأمثال هذه المقالات التي تقولها من دخل فيهم من الملاحدة الضالين ومن هذا الوجه صار قوم متصوفون يتفلسفون"(١).

فليس للولاية طريق غير طريق النبوة، و"كل من بلغه رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- لا يكون وليا لله إلا باتباع محمد -صلى الله عليه وسلم-، وكل ما حصل له من الهدى ودين الحق هو بتوسط محمد -صلى الله عليه وسلم-، وكذلك من بلغه رسالة رسول إليه لا يكون وليا لله إلا إذا اتبع ذلك الرسول الذي أرسل إليه، ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغتهم رسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- من له طريق إلى الله لا يحتاج فيه إلى محمد فهذا كافر ملحد، وإذا قال: أنا محتاج إلى محمد في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، فهو شر من اليهود والنصارى الذين قالوا : إن محمدا رسول إلى الأميين دون أهل الكتاب، فإن أولئك آمنوا ببعض وكفروا ببعض فكانوا كفارا بذلك.

وكذلك هذا الذي يقول إن محمدا بعث بعلم الظاهر دون علم الباطن، آمن ببعض ما جاء به وكفر ببعض، فهو كافر وهو أكفر من أولئك؛ لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها وأحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة، وهذا أشرف من العلم بمجرد أعمال الإسلام الظاهرة.

فإذا ادعى المدعي أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- إنما علم هذه الأمور الظاهرة دون حقائق الإيمان، وأنه لا يأخذ هذه الحقائق عن الكتاب والسنة فقد ادعى أن بعض الذي آمن

---

(١) الرد على المنطقيين (٥١٥-٥١٦).

به مما جاء به الرسول دون البعض الآخر، وهذا شر ممن يقول: أؤمن ببعض وأكفر ببعض، ولا يدعي أن هذا البعض الذي آمن به أدنى القسمين"(١).

" وتجد كثيرا من هؤلاء عمدتهم في اعتقاد كونه وليا لله أنه قد صدر عنه مكاشفة في بعض الأمور، أو بعض التصرفات الخارقة للعادة، مثل أن يشير إلى شخص فيموت، أو يطير في الهواء إلى مكة أو غيرها، أو يمشي على الماء أحيانا، أو يملأ إبريقا من الهواء، أو ينفق بعض الأوقات من الغيب، أو أن يختفي أحيانا عن أعين الناس، أو أن بعض الناس استغاث به وهو غائب أو ميت فرآه قد جاءه فقضى حاجته، أو يخبر الناس بما سُرق لهم، أو بحال غائب لهم أو مريض أو نحو ذلك من الأمور، وليس في شيء من هذه الأمور ما يدل على أن صاحبها ولي لله، بل قد اتفق أولياء الله على أن الرجل لو طار في الهواء أو مشى على الماء لم يغتر به حتى ينظر متابعته لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- وموافقته لأمره ونهيه، وكرامات أولياء الله تعالى أعظم من هذه الأمور، وهذه الأمور الخارقة للعادة وإن كان قد يكون صاحبها وليا لله فقد يكون عدوا لله، فإن هذه الخوارق تكون لكثير من الكفار والمشركين وأهل الكتاب والمنافقين، وتكون لأهل البدع وتكون من الشياطين، فلا يجوز أن يظن أن كل من كان له شيء من هذه الأمور أنه ولي لله، بل يعتبر أولياء الله بصفاتهم وأفعالهم وأحوالهم التي دل عليها الكتاب والسنة ويعرفون بنور الإيمان والقرآن وبحقائق الإيمان الباطنة وشرائع الإسلام الظاهرة"(٢).

- ختم الولاية:

يذكر محمد بن جعفر الكتاني بأن ابن عربي هو خاتم الأولياء، حيث يقول عنه: "وقد أشار في غير ما كتاب من كتبه نظما ونثرا إلى أنه خاتم الولاية المحمدية الخاصة، وأقر ذلك غير واحد من العارفين"(٣).

ويُقره على ختم الولاية المحمدي الخاص، وختم الولاية العام، حيث يقول: "ختم الولاية المحمدي الخاص لا في كل زمان، بل في الدنيا كلها من لدن آدم إلى النفخ في الصور، يختم الله

(١) مجموع الفتاوى (١١/٢٢٥-٢٢٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/٢١٢-٢١٣).

(٣) جلاء القلوب (١/١٦).

به الولاية المحمدية الخاصة الحاصلة من الإرث المحمدي، فلا يوجد بعده ولي على قلب خاتم الرسل، ولا وارث بعده للولاية المحمدية الخاصة، وهو الختم الأكبر الذي ذُكر أنه الشيخ الأكبر...

وختم الولاية من حيث إنها ولاية، فلا ولي بعده أصلا، وليس بعده إلا القيامة، قيل وهو خاتم الأولاد الذي ذكر الشيخ الأكبر... لكن في الفتوحات في مواضع منها ما هو صريح في أن الختم العام وختم الولاية المطلقة وعلى الإطلاق والعامة، من آدم إلى آخر ولي هو عيسى -عليه السلام-"(١).

كما نسب ختم الولاية إلى غيره، فقال عن ابن عمه محمد بن عبد الكبير الكتاني: "شاع عنه أنه ينتسب لمقام الختمية الكبرى، الواسطة بين الولاية والنبوة والممد لجميع الأولياء، من لدن آدم إلى النفخ في الصور، ...وهذا المقام انتسب إليه غير واحد من الأكابر العظام، كالشيخ محيي الدين ابن عربي الحاتمي، وأقره عليه جماعة كثيرة من بعده، ... وكالشيخ سيدي أحمد بن محمد التيجاني، وكتب أصحابه كلها مملوءة بأنه الختم الأكبر لا غيره، مع أنه مقام واحد لا تعدد فيه، والمتعدد إنما هو ما دونه من باقي الأختام"(٢).

وقال في بيان خاتم الأولياء: "والخاتم في عرفهم: هو الذي يختم الله به الولاية المحمدية، فلا يكون في الأولياء المحمديين أكبر منه، وحينئذ فهو القطب الجامع الذي عليه المدار"(٣).

وقال: "والختم كما أشار إليه ابن عربي في الفتوحات ختمان: ختم الولاية العام، وختم الولاية المحمدية.

فالأول: يكون على يد عيسى -عليه السلام- لا يوجد بعده ولي.

والثاني: يكون في كل زمان، يختم الله به الولاية التي تحصل من الإرث المحمدي، فلا يكون في الأولياء المحمدين أعلى مقاما منه، وإليه الإشارة بقوله في الفصوص: وخاتم الأولياء

---

(١) جلاء القلوب (٢/٢٧٦-٢٧٨)، وينظر المرجع نفسه (٢/٢٨٤).

(٢) النبذة اليسيرة النافعة (٢٢٧-٢٢٨).

(٣) سلوة الأنفاس (١/١٤٦).

الوارث الآخذ عن الأصل، المشاهد للمراتب، وهو حسنة من حسنات خاتم الرسل سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم-"(١).

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج غلاة المتصوفة في القول بختم الولاية كابن عربي وغيره (٢)، وما قرره في هذه المسألة باطل من عدة أوجه:

-أن هذه العقيدة لم يأت بها كتاب الله ولا سنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-، كذلك لفظ خاتم الأولياء باطل لا أصل له، وإنما ابتدعه الحكيم الترمذي(٣) في القرن الثالث، لمّا صنف كتابه: "ختم الولاية" مضاهيًا بذلك القول بختم النبوة، وقد أنكره عليه المسلمون ذلك.

-أن أولياء الله في الحقيقة هم المؤمنون المتقون، الذين قال تعالى عنهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝﴾ [سورة يونس:63-62]، فأولياء الله هم الذين آمنوا به ووالوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض(٤)، وما قرره مبتدع لا دليل عليه، بل هو مخالف لنص الآية.

-أن "خاتم الأولياء في الحقيقة آخر مؤمن نقي يكون في الناس، وليس ذلك بخير الأولياء، ولا أفضلهم، بل خيرهم وأفضلهم أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- ثم عمر اللذان ما طلعت شمس ولا غربت على أحد بعد النبيين والمرسلين أفضل منهما"(٥).

- أن عقدة ختم الولاية عند الصوفية مبنية على ثلاثة أمور كلها باطلة:

---

(١) المرجع السابق (٣٧٧/١).

(٢) ينظر: ختم الأولياء للحكيم الترمذي (٢٨)، الفتوحات المكية (١٩٥/٤)، مجموع الفتاوى (٣٧٣/١١).

(٣) هو: محمد بن علي بن الحسين الترمذي، الملقب بـ الحكيم الترمذي، أبو عبد الله أحد أعلام التصوف في القرن الرابع الهجري، نُفي من ترمذي وحكم عليه بالكفر بسبب كتابه: ختم الولاية، وتفضيله للولاية على النبوة، ومن مؤلفاته: تذكرة الأولياء، نوادر الأصول في أحاديث الرسول، توفي سنة ٣٢٠هـ، ينظر: طبقات الصوفية للسلمي (١٧٥)، لسان الميزان لابن حجر (٣٨٧/٧)، الأعلام (٢٧٢/٦)، ينظر: الصفدية (٢٤٨).

(٤) ينظر: الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (ص٧-٨)، مجموع الفتاوى (٣٦٣/١).

(٥) مجموع الفتاوى (٤٤٤/١١).

الأول: أنه كما أن للأنبياء نبيا خاتما لهم، فكذلك للأولياء ولي خاتم لهم، وكما أن خاتم الأنبياء أفضل من جميع الأنبياء، فكذلك خاتم الأولياء هو أفضل من جميع الأولياء(١)، وفي هذا تسوية بين الولي والنبي، وهذا باطل مردود بفضل الأنبياء على كل أحد.

الثاني: أن النبي إنما أتى بشريعة ظاهرة، وخاتم الأولياء جاء بشريعة باطنة، فخاتم الأولياء في الظاهر مع النبي وفي الباطن مستقل عن النبي(٢)، وهذا باطل ببطلان القول بالظاهر، والباطن، والحقيقة، والشريعة.

الثالث: أن الولي والنبي بينهما فرق من جهة أن النبي جاءه الوحي اختيارا من الله – عز وجل –، وأما خاتم الأولياء ففاض عليه الوحي(٣)، وهذا باطل لانقطاع الوحي، وبطلان وحي الأولياء وكشفهم كما سبق.

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني وموافقته لما قرره غلاة المتصوفة.

---

(١) ينظر: خاتم الأولياء للحكيم الترمذي (٢٩، ٣٣)، الفتوحات المكية (٢/٤٩، ٤/١٩٥)، فصوص الحكم فصوص الحكم (١٣٦)، الرد على المنطقيين (٣٠٢).

(٢) ينظر: خاتم الأولياء للحكيم الترمذي (٤١)، الفتوحات المكية (٢/٤٩)، الرد على المنطقيين (٣٠٢).

(٣) ينظر: خاتم الأولياء للحكيم الترمذي (٣٤)، الفتوحات المكية (٢/٤٩).

المبحث الثالث

آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان باليوم الآخر

وفيه ثلاثة مطالب:

- الأول: آراؤه في اليوم الآخر وأشراط الساعة.
- الثاني: آراؤه في الحياة البرزخية.
- الثالث: آراؤه في مسائل اليوم الآخر.

المبحث الثالث: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان باليوم الآخر

المطلب الأول: آراؤه في معنى الإيمان باليوم الآخر وأشراط الساعة

أولا: رأيه في معنى الإيمان باليوم الآخر:

المراد باليوم الآخر: يوم القيامة الذي يبعث الناس فيه؛ للحساب والجزاء، ويدخل فيه كل ما كان مقدمة إليه، كالحياة البرزخية، وأشراط الساعة(١).

يقول شيخ الإسلام رحمه الله: «ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم مما يكون بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر، وبعذاب القبر وبنعيمه»(٢).

وسمي بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، فهو« آخر أيام الدنيا أو آخر الأزمنة المحدودة»(٣).

واليوم الآخر له أسماء أخرى ذكرها أهل العلم، وأوردوا أدلتها، وبينوا معانيها، بما يغني عن تسطيره(٤).

وبنحو هذا عرفه محمد بن جعفر الكتاني، فمما قاله:" يوم القيامة: هو يوم البعث والحشر، سُمِّي بذلك لقيام الناس فيه، قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٦﴾ [سورة المطففين:4-6]" (٥).

---

(١) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٣٩٤/١)، المنهاج في شعب الإيمان (٣٣٦/١)، مجموع الفتاوى (١٤٥/٣)، فتح الباري (١١٨/١)، معارج القبول (٧٠٣/٢)، مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٢٧/٥).

(٢) مجمع الفتاوى (١٤٥/٣).

(٣) فتح الباري (١١٨/١).

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (٥١٦/٤)، فتح الباري (٣٩٦/١١)، التذكرة في شرح أحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (٥٤٤/٢-٥٧٩).

(٥) شرح على دلائل الخيرات (ل ٢١).

وقال: "والقيامة: أصله: قوامة؛ بالواو بدل الياء؛ لأنه في الأصل مصدر قام الخلق من قبورهم، يقومون، قَوْمًا، وقَوْمةً، وقيامًا، وقيامة، فوقعت الواو عينًا لمصدر فعلٍ أُعلّت فيه، وقبلها كسرة، وبعدها ألف، فوجب قلبها من أجل ذلك ياءً، فصار: قيامة"(١).

وقال:" يوم القيامة هو: يوم البعث والنشور، وله نحو من مائة اسم"(٢)، وقال: "يوم القيامة: هو يوم البعث، سمِّي بذلك لأنه يقوم فيه الناس لربِّ العالمين"(٣).

وقال في الإيمان باليوم الآخر:" وهو مما يجب الإيمان -أي: التصديق- به، وأنَّه حقٌّ؛ لثبوته كتابًا وسنَّةً وإجماعًا، كما يجب الإيمان بكل ما أخبر الشارع بوقوعه بعد الموت؛ من سؤال الملكين، وعذاب القبر أو نعيمه، والحشر، والنشر، والحساب، وأخذ الصحف باليمين أو بالشمال، والصراط، والحوض، والشفَّاعة، والرؤية، والجنة والنار؛ لورود الأحاديث المتواترة بذلك كلِّه، وانعقاد الإجماع ممَّن يعتدُّ بإجماعه عليه، وبعضه مصرَّح به في القرآن"(٤).

وقال في أحوال الآخرة:" فهذا لا مجال للعقل فيه"(٥).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني في معنى اليوم الآخر هو الحق الموافق لما قرره أهل اللغة والسلف الصالح، فهو يوم يجب الإيمان والتصديق به وأنه حق؛ لأنه ثابت بالكتاب والسنة والإجماع؛ ولأن الإيمان باليوم الآخر هو الركن الخامس من أركان الإيمان، الذي لا يصح إيمان عبد حتى يقر به، وقد حكم الله بالكفر على من أنكره ولم يؤمن به، قال تبارك وتعالى: *قال تعالى:* ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [سورة النساء:١٣٦].

والإيمان باليوم الآخر يقتضي الإيمان بكل ما ورد من أخبار ذلك اليوم وما يتعلق به، كما قرر ذلك السلف الصالح، وتبعهم عليه محمد بن جعفر الكتاني، فيدخل في ذلك الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه،

---

(١) ختم صحيح البخاري (ل ٤).
(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل ٥٤).
(٣) ختم صحيح البخاري (ل ٥).
(٤) المرجع السابق (ل ١٥).
(٥) حاشية على شرح ميارة (ل ٥٤/أ).

وبالنفخ بالصور، وخروج الخلائق من القبور، وبالجزاء، والحساب، وما في موقف يوم القيامة من الأهوال، وتفاصيل المحشر ونشر الصحف، والحساب والميزان والحوض، والجنة والنار وغير ذلك(١).

ولا يحصل الإيمان باليوم الآخر حتى يطمئن القلب إلى ما أخبر الله وصدّق به؛ «فهذه الطمأنينة أصل أصول الإيمان التي قام عليه بناؤه، ثم يطمئن إلى خبره عما بعد الموت من أمور البرزخ وما بعدها من أحوال القيامة حتى كأنه يشاهد ذلك كله عيانا، وهذا حقيقة اليقين الذي وصف به سبحانه وتعالى أهل الإيمان حيث قال: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [سورة البقرة:٤].

فلا يحصل الإيمان بالآخرة حتى يطمئن القلب إلى ما أخبر الله سبحانه به عنها طمأنينته إلى الأمور التي لا يشك فيها ولا يرتاب، فهذا هو المؤمن حقا باليوم الآخر»(٢).

إلا أن محمد بن جعفر الكتاني قرر كشف بعض مدعي الولاية عن أمور الآخرة وأحوال البرزخ، ومن ذلك قوله عن بعضهم: "وأخبرني –رحمه الله– في مرضه الذي توفي فيه أنه كُشف له عن حال البرزخ، فرأى فيه أرواح المؤمنين، كل روح في ثقب فيه، ... وسمع في أولاد المؤمنين يقرؤون القرآن في ألواحهم، كحالهم حين يكونون في المكتب، وأنه كشف له عن النار فرآها ظلمة"(٣).

وقال عن آخر: "كان يخبر عن ثمار الجنة وأحوالها خبر من عاينها، فيتكلم في ذلك بما لم يسمع من غيره، ومما كان يذكر من ذلك: أن المقروض وهو طعام معروف يتخذ من لباب القمح بالسمن والعسل والزيت، في الجنة في الشجر"(٤).

وعن آخر قوله: "كانت تعتريه الأحوال في الآخرة، فيخبر عنه أمور غيبية، وينسب لنفسه رؤية النبي–صلى الله عليه وسلم–، ورؤية مولانا إدريس"(١).

---

(١) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٣٩٤/١)، المنهاج في شعب الإيمان (٣٣٦/١)، مجموع الفتاوى (١٤٥/٣)، معارج القبول (٧٠٣/٢)، مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٢٧/٥).

(٢) الروح (٢٢١).

(٣) سلوة الأنفاس (١٨٦/١).

(٤) المرجع السابق (٣٢٥/٢).

مع أن أمور الآخرة قد استأثر الله بحقائقها، ولا مجال للعقل فيها كما قرر الكتاني بنفسه، حيث قال في أحوال الآخرة:" فهذا لا مجال للعقل فيه"(٢).وما قرره باطل ببطلان الكشف الصوفي.

- علم الساعة:

محمد بن جعفر الكتاني لما قرر اختصاص النبي-صلى الله عليه وسلم- بعلم الغيب تبعا لما قرره في حقيقته المحمدية ووحدة الوجود، قرر كذلك إحاطة علم النبي-صلى الله عليه وسلم- بوقت الساعة وأشراطها، وأنه لم يخرج من الدنيا حتى أطلعه الله على وقتها، وقال:" وهذا هو مذهب المحققين من العلماء، وجزم به كثير من أرباب الخصوصية والأولياء، وهو الحق الذي لا مرية فيه لمنصف، ولا يعدل عنه بعد الوقوف على ما في هذه الرسالة إلا متوان أو مستغفل"(٣).

وقال في شمول علمه-صلى الله عليه وسلم-:" ومما يدخل في ذلك معرفته بالأهوال المستقبلة، والفتن الحادثة، وأشراط الساعة الكبرى، كوقت خروج المهدي، ونزول عيسى، وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك، كل ذلك لا يخفى عنه-عليه السلام-أصلا"(٤).

بل قرر بأن بعض الأولياء كُشف عنهم فاتسع علمهم بالغيب حتى علموا اليوم الذي تقوم فيه الساعة، ومما قاله: "وكذلك القول في علم الساعة وإن اطلع الله تعالى عليه بعض أوليائه فغايته أن يطلعه على اليوم الذي تقوم فيه، لا الوقت التي تقوم فيه من ذلك القرن، فإنه مستور عنه"(٥).

---

(١) سلوة الأنفاس (١/٣٢٦).

(٢) حاشية على شرح ميارة (ل ٥٤/أ).

(٣) جلاء القلوب (١/١٩٢)، وينظر المرجع نفسه (١/١٩٤).

(٤) جلاء القلوب (١/٢٠٦)، وينظر المرجع نفسه (١/٢١٩).

(٥) جلاء القلوب (١/٢١٣).

وذكر أن تحاشي بعض من يدعي الولاية عن دعوى شيء من الخمس الواردة في الآية ومنها الساعة، إنما هو أدبا مع الله، وعبودية له، وإبقاء لسور الشريعة حتى لا يدعي هذا المقام من ليس من أهله، فيحصل الضلال، حيث قال:" وأقول تحاشي الجمهور من الأولياء عن دعوى شيء من الخمس إنما هو أدبا مع الله تعالى وعبودية له وإبقاء لسور الشريعة مخافة أن يدعي هذا المقام من ليس من أهله فينهدم ويحصل الضلال والعياذ بالله تعالى"(١).

النقد:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني مخالف لنصوص الكتاب والسنة، ومخالف لما قرره سلف الأمة، فقد جائت النصوص على استئثار الله تعالى وحده بوقت الساعة، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّيۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَۚ ثَقُلَتْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةًۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ١٨٧**﴾ [سورة الأعراف:١٨٧]، أي لا يعلمون أن علمها عند الله تعالى، وقد أكد الله تعالى أن علمها عنده وحده في جمل أربع، وهي قوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي**﴾، وقوله: ﴿**لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ**﴾، وقوله: ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ**﴾ وهذا التأكيد أفاد اختصاص علمها بالله -عز وجل- بدلالة الحصر التي هي من أقوى دلالات الاختصاص، أما الجملة الرابعة فهي قوله: ﴿**لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً**﴾ لخفائها عنهم، واستئثار الله بعلمها، والمباغتة لا تكون في الشيء المعلوم.

وقوله- عز وجل- مخاطبا نبيه-صلى الله عليه وسلم-: ﴿**يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَاۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ**﴾، أي: كأنك عالم بها، لكنك لست تعلمها ﴿**قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ**﴾(٢).

وهذه الآية صريحة في استئثار الله عز وجل بوقت الساعة، وعدم علم النبي-صلى الله عليه وسلم-بها، يقول ابن كثير-رحمه الله-: "فهذا النبي الأمي سيد الرسل وخاتمهم محمد- صلوات الله عليه وسلامه- نبي الرحمة، ونبي التوبة، ونبي الملحمة، والعاقب والمقفي، والحاشر

---

(١) المرجع السابق (٢١٤/١).

(٢) ينظر: جامع البيان (٢٩٤/١٣-٣٠١)، تفسير القرآن العظيم (٥١٨/٣-٥٢٠).

الذي تحشر الناس على قدميه، مع قوله فيما ثبت عنه في الصحيح من حديث أنس وسهل بن سعد، -رضي الله عنهما-: ((**بعثت أنا والساعة كهاتين**)) (١)، وقرن بين إصبعيه السبابة والتي تليها، ومع هذا كله، قد أمره الله تعالى أن يرد علم وقت الساعة إليه إذا سئل عنها، فقال: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾** ﴾ [سورة الأعراف:١٨٧]" (٢).

وقد قال النبي-صلى الله عليه وسلم-في حديث جبريل عندما سأله عن الساعة بقوله: أخبرني عن الساعة، قال: ((**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**)) (٣)، قال: فاخبرني عن أماراتها؟ فأخبره بشيء منها، فقوله -صلي الله عليه وسلم-: ((**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**))، يعني أن علمي وعلمك فيها سواء، فلستُ أعلم بها منك حتى أخبرك، فإذا كنت لا تعلمها فأنا لا أعلمها، فانتفى علمها عن أفضل الرسل من الملائكة، وأفضل الرسل من البشر -عليهما الصلاة والسلام-.

وروى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله-رضي الله عنهما-قال: سمعت النبي-صلى الله عليه وسلم-يقول قبل أن يموت بشهر: ((**تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة**)) (٤).

وهذا الحديث ينفي احتمال أن يكون النبي-صلى الله عليه وسلم-علمها بعد سؤال جبريل عنها، يقول ابن القيم-رحمه الله-:" وقد جاهر بالكذب بعض من يدعي في زماننا العلم، وهو يتشبّع بما لم يعط، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يعلم متى تقوم الساعة.

قيل له: فقد قال في حديث جبريل: ((**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**)) فحرفه عن موضعه، وقال: معناه: أنا وأنت نعلمها، وهذا من أعظم الجهل وأقبح التحريف، والنبي -

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: قول النبي-صلى الله عليه وسلم-(بعثت أنا والساعة كهاتين)، رقم (٦١٣٨).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٥٢٣/٣).

(٣) سبق تخريجه (٥٩٣).

(٤) سبق تخريجه (ص٦٢٩).

صلى الله عليه وسلم- أعلم بالله من أن يقول لمن كان يظنه أعرابيا: أنا وأنت نعلم الساعة، إلا أن يقول هذا الجاهل إنه كان يعرف أنه جبريل، ... وإنما علم النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه جبريل بعد مدة، كما قال عمر: فلبثت مليا، ثم قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**يا عمر أتدري من السائل**))، والمحرف يقول: علم وقت السؤال أنه جبريل ولم يخبر الصحابة بذلك إلا بعد مدة ! ثم قوله في الحديث: ((**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**)) يعم كل سائل ومسؤول، فكل سائل ومسؤول عن هذه الساعة شأنهما كذلك"(١).

فما قرره محمد بن جعفر الكتاني بعلم النبي أو بعض من يدعي الولاية بوقتها أو بيومها، باطل مخالف للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

ثانيا: آراؤه في أشراط الساعة:

أشراط الساعة: هي العلامات والآيات التي تسبق قيام الساعة وتدل على قربها(٢).

يقول الجوهري: " والشرط بالتحريك: العلامة، وأشراط الساعة: علاماتها"(٣).

ويقول الحليمي-رحمه الله-(٤): " أما انتهاء الحياة الأولى فإن له مقدمات تسمى أشراط الساعة، وهي أعلامها"(٥).

وقد اختلفت عبارات أهل العلم في تقسيمها، وتعددت مناهجهم في ذكرها(٦)، والمشهور تقسيمها إلى قسمين:

---

(١) المنار المنيف (٨١-٨٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق (٧٩/١٣).

(٣) الصحاح، مادة (شرط): (١١٣٦/٣).

(٤) هو: الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الفقيه، أبو عبد الله، أشعري شافعي، من مؤلفاته: المنهاج في شعب الإيمان، آيات الساعة وأحوال القيامة، توفي عام ٤٠٣هـ. ينظر: سير اعلام النبلاء (٢٣١/١٧)، شذرات الذهب (١٩/٥).

(٥) المنهاج في شعب الإيمان (٤٢٢/١).

(٦) ينظر: التذكرة للقرطبي (٦٢٤)، فتح الباري (٨٣/١٣-٨٤، ٤٨٥)، لوامع الأنوار البهية (٦٦/٢)، الاشاعة لأشراط الساعة، للبرزنجي (ص٢٧)، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، محمد صديق خان القنوجي (١٠٤ وما بعدها).

الأول: الأشراط الكبرى:

وهي العلامات التي تظهر قرب قيام الساعة، وإذا ظهر أولها تتابعت سريعا، وهي غير معتادة الوقوع، وقد ذكرها النبي-صلى الله عليه وسلم- في حديث حذيفة بن أسيد-رضي الله عنه-قال: "اطلع النبي -صلى الله عليه و سلم- علينا ونحن نتذاكر، فقال ما تذاكرون ؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: ((**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**))، فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم -صلى الله عليه و سلم- ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم"(١).

والثاني: الأشراط الصغرى:

وهي التي تتقدم قيام الساعة بأزمان متطاولة، وتكون في أصلها معتادة الوقوع، وهي كل ما عدا العشر الكبرى المتقدمة(٢).

وقد ذكر محمد بن جعفر الكتاني في كتابه"نظم المتناثر من الحديث المتواتر" تحت كتاب أشراط الساعة، جملة منها، وسأكتفي بالإحالة فيما أجمله، والتفصيل فيما فصله.

- **-الأشراط الصغرى:**
- **أما ما أجمله من الأشراط الصغرى، فقد قرر بأن من المتواتر:**
- حديث ((**بعثت أنا والساعهة كهاتيين**)) (٣)، وأشار بإصبعيه الوسطى والسبابة.
- وأحاديث الهرج والفتن في آخر الزمان(٤).

وأما ما فصله ونقل تقريرات أهل العلم فيه: فهو ظهور المهدي، وفيما يلي بيان ذلك:

ظهور المهدي:

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم (٢٩٠١).

(٢) ينظر: فتح الباري (١٣/٩١).

(٣) رواه مسلم، كتاب: الجمعة، باب: تخفيف الصلاة والخطبة، رقم (٨٦٧)، من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) ينظر: نظم المتناثر (٢٢٤-٢٢٥).

قرر محمد بن جعفر الكتاني تواتر الأحاديث بظهور المهدي الموعود المنتظر(١).، ونقل عن السفاريني قوله: "وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُد من معتقداتهم"(٢).

ثم ذكر بعض الأحاديث الواردة فيه عن جماعة من الصحابة، وقال بعدها: "وقد روي عمن ذكر من الصحابة وغير من ذكر منهم بروايات متعددة وعن التابعين من بعدهم مما يفيد مجموعة العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة"(٣).

وقال في المهدي:" وأحاديث المهدي بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار، وأنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت النبوي يؤيد الدين ويظهر العدل، ويتبعه المسلمون ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في بعض صلواته إلى غير ذلك، وللقاضي العلامة محمد بن علي الشوكاني اليمني -رحمه الله-رسالة سماها "التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح" قال فيها:[والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثاً في الصحيح والحسن والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يصدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة بالمهدي فهي كثيرة أيضاً، لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك](٤)، وانظره فقد ذكر أحاديثه وتكلم عليها.

---

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٢٨).

(٢) لوامع الأنور البهية (٨٤/٢).

(٣) المرجع السابق (٨٤/٢).).

(٤) نقل عنه ذلك حسن خان في الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، (١٥٠)، وبعد البحث فيما طبع من كتبه ومنها الفتح الرباني من فتاوى الشوكاني لم أجدها.

وفي الصواعق لابن حجر الهيتمي ما نصه : [قال أبو الحسين الإبري قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى -صلى الله عليه وسلم- بخروج المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسى -صلى الله على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام- فيساعده على قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه] (١) اهـ" (٢).

وقال:"وقد أخبر عن وقت ولادة المهدي ووقت ظهوره ومبايعته أقوام بطريق الحساب والعد لآيات ذكروها، وآخرون بطريق الاستنباط والأخذ من جفريات أو رياضات نظروها، وآخرون بما لاح لهم من كشف خيالي أو إلهام أو بمرائي رئيت في المنام، واتضح الآن خلاف ذلك كله بالتمام، هو لم يثبت لأحد فيما رأينا فيه كلام، فالرجوع فيه وفي غيره من أشراط الساعة الكبرى إلى عالم السر كله أولى وأسلم وأبرأ، إلا أن الأمر قد قرب وحان، وزمانه قد أظلّ وبان، فليُعمل على قربه، وليتوسل إلى الله تعالى في كشف ما قد حلّ بالمسلمين من بلاء هذا الوقت وكربه، إنه وليّ ذلك والمتضل على عباده بصرفها هنالك"(٣).

- **المناقشة:**

وردت الأحاديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم-بظهور المهدي، وتكاثرت في الدلالة على ذلك، واختلف الناس في ثبوتها، والمحققون من أهل العلم على تواترها كما قرر الكتاني ونقله عن بعض أهل العلم(٤).

" وقد اختلف الناس في المهدي على أربعة أقوال:

---

(١) الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي (٤٨٠/٢).

(٢) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٢٨).

(٣) جلاء القلوب (١٧٩/١).

(٤) وينظر: المنار المنيف (١٤٢)، الإشاعة في أشراط الساعة (١٧٥)، لوامع الأنوار البهية (٨٤/٢)، الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة لصديق حسن خان (١٤٩)، الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، حمود التويجري (ص٤٣)، اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، له (٢٩٠/٢)، عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي المنتظر، عبد المحسن العباد (١٣٠)، مجلة الجامعة الإسلامية، العدد الثالث، ١٣٨٨هـ.

أحدها: أنه المسيح ابن مريم وهو المهدي على الحقيقة، ... ولا يصح ولو صح لم يكن فيه حجة؛ لأن عيسى أعظم مهدي بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبين الساعة.

الثاني: أنه المهدي الذي ولي من بني العباس وقد انتهى زمانه،... وهذا...المهدي الذي تولى من بني العباس ليس هو المهدي الذي يخرج في آخر الزمان، بل هو مهدي من جملة المهديين، وعمر بن عبد العزيز كان مهديا بل هو أولى باسم المهدي منه.

القول الثالث: أنه رجل من أهل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- من ولد الحسن بن علي يخرج في آخر الزمان، وقد امتلأت الأرض جورا وظلما، فيملأها قسطا وعدلا وأكثر الأحاديث على هذا تدل.

الرابع: وهو أن المهدي هو محمد بن الحسن العسكري المنتظر من ولد الحسين بن علي، لا من ولد الحسن الحاضر في الأمصار الغائب عن الأبصار"(١)، وهو قول الرافضة الإمامية(٢).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني بشأن المهدي وأنه من نسل النبي-صلى الله عليه وسلم-، وأن خروجه قبل نزول عيسى -عليه السلام- موافق لما قرره السلف الصالح-رحمهم الله-(٣).

ورده على ما ادعى وقت ظهور المهدي بقوله: " فالرجوع فيه وفي غيره من أشراط الساعة الكبرى إلى عالم السر كله أولى وأسلم وأبرأ"(٤)، حق، ويرد بتقريره هذا على تقريره بعلم بعض مدعي الولاية بوقت الساعة وووقت أشراطها، فكما أن وقت ظهور المهدي من عالم السر، فكذلك وقت الساعة ووقت أشراطها، وهذا يدل على تناقضه.

- **-الأشراط الكبرى:**

- **أما ما قرره وأجمله من الأشراط الكبرى، فقد قرر بأن من المتواتر:**

---

(١) المنار المنيف (١٤٨-١٥٢)، وينظر: منهاج السنة (٢٥٤/٨).

(٢) ينظر: أصول الكافي للكليني (٣٢٨/١)، كتاب الغيبة للطوسي، (ص٦٥).

(٣) ينظر: التذكرة (٤٤٩/٢)، النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (٤٩/١)، الإشاعة في أشراط الساعة (١٧٥)، لوامع الأنوار البهية (٨٤/٢)، الإذاعة (١٥٠)، اتحاف الجماعة (٢٧٢/٢)، عقيدة أهل السنة والأثر في المهدي (١٢٦).

(٤) جلاء القلوب (١٧٩/١).

– أحاديث خروج المسيح الدجال، حيث قال:

" ذكر غير واحد أنها واردة من طرق كثيرة صحيحة عن جماعة كثيرة من الصحابة، وفي التوضيح للشوكاني منها مائة حديث، وهي في الصحاح والمعاجم والمسانيد، والتواتر يحصل بدونها فكيف بمجموعها، وقال بعضهم أخبار الدجال تحتمل مجلدات، وقد أفردها غير واحد من الأئمة بالتأليف، وذكر جملة وافرة منها في "الدر المنثور" لدى قوله قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [سورة غافر:٥٦] الآية فراجعه"(١).

وذكر بأن من المتواتر أحاديث نزول سيدنا عيسى –عليه السلام– قرب الساعة وحكمه في الناس، حيث يقول فيه:

" وقد ذكروا أن نزوله ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، والأحاديث في نزوله كثيرة، ذكر الشوكاني منها في التوضيح تسعة وعشرين حديثاً ما بين صحيح وحسن وضعيف منجبر، منها ما هو مذكور في أحاديث الدجال، ومنها ما هو مذكور في أحاديث المنتظر، وتنضم إلى ذلك أيضاً الآثار الواردة عن الصحابة، فلها حكم الرفع؛ إذ لا مجال للاجتهاد في ذلك.

والحاصل أن الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر متواترة، وكذا الواردة في الدجال، وفي نزول سيدنا عيسى ابن مريم –عليهما السلام–"(٢).

وذكر بأن من المتواتر أحاديث طلوع الشمس من مغربها(٣).

وأحاديث خروج الدابة، وقال:" وقد دل عليه أيضاً نص الكتاب في قوله: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ﴾ [سورة النمل:٨٢] وانعقد عليه إجماع العلماء –رضي الله عنهم–"(٤).

---

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٢٨-١٢٩)، ينظر الدر المنثور (٧/٢٩٤).

(٢) المرجع السابق (٢٣٠).

(٣) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٢٩).

(٤) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٣١).

وقرر بأن من المتواتر أحاديث خروج يأجوج ومأجوج، وقال:" وقد دل عليه أيضاً نص الكتاب في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ۝٩٦﴾ **[سورة الأنبياء:٩٦]** وانعقد عليه إجماع العلماء" (١).

وقد فصّل في الدخان، وقرر بأن الدخان من أشراط الساعة الكبرى، وقال: "حديث حذيفة بن أسيد الغفاري في أشراط الساعة، وأنها عشر، وذكر منها الدخان،... وهو من الآيات الكبرى المنتظرة"(٢).

ثم في تحريمه للدخان المشروب، قرر احتمال كونه من أشراط الساعة، وقرر-برأيه-أن القرآن الكريم دل على تحريمه بطريق الرمز والإشارة، ومما قاله:" وفي كلام بعض أرباب الإشارات من متأخري السادات، في قوله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ **[سورة الدخان:١٠]** الآية: إن هذه الآية قد يقال إنها تومئ بطريق الرمز والإشارة إلى ما وقع بعد في آخر الزمان من استعمال هذا الدخان، وإن قوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ **[سورة الدخان:١٠]** إشارة إلى المطر، وأنه تنبت به هذه العشبة في جميع البلاد، ويعم دخانها في كل ناد، ... وهذا المعنى وإن لم يجر عليه أحد من المفسرين فيما رأينا، لا يبعد و لا ينكر؛ بل يحتمل ممن سلم فكره ويُقر؛ لسعة فهم القرآن وسعة معانية وإشاراته الظاهرة والباطنة، ويؤكد ذلك أن فيها إيماء و رمزا إلى زمن ظهوره في البلاد الإسلامية، وذلك على رأس الألف من الهجرة النبوية عدد: ﴿ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ بالجمّل الكبير، وقد أشار إلى ذلك من قال قبل، وهو بعض السادات، ... ثم وجدت صاحب إرشاد الساري في تفسير سورة الروم، بعدما حكى في هذه الآية قولين، قول ابن مسعود ومن وافقه، أنها نزلت في قريش، وأن الدخان الذي فيها مضى في زمنه -عليه الصلاة والسلام-، وقول علي وابن عباس ومن وافقهما من الصحابة والتابعين، أنه لم يمض بعد، وأنه من الآيات المنتظرة، يعني قرب قيام الساعة، يأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام، وينفخ الكافر حتى ينقدّ، قال ما نصه: [وقال آخرون لم

(١) المرجع السابق (٢٣١).

(٢) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٣٦).

يمض الدخان بعد، بل هو من أمارات الساعة] [1]، ثم ذكر حديث حذيفة بن أسيد الغفاري في أشراط الساعة، وأنها عشر، وذكر منها الدخان، فظاهره أن هذا قول ثالث، وأنه غير الذي هو من الآيات الكبرى المنتظرة، فيكون دخانا آخر ثالثا هو من أشراط الساعة، غير الدخانين السابقين، وعليه فليس إلا هذا الدخان المشروب، وإن لم يحص من صاحب هذا القول تعيين له؛ لعدم وجوده في وقته، وعدم ظهور أنه المراد في ذلك الوقت، ويكون ما حكيناه مشارا إليه من صاحب هذا القول والله أعلم! "[2].

فقرر بأن الدخان المشروب من أشراط الساعة، ثم رد على من يقول بأنه من الأشراط الكبرى، ومما قاله: "هذا الدخان المشروب ليس منها، وإنما هو من الصغرى أو نقول الوسطى، فالمتجه عليه كافة العلماء من حمل الحديث على الدخان الذي ورد أنه يملأ ما بين المشرق والمغرب، وأنه يمكث في الأرض أربعين يوما، وذلك قريبا من قيام الساعة، فأما المؤمن فيصيبه منه شبه الزكام، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران، يخرج الدخان من فيه ومنخريه وعينيه وأذنيه ودبره، حتى يصير رأسه كالعجل الحنيذ أي المشوي، وهو المشار له بقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝﴾ [سورة الدخان:١٠] على أحد التأويلين فيها، ثم وجدته في "إرشاد الساري" في تفسير سورة الروم، حكى في الآية أقوالا ثلاثة، كما تقدم عنه ثالثها أنها في دخان لم يمض بعد، بل هو من أمارات الساعة، ثم ذكر بعده حديث حذيفة بن أسيد المذكور"[3].

- **النقد:**

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في كون أحاديث خروج المسيح الدجال، ونزول عيسى ابن مريم، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة من المتواتر، هو الحق الذي دلت الأدلة عليه، كما استدل الكتاني على ذلك من الكتاب والسنة والإجماع.

---

(١) إرشاد الساري (٢٨٧/٧).

(٢) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (٣٥-٣٦).

(٣) المرجع السابق (٤٥).

أما ما قرره في الدخان الذي يكون في آخر الزمان، فهو من علامات الساعة وأشراطها العظمى التي تكون قبل قيام الساعة، وقد دل عليه الكتاب والسنة، يقول الله عز وجل: ﴿**فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى النَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝**﴾ [سورة الدخان: ١٠-١٢].

والمعنى: انتظر يا محمد بهؤلاء الكفار يوم تأتي السماء بدخان بين واضح يغشى الناس ويعمّهم، وعند ئذ يقال لهم: هذا عذاب أليم، تقريعا لهم وتوبيخا، أو يقول بعضهم لبعض ذلك(١).

وقد جاء في حديث حذيفة بن أسيد في ذكر أشراط الساعة، وفيه ((**الدخان**)) (٢).

وجاء عن أبي هريرة-رضي الله عنه-: ((**بادروا بالأعمال ستا**)) (٣) وذكر فيه الآيات الكبرى ومنها الدخان.

وقد اختلف العلماء – رحمهم الله – في المراد بالدخان الوارد في الآية والأحاديث المتقدمة، على أقوال:

الأول: أن الدخان هو من الآيات المنتظرة التي لم تأت بعد، وسيقع قرب يوم القيامة، يدخل في أسماع الكفار والمنافقين، ويعتري المؤمنين منه كهيئة الزكام.

وإلى هذا ذهب علي بن أبي طالب وابن عباس وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم-، وغيرهم، وكثير من التابعين، كما ذهب إليه كثير من العلماء سلفا وخلفا (٤).

---

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٦)، تفسير ابن كثير (٢٤٧/٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في الآيات التي تكون قبل الساعة، رقم (٢٩٠١).

(٣) رواه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: في بقية من أحاديث الدجال، رقم (٢٩٤٧).

(٤) ينظر: النهاية في الفتن والملاحم (٢٢٤/١)، بهجة الناظرين وآيات المستدلين مرعي الكرمي (٢٩٤-٢٩٥)، الإذاعة (٢١٤)، إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (١٨٨/٣)، لوامع الأنوار البهية (١٣١/٢).

الثاني: أن هذا الدخان هو ما أصاب قريشا من الشدة والجوع عندما دعا عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- حين لم يستجيبوا له، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء، فلا يرون إلا الدخان.

وإلى هذا القول ذهب عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- ومن تبعه(١).

واستدلوا بما جاء عن مسروق بن الأجدع أن رجلا يحدث عن الدخان، فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ففزعنا، فأتيت ابن مسعود، وكان متكئا فغضب فجلس، فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله قال لنبيه -صلى الله عليه وسلم-: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [سورة ص:٨٦]، وإن قريشا أبطئوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: ((**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**))، فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض، كهيئة الدخان"(٢).

وقال ابن كثير-رحمه الله- عن هذا القول:" وقد نقل البخاري عن ابن مسعود أنه فسر ذلك [يعني: آية الدخان] بما كان لقريش من شدة الجوع، بسبب القحط الذي دعا عليهم به رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فكان أحدهم يرى كأن فيما بينه وبين السماء دخانا من شدة الجوع، وهذا التفسير غريب جدا، ولم ينقل مثله عن أحد من الصحابة غيره.

وقد حاول بعض العلماء المتأخرين رد ذلك ومعارضته بما ثبت في حديث أبي شريحة حذيفة بن أسيد: ((**لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات**))، فذكر فيهن الدجال والدخان والدابة، وكذلك في حديث أبي هريرة: ((**بادروا بالأعمال ستا**)) (٣) فذكر فيهن هذه الثلاث، والحديثان في صحيح مسلم مرفوعان، والمرفوع مقدم على كل موقوف.

---

(١) ينظر: جامع البيان (١٨/٢٢)، الجامع لأحكام القرآن (١٣٠/١٦)، تفسير ابن كثير (٢٤٧/٧)،

(٢) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: تفسير سورة الروم، رقم (٤٧٧٤)، ومسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: الدخان، رقم: (٢٧٩٨).

(٣) النهاية في الفتن والملاحم (٢٢٣/١-٢٢٤).

وفي ظاهر القرآن ما يدل على وجود دخان من السماء يغشى الناس، وهذا أمر محقق عام، وليس كما روي عن ابن مسعود أنه خيال في أعين قريش من شدة الجوع، قال الله تعالى: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠﴾ [سورة الدخان:١٠]، أي واضح جلي، وليس خيالا من شدة الجوع، ﴿ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ۝١٢﴾ [سورة الدخان:١٠-١٢]، أي ينادي أهل ذلك الزمان ربهم بهذا الدعاء، يسألون كشف هذه الشدة عنهم، فإنهم قد آمنوا وارتقبوا ما وعدوا من الأمور الغيبية الكائنة بعد ذلك يوم القيامة، حيث يمكن رفعه، ويمكن استدراك التوبة والإنابة، والله أعلم"(١).

ويقول مرعي الكرمي(٢) في بلوغ أحاديث أشراط الساعة الكبرى لابن مسعود-رضي الله عنهما- عندما فسّر آية الدخان: "ولعلها لم تبلغ ابن مسعود حين أنكر ذلك"(٣).

الثالث: ذهب بعض العلماء إلى الجمع بين هذه الآثار، فقالوا هما دخانان، ظهر أحدهما وبقي الآخر الذي سيقع في آخر الزمان، فأما الآية الأولى التي ظهرت فهي ما كانت قريش تراه كهيئة الدخان، وهذا الدخان غير الدخان الحقيقي الذي يكون عند ظهور الآيات التي هي من أشراط الساعة.

يقول القرطبي-رحمه الله-: "قال مجاهد: كان ابن مسعود يقول: هما دخانان قد مضى أحدهما، والذي بقي يملأ ما بين السماء والأرض ولا يجد المؤمن إلا كالزكمة، وأما الكافر فتثقب مسامعه "(٤).

فالظاهر أن ابن مسعود -رضي الله عنه- قد فسّر الآية بدخان قريش، مع إقراره بأن هناك دخان آخر لم يقع بعد، وهو شرط من أشراط الساعة.

---

(١) النهاية في الفتن والملاحم (٢٢٣/١-٢٢٤)، وينظر: تفسير ابن كثير (٢٤٩/٧).

(٢) هو: مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي المقدسي، من فقهاء الحنابلة المتأخرين، من مؤلفاته: أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات، دليل الطالب لنيل المطالب، توفي عام ١٠٣٣هـ. ينظر: الأعلام (٢٠٣/٧).

(٣) بهجة الناظرين وآيات المستدلين (٢٩٥).

(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١٢٦٧).

يقول الإمام ابن جرير الطبري - رحمه الله -: " وبعد فإنه غير منكر أن يكون أحل بالكفار الذين توعدهم بهذا الوعيد ما توعدهم، ويكون محلا فيما يستأنف بعد بآخرين دخانا على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عندنا كذلك؛ لأن الأخبار عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قد تظاهرت بأن ذلك كائن، فإنه قد كان ما روى عنه عبد الله بن مسعود، فكلا الخبرين اللذين رويا عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- صحيح"(١).

وقال النووي رحمه الله تعالى: ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار "(٢)، وعليه فلا منافاة بين الرأيين حينئذ -.

أما ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في الدخان فيمكن تفصيله بما يلي:

-تقريره بأن الدخان علامة من علامات الساعة الكبرى، موافق للكتاب والسنة، ولما قرره السلف الصالح.

-قوله بأن الدخان المشروب من علامات الساعة باطل؛ لما يلي:

-عدم وجود دليل من الكتاب والسنة يدل على أنه شرط من أشراط الساعة.

-أن هذا القول قول مبتدع لم يقل به أحد من علماء السلف الصالح -رضي الله عنهم-.

-ما ذكره عن إرشاد الساري، ونقله لقوله: [وقال آخرون: لم يمض الدخان بعد، بل هو من أمارات الساعة] (٣)، وأنه يعد قولا ثالثا، فيكون دخانا ثالثا، غير الدخانين السابقين، ليس بصواب؛ لأن هذا القول هو أحد الأقوال في هذه المسألة، وهو ما ذهب إليه أكثر السلف - كما سبق-.

-تفسيره لآية الدخان بالتفسير الإشاري، واستدلاله بأقوال أرباب الإشارات بأن هذه الآية تومىء بالرمز والإشارة إلى هذا الدخان المشروب تفسير باطل؛ لبطلان القول بالتفسير الإشاري-كما سبق بيانه-، فالتفسير الذي لا دلاله عليه من كتاب الله-عز وجل-، وسنة

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (١٩/٢٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢٧/١٨).

(٣) إرشاد الساري (٢٨٧/٧).

رسوله–صلى الله عليه وسلم– ولا إجماع، لا يحتج به، بل هو تفسير مردود غير مقبول، وهو تحريف للكلم عن مواضعه(١).

–أن تنزيل النصوص الشرعية المتعلقة بالفتن والملاحم على ما يقع من النوازل مع القطع بذلك دون شك ولا تردد؛ من القول على الله بغير علم، وهو خلاف منهج السلف الصالح، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ **[سورة الإسراء:٣٦]** (٢).

هذا ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في معنى الإيمان باليوم الآخر وأشراط الساعة، والله أعلم!

المطلب الثاني : آراؤه في الحياة البرزخية

البرزخ لغة كما يقول الجوهري: «البرزخ: الحاجز بين الشيئين»(٣).

وشرعا هو: «ما بين الدنيا والآخرة»(٤)، وقيل هو: «من وقت الموت إلى البعث، فمن مات فقد دخل البرزخ »(٥).

وقد عرض محمد بن جعفر الكتاني لبعض مسائل الحياة البرزخية، كفتنة القبر، وعذابه ونعيمه، وحقيقة الروح وما قرره هو ما قرره الأشاعرة الموافق في الجملة لما قرره أهل السنة والجماعة في هذا الباب(٦)، وفيما يلي بيان آراءه في ذلك:

فتنة القبر:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر كما يقول: " أحاديث سؤال الملكين الميت في القبر، وهو فتنته، ... قال ابن تيمية في الجواب عن عرض الأديان عند الموت لما تكلم فيه

---

(١) سبق بيان التفسير الإشاري ونقده، ينظر: الفصل الأول، المبحث الأول، في المطلب الثالث: القول بالحقيقة، والشريعة، والظاهر، والباطن.

(٢) ينظر: فقه أشراط الساعة محمد إسماعيل المقدم (٢٧٢).

(٣) الصحاح، مادة: (برزخ): (٤١٩/١) وينظر: لسان العرب (٨/٣)، القاموس المحيط (٣١٨).

(٤) الروح لابن القيم (٧٣).

(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (٤٧٧/١).

(٦) ينظر: الإرشاد (١٦٢)، نهاية الإقدام (٤٤٠)، غاية المرام (٢٩٩)، المواقف (٤٦٦/٣).

على فتنة القبور ما نصه: [وقد تواترت الأحاديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه الفتنة من حديث البراء بن عازب، وأنس بن مالك، وأبي هريرة وغيرهم -رضي الله عنهم-] اهـ(١).

وفي كتاب الروح لابن القيم قال: [أما أحاديث عذاب القبر ومسائله منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-](٢) ثم ذكر بعضها فانظره"(٣)، ثم نقل عن غيرهم في تقرير هذه المسألة.

ويقول في قول الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۝٢٧﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]:" يعني: في القبر عند سؤال منكر ونكير، هذا قول أكثر المفسرين، ... وسؤال القبر ثابت كتابًا وسنة، وفي نظم السيوطي -رحمه الله- المسمَّى "بالتثبيت":

اعلــم هـــداك الله للرشـــاد	**موفقًـــا لطـــرق الســـداد**
أن ســؤال الملكــين مــن قــبر	**فــرض والإيمــان بــه جــزم شــهر**
تــواترت بــه الأحاديــث الــتي	**قــد بلغــت ســبعين عنــد العــدة**
والآيــة الســؤال فيهــا كــامن	**يُثبِّـــت الله الـــذين آمنـــوا**

(٤)"(٥).

-المناقشة:

فتنة القبر: هي امتحان الميت واختباره بعد عود الروح إلى جسده وإقعاده(٦).

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٥٧).

(٢) الروح (٢٨٤).

(٣) نظم المتناثر (١٢٣-١٢٤).

(٤) التثبيت عند التبييت، للسيوطي (ص٥٩)، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٤١.

(٥) شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٥).

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٤/٢٥٧)، لوامع الأنوار البهية (٢/٣).

وقد تواترت الأحاديث عن النبي-صلى الله عليه وسلم- في هذه الفتنة، وأجمعت الأمة على وقوعها، والتعوذ بالله عز وجل منها [١]، وهي عامة لكل مميت مقبور وغير مقبور، وإضافتها للقبر للغالب[٢].

فعن البراء بن عازب-رضي الله عنه-عن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال: ((**المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴿٢٧﴾﴾ [سورة إبراهيم:٢٧]))[٣].

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- عن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: ((**العبد إذا وضع في قبره، وتولي وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة، قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: فيراهما جميعا، وأما الكافر - أو المنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**))[٤].

يقول أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-:" وأجمعوا على أن عذاب القبر حق، وأن الناس يفتنون في قبورهم"[٥].

---

(١) ينظر: رسالة إلى أهل الثغر (١٥٩).

(٢) ينظر: شرح الطحاوية (٥٧٩/٢)، شرح الصدور بشرح حال الموتى (١٤٤)، لوامع الأنوار البهية (٩/٢)، جمع التشتيت في شرح أبيات التثبيت للصنعاني (٨٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب: تفسير القرآن، باب: {يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت} [إبراهيم: ٢٧]، حديث رقم (٤٦٩٩)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت، حديث (٢٨٧١) واللفظ له.

(٤) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: الميت يسمع خفق النعال، حديث رقم (١٣٣٨)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت، حديث (٢٨٧٠).

(٥) رسالة إلى أهل الثغر (١٥٩).

إلا أن لغلو محمد بن جعفر الكتاني في مدعي الولاية أثر على الإيمان بالحياة البرزخية، فقد قرر بقوله في الزائر لقبور الأولياء: "إذا تشهد يجلس الولي في قبره متربعا اعتناء بقضاء حاجته، ويرد عليه جميع ما يقول حتى ينصرف"(١).

وقد رد عليه عبد الحي الكتاني فقال:" وإن تعجب فأعجب لقول صاحب "السلوة" عقب ما ذكر: إن الزائر إذا تشهد جلس الولي في قبره متربعًا اعتناء بقضاء حاجته، ويرد عليه جميع ما يقول حتى ينصرف.

فانظر هل إخباره بهذا بوحي، وأين هو، أو ممن حيي بعد الموت، أو ممن أجلس مع الميت ليلاحظ تتبع الماجريات، أو أخرج من القبر، أو عن خبال وتضليل؟ فالأمور التي كهذه تحتاج إلى الأخبار السمعية تعضّد بالمعقول"(٢).

عذاب القبر ونعيمه:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني بأن من التواتر كما يقول: "أحاديث عذاب القبر ونعيمه"(٣)، ونقل عن جملة ممن قرر تواترها، منها قوله:" وقال في إرشاد الساري نقلاً عن صاحب المصابيح قال: [وقد كثرت الأحاديث في عذاب القبر حتى قال غير واحد أنها متواترة لا يصح عليها التواطؤ، وإن لم يصح مثلها لم يصح شيء من أمر الدين] (٤)"(٥).

كما ذكر بأن من المتواتر: "أحاديث الاستعاذة من عذاب القبر، ... وقد تواترت الأخبار باستعاذة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بربه من عذاب القبر، واستفاض في الأدعية المأثورة ورواه غير واحد من الصحابة"(٦).

---

(١) سلوة الأنفاس (٣٢/١).

(٢) إعلام الحاضر والآت (ل ٣٣/أ).

(٣) نظم المتناثر (١٢٥).

(٤) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني (٤٦٠/٢).

(٥) نظم المتناثر (١٢٦).

(٦) المرجع السابق (١٢٦).

ونقل وقوع النعيم والعذاب على الروح كذلك، وفيه:" أما بعد الموت وقبل النفخ فلا خلاف بين المسلمين في بقائها منعمة أو معذبة، فقد بلغت النصوص المفيدة له مبلغ التواتر"(١).

-المناقشة:

عذاب القبر ونعيمه: هو ما يحصل للعبد في البرزخ في العذاب والنعيم، قال السيوطي ناقلا عن أهل العلم: «عذاب القبر هو عذاب البرزخ، أضيف إلى القبر لأنه الغالب، وإلا فكل ميت إذا أراد الله تعالى تعذيبه ناله ما أراد به قُبر أو لم يقبر، ... وكذا القول في النعيم»(٢).

وقد ثبت عذاب القبر بالكتاب والسنة والإجماع، حكى إجماعهم غير واحد من أهل العلم، منهم ابن قتيبة رحمه الله حيث يقول: «أصحاب الحديث كلهم مجمعون... على الإيمان بعذاب القبر»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «مذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل إثبات ...الثواب والعقاب في البرزخ- ما بين الموت إلى يوم القيامة -، هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع»(٤).

بل وأجمعو على وقوع العذاب والنعيم على الروح والبدن جميعا، وهذا موافق لما نقله الكتاني عن بعض أهل العلم.

يقول شيخ الإسلام رحمه اللهابن تيمية: «العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن والبدن

---

(١) نظم المتناثر (١٢٢).

(٢) شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور (١٨١)، وينظر: الروح (٥٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٦١٠/٢).

(٣) تأويل مختلف الحديث (١٦).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٦٢/٤).

متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن»(١).

ومما يشهد لذلك ويدل عليه الأحاديث الواردة في إعادة روح المقبور إلى بدنه عند السؤال-كما قرر الكتاني وذكر بأنها متواترة-واختلاف أضلاعه إذا لم يوفق للإجابة، وهي مخرجة من طرق مختلفة عن عدة من الصحابة(٢).

حقيقة الروح:

يرى محمد بن جعفر الكتاني بأن حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه؛ لأنها من شأن الله لا من شأن الخلق، وأن الخائضين في حقيقتها ليس بين أقوالهم قول صحيح، بل كلها تخييلات عقلية، وأن الذي عليه أهل الكشف أنها جوهر مجرد في غاية اللطافة، حيث يقول في قوله عز وجل: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ [سورة الإسراء:٨٥]:" للبخاري في العلم باب قول الله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ **[سورة الإسراء:٨٥]** عن عبد الله-يعني ابن مسعود-، قال: ((**بينا أنا أمشي مع النبي -صلى الله عليه وسلم- في خرب المدينة، وهو يتوكأ على عسيب معه، فمر بنفر من اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح؟ وقال بعضهم: لا تسألوه، لا يجيء فيه بشيء تكرهونه، فقال بعضهم: لسألنه، فقام رجل منهم، فقال يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت: إنه يوحى إليه، فقمت، فلما انجلى عنه، قال:** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ **[سورة الإسراء:٨٥]**)) (٣)...

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٨٢).

(٢) وينظر: إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، للبيهقي (٥٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب: العلم، باب: { وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾ **[سورة الإسراء:٨٥]**، حديث رقم (١٢٥)، واللفظ له ومسلم، كتاب: في صفة القيامة والجنة والنار، باب: سؤال اليهود النبي -صلى الله عليه وسلم- عن الروح، رقم: (٢٧٩٤)، من حديث ابن مسعود-رضي الله عنه-.

قال في إرشاد الساري: [ولم يبين الماهية لكونها مما استأثر الله بعلمها، ولأن في عدم بيانها تصديقًا لنبوّة نبينا -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-][(١)]، أي لأنهم قالوا إن فسرها فليس بنبي، وذلك أن في التوراة إن الروح مما انفرد الله بعلمه، ولا يطلع عليه أحد من عباده، فإذا لم يفسرها دل على نبوته، وعلى هذا معنى ﴿مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾، من شأنه لا من شأن غيره، أي أنها مما انفرد الله تعالى بعلمه، فمعرفتها من شأن الله لا من شأن الخلق، وهذا هو اختيار أكثر الفقهاء، ...

وفي فتح الباري [قال ابن بطال: قال بن بطال معرفة حقيقة الروح مما استأثر الله بعلمه، بدليل هذا الخبر] [(٢)]، يعني خبر ابن مسعود في سؤال النبي-صلى الله عليه وسلم- عن الروح، وذهبت طائفة إلى أنه تمكن معرفتها وإدراك حقيقتها لبعض الخواص"[(٣)]، إلى أن قال:

" وقد اختلف الخائضون فيها-أعني الروح-على نحو من ألف قول، وليس فيها قول صحيح، بل كلها قياسات فكرية وتخييلات عقلية، والذي عليه أهل الكشف والشهود فيها أنها ليست بجسم يحل بالبدن حلول الماء في الإناء، ولا بعرض يحل القلب والدماغ حلول السواد في الأسود، والعلم في العالم، وإنما هي جوهر مجرد روحاني في غاية اللطافة، غير متحيز ولا منقسم، ولا له صورة من ذاته، ولا هو داخل البدن ولا خارج عنه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا هو في جهة، فهو منزه عن الحلول في المحال والاتصال بالأجسام، والاختصاص بالجهات، وعن جميع عوارض الأجسام"[(٤)].

---

(١) إرشاد الساري (٢١٩/١).
(٢) فتح الباري (٤٠٣/٨).
(٣) جلاء القلوب (١٨٧/١-١٨٩).
(٤) جلاء القلوب (١٩٠/١-١٩١).

وذكر بأن من المتواتر كما يقول: "بقاء الأرواح وعدم فنائها بفناء الجسد"(١) ونقل أقوال بعض أهل العلم في تأييد قوله، كما نقل بأن الروح:" بعد الموت وقبل النفخ لا خلاف بين المسلمين في بقائها منعمة أو معذبة، فقد بلغت النصوص المفيدة له مبلغ التواتر"(٢).

وقرر كما يقول أن:" التنعم في الجنة حاصل للجسد والروح معًا، وأن التعذيب في النار كذلك"(٣).

وقرر بأن من المتواتر:" عود الروح للبدن وقت السؤال، نقل السيوطي في شرح الصدور عن ابن تيمية أن الأحاديث متواترة بذلك، قال: [وسؤال البدن بلا روح قول طائفة ... وأنكره الجمهور] (٤)"(٥).

وقرر -كما سبق- بأن الصواب هو كون النبي-صلى الله عليه وسلم- لم يخرج من الدنيا حتى أطلعه الله على الخمس الواردة في استئثار الله بعلمها، وحقيقة الروح، وقال: "وهذا هو مذهب المحققين من العلماء، وجزم به كثير من أرباب الخصوصية والأولياء، وهو الحق الذي لا مرية فيه لمنصف، ولا يعدل عنه بعد الوقوف على ما في هذه الرسالة إلا متوان أو مستغفل"(٦).

كما قرر بأن بعض الأولياء عنده علم بحقيقة الروح، لا كإحاطة الله لها، حيث قال عن الله:" هو الذي يعلمها علما إحاطيا شاملا لكلياتها وجزئياتها وجميع تفاصيلها، بحيث لا يشذ عن علمه شيء منها بخلاف غيره، فإنه وإن علمها، بل وأحاط علمه بها لا يحيط بها كإحاطته

---

(١) نظم المتناثر (١٢٢).
(٢) المرجع السابق (١٢٢).
(٣) شرح على دلائل الخيرات (٤٥).
(٤) شرح الصدور (١٤٧)، مجموع الفتاوى (٤٤٦/٥).
(٥) نظم المتناثر (١٢٤).
(٦) جلاء القلوب (١٩٢/١)، وينظر المرجع نفسه (٨/١، ١٩٤).

لله تعالى، ولا بد أن يشذ عنه شيء من التفاصيل، وهذا على قول من يقول إنه-عليه السلام- أحاط بالأشياء كلها علما، لكن إحاطته دون إحاطته تعالى"(١).

- **النقد:**

الروح: مأخوذة من الريح، وهي بالضم بمعنى النفس(٢).

يقول ابن فارس: «الراء والواو والحاء أصل كبير مطرد، يدل على سعة وفسحة واطراد، وأصل ذلك كله الريح، وأصل الياء في الريح الواو، وإنما قلبت ياء لكسرة ما قبلها. فالروح روح الإنسان، وإنما هو مشتق من الريح، وكذلك الباب كله»(٣).

وقد اختلف الناس في الخوض بحقيقة الروح، تبعا لاختلافهم في المراد بالروح التي وقع السؤال عنها في قوله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ **[سورة الإسراء:٨٥]**(٤)، فمن فسّر الآية بروح الإنسان التي بها حياته، أمسك عن الكلام فيها، ومن فسرها بغيرها، فقد سوغ الكلام في حقيقتها(٥).

وقد تعددت مذاهب العلماء في بيان حقيقة الروح وماهيتها، يقول السفاريني ﵀: «قد اختُلف في حقيقتها وهل هي النفس أو غيرها؟ وهل هي جزء من البدن، أو عرض من أعراضه أو جسم مساكن له مودع فيه أو جوهر مجرد؟ قد تكلم الناس في هذه المسائل من سائر الطوائف، واضطربت فيها أقوالهم وكثر فيها خطأهم، ومن الناس من أمسك عن الكلام والخوض فيها؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ **[سورة الإسراء:٨٥]**، الآية، وهدى الله أتباع الرسول وسلف الأمة وأهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

---

(١) جلاء القلوب (١٩٣/١)، وينظر ما بعدها.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (١٣٩/٥)، الصحاح (٣٦٧/١)، لسان العرب (٤٥٥/٢)، تاج العروس (٤٠٧/٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٤٥٤/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان (٧٥/١٥)، معالم التنزيل (١٢٥/٥)، جامع الأحكام (٣٢٣/١٠)، تفسير ابن كثير (١١٣/٥).

(٥) ينظر: فتح الباري (٢٢٤/١، ٤٠٢/٨-٤٠٤).

قال الإمام ابن القيم بعدما ساق أقوال الناس في حقيقة الروح، على اختلاف مذاهبهم وتباين آراءهم، وذكر عدة مذاهب وزيفها، ثم قال: [والصحيح أن الروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد، وسريان الدهن في الزيتون، والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكا بهذه الأعضاء، وأفادها هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط الغليظة عليها، وخرجت عن قبول تلك الآثار فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح، قال: وهذا القول هو الصواب في المسألة، وهو الذي لا يصح غيره، وكل الأقوال سواه باطلة وعليه دل الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأدلة العقل والفطرة، وذكر له مائة دليل وخمسة عشر دليلا وأجاد وأفاد]"[١].

ومحمد بن جعفر الكتاني يرى بأن حقيقتها مما استأثر الله بعلمه، وأن الخائضين في حقيقتها ليس بين أقوالهم قول صحيح، وهذا وإن كان مأثورا عن بعض أهل العلم، إلا أن جمهورهم على خلافه، وأكثرهم على ما قرره ابن القيم في تقريره السابق.

أما وصف الصوفية للروح الذي ذكره الكتاني عنهم، وقوله: "والذي عليه أهل الكشف والشهود فيها أنها ليست بجسم يحل بالبدن حلول الماء في الإناء، ولا بعرض يحل القلب والدماغ حلول السواد في الأسود، والعلم في العالم، وإنما هي جوهر مجرد روحاني في غاية اللطافة، غير متحيز ولا منقسم، ولا له صورة من ذاته، ولا هو داخل البدن ولا خارج عنه، ولا متصل به ولا منفصل عنه، ولا هو في جهة، فهو منزه عن الحلول في المحال والاتصال بالأجسام، والاختصاص بالجهات، وعن جميع عوارض الأجسام"[٢].

فهذا في الحقيقة وصف لا يتصف به إلا ممتنع الوجود، وهذا باطل، وهو عين تفسير الفلاسفة للروح، حيث يقول ابن تيمية عن تفسير بعض الفلاسفة للروح:" ومنهم طوائف من

---

(١) لوامع الأنوار البهية (٢/٢٨-٢٩)، وينظر كلام ابن القيم في: الروح (١٧٨-١٧٩).

(٢) جلاء القلوب (١/١٩١).

أهل الفلسفة يصفونها بما يصفون به واجب الوجود عندهم، وهي أمور لا يتصف بها إلا ممتنع الوجود، فيقولون لا هي داخل البدن ولا خارجه، ولا مباينة له، ولا مداخلة له، ولا متحركة ولا ساكنة، ولا تصعد ولا تهبط، ولا هي جسم ولا عرض...، وإذا قيل لهم: إثبات مثل هذا ممتنع في ضرورة العقل، قالوا: بل هذا ممكن بدليل أن الكليات ممكنة موجودة وهي غير مشار إليها، وقد غفلوا عن كون الكليات لا توجد كلية إلا في الأذهان، لا في العيان"(١).

والذي أوقعهم في هذا الغلط هو اعتمادهم على عقولهم كما ذكر الكتاني، والذي يظهر أن محمد بن جعفر الكتاني لم ينصر أو يؤيد قولهم، وإنما نقله عنهم، في هذا الموضع -حسب بحثي- والله أعلم!

وأما ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من بقاء الأرواح وعدم فنائها بفناء الأجساد، وتقريره بأن الروح تعود للبدن وقت السؤال، وأن التنعم في الجنة حاصل للروح والجسد معا، وأن التعذيب في النار كذلك هو الحق؛ لأن الأرواح في البرزخ وإن فارقت الجسد فإنها لم تفارقه فراقا كليا، بحيث لا يبقى إليها التفات البتة، فإنه ورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون، وهذا الرد إعادة خاصة لا يلزم منه حياة البدن قبل يوم القيامة(٢).

وما يراه من كون النبي-صلى الله عليه وسلم-وبعض مدعي الولاية عنده إحاطة بالروح لا كإحاطة الله، مخالف للكتاب والسنة، ولما أجمع عليه سلف الأمة من استئثار الله بحقيقتها، وهو مردود بما سبق من استئثار الله سبحانه بعلم الغيب، والروح من جملته، ومردود بتقريراته في المهدي وأن وقته من عالم السر فكذلك الروح.

المطلب الثالث: آراؤه في مسائل اليوم الآخر

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن أمور الآخرة لا يمكن أن تدرك بالعقل، وليس في الدنيا شيء يشبهها، حيث يقول في قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾ [سورة السجدة:١٧]، وفي قول النبي-صلى الله عليه وسلم-:

(١) مجموع الفتاوى (٣١/٣).

(٢) ينظر: الروح (١١٥-١١٦)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٠٩/٢-٦١٠)، الصارم المنكي (٢٢٣).

((أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر))(١):

" أمور الآخرة خارجة عن أمور الدنيا بأجمعها، فليس في الدنيا شيء يشبهها، ولا يحاكيها، وهي أيضًا خارجة عن طور العقل ونطاقِه، فلا تُدرك بفكرٍ ولا بغيره"(٢).

وقد فصّل محمد بن جعفر الكتاني في بعض مواقف اليوم الآخر وأحوال الآخرة، وما قرره هو ما قرره الأشاعرة الموافق في الجملة لما قرره أهل السنة والجماعة في هذا الباب(٣)، وفيما يلي بيان آراءه في ذلك:

البعث:

قرر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر كما يقول:" أحاديث بعث العباد ومعادهم وسوقهم إلى المحشر لفصل القضاء بينهم"(٤)، وقرر بأنه من ضروريات الدين وأن منكره كافر(٥).

وقال في البعث:" وهو ثابت بالكتاب والسنة، معلوم ضرورة من هذا الدين، قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [سورة المطففين:٤-٦]، ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ ٧﴾ [سورة الحج:٧].

واختلف في معنى البعث بعد إجماعهم عليه: والصحيح وعليه الأكثر: أن الله تعالى يعدم الذوات بالكلية ثم يعيدها، واستدلوا على ذلك بأشياء:

أحدهما: قياس الإعادة على الابتداء، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩﴾ **[سورة الأعراف:٢٩]**، يعني: كما أنشأكم من العدم إلى الوجود، كذلك ينشئكم بعد موتكم إلى الحشر.

---

(١) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة، رقم: (٣٢٤٤)، ومسلم، كتاب: الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم (٢٨٢٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل ٦٠).

(٣) ينظر: الإرشاد (١٦٢)، نهاية الإقدام (٤٤٠)، غاية المرام (٢٩٩)، المواقف (٣/٤٦٦).

(٤) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٣١).

(٥) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٣١)، ختم صحيح مسلم (ل ٧)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٥)، حاشية على شرح ميارة (ل ٨٦/ب).

ثانيها: قياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى، قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝﴾ [سورة يس:٨١].

ثالثها: قياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات؛ لقوله: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝﴾ [سورة الروم:١٩].

رابعها: إخراج النار من الشجر الأخضر، قال تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝﴾ [سورة يس:٧٩-٨٠].

وذهب جماعة في الأجساد المبعوثة أن تكون غير هذه، قال بعضهم: وهو خلاف ظاهر القرآن، ولأنها لو كانت غيرها فكيف يشهد الأيدي والأرجل على الكفار؟!

قالوا: ويحشر العبد وله من الأعضاء ما كان له يوم ولد، فمن قطع له عضو يعود في القيامة إليه حتى الختان، كما ثبت في الصحيح.

والمشهور من قول العلماء أن عجب الذنب لا يبلى؛ لما في صحيح مسلم أنه -صلى الله عليه وسلم- قال: **((كل ابن آدم يأكله التراب إلا عَجْب الذنب، ومنه خلق، ومنه يركب))** (١)"(٢).

ومن تقريراته في هذا ما قرره بأن من الجهل كما يقول:" أن ينكر ما يوجب إنكاره الكفر، لعلمه من الدين ضرورة كالبعث والحشر والنشر، وغير ذلك"(٣).

وقال:" ويوم القيامة: هو يوم البعث والحشر، سُمِّي بذلك لقيام الناس فيه، قال تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝﴾ [سورة المطففين:٦]"(٤).

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين (٢٩٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) حاشية على شرح ميارة (ل ٨٧/أ).

(٣) الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان (٢١٧)، وينظر: عمدة الراوين (٣٨/٩).

(٤) شرح على دلائل الخيرات (ل ٢١).

وقال في قول الله عز وجل: ﴿* هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [سورة الحج:١٩]:" وقال مجاهد وعطاء وعاصم والكلبي: الإشارة إلى المؤمنين والكفار عامة اختصموا في البعث، فقال المؤمنون: سنبعث بعد الموت، ونُنَبَّأُ بما عملنا، وأنكر ذلك الكفار، ... وهذا هو مختار ابن جرير الطبري وغيره، وهو الذي يدل له سياق الآية الشريفة، والله أعلم"(١).

المناقشة

معنى البعث: البعث في اللغة يأتي بمعنى الإرسال والإسراع، والنشر، والإحياء، ونحو لك من المعاني(٢).

يقول ابن فارس: «الباء والعين والثاء أصل واحد، وهو الإثارة»(٣)، «والبعث أيضا: الإحياء من الله للموتى، ومنه قوله جل وعز: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ٥٦﴾ [سورة البقرة:٥٦]»(٤).

والبعث في الشرع: إثارة الناس من قبورهم يوم القيامة، وإعادتهم بعد موتهم؛ للجزاء والحساب(٥).

وقد أجمع سلف الأمة، بل أجمع أهل الملل على جواز وقوع البعث(٦)، ولم يشذ منهم إلا طوائف لا عبرة بهم(٧).

---

(١) ختم صحيح مسلم (ل ٧).

(٢) ينظر مادة (بعث): تهذيب اللغة (٢٠١/٢)، لسان العرب (١١٦/٢)، القاموس المحيط (١٦٥).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢٦٦/١).

(٤) تهذيب اللغة (٢٠١/٢).

(٥) ينظر: فتح الباري (٣٩٣/١١)، لوامع الأنوار البهية (١٥٧/٢).

(٦) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩٧/١)، رسالة إلى أهل الثغر (٢٧٩)، مراتب الإجماع (١٧٥) مجموع الفتاوى (٢٨٤/٤).

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى (٣١٤/٤، ٢٦٢)، شرح العقيدة الطحاوية (٦١٩/٢)، لوامع الأنوار البهية (١٥٧/٢-١٥٩).

والإيمان بالبعث واجب، وهو ثابت بالأدلة، ذكر محمد بن جعفر الكتاني جملة منها، ومنها قول النبي -صلى الله عليه وسلم- في حديث جبريل عندما سأله ما لإيمان قال: **((الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث))**(١).

وقول محمد بن جعفر الكتاني بأن منكر البعث كافر حق (٢)؛ لأن منكر البعث أنكر الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة في إثبات البعث(٣).

النفخ في الصور:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني بأن أول يوم القيامة من النفخة الثانية في الصور، حيث يقول:" يوم القيامة هو يوم البعث والنشور، وأوله من النفخة الثانية إلى استقرار الخلق في الدارين الجنة والنار" (٤).

وذكر في قوله: ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝**﴾ **[سورة النازعات:٦]**، بأنها النفخة الأولى في الصور، وقوله: ﴿**تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝**﴾ **[سورة النازعات:٧]**، بأنها النفخة الثانية، حيث يقول:" ﴿**يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝**﴾، وهي النفخة الأولى في الصور، وقيل: الموت، : ﴿**تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝**﴾ أي: وهي النفخة الثانية، سُمِّيت بذلك؛ لأنها تتبعها، ... وقيل: الرادفة القيامة"(٥).

المناقشة:

النفخ في الصور ثابت بالأدلة الصريحة من كتاب الله ﷻ، وسنة نبيه محمد – صلى الله عليه وسلم–، والصور هو: قرن يُنفخ فيه، وهذا ما قاله النبي–صلى الله عليه وسلم– عندما

---

(١) سبق تخريجه (٦٢٩).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨٤/٤)، شرح العقيدة الطحاوية (٦١٩/٢)، إيثار الحق على الخلق (٣٧٧)، لوامع الأنوار البهية (١٥٧/٢-١٥٩).

(٣) ينظر: المنهاج في شعب الإيمان للحليمي (٣٤٧/١)، الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (١٢٥/١)، مجموع الفتاوى (٢٤/٩)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٢١/٢)، لوامع الأنوار البهية (١٥٧/٢-١٥٩)، وللاستزادة ينظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد (٥٦٠-٥٧٧).

(٤) شرح على دلائل الخيرات (ل ٢٨).

(٥) المرجع السابق (ل ٥٢).

سئل عن الصور فقال: ((**الصور قرن ينفخ فيه**))(١)، وإسرافيل هو الملك الموكل بالنفخ فيه، كما أجمع عليه أهل السنة والجماعة(٢).

وقد اختلف أهل العلم في عدد نفخات الصور، على أقوال:

الأول: نفختان، الأولى يحصل بها الصعق، والثانية يحصل بها البعث(٣).

ومن أدلتهم قول الله ﷻ: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [سورة الزمر:٦٨]، وقد سمى القرآن النفخة الأولى بالراجفة، والنفخة الثانية بالرادفة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾} [سورة النازعات:٦-٧].

وفي موضع آخر سمى الأولى بالصيحة، وصرح بالنفخ بالصور في الثانية، قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ **[سورة يس:٤٩-٥١]**.

ومن الأحاديث النبوية المصرحة بالنفختين، قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**بين النفختين أربعون**))(٤).

وهذا القول هو الذي قرره الكتاني، وهو القول الراجح لأنه القول الذي دلت الأدلة عليه(٥).

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الزهد، باب: شأن الصور، حديث رقم: (٢٤٣٠)، و أبو داود، كتاب: السنة، باب: في ذكر البعث والصور، حديث رقم: (١٧٣٩)، وابن حبان في صحيحه (٣٠٣/١٦/ حديث رقم: ، ٧٣١٢)، والإمام أحمد (٤١٠/١١/حديث رقم: ٦٨٠٥)، والحاكم (٤٧٣/٢/حديث رقم: ٣٦٣١)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي فيه: حديث حسن صحيح، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٨/٢/ رقم: ١٠٨٠).

(٢) ينظر: فتح الباري (٣٦٨/١١).

(٣) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى (٤٩١/٢، ٥١٠)، فتح الباري (٣٧٠/١١).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: (ونفخ في الصور)، حديث رقم: (٤٥٣٦)، ومسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ما بين النفختين، حديث رقم: (٢٩٥٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) ينظر: الجامع لأحكام القرآن (٢٧٩/١٥)، فتح الباري (٤٤٦/٦).

الثاني: ثلاث نفخات، وهي نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث(١).

ومن أدلتهم قول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [سورة النمل:٨٧]، فذكر الله في هذه الآية نفخة الفزع، وهي نفخة ثالث.

إلا أن الاستدلال بهذه الآية غير صحيح؛ لأنها ليست صريحة على أن هذه نفخة ثالثة، إذ لا يلزم من ذكر الحق تبارك وتعالى للفزع الذي يصيب من في السماوات والأرض عند النفخ في الصور أن تجعل هذه نفخة مستقلة، فالنفخة الأولى تفزع الأحياء قبل صعقهم، والنفخة الثانية تفزع الناس عند بعثهم(٢)، يقول القرطبي رحمه الله: «نفخة الفزع هي نفخة الصعق، ...أو نفخة البعث»(٣).

الثالث: أن النفخات يوم القيامة أربع، الأولى: نفخة إماتة يموت فيها من بقي حيا في الأرض، والثانية نفخة إحياء يقوم بها كل ميت وينشرون من القبور ويجمَعُون للحساب، والثالثةُ نفخة فزع وصعق، والرابعة نفخة إفاقة من ذلك الغَشِي، وهو قول مرجوح(٤).

الشفاعة:

قرر محمد بن جعفر الكتاني بأن مما يجب الإيمان به من أمور الآخرة الشفاعة، حيث يقول:" يجب الإيمان بكل ما أخبر الشارع بوقوعه بعد الموت؛ من سؤال الملكين...، والشفَّاعة؛ ...لورود الأحاديث المتواترة بذلك كلِّه، وانعقاد الإجماع ممَّن يعتدُّ بإجماعه عليه، وبعضه مصرَّح به في القرآن"(٥).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٦٠/٤)، البداية والنهاية (١٠٢/١) فتح الباري (٣٦٩/١١)، لوامع الأنوار البهية (١٦١/٢).

(٢) ينظر: التذكرة في أحوال الموتى (٥١٠/٢)، فتح الباري (٣٦٩/١).

(٣) التذكرة في أحوال الموتى (٥١٠/٢).

(٤) ينظر: فتح الباري (٤٤٦/٦).

(٥) ختم صحيح البخاري (ل ١٥)، ينظر: اليمن والإسعاد (٨٧)، حاشية على شرح ميارة (ل ٤/ب)، جلاء القلوب (٢٨٥/٣).

وذكر بأن من المتواتر حديث ((**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**)) (١).

كما ذكر بأن من المتواتر حديث الشفاعة الطويل وترددهم إلى الأنبياء، وأحاديث التوسل به-صلى الله عليه وسلم- في عرصات يوم القيامة (٢).

وقال:" وقال التقي السبكي في "شفاء السقام" لما تكلم على الشفاعة المختصة به -صلى الله عليه وسلم- وهي: الإراحة من طول الوقوف وتعجيل الحساب، وهي الشفاعة العظمى، قال: [ولم ينكرها أحد] (٣).

وعلى الشفاعة فيمن دخل النار من المذنبين ما نصه:

[وهذه الشفاعة، والشفاعة الأولى العظمى تواترت الأحاديث بهما، واختصاص النبي -صلى الله عليه وسلم- بالعظمى -كما سبق-، وأما هذه فقد جاء فيها شفاعة الملائكة والأنبياء والمؤمنين، وأن الله تعالى بعد ذلك يخرج برحمته من قال لا إله إلا الله...] (٤)

وقال عياض: [جاءت الأحاديث التي بلغ مجموعها التواتر بصحة الشفاعة في الآخرة لمذنبي المؤمنين] (٥).

وفي فتح الباري [جاءت الأحاديث في إثبات الشفاعة المحمدية متواترة، ودل عليها قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾﴾ [سورة الإسراء:٧٩]، والجمهور على أن المراد به الشفاعة] (٦)، ...وتقدم عن فتح المغيث للسخاوي أن عدد روات حديث الشفاعة

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: لكل نبي دعوة مستجابة، رقم الحديث: (٦٣٠٤)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: اختباء النبي-صلى الله عليه وسلم- دعوة الشفاعة لأمته، حديث رقم (٣٣٤)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٣٢-٢٣٣)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٥).

(٣) شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تقي الدين السبكي (٤٤٤).

(٤) شفاء السقام في زيارة خير الأنام (٤٥٠).

(٥) ينظر: شرح صحيح مسلم (٣/٣٥).

(٦) ينظر: فتح الباري (١١/٤٢٦).

والحوض من الصحابة زاد على أربعين، قال: [وممن وصفهما بذلك- يعني بالتواتر- عياض في الشفا] (١).

وقال ابن عبد البر في الاستذكار: [إثبات الشفاعة ركن من أركان اعتقاد أهل السنة، وهم مجمعون على أن تأويل قول الله تعالى ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [سورة الإسراء:٧٩]، المقام المحمود: هو شفاعته -صلى الله عليه وسلم- في المذنبين من أمته، ولا أعلم في هذا مخالفاً، إلا شيئاً روى عن مجاهد ذكرته في التمهيد أنه جلوسه على العرش، وروى عنه خلافه على ما عليه الجماعة، فصار إجماعاً منهم والحمد لله، وقد ذكرت في التمهيد كثيراً من أقاويل الصحابة والتابعين في ذلك، وذكرت من أحاديث الشفاعة ما فيه كفاية، والأحاديث فيها متواترة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- صحاح ثابتة، وذكرنا أيضاً في التمهيد حديث ابن عمر وحديث جابر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة**))، وقال جابر: من لم يكن من أهل الكبائر فماله وللشفاعة، وقال ابن عمر: ما زلنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى نزلت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن ﴾ [سورة النساء:١١٦]... وقد ذكرنا الأسانيد بذلك كله في التمهيد، وهذا الأصل الذي ينازعنا فيه أهل البدع] (٢) اهـ من، وقد نقله الزرقاني في شرح الموطأ مختصراً(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالته في الاستغاثة بسيد الخلق ما نصه: [قد ثبت بالسنة المستفيضة، بل المتواترة واتفاق الأمة أن نبينا -صلى الله عليه وسلم- الشافع المشفع، وأنه يشفع في الخلائق يوم القيامة، وأن الناس يستشفعون به، يطلبون منه أن يشفع لهم إلى ربهم، وأنه يشفع لهم، ثم اتفق أهل السنة والجماعة أنه يشفع في أهل الكبائر، وأنه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد] (٤) اهـ" (١).

---

(١) ينظر: فتح المغيث (٢٢/٤).

(٢) الاستذكار الجامع لمذهب فقهاء الأمصار، لابن عبد البر (٥٢٠/٢).

(٣) ينظر: شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٤٢/٢).

(٤) الاستغاثة في الرد على البكري (١٩٦-١٩٧).

وقرر بأن من المتواتر كما يقول: "أحاديث عدم تخليد المؤمن العاصي في النار، وخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان منها، ... وفي رسالة الفرقان لابن تيمية ما نصه: [وقد تواتر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه يخرج منها، يعني من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان] (٢)اهـ، وفي عمدة القاري: [الأدلة القطعية قد دلت عند أهل السنة والجماعة أن طائفة من عصاة الموحدين يعذبون ثم يخرجون من النار بالشفاعة] (٣)"(٤).

وقال في شرح قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**)) (٥) : " قال الطيبي: المراد بذلك قوله تعالى: ﴿**عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩**﴾ **[سورة الإسراء:٧٩]**، قال الواحدي: أجمع المفسرون أنه مقام الشفاعة، وقال ابن الجوزي: الأكثر على ذلك، ... (له) أي: عليه (**شفاعتي**): قد يَرِدُ عليه: إن شفاعته -عليه السلام- عامة لجميع الأمة، فلا يختص بها أحد لسبب، وجوابه ما حرره عياض:

إن الشفاعات شتى على ما تقرر من موارد الشرع، والعامة منها إنما هي الشفاعة الكبرى، والانتفاع بها على الحقيقة إنما يعود على المؤمنين، وأما الشفاعات الأخر فهي في حق كل أحد على حسب ما يليق بحاله، ففي المطيع: بزيادة الدرجات، أو بتخفيف الحساب، وفي العاصي: بالنجاة من النار، أو بتقصير مدة المقام فيها إن كان ممن نفذ فيه الوعيد. هـ"(٦).

- المناقشة:

الشفاعة لغة: من الشفع، خلاف الوتر.

---

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٣٤-٢٣٦)، وينظر: جلاء القلوب (٣/٢٩٢).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣/٥٦).

(٣) عمدة القاري (٢/٢٠٧).

(٤) نظم المتناثر (٢٤٠).

(٥) رواه البخاري، كتاب: الأذان، باب: الدعاء عند النداء، رقم (٦١٤)، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(٦) شرح على دلائل الخيرات (ل ٢٨).

يقول ابن فارس:" الشين والفاء والعين: أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، من ذلك الشفع خلاف الوتر"(١)، يقال: شفع يشفع شفاعة، فهو شافع وشفيع، والمشفِّع: هو الذي يقبل الشفاعة، والمشفَّع: الذي تقبل شفاعته(٢).

الشفاعة في الاصطلاح: سؤال الخير للغير، أو التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة(٣).

والشفاعة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، فمن الكتاب: قول الله تعالى: ﴿**مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ**﴾ [سورة البقرة:٢٥٥]، وقوله عز وجل: ﴿**۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦**﴾ [سورة النجم:٢٦].

وأما السنة: فقد بلغت أحاديث الشفاعة حد التواتر كما قرر محمد بن جعفر الكتاني وأهل العلم مما نقله عنهم، وقد ذكر الكتاني شيئا منها في تقريره المتقدم، كما جمع الحافظ الذهبي -رحمه الله-جزءا في الأحاديث الواردة في إثبات الشفاعة(٤).

وأما الإجماع، فقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على إثبات الشفاعة كما قرر الكتاني، وقد عدوها من الأصول التي خالف فيها أهل السنة والجماعة أهل البدع، كما قال الإمام ابن عبد البر فيما نقله الكتاني عنه في تقريره المتقدم: "وهذا الأصل الذي ينازعنا فيه أهل البدع" (٥).

يقول أبو حاتم(٦) وأبو زرعة(١)-رحمهما الله-:" أدركنا العلماء في جميع الأمصار، ... فكان من مذهبهم: ...الشفاعة حق"(٢).

---

(١) معجم مقاييس اللغة (٢٠٢/٣).

(٢) ينظر مادة (شفع): تهذيب اللغة (٢٧٨/١)، الصحاح (١٢٣٨/٣) لسان العرب (١٨٣/٨)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٨٥/٢).

(٣) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٤٨٥/٢)، لوائح الأنوار (٢٤٦/٢).

(٤) ينظر: إثبات الشفاعة، للذهبي (ص٢٢ وما بعدها).

(٥) الاستذكار (٥٢١/٢)، وينظر: مجموع الفتاوى (٣٠٩/٤).

(٦) هو: محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي، أبو حاتم الرازي، محدث حافظ من أئمة السلف الصالح، توفي عام٢٧٧هـ، من مؤلفاته: طبقات التابعين، ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٤٥/١٣)، تذكرة الحفاظ للذهبي (١١٢/٢).

والشفاعة المثبتة هي التي اجتمعت شروطها، وانتفت موانعها(٣)، فلا بد لحصولها من تحقق ثلاثة أمور:

-إذن الله للشافع أن يشفع.

-رضاه عن المشفوع له.

-لا يرضى سبحانه وتعالى إلا عن أهل التوحيد.

يقول ابن القيم-رحمه الله-:" فهذه ثلاثة أصول: ... لا شفاعة إلا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضي قوله وعمله، ولا يرضى من القول والعمل إلا توحيده، واتباع رسوله"(٤).

والشفاعة قسمان:

أحدهما: الشفاعة العامة الثابتة للنبي-صلى الله عليه وسلم-ولغيره من الملائكة والنبيين والصالحين.

ثانيهما: الشفاعة الخاصة بالنبي-صلى الله عليه وسلم- والتي لا يشاركه فيها أحد.

والشفاعة بقسميها أنواع، اختلف أهل العلم في عدها تبعا لاختلافهم في أدلتها من حيث الصحة والدلالة، وقد أوردها بعضها الكتاني في تقريره المتقدم، واستوعبها جماعة من أهل العلم في مصنفاتهم(٥).

---

(١) هو: عبيد الله بن عبد الكريم القرشي الرازي، محدث حافظ من أئمة السلف، من مؤلفاته: الضعفاء والمتروكون، توفي عام٢٦٤هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (٦١/١٣) تذكرة الحفاظ للذهبي (١٠٥/٢).

(٢) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٩٨/١).

(٣) ينظر: الدرر السنية (١٨٥/٢)، مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٥٦٥/٤)، تيسير العزيز الحميد (٢٣٨)، للاستزادة ينظر: الشفاعة لمقبل الوادعي (١٩-٢٢)، الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين، لناصر الجديع (٦٩-٨٢).

(٤) مدارج السالكين (٣٥٠/١).

(٥) ينظر: كتاب التوحيد لابن خزيمة (٥٨٨/٢)، عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٧٣)، التذكرة (٥٩٩/٢)، شرح النووي على مسلم (٣٥/٣)، مجموع الفتاوى (١٤٧/٣)، فتح الباري (٤٢٦/١١)، لوامع الأنوار البهية (٢١١/٢)، الشفاعة لمقبل الوادعي (١٧)، للاستزادة ينظر الشفاعة لناصر الجديع (٣٨)، وما بعدها.

بهذا يتبين موافقة محمد بن جعفر الكتاني لما قرره أهل السنة والجماعة في الشفاعة، مع مخالفته لهم كما سبق في اتخاذه النبي-صلى الله عليه وسلم-واسطة بين الله وبين خلقه، واستشفاعه به وبجاهه وتوسله به وبالأولياء.

الميزان:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن مما يجب الإيمان به في اليوم الآخر: الميزان(١)، لأنه كما قال:" هو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع"(٢)، وذكر بأن من المتواتر كما يقول:" أحاديث الصراط والميزان "(٣).

وقد عرف الميزان، وبين شموله للمؤمن والكافر، وذكر أنواع الوزن، كما ذكر حكمة الله عز وجل منه، ومن ذلك تفسيره لقوله عز وجل: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]:" فقوله: ﴿وَنَضَعُ﴾ من الوضع، و﴿ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ جمع ميزان، من الوزن، ﴿وَنَضَعُ﴾ معناه: ننصب، وقيل: نحضر، وهو مضارع وضعت الشي أضعه وضعًا، و﴿ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ جميع ميزان؛ بكسر الميم، وهو الآلة التي توزن بها الأشياء، ويطلق على العدل، ... ﴿ ٱلْقِسْطَ﴾ معناه: العدل والاستقامة"(٤).

وقال في هذه الآية:" فيها أيضًا إثبات الميزان يوم القيامة، وهو مما يجب الإيمان -أي: التصديق- به، وأنَّه حقٌّ؛ لثبوته كتابًا وسنَّةً وإجماعًا... وقد ورد ذكر الميزان في آي عديدة غير هذه؛ كقوله تعالى من سورة الأعراف: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة الأعراف:٩].

وقوله في سورة المؤمنين: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة المؤمنون:١٠١-١٠٣]

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٣١).

(٢) حاشية على شرح ميارة (ل ٨٩/أ).

(٣) المرجع السابق (٢٣١)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (٨٨/ب).

(٤) ختم صحيح البخاري (ل٥).

وقولـه في سـورة القارعـة: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٞ ۝٩﴾ [سورة القارعة:٦-٩].

وممَّا جاء فيه من أحاديث: ... حديث أحمد ومسلم، والترمذي وقال: صحيح، عن أبي مالك الأشعري، مرفوعًا: ((**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**))[١]...

ومنها: حديث أبي هريرة المذكور في الباب، وهو ((**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**))[٢]"[٣].

وقال في تعدد الموازين:" الموازين: لتهويل شأن الميزان، وتفظيع أمره، وبيان ما له؛ ولذلك أتى به بلفظ الجمع، مع أنَّه واحد على ما هو الصحيح المشهور"[٤]، وقال:" وهذا هو المعتمد والصحيح المشهور، وهو الذي عليه الأكثرون، ولا يستشكل بكثرة من يوزن عمله؛ لأنَّ أحوال الآخرة لا تكيَّف بأحوال الدنيا، ... وعلى أنَّه واحد؛ فجمعه إمَّا باعتبار أجزائه؛ لأنه ذو لسان وكفتين، كما سبق، أو باعتبار تعدد الأعمال الموزونة، أو باعتبار الأشخاص؛ لكثرة من توزن أعمالهم، أو لأنه يتكون لكل واحد بصورة ما كان عليه في دار الدنيا، أو لقصد التفخيم والتعظيم لشأنه "[٥].

وقال في الموزون، وفي شمول الوزن للمؤمن والكافر:" قيل: إنَّ الموزون صحف الأعمال، بعد أن تصدر في صورة حسنة نورانيَّة إن كانت صالحة، وفي صورة قبيحة ظلمانيَّة إن كانت سيِّئة، ... وإليه ذهب جمهور المفسِّرين، ... ويدل عليه حديث السجلَّات، وهو ما أخرجه الترمذي في أبواب الإيمان، وقال: حسن غريب، وابن ماجه، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم في "المستدرك"، وقال: صحيح على شرط مسلم، والبيهقي، عن عبد الله بن عمرو،

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب: الطهارة، باب: فضل الوضوء، حديث رقم: (٢٢٣)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: فضل التسبيح، حديث رقم: (٦٠٤٣)، ومسلم، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم (٢٦٩٤).

(٣) ختم صحيح البخاري (ل ١٥).

(٤) المرجع السابق (ل ٧)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (٨٨/ب)، ٨٩/أ).

(٥) ختم صحيح البخاري (ل ١٤).

مرفوعًا: **((إنَّ الله يستخلف رجلًا من أمَّتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة))**، وفي رواية ابن ماجه: **((يصاح برجل من أمَّتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا، كل سجلٍّ مثل مدِّ** -أي: غاية- **البصر، ثمَّ يقول: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا، يا رب؛ فيقول: أفلك عذر؟ فيقول: لا يا رب؛ فيقول الله تعالى: بلى إنَّ لك عندنا حسنة، فإنَّه لا ظلم عليك اليوم، فتخرج له بطاقة** -أي: رقعة صغيرة- **فيها: أشهد أنَّ لا إله إلَّا الله، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضر وزنك، فيقول: يا ربُّ؛ ما هذه البطاقة مع هذه السجلَّات؟ فيقول: إنَّك لا تظلم، فتوضع السجلَّات في كفَّة، والبطاقة في كفَّة، فطاشت السجلَّات، وثقلت البطاقة))** [(١)] ...

وقيل: يجوز أن يكون الموزون العامل نفسه؛ لما أخرجه البخاري، عن أبي هريرة رفعه: "**((إنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة))** [(٢)]، ...

ولِما ذكره القرطبي: من أن الناس في الآخرة ثلاث طبقات: متقون لا كبائر لهم، ومخلطون، وكفار؛ فالمتقون توضع حسناتهم في الكفة النيِّرة، وصغائرهم إن كانت في الأخرى، فتثقل النيِّرة وترتفع المظلمة، وأما المخلطون؛ فحسناتهم تجعل في النيِّرة، وسيِّئاتهم في المظلمة، فإن تساويا كان من أهل الأعراف، وإن رجح أحدهما عدل به، إما إلى الجنة، وإما إلى النار، إلا أن يعفو المولى تبارك وتعالى، وأما الكافر فيوضع كفره المظلمة، ولا توجد له حسنة توضع في الكفة الأخرى، فتبقى فارغة، فيأمر الله به إلى النار هـ[(٣)]...

ثم الوزن كما ذكر غير واحد من العلماء أقسام ثلاثة:

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: الإيمان، باب: فيمن يموت وهو يشهم ألا إله إلا الله، حديث رقم: (٢٦٣٩)، وابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث رقم: (٤٣٠٠)، وأحمد (٥٧٠/١١-٥٧١/حديث رقم: ٦٩٩٥)، والحاكم (٤٦/١/حديث رقم: ٩)، وقال: "صحيح الإسناد على شرط مسلم"، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦١/١/حديث رقم: ١٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قول الله ﷻ: (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم)، حديث رقم: (٤٤٥٢)، ومسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، حديث رقم: (٢٧٨٥).

(٣) ينظر: التذكرة (٧٢٥).

الأول منها: وزن الإيمان لجميع السيئات، فيرجح بها؛ لأنه لا يثقل معه شيء، والكفر لجميع حسنات الكافر، فيرجح بها؛ لأنه لا تثقل معه حسنة، وهو علامة الخلود في النار، وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ [سورة المؤمنون:١٠٢] الآية.

الثاني: وزن الأعمال الصالحة والسيئة بمثاقيل الذر والخردل؛ لظهور مقادير الجزاء، وهذا مأخوذ من قوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧﴾ [سورة الزلزلة:٧] الآية.

الثالثة: وزن مظالم العباد، وهذا مأخوذ مما في الصحيح(١) وغيره، من أنه يؤخذ للمظلوم من حسنات الظالم بقدر حقه، فإن فنيت حسنات الظالم قبل أن يقض ما عليه؛ أُخذ من سيِّئات المظلوم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار، وهذا إذا مات وهو قادر على القضاء، وإلا فلا يُطرح عليه من سيِّئاته شيء، حُكي ذلك عن الشيخ عز الدين ابن عبد السلام(٢)، فإن لم يكن للمظلوم سيِّئة ولا للظالم حسنة، أُعطي المظلوم من الثواب بقدر ما يستحقه على الظالم، ويُزاد في عقوبة الظالم بقدر ما كان يأخذ منه المظلوم أن لو كان ثَمَّ ما يؤخذ...

واختلف في الكفار: فذهب الأكثرون إلى أنَّ أعمالهم توزن، وهذا هو الصحيح، وقيل: لا؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝١٠٥﴾ [سورة الكهف:١٠٥].

ورُدَّ بما في سورة المؤمنين من قوله: ﴿خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ إلى قوله: "تكذبون"، وأمَّا الآية الأولى؛ فعلى تقدير صفة؛ أي: وزنًا نافعًا، وقيل: معناها إحقارهم، وأنَّه لا قدر لهم في الآخرة؛ لخستهم، ودناءتهم"(٣).

وذكر حكمة الله عز وجل من الوزن، فقال:" وفائدة الوزن، وحكمته مع أنَّه تعالى عالم بجميع أحوال العبد، ولا تخفى عليه خافية من أمره؛ أمور:

---

(١) جاء عند البخاري في كتاب: الرقاق، باب: القصاص يوم القيامة، رقم (٦٥٣٤)، ومسلم، كتاب: البر وصلة الأرحام، باب: تحريم الظلم، رقم (٢٥٨١)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه.

(٢) هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السلمي المشهور بالعز بن عبد السلام، أشعري شافعي، من مؤلفاته: قواعد الأحكام، ملحة الاعتقاد، توفي عام ٦٦٠هـ. ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٢٠٩/٨)، شذرات الذهب (٣٠١/٥).

(٣) ختم صحيح البخاري (ل ١٨)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (٨٩/أ).

منها: إظهار حالة العبد له، فيكون ثقل الحسنات أمارة على عدم المؤاخذة بالسيئات، وخفتها أمارة على المؤاخذة بها، من غير أن يسقط من ثواب الحسنات بسبب خفتها شيء أصلًا، بل هي مدخرة له، يحدثوا بها بعد خروجه من النار، ونفوذ الوعيد فيه.

ومنها: إظهار شرف المؤمن والتنويه بسعادته على رؤوس الأشهاد، زيادة في مسرته، وإظهار شقاوة الكافر على رؤوس الإشهاد زيادة في مساءته.

ومنها: إقامة الحجة عليهم أو لهم إظهار الكمال العدل، نظير ما قيل في نسخ الأعمال مع علمه تعالى بها.

ومنها: امتحان الخلق بالإيمان بذلك في الدنيا"(١).

وقال في انقلاب المعاني والأعراض جسما:" المعاني والأعراض تنقلب جسمًا، وتقوم بنفسها وتنتقل، والمتكلمون يأبَون ذلك ويحيلونه، ... والصحيح عند المحدثين، وهو الذي عليه الصوفية، أنَّ ذلك على حقيقته، وأن المعاني تتمثَّل وتنقلب جسمًا، فتقوم بنفسها وترى وتنتقل إلى غير ذلك، وليس ذلك بمحال في حق الله تعالى"(٢).

المناقشة:

الميزان كما قرر محمد بن جعفر الكتاني هي الآلة المعروفة الآلة التي توزن بها الأشياء(٣)، يقول ابن فارس: « الواو والزاء والنون: بناء يدل على تعديل واستقامة، ووزنت الشيء وزنا، والزنة: قدر وزن الشيء، والأصل وزنة»(٤).

والميزان شرعا: هو ما يضعه الله يوم القيامة لوزن أعمال العباد، وهو ميزان حقيقي له لسان وكفتان، كما قرر محمد بن جعفر الكتاني، ولا يعلم قدره إلا الله(٥).

وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع(١)، كما قرر الكتاني، وكما استدل عليه.

---

(١) المرجع السابق (ل ١٩).

(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٧).

(٣) ينظر مادة: (وزن): تهذيب اللغة (١٣/١٧٦)، الصحاح (٦/٢٢١٣)، لسان العرب (١٣/٤٤٦).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٦/١٠٧).

(٥) ينظر: لوامع الأنوار البهية (٢/١٨٤).

و«قد أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال»(٢).

يقول ابن بطة العكبري رحمه الله: «ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ...مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام، وسائر الأمة، مذ بعث الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- إلى وقتنا هذا، [فذكر جملة من معتقد أهل السنة وقال]، ثم الإيمان بالموازين، كما قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾ [سورة الأنبياء:٤٧]»(٣).

وقد اختلف أهل العلم في الوزن هل يشمل الكافر وأعماله أم لا، والخلاف جار في أقوال أهل السنة والجماعة؟(٤)

والراجح -والله أعلم-عدم شموله له؛ لأنه ليس له من الأعمال الصالحة ما يوزن، وإنما يجازى عليه في الدنيا، ولعموم الأدلة الدالة على بطلان عمله، وعدم وزنه، كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾﴾ [سورة إبراهيم:١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الفرقان:٢٣].

يقول ابن تيمية -رحمه الله-:" وأما الكفار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم، وتحصى فيوقفون عليها، ويقررون بها ويجزون بها"(١).

---

(١) ينظر: أصول السنة لابن أبي زمنين (١٦٥)، الاقتصاد في الاعتقاد لابن قدامة (١٨٠)، مجموع الفتاوى (١٤٦/٣)، منهاج السلامة في ميزان القيامة لابن ناصر الدمشقي (٥٨)، تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان للسخاوي (١٥٥-١٥٧)، مجلة البحوث الإسلامية، عدد٥٦، تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، لمرعي الكرمي (ص٢٤)، لوامع الأنواع البهية (١٨٤/٢).

(٢) فتح الباري (٥٣٨/١٣)، وينظر: أصول السنة (١٦٥).

(٣) الشرح والإبانة عن أصول الديانة (١٩١-٢٢٢).

(٤) ينظر: شعب الإيمان (٥٧/٢)، التذكرة (١٠/٢)، الفصل (٦٥/٣)، مجموع الفتاوى (١٤٦/٣)، النهاية (٣٦/٢)، فتح الباري (٥٣٨/١٣)، تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان (٣٤-٣٥)، لوامع الأنوار البهية (١٨٥/٢)، لوائح الأنوار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية، محمد بن أحمد السفاريني (٢٠٣/٢).

وعليه فما قرره محمد بن جعفر الكتاني في شمول الوزن للكافر وأعماله خلاف الراجح من أقوال أهل العلم، وجوابه عن الآية بما ذكر مبني على قول من قال بشمول الوزن للكافر وأعماله، والراجح خلافه كما سبق.

واختلف أيضا في الميزان هل هو واحد أم متعدد، والخلاف في ذلك أيضا جار في أقوال أهل السنة والجماعة، والراجح والله أعلم أن الميزان ميزان واحد، وهذا ما قرره الكتاني وهو قول أكثر أهل العلم كما ذكر(٢).

يقول ابن كثير-رحمه الله-:"الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه"(٣)، ويقول السفاريني:" الأشهر أنه ميزان واحد لجميع الأمم"(٤).

وقد اختلف أهل العلم في الموزون(٥)، والراجح الذي دلت النصوص عليه كما قرر الكتاني هو أن الموزون هو: العامل نفسه، وعمله، وصحائف أعماله، بالأدلة التي ذكرها.

وما قرره من حكمة الله عز وجل من الوزن، مع أنه سبحانه وتعالى عالم بجميع أحوال العباد ولا تخفى عليه خافية، حق؛ فالحكمة فيه"إظهر العدل، وبيان الفضل، حيث أنه تعالى، يزن بمثاقيل الذر من الأعمال، قال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾ [سورة النساء:٤٠]" (٦).

إلا أن ما قرره محمد بن جعفر الكتاني هنا متناقض مع تقريره بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله كما سيأتي.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٤٦/٣)، وينظر: مجموع الفتاوى (٣٠٦/٤).

(٢) ينظر: التذكرة (٢٥/٢)، تفسير ابن كثير (٣٤٥/٥)، شرح الطحاوية (٦٠٩/٢)، تحقيق البرهان (٣١-٣٢)، لوامع الأنوار البهية (١٨٦/٢)، لوائح الأنوار (١٩٦/٢).

(٣) تفسير ابن كثير (٣٤٥/٥).

(٤) لوامع الأنوار البهية (١٨٧/٢).

(٥) ينظر: المفهم (٣٥٩/٧)، فتح الباري (٥٣٩/١٥)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٣٧/٢)، لوامع الأنوار البهية (١٨٧/٢)، معارج القبول (٨٤٨/٢).

(٦) تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان (٣٧).

الصراط:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر كما يقول:" أحاديث الصراط والميزان"(١)، وأنه مما يجب الإيمان به (٢).

من تقريراته قوله في الصراط:" ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ﴾ [سورة يس:٦٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَا ٱقۡتَحَمَ ٱلۡعَقَبَةَ ۝﴾ [سورة البلد:١١]، قال مجاهد والضحاك: العقبة: الصراط، يضرب على جهنم كحد السيف مسيرة ثلاثة آلاف عام، ألف سنة صعود، وألف سنة استواء، وألف سنة هبوط.

وأما السنة: فروى مسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: ((**يضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم**)) (٣) الحديث، وأجمع عليه المسلمون.

وهو لغة: الطريق؛ لأنه يبلغ المارة، وفي "موس": الصراط بالكسر: الطريق، وجسر ممدود في متن جهنم، منعوت في الحديث الصحيح، وبالضم: السيف الطويل، والسين لغة في الكل.

وفيه أيضا في فصل السين من باب الصاد: والسراط بالكسر: السبيل الواضح؛ لأن الذاهب فيه يغيب غيبة الطعام المسترط، والصاد أعلى للمضارعة، والسين الأصل، وقول من قال: بالزاي المخلَّصة خطأ.

وفي الشرع قال م: (قنطرة على جهنم إلخ) أي: منصوبة عليها لعبور المسلمين عليها إلى الجنة"(٤).

ويقول في تعريف الصراط وأحوال الناس عليه:" هو الجسر الممدود على متن جهنم، يعبر منه الخلائق إلى الجنة، وهو مما يجب الإيمان به؛ لأن وجوده في الآخرة قطعي جاء به

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٣١).

(٢) ينظر: ختم صحيح البخاري (ل ١٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: فضل السجود، رقم (٨٠٦)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: طريق معرفة الرؤية رقم (٢٩٩).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٨/أ)، وينظر المرجع نفسه (٨٩/ب).

القرآن، وتواترت به الأحاديث تواترًا معنويًّا، ... والناس يوم القيامة منهم من يكون في الظلمة، ومنهم من يكون في النور، وأنهم متفاوتون في ذلك بحسب أحوالهم ومراتبهم"(١).

وقال:" ورود الصراط هو ورود النار لكل أحد في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سورة مريم:٧١]، وبذلك فسَّر ابن مسعود والحسن وقتادة، قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ﴾ [سورة مريم:٧٢]، أي: فلا يسقطون ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ۝﴾ [سورة مريم:٧٢]، أي ساقطين، وفسَّر بعضهم الورود بالدخول، وأسنده إلى جابر رفعه، أخرجه أحمد وابن أبي شيبة وعبد بن حميد وأبو يعلى والنسائي والبيهقي"(٢).

المناقشة:

الصراط لغة: أصله السراط، انقلبت سينه مع الطاء، صادا، لقرب مخرجها(٣)، يقول ابن فارس:" الصاد والراء والطاء وهو من باب الإبدال، وقد ذكر في السين، وهو الطريق"(٤).

والمراد به هنا وكما قرر الكتاني: الجسر المن-صور على متن جهنم؛ ليعبر الناس عليه إلى الجنة(٥)، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۝﴾ [سورة مريم:٧١]، فقد ذهب أكثر المفسرين أن المقصود بورود النار هنا: المرور على الصراط(٦).

يقول ابن أبي العز-رحمه الله-:" واختلف المفسرون في المراد بالورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [سورة مريم:٧١ ما هو؟ والأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط"(٧)، على ما قرره الكتاني.

---

(١) شرح على دلائل الخيرات (ل ٣٥)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٩/أ، ٩٠/أ).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٩/أ)

(٣) ينظر مادة (سرط)، تهذيب اللغة (٢٣٢/١٢)، الصحاح (١١٣١/٣)، لسان العرب (٣١٤/٧).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٣٤٩/٣).

(٥) ينظر: شرح النووي على مسلم (٤٣٠/١)، مجموع الفتاوى (١٤٦/٣)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٠٥/٢)، لوامع الأنوار البهية (١٩٢/٢).

(٦) ينظر: التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار لابن رجب (٢٥٣).

(٧) شرح العقيدة الطحاوية (٦٠٦/٢).

وأجمع أهل السنة والجماعة على القول بمقتضى ذلك، وإثبات الصراط في الآخرة(١)، يقول أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-: "أجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم، يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم" (٢).

الحساب:

قرر محمد بن جعفر الكتاني بأن مما يجب الإيمان به الحساب، وذكر بأن أحاديث الحساب من المتواتر(٣)، حيث يقول:" يجب الإيمان بكل ما أخبر الشارع بوقوعه بعد الموت؛ من سؤال الملكين، ...والحساب"(٤).

وذكر الخلاف في أولوية الصراط والميزان والحساب، فقال في الميزان:" واختلف أيضًا؛ هل هو قبل الصراط أو بعده؟ والصحيح وهو الذي يقتضيه صنيع القرطبي(٥)، وصنيع البيهقي(٦): أنه قبل الصراط.

وهل بعد الحساب أو قبله؟ والصحيح أيضًا: أنّه يكون بعد انقضاء الحساب؛ لأنّ الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة؛ لأنَّ المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها، ولهذا لا ميزان لمن يدخل الجنَّة بغير حساب"(٧).

المناقشة:

أجمع أهل السنة والجماعة على الإيمان بالحساب والجزاء يوم القيامة(١)، قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾﴾ [سورة إبراهيم:٥١]، وقال: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةًۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة الجاثية:٢٨

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٤٦/٣)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٠٥/٢)، لوامع الأنوار البهية (١٩٢/٢).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (١٦٣).

(٣) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٣١)، ختم صحيح البخاري (ل ١٥).

(٤) ختم صحيح البخاري (ل ١٥).

(٥) حيث ذكر أحداث يوم القيامة في كتابه على هذا الترتيب، ينظر: التذكرة (٦٦٢ وما بعدها).

(٦) فقد ذكر في "شعب الإيمان" الحساب أولا، ثم قال: "وإذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال"، ثم ذكر الصراط بعدهما، ينظر: شعب الإيمان (٤٤٣/١-٤٩٤).

(٧) ختم صحيح البخاري (ل ١٢).

وقال – صلى الله عليه وسلم–: ((**يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له: أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أيسر من ذلك**))[٢]، وحديث: ((**سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**))[٣]، وغير ذلك من الأدلة.

وهذه الأمة هي أول من يحاسب يوم القيامة، قال –صلى الله عليه وسلم–: ((**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة**))[٤]، **يقول ابن حجر** رحمه الله: « والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية، فهي سابقة لهم في الآخرة، بأنهم أول من يحشر، **وأول من يحاسب**، وأول من يقضي بينهم، وأول من يدخل الجنة»[٥].

أما في الترتيب بين الميزان والصراط والحساب، فقد اختلف فيه أهل العلم، والصحيح ما ذكره الكتاني، وهو –كما ذكر– صنيع القرطبي والبيهقي؛ حيث رتبوا أحداث يوم القيامة في مصنفاتهم على هذا الترتيب، وهو أن الحساب يكون أولا، ثم الميزان، وبعده الصراط[٦]؛ فالوزن كما ذكر الكتاني للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة؛ لأنَّ المحاسبة لتقدير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها؛ ليكون الجزاء بحسبها، ولهذا لا ميزان لمن يدخل الجنَّة بغير حساب، ثم بعدهما الصراط، والله أعلم!

الحوض والكوثر:

---

(١) ينظر: الشرح والإبانة (٢٢٥)، مجموع الفتاوى (٤٨٦/١١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: من نوقش الحساب غذب، حديث رقم: (٦١٧٣) واللفظ له، ومسلم، كتاب: صفات النافقين وأحكامهم، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهبا، حديث رقم: (٢٨٠٥).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: من لم يرق، حديث رقم: (٥٤٢٠)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: الدليل على دخول طوائف من المسلمين الجنة بغير حساب ولا عذاب، حديث: (٢١٦).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب: الجمعة، باب: فرض الجمعة، حديث: (٨٣٦)، ومسلم، كتاب: الجمعة، باب، هداية هذه الأمة ليوم الجمعة، حديث رقم: (٨٥٥)، واللفظ له.

(٥) فتح الباري (٣٥٤/٢).

(٦) ينظر: التذكرة (٦٦٢ وما بعدها)، شعب الإيمان (٤٤٣/١-٤٩٤، وينظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢٨٢/١).

قرر محمد بن جعفر الكتاني بأن مما يجب الإيمان به الحوض والكوثر(١)، وذكر بأن أحاديث الحوض والكوثر من المتواتر، ونقل عن بعض الأئمة ما يؤيد قوله(٢).

ومما قرره ما قاله في قول النبي-صلى الله عليه وسلم- **((أنا فرطكم على الحوض))**(٣)**يقول:**" (على الحوض) أي: حوضي، والحوض بحسب الأصل: مجمع الماء، والمراد به هنا النهر العظيم الذي ترد أمته -صلى الله عليه وسلم- يوم القيامة.

وفي حديث "الصحيحين"، عن أسماء بنت أبي بكر -رضي الله عنهما- مرفوعًا: **((إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم))**(٤)، وأخرجا أيضًا عن سهل بن سهل مرفوعًا: **((إني فرطكم على الحوض من يرد عليَّ يشرب، ومن شرب لم يظمأ أبدًا))**(٥)، **والفرط**: الذي يتقدم الواردة، فيهيئ لهم المنزل، وما يحتاجون إليه.

وأخرجا أيضًا عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: **((حوضي مسيرة شهر))** (٦)، أي: مسافة كل جانبٍ منه مقدار شهر، **((وزواياه سواء))** يدل على أنه مربع، **((وماؤه أبيض من الورق))**؛ أي: الفضة، **((وريحه أطيب من المسك، وكيزانُه كنجوم السماء))**، يعني: كثيرة، وإشراقًا، **((من شرب منه شربة لم يظمأ أبدأ))**، وأحاديثه متواترة، رواها خمس وخمسون صحابيا، أو ثمانية وثمانون، وهو مما يجب الإيمان به" (٧).

---

(١) ينظر: ختم البخاري (ل ١٥)، اليمن والإسعاد (٨٧).

(٢) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٣٦-٣٨)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الحوض، رقم (٦٥٧٥)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، رقم: (٢٢٨٩).

(٤) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الحوض، رقم (٦٥٩٣)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، رقم: (٢٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الحوض، رقم (٦٥٨٣)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، رقم: (٢٢٩٠).

(٦) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الحوض، رقم (٦٥٧٩)، ومسلم، كتاب: الفضائل، باب: إثبات حوض نبينا صلى الله عليه وسلم وصفاته، رقم: (٢٢٩٢)، واللفظ له، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

(٧) شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٤)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٩/ب).

وقال في الحوض:" وأحاديثه متواترة، وهو أحد الأقوال في الكوثر، وأجمع عليه السلف الصالح، ... وعليه، فالمختص به نبينا -صلى الله عليه وسلم- هو الكوثر الذي يصب من مائه في حوضه، ولم ينقل نظيره لغيره، ولذا امتن الله تعالى به عليه في التنزيل"(١).

المناقشة:

الكوثر لغة: فوعل من الكثرة، ومعناه الخير الكثير(٢).

والمراد بالكوثر: نهر في الجنة، أعطاه الله نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- زيادة في إكرامه ولطفه به وبأمته، وصفه الله بالكثرة لعظم قدره(٣)، فقد قال-صلى الله عليه وسلم- كما جاء في الحديث: ((**أتدرون ما الكوثر؟**)) فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: ((**فإنه نهر وعدنيه ربي -عز وجل- عليه خير كثير هو حوض، ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم**)) (٤) فالكوثر متصل بالحوض الذي هو في الموقف، وهو مادته(٥)، وهو:

الحوض في اللغة هو: مجمع الماء(٦).

والمراد بالحوض هنا: هو المورد الموعود به النبي - صلى الله عليه وسلم - في عرصات القيامة، ومادته من الكوثر؛ فقد ورد -كما في الحديث السابق- في صفة الحوض يوم القيامة أنه يشخب فيه ميزابان من السماء عن نهر الكوثر، وأن عليه آنية عدد نجوم السماء(٧).

وبيان محمد بن جعفر الكتاني للحوض بأنه الكوثر، وأن الكوثر مما اختص به-صلى الله عليه وسلم- حق؛ لأنه يطلق على الحوض كوثر لكونه يمد منه، يقول ابن أبي العز-رحمه

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٩/ب).

(٢) ينظر مادة (كثر): تهذيب اللغة (١٠٢/١٠)، المفردات في غريب القرآن (٧٠٣)، النهاية في غريب الحديث (٢٠٨/٤) القاموس المحيط (٢٠٣).

(٣) ينظر المراجع السابقة، وينظر: تفسير الطبري (٦٤٥/٢٤)، تفسير ابن كثير (٤٩٨/٨)، فتح الباري (٧٣٢/٨).

(٤) سبق تخريجه (٢٧١).

(٥) ينظر: تفسير ابن كثير (٤٩٨/٨)، فتح الباري (٤٦٦/١١-٤٦٧).

(٦) ينظر مادة (حوض): الصحاح (١٠٧٣/٣)، تاج العروس (٣٠٨/١٨).

(٧) ينظر: فتح الباري (٤٦٦/١١-٤٦٧)، شرح العقيدة الطحاوية (٣٤٦/١)، قطف الثمر (١٢٨).

الله-:"والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر"(١).

والإيمان بالحوض والكوثر من أصول الإيمان باليوم الآخر؛ وهذا هو الحق الذي دلت عليه النصوص، وأجمع عليه أهل السنة والجماعة(٢).

يقول القاضي عياض: "أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض، والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يختلف فيه"(٣).

ويقول أبو الحسن الأشعري-رحمه الله-:"وأجمعوا... على أن لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حوضاً يوم القيامة ترده أمته لا يظمأ من شرب منه"(٤).

الجنة والنار.

قرر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، خلافا لمن زعم غير ذلك، حيث يقول بأن من المتواتر:" أحاديث: أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، ذكر في إرشاد الساري أن كون النار مخلوقة الآن وكذا الجنة، مما تواترت به الأخبار تواتراً معنوياً(٥)، وقال ابن كثير في تفسيره لدى قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ **[سورة البقرة:٢٤]**:" وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله: ﴿أعدت﴾ أي: أرصدت وهيئت وقد وردت أحاديث كثيرة في ذلك منها: "تحاجت الجنة والنار" ومنها: "استأذنت النار ربها فقالت: رب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٣٤٧/١)، وينظر: تفسير ابن كثير (٤٩٨/٨)، شرح العقيدة الواسطية للهراس (٢١٠).

(٢) ينظر: الشرح والإبانة (٢٠٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٧٥/١)، مجموع الفتاوى (١١/ ٤٨٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (٥٣/١٥).

(٤) رسالة إلى أهل الثغر (١٦٥).

(٥) ينظر: إرشاد الساري (٢٨٧/٥).

الصيف"، وحديث ابن مسعود سمعنا وجبة فقلنا ما هذه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هذا حجر ألقي به من شفير جهنم منذ سبعين سنة الآن وصل إلى قعرها" وهو عند مسلم، وحديث صلاة الكسوف وليلة الإسراء وغير ذلك من الأحاديث المتواترة في هذا المعنى، وقد خالفت المعتزلة بجهلهم في هذا "(١) (٢).

وقال في كونهما مخلوقتان الآن:" هذا هو الذي اتفق عليه أهل السنة والجماعة، عملا بالقرآن وما ورد في ذلك من الآثار"(٣).

ويقول في حديث: ((**أعددتُ لعبادي الذين آمنوا وعملوا الطاعات، ما لا عينٌ رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**)) (٤): " وفي قوله: ((**أعددتُ**)) دليلٌ على أنَّ الجنة مخلوقة"(٥).

وقال:" الجنة: هي دار النعيم في الدار الآخرة، والجنة: البستان، والعرب تسمي النخيل جنة، ... وسمِّيت بالجنة وهي المرة الواحدة من مصدر جنه جنا، إذا ستره، فكأنها سترة واحدة لشدة التفافها وإظلالها.

والنار: جرم لطيف محرق، وتطلق مجازًا على دار عقاب الله تعالى لخلقه؛ لاشتمال تلك الدار على النار.

وإن أردت صفتهما فاقرأ القرآن فليس وراء بيان الله بيان"(٦)، وأورد الكثير من الآيات والأحاديث في صفاتهما، وقال:" وأجمع السلف والخلف على ظواهرها من غير تأويل، وأن تأويلها من غير ضرورة إلحاد في الدين"(٧).

المناقشة:

---

(١) تفسير ابن كثير (٢٠٢/١).

(٢) نظم المتناثر (٢٣٢).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩١/أ).

(٤) سبق تخريجه (٧٢٣).

(٥) شرح على دلائل الخيرات (ل ٦٠)، وينظر المرجع نفسه: (ل ٣٨).

(٦) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩١/أ).

(٧) المرجع السابق (ل ٩١/أ).

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني هو ما أجمع عليه سلف الأمة، فقد أجمعوا على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن(١).

وقد لخص الإمام أبو عثمان الصابوني عقيدة أهل السنة والجماعة في الجنة والنار بقوله: «ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما باقيتان لا يفنيان أبدا، وأن أهل الجنة لا يخرجون منها أبدا، وكذلك أهل النار الذين هم أهلها خلقوا لها، لا يخرجون أبدا»(٢).

إلا أن لعقيدة وحدة الوجود التي قررها الكتاني وغلوه في مدعي الولاية أثر على الإيمان بالجنة والنار، حيث نقل مع الإقرار:" وفي عبارة لبعضهم، قال: لولا ثبوت الإنسان الكامل في الجنة، وعدم زواله منها، لكان الحال فيها كالحال في الأرض والسماوات من زوالهما عند زواله منهما، وكذا لو خلت منه جهنم، لزالت، بل إذا زال عن دار أي دار كانت فإنها تزول بزواله، وإذا ثبت فيها فإنها تثبت بثبوته، وكذا جميع الأمكنة، ومنه تعلم أن العوالم كلها لا تخلو منه؛ لأنها لو خلت منه لتلاشت واضمحلت، لكونها ليس لها قيام ولا قوام إلا به، ولجمعيته للأسماء الإلهية، والإمكانية، ومظهريته للطرفين، وكونه برزخا جامعا بين قوسي الوجوب والإمكان، لم تسعه الجنة ولا عالم من العوالم، وإنما يكون في الجنة ما يناسب الجنة، وفي كل عالم ما يناسب ذلك العالم، وفي جهنم جهنم، إذ لو خلت جهنم منه لم تبق، وبه امتلأت، أعني بما يناسبها منه"(٣)، وهذا باطل ببطلان حلول الله بأحد من خلقه.

وقوله عن أحد مدعي الولاية: "كُشف له عن ملكوت السماوات والأرض والجنة وما فيهما ظاهرا وباطنا"(٤)، وهذا باطل بطلان الكشف الصوفي المبتدع المنافي للعقل.

رؤية الله تعالى:

---

(١) ينظر: الشرح والإبانة (٢٢٧)، الحجة في بيان المحجة (٤٣٤/٢)، التمهيد (١١/٥)، مجموع الفتاوى (٣٠٧/١٨)، حادي الأرواح لابن القيم (١١) لوامع الأنوار البهية (٢٣٠/٢).

(٢) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٦٤)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٤١/٢-٦٤٢).

(٣) جلاء القلوب (٢٨٨/٣).

(٤) المرجع السابق (٢٦٩/١).

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر كما يقول حديث:"((**إنكم سترون ربكم**))(١) يعني: يوم القيامة، كما ترون القمر ليلة البدر، وفي "تحفة الجلساء": [رؤية الله تعالى في الموقف حاصلة لكل أحد بلا نزاع] (٢)، وقال اللقاني(٣) في شرح جوهرته: [أحاديث رؤية الله تعالى في الآخرة بلغ مجموعها مبلغ التواتر، مع اتحاد ما تشير إليه وإن كان تفاصيلها آحاداً](٤) اهـ.

وقال الدميري(٥) في "حياة الحيوان" في مبحث العلق، لما ذكر أن رؤيته تعالى في الدنيا والآخرة جائزة بالأدلة العقلية والنقلية، ما نصه: [وأما النقلية: فمنها كذا، إلى أن قال: ومنها ما تواترت به الأحاديث من أخباره -صلى الله عليه وسلم- برؤية الله تعالى في الدار الآخرة، ووقوع ذلك كرامة للمؤمنين] (٦) اهـ

وفي "المواهب" في الكلام على الإسراء: [تواترت الأخبار عن أبي سعيد وأبي هريرة وأنس وجرير وصهيب وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أن المؤمنين يرون الله تعالى في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات جعلنا الله منهم (٧)اهـ."(٨).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله تعالى: {وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة} [القيامة: ٢٣]، رقم (٧٤٣٤)، ومسلم، كتاب: المساجد ومواضع الصلاة، باب: فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليها، رقم (٦٣٣)، من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه.

(٢) ضمن الحاوي للفتاوى، للسيوطي (٢/٢٤٠).

(٣) هو: إبراهيم بن إبراهيم بن حسن اللقاني، مالكي المذهب، أشعري المعتقد، صاحب جوهرة التوحيد، توفي عام١٠٤١هـ، ينظر: شجرة النور الزكية (١/٤٢٢)، فهرس الفهارس (١/١٣٠)، الأعلام (١/٢٨).

(٤) ينظر: القول السديد شرح جوهرة التوحيد، اللقاني (ص٩٥).

(٥) هو: محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري، أبو البقاء الشافعي، كان يتكسب بالخياطة ثم أقبل على العلم وأفتى ودرس، من أشهر مؤلفاته "حياة الحيوان"، الديباجة في شرح سنن ابن ماجه، توفي عام ٨٠٨هـ، ينظر: الضوء اللامع (١٠/٥٩)، شذرات الذهب (٧/٧٩).

(٦) حياة الحيوان الكبرى، للدميري (٢/٢٠٧).

(٧) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني (٢/٤٩٥).

(٨) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٣٨)،، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٤٣/أ).

وقال في الرؤية:" عامة لكل أحد، أي لا فرق فيها بين الرجال والنساء، ولا بين المؤمن والمنافق، لكن المؤمن يراه قطعا على ما ذهب عليه جماعة من أهل السنة"(١).

كما قرر بأن من المتواتر في قول الله عز وجل: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ **[سورة يونس:٢٦]**، كما يقول أن "الحسنى: الجنة، والزيارة: النظر إلى وجه الرحمن"(٢).

ويقول في هذه الرؤية بناء على مذهبه في الصفات: "والظاهر أنها كانت من غير عضو، ولا مقابلة، ولا شيء مما جرت به العادة، بناء على مذهب أهل الحق وهم أهل السنة، من أن الرؤية لا يشترط لها عقلا عضو مخصوص، ولا مقابلة، ولا شعاع، ولا تتوقف على ضوء، ولا على قرب، كما لا تتوقف على الآلة المخصوصة التي هي العين، وإنما هذه أمور عادية يجوز عقلا حصول الإدراك مع عدمها، ولذا حكموا بجواز رؤية الله تعالى في الدار الآخرة خلافا لأهل البدع"(٣).

وقال:" يُرَى بلا كيف ولا مقابلة ولا شعاع واصل ما قابله، ولا مسافة ولا مكان أو جهة تقصد للعيان، وهذا جواب عن إشكال النافين للرؤية بأنها تستلزم المقابلة والجهة والمكان وهو تعالى منزه عن ذلك، وحاصل الجواب منع الاستلزام المذكور؛ لأنه إنما يكون في رؤية المتحيزات، والحق تعالى منزه عن التحيز"(٤).

ويؤيد محمد بن جعفر الكتاني القول بجواز رؤية الله تعالى في الدنيا، ويقول:" والدليل على جوازها في الدنيا: سؤال سيدنا موسى -عليه السلام- لها، ومحال أن يجهل نبي ما يجوز على الله، وما لا يجوز عليه؛ بل لم يسأل إلا جائزًا غير مستحيل، ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، فقال له: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ **[سورة الأعراف:١٤٣]**، أي: لن تطيق، ولن تحتمل رؤيتي، ثم ضرب له مثالا مما هو أقوى من بنية موسى وأثبت، وهو الجبل.

---

(١) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٥)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٤٣/أ، ل ٩١/ أ).

(٢) نظم المتناثر (٢٤٢).

(٣) جلاء القلوب (٢٦١/١).

(٤) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٣)، وينظر: جلاء القلوب (٩٤/٢).

وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته في الدنيا؛ بل فيه جوازها على الجملة، وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها؛ إذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة...

وذهب جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين إلى امتناع رؤيته تعالى في الدنيا، وهو مذهب عائشة.

والحاصل: أن في رؤيتنا له تعالى في الدنيا قولان: الحق منهما هو الجواز، لكنها لم تقع إلا لنبينا -صلى الله عليه وسلم- خاصة... ثم أجمع السلف الصالح على جوازها، وما زال الأولياء والعلماء يطلبونها -لا أحرمنا الله منها-، ولابن الفارض: (١)

وإذا سـألتك أن أراك حقيقـة فـاسمح ولا تجعـل جـوابي: لـن تـرى

"(٢).

ويقول في قوله الله عز وجل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۞﴾ **[سورة النجم:٨]**:"دنا منه الجبار-رب العزة-، ... فتدلى: أي زاد في الدنوا، والقرب، فكان منه مقدار قوسين، أو: قابي قوس بل أدنى، كما هو مقتضى مكانته العلية ومقامه الأسنى، ورأى الذات العلية"(٣).

المناقشة:

رؤية الله ﷻ من أشرف المسائل، وأجلها قدرا، وأعلاها خطرا، وأقرها لعيون أهل السنة، وأشدها على أهل البدعة والضلالة، ويمكن تقسيم هذه المسألة على حسب تقريرات محمد بن جعفر الكتاني، إلى ما يلي:

- رؤية الله تعالى في الآخرة:

رؤية الله ﷻ في الآخرة ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، ومن الأدلة على ذلك: قول الله ﷻ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۞إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ني﴾ **[سورة القيامة:٢٣]**، وهذه الآية من أصرح الأدلة على وقوع الرؤية يوم القيامة، ودلالة هذه الآية من وجوه:

---

(١) هو: عمر بن علي ابن الفارض أحد أشهر الشعراء المتصوفين، الغالب على أشعاره العشق الإلهي ووحدة الوجود، من مؤلفاته: التائية، الديوان، توفي ٦٣٢هـ، ينظر: ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي (٣/٢١٤)، شذرات الذهب (٥/١٤٩) الأعلام (٥/٥٥).

(٢) حاشية على شرح ميارة (ل ٤٣/ أ)، وينظر: تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٦).

(٣) نيل المنى وغاية الول (١٤٤)، وينظر: جلاء القلوب (١/١٥٧).

الأول: أن السلف الصالح فسروا النظر في هذه الآية برؤية الله ﷻ[١].

الثاني: أن النظر إذا عدي بـ إلى، صار معناه المعاينة بالأبصار، وهذا صريح في رؤية الله .

الثالث: أن الله ﷻ أضاف النظر إلى الوجه وهو محل البصر[٢].

قول الله ﷻ: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة يونس:٢٦].

وقد فسر النبي -صلى الله عليه وسلم- الزيادة بالنظر إليه ﷻ[٣]، وهذا مما أجمع عليه أهل التأويل[٤].

والأدلة من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- على إثبات رؤية الله ﷻ متواترة كما قرر الكتاني، يقول ابن كثير رحمه الله: «وأما السنة، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيد، وأبي هريرة، وأنس، وجرير، وصُهَيْب، وبلال، وغير واحد من الصحابة عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: أن المؤمنين يرون الله في الدار الآخرة في العرصات، وفي روضات الجنات، جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه آمين!»[٥]، وقد جمع هذه الأحاديث عدد من أهل العلم -رحمهم الله تعالى-[٦].

---

(١) ينظر: جامع البيان (٢٣/٥٠٧)، التوحيد لابن خزيمة (١/٢٨٢)، التصديق بالنظر إلى الله تعالى بالآخرة، للآجري (ص٣٥-٣٦)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/٤٦٣-٤٦٦)،

(٢) ينظر: الإبانة عن أصول الديانة (٣٥)، حادي الأرواح (٢٠٤)، شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٨٦).

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة، حديث: (١٨١).

(٤) ينظر: رد الدارمي على بشر المريسي (٢/٧٢٢)، للاستزادة ينظر: رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها، لأحمد بن ناصر آل حمد.

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣/٣٠٩).

(٦) ينظر: كتاب الرؤية للدار القطني، ورؤية الله تبارك وتعالى لابن النحاس.

أما الإجماع على رؤية الله ﷻ في الآخرة: فقد حكاه غير واحد من أهل العلم(١)، منهم الإمام ابن بطة رحمه الله، حيث قال بعد حشد الأدلة على الرؤية: «فقد ذكرت لكم – رحمكم الله– من تثبيت رؤية المؤمنين ربهم تعالى يوم القيامة في الجنة، وشرحت ذلك وبينته ملخصا من كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد –صلى الله عليه وسلم–، وإجماع العلماء، وأئمة المسلمين، ولغات العرب ما في بعضه كفاية»(٢).

أما ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من إثبات الرؤية مع نفي المقابلة ونفي العين لله – تبارك وتعالى– فهو ما قرره الأشاعرة، وهو قول تفردوا به دون سائر طوائف الأمة، حيث ذكروا أن الله يرى بلا مقابلة ولا جهة؛ لأن هذا يقتضي التجسيم والتشبيه كما زعموا، وجمهور العقلاء على أن فساد هذا معلوم بالضرورة (٣)، من وجوه:

–أن المقابلة لا يلزم منها إثبات التجسيم لله تعالى، يقول السجزي رحمه الله في الرد على هذه الشبهة: « المقابلة لا تقتضي التجسيم كما زعموا؛ لأن المرئيات في الشاهد لا تخرج عن أن تكون جسماً أو عرضاً على أصلهم، والله سبحانه باتفاقنا مرئي، ... وإذا صح ذلك، جاز أن يرى عن مقابلة، ولا يجب أن يكون جسما»(٤).

–أن إثبات الرؤية مع نفي المقابلة مخالف للعقل لا كما يرى، يقول ابن أبي العز رحمه الله: « هل تعقل رؤية بلا مقابلة؟ ومن قال: يرى لا في جهة، فليراجع عقله!! فإما أن يكون مكابرا لعقله، وفي عقله شيء، وإلا فإذا قال: يرى لا أمام الرائي ولا خلفه، ولا عن يمينه ولا عن يساره، ولا فوقه ولا تحته، رد عليه كل من سمعه بفطرته السليمة، ولهذا ألزم المعتزلة من نفى العلو بالذات بنفي الرؤية، وقالوا: كيف تعقل رؤية بلا مقابلة بغير جه» (٥).

---

(١) ينظر في حكاية الإجماع على سبيل المثال: الرد على الجهمية للدارمي (١٢٢–١٢٣) ، التوحيد لابن خزيمة (٣٥٥/١)، الإبانة عن أصول الديانة (٤٨)، مجموع الفتاوى (٥١٠/٦، ٥١٢)، حادي الأرواح (٢٤١) وقد نقل ابن القيم الإجماع على رؤية الله عز وجل في جهة من فوقهم.

(٢) الإبانة الكبرى (٦٣/٧).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٨٤/١٦)، بيان تلبيس الجهمية (٤٠٩/٢–٤١٨).

(٤) الرد على من أنكر الحرف والصوت (١٧٤).

(٥) شرح العقيدة الطحاوية (٢٩٥/١).

والذي أدى محمد بن جعفر الكتاني إلى هذا القول، هو ما قرره من نفي القرب ونفي الصفات الخبرية عن الله تعالى، وكل هذا النفي باطل -كما تقدم-، وكله مبني على شبهة قياس الخالق بالمخلوق، وهذا باطل أيضا، فالله ﷻ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١].

أما قوله بأن رؤية الله -عز وجل- حاصلة للمؤمن والمنافق، "لكن المؤمن يراه قطعا على ما ذهب عليه جماعة من أهل السنة"[١]، وما نقله في أن الرؤية حاصلة لكل أحد حتى الكفار، فهذه المسألة وقع الخلاف فيها بين أهل السنة، وقد قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فأما مسألة رؤية الكفار، فأول ما انتشر الكلام فيها وتنازع الناس فيها - فيما بلغنا - بعد ثلاثمائة سنة من الهجرة، وأمسك عن الكلام في هذا قوم من العلماء، وتكلم فيها آخرون، فاختلفوا فيها على ثلاثة أقوال، ... **أحدها:** أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر، ولا المسر له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها، وغبرات من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين لا يرونه بعد ذلك، ...

الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب - كاللص إذا رأى السلطان - ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم»[٢].

والراجح والله أعلم هو القول الثالث، وهو رؤية جميع أهل الموقف لله بحسب أعمالهم، وهو ما ذهب إليه محمد بن جعفر الكتاني، حيث أورد كلام أهل العلم فيه، وقررهم عليه.

-رؤية الله عز وجل في الدنيا.

رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة في العقل والشرع، غير واقعة بإجماع أهل السنة والجماعة[١]، ولم يقع في هذا نزاع سوى في مسألة رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- له ليلة

---

(١) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٤٨٦-٤٨٨)، شرح العقيدة الطحاوية (١ / ٢٩٧).

المعراج، يقول ابن تيمية–رحمه الله–:"أئمة السنة والجماعة متفقون على أن الله لا يراه أحد بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في نبينا –صلى الله عليه وسلم– خاصة"(٢).

والأدلة على ذلك متضافرة عقلا ونقلا، ومنها قوله عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ [سورة الأنعام:١٠٣]، وقد أجمع السلف الصالح على أن هذه الآية في أبصار أهل الدنيا، فلا يراه أحد في الدنيا بعينه(٣).

وقد جاء عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال فيما يوم حذر الناس من الدجال: ((**تعلّموا أنه لن يرى أحد منكم ربه عز و جل حتى يموت**))(٤).

فالحديث صريح في نفي رؤية الله تعالى في الدنيا، وقد خاطب به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أصحابه، فإذا كانت الرؤية الدنيوية منتفية في حقهم فغيرهم من باب أولى(٥).

أما طلب محمد بن جعفر الكتاني وسؤاله رؤية الله في الدنيا فهو قول غلاة الصوفية، وهو خلاف الأدلة، وخلاف منهج أهل السنة والجماعة، فقد أجمعوا على أنها غير واقعة لأحد في الدنيا بعينه، ولم يقع الخلاف إلا في النبي–صلى الله عليه وسلم–، مع أن جمهور الأمة على أنه لم يره بعينه في الدنيا، ولم يسأل رؤية الله بعينه في الدنيا أحد منهم، فسؤاله باطل، مناقض لقول النبي–صلى الله عليه وسلم–((**لن يرى أحد منكم ربه عز و جل حتى يموت**))(٦)، ومن قال بأن أحدا من الناس يراه بعينه، فقد زعم بأنه أعظم من موسى –عليه السلام، يقول ابن تيمية–رحمه الله–:" ومن قال من الناس: إن الأولياء أو غيرهم يرى الله بعينه في الدنيا فهو

---

(١) ينظر: رد الدارمي على المريسي (٨٢١/٢)، الرد على الجهمية للدارمي (١٢٤)، التوحيد وإثبات صفات الرب لابن خزيمة (٣٢٧/١)، مجموع الفتاوى (٥١٢/٦).

(٢) مجموع الفتاوى (٤٩٠/٥).

(٣) ينظر: رد الدارمي على المريسي (٣٦٦/١)، الرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد (١٤).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: الفتن وأشراط الساعة، باب: ذكر ابن الصياد، حديث رقم: (١٦٩).

(٥) ينظر: فتح الباري (٩٦/١٣)، بيان تلبيس الجهمية (٢٢٨/١).

(٦) سبق في هامش (٤).

مبتدع ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة؛ لا سيما إذا ادعوا إنهم أفضل من موسى فإن هؤلاء يستتابون؛ فإن تابوا وإلا قتلوا"(١).

إلا إذا أُريد بهذا السؤال رؤية الفؤاد أو القلب لا رؤية البصر، فإن الصحابة والتابعين على جوازها للمؤمنين، وهو ما يحصل للقلوب ما يناسب حالها على قدر إيمان العبد؛ لأن من أحب شيئا تمثل في قلبه ووجده قريبا إليه، كما قال-صلى الله عليه وسلم-حين سأله جبريل عن الإحسان: **((أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك))** (٢)(٣).

إلا أن محمد بن جعفر الكتاني أراد في الحقيقة إمكان رؤية الله في الدنيا بالعين لا بالقلب؛ بدليل استدلاله بقول ابن الفارض:

وإذا سألتك أن أراك حقيقة　　　فاسمح ولا تجعل جوابي: لن ترى

وهو قول باطل مبتدع، ليس عليه دليل يعتمد عليه بل هو مناقض لما ثبت ولما أجمع عليه السلف الصالح، بل هو قول أهل الغباوة من الصوفية كما ذُكر ذلك عنهم(٤).

رؤية النبي -صلى الله عليه وسلم- لربه ليلة المعراج:

يظهر مما سبق بأن محمد بن جعفر الكتاني يرى بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- رأى ربه ليلة المعراج، وقد ورد في مسألة رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم- لربه أحاديث من وجهين متعارضين في الظاهر، هما:

نفي رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم- لربه:

وفيه أحاديث ومنها ما جاء عن مسروق، قال: "كنت متكئا عند عائشة، فقالت: يا أبا عائشة، ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، قال: وكنت متكئا فجلست، فقلت: يا أم المؤمنين، أنظريني، ولا تعجليني، ألم يقل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ

(١) مجموع الفتاوى (٦/٥١٢)، وينظر: بغية المرتاد (٣٨٥).
(٢) سبق تخريجه (٦٢٩).
(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٥/٢٤٩-٢٥١، ٢٩٢).
(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٥/٧١، ٧٨-٧٩).

ٱلْمُبِينِ ۝٢٣ [سورة التكوير:٢٣]، ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣**﴾ [سورة النجم:١٣]، فقالت: أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فقال: ((**إنما هو جبريل، لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطا من السماء سادا عظم خلقه ما بين السماء إلى الأرض**))، فقالت: أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿**لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۝١٠٣**﴾ [سورة الأنعام:١٠٣] أو لم تسمع أن الله يقول: ﴿**۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٥١**﴾ [سورة الشورى:٥١]" (١).

وعن أبي ذر، قال: سألت رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، هل رأيت ربك؟ قال: ((**نور أنى أراه**)) (٢).

إثبات رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم- لربه:

ومن ذلك ما ثبت عن ابن عباس-رضي الله عنه- أنه قال في قوله: ﴿**مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١**﴾ [سورة النجم:١١]، ﴿**وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣**﴾ [سورة النجم:١٣]، قال : "**رآه بفؤاده مرتين**" وفي رواية: "**رآه بقلبه**"(٣).

والذي يظهر -والله أعلم-أنه لا خلاف حقيقي في مسألة رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم- لربه، وإنما هو خلاف لفظي، فابن عباس ورد عنه إثبات رؤية الفؤاد، ولم يرو عنه أنه قال: رآه بعيني رأسه، بوجب حمل المطلق على المقيد، وعند ئذ فلا خلاف في هذه المسألة.

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"وأما " الرؤية " فالذي ثبت في الصحيح عن ابن عباس أنه قال: رأى محمد ربه بفؤاده مرتين، وعائشة أنكرت الرؤية.

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: معنى قول الله تعالى: {وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾، وهل رأى النبي ربه ليله الإسارء، رقم (٢٨٧).

(٢) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: باب في قوله عليه السلام: «نور أنى أراه»، وفي قوله: «رأيت نورا»، رقم (٢٩١).

(٣) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: معنى قول الله تعالى: {وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣﴾، وهل رأى النبي ربه ليله الإسارء، رقم (٢٨٤، ٢٨٥).

فمن الناس من جمع بينهما فقال: عائشة أنكرت رؤية العين، وابن عباس أثبت رؤية الفؤاد، والألفاظ الثابتة عن ابن عباس هي مطلقة أو مقيدة بالفؤاد تارة يقول: رأى محمد ربه، وتارة يقول: رآه محمد؛ ولم يثبت عن ابن عباس لفظ صريح بأنه رآه بعينه...

وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك؛ بل النصوص الصحيحة على نفيه أدل:

كما في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ فقال: ((**نور أنى أراه**)) [١].

وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١﴾ [سورة الإسراء:١]، ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أول"[٢].

ويقول ابن حجر-رحمه الله-:"الجمع بين إثبات ابن عباس ونفي عائشة بأن يحمل نفيها على رؤية البصر، وإثباته على رؤية القلب"[٣].

أما تفسير محمد بن جعفر الكتاني لقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨﴾ **[سورة النجم:٨]**: بأنه تدني الرب، وأن النبي – صلى الله عليه وسلم- رآى الذات العلية ليلة الإسراء، فهو باطل؛ لما يلي:

- تفسيره لهذه الآية بأن الداني هو الله، خلاف ما ثبت عن كبار الصحابة-رضي الله عنهم- وأهل التفسير، في تفسير هذه الآية، لأن القول بأن "المقترب الداني الذي صار بينه وبين محمد -صلى الله عليه وسلم-، إنما هو جبريل -عليه السلام-، هو قول أم المؤمنين

---

(١) سبق تخريجه (ص٧٥٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/٥٠٩).

(٣) فتح الباري (٨/٦٠٨)، وللاستزادة ينظر: رؤية الله تعالى وتحقيق الكلام فيها (١٣٨) وما بعدها، رؤية النبي لربه، لمحمد بن خليفة التميمي (ص٢٣ وما بعدها).

عائشة، وابن مسعود، وأبي ذر، وأبي هريرة-رضي الله عنهم-...، وروى مسلم في صحيحه، عن ابن عباس أنه قال: **"رأى محمد ربه بفؤاده مرتين"**(١)، وجعل هذه إحداهما"(٢).

يقول الطبري-رحمه الله-:"ثم دنا جبريل من محمد -صلى الله عليه وسلم- فتدلى إليه"(٣).

ويقول ابن أبي العز -رحمه الله- في بيان المراد بقوله: ﴿**ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨**﴾ **[سورة النجم:٨]**:"فهو غير الدنو والتدلي المذكورين في قصة الإسراء، فإن الذي في سورة النجم هو دنو جبريل وتدليه، كما قالت عائشة وابن مسعود -رضي الله عنهما- فإنه قال: ﴿**عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨**﴾ **[سورة النجم:٥-٨]** فالضمائر كلها راجعة إلى هذا المعلم الشديد القوى، وأما الدنو والتدلي الذي في حديث الإسراء، فذلك صريح في أنه دنو الرب تعالى وتدليه، وأما الذي في سورة النجم: أنه رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى، فهذا هو جبريل، رآه مرتين، مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى"(٤).

- قوله برؤية النبي للذات العلية فيه إطلاق للرؤية، والصحيح تقييدها بالفؤاد، مع أن ظاهر تفسيره لهذه الآية أنه يرى بأن النبي-صلى الله عليه وسلم- رأى الذات العلية رأي عين، لأنه فسر الدنوا بدنوا الله منه، ثم قرر رؤيته لربه، وهذا لا يصح عن الصحابة ولم يقله أحد منهم.

هذا مجمل ما وقفت عليه من آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان باليوم الآخر، والله أعلم.

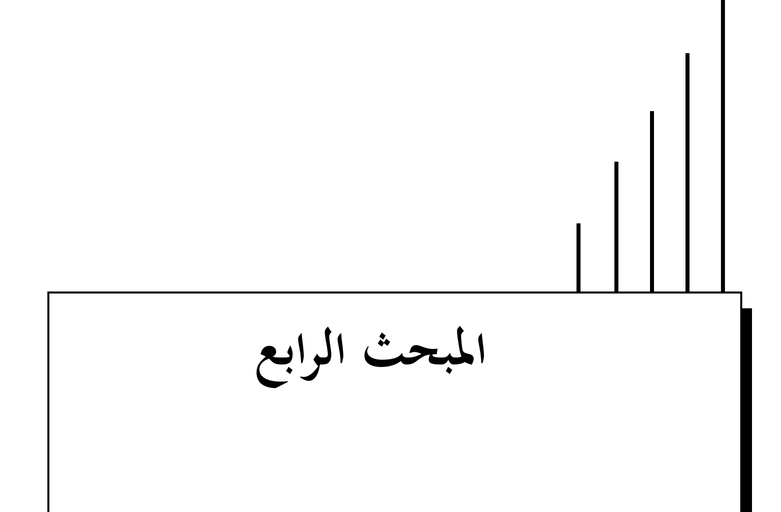
---

(١) سبق تخريجه قريبا.

(٢) تفسير ابن كثير (٤٤٧/٧).

(٣) تفسير الطبري (٥٠٢/٢٢).

(٤) شرح العقيدة الطحاوية (٢٧٦/١).



المبحث الرابع

آراء محمد بن جعفر الكتاني في القضاء والقدر

وفيه مطلبان:

- آراؤه في معنى الإيمان بالقضاء والقدر وما يتضمنه
- آراؤه في مسائل القضاء والقدر

المبحث الرابع: آراء محمد بن جعفر الكتاني في القضاء والقدر

المطلب الأول: آراؤه في معنى الإيمان بالقضاء والقدر وما يتضمنه

القضاء في اللغة: هو بالمد، ويقصر، وأصله (قضايٌ) لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت.

ويطلق القضاء على معان عدة، منها: الحُكم والصُنع والحَتْم، والفراغ، والموت، وكل هذه المعاني ترجع إلى معنى واحد، وهو انقطاع الشيء وتمامه، ومنه القضاء المقرون بالقدر(١).

يقول ابن فارس: «القاف والضاد والحرف المعتل أصل صحيح يدل على إحكام أمر وإتقانه وإنفاذه لجهته، قال الله تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ **[سورة فصلت:١٢]**، أي: أحكم خلقهن»(٢).

القدر: هو مصدر قدَر يَقدر قَدرا.

ويطلق على معان عدة، منها: الحكم، والقضاء، والتقدير، ومبلغ الشيء(٣).

يقول ابن فارس: «لقاف والدال والراء أصل صحيح يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته»(٤).

---

(١) ينظر مادة: (قضى): تهذيب اللغة (١٦٩/٩)، الصحاح (٢٤٦٣/٦)، لسان العرب (١٨٦/١٥)، القاموس المحيط (١٧٠٧).

(٢) معجم مقاييس اللغة (٩٩/٥).

(٣) ينظر مادة: (قدَر): تهذيب اللغة (٣٧/٩)، الصحاح (٧٨٦/٢)، لسان العرب (٧٤/٥)، القاموس المحيط (٥٩١).

(٤) معجم مقاييس اللغة (٦٢/٥).

والمراد بالقضاء والقدر في الشرع: علم الله ﷻ بالأشياء قبل وقوعها، وكتابته لها في اللوح المحفوظ، ومشيئته سبحانه وتعالى لوقوعها، وخلقه ﷻ لها على ما سبق به علمه وكتابته ومشيئته سبحانه(١).

ونقل محمد بن جعفر الكتاني في القضاء والقدر ما نصه: "قال أبو المظفر بن السمعاني: مسند معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل، فمن عدل عن التوقيف فيه ضل، وتاه في بحار الحيرة، وضرب دونه الأستار، وحجبه عن عقول الخلق ومعارفهم؛ لما علمه من الحكمة، فلم يعلمه نبي مرسل، ولا ملك مقرب(٢)"(٣).

إلى أن قال في تعريف القضاء والقدر: "قال الراغب: القدر هو التقدير، والقضاء: هو التفصيل والقطع، فالقضاء أخص من القدر؛ لأنه الفصل بين التقدير، فالقدر كالأساس، والقضاء هو: التفصيل والقطع"(٤).

وقد اختلف أهل العلم في القضاء والقدر، هل هما بمعنى واحد أم أنهما متغايران، واختلف القائلون بالتغاير بالتمييز بينهما.

والراجح في هذه المسألة أن لفظي القضاء والقدر بينهما عموم وخصوص، فإذا افترقا اجتمعا، بمعنى أنه إذا أطلق القدر مفردا شمل القضاء، وإذا أطلق القضاء مفردا شمل القدر، وإذا اجتمعا افترقا، فيكون المراد بالقدر: ما قدره الله في الأزل، والمراد بالقضاء إيجاد المقدر، أو ما يقضيه الله تعالى في خلقه من إيجاد، أو إعدام، أو تغيير، كقوله ﴿**فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ**﴾ [سورة فصلت:١٢]، وكقوله: ﴿**فَلَمَّا قَضَيۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَوۡتَ**﴾ [سورة سبأ:١٤].

---

(١) ينظر: شرح السنة (١٤٢/١)، معالم السنن (٣٢٣/٤)، المنهاج شرح صحيح مسلم (١٥٤/١)، مجموع الفتاوى (١٤٨/٣-١٤٩)، فتح الباري (١١٨/١)، لوامع الأنوار البهية (٣٤٥/١-٣٤٩)، فتاوى ابن عثيمين (٧٩/٢-٨٠).

(٢) ينظر: الحجة في بيان المحجة (٣٠/٢).

(٣) حاشية على شرح ميارة (ل ٨٧/أ).

(٤) المرجع السابق (ل ٨٧/أ)، وينظر: جلاء القلوب (١١٧/١).

فالقدر سابق والقضاء لاحق[١]، وهذا ما ألمح له محمد بن جعفر الكتاني في تقريره السابق، بقوله:" فالقدر كالأساس، والقضاء هو: التفصيل والقطع"[٢].

وقد فرّق محمد بن جعفر الكتاني بين القدر وسر القدر، فقرر–برأيه–أن سر القدر مكتوم في الدنيا إلا على محمد–صلى الله عليه وسلم– وعلى الوارث المحمدي، حيث نقل بأن سر القدر من الخفيات التي يعلمها الأنبياء والصديقون إلا أنهم منعوا من إفشائها، و"قيل إن سر القدر ينكشف لهم إذا دخلوا الجنة، ولا ينكشف قبل دخولها"[٣]، ويقول:" تبين أن الذي لم يعلمه ولا يعلمه نبي مرسل ولا ملك ولا غيرهما هو القدر لا سره، والفرق بينهما أن القدر صفة نفسية للذات بها يتخصص المعلوم بما يكون عليه من الاستعدادات، فهو مما لا يمكن أن يعرف ولا أن يطلع عليه أحد بوجه قط؛ لأنه لو عرف لعرف كنه الذات، وذلك محال، وسره ما هو عليه المعلوم في نفسه من الاستعدادات الثابتة في العلم، فهو مانع للقدر وتحكمه هو حكمه في الأشياء وعليها بها، أي بما أعطته المعلومات مما هي عليه في نفسها فهو مانع لعين الشيء الذي يحكم فيه وعليه بما تقتضيه ذاته، وبذلك كانت لله تعالى على خلقه الحجة البالغة، إذ ما أعطاهم إلا ما طلبوه منه بالسر استعداداتهم، فكان إيجاده للأشياء كلها وإفاضته لصورها ولوازمها بحسب القوابل والاستعدادات لا غير"[٤].

وقال عن علم النبي–صلى الله عليه وسلم– بالغيب: "ومنها معرفته بسر القدر؛ إذ تقدم عن الفصوص وغيرها معرفة بعض الأولياء به فكيف به –عليه الصلاة والسلام– والذي استأثر الله به فلم يعرفه نبي مرسل ولا ملك مقرب القدر، إذ لا يمكن أن يعرفه إلا من عرف الذات، والذات العلية تستحيل معرفتها" [٥].

---

(١) ينظر: الدرر السنية (٢١٣/٢)، فتاوى ابن عثيمين (٧٩/٢).

(٢) المرجع السابق (ل ٨٧/أ)، وينظر: جلاء القلوب (١١٧/١).

(٣) جلاء القلوب (١١٧/١).

(٤) جلاء القلوب (١٢٠/١–١٢١)، وينظر المرجع نفسه (١١٦/١–١١٧) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣١/ب).

(٥) جلاء القلوب (٢٠٦/١).

وقد نهج محمد بن جعفر الكتاني في هذا نهج غلاة المتصوفة ممن يرى الكشف الصوفي والاطلاع على اللوح المحفوظ (١)، والصواب كما يقول الطحاوي-رحمه الله-:" أصل القدر سر الله تعالى في خلقه لم يطلع على ذلك ملك مقرب ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرا وفكرا ووسوسة، فان الله تعالى طوى علم القدر عن أنامه ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى في كتابه: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأنبياء:٢٣]، فمن سأل: لم فعل؟ فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب كان من الكافرين"(٢).

وما قرره هنا متناقض مع ما نقله عن السمعاني في أن مسند معرفة هذا الباب التوقيف من الكتاب والسنة دون محض القياس والعقل.

مع التنبيه على أن تقريرات محمد بن جعفر الكتاني في وحدة الوجود، وأن من شهد الحقيقة من مدعي الولاية قد يعمل أعمالا ظاهرها خراب وباطنها صواب؛ لشهوده الربوبية وفنائه فيها، يُعد من الانحراف في القضاء والقدر، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية-رحمه الله- موضحا انحراف غلاة الصوفية تجاه عقيدة القضاء والقدر:" وأهل الفناء في توحيد الربوبية قد يظن أحدهم أنه إذا لم يشهد إلا فعل الرب فيه فلا إثم عليه، وهم في ذلك بمنزلة من أكل السموم القاتلة، وقال: أنا أشهد أن الله هو الذي أطعمني فلا يضرني، وهذا جهل عظيم، فإن الذنوب والسيئات تضر الإنسان أعظم مما تضره السموم، وشهوده أن الله فاعل ذلك لا يدفع ضررها، ولو كان هذا دافعا لضررها لكان أنبياء الله وأولياؤه المتقون أقدر على هذا الشهود الذي يدفعون به عن أنفسهم ضرر الذنوب.

ومن هؤلاء من يظن أن الحق إذا وهبه حالا يتصرف به وكشفا، لم يحاسبه على تصرفه به، وهذا بمنزلة من يظن أنه إذا أعطاه ملكا لم يحاسبه على تصرفه فيه"(٣)، وهذا باطل ببطلان عقيدة وحدة الوجود والكشف الصوفي كما سبق.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢/٢٠٥، ٤٦٧).

(٢) متن العقيدة الطحاوية (٢٨-٢٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/٣٤٨-٣٤٩).

والإيمان بالقضاء والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان التي لا يصح إيمان العبد إلا بها، وهو يتضمن أربعة أمور: علم الله بالأشياء، وكتابته لها، ومشيئته تعالى لوقوعها، وخلقه لها، وفيما يلي بيان رأي محمد بن جعفر الكتاني بمراتب القضاء والقدر:

- **المرتبة الأولى: العلم:**

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن الله كما يقول: "علِم الأشياء وهي في العدم لا عين لها في الوجود بوجه من الوجوه"(١)، ويقرر بأن علم الله محيط بكل شيء، يقول: "لا ريب أن علمه تعالى محيط بالجزئيات والكليات"(٢)، ويقول:" العلم بجميع المعلومات قديمها وحديثها، واجبها ومستحيلها، إنما هو لله وحده، وليس جميعه لأحد سواه لا من نبي ولا من غيره"(٣).

وحكى عن القدرية الأولى بأنهم أنكروا علم الله عز وجل، فقال:" هم قدريتان، أولى: وهم ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، ويزعمون أن الله لم يقدر الأمور أزلًا، ولم يتقدم له علم بها، وإنما يأنفها -أي: يعلمها- حال وقوعها، ...

وفرقة ثانية: وهم مطبقون على أنه تعالى عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، إلا أنهم قالوا: إنها مخلوقة لهم، واقعة منهم على جهة الاستقلال "(٤)، والثانية هم المعتزلة كما سيأتي بيانه في المطلب الثاني إن شاء الله!

وقد سبق بيان نفي محمد بن جعفر الكتاني لتجدد علم الله عز وجل وقرر أزليته، كما أنه قرر علم غيره واطلاعه على الغيب، -وإن كان ينفي أنهم يعلمون الغيب من ذواتهم وبطريق الاستقلال، وإنما بتعليم الله تعالى، وسبق بيان بطلان هذا ومخالفته للكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

-المرتبة الثانية: الكتابة:

---

(١) جلاء القلوب (١١٢/١).

(٢) المرجع السابق (٢٩٢/١).

(٣) جلاء القلوب (١١٨/٢).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٠/أ).

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن الله ﷻ كتب في اللوح المحفوظ كل شيء، حيث يقول عن اللوح المحفوظ: "كتب فيه القلم بإذن الله -تعالى- جميع ما كان ويكون إلى يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [سورة يس:١٢]، أي: كتاب، وهو اللوح المحفوظ، وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [سورة الأنعام:٣٨]، وقال: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [سورة يونس:٦١].

وكما أخرج البخاري أول بدء الخلق عم عمران بن حصين مرفوعا: ((**كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر**)) (١)، أي: في محله الذي هو اللوح المحفوظ، ((كل شيء))، يعني من الكائنات.

وأخرج مسلم وغيره عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: ((**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه على الماء**))(٢)...وظاهر هذه الأخبار وغيرها أن اللوح المحفوظ فرع عن كتابه، وأن ما كتب فيه هو ما في علم الله، الذي لا تبديل فيه ولا محو، وظاهر قوله في حديث البخاري عن ابن عباس وأبي حبة الأنصاري: ((**ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام**)) (٣)، يعني تصويتها حالة الكتابة؛ لأن الكتابة باقية إلى الآن، ويجمع بينهما بتعدد الأقلام، والألواح المكتوبة، فأولها وهو أعلاها قدرا وأجلها فخرا فلم القدر السابق، ويقال له: القلم الأعلى، وهو الذي كتب الله به مقادير الخلائق قبل خلق السموات والأرض، وأم الكتاب، وهو اللوح المحفوظ بما فيه، ولا يلحقه محو ولا تبديل، كما أن أصله الذي انتسخ منه وهو علم الغيب القديم، في أزل القدم، ... ولا محو فيه ولا تبديل، وبعدهما أقلام أخر، وألواح، أو تقول صحف أخر، تكتب فيها الملائكة ما يوحيه الله إليهم، مما يحدث في العالم من الأحكام والقضايا، وهي التي أخبر رسول الله-صلى الله

---

(١) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}، رقم: (٣٠١٩)، من حديث عمران بن حصين.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، حديث رقم: (٢٦٥٣).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: كيف فرضت الصلوات في الإسراء، تحت رقم: (٣٤٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: باب الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماوات وفرض الصلوات، رقم (٢٦٣).

عليه وسلم- أنه سمع صريف أقلامها ليلة الإسراء على ما قاله جمهور العلماء، وهذه لم يفرغ من كتابتها إلى الآن، وفيها يقع المحو والإثبات على ما ذكر في الآية وهي قوله: ﴿**يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ**﴾ [سورة الرعد:٣٩]"(١).

-المرتبة الثالثة: المشيئة:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن الله ﷻ يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، يقول في بيان اسم الله القدير: " تام القدرة، فلا يعجزه شيء من الممكنات، ولا حجر عليه في ملكه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد"(٢).

وقال:" والأمة مجمعة على قول: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وقول: لا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا عام في كل شيء، وسئل الشافعي عن القدر فأنشأ يقول:

فما شئتَ كان وإن لم أشأ ... وما شئتُ إن لم تشأ لم يكن

خلقت العباد على ما علمت ... ففي العلم يجري الفتى والمسن

فهذا هدَيْت وهذا خذلت ... وهذا أعنت وذا لم تُعن

فهذا شقي وهذا سعيد ... وهذا قبيح وهذا حسن(٣)"(٤).

ويقول في حديث عمر-رضي الله عنه-: ((**قام فينا النبي -صلى الله عليه وسلم- مقاما فأخبرنا عن بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه**)) (٥): "الله تعالى يفعل ما يشاء، يطيل الزمن القصير ويبسطه

---

(١) جلاء القلوب (١٢٨/٢-١٣٠).

(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٤-١٥).

(٣) ينظر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، لابن عبد البر (٨٠)، البداية والنهاية (١٣٩/١٤)، ديوان الإمام الشافعي المسمى "الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس" (١٤٣).

(٤) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٧).

(٥) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: ما جاء في قول الله تعالى {وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه}، رقم (٣٠٢٠).

بالنسبة إلى بعض عباده، ويقصر الطويل ويقبضه، وييسر الكثير في القليل، كل ذلك إذا شاء"(١)، ويقول عن الله تعالى: "لا شريك له في ملكه، ولا منازع له في حكمه، ولا تحجير عليه في تصرفه، بل لا رادَّ لأمره، ولا مُعقِّب لحكمه"(٢).

المرتبة الرابعة: الخلق:

يقر محمد بن جعفر الكتاني بأن الله ﷻ هو خالق هذا العالم، وأنه -سبحانه-منفرد بالخلق والتصوير دون ما سواه(٣)، يقول في تفسير: ﴿بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [سورة الناس:١]: "مالكهم، وخالقهم"(٤).

وفي شرحه لأحاديث النهي عن التصوير، وكونه من الكبائر العظيمة، بيّن العلة والسبب في كونه كذلك، وهو ما في التصوير من المضاهاة بخلق الله، والمزاحمة له في ربوبيته(٥)، ومن تقريراته قوله: "نقل النووي في شرح مسلم عن العلماء أن التصوير معصية فاحشة، أي: عظيمة، وذكر غيره أنه من الكبائر العظيمة؛ لما فيه من المضاهاة لخلق الله"(٦).

وقال في قوله عز وجل: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾ [سورة الفلق:٢]: "وخصَّ عالم الخلق بالاستعاذة منه؛ لانحصار الشَّر فيه، وشرّه اختياري قاصر ومتعد؛ كالكفر والظلم، وطبيعي؛ كإحراق النار، وإهلاك السموم. وأمَّا عالم الأمر؛ فهو خيرٌ كلّه.

وقرأ بعض المعتزلة الذين يرون أنَّ الله لم يخلق الشَّر: من شرٍّ، بالتنوين، ما خلق، على النفي، وهي قراءة شاذة، مبنيَّة على مذهب باطل، والقراءة الصحيحة المتواترة بإضافة {شرّ} إلى {ما}، وهي تدلُّ على أنه تعالى خالق كل شيء؛ ففيها الرَّد على من زعم أن العبد يخلق

---

(١) جلاء القلوب (١/٢٩٥).
(٢) ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٢٦).
(٣) ينظر: بلوغ القصد والمرام (ص٢٢)، سلوة الأنفاس (١/٥٤).
(٤) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٦).
(٥) ينظر: بلوغ القصد والمرام (٢٠-٢٢).
(٦) المرجع السابق (٢٠).

أفعال نفسه؛ لأنه لو كان الشَّر المأمور بالاستعاذة منه مخلوقًا لفاعله؛ لم يكن للاستعاذة بالله منه معنى"(١).

المناقشة:

الإيمان بالقدر يشمل الإيمان بأربع مراتب:

الأولى: العلم، أي أن الله علم ما الخلق عاملون بعلمه الأزلي.

الثانية: الكتابة: وأن الله كتب مقادير الخلائق في اللوح المحفوظ.

الثالثة: المشيئة: وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ليس في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئته – سبحانه –، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد.

الرابعة: الخلق: أي أن الله خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، هذا هو مذهب السلف الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة(٢).

وقول الكتاني بأن الشر منحصر بعالم الخلق لا عالم الأمر هو الحق؛ لأن الشر المحض لا يضاف إلى الله عز وجل، وقد قال النبي–صلى الله عليه وسلم–: ((**والشر ليس إليك**)) (٣)، يقول ابن القيم–رحمه الله–: " فهو لا يخلق شرا محضا من كل وجه، بل كل ما خلقه ففي خلقه مصلحة وحكمة وإن كان في بعضه شر جزئي إضافي، وأما الشر الكلي المطلق من كل وجه فهو تعالى منزه عنه وليس إليه"٤.

ويقول ابن أبي العز–رحمه الله– في شرحه لهذا الحديث:" أي: فإنك لا تخلق شرا محضا، بل كل ما يخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما شر كلي، أو شر مطلق فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه. وهذا هو الشر الذي ليس إليه، ولهذا لا يضاف الشر إليه مفردا قط، بل إما أن يدخل في عموم المخلوقات،

---

(١) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٤٩).

(٢) ينظر: العقيدة الواسطية (٣٠)، شفاء العليل (٢٩–٤٩).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم (٧٧١)،

(٤) ينظر: شفاء العليل (٣٦).

كقوله تعالى:: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [سورة الزمر:٦٢]، ﴿كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [سورة النساء:٧٨]، وإما أن يضاف إلى السبب، كقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾ [سورة الفلق:٢]:"، وإما أن يحذف فاعله، كقول الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾ [سورة الجن:١٠]، وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكون فيه حكمة، بل لله من الرحمة والحكمة ما لا يقدر قدره إلا الله تعالى، وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة، يكون شرا كليا عاما، بل الأمور العامة الكلية لا تكون إلا خيرا، أو مصلحة للعباد"(١).

المطلب الثاني: آراؤه في مسائل القضاء والقدر

عرض محمد بن جعفر الكتاني لبعض مسائل القضاء والقدر، وهي: مسألة أفعال العباد وتأثير الأسباب في المسببات، والهدى والضلال، والتحسين والتقبيح، والحكمة والتعليل في أفعال الله -تعالى-، وفيما يلي عرض آرائه ونقدها:

أفعال العباد، وتأثير الأسباب والمسببات:

يرى محمد بن جعفر الكتاني بأن أفعال العباد كلها من خلق الله تعالى، حيث قرر بأن أفعال العباد كلها كما يقول: "سواء كانت اضطرارية أو اختياريَّة، مخلوقة لمولانا"(٢).

ويقول في تفسير قول الله عز وجل: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ٢﴾ [سورة الفلق:٢]:"تدلُّ على أنه تعالى خالق كل شيء؛ ففيها الرَّد على من زعم أن العبد يخلق أفعال نفسه؛ لأنه لو كان الشَّر المأمور بالاستعاذة منه مخلوقًا لفاعله؛ لم يكن للاستعاذة بالله منه معنى"(٣).

وقال في كون "ال" في ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [سورة الفاتحة:٢] للاستغراق:" هذا مذهب أهل السنة، خلافًا للمعتزلة في قولهم بخلق العباد أفعالا لهم، ولأجل هذا منع الزمخشري كونها للاستغراق"(٤)، وقد نقل بأن من الجهل تخصيص المعتزلة القدرة والإرادة ببعض الممكنات (٥).

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٣٦٦/١).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٤/ب).

(٣) تفسير مختصر للإخلاص والمعوذتين (ل ٤)، ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٥/أ).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣/ب)، وينظر المرجع نفسه (ل ٨٧/أ)، ينظر: الكشاف (١٠/١).

(٥) ينظر: الكشف والبيان (٢٣٧)، عمدة الراوين (٤٠/٩).

وذكر محمد بن جعفر الكتاني الأقوال في تأثير الأسباب في المسببات، وبين رأيه فيها، حيث قال بأن من الجهل:" ما يعتقده كثير منهم [يعني: عامة الناس] أيضا ثبوت التأثير للأسباب العادية، وأنها تؤثر في الأشياء بطبعها وحقيقتها، أو بقوة جعلها الله فيها، ...

والاعتقاد الحق الذي ينجوا به صاحبه من المهالك بفضل الله تعالى: نفي التأثير للأسباب العادية كلها، لا بالطبع، ولا بالقوة، وإثباته لله تبارك وتعالى وحده، واعتقاد أنه سبحانه أجرى العادة بمحض اختياره، أن يخلق ذلك عندها لا بها، وقد يتخلف إذا أراد الله سبحانه وتعالى تخلفه، كما وقع في كثير من الأشياء، والله أعلم"(١).

وقال في بيان وجوب وحدانية الأفعال وتصريحه بالجبر:" تقرر من وجوب وحدانية الأفعال: ...أنه لا أثر لقدرتنا الحادثة في شيء من أفعالنا الاختيارية؛ كحركاتنا وسكناتنا وقيامنا وقعودنا ومشينا ونحوها، لا مباشرة ولا تولدا، كما أنه لا أثر لشيء من الأسباب في مسبباتها، لا بطبعها ولا بحقيقتها، وإنما أجرى الله اختيار؛ كأن توجد تلك الأشياء عندها لا بها.

وغاية ما لقدرتنا الحادثة الاكتساب، وهو المقارنة للفعل، وبحسب ذلك تضاف الأفعال للعبد... وسمي العبد عند خلق الله تعالى فيه القدرة المقارنة للفعل: مختارًا؛ لأن وجود الفعل والقدرة متقارنين عندما يخلق الله تعالى فيه الفعل مجردا عن مقارنة تلك القدرة الحادثة، مجبورًا مضطرًّا كالمرتعش مثلا، وعلامة مقارنة القدرة الحادثة للفعل لما يوجد في محلها تيسر الفعل الذي يوجد في محلها بحسب العادة فعلا أو تركًا، وعلامة الجبر وعدم تلك القدرة عسر التيسر"(٢).

ويقول في قول الله عز وجل: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ **[سورة التكوير:٢٩]**:" فمشيئة العبد مسبوقة بمشيئة الله تعالى هي الأصل، وفي الحكم إلى المشيئة يستند كل شيء، يقال: العبد مجبور، في قالب مختار، فله حالة بين حالتين ومنزلة بين منزلتين"(٣).

---

(١) الكشف والبيان (٢٤٤-٢٤٦)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٤/أ، ٦٨/ب، ٦٩/أ).

(٢)حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٩/أ)، وينظر المرجع نفسه: (ل ٣٠/ب).

(٣) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٧).

وقوله في معنى تصرف الولي -على بطلانه-:" وها هنا أمر ينبغي التنبيه عليه، وهو أن تصرف الولي هو معنى إيجاد الله الأمر وخلقه على يديه من غير أن يكون للولي فيه أثر، ولا فعل؛ ولأنه لا تأثير لمخلوق في شيء ما أصلا، والتأثير والفعل إنما هو لله عز وجل خاصة "(١).

ويقول في قول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ۝﴾ [سورة الصافات:٩٦]: "دليل على أن أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى، سواء كانت "ما" مصدرية أو موصولة بمعنى الذي، وجعلها مصدرية أولى؛ لأنه لا يحوج إلى تقدير عائد، بخلاف جعلها موصولة فإنه يحوج لذلك.

والمعنى على جعلها مصدرية: والله خلقكم وخلق عملكم، والحجة لنا فيه ظاهرة، فليس العبد يخلق أفعاله، والمراد بالعمل الحاصل بالمصدر وهو الحركات والسكنات، لا المعنى المصدري وهو الإيقاع، أعني: مقارنة القدرة الحادثة للحركات؛ لأنه أمر اعتباري لا يتعلق به الخلق؛ بل هو متجدد بنفسه بعد عدم.

والمعنى على جعلها موصولة: والله خلقكم وخلق الذي تعملونه؛ أي: وخلق العمل الذي تعملونه، والمراد به: المعنى الحاصل بالمصدر، فرجع المعنى على الموصولية للمعنى الأول الكائن على جعلها مصدرية...

فإن قلت: إن إسناد الفعل للعباد كما في الآية يقتضي أنهم خالقون لأفعالهم كما تقول المعتزلة؟

قلت: محل النزاع بيننا وبينهم في الفعل بالمعنى الحاصل بالمصدر لا بالمعنى المصدري وهو الإيقاع والإسناد من حيث الإيقاع، ... يقتضي أن المعنى الحاصل بالمصدر ينسب لله خلقًا واختراعًا، وللعبد كسبًا واقترانًا، فلا استحالة في دخوله تحت قدرتين؛ لاختلاف جهة التعلق –أعني: الخلق– والكسب؛ أي: الاقتران"(٢).

- **النقد:**

---

(١) جلاء القلوب (٢٩٢/٢)، وينظر المرجع نفسه: (١٣٧/٣-١٣٩، ٢٤١، ١١٧/٣)، سلوة الأنفاس (٢٩/١، ٥٤-٥٥، ٧٦، ٢٨١/٢).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٧/ب).

أجمع أهل السنة والجماعة على أن الله ﷻ خالق كل شيء بما في ذلك العباد وأفعالهم كلها بقسميها الاضطرارية منها والاختيارية، والاختيارية لها متعلقان: تعلق بالله تعالى، من حيث خلقه لها وعدمه، وتعلق بالعبد من حيث قدرتهم عليها وعدمها(١).

وأهل السنة والجماعة قالوا بأن أفعال العباد كلها من طاعة ومعصية، وخير وشر مخلوقة لله تعالى، وأن العباد لهم قدرة على أفعالهم، فهم فاعلون لها حقيقة، وكل أفعالهم تنسب إليهم يستحقون عليها المدح والذم والثواب والعقاب، فهم الفاعلون حقيقة والله خالق أفعالهم(٢).

ومن الأدلة على خلق الله لأفعال العباد: قول الله ﷻ في الدلالة على خلقه لأفعال العباد: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ۝٩٦﴾ [سورة الصافات:٩٦]، فالله عز وجل هو خالق العباد وأفعالهم، وقوله ﷻ: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ۝٢﴾ [سورة الفرقان:٢]، ومن ذلك أفعال العباد.

ومن الأدلة على قدرة العباد على أفعالهم ونسبتها لهم حقيقة قول الله ﷻ: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾ [سورة السجدة:١٧]، وقوله: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣﴾ [سورة الأعراف:٤٣]، وجمع بينهما في قوله: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ [سورة التكوير:٢٨-٢٩]، فأثبت الله لهم مشيئة وقدرة حقيقية، لكنها مشيئة وقدرة تابعة لقدرة خالقها الله ومشيئته(٣).

وقد خالف أهل السنة والجماعة في ذلك عامة الطوائف والفرق، فالجهمية الجبرية ومن وافقهم قالوا بالمتعلق الأول دون الثاني، فأثبتوا خلق الله لأفعال العباد، ونفوا قدرة العباد عليها، وسووا بين أفعالهم الاختيارية، وأفعالهم الاضطرارية(٤).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/٤٠٥).

(٢) ينظر: مراتب الإجماع (١٦٧)، مجموع الفتاوى (٨/٤٠٦)، الواسطية (٣٣).

(٣) ينظر: خلق أفعال العباد (٢/٨٠)، عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٧٩)، شرح السنة للبغوي (١/١٤٤)، مجموع الفتاوى (٣/٣٧٣، ٨/١١٧، ٤٨٦)، لوامع الأنور البهية (١/٢٩١).

(٤) ينظر: الملل والنحل (١/٨٤)، الفرق بين الفرق (١٩٩)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي (ص٦٨).

والمعتزلة القدرية ومن وافقهم قالوا بالمتعلق الثاني دون الأول، فنفوا خلق الله لأفعال العباد كما حكى عنهم الكتاني، وقالوا بأن العباد هم الذين خلقوا أفعالهم، وأثبتوا قدرة العباد المطلقة على أفعالهم [١].

والأشعرية توسطوا بين الجبرية والقدرية، فأحدثوا نظرية الكسب، وحارت أفهامهم في تصورها، واضطربت أقوالهم في تفسيرها مما يدل على تناقضهم فيه [٢]، والذي استقر عليه رأي جمهور الأشاعرة ومتأخريهم هو أن للعبد قدرة غير مؤثرة والفعل يحدث عندها لا بها [٣].

ويقول العلماء: إن الأشاعرة أثبتوا كسبا لا حقيقة له، لأنهم لم يأتوا فيه بكلام واضح معقول[٤]، وقد بين السلف الصالح فساد هذه المذاهب.

والمتأمل لتقريرات محمد بن جعفر الكتاني وترجيحه لنفي تأثير الأسباب في المسببات وإثباته لوحدة الأفعال يتبين موافقته للأشاعرة في الكسب، ويمكن تقرير بطلان عقيدة الكسب عند الأشاعرة وما قرره محمد بن جعفر الكتاني فيها بما يلي:

-أن ما قرره خلاف الأدلة الشرعية من كتاب الله وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-المتضافرة على أن العباد لهم قدرة مؤثرة على أفعالهم، ونسبتها إليهم حقيقة، ويحمدون عليها ويذمون[٥].

-أن القول بالكسب قول حادث، فليس من مذهب السلف الصالح -كما يرى-[٦].

-يقال لمحمد بن جعفر الكتاني في نفيه لتأثير الأسباب كلها وإثباتها لله وحده أن يخلق ذلك عندها لا بها: أن ما قرره خلاف ما عليه السلف الصالح؛ لأن" الذي عليه السلف وأتباعهم وأئمة أهل السنة وجمهور أهل الإسلام المثبتون للقدر المخالفون للمعتزلة إثبات الأسباب، وأن

---

(١) ينظر: الملل والنحل (٤٤/١)، الفرق بين الفرق (٩٤)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٣٨).

(٢) ينظر: شفاء العليل (٢٥٣).

(٣) ينظر: شفاء العليل (٢٥٣)، المواقف (٣٦٤/٣)، شرح جوهرة التوحيد للبيجوري (١٧٦).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢٨/٨)، شفاء العليل (١١٠).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (١١٨/٨، ٣٩٣، ٤٦٠، ٤٩٠)، الصفدية (١٥٢/١-١٥٣)، الاستغاثة في الرد على البكري (١٤٩-١٥٠)، مدارج السالكين (٥٠٧/٣).

(٦) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣٨٦/٣)، الإنسان مسير أم مخير (٦٦)، وينظر فيمن قال به: الملل والنحل للشهرستاني (٩٣/١)، نهاية الاقدام له (٧٢-٧٨).

قدرة العبد مع فعله لها تأثير كتأثير سائر الأسباب في مسبباتها، والله تعالى خلق الأسباب والمسببات، والأسباب ليست مستقلة بالمسببات، بل لا بد لها من أسباب أخر تعاونها ولها - مع ذلك - أضداد تمانعها والمسبب لا يكون حتى يخلق الله جميع أسبابه ويدفع عنه أضداده المعارضة له، وهو سبحانه يخلق جميع ذلك بمشيئته وقدرته كما يخلق سائر المخلوقات، فقدرة العبد سبب من الأسباب وفعل العبد لا يكون بها وحدها بل لا بد من الإرادة الجازمة مع القدرة"(١).

-أن القول بالكسب متناقض؛ لأن القائل به لا يستطيع التفريق بين الفعل الذي نفاه عن العبد، والكسب الذي أثبته له، ولهذا فحقيقته هو القول بالجبر، حتى صرح به محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته السابقة (٢)، وسبق قوله عن غلاة المتصوفة أنهم أمروا بالتكلم فيما يخالف ظاهره الشرع؛ ابتلاء للناس من عند الله، حتى ينظر هل يعتقدون أو ينتقدون، وأنهم معذورون بذلك، وقال:" وإلى ما وقع من بعض من ظهرت خصوصياته وكراماته من المجاذيب الكبار، فإنه كان يأمر الزائرين له بالفطر في رمضان، ويحضر لهم الأكل ويعزم عليهم في تناوله، فمن الجهال من كان يساعده في ذلك، ومن أهل الدين والفضل من كان لا يساعده، فإن ذلك امتحان من الله على يد هذا المجذوب الساقط التكليف، حتى ينظر أيتبعون أمره هو سبحانه؟ أم أمر غيره من الخلق في هذه العبادة؟ وإلى ما يقع من بعض مشايخ الطرق أنهم يأمرون بعض تلامذتهم بارتكاب بعض المحرمات المجمع عليها، لا حقيقة، بل ابتلاء وامتحانا، فإن أطاعوهم هلكوا وخسروا وباؤوا بالاثم وبالسقوط من عين الله وعين الشيخ، وإن أطاعوا الله في ذلك مع الثبات في محبة الشيخ وخدمته فازوا وربحوا؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق سبحانه"(٣).

فأقر بأنهم خالفوا الشرع في الظاهر، وأنه لا تجوز طاعتهم، لأن ما قالوه ابتلاء وامتحانا من عند الله، إلا أنه تعذر لهم بأن الله أمرهم بذلك، وهم مصيبون في الباطن، وهذا قول الجبرية.

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/٤٨٧-٤٨٨).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٨/١١٩، ٣٨٧، ٤٠٣-٤٠٧)، منهاج السنة (٣/٢٠٩).

(٣) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٧٧-١٧٨)، ينظر: جلاء القلوب (١/٣٤-٣٥)،

ويقول في الإنسان الكامل: "والكامل إذا تخلق بالأسماء الإلهية وتحقق بها يصير ملحوظا من جانب الأزل، محفوظا بالكلية عن أن يلم به الخطأ، أو يعرض له الزلل، لكونه تخلق في جميع حركاته وسكناته بأسماء الحق، وتحقق في ذاته وصفاته بطهارته عن أحكام ما سوى الحق، بحيث لم يبق له فعل سوى فعل حق بحق لحق، ... ومن وصل لهذه المرتبة لا تكون له إرادة ممتازة عن إرادته تعالى، بل هو مرآة إرادة ربه وغيرها من الصفات، وحينئذ لا تخرج أحكامه عن أحكامه، ولا تصرفاته الباطنية عن تصرفه، ويقع ما يريد من غير احتياج إلى قول ولا دعاء لموافقة إرادته لإرادة ربه، وهو تعالى فعال لما يريد"(١)، وهذا تصريح بالجبر، وهو باطل ببطلان عقيدة الوجود والحلول والاتحاد.

-أن الأشاعرة قد وافقوا الجبرية في معنى القول بأنه ليس للعبد قدرة مؤثرة في شيء، وعليه فلا يمكن للأشاعرة الرد عليهم(٢).

-أن القول بالكسب غير معقول للأفهام؛ لأنهم فسروه بأنه عبارة عن اقتران المقدور بالقدرة الحادثة، وقالوا الخلق هو المقدور بالقدرة القديمة، ومادام العبد ليس بفاعل، ولا له قدرة مؤثرة بالفعل فالزعم بأنه كاسب لا حقيقة له؛ لأن القائل بذلك لا يستطيع أن يوجد فرقا بين الفعل الذي نفاه عن العبد والفعل الذي أثبته(٣)، ولذا شنع أعداء الأشاعرة به عليهم، وقد صاروا محل سخرية لأجل ذلك(٤).

-أن القول بالكسب مبني على أصلين باطلين: منها أن الله -برأيهم- لا يقدر على فعل يقوم بنفسه، إذ الخلق هو المخلوق، والفعل هو المفعول، والثاني أن قدرة العبد لا يكون مقدورها إلا مقارنا للفعل لا خارجا عنه؛ لأن القدرة عرض فلا تكون باقية(٥).

---

(١) جلاء القلوب (١٥٥/٣)، وينظر المرجع نفسه (٣٥/٢، ٢١٠، ٥٣/٣).

(٢) ينظر: منهاج السنة (٣٩٨/١)

(٣) ينظر: الصفدية (١٤٩/١-١٥٣)، النبوات (٥٨١/١)، مجموع الفتاوى (٣٨٧/٨، ٤٠٣-٤٠٧، ٤٦٧-٤٦٨).

(٤) ينظر: منهاج السنة (٤٩٥/١)، شفاء العليل (٥٠).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢٨/٨-١٢٩)، مجموعة الرسائل والمسائل (١٤٣/٥).

والتحقيق كما يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"والتحقيق ما عليه أئمة السنة وجمهور الأمة من الفرق بين الفعل والمفعول والخلق والمخلوق، فأفعال العباد هي كغيرها من المحدثات مخلوقة مفعولة لله، كما أن نفس العبد وسائر صفاته مخلوقة مفعولة لله وليس ذلك نفس خلقه وفعله، بل هي مخلوقة ومفعولة، وهذه الأفعال هي فعل العبد القائم به ليست قائمة بالله ولا يتصف بها، فإنه لا يتصف بمخلوقاته ومفعولاته، وإنما يتصف بخلقه وفعله كما يتصف بسائر ما يقوم بذاته والعبد فاعل لهذه الأفعال، وهو المتصف بها وله عليها قدرة وهو فاعلها باختياره ومشيئته، وذلك كله مخلوق لله فهي فعل العبد ومفعولة للرب"(١).

-أن أعلام الأشاعرة اضطربت أقوالهم في الكسب، وذهب كل منهم إلى رأي، واعترف بعضهم بالعجز عن تحديد ضابطه، فقد قال الفخر الرازي بعد أن أورد بعض الإشكالات على نظرية الكسب: "وعند هذا التحقيق يظهر أن الكسب اسم بلا مسمى"(٢).

ومنهم من ذهب إلى التصريح بحقيقة المذهب وهو الجبر وهو ما صرح به محمد بن جعفر الكتاني في تقريره السابق، ومنهم من سعى لتوجيه قول الأشعري بما لا يوافقه عليه أصحابه فضلا عن غيرهم(٣).

-أن القول بالكسب باطل عقلا وشرعا، ولوازمه أشنع منه، فإنّه قد ثبت عند جميع العقلاء أنّ الله تعالى خلق الأسباب ومسبباتها، وأنّه أودع في الأشياء طبائع وصفات تؤثر في مسبباتها، فأودع في النّار الإحراق، وجعل النكاح سبباً في التناسل، يقول ابن القيم-رحمه الله-:" والناس في الأسباب والقوى والطبائع ثلاثة أقسام:

منهم: من بالغ في نفيها وإنكارها، فأضحك العقلاء على عقله، وزعم أنه بذلك ينصر الشرع، فجنى على العقل والشرع، وسلط خصمه عليه.

---

(١) مجموع الفتاوى (١١٩/٢-١٢٠).

(٢) محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي (١٩٩) وينظر مجموع الفتاوى (١١٩/٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢٨/٨-١٢٩).

ومنهم: من ربط العالم العلوي والسفلي بها بدون ارتباطها بمشيئة فاعل مختار، ومدبر لها يصرفها كيف أراد، فيسلب قوة هذا ويقيم لقوة هذا قوة تعارضه، ويكف قوة هذا عن التأثير مع بقائها، ويتصرف فيها كما يشاء ويختار.

وهذان طرفان جائران عن الصواب.

ومنهم: من أثبتها خلقاً وأمراً، قدراً وشرعاً، وأنزلها بالمحل الذي أنزلها الله به، من كونها تحت تدبيره ومشيئته، وهي طوع المشيئة والإرادة، ومحل جريان حكمها عليها، فيقوي سبحانه بعضها ببعض، ويبطل -إن شاء- بعضها ببعض، ويسلب بعضها قوته وسببيته، ويعريها منها، ويمنعه من موجبها مع بقائها عليه، ليعلم خلقه أنه الفعال لما يريد، وأنه لا مستقل بالفعل والتأثير غير مشيئته، وأن التعلق بالسبب دونه كالتعلق ببيت العنكبوت، مع كونه سبباً.

وهذا باب عظيم نافع في التوحيد، وإثبات الحكم، يوجب للعبد -إذا تبصر فيه- الصعود من الأسباب إلى مسببها ، والتعلق به دونها، وأنها لا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، وأنه إذا شاء جعل نافعها ضاراً وضارها نافعاً، ودواءها داءً وداءها دواء، فالالتفات إليها بالكلية شرك مناف للتوحيد ، وإنكار أن تكون أسبابا بالكلية قدح في الشرع والحكمة ، والإعراض عنها -مع العلم بكونها أسباباً- نقصان في العقل ، وتنزيلها منازلها، ومدافعة بعضها ببعض، وتسليط بعضها على بعض، وشهود الجمع في تفرقها، والقيام بها: هو محض العبودية والمعرفة، وإثبات التوحيد والشرع والقدر والحكمة"(١).

وبهذا يتبين بأن نهج محمد بن جعفر الكتاني لمنهج الأشاعرة في القول بالكسب، ونفيه لتأثير قدرة العبد قول باطل ومردود(٢).

أما قوله عن المعتزلة بأن من جهلهم تخصيص متعلق القدرة ببعض الممكنات، فهذا -كما سبق-نتيجة لقولهم في أفعال العباد، فعندما قرروا بأن الفعل واقع من العبد لا من الله،

---

(١) مدارج السالكين (١/٢٤٣-٢٤٤).

(٢) للاستزادة في نقض نظرية الكسب وبيان عوارها ينظر: نظرية الكسب عند الأشاعرة، سالم القرني، مبدأ السببية عند الأشاعرة دراسة نقدية، جمعان الشهري، قدرة الله تعالى وقدرة العبد بين السّلف ومخالفيهم عرض ونقد في ضوء الكتاب والسنة، أحمد الزهراني.

قالوا إن الله لم يزل مريدا لطاعته دون معصيته، وأن إرادة القبيح قبيحة، فخصصوا إرادته -عز وجل- ولم يجعلوها شاملة لكل شيء [1]، وهذا باطل.

الهدى والضلال:

يرى محمد بن جعفر الكتاني بأن الهدى بخلق الله وإرادته، ويؤكد على أن الهداية والإضلال بيد الله وحده لا بيد غيره، فالله- عز وجل-كما يقول: " مرشد لخلقه، تارة بالأمر والبيان، كما في قوله: ﴿**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ**﴾ **[سورة فصلت:١٧]**، وتارة بخلق القدرة على الإيمان والطاعة، كما في قوله: ﴿**وَيَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٢٥**﴾ **[سورة يونس:٢٥]**،... والمعنى الأول عام؛ يُطلق عليه تعالى وعلى غيره، والثاني خاص بالله سبحانه"[2].

وقرر حمد الله على الهداية للإسلام والإيمان؛ لأن الحمد عليها كما يقول:" إشعار بأنها من الله، وفضل منه، وأنها بيده سبحانه لا بيد غيره، يمن بها على من شاء من عبيده، ويمنعها من شاء، وهذا مما لا يشك فيه موفق، فإن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية دالان على أن الهداية للإيمان بيد الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟**﴾ **[سورة الحجرات:١٧]ن** الآية، وقال: ﴿**وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ**﴾ **[سورة الحجرات:٧]**، ، وقال: ﴿**أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ**﴾ **[سورة الزمر:٢٢]**...

وفي "الصحيح" عن البراء بن عازب قال: رأيت النبي- صلى الله عليه وسلم- يوم الأحزاب ينقل التراب، وقد وارى التراب بياض بطنه الشريفة، وهو يقول: ((**لولا الله ما هتدينا، ولا تصدقنا، ولا صلينا**)) [3] الحديث"[4].

---

(١) ينظر: شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار (٤٣٢، ٤٦٢)، المغني في أبواب التوحيد والعدل (٢٦٢/٦)، الفرق بين الفرق (٢٠٥)، مقالات الإسلاميين (٥٠٩).

(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل٥).

(٣) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: حفر الخندق، رقم (٢٦٨٢)، ومسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة الأحزاب وهي الخندق، رقم (١٨٠٣)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(٤) شرح على دلائل الخيرات (ل٦).

وقال:"الذي أوجبه الله على العلماء إنما هو إظهار الشريعة، وإنكار ما يحدث في الوقت من البدع الشنيعة، وبيان الحق، وإبطال الباطل، وتنبيه الغافل، وتعليم الجاهل، ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ﴾ [سورة الكهف:٢٩]، لا هداية الخلق، وتوصيلهم بالفعل إلى الملك الحق، فإنة ذلك بيد الله سبحانه وتعالى، كما قال: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [سورة البقرة:٢٧٢]، وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [سورة القصص:٥٦]، وقال: مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ [سورة الأنعام:٣٩]... فالهداية بيد الله لا بيد أحد سواه، وعلينا أن نقول، وليس علينا أن يقبل منا ذلك المقول، وإذا قال العالم خرج من وعيد الكتمان، وإذا سكت أو داهن لعنه كل شيء حتى الحيتان، وقد قالوا على العالم أن يبين الحق فيما علمه، وليس عليه أن يتبع، لأن اتباع الحق منوط بالتوفيق وهو عزيز"(١).

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج الاشاعرة في تقريره هذا، فقد وردت النصوص بإثبات الهداية لمن شاء الله هدايته، والإضلال لمن شاء الله إضلاله، كما وردت بإضافة الهدى والضلال إلى العباد، فمن النصوص التي تدل على إثبات الهداية لمن شاء الله هدايته، والإضلال لمن شاء الله إضلاله قول الله ﷻ: ﴿ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [سورة النحل:٩٣]، وقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [سورة الأنعام:١٢٥].

ومن الأدلة التي وردت في إضافة الهدى والضلال إلى العباد قول الله ﷻ. قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [سورة النحل:١٢٥]، *وقوله:* ﴿ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يونس:١٠٨].

---

(١) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٩-٢٠).

وقد اختلف الناس في المراد بهما وفاعلهما هل هو الله -عز وجل- أم العبد؟ بناء على اختلافهم في أفعال العباد، فذهبت المعتزلة القدرية على أن الهداية والإضلال من فعل العبد لا من فعل الله تعالى، وأن المراد بهما في حق الله تسميته من شاء من خلقه مهتديا وضالا(١).

وذهبت الجهمية الجبرية إلى أن الهداية والإضلال من فعل الله لا من فعل العبد، وأن المراد بهما في حق الله تعالى ما يخلقه سبحانه في العبد دون فعل منه ولا اختيار(٢).

واضطربت الأشاعرة في ذلك بناء على اضطرابهم في الكسب وحقيقته، فقالوا: إن الهداية والإضلال فعل الله لا فعل العبد، يخلقهما الله في العبد وليس للعبد فيهما دخل ولا اختيار، فوافقوا الجهمية الجبرية(٣).

والحق هو ما عليه السلف الصالح أهل السنة الجماعة، من أن الهداية والإضلال فعل الله تعالى، والاهتداء والضلال فعل العبد.

والمراد بالهداية والإضلال في حقه سبحانه: بيانه للحق والإرشاد إليه، وتوفيق وتسديد من شاء من خلقه إليه، وإضلال من شاء من خلقه، بأن يكلهم إلى أنفسهم ولا يعينهم على الخير، ويحرمهم التوفيق والتسديد.

والمراد بالاهتداء والضلال في حق العبد: أن العبد فاعل للهدى والضلال، والطاعة والعصيان على الحقيقة، وليس فاعل ذلك أحد غيره(٤).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر... أن العباد لهم مشيئة وقدرة، يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه، مع قولهم إن العباد لا يشاءون إلا أن يشاء الله»(٥).

---

(١) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل (١٧٧/٨)، الكشاف (١٥/١).

(٢) ينظر: مقالات الإسلاميين (٢٦٠)، الفرق بين الفرق (١٩٤)، الملل والنحل للشهرستاني (٨٧/١).

(٣) ينظر: الإرشاد (٢٠٧)، المواقف (٢٤٦/٣).

(٤) ينظر: الانتصار (٢٧٦/١)، مجموع الفتاوى (٤/٢)، مدارج السالكين (٤١٣/١)، شفاء العليل (١٤١)، لوامع الأنور البهية (٣٣٤/١).

(٥) مجموع الفتاوى (٤٥٩/٨).

ويقول ابن القيم رحمه الله: «اتفقت رسل الله من أولهم إلى آخرهم، وكتبه المنزلة عليهم على أنه سبحانه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأن الهدى والإضلال بيده لا بيد العبد، وأن العبد هو الضال أو المهتدي، فالهداية والإضلال فعله سبحانه وقدره، والاهتداء والضلال فعل العبد»(١).

وتقرير محمد بن جعفر الكتاني هو تقرير الأشاعرة، وهو مبني على قولهم بنفي تأثير الأسباب في المسببات، وإثبات ذلك لله وحده، ومن ذلك نفي تأثير قدرة العبد، وما بني على باطل فهو باطل، ويمكن الرد عليه بما يلي:

-إن حقيقة هذا القول هو الجبر، إلا أن الجهمية صرحوا بذلك، والأشاعرة تستروا تحت مسمى الكسب ونفي تأثير الأسباب كلها، وإثباتها لله وحده، وصرح به بعضهم.

-أن ما قرره خلاف الأدلة الشرعية الدالة على أن العبد فاعل لفعله حقيقة، والاهتداء والضلال منسوب إليه(٢)، والعبد له مشيئة واختيار كما قال عز وجل: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ **[سورة الكهف:٢٩]**، يقول ابن جرير الطبري-رحمه الله-:"يقول تعالى ذكره لنبيه محمد -صلى الله عليه وسلم-: وقل يا محمد لهؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا، واتبعوا أهواءهم: الحق أيها الناس من عند ربكم ، وإليه التوفيق والخذلان، وبيده الهدى والضلال يهدي من يشاء منكم للرشاد، فيؤمن، ويضل من يشاء عن الهدى فيكفر، ليس إلي من ذلك شيء، ولست بطارد لهواكم من كان للحق متبعا، وبالله وبما أنزل علي مؤمنا، فإن شئتم فآمنوا، وإن شئتم فاكفروا، فإنكم إن كفرتم فقد أعد لكم ربكم على كفركم به نارا أحاط بكم سرادقها، وإن آمنتم به وعملتم بطاعته، فإن لكم ما وصف الله لأهل طاعته"(٣).

وقد حكى الله تعالى عن العبد يوم القيامة أنّه يلوم نفسه ويندم ويتحسّر على ما فوّت من عمره، كقوله عزوجل: ﴿فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝٥﴾ **[سورة الأعراف:٥]**، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ۝١٤﴾ **[سورة الأنبياء:١٤]**.

---

(١) شفاء العليل (١٤١)، وينظر: مجموع الفتاوى (٧٨/٨-٧٩).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٤١٥/١).

(٣) ينظر: مقالات الإسلاميين (٤١)، الفرق بين الفرق (٣٢٩)، الملل والنحل للشهرستاني (٨٤/١).

مما يدل على أن له قدرة مؤثرة، ولو لم يكن للعبد قدرة على اختيار شيء لما كان له أن يلوم نفسه على ما لا قدرة له عليه.

بهذا يتبين مخالفة محمد بن جعفر الكتاني للكتاب والسنة، ولما عليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة.

التحسين والتقبيح:

يرى محمد بن جعفر الكتاني بأن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان، وأنه لا حكم بحسن، ولا قبح، ولا ثواب ولا عقاب قبل ورود الشرع، ويرد على من قال بخلاف ذلك، حيث يقول: "اعلم أن الأصح عند أهل السنة والجماعة أنه لا حكم لله تعالى على شيء من الأشياء لا بالوجوب ولا بغيره قبل الشرع، أي قبل البعثة لأحد من الرسل، بل الأمر موقوف إلى وروده، خلافا للمعتزلة حيث حكمت العقل"(١).

وذكر بأن المعتزلة يرون العقل قوة يقع بها التمييز، وقال:" هذا هو مذهب بعض المعتزلة، بناء على مذهبهم الفاسد، من أن الحسن والقبيح وصف يكنى نقله من غير جهة الشرع، ومن المعتزلة من قال: العقل ما يميز به خير الخيرين وشر الشرين "(٢).

ونقل بأن من أصول الكفر:" التحسين العقلي: وهو كون أفعاله تعالى موقوفة على الأغراض، وهي جلب المصالح ودرء المفاسد"(٣)، وقال: "والتحسين العقلي هو أصل كفر البراهمة من الفلاسفة، حتى نفوا النبوة، وهو أصل ضلالة المعتزلة، حتى أوجبوا على الله مراعاة الصلاح والأصلح لخلقه"(٤).

النقد:

---

(١) التدخين عند الأئمة الأربعة (١٨٩).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢١/أ).

(٣) المرجع السابق (ل ٧٠/أ).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٠/أ).

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج الأشاعرة في هذه المسألة- كما سيتبين-، **فالتحسين والتقبيح هو**: الحكم على الشيء بكونه حسنا أو قبيحا، والحسن والقبح ضدّان(١).

وقد اختلف الناس فيهما هل هما عقليان، أو شرعيان، وهل يثبتان للأفعال ثبوت الصفات الذاتية أو الإضافية؟

فذهب جمهور المعتزلة ومن وافقهم إلى أنهما عقليان لا شرعيان، وزعموا أن الحسن والقبح صفتان ذاتيتان للأفعال، والعقل يستقل بإدراكهما.

وقالوا: إن الثواب والعقاب مرتبان على التحسين والتقبيح العقليين، وإن لم يرد الشرع بذلك(٢).

وذهب جمهور الأشاعرة ومن وافقهم كالكتاني إلى أن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان، وزعموا أن الحسن والقبح صفتان إضافيتان في الأفعال فلا تدرك بالعقل، وإنما بالشرع، وعليه فلا يحكم بهما إلا بعد ورود الشرع.

وقالوا: الثواب والعقاب مرتبان على التحسين والتقبيح الشرعيين، ولا عبرة بتحسين القعل وتقبيحه(٣).

وهدى الله أهل السنة والجماعة إلى القول بأن التحسين والتقبيح شرعيان وعقليان، والأفعال من حيث هي قد يدرك بالعقل حسنها وقبحها قبل ورود الشرع، وقد لا يدرك ذلك، إلا أن الثواب والعقاب في الجميع معلق على ورود الشرع(٤).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٨٢/٤، ٤٨/٤)، معجم مقاييس اللغة (٥٧/٢، ٤٧/٥)، الصحاح (٣٩٣/١، ٢٠٩٩/٥)، لسان العرب (٥٥٢/٢، ١١٤/١٣).

(٢) ينظر: المغني لعبد الجبار (٢٦/٦-٣٤، ٥٩-٦٠)، المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسين البصري المعتزلي (٣٦٣/١).

(٣) ينظر: نهاية الإقدام (٣٧٠)، الإرشاد (٢١٠)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (٢٠٢).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٩٠/٨-٩٣، ٤٢٨-٤٣١)، الرد على المنطقيين (٤٢٠-٤٢٤)، منهاج السنة (٤١٥/٢)، مفتاح دار السعادة (٣٧/٢-٤٧)، لوامع الأنوار البهية (٢٨٤/١).

ويوضح شيخ الإسلام ابن تيمية مذهب أهل الحق في هذا توضيحاً كاملاً، فيقسم الأفعال إلى ثلاثة أنواع:

"أحدها: أن يكون الفعل مشتملا على مصلحة أو مفسدة، ولو لم يرد الشرع بذلك، كما يعلم أن العدل مشتمل على مصلحة العالم، والظلم يشتمل على فسادهم، فهذا النوع هو حسن أو قبيح، وقد يعلم بالعقل والشرع قبح ذلك، لا أنه ثبت للفعل صفة لم تكن، لكن لا يلزم من حصول هذا القبح أن يكون فاعله معاقبا في الآخرة إذا لم يرد شرع بذلك، وهذا ما غلط فيه غلاة القائلين بالتحسين والتقبيح، فإنهم قالوا: إن العباد يعاقبون على أفعالهم القبيحة، ولو لم يبعث الله إليهم رسولا، وهذا خلاف النص، قال تعالى: ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾**﴾ **[سورة الإسراء:١٥]**.

النوع الثاني: أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسنا، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً، واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع.

النوع الثالث: أن يأمر الشارع بشيء ليمتحن العبد، هل يطيعه أم يعصيه، ولا يكون المراد فعل المأمور به، كما أمر إبراهيم بذبح ابنه ﴿**فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾**﴾ **[سورة الصافات:١٠٣]**، حصل المقصود، ففداه بالذبح وكذلك حديث أبرص وأقرع وأعمى، فلما أجاب الأعمى قال الملك: ((**أمسك عليك مالك، فإنما ابتليتم، فرضى عنك وسخط على صاحبيك**))(١)، فالحكمة منشؤها من نفس الأمر لا من نفس الأمور به.

وهذا النوع والذي قبله لم يفهمه المعتزلة، وزعمت أن الحسن والقبح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك بدون أمر الشارع، والأشعرية ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان، وأن الأفعال ليست صفة لا قبل الشرع ولا بالشرع. وأما الحكماء والجمهور فأثبتوا الأقسام الثلاثة، وهو الصواب"(٢).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم (٣٢٧٧)، ومسلم، كتاب: الزهد، باب: في أحاديث متفرقة، رقم (٢٩٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/٤٣٤-٤٣٦)، وينظر المرجع نفسه (٨/٩٠، ٣٠١-٣٠٩، ٦٨٦)، منهاج السنة (٢/٤١٥).

ويقول ابن القيم-رحمه الله-:"الأفعال في نفسها حسنة وقبيحة، كما أنها نافعة وضارة، والفرق بينهما كالفرق بين المطعومات والمشمومات والمرئيات، ولكن لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب إلا بالأمر والنهي، وقبل ورود الأمر والنهي لا يكون قبيحا موجبا للعقاب مع قبحه في نفسه، بل هو في غاية القبح، والله لا يعاقب عليه إلا بعد إرسال الرسل، فالسجود للشيطان والأوثان، والكذب والزنا، والظلم والفواحش، كلها قبيحة في ذاتها، والعقاب عليها مشروط بالشرع"(١).

وعليه فما قرره محمد بن جعفر الكتاني هو منهج الأشاعرة، وهو باطل لما يلي:

-القول بالتحسين والتقبيح الشرعيان لا عقليان، مردود بالأدلة الدالة على أن الفعل نفسه حسن وقبيح، وأن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها، كقول الله عز وجل: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧]، والآية صريحة في أن العقل يدرك حسن الأشياء وقبحها، وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾ **[سورة الإسراء:٣٢]** (٢).

-القول بأن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان، مبني على القول بعدم تعليل أفعال الله، وهو ما قرره الأشاعرة والتزموا لوازمه، وقد تبعهم عليه الكتاني كما سيأتي (٣)، وهو باطل، وما بني على باطل فهو باطل.

-أن ما قرره الأشاعرة ونهج نهجهم الكتاني في التحسين والتقبيح يناقض قولهم بوجوب معرفة الله، أو القصد إليها، وقولهم بالكمال والنقص في الأفعال وأنها تدرك بالعقل، لأن الكمال بمعنى التحسين، والنقص بمعنى التقبيح(٤).

---

(١) مدارج السالكين (٢٣١/١)، وينظر المرجع نفسه (٢٣٢/١).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (٢٣١-٢٣٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٢٨/٨).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١٣٠/٨)، إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة للصنعاني (٢٠٥).

-القول بأن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان يلزم منه أن تكون الأفعال كلها سواء، فلا حسن ولا قبيح بذاته، ولا فرق بين الصدق والكذب، ولا بين العدل والظلم سوى في الأمر والنهي، وهذا باطل مخالف للعقل والفطر السليمة(١).

-القول بأن التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان ليس له حجة سوى أخذ بعض النصوص دون بعض(٢).

-أن أئمة الأشاعرة القائلين به اضطربوا في سياق أدلته، وقدح بعضهم في أدلة بعض، مما يؤكد ضعف قولهم(٣).

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من كون التحسين والتقبيح شرعيان لا عقليان.

الحكمة والتعليل في أفعال الله -تعالى-:

ينفي محمد بن جعفر الكتاني الحكمة وينكر تعليل أفعال الله تعالى، ومن ذلك قوله: "والذات أزلية أبدية، لا تتغير ولا تتبدل، وأحكامها قديمة لا تعلل"(٤).

وقال في تنزيه الله تعالى:" تعالى عن الأغراض في أفعاله وأحكامه، وإلا لزم افتقاره تعالى إلى ما يحصل غرضه، كيف وهو جلَّ وعلا الغني عن كل ما سواه"(٥).

وذكر بأن من اعتقادات أهل الباطل إثبات الغرض له تعالى، حيث يقول في الاعتقادات الفاسدة: " العامة الذين لا يعتنون بحضور مجالس العلماء ومخالطة أهل الخير، فإنهم يعتقدون التجسيم والجهة وتأثير الطبيعة، وكون الأفعال لغرض، وكون كلامه جل وعلا حرفا وصوتا، ومرة يتكلم ومرة يسكت كسائر البشر، ونحو ذلك من اعتقادات أهل الباطل"(٦).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٣٢/٨-٤٣٣)، مدارج السالكين (٢٣٠/١)، مفتاح دار السعادة (٤٢/٢)، للاستزادة ينظر: التحسين والتقبيح العقليان، عايض الشهراني.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٩٠/٨).

(٣) ينظر: المحصول للرازي (١٢٤/١)، الإحكام للآمدي (٨٢/١ وما بعدها).

(٤) جلاء القلوب (١٢١/١).

(٥) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (٦٩/أ)، وينظر المرجع نفسه (ل ٦٨/أ).

(٦) الكشف والبيان (٢١٩).

ونقل بأن من الجهل: "الجهل بتعلق الصفات بإيجاد ما لا مصلحة فيه للخلق، هل يجوز هذا في حق الله أو لا؟ فأهل الحق يجيزونه، والمعتزلة يحيلونه"(١)، فأثبت بأن الله له أن يفعل لا لحكمة ولا لمصلحة، لا كالمعتزلة الذين يزعمون بأن الله لا يفعل الشيء إلا لمصلحة وغرض!

ونقل بأن "من اعتقد أن الله خلق الخلق لغرض، أو لجلب مصلحة، أو لدرء مفسدة فهو كافر"(٢).

-النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج الأشاعرة في هذه المسألة، والمراد بهذه المسألة: «هل أفعال الله تعالى معللة بالحكم والغايات؟ وهذه المسألة من أجل مسائل التوحيد المتعلقة بالخلق والأمر، وبالشرع والقدر»(٣).

وقد اختلف الناس في هذه المسألة على مذاهب:

١-نفي الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى، وهذا مذهب الأشاعرة وقد نهج نهجهم الكتاني في تقريراته السابقة، فرأوا أن أفعال الله لا تعلل بالحكم والغايات، وأنه لا يفعل لغرض يستكمل به نقصا، وإنما يفعل بمحض المشيئة وصرف الإرادة، ولا يفعل لتحقيق حكم مقصودة، وإنما تترتب الحكم على أفعاله وتحصل عقبها، فلا يبعث باعث على الفعل(٤).

٢-إثبات الحكمة والتعليل في أفعال الله، وأن أفعاله معللة بالحكم والأغراض، فلا يخلو فعل من أفعاله من غرض وحكمة لأجلها فعل الفعل، ولا يصح أن يفعل فعلا جزافا، بل الفعل مترتب

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٤/أ)، وينظر: عمدة الراوين (٩/٤٠)، الكشف والبيان (٢٤١).

(٢) الكشف والبيان (٢٤٤)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٨/ب، ٦٩/أ، ٦٩/ب).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/٤٠٩).

(٤) ينظر: نهاية الإقدام (٤٧٤)، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين (٢٠٥)، المواقف (٣/٢٩٤)، غاية المرام (٢٢٤).

على الحكمة، لكن هذه الحكمة مخلوقة منفصلة عنه سبحانه، ولا ترجع إليه، بل إلى العباد، وهذا مذهب المعتزلة، وقد ذكره الكتاني ذلك عنهم إجمالا(١).

٣-مذهب أهل السنة والجماعة: أن الله ﷻ حكيم، لا يفعل شيئا عبثا، ولا يخلو فعل من أفعاله من حكمة وغاية حميدة، والحكمة مقصودة له ﷻ؛ يفعل لأجلها لأنه يحبه ويرضاها، والفعل مترتب عليها، وليست هي مترتبة عليه وحاصلة عقيبه كما يقول الأشاعرة، ولا هي مخلوقة منفصلة عنه كما يقول المعتزلة(٢)؛ إذ الحكمة تتضمن شيئين هما:

-حكمة تعود إلى الله ﷻ يحبها ويرضاها وهي صفة له تقوم به، وهي على نوعين: حكمة مطلوبة لذاتها، كما في قوله ﷻ: وحكمة مطلوبة لغيرها وهي وسيلة إلى المطلوب لنفسه.

-وحكمة تعود إلى عباده وهي نعمة يفرحون بها في المأمورات والمخلوقات(٣).

وحكمته ﷻ بنوعيها لا يحاط بها علما، فبعضها معلوم ظاهر للخلق، وبعضها مما يخفى عليهم فلا يعلمها إلا الله.

فما قرره محمد بن جعفر الكتاني في نفي تعليل أفعال الله، والقول بأن حكمة الله قديمة، ولا تعلل، وأن الله ﷻ له أن يخلق الخلق لا لمصلحة، هو ما قرره الأشاعرة، وهو باطل لما يلي:

-القول بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله مخالف للكتاب والسنة؛ لأن الأدلة على إثبات الحكمة والتعليل كثيرة جدا، منها التصريح بلفظ الحكمة، كقول الله عز وجل: ﴿حِكْمَةٌ بَٰلِغَةٌ﴾ **[سورة القمر:٥]**، ومنها التصريح فعل كذا لكذا، كقوله عز وجل: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ

---

(١) ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل (٤٨/٦، ٩٢/١١-٩٣)، المختصر في أصول الدين للقاضي عبد الجبار، ضمن رسائل العدل والتوحيد (٢٠٣/١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٧/٨-٣٩، ٨١-٩٧، ٣٧٧، ١٣٠/١٦)، منهاج السنة (١٤١/١)، مفتاح دار السعادة (٤١٠/٢)، شفاء العليل (٣٨٠)، لوامع الأنوار البهية (٢٨٠/١)، وللاستزادة ينظر: الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى، لمحمد بن هادي المدخلي، (٣٥-٧٥).

(٣) ينظر: منهاج السنة (٧٧/١)، مجموع الفتاوى (٣٥/٨)، شفاء العليل (٣٨٤).

ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴿١٢﴾

[سورة الطلاق:١٢]، وغيرها[١].

-قوله بجواز خلق الخلق بلا مصلحة، مخالف لما عليه الجمهور من أهل السنة وغيرهم، فالله ﷻ حكيم، وأفعال الله لا تكون إلا لحكم وغايات حميدة كما سبق، وأن خلقه للخلق بلا مصلحة هو النقص والعبث المحال الذي يتنزه الله عنه[٢].

-أن تعبيره عن الحكمة بالمصلحة والغرض لم يدل عليه الشرع، وهذا التعبير فيه استبشاع للمعنى الشرعي وهذا لا يجوز، والأولى التعبير بما جاء به الشرع[٣].

-ما ذكره بأن لله حكمة قديمة في قوله بالذات" وأحكامها قديمة لا تعلل"[٤]، هو في الحقيقة نقض لما قرره من جواز خلق الله للخلق بلا مصلحة؛ فأفعال الله ﷻ مترتبة على هذه الحكمة التي قررها[٥].

-أن العقل الصريح يعلم أن من فعل فعلا لا لحكمة أولى بالنقص ممن فعل لحكمة كانت معدومة ثم صارت موجودة في الوقت الذي أحب كونها فيه[٦].

-"أن ما من محذور يلزم بتجويز أن يفعل لحكمة، وإلا والمحاذير التي تلزم بكونه يفعل لا لحكمة أعظم وأعظم"[٧].

---

(١) ينظر: شفاء العليل (١٩٠).

(٢) ينظر: منهاج السنة (١/٧٧)، شفاء العليل (٣٨٤، ٤١٩)..

(٣) ينظر: منهاج السنة (١/٣٣٠)، مفتاح دار السعادة (٢/٤٥٨)، العواصم من القواصم لابن الوزير (٧/٣١٩).

(٤) جلاء القلوب (١/١٢١).

(٥) ينظر: شفاء العليل (٤٢٣).

(٦) ينظر: شرح الأصبهانية لابن تيمية (٤١٤).

(٧) المرجع السابق (٤١٦).

-أن محمد بن جعفر الكتاني مع قوله بنفي الحكمة والتعليل في أفعال الله وقع بالتناقض، فقد ذكر في ثنايا كتبه حكم كثيرة لله تعالى، ومن ذلك ما ذكره في حكمة الله -عز وجل- من الوزن، حيث قال:" وفائدة الوزن، وحكمته مع أنَّه تعالى عالم بجميع أحوال العبد، ولا تخفى عليه خافية من أمره؛ أمور..." (١)، ثم سردها كما سبق في الميزان(٢)، كما ذكر العديد من الحكم في ابتلاء الله للأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم-(٣) وغير ذلك(٤).

-أن محمد بن جعفر الكتاني يلزمه بناء على ما قرره القول بأن إرادة الله عز وجل تقتضي المحبة والرضى؛ لأن الأشاعرة أنكروا التعليل بسبب ما توهموه من وجود التعارض بين الأمر والنهي، وكيف يريد الله إرادة كونية كالكفر والمعاصي، وهو لا يحبها ولا يرضاها، فخرجوا من هذا إلى إنكار الحكمة والتعليل في أفعال الله وأوامره(٥)، إلا أن محمد بن جعفر الكتاني لم يقرر هذا، بل قال :" والله تعالى وإن كان مريدا لجميع ما يقع في سلطانه، لكن الطاعات بإرادته ومحبته ورضاه وأمره، والمعاصي بإرادته دون محبته ورضاه وأمره، ولكن لا يجوز إطلاق القول بأنه تعالى أرادها وإن صح ذلك في الاعتقاد؛ ولما في ذلك من سوء الأدب؛ ولأنه يوهم أن المعصية حسنة مأمور بها، وإنما يقال الله خالق كل شيء، ونحو ذلك من العبارات العامة، بهذا جزم كثير من المتأخرين، ويرشد له آيات كثيرة، فمن أثابه فبفضله، ومن عاقبه فبعدله "(٦).

فقرر بأن الإرادة لا تستلزم الرضى والمحبة مطلقا، وهذا هو الحق؛ لأن الإرادة نوعان:

---

(١) ختم صحيح البخاري (ل ١٩).

(٢) ينظر (ص٧٣٧).

(٣) ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٦/ب-٦٧/أ).

(٤) ينظر: الاستغاثة (٢١٩)، منهاج السنة (٣٠٤/١-٣٩٨)، مجموع الفتاوى (١٨٣/١٤-١٨٤، ١٣٠/١٦-١٣٢).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٤١/٨)، شفاء العليل (٢٧٨-٢٧٩).

(٦) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٨)، ينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٦٦/ب).

أحدهما: بمعنى المشيئة العامة، وهي الإرادة الكونية القدرية وهي كالمشيئة شاملة لكل ما يقع في الكون، قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [سورة الأنعام:١٢٥]، وهي لا تستلزم المحبة وليست بمعناها.

الثاني: بمعنى المحبة والرضى، كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [سورة البقرة:١٨٥]، وهي الدينية الشرعية المستلزمة للمحبة والرضى المستلزمة للأمر(١).

لكن محمد بن جعفر الكتاني لم يزل على توهم التعارض، فمنع إطلاق القول بإرادة الله للمعاصي، لما يظنه من سود الأدب مع الله، والحق أن يقال: الله سبحانه أرادها كونا، ولم يردها شرعا(٢).

بهذا يتبين اضطراب محمد بن جعفر الكتاني في هذه المسألة، فقد وافق الأشاعرة في نفي الحكمة والتعليل، ووافق ما دلت الأدلة عليه في أن الإرادة لا تستلزم المحبة.

هذا مجمل ما وقفت عليه من آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان بالقضاء والقدر، ويتبين فيها موافقته للأشاعرة في الجملة.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/١١٥-١١٦، ٨/٨١-٨٥، ١٨٨-١٩٠، ١٩٧، ٤٧٤-٤٧٦، ١٧/١٠١)، التسعينية (٢٧٠)، شفاء العليل (٣٢، ٤٨، ٢٨٠-٢٧٩)، شرح الطحاوية لابن أبي العز (١/٨٠).

(٢) ينظر: شفاء العليل (٤٨).

الفصل الرابع

آراء محمد بن جعفر الكتاني
في الصحابة والإمامة ومسائل الأسماء والأحكام

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: آراؤه في الصحابة والإمامة
- المبحث الثاني: آراؤه في مسائل الأسماء والأحكام

الفصل الرابع: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الصحابة والإمامة ومسائل الأسماء والأحكام

المبحث الأول: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الصحابة والإمامة

المطلب الأول: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الصحابة.

عرض محمد بن جعفر الكتاني لبعض المسائل المتعلقة بالصحابة، وهي: تعريف الصحابة، وعدالتهم، وفضلهم، وله موقف فيمن نُسب للصحابة، ومن آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- وقد نهج بهذا منهج الاشاعرة في الجملة[١]، الموافق في هذا الباب لمنهج أهل السنة والجماعة، إلا في بعض المسائل التي نهج فيها الكتاني منهج المتصوفة-كما سيأتي-، وفيما يلي عرض آراءه في هذه المسائل وتقويمها.

تعريف الصحابة:

عرف محمد بن جعفر الكتاني الصحابة، حيث ذكر بأن الصحبة هي: "اسم جمع لصاحب، بمعنى: الصحاب، وهو لغة: من صحب غيره ولازمه.

واصطلاحًا: كل من لقي المصطفى -صلى الله عليه وسلم- يقظة بعد النبوة، وقبل وفاته مؤمنًا به وإن لم يرهُ لعارض كعمى، وإن لم يلازمه، ولا جالسه، ولا غزا معه، ولا روى عنه، مميزًا كان أو غير مميز، كالرضيع حيث يحكم بإسلامه لإسلام أبيه، وكان اجتماعه به متعارفًا، ومات على ذلك"[٢].

---

(١) ينظر: الإرشاد (١٨٥)، نهاية الإقدام (٤٨٢)، غاية المرام (٣٨٧)، المواقف (٥٦٤/٣).

(٢) ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٥).

وعرفهم كذلك بقوله عن الصحابة:" جمع صحابي، بياء النسب، وهو مخصوص في العُرف بمن اجتمع بالنبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته الدنيوية مُؤمنًا به بعد النبوءة، اجتماعًا مكانيًا متعارفًا، ومات على ذلك"(١).

المناقشة:

الصحابة: جمع صحابي، **وهو في اللغة:** مشتق من الصحبة، والصحبة تطلق على عدة معان، كلها حول الملازمة والانقياد(٢).

يقول ابن فارس: « الصاد والحاء والباء أصل واحد يدل على مقارنة شيء ومقاربته، من ذلك الصاحب والجمع الصحب»(٣)، وهذا ما قرره محمد بن جعفر الكتاني عندما قرر بأن الصاحب من صحب غيره ولازمه.

وأما في الاصطلاح: فقد اختلف أهل العلم فيمن يصدق عليه اسم الصحابي، وتعددت تعريفاتهم له(٤).

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني موافق لما اشتهر عند المحدثين وعند جمهور أهل العلم من أن كل مسلم رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فهو من الصحابة، وهذا التعريف هو الصحيح المعتمد عند البخاري رحمه الله وشيخه الإمام أحمد رحمه الله، أما تعريف البخاري للصحابي فقد قال في صحيحه: «من صحب النبي -صلى الله عليه وسلم- أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه»(٥).

---

(١) ينظر: المرجع السابق (ل ٥٤).

(٢) ينظر مادة (صحب): تهذيب اللغة (١٥٣/٤)، الصحاح (١٦١/١)، لسان العرب (٥١٩/١)، القاموس المحيط (١٣٤)، تاج العروس (١٨٥/٣).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٣٣٥/٣).

(٤) ينظر تفاصيل الخلاف في تعريف الصحابي، والأقوال والأدلة على ذلك: الإحكام للآمدي (١٠٣/٢)، الكفاية في علم الرواية (ص٤٩)، فتح المغيث للسخاوي (٧٨/٤)، تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، للعلائي (ص٣٠-٥٠)، تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (٢٠٨/٢).

(٥) صحيح البخاري (١٣٣٣/٣)، وأورده الخطيب مسندا في الكفاية (٥١/١).

وقد اختار هذا التعريف الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وضبطه (١).

عدالة الصحابة:

قرر محمد بن جعفر الكتاني عدالة جميع الصحابة من غير استثناء، حيث يقول:" الصحابة كلهم عدول مطلقًا على الصحيح، من لابس الفتن منهم ومن لا"(٢).

المناقشة:

العدالة في اللغة: مصدر عدُل، معانيها في اللغة حول الاستقامة(٣).

العدالة اصطلاحا: اختلف أهل العلم في تعريفها اختلافا كثيرا، وأجمع تعريف للعدالة ما ذكره السيوطي حيث قال: «ملكة، أي هيئة راسخة في النفس تمنع من اقتراف كبيرة أو صغيرة دالة على الخسة أو مباح يخل بالمروءة»(٤).

وصحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيه –صلى الله عليه وسلم–، وهم الذين قاموا بالدين تصديقًا، وعلمًا، وعملاً، وتبليغًا، وقد تحققت فيهم صفة العدالة وظهر فيهم معناها.

قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فهم خير القرون، وخير أمة أخرجت للناس، ثبتت عدالة جميعهم بثناء الله عز وجل عليهم، وثناء رسوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولا أعدل ممن ارتضاه الله لصحبة نبيه ونصرته، ولا تزكية أفضل من ذلك، ولا تعديل أكمل منه»، إلى أن قال: «قد كفينا البحث عن أحوالهم؛ لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول»(٥).

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة؛ لما أثنى الله عليهم في كتابه العزيز، وبما نطقت به السنة النبوية، في المدح لهم في جميع أخلاقهم،

---

(١) ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة (١/١٥٨-١٥٩).

(٢) ينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٥٤).

(٣) ينظر مادة: (عدل): تهذيب اللغة (٢/١٢٣)، الصحاح (٥/١٧٦٠)، معجم مقاييس اللغة (٤/٢٤٦)، لسان العرب (١١/٤٣٠)، القاموس المحيط (١٠٣٠)

(٤) الأشباه والنظائر للسيوطي (ص٣٨٤).

(٥) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر (١/١٩).

وأفعالهم، وما بذلوا من الأموال، والأرواح بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ رغبة فيما عند الله من الثواب الجزيل، والجزاء الجميل»(١).

والأدلة على عدالتهم متظافرة:

«- أحدها: ثناء الله عليهم، ومدحه إياهم ووصفه لهم بكل جميل، ...

الثاني من الأدلة: ثناء النبي -صلى الله عليه وسلم- وإخباره بما منحهم الله تعالى من كونهم خير القرون من أمته وأفضلها وإن أحداً ممن يأتي بعدهم لا يبلغ أدنى جزء من شأنهم ولو أنفق ملء الأرض ذهباً في سبيل الله.

الثالث: الإجماع على ذلك ممن يعتد به، ... فإنه لم يخالف في عدالة الصحابة من حيث الجملة أحد من أهل السنة»(٢).

فضل الصحابة:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر كما يقول: "أحاديث تفضيل الصحابة على غيرهم من جميع القرون، ... ومن جملتها حديث الصحيحين عن أبي سعيد رفعه ((**والذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه**)) (٣)" (٤).

وقال في المتواتر: "حديث: ((**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**))، وفي أول الإصابة للحافظ ابن حجر ما نصه [وتواتر عنه-صلى الله عليه وسلم- قوله ((**خير**

---

(١) الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث، لابن كثير (١٨١-١٨٢)، وينظر: تحقيق منيف الرتبة للعلائي (٦٠).

(٢) تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة (٦٢-٧٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: باب قول النبي -صلى الله عليه وسلم- (لو كنت متخذا خليلا)، رقم (٣٤٧٠)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة رضي الله عنهم، رقم: (٢٥٤٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٩٩).

الناس قرني ثم الذين يلونهم)) [١]، وفي رسالة الفرقان لابن تيمية ما نصه: [وقد استفاضت النصوص الصحيحة عنه أي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: ((**خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**))]" [٢].

وقال:" وقد عُلم من عادة الصحابة ضرورة اتباعهم له -عليه الصلاة والسلام-"[٣] وذكر بعض الأمثلة على ذلك من السنة الصحيحة.

وذكر في كتابه: نصيحة أهل الإسلام أن الصحابة رغم قلة عددهم فتحوا الممالك شرقا وغربا، وذلك كما يقول: "ببركة طاعتهم لله ولرسوله-صلى الله عليه وسلم-وامتثالهم لأوامرهما، واجتنابهم لنواهيهما"[٤].

ويقر محمد بن جعفر الكتاني بالمفاضلة بين الصحابة، حيث ذكر بأن من المتواتر كما يقول: "أحاديث أفضلية أبي بكر على غيره من الصحابة، ... وفي الوصية الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية قال ما نصه: [وقد اتفق أهل السنة والجماعة على ما تواتر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- أنه قال: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر رضي الله عنهما] [٥] اهـ"[٦].

وذكر فضائل عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-[٧]، وأن من المتواتر في علي-رضي الله عنه-حديث ((**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى**)) [١]، وفصّل في فضله-رضي الله عنه-[٢].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: فضائل الصحابة، باب: باب فضائل أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -، رقم (٣٤٥١)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل الصحابة، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، رقم (٢٥٣٣)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٢) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٩٩)، وينظر: رسالة المسلسلات (٤١).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦٥/أ).

(٤) نصيحة أهل الإسلام (١٤١).

(٥) مجموع الفتاوى (٣/٤٠٦).

(٦) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٩٠).

(٧) شرح على دلائل الخيرات (ل ٦٢).

وذكر بأن من المتواتر كذلك أن أحب أهله إليه -صلى الله عليه وسلم- فاطمة -رضي الله عنها-، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن من المتواتر في أبي موسى الأشعري أنه أوتي هذا مزماراً من مزامير آل داود، واهتزاز العرش لموت سعد بن معاذ(٣).

وذكر فضل أهل بدر والحديبية وتبشيرهم بالجنة، والعشرة المبشرين بالجنة، وقال:" لا مفهوم فيه للعدد، وإنما خصومهم بالذكر لورود النص عليهم بأسمائهم في حديث واحد"(٤).

المناقشة:

صحابة النبي-صلى الله عليه وسلم- لهم مكانة عظيمة ومنزلة كبيرة، فهم أفضل الناس بعد نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- اختارهم الله لصحبة رسوله، وتبليغ شرعه، وهم أفضل القرون بشهادة النبي-صلى الله عليه وسلم-.

والأدلة متضافرة على فضلهم من الكتاب والسنة، يقول الإمام أحمد بن حنبل-رحمه الله-:"من الحجة الواضحة الثابتة البينة المعروفة ذكر محاسن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كلهم أجمعين والكف عن ذكر مساويهم والخلاف الذي شجر بينهم فمن سب أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو أحدا منهم أو تنقصه أو طعن عليهم أو عرض بعيبهم أو عاب أحدا منهم فهو مبتدع رافضي خبيث مخالف لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة"(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-، باب: مناقب علي، رقم (٢٧٠٦)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب، رقم (٢٤٠٤)،

(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٩).

(٣) ينظر: نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٩٥-١٩٨)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٩).

(٤) ختم صحيح مسلم (ل ٣).

(٥) طبقات الحنابلة لأبي يعلى (٢٩/١).

فما قرره محمد بن جعفر الكتاني في القول بأفضلية الصحابة على غيرهم هو الحق، والأشاعرة عموما لم يخالفوا في عموم ذلك، وهو موافق لما قرره أهل العلم في مصنفاتهم(١).

كذلك ما قرره في تواتر أفضلية أبي بكر -رضي الله عنه- على غيره من الصحابة هو ما أجمع عليه أهل السنة والجماعة، حيث أجمعوا على القول بأفضلية أبي بكر ثم عمر* (٢)، واختلفوا بعدهما في عثمان وعلي، يقول الإمام الشافعي رحمه الله: «ما اختلف أحد من الصحابة والتابعين في تفضيل أبي بكر وعمر وتقديمهما على جميع الصحابة، وإنما اختلف من اختلف منهم في علي وعثمان»(٣).

قال البيهقي بعد ذكره لقول الشافعي السابق بسنده: «وروينا عن جماعة من التابعين وأتباعهم نحو هذا»(٤).

أما أقوال السلف في المفاضلة بين عثمان وعلي -رضي الله عنهما- فجملة أقوالهم ثلاثة، وهي:

-تفضيل عثمان على علي، وهو قول الجمهور.

-تفضيل علي على عثمان، وهو قول أكثر أهل الكوفة.

-التوقف في المفاضلة بينهما، وهو قول بعض أهل المدينة(٥).

---

(١) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٦٨٩/٢)، الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٧/١-٨)، شرح السنة للبربهاري (٦٨-٦٩)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٣١٠/٧)، عقيدة السلف أصحاب الحديث (٩٥)، الحجة في بيان المحجة (٣٤١/٢)، مجموع الفتاوى (١٥٢/٣-١٥٣)، لوامع الأنوار البهية (٣٧٩/٢-٣٨٠).

(٢) ينظر: السنة لابن أبي عاصم (٥٦٦/٢)، السنة للخلال (٣٧١/٢)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٥٩/١)، الاعتقاد للبيهقي (٣٦٩)، المنهاج شرح صحيح مسلم (١٤٨/١٥)، الواسطية (٣٤)، مجموع الفتاوى (١٥٣/٣، ٤٢١/٤).

(٣) الاعتقاد للبيهقي (٣٦٩)، وينظر: مجموع الفتاوى (١٥٣/٣).

(٤) الاعتقاد للبيهقي (٣٦٩).

(٥) ينظر: جامع بيان العلم وفضله (٣٥٤/٢)، الاستيعاب (١١١٨/٣)، معالم السنن (٣٠٣/٤)، مجموع الفتاوى (٤٢٦/٤)، فتح الباري (١٧//٧، ٣٤).

وقد استقر إجماع أهل السنة والجماعة بعد ذلك على تقديم عثمان على علي، يقول الإمام ابن عبد البر رحمه الله: « وأهل السنة اليوم على ما ذكرت لك من تقديم أبي بكر في الفضل على عمر، وتقديم عمر على عثمان، وتقديم عثمان على علي»(١).

وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: « وأن الإجماع انعقد بآخرة بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رضي الله عنهم أجمعين»(٢).

وهذه المسألة كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ليست من الأصول التي يضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة، لكن المسألة التي يضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة، وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي، ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله»(٣).

هذا بما يتعلق بالمفاضلة بين الخلفاء الأربعة، أما ما يتعلق بالأفضلية لمن بعدهم، فأفضل الصحابة بعدهم بقية العشرة المبشرين بالجنة، وهم طلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأبو عبيده عامر بن الجراح، وسعيد بن زيد — رضي الله عنهم أجمعين —.

ثم أهل بدر وكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر، ثم أهل ببيعة الرضوان على الصحيح، ثم أهل أحد، ثم بقية المهاجرين، ثم بقية الأنصار(٤).

صحبة الجني شمهروش:

---

(١) الاستيعاب (١١١٨/٣)، وينظر: الواسطية (٣٤)، مجموع الفتاوى (١٥٣/٣)، فتح الباري (٣٤/٧، ٥٨).

(٢) فتح الباري (٣٤/٧).

(٣) الواسطية (٣٤)، وينظر: مجموع الفتاوى (١٥٣/٣).

(٤) ينظر: شرح السنة للبربهاري (ص٥٣)، الاقتصاد في الاعتقاد لابن قدامة المقدسي (ص٢٠٣)، الواسطية (٣٤)، مجموع الفتاوى (١٥٢/٣-١٥٣)، الباعث الحثيث (١٨٣)، لوامع الأنور البهية (٣٥٧/٢)، معارج القبول (١١٢٦/٣).

روى محمد بن جعفر الكتاني المسلسل بالمصافحة الشمهروشية، وقال عن صحبته: "أمره تواتر، وشاع وتكاثر، وإخبار غير واحد بالاجتماع به من ذوي البصائر معلوم، وإذعانهم لجنابه مقرر مرسوم، وهم القدوة، ولنا فيهم أسوة، وعدم ذكرهم له في الصحابة لا يخدش في هذا المطلب، لأن اجتماع الجن معه -عليه السلام- مما لا يخفى في الأغلب، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب"(١).

وقال عن بعض مدعي الولاية: "ذكر عن نفسه أنه لقي الصحابي الأشهر: السيد شمهروش، قاضي الجن، مرات كثيرة، وتبرك به وأخذ عنه"(٢).

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج المتصوفة في القول بصحبة الجني شمهروش وروايته للأحاديث، وهذا باطل لما يلي:

- لو ثبتت صحبته لذكره الجهابذة الذين ألّفوا في الصحابة، كابن عبد البر، وابن حجر وغيرهما، يقول عبد الحفيظ الفاسي-رحمه الله-:" الذين ألّفوا في أسماء الصحابة قد ذكروا من حفظ ذكره من الجن، فلم يذكروا شمهروش من جملتهم، ولا سمعوا بذكره، ومن المعلوم أن همم الناس ودواعيهم مفتقرة إلى نقل نوادر الأخبار.

وأين كان شمهروش قبل المائة العاشرة؟ فلو كان موجودا لاشتهر إذ ذاك، ولكنه لم ينقل عنه شيء، ولم يعرف اسمه إلا في المائة العاشرة فما بعدها، ...والذي يظهر أنه كان شيطانا سولت له نفسه ادعاء الصحبة، وظهر لبعض الناس مدلسا عليهم بافترائه الاجتماع مع النبي-صلى الله عليه وسلم-وسماعه منه، فصدقوه في مدعاه بغير حجة شرعية"(٣).

-عدم وجود دليل صحيح يعتمد عليه في صحبته؛ لأن الإسناد كما يقول الشيخ الحجوي الثعالبي في الرد على من زعم صحبته: "وعلى كل حال الإسناد هو فخر الأمة

---

(١) رسالة المسلسلات (٥٨).

(٢) سلوة الأنفاس (٢١٢/١)، وينظر المرجع نفسه (٢١٣/١، ٥٤/٣).

(٣) الآيات البينات (٢٠٨)

الإسلامية، لا ينبغي فيه التساهل، والاعتماد على الوهم، بل يجب التثبت كما كان سلفنا الصالح، وأن الخيال خبال، والخيال يغلب الأخيار، فيوهمهم سواد الليل بياض النهار"(١).

- اضطراب من زعم صحبته في تاريخ اللقاء به، وتاريخ وفاته، مما يدل على عدم ثبوته، "وبتناقض الروايات يسقط المروي"(٢).

- أن هذا متعارض مع قول الرسول-صلى الله عليه وسلم-: -: ((**أرأيتكم ليلتكم هذه، فإن رأس مائة سنة منها، لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد**)) (٣)، وليس في الحديث تخصيص للإنس، أو استثناء الجن، ولو كان هناك مخصص لخصصه الرسول-صلى الله عليه وسلم-فيبقى على عمومه، يقول ابن حجر-رحمه الله-:"وبه احتج جماعة من المحققين على كذب من ادعى الصحبة أو الرؤية ممن تأخر عن ذلك الوقت"(٤).

- "الغالب أن الذين رووا عنهم هم من الصوفية ومبنى طريقهم على حسن الظن، ولهذا حذر الأئمة النقاد من روايتهم "(٥).

موقفه من أهل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم-:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني الخلاف في المراد بآل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- وقرر فضلهم، وعصمتهم، والتوسل بهم إلى الله تعالى، وأكد على اتصال نسب الكتانيين بآل البيت.

فقال في الخلاف بآل البيت:" دخل عماه العباس وحمزة وأولادهما، إلا أن عقب حمزة قد انقطع، ودخل أيضًا أولاد أبي طالب، وهم: علي، وعقيل، وجعفر، وعقبهم، وأولاد الحارث بن عبد المطلب، وهم: أبو سفيان وإخوته وبنوهم، وأولاد أبي لهب، وهم: عتبة ومعتب وأولادهما، وأما عتيبة بالتصغير -وهو عقير الأسود- فقد مات كافرًا من غير عقب، ...ولم

---

(١) مختصر العروة الوثقى (٧٣).

(٢) مختصر العروة الوثقى (٧٣)، ينظر: سلوة الأنفاس (٢١٣/١).

(٣) سبق تخريجه (ص٦٢٩).

(٤) فتح الباري (٣٦٣/١١)، ينظر: مختصر العروة الوثقى (٧١-٧٢).

(٥) الآيات البينات (٢٠٩).

يعقب من أعمام النبي -صلى الله عليه وسلم- التسعة عقبًا باقيًا إلَّا أربعة: أبو طالب، والعباس، والحارث، وأبو لهب...

وقيل: والمطَّلب، وهو مفهوم مذهب الشافعي، ...

وقيل: بنو غالب، وقيل: ذرِّيته وأزواجه، وقيل: أتباعه، واختاره الزهري، ومالك، ورجَّحه النووي في "شرح مسلم"، ... وقيل: أتقياء أمَّته، واختاره جماعة من العلماء، وقيل: بنو قصيّ كلّهم، وقيل: بنو كعب، وقيل: بنو فهر، وقيل: قريش ما تناسلوا، وقيل: بنو النضر ابن كنانة، وقيل: جميع المؤمنين"(١).

وذكر في بني غالب قولان ثم قال:" إنهم ليسوا بآل، وهو المشهور"(٢).

وقرر فضل آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- بالنصوص الدالة على ذلك من كتاب الله تعالى، وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم- حيث قال في ذكر الأدلة على فضلهم: "ولنذكر ههنا شيئا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على فضلهم ومزيتهم، والحث على حبهم وإكرامهم ومودتهم، والتحذير من بغضهم ومعاداتهم، فنقول:

قال تعالى: إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ [سورة الأحزاب:٣٣]، وهذه الآية الشريفة قال العلماء أنها منبع فضلهم النبوي؛ لاشتمالها على غرر من مآثرهم، والاعتناء بشأنهم، حيث ابتدئت بـ: إنما، المفيدة لحصر إرادته تعالى في إذهاب الرجس، الذي هو الإثم والشرك فيما الإيمان به عنهم، وتطهيرهم من سائر الأخلاق والأحوال المذمومة، وختمت بالمصدر الذي هو: تطهيرا؛ للمبالغة في وصولهم لأعلاه، ...

وقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة الشورى:٢٣]، قال ابن عباس، يعني: إلا أن تودوا قرابتي وتحفظوني فيهم، أي: بصلتهم وإدخال السرور عليهم، وتعظيمهم، وتوقيرهم"(٣).

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩/أ).

(٢) المرجع السابق (ل ٩/أ)، وينظر: شرح على دلائل الخيرات (ل ٧).

(٣) الأربعون الكتانية (٥٢-٥٣).

ومما استدل به من الأحاديث قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**)) (١)، وقول النبي-صلى الله عليه وسلم-: ((**أذكركم الله في أهل بيتي**)) (٢).

وقد قرر في كتابه" النبذة اليسيرة النافعة التي هي جملة من أحوال الشعبة الكتانية" اتصال نسب الكتانيين بآل البيت، ثم قرر بأن آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- مغفور لهم من الأزل، فيجب محبتهم والتوسل بهم ولو عملوا عملا سيئا، فكلهم مصيرهم إلى الجنة، ولا يدخل واحدا منهم النار، وأن كل نعمة من الله بسببهم، ومن تقريراته قوله: "يتعين على كل مسلم الولاية لآل بيت رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ظاهرا وباطنا، والتودد لهم سرا وعلنا، الارتباط بهم، والتعلق بأذيالهم، وإكبارهم وإعظامهم وإجلالهم واحترامهم، والجزم بأنه عبد من عبيد منّتهم، وخدمتهم حقيقة لا ادعاء، فإنه ما من نعمة جلّت أو قلّت، ظهرت أو خفيت، إلا وهي من الله بسببهم وسبب جدهم-صلى الله عليه وسلم-، وما نزل بهم من قبلهم من ظُلم أو جور أو إذاية في نفس الأمر أو عِرض أو مال: ينزّله منزلة القضاء الذي لا سبب له، ويُسلم فيه الأمر لله تعالى، ويصبر ويحتسب"(٣).

وقال في قوله عز وجل: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [سورة الشورى:٢٣]، :"أي: إلا أن تودوا قرابتي، أي ذريتي وأهل بيتي، تحبوهم لمحبتي، وتعظموهم وتوقروهم، وهذا عام في أهل البيت، ولو كانوا مخلطين، خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، لأنهم في حقيقة الأمر عند الله مغفور لهم، معفو عنهم قبل وجودهم ووجود ذريتهم، فهو في الصورة ذنب، وفي المعنى لا

---

(١) رواه مسلم، في صحيحه، كتاب: الفضائل، باب: فضل نسب النبي-صلى الله عليه وسلم-قبل النبوة، رقم: (٢٢٧٧)، من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٢) رواه مسلم، في صحيحه، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضائل علي بن أبي طالب، رقم: (٢٤٠٨)، من حديث جابر بن سمرة رضي الله عنه.

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٤٨٩)، وينظر المرجع نفسه (٤٩٣، ٥١٠).

ذنب؛ لما سبق لنا من أن الله تعالى طهرهم من الذنوب في سابق علمه، وسامحهم فيها قبل ظهورهم، ولا ينقص الذنب شيئا من منصبهم العلي، مقامهم الرفيع عند الله تعالى"(١).

حتى قال: "قال الشيخ الأكبر إن التطهير باق فيهم إلى قيام الساعة، يعني إلى ذهاب المؤمنين بعد موت عيسى -على نبينا وعليه الصلاة والسلام-، لا يزول عنه بما ارتكبوه من المناهي وهذا مذهب أهل الحق قاطبة، فلا التفات لغيرهم، لأنهم الطائفة الذين شهد لهم الشارع بأنهم على الحق، ...

فإذا تقرر هذا من كلام أهل الحق، ثبت أن تطهير هذه الشجرة المباركة حق لا شك فيه، وهو لباس تفضل الله به عليها، اختيارا منه، وهو منسدل على فروعها إلى انقضاء آخرها"(٢)، زاعما بأن الكتانيين كذلك.

وقال في قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ۝٣٣﴾ [سورة الأحزاب:٣٣]:"والآية الشريفة تدل على أن جميع أهل البيت وآله-صلى الله عليه وسلم- للجنة سلفا وخلفا، لأن الله تعالى طهرهم من الكفر الذي هو أعظم الذنوب، ولا فائدة للتطهير إذا كان صاحبه كغيره في المؤاخذة بالذنوب.

وتعلم من هذا أن الله يتجاوز عنهم في الآخرة، ويدخلهم الجنة كلهم، ولا يدخل واحدا منهم النار، بعد تأدية الحقوق والتبعات التي عليهم، وهذا مذهب أهل الحق قاطبة، لأنهم عاينوه كشفا"(٣).

النقد:

اختلف أهل العلم في المراد بآل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم-، يقول ابن القيم -رحمه الله-:" اختُلف في آل النبي على أربعة أقوال:

فقيل: هم الذين حرمت عليهم الصدقة، وفيهم ثلاثة أقوال للعلماء:

أحدها: أنهم بنو هاشم وبنو المطلب، وهذا مذهب الشافعي، وأحمد في رواية عنه(١).

---

(١) النبذة اليسيرة النافعة (٥٠٦)، ينظر: الأربعون الكتانية (٥٢، ٥٧).

(٢) المرجع السابق (٥٠٨).

(٣) النبذة اليسيرة النافعة (٥١١-٥١٢)، وينظر المرجع نفسه (٥٠٩).

والثاني: أنهم بنو هاشم خاصة، وهذا مذهب أبي حنيفة، والرواية الثانية عن أحمد...

والثالث: أنهم بنو هاشم ومن فوقهم إلى غالب، ... وهذا القول في الآل، أعني أنهم الذين تحرم عليهم الصدقة هو منصوص الشافعي، وأحمد، والأكثرين وهو اختيار جمهور أصحاب أحمد، والشافعي(٢).

والقول الثاني: أن آل النبي هم ذريته وأزواجه خاصة، حكاه ابن عبد البر في التمهيد(٣)...

والقول الثالث: أن آله اتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم(٤)...

والقول الرابع: أن آله هم الأتقياء من أمته(٥)"(٦).

والقول الصحيح في المراد بآل بيت النبي -صلى الله عليه وسلم- هو قول جمهور أهل العلم، وهو القول الأول؛ لصراحة أدلتهم، وقوتها(٧)، فآل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- من تحرم عليهم الصدقة، من بني هاشم على القول الراجح(٨)، والصحيح دخول زوجاته في أهل

---

(١) وهو قول ابن حزم، وابن حجر، والصنعاني وغيرهم، ينظر: المحلى (١٤٦/٦)، فتح الباري (٤١٤/٣)، سبل السلام (٥٥٤/١).

(٢) وهو قول جمهور العلماء من أهل المذاهب الأربعة، ورجحه ابن حزم، وابن تيمية، وابن القيم، والحافظ ابن حجر، وغيرهم، ينظر: المحلى (١٤٦/٦)، المنتقى شرح الموطأ، للباجي (٣٢٥/٧) عمدة القاري (٧١/١٦)، المجموع للنووي (٤٦٨/٣)، فتح الباري (١٦٠/١١)، مجموع الفتاوى (٤٦٠/٢٢)، جلاء الأفهام (٢٢٣).

(٣) ينظر: التمهيد (٣٠٢/١٧)، أحكام القرآن لابن عربي (٦٢٣/٣)، مجموع الفتاوى (٤٦١/٢٢).

(٤) ينظر: المجموع للنووي (٤٦٦/٣)، لوامع الأنوار البهية (٥١/١)، ورجحه النووي في شرح مسلم (١٨٥/٧)، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٧٩/٢).

(٥) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٩٨/١)، فتح الباري (١٦٠/١١)، مجموع الفتاوى (٤٦١/٢٢-٤٦٢).

(٦) جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام (٢١٠-٢١١).

(٧) ينظر: جلاء الأفهام (٢١٣-٢١٥)، مجموع الفتاوى (٤٠٧/٣-٤٠٨).

(٨) وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية، ورجحه ابن عبد البر، ينظر: مجموع الفتاوى (٣٠/١٩)، اقتضاء الصراط المستقيم (٤٣٠/١)، منهاج السنة (١١٩/٤)، الاستذكار (٦١٤/٨)، وقد أجمع العلماء على تحريم الزكاة على بني هاشم، ينظر: المغني (١٠٩/٤)، السيل الجرار للشوكاني (٢٥٧/١).

بيته[١]، يقول ابن كثير-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [سورة الأحزاب:٣٣]:" وهذا نص في دخول أزواج النبي -صلى الله عليه وسلم- في أهل البيت هاهنا؛ لأنهن سبب نزول هذه الآية"[٢].

وما قرره محمد بن جعفر الكتاني في فضل أهل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- والاستدلال على ذلك من الكتاب والسنة، لا شك فيه عند أهل السنة والجماعة[٣].

أما ما قرره بأن آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- مغفور لهم من الأزل، وأن الله طهّرهم من الكفر، فيجب محبتهم ولو علموا عملا سيئا؛ لأن مصيرهم إلى الجنة، من الغلو الباطل بأهل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم-، وهذا خلاف منهج أهل السنة والجماعة في آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم- بل هو المشهور عن الشيعة[٤]، أما أهل السنة فهم وسط بين الإفراط والتفريط، والغلو والجفاء في آل البيت، كما هو منهجهم في جميع مسائل الاعتقاد، فأهل السنة والجماعة يتولون كل مسلم ومسلمة من نسل عبد المطلب، وكذلك زوجات النبي -صلى الله عليه وسلم- جميعا، فيحبون الجميع، ويثنون عليهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها بالعدل والإنصاف، ويعرفون الفضل لمن جمع الله له بين شرف الإيمان وشرف النسب، فمن كان من أهل البيت من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم، فإنهم يحبونه لإيمانه وتقواه، ولصحبته إياه، ولقرابته منه -صلى الله عليه وسلم-، ومن لم يكن منهم صحابيا، فإنهم يحبونه

---

(١) ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (٧٩/٢)، مجموع الفتاوى (٤٦١/٢٢)، فتح الباري (٤١٤/٣-٤١٥)، المفهم للقرطبي (١٢٥/٣)، نيل الأوطار، للشوكاني (٢٠٤/٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٤١٥/٦).

(٣) ينظر: شرح السنة للبربهاري (٤١)، لمعة الاعتقاد (٤٠)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٨٩/٢)، متن العقيدة الواسطية (١٢)، رسالة في فضل أهل البيت وحقوقهم، لابن تيمية، مجموع الفتاوى (٤٠٧/٣)، إيثار الحق على الخلق لابن الوزير (٤٦٠)، مختصر الصواعق المرسلة (٨٠)، للاستزادة ينظر: فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، عبد المحسن البدر العقيدة في أهل البيت، بين الإفراط والتفريط، سليمان السحيمي، آل البيت عند ابن تيمية وموقفه من عقائد المخالفين، عمر القرموشي.

(٤) ينظر: بصائر الدرجات الكبرى، للصفار (٥٠)، الفصول المهمة في أصول الأئمة، للحر العاملي (٤٤١/١)، بحار الأنوار للمجلسي (٩٧/٢٣، ١٠١)، للاستزادة: أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد، لناصر القفاري (٧٧٦/٢).

لإيمانه وتقواه، ولقربه من رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، ويرون أن شرف النسب تابع لشرف الإيمان، ومن لم يوفق للإيمان، فإن شرف النسب لا يفيده شيئا، فالإيمان شرط لموالاتهم، ولذلك لم يعد أبو لهب ضمن آل البيت، ولم يكن مستحقا لتلك الحقوق بسبب كفره، وقد قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾ [سورة المسد:١-٣]، يقول ابن تيمية-رحمه الله- في تفسير هذه السورة:" وليس في القرآن ذم من كفر به -صلى الله عليه وسلم -باسمه إلا هذا وامرأته، ففيه أن الأنساب لا عبرة بها، بل صاحب الشرف يكون ذمه على تخلُّفه عن الواجب أعظم، كما قال تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [سورة الأحزاب:٣٠]" (١)، فالأنساب لا عبرة بها وإنما الاعتبار بالإيمان والتقوى(٢).

وقد وقال -صلى الله عليه وسلم-في آخر حديث طويل رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: **((ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه))** (٣).

يقول الحافظ ابن رجب-رحمه الله- في شرح هذا الحديث: "معناه: أن العمل هو الذي يبلغ بالع-بد درجات الآخرة، كما قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [سورة الأنعام:١٣٢]، فمن أبطأ به عمله أن يبلغ به المنازل العالية عند الله تعالى، لم يسرع به نسبه، فيبلغه تلك الدرجات، فإن الله تعالى رتب الجزاء على الأعمال، لا على الأنساب، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ۝١٠١﴾ [سورة المؤمنون:١٠١]" (٤)، فالاعتبار بالإيمان والأعمال لا بالأنساب.

وثبت في الصحيحين عن النبي-صلى الله عليه وسلم- من حديث أبي هريرة قال: قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-حين أنزل الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [سورة

---

(١) مجموع الفتاوى (٦٠٢/١٦).

(٢) ينظر: المحلى لابن حزم (٢٣٧/٧)، شرح العقيدة الطحاوية (٦٨٩/٢).

(٣) رواه مسلم في صحيحه، كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم (٢٦٩٩)، من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

(٤) جامع العلوم والحكم (١٠٢٨/٣).

الشعراء:٢١٤]، قال: **((يا معشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئا! يا بني مناف لا أغني عنكم من الله شيئا! يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا! ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا! ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا!))** (١).

ففي الحديث دلالة واضحة على أن الجزاء مترتب على الأعمال لا على الأحساب، وهؤلاء المذكورون في الحديث هم آل بيت رسول الله–صلى الله عليه وسلم–.

فإذا انحرف الواحد من آل البيت بما لا يوجب كفره، استحق بسبب هذا الانحراف وصفه بالفسق والعصيان، وأن يحب ويوالى على قدر ما معه من الحق، ويعادى على قدر ما معه من الباطل؛ وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة في مسألة الموالاة والمعاداة(٢).

وقد جاء عن الحسن بن علي–رضي الله عنه– أنه قال لرجل يغلو فيه:" ويحكم! أحبونا لله، فإن أطعنا الله فأحبونا، وإن عصيناه فابغضونا، ويحكم! لو كان الله نافعا بقرابة من رسول الله بغير عمل بطاعته لنفع بذلك من هو أقرب إليه منا، والله إني أخاف أن يضاعف للعاصي منا العذاب ضعفين"(٣).

فالقول بأنهم مغفور لهم من الأزل، قول مبتدع لا دليل عليه من كتاب الله ولا سنة نبيه–صلى الله عليه وسلم–، ولا قال به أحد من السلف الصالح، أما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ۝٣٣﴾ [سورة الأحزاب:٣٣]، فليس فيه دليل على أن الله تعالى طهرهم من الكفر كما قرر الكتاني، لأن الإرادة الواردة في هذه الآية ليست الإرادة الكونية التي تستلزم وقوع المراد، وإنما هي الشرعية المتضمنة للمحبة والرضا، فالآية ليس فيها

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الوصايا، باب: هل يدخل النساء والولد في الأقارب، رقم (٢٦٠٢)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: باب في قوله تعالى {وأنذر عشيرتك الأقربين}، رقم (٣٥١)، من حديث أبي هريرة–رضي الله عنه–.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨/٢٠٨–٢٠٩)، إرشاد الطالب إلى أهم المطالب لابن سحمان (ص١٣–١٩).

(٣) ينظر: الصواعق المحرقة (٢/٤٦١)، البداية والنهاية لابن كثير (١٢/٦٢٤).

إخبار بطهارة أهل البيت وذهاب الرجس عنهم، وإنما فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم(١).

وقد روى الإمام مسلم في صحيحه عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ((**خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- غداة وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال:** ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ٣٣﴾ [سورة الأحزاب:٣٣])) (٢).

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"مضمون هذا الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دعا لهم بأن يذهب عنهم الرجس ويطهرهم تطهيرا، وغاية ذلك أن يكون دعا لهم بأن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم؛ واجتناب الرجس واجب على المؤمنين، والطهارة مأمور بها كل مؤمن"(٣).

فليس في كتاب والله ولا سنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-ما يدل على عصمتهم من الكفر والذنوب.

وقد استدل محمد بن جعفر الكتاني في هذه المسألة بكلام أهل الكشف، وما قرروه، حيث قال بعد تقرير هذه المسألة:" وهذا مذهب أهل الحق قاطبة، لأنهم عاينوه كشفا"(٤)، وقد سبق بيان بطلان الكشف الصوفي البدعي بالتفصيل.

اختصاص بعض الصحابة بالعلم المخير:

قرر محمد بن جعفر الكتاني بناء على يراه في الحقيقة والشريعة والظاهر والباطن، وقوله بالعلم المخير الذي بلّغه-صلى الله عليه وسلم- للبعض وكتمه عن غيرهم، بأن النبي-صلى الله

---

(١) ينظر: منهاج السنة (٢١/٤).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الفضائل، باب: فضائل آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم-، رقم (٢٤٢٤)، من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

(٣) منهاج السنة (١٤/٥).

(٤) النبذة اليسيرة النافعة (٥١١-٥١٢).

عليه وسلم- خص أناسا من الصحابة بهذا العلم الخاص، فلا يعلمه غيرهم، حيث قال: "ومن الصحابة الذين خصهم النبي-صلى الله عليه وسلم-بشيء من هذا العلم المخير فيه كما أُشير إليه سابقا: سيدنا أبو بكر الصديق-رضي الله عنه-فإنه انفرد عنه-صلى الله عليه وسلم-بعلم المعرفة بالله تعالى المعرفة الكاملة الوافية، وبما يفيد قوة الإيمان واليقين والقدرة على تقوية الدين وبمعرفة دقائق التوحيد وخفاياه التي لا يطلع عليها كل العبيد، وبالاطلاع على الأسرار الخفية والكمالات الحقيقية النبوية على ما يقع في نفسه-صلى الله عليه وسلم- من المرادات، وما يبديه من الرموز والإشارات"(١).

وقال في عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-:"ومنهم سيدنا عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-فإنه انفرد عنه-صلى الله عليه وسلم-بمعرفة الشريعة وأسرارها وحكمها، وما ينشأ عن العمل بها، وبخصلة النصيحة للمؤمنين والنظر لهم وإيثارهم على نفسه، وتدبير أمر جيوشهم، وما يصلح عامتهم وخاصتهم، وبمرتبة المحادثة التي هي مرتبة كبرى ودرجة زلفى يخص الله بها من أحبه من صفوته وكبار أهل ولايته"(٢).

وقال:" ومنهم سيدنا عثمان بن عفان-رضي الله عنه- فإنه انفرد عنه-صلى الله عليه وسلم-بمعرفة علم الطريقة المتعلق بالقلوب وأدوائها وعلاجاتها وما تصلح به وما لا، وبعلم المكاشفات والرياضيات والمعاملات، وما يحصل به الرسوخ والثبات، وبخصلة الحياء التي هي من أخص خصال الإيمان"(٣).

وقال في علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-:"وممن اختصهم النبي-صلى الله عليه وسلم-بالعلم المخير فيه علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-، ...فإنه انفرد عنه-صلى الله عليه وسلم-بخطة الشجاعة، وبعلم الباطن الحقيقي الذي تتفرع عنه سائر العلوم، وتُعرف به الأشياء كلها، وتستنطق منه جميع الفهوم"(٤).

---

(١) جلاء القلوب (١/٥٧).

(٢) جلاء القلوب (١/٥٨).

(٣) جلاء القلوب (١/٦٢).

(٤) المرجع السابق (١/٦٣).

وكذا قال في ابن عباس-رضي الله عنه- وحذيفة بن اليمان-رضي الله عنه-، وأبي هريرة-رضي الله عنه- (١).

وهذا رأي لا دليل عليه من كتاب الله ولا سنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-، وهو باطل ببطلان القول بالحقيقة والشريعة والظاهر والباطن، وبطلان العلم المخير أو العلم المكتوم، الذي يترتب عليه اتهام النبي-صلى الله عليه وسلم-بكتمان ما أُنزل إليه، ولم ينقل هذا إلا عن الرافضة والصوفية في غلوهم بعلي -رضي الله عنه- حتى زعمت الصوفية بأنه خُص دون غيره بمعان التصوف وإشاراته، وأنه أول من تكلم في علومهم وأحوالهم ومقاماتهم، حتى أسندوا إليه لبس الخرقة، وأنه اختص بعلوم دون غيره من الصحابة (٢)،ويكفي في بطلانه ما جاء عند البخاري من سؤال أبي جحيفة لعلي: **هل عندكم شيء مما ليس في القرآن أو ليس عند الناس؟ فقال: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما عندنا إلا ما في القرآن، إلا فهماً يعطى رجل في كتابه وما في الصحيفة. قلت: وما في الصحيفة؟ قال: العقل وفكاك الأسير وألا يقتل مسلم بكافر**(٣)، "بهذا الحديث ونحوه من الأحاديث الصحيحة استدل العلماء على أن كل ما يذكر عن علي وأهل البيت، من أنهم اختصوا بعلم خصهم به النبي -صلى الله عليه وسلم- دون غيرهم كذب عليهم "(٤).

يقول النووي-رحمه الله في هذا الحديث:" هذا تصريح من علي -رضي الله عنه- بإبطال ما تزعمه الرافضة والشيعة ويخترعونه من قولهم إن علياً أوصى إليه النبي-صلى الله عليه وسلم- بأمور كثيرة من أسرار العلم وقواعد الدين وكنوز الشريعة، وإنه -صلى الله عليه وسلم- خص أهل البيت بما لم يطلع عليهم غيرهم، وهذه دعاوى باطلة واختراعات فاسدة لا أصل لها

---

(١) ينظر: جلاء القلوب (١/٧١-٧٦).

(٢) ينظر: قوت القلوب (١/٢٦٧)، التعرف لمذهب أهل التصوف (٣٦)، حلية الأولياء (١/٦١)، مقدمة ابن خلدون (٢/٥٩٢)، التصوف النشأة والمصادر (١٥٢).

(٣) تقدم تخريجه (٣٨٨).

(٤) مجموع الفتاوى (٢/٢١٧)، وينظر: المرجع نفسه (٤/٧٨-٧٩).

ويكفي في إبطالها قول علي -رضي الله عنه- هذا"(١).

وما قيل فيما زُعم في علي-رضي الله عنه-يقال في غيره من الصحابة ممن زُعم بأنه اختص بعلم دون غيره، فكله كذب باطل لا أصل له.

المطلب الثاني: آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإمامة

عرض محمد بن جعفر الكتاني لبعض المسائل المتعلقة بالإمامة، وقد نهج بهذا منهج الاشاعرة (٢)، الموافقون في هذا الباب-في الجملة- لما قرره السلف الصالح، وفيما يلي بيان رأيه في هذه المسائل:

حكم الإمامة ومقصدها:

بيّن محمد بن جعفر الكتاني حكم الإمامة ومقصدها فقال: "معظم المقصود من نصب الأئمة: إقامة الدين، وجهاد أعداء الله، وتنفيذ أحكامه، وكف أيدي المعتدين والظالمين، وتأمين السبل والبلاد، والقيام بسنن خير العباد، فمن كان منهم ناهضا بهذه الأمور ونحوها، حصل به مقصود الإمامة، وانتفع الناس بولايته غاية النفع دينا ودنيا، وحصل له على ذلك الأجر التام والرضى الكبير من الله تعالى"(٣).

ونقل عن غيره في وجوب نصب الأئمة، ومن ذلك قوله: "وفي مرقاة المفاتيح لعلي القاري ما نصه: [وفي شرح العقائد الإجماع على أن نصب الإمام واجب؛ لأن كثيرا من الواجبات الشرعية يتوقف عليه، كتنفيذ أحكام المسلمين، وإقامة حدودهم، وسد ثغورهم، وتجهيز جيوشهم، وأخذ صدقاتهم، وقهر المتغلبة والمتلصصة وقطاع الطريق، وإقامة الجمعة والأعياد، وتزويج الصغير والصغيرة اللذين لا أولياء لهما، وقسمة الغنائم ونحو ذلك من الأمور التي لا يتولاها آحاد الأمة]" (٤).

- المناقشة:

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٤٣/٩).

(٢) ينظر: الإرشاد (١٧١)، نهاية الإقدام (٤٧٤)، غاية المرام (٣٦٣).

(٣) نصيحة أهل الإسلام (٢٦٤)، وينظر المرجع نفسه (١٢٠).

(٤) ينظر: المرجع السابق (١٤٧).

الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين، وسياسة الدنيا [١]، وما قرره الكتاني والأشاعرة في هذا الباب هو وما أجمع عليه سلف الأمة، كما وافق القواعد الشرعية في تقرير وجوب نصب الإمام، ومقصد الإمامة [٢].

ومن الأدلة على وجوب نصب الإمام: قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [سورة البقرة: ٣٠].

قال القرطبي رحمه الله: «هذه الآية أصل في نصب إمام وخليفة يسمع له ويطاع؛ لتجتمع به الكلمة، وتنفذ به أحكام الخليفة. ولا خلاف في وجوب ذلك بين الأمة»[٣].

قول الله عز وجل: قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [سورة النساء: ٥٩] والله ﷻ أمر أولي الأمر وهم العلماء والأمراء، والأمر بطاعتهم دليل على وجوب نصب ولي الأمر، لأن الأمر بطاعته يقتضي الأمر بإيجاده [٤].

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: **((من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية))** [٥]، فإذا لم يكن هناك إمام لم تحصل البيعة ويموت الناس ميتة الجاهلية، مما يدل على وجوب نصب الإمام.

وجميع الأدلة الواردة في الكتاب والسنة التي تدل على وجوب طاعة الإمام في غير معصية الله، وتحريم الخروج عليه، وشق عصا الطاعة ومفارقة الجماعة، تدل على وجوب نصب الإمام.

أما الإجماع: فقد أجمع الصحابة بعد وفاة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على نصب خليفة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم-، حتى انشغلوا بذلك عن دفنه -صلى الله

---

(١) ينظر: الأحكام السلطانية للماوردي (ص١٥) مقدمة ابن خلدون (٣٦٦/١) التعريفات (٥٣) تحرير الأحكام تدبير أهل الإسلام، لابن جماعة (٢٤٦).

(٢) ينظر: الأحكام السلطانية (١٦) الأحكام السلطانية لأبي يعلى (١٩).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (٢٦٤/١) وينظر: أضواء البيان (٢٢/١).

(٤) ينظر: السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية (ص٦)، تحرير الأحكام (٢٧٠-٢٧١) التعليق على السياسة الشرعية لابن عثيمين (ص٤٤٢).

(٥) أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: وجوب لزوم جماعة المسلمين، حديث رقم: (١٨٥١).

عليه وسلم-، وكذا في كل عصر من بعده، لم يترك الناس فوضى من دون إمام، واستقر ذلك إجماعا دالا على وجوب نصب الإمام (١).

أما دلالة القواعد الشرعية: فنصب الإمام من أهم الواجبات الشرعية؛ لتوقف كثير من الواجبات الشرعية عليه، والقاعدة الشرعية هي: ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب.

وقد أشار إليها محمد بن جعفر الكتاني في كلامه السابق حيث قال: "معظم المقصود من نصب الأئمة: إقامة الدين، وجهاد أعداء الله، وتنفيذ أحكامه، وكف أيدي المعتدين والظالمين، وتأمين السبل والبلاد، والقيام بسنن خير العباد، فمن كان منهم ناهضا بهذه الأمور ونحوها، حصل به مقصود الإمامة"(٢).

- وجوب طاعة الأئمة والنهي عن الخروج عليهم:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني وجوب طاعة الأئمة في غير معصية الله، ومن تقريراته قوله: "الله تعالى أمر بطاعتهم كما أمر بطاعته وطاعة رسوله، وقرنها بطاعتهما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [سورة النساء:٥٩]، وحض نبيه -صلى الله عليه وسلم- عليها في غير ما حديث، كقوله: ((**من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن عصا الأمير فقد عصاني**)) (٣) أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة"(٤).

وقال:" أقول قد علمت مذهب المالكية في هذا-يعني أمر السلطان-، أنه تجب طاعته مطلقا، ولو أمر بمختلف فيه يرى هو حله، ويرى غيره حرمته أو عكسه، إلا إذا أمر بمحرم مجمع عليه، فلا طاعة حينئذ لمخلوق في معصية الخالق، وهذا أيضا هو مذهب طائفة من

---

(١) ينظر: مراتب الإجماع (١٢٦) ، الأحكام السلطانية للماوردي (٢٠)، الأحكام السلطانية لأبي يعلى (١٩)، المنهاج شرح صحيح مسلم (١٢/٢٠٥)، مقدمة ابن خلدون (١/ ٣٦٦)، فتح الباري (١٣/٢٠٨).

(٢) ينظر: نصيحة أهل الإسلام (٢٦٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب: الجهاد والسير، باب: يقاتل من وراء الأمير ويتقى به، رقم (٢٧٩٧)، ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، رقم (١٨٣٥)، من حديث أبي هريرة-رضي الله عنه-.

(٤) نصيحة أهل الإسلام (٢٦٠).

الشافعية والحنفية، قالوا تجب طاعة السلطان ونوابه فيما ليس بمعصية، ... لأن مخالفتهم في غير معصية لا تجوز، وامتثال أمرهم واجب"(١).

وذكر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر كما يقول:" أحاديث الأمر بالطاعة للأئمة والنهي عن الخروج عليهم، ذكر أبو الطيب القنوجي(٢) في تأليف له سماه "العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة" أنها متواترة، ونصه: "وطاعة الأئمة واجبة إلا في معصية الله باتفاق السلف الصالح؛ لنصوص الكتاب العزيز والأحاديث المتواترة في وجوب طاعة الأئمة، وهي كثيرة جداً، ولا يجوز الخروج عن طاعتهم بعد ما حصل الاتفاق عليهم ما أقاموا الصلاة، ولم يظهروا كفراً بواحاً"(٣) اهـ.

وقال أيضاً في موضع آخر ما نصه: "ولا يجوز لهم يعني للمسلمين أيضاً الخروج عليه أي على السلطان، ومحاكمته إلى السيف، فإن الأحاديث المتواترة قد دلت على ذلك دلالة أوضح من شمس النهار، ومن له الاطلاع على ما جاءت به السنة المطهرة انشرح صدره لهذا، فإن به يجمع شمل الأحاديث الواردة في الطاعة مع ما يشهد لها من الآيات القرآنية" (٤).

وقال: "وقد تواترت الأحاديث في النهي عن الخروج على الأئمة ما لم يظهر منهم الكفر البواح، أو ترك الصلاة، فإذا لم يظهر من الإمام الأول أحد الأمرين لم يجز الخروج عليه وإن بلغ في الظلم أي مبلغ، لكنه يجب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بحسب الاستطاعة" (٥).

ولمحمد بن جعفر الكتاني رسالة في حكم خلع الحاكم قرر فيها ما قرره هنا في منع الخروج عليه مالم يظهر منه الكفر البواح(٦).

---

(١) التدخين عند الأئمة الأربعة (١٢٠)، وينظر المرجع نفسه (٢١١).

(٢) هو: صديق حسن خان الحسيني البخاري القنوجي، أبو الطيب، محدث سلفي، من مؤلفاته: الدين الخالص، إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة، توفي عام١٣٠٧هـ، ينظر: التاج المكلل له (٥٣٥)، الأعلام (١٤/٦).

(٣) العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة (٤٢).

(٤) المرجع السابق (٤٠).

(٥) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٦٠).

(٦) ينظر: تقييد في أحكام خلع الحاكم (ل ١-٢)، جواب في حكم الاحتماء بالنصارى (ل ٣).

وردّ على من جوّز الاستنصار بالكفار على من يريد ظلمهم من الولاة في رسالته: جواب في حكم الاحتماء بالنصارى، بأن هذا حرام مطلقا، كما يقول:" لمصادمته للكتاب والسنة ونصوص الأئمة، ...وأما الاحتماء من المسلمين بالكفار كما هو الواقع، فلم يفعله أحد من الصحابة، وحاشاهم من ذلك، وليس في الكتاب ولا في السنة ما يدل على جوازه، بل فيهما ما يدل على تحريمه، وأنه من العظائم والكبائر"(١).

المناقشة:

طاعة الأئمة في غير معصية الله:

طاعة الإمام في غير معصية الله من آكد حقوق الحاكم على رعيته، وقد بلغت أحاديث طاعة الحاكم في غير معصية الله مبلغ التواتر كما قرر الكتاني(٢)، فقد ذكر الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الفتن، وكتاب الأحكام، وكتاب الاعتصام بالكتاب والسنة جملة من الأحاديث، وكذلك الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة، وغيرهم من أصحاب السنن، والمسانيد والمعاجم والأجزاء الحديثية.

وقد نقل الإجماع على هذا غير واحد من أهل العلم(٣) **منهم الإمام حرب بن إسماعيل الكرماني** رحمه الله صاحب الإمام أحمد، حيث نقل عنه الإمام ابن القيم -رحمه الله- الإجماع في هذا وقال: «ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه، قال في مسائله المشهورة: هذه مذاهب أهل العلم و أصحاب الأثر و أهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها، من لدن أصحاب النبي إلى يومنا هذا، و أدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز و الشام و غيرهم عليها، فمن خالف شيئا من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة، زائل عن منهج السنة و سبيل

---

(١) جواب في حكم الاحتماء بالنصارى (ل ٣-٤).

(٢) ينظر: العبرة بما جاء في الجهاد والغزو والهجرة للقنوجي (ص٣٣) الروضة الندية شرح الدرر البهية لصديق حسن خان (٣٦٢/٢).

(٣) ينظر: الشرح والإبانة (٣٠٧)، المنهاج شرح صحيح مسلم، (٢٢٢/١٢-٢٢٣)، عقيدة السلف أصحاب الحديث، (٢٩٤)، مجموع الفتاوى، (٢٤٩/٣).

الحق»(١)، ثم ذكر جملة من ذلك، وقال: «و الجهاد ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا، لا يبطله جور جائر و لا عدل عادل، ...و الانقياد لمن والاه الله -عز و جل- أمركم لا تنزع يدا من طاعته، و لا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجا و مخرجا، ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته، فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة، و إن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية فليس لك أن تطيعه البتة، وليس لك أن تخرج عليه، ولا تمنعه حقه»(٢).

فقرر بأن مذهب أهل العلم، وأصحاب الأثر، وأهل السنة المقتدى بهم، والذي أجمعوا عليه من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، هو طاعة ولي الأمر في غير معصية الله، وعدم الخروج عليه، وهذا الواجب الذي فرضه الله علينا لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل، ومن فعل غير هذا فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة.

تحريم الخروج على الإمام الفاجر:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في هذه المسألة موافق للأدلة ولما أجمع عليه السلف الصالح(٣)، إذ أن ولاية الحاكم المسلم صحيحة، ويجب السمع والطاعة لهم فيما يأمرون به من معروف، ولا يجوز القيام عليهم ولا الخروج عن طاعتهم، مادام أنهم لم يرتكبوا كفرا بواحا عليه من الله برهان(٤).

ومن الأدلة على هذا: قول الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ **[سورة النساء:٥٩]** وفي هذه الآية الأمر بوجوب طاعة ولي الأمر المسلم، عادلا كان أو ظالما، وذلك لأن الله قرن طاعة ولي الأمر بطاعته وطاعة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وأطلق الأمر بطاعتهم، ومن طاعتهم عدم الخروج عليهم.

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (٢٨٨).

(٢) المرجع السابق (٢٨٩).

(٣) ينظر: العقيدة الطحاوية (٢٠-٢١) رسالة إلى أهل الثغر (٢٩٦) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٩٤).

(٤) ينظر: الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، لأبي عمرو الداني (ص٢٤١-٢٤٢)، مجموع الفتاوى (١٧٩/٢٨).

والأحاديث في هذه المسألة بلغت حد التواتر، كما قرر الكتاني، وحكى الإجماع على هذه المسألة غير واحد من أهل العلم(١).

وجوب نصح الأئمة والجهاد معهم:

قرر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر-كما يقول:" أحاديث بذل النصيحة للأئمة وغيرهم من المسلمين، قال أبو الطيب في كتابه المذكور ما نصه: [ويجب أيضاً بذل التضحية للأئمة؛ لما ثبت في الصحيح من حديث تميم الداري أن ((**الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين**)) (٢)، والأحاديث الواردة في مطلق النصيحة متواترة، وأحق الناس بها الأئمة] (٣) والله سبحانه وتعالى أعلم"(٤).

وكان يرى وجوب الجهاد مع الأئمة، يقول عن النبي-صلى الله عليه وسلم-:" وكان الجهاد معه -عليه السلام- فرض عين، فكان إذا غزا بنفسه يجب على كل أحد أن يخرج معه؛ لقوله: ﴿انفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾ [سورة التوبة:٤١]، وقوله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ﴾ [سورة التوبة:١٢٠]، الآية، ومن ثَمَّ وقع لمن تخلَّف عنه في غزوة تبوك ما وقع.

وأما الجهاد بعده -عليه السلام-؛ فهو فرض كفاية في كل سنة، ويكون في أهم جهة من جهات العدو، ويتعيَّن بالشروع فيه، وبالنذر، وبتعيين الإمام"(٥)، فقرر بأن الجهاد يتعين مع الإمام.

المناقشة:

النصيحة هي: كلمة يعبر بها عن جملة، هي إرادة الخير للمنصوح له، وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة واحدة تحصرها وتجمع معناها غيرها(٦).

---

(١) ينظر نقل المزني للاجماع: شرح السنة، للمزني (ص٨٤-٨٩)، وينظر: رسالة إلى أهل الثغر (١٦٨-١٦٩).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان أن الدين النصيحة، رقم: (٥٥).

(٣) ينظر: العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة (٢٠).

(٤) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (١٦٠).

(٥) ختم صحيح مسلم (ل ٤)، ينظر: نصيحة أهل الإسلام (١٤٧).

(٦) ينظر: معالم السنن (١٢٦/٤)، النهاية في غريب الحديث (١٤٢/٥)، المنهاج شرح صحيح مسلم (٣٧/٢).

والأحاديث المصرحة بوجوب النصيحة والمؤكدة لهذا الحق العظيم أحاديث كثيرة، تصل إلى حد التواتر كما قرر الكتاني[1].

ويدخل في النصيحة كثير من الحقوق عدّ بعضها محمد بن جعفر الكتاني، ويقول الطرطوشي رحمه الله: «النصيحة للأئمة: معاونتهم على ما تكلفوا القيام به في تنبيههم عند الغفلة وإرشادهم عند الهفوة، وتعليمهم عندما جهلوا وتحذيرهم ممن يريد السوء بهم، وإعلامهم بأخلاق عمالهم وسيرتهم في الرعية، وسد خلتهم عند الحاجة ونصرتهم في جمع الكلمة عليهم، ورد القلوب النافرة إليهم»[2].

ويقول ابن الصلاح رحمه الله: « والنصيحة لأئمة المسلمين أي لخلفائهم وقادتهم: معاونتهم على الحق، وطاعتهم فيه، وتنبيههم، وتذكيرهم في رفق ولطف، ومجانبة الخروج عليهم، والدعاء لهم بالتوفيق، وحث الأغيار على ذلك»[3].

ويقول القرطبي رحمه الله: «ونصيحة أئمة المسلمين: هي طاعتهم في الحق، ومعونتهم عليه، وتذكيرهم به، وإعلامهم بما غفلوا عنه أو جهلوه في أمر دينهم ومصالح دنياهم»[4].

ويقول ابن الأزرق المالكي رحمه الله في بيان المخالفات التي يقع بعض الرعية تجاه حكامهم: «المخالفة الرابعة: كتم ما يجب أن يعلم به مما فيه مصلحة، ...فالتعريف بذلك للإمام لا منع فيه، وأنه قد يكون واجبا أو مستحبا حتى عن إنسان معين أنه يرتكب كذا وكذا، من المنكرات ليستعان بذلك على التغيير عليه»[5].

هذا مجمل ما وقفت عليه من آراء محمد بن جعفر الكتاني في الإمامة، والله أعلم!

---

(١) ينظر: الروضة الندية (٣٦٤/٢)، التمهيد (٢٨٥/٢١).

(٢) سراج الملوك (ص٨٠).

(٣) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، لابن الصلاح (ص٢٢٢) وينظر: المفهم (٢٤٤/١).

(٤) المفهم (٢٤٤/١).

(٥) بدائع السلك في طبائع الملك، لابن الأزرق (٤٧/٢).

المبحث الثاني

آراء محمد بن جعفر الكتاني في مسائل الأسماء والأحكام

وفيه ثلاثة مطالب:

- الأول: آراؤه في مسائل الإيمان
- الثاني: آراؤه في مسائل الكفر والبدعة
- الثالث: موقفه من الفرق والطوائف والمذاهب

المبحث الثاني: آراء محمد بن جعفر الكتاني في مسائل الأسماء والأحكام

التعريف بمسائل الأسماء والأحكام

من المستحسن قبل البدء بهذا المبحث التعريف بمسائل الأسماء والأحكام وبيان المراد بها، وهي كما يلي:

المراد بالأسماء: أسماء الدين، مثل: مؤمن، ومسلم، وكافر، وفاسق.

والمراد بالأحكام: أحكام هؤلاء في الدنيا والآخرة، أي: أحكام أصحاب هذه الأسماء(١).

يقول الحافظ ابن رجب رحمه الله: «وهذه المسائل - أعني مسائل الإسلام والإيمان والكفر والنفاق - مسائل عظيمة جدا، فإن الله علق بهذه الأسماء السعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، والاختلاف في مسمياتها أول اختلاف وقع في هذه الأمة، ... وقد صنف العلماء قديما وحديثا في هذه المسائل تصانيف متعددة، وممن صنف في الإيمان من أئمة

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٣٨/١٣).

السلف: الإمام أحمد(١)، وأبو عبيد القاسم بن سلام(٢)، وأبو بكر بن أبي شيبة(٣)، ومحمد بن أسلم الطوسي(٤)، وكثرت فيه التصانيف بعدهم من جميع الطوائف»(٥).

فبين رحمه الله عِظم هذه المسائل، وتعلقها بالسعادة والشقاوة، واستحقاق الجنة والنار، وأن الاختلاف في مسمياتها أول اختلاف في هذه الأمة.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «اعلم أن مسائل التكفير والتفسيق هي من مسائل الأسماء والأحكام، التي يتعلق بها الوعد والوعيد في الدار الآخرة، وتتعلق بها الموالاة والمعاداة والقتل والعصمة وغير ذلك في الدار الدنيا، فإن الله سبحانه أوجب الجنة للمؤمنين، وحرم الجنة على الكافرين، وهذا من الأحكام الكلية في كل وقت ومكان»(٦).

فبين رحمه الله أن هذه المسائل تتعلق بأحكام الدنيا، وأحكام الآخرة، وهذا هو المراد بمسائل الأسماء والأحكام.

المطلب الأول: آراؤه في مسائل الإيمان

عرض محمد بن جعفر الكتاني لبعض المسائل المتعلقة بالإيمان، وهي تعريف الإيمان، وزيادة الإيمان ونقصانه، وحكم الاستثناء في الإيمان، والعلاقة بينه وبين الإسلام، وحكم

---

(١) أخرج الخلال في كتاب السنة جملة من مرويات الإمام أحمد في مسائل الإيمان، ينظر: كتاب السنة (٥٦٢/٣)، وينظر: تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين (٢٢٦/٣).

(٢) هو: القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي الأزدي، المشهور بأبي عبيد، إمام من أئمة السلف في الحديث والفقه، من مؤلفاته: غريب الحديث، الإيمان ومعالمه وسننه، توفي عام ٢٢٤هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (٤٩٠/١٠)، شذرات الذهب (١١١/٣).

(٣) هو: عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبي شيبة العبسي، المشهور بأبي شيبة، من أعلام السلف وحفاظ الحديث، صاحب التصانيف الكبار، ومنها: المصنف، الإيمان، توفي عام ٣٢٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١١٢/١١)، شذرات الذهب (٨٥/٢).

(٤) هو: محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد، أبو الحسن، الكندي، الخرساني، الطوسي، من حفاظ الحديث شديد الإنكار على أهل البدع، من مؤلفاته: الرد على الجهمية، الإيمان والأعمال والرد على الكرامية، توفي عام٢٤٢هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩٥/١٢)، شذرات الذهب (١٩٢/٣).

(٥) جامع العلوم والحكم (١١٦/١-١١٧).

(٦) مجموع الفتاوى (٤٦٨/١٢).

مرتكب الكبيرة، كما ذكر مسألة الحكم على معين بجنة أو نار، وفيما يلي عرض آراءه وتقويمها:

-تعريف الإيمان:

يعرف محمد بن جعفر الكتاني الإيمان في اللغة بالتصديق، ومن تقريراته قوله:" الإيمان لغة: التصديق، وشرعًا: تصديق الرسل فيما علم مجيئهم به من عند الله ضرورة، أو نقول: هو قبول الأحكام الشرعية، والإذعان لها"(١).

وقال: "مدلول الإيمان لغة: التصديق مطلقا سواء كان مجملا أو معينًا، عاما أو خاصا، حقا أو باطلا، أي: المصدق به"(٢).

وقال: "حقيقة التصديق الذي هو معنى الإيمان لغة، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ﴾ [سورة يوسف:١٧]، أي: بمصدق"(٣).

كما قال في بيان الإيمان عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [سورة البقرة:١٠٤]: "خطابٌ لكلِّ من آمن، أي: صدَّق بما جاء به سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-"(٤).

وقال في الإيمان شرعا:" ذهب جمهور المحققين إلى أنه: هو التصديق بالقلب، وإنما الإقرار شرط لإجراء الأحكام في الدنيا "(٥)، ويعني بالإقرار: الإقرار باللسان كما هو ظاهر من السياق، وقد قال في النطق باللسان: " من ولد في الإسلام فهو على الفطرة الإسلامية، وإنما يجب عليه النطق وجوب الفروع""(٦).

---

(١) شرح على دلائل الخيرات (ل ٦)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٦/ب، ٧٩/ب، ٨١/ب-٨٢/ب).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٠/أ)، وينظر المرجع نفسه (ل ٨٢/أ-ب).

(٣) حاشية على شرح ميارة (ل ٨٠/أ)، وينظر: جلاء القلوب (٨٠/٢).

(٤) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٧)، وينظر: ختم البخاري (ل ١٥)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ١٤/أ).

(٥) المرجع السابق (ل ٨٢/أ).

(٦) حاشية على شرح ميارة (ل ٨١/ب)، وينظر المرجع نفسه (ل ٩١/ب).

وقد قرر بأن العمل من ثمرات الإيمان، حيث قال في بيانه لزيادة الإيمان ونقصانه-كما سيأتي-:" فزيادته بكثرة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها"(١).

وكان ينكر على من يقول بأن الإيمان والعمل قرينان، حيث يقول:" اعلم أن الشيخ أبا طالب المكي في "قوت القلوب" في الباب الثالث والثلاثين منه، زعم أن الإيمان والعمل قرينان لا يصح أحدهما إلا بالآخر، كما لا يصحان ولا يوجدان معًا إلا بنفي ضدهما وهو الكفر، وادَّعى الإجماع على ذلك، واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه؛ كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [سورة البقرة:٢٥]، وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [سورة مريم:٦٠]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [سورة الزخرف:٦٩]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة يونس:٦٣]؛ إذ ما ذكر من الآيات يدل على أن العمل وراء الإيمان، أي غيره، وكونه لا نفس الإيمان، وإلا فيكون العمل من المعاد؛ أي: المكرر، وهو نقيض مطلوبه الذي هو إثبات كون العمل من الإيمان، وأنه لا يتم بدونه"(٢).

النقد:

الإيمان في اللغة:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في الإيمان لغة هو بعض ما قرره أهل اللغة، فأصل مادة أَمِنَ في اللغة: وثِق واطمأنَّ وصدّق، والأمانة الوثوق (٣).

يقول الأزهري:" المؤمن معناه: المصدق؛ لأن الإيمان مأخوذ من الأمانة، لأن الله جل وعز تولى علم السرائر ونيات العقد، وجعل ذلك أمانة ائتمن كل مسلم على تلك الأمانة، فمن صدق بقلبه ما أظهره لسانه فقد أدى الأمانة واستوجب كريم المآب إذا مات عليه، ومن كان قلبه على خلاف ما أظهر بلسانه فقد حمل وزر الخيانة، والله حسيبه.

وقيل: المصدق مؤمن، وقد آمن؛ لأنه دخل في حد الأمانة التي ائتمنه الله عليها"(١).

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩١/ب).

(٢) حاشية على شرح ميارة (ل ٧٩/أ)، وينظر: قوت القلوب (٢/٢١٨).

(٣) ينظر مادة: (أمن)، تهذيب اللغة (١٥/٣٦٦)، معجم مقاييس اللغة (١/١٣٣)، الصحاح (٥/٢٠٧١)، لسان العرب (١٣/٢١).

ويقول ابن فارس:" الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب، والآخر: التصديق، والمعنيان كما قلنا متدانيان" (٢).

فالإيمان في اللغة يطلق على التصديق الذي معه أمن، وليس على مجرد التصديق، يقول الجوهري:" وأصل آمن أأمن بهمزتين، لُيِّنت الثانية"(٣).

ويقول الراغب:" آمن: إنما يقال على وجهين: أحدهما متعديا بنفسه، يقال: آمنته، أي: جعلت له الأمن، ومنه قيل لله: مؤمن، والثاني: غير متعد، ومعناه: صار ذا أمن...

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ﴾ [سورة يوسف:١٧]، قيل: معناه: بمصدق لنا، إلا أن الإيمان هو التصديق الذي معه أمن"(٤)، فهو من الأمن ضد الخوف.

الإيمان في الشرع:

وافق محمد بن جعفر الكتاني في تقريراته السابقة ما قرره الأشاعرة في مسمى الإيمان(٥)، فقد خالف أهل السنة والجماعة في هذه المسألة عامة الطوائف والفرق(٦)، ومنهم الأشاعرة فإنهم اتفقوا على أن الإيمان هو تصديق القلب، وأن أعمال الجوارح غير داخله في مسماه، واختلفوا في إقرار اللسان، والذي عليه جمهورهم أن الإيمان هو مجرد التصديق القلبي، وأما إقرار اللسان وعمل الجوارح فهي خارجة عن مسماه(٧)، وهذا ظاهر تقرير محمد بن جعفر الكتاني المتقدم، حيث نص على أن الإيمان شرعا هو تصديق الرسل، أو كما يقول قبول الأحكام

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٢/ ٣١٣)، معجم مقاييس اللغة (١٣٣/١)، الصحاح (٢٠٧١/٥)، لسان العرب (٢١/١٣).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١٣٣/١).

(٣) المفردات في غريب القرآن (٩٠).

(٤) المصدر السابق (٦٣٨/٧).

(٥) ينظر: تمهيد الأوائل للباقلاني (٣٨٩)، أصول الدين للبغدادي (٢٧٤)، المواقف (٥٢٧/٣)، تحفة المريد على جوهرة التوحيد (٩٤).

(٦) ينظر: مقالات الإسلاميين (١٤٠)، مجموع الفتاوى (٤٧/١٣، ٥١)، الإيمان (٧٢)، شرح الطحاوية (٤٤٥/٢).

(٧) ينظر: تمهيد الأوائل للباقلاني (٣٨٩)، أصول الدين للبغدادي (٢٧٤)، المواقف (٥٢٧/٣)، تحفة المريد على جوهرة التوحيد (٩٤).

الشرعية والإذعان لها، وأن العمل من ثمراته، وأنكر على من قرر بأنهما قرينان، وقد علل للتلازم بين الإيمان والإسلام -كما سيأتي- بقوله، يقول: "التصديق لا يُعتبر مع العمل في الجملة"(١)، فقصر الإيمان على تصديق القلب، دون أن تكون أعمال الجوارح داخلة في مسمى الإيمان، والقول بذلك باطل؛ من وجوه:

- أنه خلاف الأدلة من كتاب الله وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم- الدالة على أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، فهو جميع الطاعات الظاهرة والباطنة، وأهل السنة والجماعة يقرون بأن الإيمان مركب من اعتقاد القلب، وقول اللسان، وعمل بالجوارح(٢)، ومن أدلة القرآن الكريم على أن من الإيمان اعتقاد القلب: قوله تعالى ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [سورة النحل:١٠٦]، وفي هذه الآية بيان ما لزم القلوب من فرض الإيمان، لا يرده ولا يخالفه ويجحده إلا من هو ضال مضل(٣).

ومن أدلة القرآن الكريم على أن من الإيمان قول اللسان: قول الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [سورة البقرة:١٣٦].

ومن الأدلة على أن من الإيمان عمل الجوارح: وقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة:١٤٣]، أي: صلاتكم إلى بيت المقدس(٤).

---

(١) شرح على دلائل الخيرات (ل ٦).

(٢) ينظر: الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (٩-١٠)، الإيمان للعدني (٧٩، ٩٦)، الإيمان لابن منده (٣٢٨/١)، الإبانة الكبرى (٧٦٠/٢)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٣٠/٤)، عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٦٤)، الحجة في بيان المحجة (٢٨١/٢)، مجموع الفتاوى (٣٠٨/٧، ٦٧٢).

(٣) ينظر: الإبانة الكبرى (٧٦٢/٢).

(٤) ينظر: جامع البيان (٦٣٩/٢)، معالم التنزيل (١٦٠/١)، تفسير ابن كثير (٤٥٢/١).

ومن السنة: قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان**))(١)، وهذه الشعب «تتفرع من أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن»(٢).

- أن ما قرره خلاف الإجماع، فقد أجمع سلف الأمة على أن الإيمان قول وعمل، وإن اختلفت عباراتهم في التعبير عنه إجمالا وتفصيلا(٣).

يقول أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله: «كان سفيان والأوزاعي(٤) ومالك بن أنس، ومن بعدهم من أرباب العلم وأهل السنة الذين كانوا مصابيح الأرض، وأئمة العلم في دهرهم، من أهل العراق والحجاز والشام وغيرها، زارّين(٥) على أهل البدع كلها، ويرون الإيمان: قولا، وعملا»(٦).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «ولهذا كان القول إن الإيمان قول وعمل عند أهل السنة، من شعائر السّنة، وحكى غير واحد الإجماع على ذلك»(٧).

- لو فُرض بأن الإيمان مجرد التصديق، فإن الأعمال داخلة في مسماه، من وجهين: الأول: أن التصديق يكون بالأعمال أيضا، ودليل ذلك قوله-صلى الله عليه وسلم-: ((**العينان تزنيان**

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: أمور الإيمان، حديث رقم: (٩)، ومسلم كتاب: الإيمان، باب: عدد شعب الإيمان، حديث رقم: (٣٥)، واللفظ له، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) فتح الباري (٥٢/١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٥٠٥/٧-٥٠٦).

(٤) هو: عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد، أبو عمرو، عالم أهل الشام وإمام من أئمة السلف الصالح، توفي عام١٥٧هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠٧/٧)، شذرات الذهب (١٧٧/٢).

(٥) أي: عائبين على أهل البدع، ينظر مادة (زرى)، القاموس المحيط (١٦٦٥)، مختار الصحاح للرازي (ص٢٨٠).

(٦) كتاب الإيمان ومعالمه وسننه (٣٤).

(٧) مجموع الفتاوى (٣٠٨/٧)، وينظر: (٦٧٢/٧).

وزناهما النظر، والأذن تزني وزناها السمع))، إلى أن قال: **((والفرج يصدق ذلك أو يكذبه))** (١).

الثاني: أن يكون المراد به تصديقا خاصا دل عليه الشرع، وهو تصديق يتضمن الاعتقاد والقول والعمل جميعا(٢).

-أن التصديق يلزم منه تحريك البدن بموجبه من الأقوال والأعمال(٣)، يقول ابن القيم-رحمه الله-:"من أمحل المحال أن يقوم بقلب العبد إيمان جازم لا يتقاضاه فعل طاعة ولا ترك معصية"(٤).

- قوله بأن الإيمان هو التصديق، يناقض قوله بزيادة الإيمان ونقصانه؛ إذ التصديق غير قابل لهما، وقد ذكر الكتاني هذا كما سيأتي.

-أن القول بذلك يلزم منه لوازم باطلة، منها: أن من لم ينطق بالشهادتين وهو مصدق بقلبه كأبي طالب، وبعض أهل الكتاب من اليهود والنصارى يكون مؤمنا، وهؤلاء متفق على كفرهم(٥)، وأن من صدق بقلبه، ولم يعمل بجوارحه، فلم يصل ولم يصم مؤمن؛ لبقاء أصل التصديق في قلبه، وهذا باطل(٦).

- أن لفظ الإيمان لم يُقابل بالتكذيب كلفظ التصديق، وإنما مقابل الإيمان الكفر، لأن الكفر ليس هو التكذيب فقط، فكذلك ما يقابله وهو الإيمان، ليس هو التصديق فقط(٧).

-أن من صدق بقلبه، ثم أتى بناقض من نواقض التوحيد القولية أو العملية فإنه لا يكفر، بل يكون مؤمنا؛ لبقاء أصل التصديق في قلبه، وهذا من أفسد اللوازم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: زنا الجوارح دون الفرج (٥٨٨٩)، ومسلم، كتاب القدر، باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا، رقم (٢٦٥٧)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) ينظر: الإيمان (٢٧٨-٢٨١)، شرح الطحاوية (٢/٤٤٥).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٤١).

(٤) الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم (٦١)، وينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٩٣٠).

(٥) ينظر: الإيمان لابن تيمية (١٥٣)، مجموع الفتاوى (٧/٥٨٣).

(٦) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/٥٨٣).

(٧) ينظر: المرجع السابق (١٠/٢٦٩-٢٧٤).

-قوله بأن العمل من ثمرات الإيمان باطل، وهو قول المرجئة، يقول ابن تيمية-رحمه الله-عندما تكلم على وجوه غلط المرجئة في الإيمان: "الثالث: ظنهم أن الإيمان الذي في القلب يكون تاما بدون شيء من الأعمال، ولهذا يجعلون الأعمال ثمرة الإيمان ومقتضاه بمنزلة السبب مع المسبب ولا يجعلونها لازمة له، والتحقيق أن إيمان القلب التام يستلزم العمل الظاهر بحسبه لا محالة، ويمتنع أن يقوم بالقلب إيمان تام بدون عمل ظاهر"(١).

-رأيه بأن الآيات في عطف العمل على الإيمان هي كما يقول" على أن العمل وراء الإيمان، أي غيره، وكونه لا نفس الإيمان، وإلا فيكون العمل من المعاد؛ أي: المكرر"(٢)، لتقرير خروج العمل عن مسمى الإيمان رأي باطل؛ وهي شبهة قديمة رددها المرجئة، ويُرد عليها بأنها من عطف الخاص على العام؛ لبيان أهمية الخاص، كقوله تعالى: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [سورة البقرة:٢٣٨]، فالصلاة الوسطى من جنس الصلاة، لكنه تعالى عطف لبيان شرَف الصلاة الوسطى وفضلِها، والحذر مِن إضاعتها، وكذلك عطف العمل على الإيمان مع كونه داخل في حقيقته، من باب عطف الخاص على العام(٣).

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"وأما قولهم: إن الله فرق بين الإيمان والعمل في مواضع، فهذا صحيح، وقد بينا أن الإيمان إذا أطلق أدخل الله ورسوله فيه الأعمال المأمور بها، وقد يقرن به الأعمال، وذكرنا نظائر لذلك كثيرة، وذلك لأن أصل الإيمان هو ما في القلب، والأعمال الظاهرة لازمة لذلك، لا يتصور وجود إيمان القلب الواجب مع عدم جميع أعمال الجوارح، بل متى نقصت الأعمال الظاهرة كان لنقص الإيمان الذي في القلب، فصار الإيمان متناولاً للملزوم واللازم وإن كان أصله ما في القلب، وحيث عطفت عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يكتفي بإيمان القلب، بل لابد معه من الأعمال الصالحة"(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠٤/٧).

(٢) حاشية على شرح ميارة (ل ٧٩/أ)، وينظر: قوت القلوب (٢١٨/٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٥٥٥/٧)، شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز (٤٧١/٢).

(٤) الإيمان لابن تيمية (١٥٧-١٥٨).

-احتجاجه بقول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ ﴾ [سورة يوسف:١٧]، على أن المراد بالإيمان التصديق، احتجاج مردود؛ لأنه ليس في الآية ما يدل على أن المصدق مرادف للمؤمن، كما أن لفظ الإيمان تكرر في القرآن الكريم والأحاديث النبوية أكثر من غيره من الألفاظ، والإيمان أصل الدين، فلا بد أن يؤخذ معناه من جميع موارده، لا من آية واحدة(١).

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني ومخالفته لمذهب السلف الصالح في حصره الإيمان بالتصديق، وموافقته للأشاعرة.

-زيادة الإيمان ونقصانه:

ذكر محمد بن جعفر الكتاني الأقوال في زيادة الإيمان ونقصانه، وقرر بأن الظاهر نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، و أن الأظهر أن الزيادة والنقصان تكون بثمراته وهي الأعمال، فقال:" اختلف في زيادة الإيمان ونقصانه على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه يزيد وينقص، وهو مذهب جماعة منهم: عمر بن الخطاب، وعلي، ...والبخاري؛ بل روي عنه بسند صحيح أنه قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار، فما رأيت أحدا يختلف فيه، وبه قال عامة الأشاعرة من المتكلمين أهل النظر، والفقهاء، والصوفية.

الثاني: لا يزيد ولا ينقص، وبه قال أبو حنيفة وأصحابه، واختاره أبو منصور الماتريدي، ومن الأشاعرة إمام الحرمين، وجمع كثير.

الثالث: يزيد ولا ينقص، ورُوي عن مالك، كما روي عنه القولين الأولين، وروي عنه أيضا وهي رواية رابعة: التوقف في ذلك...

فالأول باعتبار الأعمال وتسميتها إيمانا، والثاني باعتبار حقيقة التصديق القائم بالمحل وهو عرض فلا يزيد ولا ينقص، إلا أن يقال: زيادته باعتبار كثرة متعلقاته، وكثرة أدلته، وانتفاء الغفلات، وتوالي ذلك من غير فتور، وأما الثالث فمراعاة للإطلاق الشرعي ﴿فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [سورة التوبة:١٢٤]، ولم يرد بنقصه.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٢٦/٧، ٢٨٩).

وقال محققو المتكلمين: نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه ليس جزءًا يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه أخرى، والإيمان الشرعي يزيد وينقص، فزيادته بكثرة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها، قالوا: وفي هذا توفيق بين ظاهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف، وهو ظاهر.

وقيل: الأظهر أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، وبهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا يعتريهم الشبه، ولا يتزلزل إيمانهم بعارض؛ بل لا تزال قلوبهم منشرحة منيرة وإن اختلفت عليهم الأحوال، وغيرهم ليسوا كذلك، ولا شك أن نفس تصديق أبي بكر رضي الله عنه لا يساويه تصديق آحاد الناس، والله أعلم"(١).

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج الأشاعرة في زيادة الإيمان ونقصانه- كما سيتبين- وخالف ما قرره السلف الصالح؛ لأن معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان بأنه يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، فمن الكتاب:

قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [سورة الأنفال:٢].

وقوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ۝٤﴾ [سورة الفتح:٤].

والأدلة على ذلك من السنة كثيرة جدا منها قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **((يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير))**(٢).

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩١/ب).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: زيادة الإيمان ونقصانه، حديث رقم: (٤٤) واللفظ له، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: أدنى أهل الجنة منزلة فيها، حديث رقم: (١٩٣).

وكل دليل يدل على زيادة الإيمان فهو دليل على نقصه والعكس بالعكس، إذ ما قبل الزيادة قبل النقصان[١].

أما الإجماع: فقد أجمع السلف الصالح على زيادة الإيمان ونقصانه، حكى الإجماع غير واحد من أهل العلم[٢]، منهم الإمام البخاري كما نقل الكتاني عنه ذلك[٣]، والإمام البغوي رحمه الله حيث يقول ناقلا الإجماع على ذلك: «اتفقت الصحابة والتابعون، فمن بعدهم من علماء السنة على أن الأعمال من الإيمان، وأن الإيمان...يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية»[٤]، فقرر بأنهم اتفقوا على أن الأعمال من الإيمان، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

أما الإشاعرة فقد اضطربوا في هذه المسألة كما حكاه عنهم الكتاني، وتعددت أقوالهم فيها؛ وذلك نتيجة لتعريفهم الإيمان بمجرد التصديق، وإجماعهم على عدم دخل الأعمال في مسماه، فقال بعضهم: التصديق لا يقبل الزيادة ولا النقصان، ومن ثم منعوا ذلك في الإيمان.

وقال آخرون: التصديق يزيد بكثرة الدلائل، ولا ينقص؛ لأن نقصه شك، ومن ثم قالوا بزيادة الإيمان دون نقصه.

وقال جمهورهم: الإيمان يزيد وينقص، ولأصحاب هذا القول مسلكان في تقريره كما ذكر الكتاني:

أحدهما: القول بأن التصديق الذي هو أصل الإيمان لا يزيد ولا ينقص، والزيادة والنقصان إنما تكون في الأعمال التي هي ثمراته، فالزيادة والنقصان فيه ليست بحسب ذاته، ولكن بحسب متعلقه.

ثانيهما: القول بأن التصديق نفسه يزيد وينقص، فيصح إطلاق القول بزيادة الإيمان ونقصانه بحسب الذات الذي هو التصديق، وذلك بكثرة النظر وتظافر الأدلة ووضوحها،

---

(١) ينظر: السنة للخلال (٣/٥٨٨)، شعب الإيمان (١/٦٠)، الفصل (٣/١٠٦)، فتح الباري (١/٤٧).

(٢) ينظر: رسالة إلى أهل الثغر (٢٧٢)، الإبانة (٢/٨٣٢)، التمهيد (٩/٢٣٨)، مجموع الفتاوى (٧/٦٧٢).

(٣) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/١٩٣).

(٤) شرح السنة (١/٣٨-٣٩).

وبحسب المتعلق الذي هو أفراد ماجاء به الرسول-صلى الله عليه وسلم-، وكل ما قبل الزيادة قبل النقص(١).

وقول جمهور الاشاعرة هذا هو ما استظهره محمد بن جعفر الكتاني واختاره، حيث قال: "وقال محققو المتكلمين: نفس التصديق لا يزيد ولا ينقص؛ لأنه ليس جزءًا يتجزأ حتى يتصور كماله مرة ونقصه أخرى، والإيمان الشرعي يزيد وينقص، فزيادته بكثرة ثمراته وهي الأعمال ونقصانها، قالوا: وفي هذا توفيق بين ظاهر النصوص التي جاءت بالزيادة وأقاويل السلف، وهو ظاهر.

وقيل: الأظهر أن نفس التصديق يزيد بكثرة النظر وتظاهر الأدلة، وبهذا يكون إيمان الصديقين أقوى من إيمان غيرهم بحيث لا يعتريهم الشبه، ولا يتزلزل إيمانهم بعارض"(٢)، وما قرره باطل متعقب بما يلي:

– أن قوله هذا مبني على قوله في مسمى الإيمان، وأنه التصديق دون دخول أعمال الجوارح فيه، وهو باطل-كما سبق-وكذلك ما بني عليه.

– أن قوله هذا يقصر الزيادة والنقصان على تصديق القلب، والحق أن الزيادة والنقصان، تدخل الاعتقاد والقول والعمل(٣)؛ فالعمل من الإيمان كما دلت الأدلة عليه واتفق عليه السلف الصالح، لا كما يرى الكتاني بأن العمل من ثمراته، وهو مذهب المرجئة كما سبق بيانه.

–أن النصوص الدالة على الزيادة والنقصان في الإيمان بعمل الجوارح أكثر من غيرها(٤).

–حكم الاستثناء في الإيمان:

---

(١) ينظر: أصول الدين للبغدادي (٢٥٢)، الإرشاد (٣٣٥)، المواقف (٣٨٨)، شرح المقاصد (٥/٢١٠)، تحفة المريد (٤٩-٥١).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩١/ب).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/٢٣٢-٢٣٧، ٥٦٢-٥٨٤، ٦٧٢) شرح الطحاوية (٢/٥٢٩)، لوامع الأنوار البهية (١/٤١٣-٤١٦).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٦/٤٧٩، ٧/٥٦٢).

يقول محمد بن جعفر الكتاني في هذه المسألة: "اختلف العلماء في إطلاق الإنسان: أنا مؤمن، أو تقييدها بالمشيئة، فيقول: أنا مؤمن إن شاء الله، وبالأول قال المحققون.

وبالثاني: قالت جماعة منهم: علي بن أبي طالب، وعبد الله بن مسعود واختلف في رجوعه عنه، وعمر بن الخطاب في بعض رأيه، وعائشة قالت: أنتم المؤمنون إن شاء الله، ...

فإن قيل: الاستثناء شك، والشك في الإيمان كبير.

قلت: أجيب عن ذلك بأربعة أوجه: وجهان مستندان إلى الشك لا في أصل الإيمان، ولكن في خاتمته وكماله، ووجهان لا يستندان إلى الشك:

الأول: أنه لا يستند إلى معارضة الشك للاحتراز من الجزم؛ بل خيفة ما فيه من تزكية النفس، والإيمان من أعلى صفة المجد، والجزم به تزكية مطلقا، وصيغة الاستثناء كأنها نقل له من عرف التزكية.

الوجه الثاني: للتأدُّب بذكر الله في كل حال، وإحالة الأمور كلها إلى مشيئة الله سبحانه.

الوجه الثالث ومستنده الشك: أن الشك إنما هو في كمال الإيمان، وذلك ليس بكفر؛ لأن النفاق يمنع كمال الإيمان وهو خفي لا تتحقق البراءة منه.

وأيضًا: الإيمان يكمل بإكمال الطاعات، ولا يدري وجودها على الكمال.

الوجه الرابع ومستنده الشك أيضًا: وذلك من خوف الخاتمة، فإنه لا يدري أيسلم الإيمان عند الموت أم لا، فإن ختم بالكفر حبط الإيمان السابق؛ لأنه موقوف على سلامة الآخرة"(١).

المناقشة:

المراد بالاستثناء في الإيمان هو: قول الرجل مجيبا لمن سأله أمؤمن أنت؟ : إن شاء الله، ونحوها من العبارات التي تشعر بعدم القطع(٢).

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩١/ب).

(٢) ينظر: الإيمان لابن تيمية (٤١٠)، مجموع الفتاوى (١٤٣/٧)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٩٤/٢).

وهذه المسألة حدث الخوض فيها بسبب الإرجاء الذي ظهر في الأمة بسبب الأهواء، ولهذا عدّ السلف سؤال الرجل عن إيمانه بدعة، وفصّلوا في جوابه(١)، يقول الإمام الأوزاعي- رحمه الله-لمن سأله عن الرجل يسأل غيره أمؤمن أنت؟:"إن المسألة عما تسأل عنه بدعة، والشهادة به تعمق لم نكلفه في ديننا، ولم يشرعه نبينا، ليس لمن يسأل عن ذلك فيه إمام، القول به جدل، والمنازعة فيه حدث"(٢).

وجملة الأقوال في هذه المسألة ما يلي:

الأول: تحريم الاستثناء وهو قول الجهمية(٣)، والمرجئة(٤)، والماتريدية(٥)، وبعض الأشاعرة، قالوا لأن الإيمان شيء واحد، ومن استثنى فقد شك، والشك في الإيمان كفر(٦).

الثاني: القول بوجوب الاستثناء، وهو قول الكلابية(٧)، وجمهور الأشاعرة(٨)، قالوا: لأن الإيمان هو ما مات عليه الإنسان، وكذلك الكفر هو ما مات عليه الإنسان، أما قبل ذلك فلا عبرة به، وإنما العبرة بالموافاة(٩).

الثالث: التفصيل في ذلك، وهو قول أهل السنة والجماعة(١٠)، قالوا: المعتبر في ذلك إرادة المستثنى وما قام بقلبه، فإن أراد باستثنائه الشك في إيمانه، منع من الاستثناء بغير خلاف، وإن أراد باستثنائه عدم تحصيله الإيمان المطلق، أو خوفا من تزكية النفس، جاز له ذلك(١).

---

(١) ينظر: السنة للخلال (٦٠١/٣)، الشريعة (٦٥٦/٢)، الإبانة الكبرى (٨٧٧/٢)، مجموع الفتاوى (٤٤٨/٧).

(٢) ينظر: الإبانة الكبرى (٨٨٢/٢).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٢٩/٧).

(٤) ينظر: المصدر السابق (٤٢٩/٧).

(٥) ينظر: التوحيد للماتدريدي (٣٣٨)، بحر الكلام (٤٠).

(٦) ينظر: أصول الدين للبغدادي (٢٥٣).

(٧) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٨٩/٣، ٤٣٠/٧)، الاستقامة (١٥٠/١).

(٨) ينظر: أصول الدين (٢٥٣)، شرح المقاصد (٢١٤/٥).

(٩) ينظر: المراجع السابقة.

(١٠) ينظر: الإيمان لأبي عبيد (٦٧)، الإبانة الكبرى (٨٦٢/٢)، السنة للخلال (٥٩٣/٣)، الإبانة الكبرى (٨٧٧/٢)، الاقتصاد في الاعتقاد (١٨٣)، مجموع الفتاوى (٤٣٨/٧).

يقول ابن أبي العز-رحمه الله-:"مسألة الاستثناء في الإيمان، ... الناس فيه على ثلاثة أقوال: طرفان ووسط، منهم من يوجبه، ومنهم من يحرمه، ومنهم من يجيزه باعتبار ويمنعه باعتبار، وهذا أصح الأقوال"(٢).

وعليه فيظهر ميل محمد بن جعفر الكتاني إلى ما قرره أهل السنة والجماعة؛ لأنه جوابه على سؤال: "فإن قيل: الاستثناء شك، والشك في الإيمان كبير"(٣)، موافق لما قرره السلف الصالح، إلا أن تعليله للاستثناء من خوف الخاتمة، متعقب بأن القول بذلك لم يعرف عن أحد من السلف-رحمهم الله-، يقول ابن تيمية:"أما مذهب السلف أصحاب الحديث... فكانوا يستثنون في الإيمان، وهذا متواتر عنهم، لكن ليس في هؤلاء من قال: أنا أستثني لأجل الموافاة، وأن الإيمان إنما هو اسم لما يوافي به العبد ربه، بل صرح أئمة هؤلاء بأن الاستثناء إنما هو لأن الإيمان يتضمن فعل الواجبات، فلا يشهدون لأنفسهم بذلك، كما لا يشهدون لها بالبر والتقوى، فإن ذلك مما لا يعلمونه، وهو تزكية لأنفسهم بلا علم، ... وأما الموافاة فما علمت أحدا من السلف علل بها الاستثناء، ولكن كثير من المتأخرين يعلل بها من أصحاب الحديث من أصحاب أحمد ومالك والشافعي وغيرهم، كما يعلل بها نظارهم كأبي الحسن الأشعري وأكثر أصحابه لكن ليس هذا قول سلف أصحاب الحديث"(٤).

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٣٨/٧-٤٣٩، ٤٤٧، ٦٦٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٤٩٨/٢)، لوامع الأنور البهية (٤٣٥/١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية (٤٩٤/٢-٤٩٥).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٩١/ب).

(٤) مجموع الفتاوى (٤٣٩/٧).

-العلاقة بين الإيمان والإسلام:

يرى محمد بن جعفر الكتاني التفريق بين الإيمان والإسلام، حيث قال: "والإيمان لغة: التصديق، وشرعًا: تصديق الرسل فيما علم مجيئهم به من عند الله ضرورة، أو نقول: هو قبول الأحكام الشرعية، والإذعان لها.

والإسلام لغة: الخضوع والانقياد، وشرعًا: إعمال الجوارح من الطاعات، كالتلفُّظ بالشهادتين والصلاة والزكاة وغير ذلك.

قالوا: هما متلازمان شرعًا، فيلزم من وجود أحدهما وجود الآخر؛ لأن التصديق لا يُعتبر مع العمل في الجملة، ولا عمل إلا بتصديق، وعلى هذا: كل مؤمن مسلم، وكل مسلم مؤمن شرعًا، فتساويا مصدوقًا، وإن تغايرا مفهومًا"(١).

وقال عن الإسلام:" وهو مغاير للإيمان لغة؛ لأن مدلول الإيمان لغة: التصديق مطلقا سواء كان مجملا أو معينًا، عاما أو خاصا، حقا أو باطلا، أي: المصدق به

واختلف فيهما شرعا: فقيل: إنهما مترادفان، وهو مذهب جمهور الماتريدية، والمعتزلة، والمحققون من الأشاعرة، وهو مذهب جماعة من المحدثين، واستدلوا له بأدلة منها: قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٣٥ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٦﴾ **[سورة الذاريات:٣٥-٣٦]**، فاستثنى المسلمين من المؤمنين، والأصل في الاستثناء كون المستثنى من جنس المستثنى منه.

ومنها قوله تعالى: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤﴾ **[سورة يونس:٨٤]**، ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم: ((**بني الإسلام على خمس**)) (١)، وسئل مرة عن الإيمان، فأجاب بهذه الخمس.

---

(١) شرح على دلائل الخيرات (ل ٦)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٦/ب، ٧٩/ب، ٨١/ب-٨٢/ب).

وذهب جمهور الأشاعرة إلى أنهما متغايران؛ إذ مفهوم الإيمان التصديق بالله وبرسله في كل ما علم مجيئهم به ضرورة، تفصيلا فيما علم تفصيلا، وإجمالا فيما علم إجمالا؛ أي: الإذعان والتسليم لذلك، ... ومفهوم الإسلام امتثال الأوامر، واجتناب النواهي، لبناء العمل على ذلك الإذعان، فهما مختلفان، وإن تلازما شرعًا.

واستدل له بأدلة أيضا؛ منها: قوله تعالى: ﴿**قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا**﴾ **[سورة الحجرات:١٤]**، فهو صريح في تحقيق الإسلام بدون الإيمان.

وأجيب: بأنهم انقادوا في الظاهر دون الباطن، فكانوا كمن تلفظ بالشهادتين ولم يصدق بقلبه، فإنه تجري عليه الأحكام في الظاهر.

ومنها: أنه في حديث جبريل لما سأله عن الإيمان؟ قال: ((**أن تؤمن بالله**)) إلخ، فقال: ما الإسلام؟، قال: ((**أن تشهد**)) إلخ(٢)، فجعل الإيمان عمل القلب، والإسلام عمل الجوارح.

ومنها: أنه -صلى الله عليه وسلم- أعطى رجلا عطاء، ولم يعط الآخر، فقال له سعد: يا رسول الله تركتَ فلانا لم تعطه وهو مؤمن، فقال صلى الله عليه وسلم: ((**أو مسلم**))، فرد عليه، فأعاده رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، أخرجه البخاري ومسلم، وأحمد والحميدي في "مسنديهما"(٣).

ومنها: أنه -صلى الله عليه وسلم- سئل: أيّ الأعمال أفضل؟ فقال: ((**الإسلام**))، فقال السائل: أي الإسلام أفضل؟ فقال صلى الله عليه وسلم: ((**الإيمان**)) (٤)"(٥).

---

(١) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: الإيمان وقول النبي صلى الله عليه و سلم (بني الإسلام على خمس)، رقم (٨)، ومسلم، كتاب: كتاب الإيمان، باب: أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم (١٦)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) سبق تخريجه (ص٦٢٩).

(٣) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة، رقم (٢٧)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: تألف قلب من يخاف على إيمانه لضعفه، رقم (١٥٠)، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: باب من قال: إن الإيمان هو العمل، رقم: (٢٧)، ومسلم، كتاب: كتاب الإيمان، باب: بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال رقم (٨٣)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٨٠/أ).

المناقشة:

اختلف أهل العلم -رحمهم الله-في الإيمان والإسلام هل هما بمعنى واحد، أو متغايران؟ والخلاف جار بين أهل السنة والجماعة على قولين:

أحدهما: أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد، وممن قال به: البخاري، وابن نصر المروزي، وابن منده، وابن حزم، وابن عبد البر، -رحمهم الله تعالى-(١).

الثاني: أن الإيمان والإسلام مفترقان، وهو قول كثير من السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن بعدهم(٢)، واختاره الخلال، وابن بطة، والخطابي، واللالكائي، وأبو يعلى(٣)، وأبو القاسم الأصبهاني، والبغوي، وابن الصلاح، وابن تيمية، وابن كثير، وابن رجب-رحمهم الله تعالى-(٤).

وهذا القول هو الذي تعضده الأدلة وتدل عليه، ومنها قول الله -عز وجل-: ﴿**۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ**﴾ [**سورة الحجرات:١٤**].

وحديث جبريل-عليه السلام-حين سأل النبي-صلى الله عليه وسلم-عن الإسلام والإيمان ففرق بينهما(٥).

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (٢٧/١)، وفي شرح مذهبه في فتح الباري (١١٤/١)، تعظيم قدر الصلاة (٥٠٦/٢-٥٣١)، الإيمان لابن منده (٣١١/١)، المحلى لابن حزم (٣٨/١)، التمهيد (٢٤٧/٩).

(٢) ينظر: السنة للخلال (٦٠٢/٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٩٢/٤).

(٣) هو: محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي الحنبلي، أبو الفراء، المشهور بالقاضي أبي يعلى، من مؤلفاته: إبطال التأويلات، مسائل الإيمان، توفي عام ٤٥٨هـ. ينظر: طبقات الحنابلة (١٩٣/٢)، سير أعلام النبلاء (٨٩/١٨).

(٤) ينظر: السنة للخلال (٦٠٢/٣)، الشرح والإبانة (٨٥)، معالم السنن (٣١٥/٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨٩٢/٤)، مسائل الإيمان لأبي يعلى (٤٢١)، الحجة في بيان المحجة (٤٤٥/١)، شرح النووي على مسلم (١٤٥/١، ١٤٨)، الإيمان لابن تيمية (١١)، تفسير ابن كثير (٣٨٩/٧)، جامع العلوم والحكم (١٠٦/١).

(٥) سبق تخريجه (ص٦٢٩).

وحديث سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه- حين أعطى النبي-صلى الله عليه وسلم- رهطا وترك رجلا هو أعجبهم إلى سعد، فقال سعد: يارسول الله مالك عن فلان؟ إني لأراه مؤمنا، فقال: (**(أو مسلما)**) (١).

وقد اختلف القائلون بالتفريق بينهما في تحديد وجهه، والأكثر على أنه إذا قرن بينهما فإن الإسلام يفسر بالأعمال الظاهرة، والإيمان يفسر بالأعمال الباطنة، كما في حديث جبريل-عليه السلام- وغيره من الآيات والأحاديث التي قرنت بينهما.

وإما إذا أفرد أحدهما فيدخل فيه الآخر، كما في حديث وفد عبد القيس، قال-صلى الله عليه وسلم-: (**(آمركم بالإيمان بالله وحده، أتدرون ما الإيمان بالله وحده)**)، قالوا الله ورسوله أعلم، قال: (**(شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان...)**) (٢).

قال ابن رجب-رحمه الله-:"اسم الإسلام والإيمان: إذا أفرد أحدهما، دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بانفراده، فإذا قرن بينهما، دل أحدهما على بعض ما يدل عليه بانفراده، ودل الآخر على الباقين وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة"(٣).

وعليه فما قرره محمد بن جعفر الكتاني من التفريق بين الإيمان والإسلام، موافق لجمهور أهل العلم، إلا أنه يؤخذ عليه قصره للإيمان على التصديق دون الأعمال، وهذا مبنى على رأيه في مسمى الإيمان، وقد تقدم الرد عليه.

-حكم مرتكب الكبيرة:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني بأن مرتكب الكبيرة مؤمن عاصي، وأنه في الآخرة لا يخلد في النار، بل هو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء عذبه، وإن شاء عفى عنه، حيث ذكر بأن من

---

(١) سبق تخريجه .

(٢) رواه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: أداء الخمس من الإيمان، رقم (٥٣)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، رقم (١٧).

(٣) جامع العلوم والحكم (١٠٦/١).

المتواتر كما يقول: "أحاديث عدم تخليد المؤمن العاصي في النار، وخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان منها" (١).

وقال: "مذهب أهل الحق -كما تقدمت الإشارة إليه- أن العبد إذا أتى بطاعات كأمثال الجبال، ثم كانت له مخالفة واحدة، فإنَّه يكون بها في المشيئة، إن شاء تعالى عاقبة عليها بعدله، ثم يعطيه ثواب طاعته بعد ذلك، وإن شاء غفرها له بفضله.

وذهب أبو علي الجُبَّائي -من المعتزلة- إلى الإحباط المحض، وهو: أنَّ الأكثر من حسنات أو سيئات يسقط الأقل من مقابله؛ أي: يحبطه من غير أن يسقط من الأكثر شيءٌ أصلًا.

وذهب ابنه أبو هاشم -من المعتزلة أيضًا- إلى الموازنة، وهي: سقوط الأقل مع ما يقابله من الأكثر، وما فضل للعبد بعد ذلك من حسنة، خلد بها في الجنة، أو من سيئة خلد بها في النار، وكل من المذهبين باطل، ولا يصح، ولم يقل به أحد من أهل السنة، وإن اعتقده كثير من الطلبة، فضلًا عن العوام"(٢).

وقد ألّف كتابه" شفاء الأسقام والآلام بما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام" في مكفرات الذنوب، من الصغائر والكبائر.

المناقشة:

الكبيرة في اللغة: ضد الصغيرة، يقول ابن فارس: "الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصغر"(٣).

وهي مشتقة من: الكُبر، ومعناه: معظم الأمر، أو: الاثم الكبير (٤).

---

(١) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٢٣٤-٢٣٦).

(٢) ختم البخاري (ل ١٩)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٣٧/ب، ٧٩/أ-٧٩/ب)، شرح على دلائل الخيرات (ل ٤٥).

(٣) مادة (كبر): معجم مقاييس اللغة (١٥٣/٥).

(٤) ينظر: مادة (كبر): تهذيب اللغة (١١٩/١٠)، الصحاح (٨٠١/٢)، لسان العرب (١٢٥/٥).

الكبيرة في الاصطلاح: اختلف السلف-رحمهم الله-في تحديد الكبيرة على أقوال شتى، فمنهم من عرفها بالعد، ومنهم من عرفها بالحد [1]، إلا أن هذه الأقوال كما يقول ابن القيم-رحمه الله-:"وأما الكبائر فاختلف السلف فيها اختلافا لا يرجع إلى تباين وتضاد، وأقوالهم متقاربة"[2].

ولعل أقرب الأقوال للصواب في تعريف الكبيرة تعريفها بالحد، هو القول المأثور عن ابن عباس-رضي الله عنه-، حيث قال: "الكبائر: كل ذنب ختمه الله بنار، أو غضب، أو لعنة، أو عذاب"[3].

وهذا القول اختاره جمع من المحققين من أهل العلم لأنه المأثور عن السلف [4]، وزاد عليه شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله:"كل ذنب توعد صاحبه بأنه لا يدخل الجنة ولا يشم رائحة الجنة وقيل فيه: من فعله فليس منا وأن صاحبه آثم، فهذه كلها من الكبائر"[5].

وقد اختلف الناس في مرتكب الكبيرة من جهة: اسمه وحكمه، فذهب الخوارج والمعتزلة [6] إلى أنه في الآخرة خالد مخلد في النار، واختلفوا باسمه في الدنيا وحكمه فيها.

فقالت الخوارج: هو كافر، واختلفوا في كفره هل هو كفر شرك أو كفر نعمة؟

فمن قال بأن كفره كفر شرك، قال: تجرى عليه أحكام الكفار في الدنيا، ومن قال منهم بأن كفره كفر نعمة، قال: تجرى عليه أحكام المسلمين في الدنيا [1].

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٢/٢٠١-٢٠٤)، شرح النووي على مسلم (٢/٨٥)، مجموع الفتاوى (١١/٣٥٠)، مدارج السالكين (١/٣٢١-٣٢٧) شرح الطحاوية (٢/٥٦٣)، فتح الباري (١٠/٤١٠-٤١١)، لوامع الأنوار البهية (١/٣٦٥).

(٢) مدارج السالكين (١/٣٢٧).

(٣) جامع البيان للطبري (٦/٦٥٢).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/٦٥٠)، مدارج السالكين (١/٣٢٧)، الكبائر للذهبي (ص٧)، الآداب الشرعية (١/٢٥٩)، شرح الطحاوية (٢/٥٦٣)، فتح الباري (١٢/١٨٨).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/٦٥٢)، وينظر في سبب الترجيح (١١/٦٥٤-٦٥٨).

(٦) ينظر: شرح الأصول الخمسة (٦٦٦)، مقالات الإسلاميين (١/٨٦)، الملل والنحل (١/١١٥)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٥١)، مشارق أنوار العقول للسالمي الإباضي (٢٨).

وقالت المعتزلة: هو في منزلة بين المنزلتين، أي: بين الإيمان والكفر، وحكمه في الدنيا حكم باقي المسلمين (٢).

وذهبت المرجئة إلى أن مرتكب الكبيرة مؤمن كامل الإيمان، وأنه في الآخرة من أهل الجنة إذا مات موحدا، وإن زنى وإن سرق، وقال المرجئة الخالصة منهم: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة (٣).

وتوسط أهل السنة والجماعة، فقالوا: إن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أن حكمه في الدنيا حكم بقية المسلمين، وهو في الآخرة تحت مشيئة الله ن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه (٤).

يقول الإمام الصابوني–رحمه الله–:" ويعتقد أهل السنة أن المؤمن وإن أذنب ذنوبا كثيرة صغائر وكبائر فإنه لا يكفر بها، وإن خرج من الدنيا غير تائب منها، ومات على التوحيد والإخلاص، فإن أمره إلى الله –عز وجل– إن شاء عفا عنه، وأدخله الجنة يوم القيامة سالما غانما، غير مبتلى بالنار ولا معاقب على ما ارتكبه واكتسبه، ثم استصحبه إلى يوم القيامة من الآثام والأوزار، وإن شاء عفا عنه وعذبه مدة بعذاب النار، وإذا عذبه لم يخلده فيها، بل أعتقه واخرجه منها إلى نعيم دار القرار"(٥).

---

(١) ينظر: الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف، لأبي عمار الإباضي، ضمن كتاب: آراء الخوارج الكلامية، عمار طالبي (١١٦/٢)، مشارق أنوار العقول (٢٨).

(٢) ينظر: شرح الأصول الخمسة (٦٦٦)، المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، لأحمد المرتضى (ص٦).

(٣) ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي (١٥٥)، الملل والنحل (١٣٩/١–١٤٠)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٠).

(٤) ينظر: شرح السنة للبربهاري (٦٤)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١١٦٠/٦)، شرح السنة للبغوي (١٠٣/١) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٨٢)، مجموع الفتاوى (١٥١/٣، ٣٧٤، ٣٠٧/٤)، شرح الطحاوية (٥٦٥/٢).

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث (٨٢).

وقد نقل إجماع أهل السنة والجماعة على ذلك غير واحد من أهل العلم (١)، يقول الأشعري-رحمه الله-في حكاية الإجماع على أن الإيمان لا يحبطه إلا الكفر:" وأجمعوا على أن المؤمن بالله تعالى وسائر ما دعاه -النبي صلى الله عليه وسلم- إلى الإيمان به لا يخرجه عنه شيء من المعاصي، ولا يحبط إيمانه إلا الكفر، وأن العصاة من أهل القبلة مأمورون بسائر الشرائع غير خارجين عن الإيمان بمعاصيه"(٢).

وتقرير محمد بن جعفر الكتاني بأن مرتكب الكبيرة مؤمن عاصي، وهو تحت مشيئة الله تعالى، إن شاء عذبه وإن شاء عفى عنه، هو ما قرره جمهور الأشاعرة، وهم موافقون لأهل السنة والجماعة في هذا، وإن كان قد مال منهم من مال - كالباقلاني - إلى التوقف في حال أهل الكبائر حيث جوزوا أن لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد، وهذا مخالف لما عليه السلف؛ لأنه قد تواترت النصوص الدالة على أنه لا بد أن ينفذ الوعيد في بعض العصاة، لكن أهل التوحيد منهم لا يخلدون في النار(٣).

-الحكم على معين بجنة أو نار:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني عدم القطع بمعين بجنة أونار، إلا بنص أو إجماع، أو بكشف، حيث يقول في قول الله عز وجل: ﴿ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ [سورة الأنعام:٥٠]، : "في هذا رد على من يتحكم على الله من قبل نفسه، ويقول: هذا من أهل الجنة، وهذا من أهل النار، وقوفا مع بعض العلامات الدالة على ذلك؛ لأن العلامة قد تتخلف، ففيها أنه لا يقطع لأحد معين بجنة أو نار، إلا بنص أو إجماع أو كشف حقيقي"(٤).

وقال عن بعض من يدعي الولاية من الكتانيين: "وأخبرني قرب موته بقريب من الشهرين عند سفري للحج والزيارة: أن النبي-صلى الله عليه وسلم-قال له: من رآك ورآى من

---

(١) ينظر: الشرح والإبانة (٢٦٥)، رسالة إلى أهل الثغر (١٥٦)، شرح السنة للبغوي (١٠٣/١).

(٢) رسالة إلى أهل الثغر (١٥٦).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩٦/١٦-١٩٧)، التسعينية (ص:٢٦٩-٢٧٠).

(٤) جلاء القلوب (١٥٣/١).

رآك إلى سبع دخل الجنة، فقلت له: أشهد بأني رأيتك، فقال: أنا أشهد بذلك، وأخبرني أيضا أن الله تعالى شفّعه في أهل عصره"(١).

ونحوه قوله عن آخر: "كان-رضي الله عنه-يذكر أن النبي-صلى الله عليه وسلم-ضمن له أن من رآه يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب، وأن الله تعالى أعطاه الشفاعة في أهل عصره من حين ولادته إلى حين وفاته، وزيادة عشرين سنة بعد وفاته"(٢)، فأقرهم على ما زعموه بالرؤى أو الكشف أن النبي-صلى الله عليه وسلم-ضمن لمن رآهم بدخول الجنة بلا حساب ولا عقاب، وعلى أن الله أعطاهم الشفاعة!

وقد قال عن التيجاني أيضا: "وكان-رضي الله عنه-يذكر أن النبي-صلى الله عليه وسلم-ضمن له أن من رآه يدخل الجنة بلا حساب ولا عقاب، وأن الله تعالى أعطاه الشفاعة في أهل عصره من حين ولادته إلى حين وفاته، وزيادة عشرين سنة بعد وفاته"(٣).

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج المتصوفة في اعتماد الكشف والرؤى- كما سبق-، حتى اعتمد عليهما في الحكم على معين بجنة أو نار، وللسلف في الشهادة على شخص معين بأنه من أهل الجنة أو من أهل النار، ثلاثة أقوال:

-**الأول**: لا يشهد بالجنة لغير الأنبياء فقط، وهو قول أبي حنيفة والأوزاعي وعلي بن المديني وغيرهم.

-**الثاني**: يشهد بالجنة أو النار لمن جاء به نص إن كان خبرا صحيحا، وهذا قول كثير من العلماء وأهل الحديث.

-**الثالث**: وقيل يشهد بالجنة لمن استفاض عند الأمة بأنه رجل صالح(١)، وفي الصحيحين أن النبي مر عليه بجنازة فأثنوا عليها خيرا فقال: ((**وجبت، وجبت**))، ومر عليه بجنازة فأثنوا عليها

---

(١) النبذة اليسيرة النافعة (٢٨٠).

(٢) سلوة الأنفاس (١/١٩٨).

(٣) سلوة الأنفاس (١/١٩٨).

شرا فقال: ((**وجبت، وجبت**))، فقيلك يا رسول الله ما قولك وجبت وجبت؟ قال: ((**هذه الجنازة أثنيتم عليها الخير فقلت وجبت لها الجنة، وهذه الجنازة أثنيتم عليها شرا فقلت وجبت لها النار، أنتم شهداء الله في الأرض**)) (٢).

يقول ابن تيمية-رحمه الله- في توجيه هذا القول: "والتحقيق: أنّ هذا قد يُعلم بأسباب، وقد يغلب على الظن، ولا يجوز للرجل أن يقول بما لا يعلم"(٣).

والأظهر هو القول الثاني وهو قول الجمهور؛ لأنَّ هذه المسألة غيبية، ومعتقد أهل السنة والجماعة أنهم لا يشهدون لأحد معين بجنة ولو كان من الصالحين، ولا يشهدون لأحد بالنار ولو كان من الكافرين؛ كأن تقول: هذا من أهل الجنة، أو هذا من أهل النار إلا بدليلٍ من الكتاب أو من السنة؛ لأننا لا ندري بما ختم له وما مات عليه، وقد جاء في الحديث ((**إنما الأعمال بخواتيمها**)) (٤)، (٥).

فمن شهد لهم الله-تعالى- أو رسوله-صلى الله عليه وسلم- بالجنة بأعيانهم فهم من أهلها قطعا، كالعشرة المبشرين بالجنة، وعلى رأسهم الخلفاء الأربعة، أبو بكر الصديق وعمر وعثمان وعلي-رضي الله عنه-، وممن شهد له الشّرع بالنار على التعيين فهو من أهلها كأبي لهب، وامرأته، وأبي طالب، وعمرو بن لحي، وغيرهم.

ومحمد بن جعفر الكتاني قد اعتمد الكشف والرؤى في الحكم على معين بجنة أو نار وهذا باطل لبطلانهما، وبطلان الاعتماد عليهما-كما سبق-.

---

(١) ينظر: النبوات (١٥٤/١)، جامع المسائل، لابن تيمية (١٨٤/٤)، مجموع الفتاوى (٥١٨/١١)، منهاج السنة (٤٩٦/٣-٤٩٨)، شرح العقيدة الطحاوية (٥٧٤/٢)، غاية الأماني (٥١/١).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الجنائز، باب: ثناء الناس على الميت، رقم (٢٧)، ومسلم، كتاب: الجنائز، باب: فيمن يثني عليه خير أو شر من الموتى، رقم (٩٤٩)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٣) النبوات (١٥٦/١).

(٤) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: الأعمال بالخواتيم وما يخاف منها، رقم (٦١٢٨)، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه.

(٥) ينظر: أصول السنة، للإمام أحمد بن حنبل (٥٠)، النبوات (١٥٦/١)، جامع المسائل، لابن تيمية (١٨٤/٤).

والاعتماد على المصادر الصوفية في هذه المسألة يفتح أبوابا لا منتهى لها، ويترتب عليها إنكار الأحكام الصريحة في القرآن الكريم والسنة النبوية.

وقد ساق محمد بن جعفر الكتاني ضمان بعض مدعي الولاية من لمن يراهم بالجنة، وهذا باطل لبطلان الكشف الصوفي، وقد ردّ على بعض ما ذكره عبد الحي الكتاني، فقال مما قاله:" ذكر في صحيفة ٧٩: أنه لا يوجد شبر كنت أسمع الناس يقولون بسيدي فلان، فيقول ذلك الولي: امض إلى الجنة، حتى لا يمشي للنار من سمع باسمي في دار الدنيا، فإذا النداء من قبل الباري: خلوا سبيله، فيمضي مع ذلك الولي إلى الجنة.

تدْوين مثل هذا في الكتب اليوم يؤدي إلى هدم العقائد؛ لأن كل مسلم يعلم أنه ما سيق ذلك العاصي أولا للنار إلا بإرادة الرب سبحانه، هذا مقتضى العقيدة.

ولكن هذا السياق وصاحبه كأنه يقول: إن اعتراض الولي على سوقه وممشاه يذكِّر الله ما لعلَّه نسيه، فيتنزل على إرادة الولي، وتكون الغلبة لجانبه.

وعلى هذا لا يدخل النار أحد؛ لأنه لا يمكن لأحدٍ في الدنيا ألا يكون سمع باسم وليٍّ في الدنيا" (١).

المطلب الثاني : آراؤه في مسائل الكفر والبدعة

المسألة الأولى: آراؤه في مسائل الكفر:

لمحمد بن جعفر الكتاني آراء في الكفر والتكفير، وحكم مولاة الكفار، والتشبه بهم، والحكم بغير ما أنزل الله، ورأيه فيها كما يلي:

- الكفر والتكفير:

لما حصّر محمد بن جعفر الكتاني الإيمان بتصديق القلب، جعل الكفر بالاعتقاد والنية في الجحود والشك، أو الجهل، ومن تقريراته قوله: "فالنية هي التي تحقق الحقائق، أي: توقعها في أفراد الصور، كالسجود لله وللصنم، شيء واحد في الصورة، وكان هذا عبادة، وهذا كفرًا بالنية"(٢).

---

(١) إعلام الحاضر والآت (ل ٣٠/ب-٣١/أ).

(٢) شرح أول حديث في صحيح البخاري (ل ٧).

وأنكر التكفير بالذنوب مطلقا؛ لأن الذنوب كما يرى ليس فيها إنكار لشيء من الدين، حيث قال:" يخرج ارتكاب الذنوب؛ إذ لا يكون مرتكبها بارتكابه إيَّاها منكرًا لشيء من الدين معلومًا ضرورة أنه منه، وهذا ظاهر، ولم يخالف فيه أحد من أئمة أهل السنة والجماعة، لا يقال: قد خالف جماعة من الفقهاء، حيث قالوا بكفر من ترك فرضًا من الفروض الخمسة، أعني: الصلاة وأخواتها.

لأنا نقول: إنما كفَّروه بذلك؛ لأن الشارع جعل ذلك علامة على كفره؛ ... وليس ذلك من التكفير بمجرد الذنب"(١)، ويعني بالذنوب هنا معاصي الجوارح؛ لأنه يقرر في موضع آخر بأن بعض أعمال القلوب يكون كفرا، كقوله بأن من الكفر: "أن يجهل شيئا مما قد قيل أن الجهل به يكون كفرا، كأن يجهل أنه تعالى عالم، أو قادر أو متكلم، أو يعتقد في جانب الله تعالى أو جانب رسله-عليهم الصلاة والسلام-ما هو كفر، كأن يعتقد أن الله جسم كالأجسام، أو أن رسالته-عليه السلام-خاصة بالعرب ونحوهم، أو ينكر ما يوجب إنكاره الكفر، لعلمه من الدين ضرورة كالبعث، والحشر، والنشر، ونحو ذلك"(٢)، فهذا كفر بسبب أعمال القلوب كالجهل والتكذيب.

وتقريره بأن الإيمان لابد له من يقين؛ ويخرج بذلك كما يقول:" الظن والشك والوهم، فإيمان صاحبها باطل إجماعا"(٣)، وحكمه بكفر الناطق بالشهادتين إذا كان غير جازم بما فيهما من التوحيد والرسالة وما يتبعهما من العقائد "بل هو فيه على ظن أو شك أو وهم، وهذا كافر إجماعا"(٤)، وقال:" الشك في وجود الله وفي صفاته كفر، والكفر مطلوب الإزالة"(٥)، وهذه كلها أعمال قلوب.

النقد:

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٩٢/أ).
(٢) الكشف والبيان (٢١٧)، وينظر: حاشية على شرح ميارة (ل ٩٢/أ).
(٣) تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ٩)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٢/ب).
(٤) الكشف والبيان (٢١٢).
(٥) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٧/أ).

نهج محمد بن جعفر الكتاني نهج الأشاعرة في معنى الكفر -كما سيتبين-، وبيان ذلك فيما يلي: **الكفر لغة**: التغطية والستر، وكل شيء غطى شيئا فقد ستره[١].

يقول ابن فارس: «الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، ...والكفر: ضد الإيمان، سمي لأنه تغطية الحق»[٢].

وقال ابن الأثير رحمه الله: « أصل الكفر: تغطية الشيء تغطية تستهلكه»[٣].

الكفر شرعا: نقيض الإيمان، وهو كل اعتقاد أو قول أو فعل حكم الشرع بأنه كفر[٤].

وقد نقل الأزهري عن الليث[٥] بأن الكفر: «نقيض الإيمان»[٦].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « الكفر: عدم الإيمان باتفاق المسلمين»[٧].

وقد اختلف الناس في حقيقة الكفر على نحو اختلافهم في حقيقة الإيمان-كما سبق-، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" والناس لهم فيما يجعلونه كفرا طرق متعددة:

فمنهم من يقول: الكفر تكذيب ما علم بالاضطرار من دين الرسول، ثم الناس متفاوتون في العلم الضروري بذلك.

ومنهم من يقول: الكفر هو الجهل بالله تعالى، ثم قد يجعل الجهل بالصفة كالجهل بالموصوف وقد لا يجعلها، وهم مختلفون في الصفات نفيا وإثباتا.

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة مادة: (كرف)، (١١٢/١٠)، لسان العرب مادة: (كفر)، (١٤٤/٥-١٤٧)، القاموس المحيط مادة: (كفر)، (٦٠٥).

(٢) معجم مقاييس اللغة (١٩١/٥).

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٤٠/٤).

(٤) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٥١٣/٢) ، درء تعارض العقل والنقل (٢٤٢/١)،منهاج السنة (١٧١/٥)، مجموع الفتاوى (٦٣٩/٧، ٣٣٥/١٢)، فتح الباري (٨٣/١).

(٥) هو: الليث بن سعد بن عبد الرحمن، مولة خالد بن ثابت، إمام حافظ مفسر، توفي عام ١٧٥هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣٧/١٥)، شذرات الذهب (٢٨٥/١).

(٦) تهذيب اللغة (١١٠/١٠).

(٧) مجموع الفتاوى (٨٦/٢٠).

ومنهم من لا يحده بحد، بل كل ما تبين أنه تكذيب لما جاء به الرسول من أمر الإيمان بالله واليوم الآخر جعله كفرا، إلى طرق أخر..." (١).

ولما كان الإيمان-كما سبق- عند أهل السنة والجماعة اعتقادا بالقلب، وقولا باللسان، وعملا بالجوارح، وهو عند جمهور الأشاعرة مجرد تصديق القلب، قال أهل السنة والجماعة بأن الكفر يكون بالاعتقاد والقول والعمل، أو بهما جميعا، وأن الكفر بالقول والعمل يقع بمجرده دون اشتراط التكذيب والجحود، أو عدم الانقياد، أو كونهما دلالة عليهما(٢).

وقال جمهور الأشاعرة بأن الكفر يكون بالاعتقاد، ويكون بالقول والعمل لكونهما دليل على التكذيب وعدم الانقياد، لا أنهما كفر بمجردهما (٣)، وهذا ما يظهر من تقريرات محمد بن جعفر الكتاني السابقة، حيث جعل الكفر بالاعتقاد والنية، بالتكذيب والجحود أو الجهل، وهو باطل من وجوه:

-أن القول بذلك فرع عن القول بأن الإيمان مجرد التصديق، وهو باطل-كما سبق-، وكذلك ما بني عليه.

- أن القول بذلك يؤدي إلى التساهل في الأقوال والأعمال الكفرية بدعوى عدم اعتقاد ما دلت عليه، وتعطيل الحكم بالكفر على من يستحقه بزعم عدم اعتقاده.

- القول بذلك يستلزم لوازم باطلة، وبطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، ومنها:

- ألا يكون شيء من الأقوال والأعمال كفرا إلا مع الاعتقاد، والاعتقاد في السرائر التي لا يعلمها إلا الله، وعليه فلا يتحقق كفر كافر قط، إلا بالنص الخاص في شخص خاص(٤)، وهذا ما صرّح به الكتاني في تقريره السابق بتارك الصلاة.

---

(١) منهاج السنة (٥/٢٥١).

(٢) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/٥١٧-٥١٨)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٣/١١٧)، الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك، لسليمان آل الشيخ (ص٣٠)، شرح كشف الشبهات، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ (ص١٠٢)، للاستزادة ينظر: التوسط والاقتصاد في أن الكفر يكون بالقول أو العمل أو الاعتقاد، لعلوي السقاف.

(٣) ينظر: تمهيد الأوائل للباقلاني (٣٩٤)، المواقف (٣/٥٤١).

(٤) ينظر: إيثار الحق على الخلق (٤١٩).

- ألا يكون للقول والعمل المكفر أثر في التكفير وجودا وعدما، وإنما المؤثر في التكفير هو الاعتقاد، والاعتقاد بمجرده مكفر، كاعتقاد ربوبية غير الله، سواء صاحبه القول والعمل أو لم يصاحباه، وعليه فلا معنى لوقوع الكفر بهما(١).

- ألا يكفر من قال قولا كفريا، أو عمل عملا كفريا مع زعمه بأن هذا القول أو الفعل ليس اعتقادا، وإنما عبثا أو سفها ولعبا(٢).

وبناء على ذلك نهج محمد بن جعفر الكتاني نهج المرجئة في معنى الكفر والشرك (٣)، فحصر الكفر في الأقوال والأفعال الشركية بنية اعتقاد تأثير غير الله، وهو الشرك في الربوبية، حتى صرح بإيمان من يذبح لضرائح الأولياء والجن بنية قضاء الحوائج، وإيمان من يستغيث بغير الله أو يتوسل ويتبرك بغيره، وغيرها من الأقوال والأفعال الشركية مادامت النية على اعتقاد تأثير الله وتعظيمه، كما حكم بإيمان كل من يدعي الغيب كالمنجم وغيره من مدعي الولاية ما دام ادعاؤهم له بإعلام الله ، وحكم بإيمان كل من فني في الربوبية وترك التكاليف من مدعي الولاية، ومنهم الحلاج، حيث قال مما قرره:" الكامل قد يتجلى عليه الحق تعالى بأوصاف ألوهيته فتصدر عنه تصرفات الإلهية، من الإماتة والإحياء واللطف والقهر، والإعطاء والمنع وغير ذلك، وقد يغلب عليه السكر حينئذ، فينطق بالأنانية، كقول الحلاج أنا الله، أنا الحق"(٤)، وقد اتفق السلف على كُفر من لم يتكلم بالشهادتين مع القدرة، فكيف بمن بنطق بالكفر ؟ (٥).

ومع ذلك تساهل في إطلاق الكفر على بعض مخالفيه، ومن ذلك قوله في الرد على من أنكر إحاطة علم النبي-صلى الله عليه وسلم- بالغيب:" وهؤلاء جماعة من الأولياء الكبار أخبروا عن أنفسهم بأنهم يعلمون ما كان ويكون بإعلام الله، أفيقدر أحد على أن يسميهم

---

(١) ينظر: الصارم المسلول (٩٦٣/٣).

(٢) ينظر: الصارم المسلول (٩٦٣/٣).

(٣) ينظر: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي (١٥٥)، الملل والنحل (١٣٩/١-١٤٠)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٧٠).

(٤) جلاء القلوب (٢١٧/٢)، وينظر المرجع نفسه (٦٠/٣-٦١).

(٥) ينظر: المحلى (٦١/١)، مجموع الفتاوى (٦٠٩/٧، ٥٥٣/٧).

بشيء فضلا عن أن يكفرهم؟ إلا إن كان كافرا والعياذ بالله ممكورا به، ممن سبقت له من الله الشقاوة الكبرى والخزي الدائم" (١).

وقوله في الرد على من أنكر وساطة النبي-صلى الله عليه وسلم- والتوسل به وعدّ هذا من الشرك -وهو مذهب السلف كما سبق-:" أما وساطته-صلى الله عليه وسلم-في نفس الأمر وحقيقته في كل شيء فلا قائل بنفيها لا من أهل الباطن، ولا ممن يعتد به من أهل الظاهر، ونافيها ممكور به، ويخشى عليه من زوال الإيمان إن لم يزل عنه في الحال نسأل الله العافية، كما أن قطع النظر عنه جملة وصرفه عنه بالكلية يؤدي إلى الكفر، بل نقول هو الكفر بعينه"(٢).

والتكفير حكم شرعي متلقى من كتاب الله وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم- والحكم به بمجرد العقل والرأي قول على الله بغير علم(٣)، ولهذا وردت النصوص بالتحذير من التكفير بغير حق، وضرورة التبين في الحكم به، ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا تَبۡتَغُونَ عَرَضَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٞۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ٩٤﴾ [سورة النساء:٩٤]، وقال النبي-صلى الله عليه وسلم-في الحديث: **((ومن دعا رجلا بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه))** (٤)، وقد اختلف أهل العلم في المراد بالحديث، وحكم من تلفظ بإحدى هاتين اللفظتين على أقوال كثيرة(٥)، يقول ابن حجر العسقلاني-رحمه الله-:"التحقيق أن الحديث سيق لزجر المسلم عن

(١) جلاء القلوب (١/١١٢).

(٢) جلاء القلوب (٣/٣١٢).

(٣) الشفاء للقاضي عياض (٤٤٧)، درء تعارض العقل والنقل -(١/٢٤٢)، منهاج السنة (٤/٢٩٦)، مختصر الصواعق المرسلة (٥٩٩).

(٤) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: حال إيمان من رغب عن أبيه وهو يعلم، رقم (٦١)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٥) ينظر: شرح صحيح مسلم (١/٢٤٩)، فتح الباري (١٠/٤٦٦).

أن يقول ذلك لأخيه المسلم، ...وقيل: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره، وهذا لا بأس به، وقيل: يخشى عليه أن يؤل به ذلك إلى الكفر، كما قيل: المعاصي بريد الكفر فيخاف على من أدامها وأصر عليها سوء الخاتمة، وأرجح من الجميع: أن من قال ذلك لمن يعرف منه الإسلام ولم يقم له شبهة في زعمه أنه كافر فإنه يكفر بذلك... ،فمعنى الحديث: فقد رجع عليه تكفيره، فالراجع التكفير لا الكفر فكأنه كفر نفسه؛ لكونه كفّر من هو مثله، ومن لا يكفره إلا كافر يعتقد بطلان دين الإسلام"(١).

وقد ذكر الفقهاء من شتى المذاهب في كتبهم كتاب المرتد، وبنوا فيه من الأحكام المترتبة على الردة ما يؤكد خطورة التكفير، وضرورة الاحتياط في الحكم به(٢).

فمنهج محمد بن جعفر الكتاني هذا خلاف منهج أهل السنة والجماعة؛ لأن "أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ لأن الكفر حكم شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله"(٣).

-موالاة الكفار:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني تحريم مولاة الكفار ومودتهم، ومن تقريراته قوله في بيان أسباب خذلان المسلمين: "مصافاة الكفار واتخاذهم أصدقاء وأولياء من دون المؤمنين الأبرار، ومودتهم والركون إليهم، والتعويل في أمور المسلمين عليهم، وهذه هي الداهية الكبرى، والمصيبة التي أبادت الإسلام وأهلكته دنيا وأخرى، ... ولذا حذرنا تعالى من موالاتهم غاية التحذير، ونفرنا منهم أتم التنفير، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا**﴾ [سورة آل عمران:١١٨]، الآية، وقال: ﴿**لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ**

(١) فتح الباري (١٠/٤٦٦).

(٢) ينظر: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني (٧/١٣٤)، فتح القدير لابن الهمام الحنفي (٦/٩١)، جامع الأمهات لابن الحاجب (٥١٢)، الذخيرة للقرافي (١٢/١٣)، روضة الطالبين وعمدة المفتين، النووي (١٠/٦٤)، كنز الراغبين شرح منهاج الطالبين، للمحلي (٥٣٤)، الفروع لابن مفلح (١٠/١٨٦)، كشف القناع عن متن الإقناع للبهوتي (٦/١٦٧).

(٣) الرد على البكري (٢٥٢).

ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [سورة آل عمران:٢٨]، ﴿فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾: أي من دينه في شيء، بمعنى: أنه بريء منه، ومفارق دينه،... وقال: ﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [سورة المائدة: ٨٠]، إلى قوله: فاسقون، قال المفسرون: أي خارجون عن الملة والدين، وقال: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ [سورة المائدة:٥١]، قال ابن عباس: أي كافر مثلهم، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [سورة المائدة:٥٧]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾﴾ [سورة النساء:١٤٤]...

وقال: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [سورة المجادلة:٢٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [سورة الممتحنة: ١].

وقد قال العلماء-رضي الله عنهم-يؤخذ من مجموع الآيات أن الإيمان يفسد بموالاة الكفار ومودتهم، وأن من كان مؤمنا لا يوالي كافرا ولا يوده، لأن من أحب أحدا امتنع أن يحب عدوه، وقال بعضهم: حاصل القرآن مقاطعة الكفار من جميع الوجوه، ومباينتهم في كافة الأحوال، فلا مواصلة ولا مودة ولا موالاة بيننا وبينهم أصلا"(١).

وكان يحرم مهادنة العدو من غير مصلحة حيث قال: "قال علماؤنا وغيرهم: ولا تجوز للإمام والناس أن يهادنوا العدو ويصالحوه من غير ضرورة ولا مصلحة إجماعا"(٢).

وكان محمد بن جعفر الكتاني يحرم الاحتماء بالنصارى والاستنصار بهم على من يريد ظلمهم من الولاة لأنه من موالاتهم، ومما قاله:" الاحتماء بالكفار، ولا سيما في هذه الأزمنة التي غلب فسادها وعم البلاد والأقطار، مما لا يشك عاقل ولا غيره في تحريمه مطلقا تفصيلا وإجمالا، وأن فاعله متوعَّد من الله عز وجل بالخسران المبين، والخلود في الجحيم، تحقيرا له

(١) نصيحة أهل الإسلام (١٦٥-١٦٧)، وينظر المرجع السابق (١٤٨، ١٧١)، تقييد في تفسير الاستطاعة في الحج (ل ٢)، جواب حول الاحتماء بالنصارى (ل١-٢).

(٢) نصيحة أهل الإسلام (١٤٨).

وإذلالا، وذلك لما يترتب عليه من المفاسد العظيمة، والمنكرات الجسيمة، التي منها إذلال المسلمين، وتقوية جانب الكفار، وإظهار عزتهم وقوتهم ومنعتهم، وتكثير سوادهم، ومفارقة جماعة المسلمين، ونبذُ الغرّة الإسلامية، والطاعة الإمامية، والبيعة السلطانية، وظهور الطاغية عليها، وإذلاله أيّاما، والرضى بحكمهم ودينهم وقوانينهم وغير ذلك.

ولما ينشأ عنه من محبتهم، ومحبة ظهورهم على المسلمين، وإذلالهم لهم، ومن تعظيمهم ومودتهم ومجالستهم، والتردد إلى أبوابهم، والتملق بين أيديهم، ومقابلتهم بما يرضيهم من البشاشة، وطلاقة الوجه، وطيب الثناء والمدح، ودلالتهم على عورات المسلمين، وغير ذلك من المفاسد الكثيرة العظيمة التي لا تُحصر، والمثالب الذميمة التي لا تُستقصى"(١).

وقرر بأن زيارة الكافرين على وجه الصحبة والمواصلة لهم محرمة(٢)، كما قرر تحريم الإقامة في بلاد الكفار، ووجوب الهجرة منها لبلاد المسلمين، إذا كانت كما يقول: " تجري عليه أحكام الكفر للتجارة أو غيرها، ممَّا لا يرضاه ذو همة شريفة لنفسه طبعا، ولا يجوز، بل هو من الكبائر شرعًا؛ لِما يقتضيه من المفاسد الدينية التي لا تُحصى، ولا يكاد أن تعد أو تُستقصى، وكفتك هذه المفسدة في ذلك، وكذا غيرها من بقية قواعد الإسلام المتهدمة هنالك، دون ما ينضم إليه من معاشرة أعداء الرحمن.

والمقام في أرض يُعبد فيها الصليب، والأوثان، والاستغراق في مشاهدة المنكرات، والتعرض لملابسَة النجاسات، وأكل المحرمات.

ومعاذ الله أن يركن لأهل التثليث أمَة فاضلةٌ توحده، أو ترضى بالُمقام بين أظهر الأرْجاس الأنجاس، وهي تعظمه وتمجده.

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ **[سورة النساء:٩٧]**، بالإقامة مع الكفار وتكثير سوادهم، وعدم الهجرة من بينهم، ﴿**قالوا فيكم كنتم**﴾ أي: في أي شيءٍ كنتم؛ أي: من أمْر دينكم ﴿**قالوا كنا مسْتَضعفين في الأرض**﴾ أي: عاجزين عَن إظهار

(١) جواب حول الاحتماء بالنصارى (ل ١).

(٢) ينظر: سلوة الأنفاس (١/١٦، ٣/٢٨٥).

الدين، وإعلاء كلمته، ﴿**قالوا ألم تكن أرضُ الله واسعة فتُهاجروا فيها**﴾ أي: من أرض الكفر إلى أرض الإسلام، قال تعالى: ﴿**فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً**﴾ الآية...

فيها دليلٌ على أنَّ كل مسلم ينبغي أن يخرج من البلاد التي تغير فيها السُّنن، ويعمل فيها بغير الحق فضلًا عن الخروج، والفرار من بلاد الكفر وبقاع الفجرة"(١).

المناقشة:

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني هو أصل متفق عليه بين المسلمين، فالولاء والبراء أصل أصيل من أصول الدين، إذ الولاء والبراء هما:

الولاء في اللغة: مادته تدل على معنى القرب(٢)، يقول ابن فارس:" الواو واللام والياء: أصل صحيح يدل على قرب. من ذلك الولي: القرب، يقال: تباعد بعد ولي، أي قرب، وجلس مما يليني، أي يقاربني"(٣).

البراء في اللغة: من برأ، وتعني التباعد من الشيء ومزايلته، وهو أحد أصلي هذه الكلمة، ومنه البُرْءُ هو السلامة من المرض، والأصل الثاني الخلق، ومنه اسمه تعالى البارئ(٤).

الولاء والبراء في الاصطلاح: بالنظر في أدلة الكتاب والسنة فإن معتقد الولاء والبراء يرجع إلى معنيين اثنين هما: الحب والنصرة في الولاء، وضدهما في البراء، وهذِين المعنيين من معانيهما في اللغة.

وعلى هذا فالولاء شرعا، هو: حب الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين، ونصرة الله تعالى ورسوله ودين الإسلام وأتباعه المسلمين.

والبراء هو: بغض الكفر وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كله والتخلص منه(٥).

---

(١) سؤال وجواب عمن أقام ببلدة من بلاد النصارى (ل ٢).

(٢) ينظر مادة (ولي): الصحاح (٢٥٢٨/٦)، تهذيب اللغة (٣٢١/١٥).

(٣) ينظر مادة (ولي): معجم مقاييس اللغة (١٤١/٦).

(٤) ينظر مادة (برأ): تهذيب اللغة (١٩٣/١٥)، معجم مقاييس اللغة (٢٣٦/١).

(٥) ينظر: قاعدة في المحبة، لابن تيمية، (٨-٩)، أوثق عرى الإيمان، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (ص٣٤) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٥٣/٨)، سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، حمد بن عتيق (٢٦)، الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس الجلعود (١١-٥٠).

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد"(١).

وحيث أن الولاء والبراء تابعان للحب والبغض، فإن أصل الإيمان أن نحب في الله أنبياءه وأتباعهم، ونبغض في الله أعداءه وأعداء رسله.

فأهل السنة والجماعة يوالون المؤمن المستقيم على دينه ولاء كاملاً ويحبونه وينصرونه نصرة كاملة، ويتبرؤون من الكفرة والملحدين والمشركين والمرتدين ويعادونهم عداوة وبغضاً كاملين، أما من خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فيوالونه بحسب ما عنده من الإيمان، ويعادونه بحسب ما هو عليه من الشر(٢)، والأدلة على كونه من أصول الدين كثيرة ذكر الكتاني جملة منها في تقريره السابق، وقال عز وجل: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [سورة المائدة:٨١]، يقول ابن تيمية في هذه الآية:" فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف: لو، التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط فقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء؛ ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه"(٣).

ويقول الشيخ حمد بن عتيق-رحمه الله-:"فأما معاداة الكفار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك، وأكد إيجابه، وحرّم موالاتهم وشدد فيها، حتى أنه ليس في

---

(١) الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان (٨٠).

(٢) ينظر: الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان (١١٦)، مجموع الفتاوى (١٣١/٢٨، ٢٠٨-٢٠٩، ٢٢٨)، إرشاد الطالب لابن سحمان (١٣)، الفتاوى السعدية (٩٨/١)، الولاء والبراء، صالح الفوزان (٢٧-٣٢)، الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني (٨٩-٩٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٧/٧)، للاستزادة في الأدلة ينظر: الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (٥-٢١)، تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران، حمود التويجري (ص٤ وما بعدها).

كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم، بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده"(١).

ويقول ابن سعدي:" إن الله عقد الأخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم من يهود ونصارى ومجوس(٢) ومشركين وملحدين ومارقين وغيرهم، من ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم، وهذا الأصل متفق عليه بين المسلمين"(٣).

فما قرره محمد بن جعفر الكتاني هو أصل متفق عليه بين المسلمين، إلا أنه جعل محور البراء من النصارى واليهود، فلم يتبرأ من العقائد الشركية، ومن عقائد المتصوفة الغلاة، بل أقر بها وأنكر على من ينكرها، كالتوسل والتبرك بغير الله، والصلاة إلى القبور والدعاء عندها وشد الرحال لها، والقول بوحدة الوجود والفناء الصوفي، كما لم يتبرأ من أعمال مدعي الولاية الذين يُزعم فيهم سقوط التكاليف، حتى تركوا أركان الإسلام وجاهروا بالمعاصي وتلطخوا بالنجاسات! مع أن " الواجب على كل مسلم أن يكون حبه وبغضه، وموالاته ومعاداته، تابعا لأمر الله ورسوله، فيحب ما أحبه الله ورسوله، ويبغض ما أبغضه الله ورسوله، ويوالي من يوالي الله ورسوله، ويعادي من يعادي الله ورسوله، ومن كان فيه ما يوالى عليه من حسنات وما يعادى عليه من سيئات عومل بموجب ذلك، كفساق أهل الملة، إذ هم مستحقون للثواب والعقاب، والموالاة والمعاداة، والحب والبغض، بحسب ما فيهم من البر والفجور، فإن ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۞ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۞﴾ [سورة الزلزلة:٧-٨]" (٤).

ومن مظاهر موالاة الكفار:

- التشبه بهم:

---

(١) سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك (٢٦).

(٢) المجوس هم: من يدين بالمجوسية، وهي إحدى النحل الوثنية القديمة الوارد ذكرها في القرآن الكريم، وهم يقولون بخالقين: خالق الخير وهو النور، وخالق الشر وهو الظلمة، وكانوا يعبدون النار، وقد عدهم بعض العلماء من أهل الكتاب، والصحيح أنهم ليسوا بأهل كتاب، ينظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢٣٢/١)، اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٨٦).

(٣) الفتاوى السعدية (٩٨/١).

(٤) مجموع الفتاوى (٤٩/٣٥)، وينظر المرجع نفسه (١٣١/٢٨)، شرح الطحاوية لأبي العز (٥٤٦/٢).

كان محمد بن جعفر الكتاني ينهى عن مشابهة الكفار ويأمر بمخالفتهم(١)، ومن ذلك أنه قال في حكم التشبه بالكفار بعد سرد الأدلة على ذلك ما يلي: "قال العلماء-رضي الله عنهم-: من تشبه بأهل الكفر محبة لهم، ورضى بكفرهم، فهو كافر كفرا بواحا، ومن فعل ذلك غافلا عن هذا القصد فقد شابههم في أمورهم الجاهلية، ففيه خصلة من خصالهم، تلزمه التوبة منها، ...وقد تظاهرت الأحاديث والآثار وتكاثرت بالأمر بمخالفتهم، والنهي عن التشبه بهم، وموافقتهم"(٢).

وفي معرض تحريمه للتصوير ذكر بأنه من الكبائر العظيمة؛ لما فيه من "التشبه بأهل الكفر والعناد، وموافقتهم على ما يفعلونه من البغي والفساد"(٣).

وقد ذكر من أوجه تحريم الدخان المشروب كما يقول:" إحياء سنة من سنن النصارى الكفرة اللئام؛ لأن خروجها من أرضهم وزرعها واستعمالها ببلدهم، فمن زرعها أو استعملها فقد أحيا سنتهم، وقوّى بدعتهم، وتشبه بهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم"(٤).

المناقشة:

اتفق سلف الأمة على تحريم التشبه بالكفار فيما هو من خصائصهم من عاداتهم، وعباداتهم؛ لأن مشابهتهم في الأمور الظاهرة تورث موالاتهم ومحبتهم في الباطن، ومن تشبه بهم رضى بكفرهم فهو كافر؛ لأن الرضى بكفرهم ينافي الإيمان، وقد قال تعالى: ﴿* يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) ينظر: نصيحة أهل الإسلام (١٧١-١٧٢)، الرحلة السامية (٢٣١-٢٣٢)، التدخين عند الأئمة الأربعة (١٣٤)، بلوغ القصد والمرام (٧، ٣٤)، الدعامة في أحكام سنة العمامة (١٠٦-١٠٧).

(٢) نصيحة أهل الإسلام (١٧١-١٧٢)، ينظر: التدخين عند الأئمة الأربعة (١٣٤)، بلوغ القصد والمرام (٧، ٣٤)، الدعامة في أحكام سنة العمامة (١٠٦-١٠٧).

(٣) بلوغ القصد والمرام (٢٠)، وينظر المرجع السابق (٧).

(٤) التدخين عند الأئمة الأربعة (١٣٤)، وينظر المرجع نفسه (٤٠، ١٣٥)، إرشاد العوام لما به العمل في الصيام (٢٠٩).

لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾ **[سورة المائدة: ٥١]** [١].

وقال-صلى الله عليه وسلم-: ((**من تشبه بقوم فهو منهم**)) [٢].

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"وهذا الحديث أقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم كما في قوله: ﴿**وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ**﴾ **[سورة المائدة: ٥١]**" [٣].

ويقول ابن القيم-رحمه الله- في هذا الحديث:" وسر ذلك أن المشابهة في الهدى الظاهر ذريعة الى الموافقة في القصد والعمل"[٤].

وعن عبد الله بن عمرو -رضي الله عنه- قال: رأى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- علي ثوبين معصفرين فقال: ((**إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها**)) [٥]، فقد نهى النبي- صلى الله عليه وسلم- عن لبسها، وعلل ذلك بأنها من ثياب الكفار.

وقد اتفق الأئمة-رحمهم الله-، على النهي عن موافقة الكفار والأعاجم، والأمر بمخالفتهم [٦].

---

(١) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٤٥، ٣٩٠)، سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك (٥١-٥٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده (٩/١٢٦/رقم٥١١٥)، وأبو داود في سننه، كتاب: اللباس، باب: في لباس الشهرة، رقم: (٤٠٣٣) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٦/٤٧١، رقم: ٣٣٠١٦)،، الطحاوي في مشكل الآثار (١/٢١٣/رقم٢٣١)، وعبد بن حميد في المنتخب (١/٢٦٧/ رقم٨٤٨)، من حديث عبد الله بن عمر، وصححه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/٣١٨)، وحسنه ابن حجر في فتح الباري (١٠/٢٧١)، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٥/١٠٩/ رقم١٢٦٩).

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/٢٧٠)، وقد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في هذا الموضوع بما يكفي ويشفي بكتابه هذا.

(٤) إعلام الموقعين (٣/١٤٠).

(٥) رواه مسلم، كتاب: اللباس والزينة، باب: باب النهي عن لبس الرجل الثوب المعصفر، رقم (٢٠٧٧)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنه-.

(٦) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم (١/٣٩٠-٣٩١).

– الحكم بغير ما أنزل الله:

كان محمد بن جعفر الكتاني ينكر على المسلمين عامة والمغاربة خاصة الأخذ بالقوانين الوضعية، فيقول في التحذير من الحكم بغير ما أنزل الله: "ومن جملتها أعني تلك القوانين: الحكم في القضايا النازلة بين الخلق بغير ما حكم به فيها المالك الحق، بل بضوابط عقلية وسياسات كفرية، وآراء فكرية لم يأت بها شرع ولا دين، ولا نزل بها ملك من ملائكة اله العالمين، وإنما هي أحكام مختلفة وافقهم فيها ضعفة الإيمان، ممن استنزله وأغواه الشيطان، حاولوا بها تبديل الشرع المطاع، وتحويل ماله من الأوضاع، وإظهار عزتهم، وترويج كفرهم وشركهم وكلمتهم، والكتاب والسنة مملوآن بالتحذير من هذا والتنفير منه، والوعيد عليه، والتقريع والتوبيخ لمن يفعله أو يميل بقلبه إليه، وكيف أيتها الأمة نتمذهب بمذاهبهم؟ ونأخذ في الدين بقوانينهم، وأحكامهم، أو نميل أدنى ميل إليها، ونساعد في لازمن من الأزمان عليها، والحق تعالى يقول في كتابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ﴾ [سورة النساء:٥٩]، إلى قوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمٗا ٦٥﴾ [سورة النساء:٦٥].

ويقول: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْۗ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ٤٩﴾ [سورة المائدة:٤٩].

ويقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [سورة المائدة:٤٤].

ويقول: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٤٥﴾ [سورة المائدة:٤٥].

ثم قال: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٤٧﴾ [سورة المائدة:٤٧].

يقول الطرطوشي في سراجه:" فكل من لم يحكم بما جاء من عند الله تعالى ورسوله – صلى الله عليه وسلم –كملت فيه هذه الأوصاف الثلاثة: الكفر والظلم والفسق"(١).

ويقول: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٥١﴾ [سورة النور:٥١]، وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ

---

(١) سراج الملوك، للطرطوشي (١٥٠).

أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [سورة النور:٦٣]، وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [سورة الأحزاب:٣٦]، ويقول: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ﴾: أي يخالفه، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾أي: وهو سبيل الكافرين، ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [سورة النساء:١١٥]، ويقول: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ﴾ [سورة الأحزاب:٢١]، ويقول: ﴿لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [سورة الحجرات:١].

وهل يصح لمؤمن بعد سماعه لهذه الآيات ووعيدها، وتقريعها وتوبيخها وتهديدها أن يميل إلى غير ما حكم الله ورسوله به، أو يصغي إليه، أو يعول في شيء من أموره عليه، لا والله إلا أن كان ضعيف الإيمان، أو عديم الإسلام والدين والإيقان"(١).

وقال في تفصيل حالات الحاكم بغير ما أنزل الله:" فتأمل هذا كله تعلم ما في اتباع تلك القوانين الفاسدة والآراء الضالة الكاسدة، من الخروج عن الشريعة المطهرة، والنبذ لأحكامها المعتبرة، وما وراء ذلك والعياذ بالله تعالى إلا الكفر الصريح الظاهر، أعاذنا الله منه، ومن كل ما يزجر إلى هذا الأمر المفظع الخاسر، هذا إن لم نستحل ذلك، ولم نعتقد حقية ما هنالك، وأما إن استحللناه، أو اعتقدنا حقية أصله ومبناه، فقد كفر المستحل ومعتقد الحقية – والعياذ بالله تعالى– جزما، خرج عن الدين المحمد حتما، نسأل الله العافية! وهذا هو مراد أعداء الله تعالى وأعداء رسوله –صلى الله عليه وسلم–منا، ولا يرضون منا بدونه ولا بغيره، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [سورة البقرة:١٢٠].

وقال: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾ [سورة البقرة:٢١٧]، وقال: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ [سورة آل عمران:٦٩]،

---

(١) نصيحة أهل الإسلام (١٩٥).

وقال: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا﴾ [سورة البقرة:١٠٩]، وقال: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ [سورة النساء:٨٩]. قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝﴾ [سورة آل عمران:١٠٠]، وقال: ﴿إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ۝﴾ [سورة آل عمران:١٠٠]، وقال: ﴿إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ ۝﴾ [سورة آل عمران:١٤٩]، وقال: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ ۝﴾ [سورة الممتحنة:٢]...

وقد بلغنا إن بعض المتهورين في دينهم يسمي أحكامهم القانونية عدلا، فإن أراد به العدل الحقيقي، وأن نفس تلك الأحكام الكفرانية حق وصواب، فهو كافر بالله تعالى وبرسوله، مرتد من غير ارتياب؛ لأن ذلك خلاف ما علم بالضرورة، كتابا وسنة وإجماعا من ذمها والتشنيع عليها، وإن العدل محصور في شريعة الله التي حواها كتابه وسنة نبيه-صلى الله عليه وسلم-، قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ [سورة النحل:٩٠]، الآية.

وقال -عليه السلام-لذي الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، لما قال له اعدل: ((**ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل**)) (١)، رواه البخاري عن أبي سعيد.

وإن أراد أنها عدل في الجملة من حيث ما فيها من التسوية بين الشريف والمشروف، والأمير والمأمور لا غير، لم يكفر، ولكنه يعاقب أشد العقوبة؛ لما تضمنه كلامه من تفخيم شأنهم، وأوهمه خطابه من حقية قانونهم، ويقال حينئذ: التسوية بين من ذكر في الأحكام الحقية حكم شرعي، ومن الشرع تلقاه أولئك الكفرة، وإنما حرفه فسقة الولاة ونحوهم"(٢).

المناقشة:

---

(١) رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٤)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) نصيحة أهل الإسلام (٢٠١-٢٠٣)، وينظر المرجع نفسه (١٩١).

ما قرره محمد بن جعفر الكتاني من تحريم الحكم بغير ما أنزل الله، والقول بوجوب التحاكم إلى شرع الله تعالى، وسرده للأدلة في تقرير هذا، وتفصيله لحالات الحكم بغير ما أنزل الله هو الذي دلت الأدلة عليه، وقرره السلف الصالح-رحمهم الله تعالى-[(١)]؛ يقول ابن تيمية-رحمه الله-:"ومعلوم باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم، في أصول دينهم وفروعه، وعليهم كلهم إذا حكم بشيء ألا يجدوا في أنفسهم حرجا مما حكم ويسلموا تسليما"[(٢)].

فالتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم- من الأمور المتفق عليها بين المسلمين.

أما في حكم من تحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم- فيحكم عليه على حسب حاله كما قرر أهل العلم-رحمهم الله تعالى-[(٣)]، يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلا من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر، فإنه ما من أمة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم، بل كثير من المنتسبين إلى

---

(١) ينظر: تعظيم قدر الصلاة (٣٩٣/١)، شأن الدعاء (٦١)، قواعد الأحكام (١٣٥/٢)، مجموع الفتاوى (٣٦١/٣٥-٣٦٣، ٣٧٢-٣٧٣)، اقتضاء الصراط المستقيم (٨٤/٢)، إعلام الموقعين (٥٠/١-٥٣)، مدارج السالكين (١٧١/٢)، فتاوى ورسائل محمد بن إبراهيم (٢٥٩/١٢-٢٨٩)، أضواء البيان (٤٠/٣، ٢٥٩، ٤٩/٧)، وجوب تحكيم شرع الله ونبذ من خالفه، ابن باز (٧/٣)، للاستزادة ينظر: وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، صالح بن غانم السدلان، شروح كتاب التوحيد لمحمد بن عبد الوهاب على باب: من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرمه الله فقد اتخذهم أرباباً، الشريعة الإلهية لا القوانين الجاهلية.

(٢) مجموع الفتاوى (٣٧/٧-٣٨).

(٣) ينظر: منهاج السنة (١٣٠/٥-١٣٢)، مجموع الفتاوى (٥٧/٢٧-٥٨)، مدارج السالكين (٣٣٦/١-٣٣٧)، فتاوى ورسائل ابن إبراهيم (٢٨٨/١٢-٢٨٩)، وجوب تحكيم شرع الله لابن باز (١٦)، مجموع فتاوى ابن باز (١٣٢/١، ٤١٦/٤)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (١٤٤/٢-١٤٧)، سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك لحمد بن عتيق (٨٣-٨٤)، وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، صالح بن غانم السدلان (١٧٧).

الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله سبحانه وتعالى، كسوالف البادية، وكأوامر المطاعين فيهم، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنة.

وهذا هو الكفر، فإن كثيرا من الناس أسلموا، ولكن مع هذا لا يحكمون إلا بالعادات الجارية لهم التي يأمر بها المطاعون، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز الحكم إلا بما أنزل الله فلم يلتزموا ذلك، بل استحلوا أن يحكموا بخلاف ما أنزل الله فهم كفار، وإلا كانوا جهالا، كمن تقدم أمرهم"(١).

مع التنبيه على وجوب مراعاة ضوابط التكفير وشروطه، كما قرر السلف الصالح(٢).

المسألة الثانية: آراؤه في مسائل البدعة:

لمحمد بن جعفر الكتاني رأي في معنى البدعة، وكون بعض البدع من البدع الحسنة، وله آراء في بعض البدع المنتشرة، وهي كما يلي:

- معنى البدعة:

يقول محمد بن جعفر الكتاني في البدع: "محدثات الأمور بعد القرون الثلاثة المشهود بخيريتها وفضلها"(٣).

ويقول في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**)) (٤): «خصه بعض العلماء بالمحدثة التي فيها رفع سنة وإثبات ضدها، وبعض آخر بما يطلب به الثواب وتقصد به العبادة، مما لم يكن مشروعا، وإن لم يزاحم سنة ثابتة، وهي البدعة الشرعية.

أو نقول: الدينية التي يقصد بها إثبات دين جديد اعتقادي، أو فعلي، أو قولي ليس على وفق الدين الثابت، دون المحدثة التي ليست كذلك، وهي البدعة العادية التي لا يقصد بها عبادة ولا طلب ثواب، فإنها لا تدخل في الحديث، وفعلها لا يكون ضلالة، بل ترك أولى، فهذا

---

(١) منهاج السنة (١٣٠/٥)، وينظر: شرح الطحاوية (٣٢٣/١-٣٢٤).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٤٨٨/١٢).

(٣) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٢٣).

(٤) سبق تخريجه (٤٠٥).

في العادية من حيث إنها عادية، سالمة مما يغير حكمها ويوجب حرمتها أو كراهتها، وإلا بأن خالطها ما يغير حكمها، حكم عليها بموجبه من تحريم أو كراهة »[١]

النقد:

أولا: تعريف البدعة:

البدعة في اللغة: اسم هيئة من الابتداء، كالرفعة من الارتفاع[٢].

وأصل استعمالاتها في لغة العرب أصلان: «**أحدهما:** ابتداء الشيء وصنعه لا عن مثال، **والآخر**: الانقطاع والكلال»[٣].

والمعنى الثاني يدخل في المعنى الأول؛ لأن الانقطاع والكلال ابتداء لأمر خارج عما اعتيد عليه[٤].

البدعة في الشرع: اختلفت عبارات الناس سلفا وخلفا في تعريف البدعة تبعا لاختلاف تصورهم لماهية البدعة المنهي عنها[٥]، ومن هذه التعريفات الكلية الجامعة ما ذكره الإمام الشاطبي في الاعتصام، حيث قال: « البدعة طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية»[٦].

وقد تضمن هذا التعريف ضوابط البدعة، وهي:

الإحداث والاختراع.

---

(١) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٢٣).

(٢) ينظر مادة (بدع): تهذيب اللغة (١٤٢/٢)، الصحاح (١١٨٣/٣)، لسان العرب (٦/٨)، القاموس المحيط (٩٠٦).

(٣) معجم مقاييس اللغة (٢٠٩/١).

(٤) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٦٧/١).

(٥) ينظر: الحوادث والبدع للطرطوشي (ص٣٩)، الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (ص١٩)، مجموع الفتاوى (١٩٥/٣، ١٠٧/٤، ٢٤٦/١٨، ٢١، ٣١٧)، الاعتصام للشاطبي (٤٥/١)، جامع العلوم والحكم (٧٨١/٢)، الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي (٨٨)، وللاستزادة في بيان حقيقة البدعة اللغوية والشرعية ينظر: البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، لعزت علي عطية (ص١٥٧-وما بعدها).

(٦) الاعتصام (٤٧/١).

التعبد بها.

ألا يستند هذا الإحداث إلى أصل شرعي(١).

أما تعريف محمد بن جعفر الكتاني للبدعة بأنها محدثات الأمور بعد القرون المفضلة، على وجه التعبد، وقوله:" نقول: الدينية التي يقصد بها إثبات دين جديد اعتقادي، أو فعلي، أو قولي ليس على وفق الدين الثابت"(٢)، موافق في الجملة لما قرره أهل العلم في تعريف البدعة، فهي إحداث عبادة اعتقادية أو قولية أو فعلية ليس لها أصل في الشرع على وجه التعبد لله تعالى، أما إن كان لها أصل في الشريعة فهذه لا تدخل تحت مسمى البدعة، يقول ابن رجب-رحمه الله-:"والمراد بالبدعة: ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعا، وإن كان بدعة لغة"(٣).

ويقول ابن حجر-رحمه الله-:" والمراد بها ما أحدث وليس له أصل في الشرع، ويسمى في عرف الشرع بدعة، وما كان له أصل يدل عليه الشرع فليس ببدعة، فالبدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة، فإن كل شيء أحدث على غير مثال يسمى بدعة سواء كان محمودا أو مذموما"(٤).

وبهذا يتضح موافقة محمد بن جعفر الكتاني لما قره أهل العلم في تعريف البدعة، إلا أنه مع ذلك شرع لكثير من الأمور المبتدعة.

ثانيا: مسألة دخول البدع في الأمور العادية:

---

(١) ينظر: جامع العلوم والحكم (٧٨١/٢)، فتح الباري (٢٥٤/١٣)، وللاستزادة ينظر: قواعد معرفة البدع، لمحمد الجيزاني (ص١٩/ وما بعدها).

(٢) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٢٣).

(٣) جامع العلوم والحكم (٧٨١/٢).

(٤) فتح الباري (٢٥٣/١٣).

اختلف أهل العلم في وقوع الابتداع في الأمور العادية، فذهب أكثر أهل العلم إلى أن الابتداع لا يدخل في الأمور العادية مطلقا، وذهب بعضهم إلى أن البدع تدخل في الأمور العادية مطلقا(١).

وذهب بعض أهل العلم إلى التوسط بين القولين، كابن تيمية(٢)، وابن رجب(٣)، والشاطبي(٤)-رحمهم الله-، وهو أن الابتداع لا يدخل في الأمور العادية إلا من جهة ما فيها من معنى التعبد، يقول الشاطبي-رحمه الله-:"ولا معنى للبدعة، إلا أن يكون الفعل في اعتقاد المعتقد مشروعا، وليس بمشروع"(٥).

ويقول ابن تيمية-رحمه الله-:" البدعة ما لم يشرعه الله من الدين فكل من دان بشيء لم يشرعه الله فذاك بدعة"(٦).

وهذا هو الذي يترجح، فالبدع لا تدخل في الأمور العادية إلا من الوجه العبادي فيها، فإذا ألحق المكلف حكماً شرعياً بعملٍ عاديٍ وقصد به القربة وهو في حقيقته ليس كذلك فقد ابتدع(٧).

وعليه فما قرره محمد بن جعفر الكتاني من كون البدع العادية إذا لم يقصد بها عبادة ولا طلب ثواب فلا تدخل في البدع الدينية حق.

- البدعة الحسنة:

---

(١) ينظر: الفروق للقرافي (٢٠٢/٤)، تهذيب الأسماء واللغات (٢٢/٣)، الاعتصام (٤٧/١، ٣١٢-٣٢٥، ٤١٧/٢)، البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها (٢٥٧-٢٦٦)، تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار، صالح السحيمي (١٠٦-١١١).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٩٥/٤).

(٣) ينظر: جامع العلوم والحكم (٧٨١/٢).

(٤) ينظر: الاعتصام (٤١٩/٢، ٤٢٩-٤٣٠).

(٥) الاعتصام (٤٩٢/٢).

(٦) الاستقامة (٤٢/١).

(٧) ينظر: جامع العلوم والحكم (١٨٥/١)، البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها (٢٥٧-٢٦٥)، تنبيه أولي الأبصار (١٠٦-١١١).

يرى محمد بن جعفر الكتاني بأن بعض البدع من البدع الحسنة، فأقر اتخاذ ليلة المولد والمعراج عيدا، ورجح القول بأنه بدعة حسنة، كما رجح القول ببناء القباب على القبور بناء على هذا.

فمما قاله في المولد: "ثم ليلتا المولد الشريف المكرم والمعراج النبوي المعظم يظهر أنهما خير ليالي الدنيا بلا تردد ولا ثُنيا، لما ظهر ووجد فيهما مما لم يكن ظهوره ولا وجوده في غيرهما، وكذا اليوم الذي يسفران عنه أفضل الأيام، كما ينبغي الجزم به في هذا المقام، وإذا كانا هكذا فهما جديران باتخاذ أمثالهما عيدا من الأعياد، وموسما من مواسم الخير والاجتهاد، ...ولا يقال فيه: إنه بدعة مكروهة"(١)، ثم رجح القول بأنه كما يقول: "من البدع الحسنة والعوائد المستحسنة"(٢).

وعندما رجح القول بالعمل على جواز البناء على القبور نقل عن النابلسي فقال: "وفي "روح البيان" عند قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٨﴾ [سورة التوبة:١٨]، ما نصه" قال الشيخ عبد الغنى النابلسى في"كشف النور عن أصحاب القبور" ما خلاصته: [أن البدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمى سنة، فبناء القباب على قبور العلماء والأولياء والصلحاء ووضع الستور والعمائم والثياب على قبورهم أمر جائز، إذا كان القصد بذلك التعظيم في أعين العامة، حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر، وكذا إيقاد القناديل والشمع عند قبور الأولياء والصلحاء، من باب التعظيم والإجلال أيضا للأولياء، فالمقصد فيها مقصد حسن، ونذر الزيت والشمع للأولياء يوقد عند قبورهم؛ تعظيما لهم ومحبة فيهم، جائز أيضا، لا ينبغى النهي عنه](٣)، ...وأما قول بعض المتأخرين.... بمنع ذلك، فهو خلاف ما به العمل كما ذكرنا، والله أعلم"(٤).

---

(١) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٨-٩٩).

(٢) المرجع السابق (١٠٠).

(٣) روح البيان، إسماعيل حقي (٣/٤٠٠).

(٤) سلوة الأنفاس (١/٦٥)، وينظر: عمدة الراوين (٩/٦٨-٧٠).

النقد:

دلت النصوص الشرعية على أن البدع كلها سيئة منهي عنها، وهي مردودة وضلالة، وليس فيها شيء حسن؛ لأنها مصادمة للشريعة مضادة لها، فهي مذمومة على كل حال، ومن الأدلة على ذلك:

قول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٨٥﴾ [سورة آل عمران:٨٥]، فمن سلك طريقا سوى ما شرعه الله فلن يقبل منه، والبدعة لم يشرعها الله وليست من دينه(١).

وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [سورة المائدة:٣] يقول الإمام مالك رحمه الله: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة، فقد زعم أن محمدا -صلى الله عليه وسلم- خان الرسالة؛ لأن الله يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣﴾ [سورة المائدة:٣]، فما لم يكن يومئذ دينا، فلا يكون اليوم دينا»(٢).

وقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس فيه فهو رد)) (٣)، يقول النووي رحمه الله: «وهذا الحديث قاعدة عظيمة من قواعد الإسلام، وهو من جوامع كلمه -صلى الله عليه وسلم- فإنه صريح في رد كل البدع والمخترعات»(٤).

ويقول الشوكاني -رحمه الله- في هذا الحديث: "وهذا الحديث من قواعد الدين؛ لأنه يندرج تحته من الأحكام ما لا يأتي عليه الحصر، وما أصرحه وأدله على إبطال ما فعله الفقهاء من تقسيم البدع إلى أقسام وتخصيص الرد ببعضها بلا مخصص من عقل ولا نقل"(٥).

---

(١) ينظر: جامع البيان (٥/٥٥٥) تفسير القرآن العظيم (٢/٧٠).

(٢) ذكره الشاطبي عن الإمام مالك في الاعتصام (١/٦٦).

(٣) سبق تخريجه (ص٢٥٣).

(٤) المنهاج شرح صحيح مسلم (٦/١٥٠).

(٥) نيل الأوطار (٢/٩٣).

والأدلة على ذلك كثيرة، وقد تقرر عند أهل العلم أن العمل لا يقبل إلا بالإخلاص والمتابعة -كما دلت الأدلة-، والبدعة فُقد فيها متابعة النبي -صلى الله عليه وسلم- فلا تقبل من صاحبها، بل ترد كما ثبت في الأدلة.

وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان على ذم البدع صغيرها وكبيرها، والتحذير منها، ولم يعلم عن السلف توقف في شأن شيء من البدع فضلا عن القول باستحسانها، فبحسب الاستقراء هو اجماع ثابت يدل على أن البدع كلها سيئة، ليس فيها شيء حسن[(١)].

أما ما استحسنة محمد بن جعفر الكتاني وصوبه في كون بعض البدع من البدع الحسنة، وأنها لا توصف بذم أو أنها مكروهة، فهو باطل لما يلي:

-أن ما قرره محمد بن جعفر الكتاني خلاف النصوص الواردة في ذم البدع كلها، وقد أطلق النبي-صلى الله عليه وسلم- القول في النهي عن البدع، وحكم عليها بأنها ضلالة.

يقول ابن تيمية-رحمه الله-:" ولا يحل لأحد أن يقابل هذه الكلمة الجامعة من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الكلية، وهي قوله: ((**كل بدعة ضلالة**)) بسلب عمومها، وهو أن يقال ليست كل بدعة ضلالة، فإن هذا إلى مشاقة الرسول أقرب منه إلى التأويل"[(٢)].

-لم يثبت عن أحد من أهل السنة والجماعة أنه قال عن شيء من البدع -بمعناها الشرعي- أنها بدعة حسنة، كما أن القول بتحسين بعض البدع الشرعية يفتح الباب للناس أن يستحسنوا ما يشاؤون ويستقبحوا ما يريدون[(٣)]، فهذا محمد بن جعفر الكتاني عندما حسّن بدعية الاحتفال بالمولد قال:" "ثم ليلتا المولد الشريف المكرم والمعراج النبوي المعظم يظهر أنهما خير ليالي الدنيا بلا تردد ولا ثُنيا"[(٤)]، فأضاف بدعية ليلة المعراج كذلك! وقد رد الشيخ عبد الرحمن النتيفي

---

(١) ينظر: الاعتصام (٤٢/١)، وينظر في سياق أقوال السلف-رحمهم الله-: ما جاء في البدع لابن وضاح (٢٥)، وما بعدها، اتباع السنن واجتناب البدع للضياء المقدسي (١٩) وما بعدها، التمسك بالسنن والتحذير من البدع للذهبي (٩٣)، الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي (٧٥).

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم (٩٣/٢)، ينظر: الاعتصام (٣٢٧/١).

(٣) ينظر: وكل بدعة ضلالة (٤٧).

(٤) ينظر: إعلام الحاضر والآت (ل ٢/أ)، أصفى الموارد (١٥٨).

الجعفري على عبارته هذه فقال: "يقال عليه: كان الناس في أخذ ورد في شأن ليلة المولد، فإذا بالشيخ أضاف إليها ليلة المعراج، والغالب أن يكون له فيها تبع، ولذا فتح الباب، ولم يكن به بواب ولا حجاب، ألحق النيروز، وكل ما أحدثه مفتر كذاب كزماننا هذا، فقد اتسع الخرق على الراقع، وتأخر فيه الشريف، وتقدم الوضيع، فإنا لله الذي كلنا إليه راجعون!" (١).

-يلزم من القول بأن بعض البدع من البدع الحسنة اتهام الدين بالنقص، وفتح المجال للمتلاعبين لإدخال ما ليس من الدين فيه، أو إنقاص شيء من الدين، وغير ذلك من اللوازم الفاسدة(٢).

- أن إلحاق البدع المحدثة بالعمل المشروع من منهج أهل الأهواء والبدع، يقول الشاطبي-رحمه الله-:"وأما غير العالم بها وهو الواضع لها[يعني البدع] فإنه لا يمكن أن يعتقدها بدعة، بل هي عنده مما يلحق بالمشروعات"(٣).

موقفه من أشهر البدع في عصره:

فيما يلي بيان موقف محمد بن جعفر الكتاني من أشهر بدع عصره، وهي كما يلي:

رأيه في الاحتفال بالمولد النبوي:

عُرف محمد بن جعفر الكتاني باهتمامه بالمولد النبوي(٤)، فكان يحتفل بمولد النبي- صلى الله عليه وسلم- ويحض الناس على الاحتفال فيه، ويرى أنه من البدع الحسنة، مع إقراره بأن الاحتفال لم يفعله أحد من السلف، وإنما حدث بعده في زمن الخلف، ومما قاله: " ثم ليلتا المولد الشريف المكرم والمعراج النبوي المعظم يظهر أنهما خير ليالي الدنيا بلا تردد ولا ثُنيا، لما ظهر ووجد فيهما مما لم يكن ظهوره ولا وجوده في غيرهما، وكذا اليوم الذي يسفران عنه أفضل الأيام، كما ينبغي الجزم به في هذا المقام، وإذا كانا هكذا فهما جديران باتخاذ أمثالهما عيدا من الأعياد، وموسما من مواسم الخير والاجتهاد، فتحرم وتعظّم، ويتلى فيها كتاب الله المعظم،

---

(١) أصفى الموارد في الرد على غلو المطرين (٢٠٥).

(٢) ينظر: وكل بدعة ضلالة (٤٧).

(٣) الاعتصام (٢/٣٩٩-٤٠٠).

(٤) ينظر: إعلام الحاضر والآت (ل ٢/أ)، السفر الصوفي (٨)، الرحلة السامية (٩١).

ويعمل في محجتها ما يدل على الفرح والسرور بفضيلتها، والشكر له تعالى على ما أنعم به، مما لا ينكره شرع، ولا يتوجه قبل فاعله زجر ولا ردع... وقد أكثر الناس على عمل الموالد، على ما جرت به العوائد، من إيقاد الشمع، وإمتاع حاستي السمع والبصر، والصدقات والمعروف، وعمل الولائم على الوجه المألوف، وإنشاد القصائد المدحية، والجهر بالصلاة على خير البرية، وغير ذلك مما لا إنكار فيه شرعا، ولا يخرم المروءة عادة ولا طبعا، وانحط كلام المحققين والأكابر من أهل الباطن والظاهر على أنه لا بأس بذلك، وأنه يرجى لفاعله بفعله ونيته الثواب الجزيل هنالك، والأعمال بالنيات، ولكل امرئ ما نوى، وما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن.

ولا يقال فيه إنه بدعة مكروهة، أو مستخشن، وإذا أدركت رحمة الله كافرا قطع عمره في عداوته، وفعل ما بلغ إليه جهده من إذايته، وهو أبو لهب، فإنه أخبر أخاه سيدنا العباس في المنام أنه يخفف عنه العذاب في كل ليلة الاثنين بالتمام، لإعتاقه لثويبة أنته، لما بشرته بولادته، فما ظنك بمؤمن صدّقه في مقالته، ولباه في دعوته، وفعل ما بلغ إليه جهده في محبته، وما ينبغي أن يفعل فرحا بمجادلته؟ "(١)، ثم ذكر جملة ممن قرر المولد، وقال: "والحافظ ابن حجر العسقلاني، وخرّجه على أصل ثابت في الصحيحين، ...وزعم التاج الفاكهاني(٢)من أصحابنا المالكية أن عمله بدعة مذمومة دنية(٣)"(٤).

ونقل بأنه لا يمنع في الفرح بالمولد النبوي من "الرقص والتشطيح، المتضمنين للقيام والردح"(٥)، بل قال: "والقيام والرقص ونحوهما فرحا بالمصطفى-صلى الله عليه وسلم- أو بما هو

---

(١) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٩-١٠٠)، وينظر: إسعاف لاراغب الشائق (٧٢-٧٣).

(٢) هو: عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي، أبو حفص بن أبي اليمن بن أبي النجا، الإسكندراني، المالكي السلفي، المعروف ب: الفاكهاني، من مؤلفاته: التحرير والتحبير في شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، توفي عام: ٧٣١هـ، ينظر: الدرر الكامنة (٢٠٩/٤)، شذرات الذهب (٩٦/٦).

(٣) ينظر: المورد في عمل المورد، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد، لمجموعة من العلماء (٩/١).

(٤) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (٩٩-١٠٠).

(٥) إسعاف الراغب الشائق (٧٤).

منه أو راجع إليه، له أصل أصيل في الشرع الشريف، يُعتمد ويعوَّل عليه"[١]، وقال: "صدر في هذا الموضوع من غير واحد ممن يقتدى به علما ودينا وورعا، وأضحى جمهور الأمة له في ذلك متبعا"[٢].

ومن الأدلة التي استدل بها على مشروعية الرقص ما قرره في قوله:" فقد لعبت الحبشة بحرابهم، المستلزم لزَفنهم[٣] واضطرابهم، لما قدم -عليه السلام- المدينة، فرحا بقدوم طلعته المباركة، وعزته الفخيمة"[٤]، فاستدل بلعب الحبشة في المسجد[٥]، وقرر بأن هذا اللعب يستلزم اضطرابهم ورقصهم.

كما استدل بما ثبت أن جاريتان كانتا تضربان بالدف، وتغنيان وعائشة معهن، وكان ذلك بحضرة النبي-صلى الله عليه وسلم-[٦]فلم ينكر شيئا من ذلك[٧].

واستدل بلفظ الحجْل[٨] على الرقص، وهو الوارد في الحديث: أن الرسول-صلى الله عليه وسلم-قال لعلي بن أبي طالب:(**(أنت مني وأنا منك)**)، فحَجَل، وقال لزيد بن ثابت:

---

(١) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (١٠١).

(٢) المرجع السابق (١٠٣).

(٣) الزفن: الرقص، ينظر مادة (زفن)، معجم مقاييس اللغة (١٤/٣)، الصحاح (٢١٣١/٥).

(٤) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (١٠١).

(٥) الحديث رواه البخاري، كتاب: الصلاة، باب: أصحاب الحراب في المسجد، حديث رقم: (٤٤٣)، ومسلم، كتاب: صلاة العيدين، باب: الرخصة في اللعب أيام العيد، حديث رقم (٨٩٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) الحديث رواه البخاري، كتاب: العيدين، باب: الحراب والدرق يوم العيد، حديث رقم: (٩٠٧)، ومسلم، كتاب: صلاة العيدين، باب: الرخصة في اللعب أيام العيد، حديث رقم (٨٩٢)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٧) ينظر: اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (١٠١).

(٨) الحجْل: نوع من المشي يُفعل عند الفرح، وقيل: أن يرفع رجلا ويقفز على الأخرى من الفرح، وقد يكون بالرجلين، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير (٣٤٦/١)، تلبيس إبليس، ابن الجوزي (ص٢٣٠).

((أنت أخونا ومولانا)) فحَجَل، وقال لجعفر بن أبي طالب: **((أشبهت خُلقي وخِلقي))**، فحجل(١).

قال: "ولا شك أن رقص سيدنا جعفر عند قدومه من الحبشة، كان إجلالا له وإعظاما، وفرحا برؤياه وإكراما، ورقصه مع الإثنين المذكورين معه، كان فرحا بثنائه عليهم، وتلذذا بخطابه لديهم، وشكرا على ما أولاهم، وبه أكرمهم وحباهم، من الإضافة إليه، التي هي أجلّ شيء يُعتمد عليه، وقد أقرهم النبي-صلى الله عليه وسلم-على فعلهم، وما أنكر بقول ولا فعل عليهم "(٢).

وقال عن ليلة المولد: "قال العلماء-رضي الله عنهم-: وليلة مولده-صلى الله عليه وسلم-أفضل من ليلة القدر التي قال مولانا جل وعز في كتابه أنها خير من ألف شهر، وكذا اليوم الذي تسفر عنه أفضل الأيام، كما ينبغي الجزم به في هذا المقام، وإذا كانا هكذا فهما جديران باتخاذهما عيدا وموسما، فيعظمان ويحترمان ويعمل فيهما ما يدل على فضيلتهما، مما لا

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده (٢/٢١٣/ حديث رقم ٨٥٦) والبيهقي في سننه، كتاب: الشهادات، باب: من رخص في الرقص، حديث رقم:(٢٠٨١٦)، وابن سعد في الطبقات، (٤/٣٥-٣٦).

وسند الحديث عند الإمام أحمد والبيهقي هو: حدثنا أسود- يعني بن عامر- أنبأنا إسرائيل عن أبي إسحاق، عن هانئ بن هانئ، عن علي رضي الله عنه، وسنده عند ابن سعد: عن جعفر بن محمد عن أبيه، وهو في البخاري بدون لفظ (الحجْل)، كتاب: الصلح، باب: باب كيف يكتب هذا ما صالح فلان بن فلان وفلان بن فلان وإن لم ينسبه إلى قبيلته أو نسبه، حديث (٢٥٥٢)، وهذي القصة بلفظ الحجل ليست صحيحة لعلتين في السند الأول، وهما: جهالة هانئ بن هانئ، ينظر: ميزان الاعتدال، للذهبي (٤/٢٩١)، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (١١/٢٣)، وتدليس أبي إسحاق السبيعي، ينظر: جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للعلائي (ص٢٤٥)، طبقات المدلسين (تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس)، لابن حجر العسقلاني، وقد ذكره في المرتبة الثالثة والتي حكم عليها: بقوله: "من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع"، ولم يصرح في هذا الحديث بالسماع، وينظر تدليسه: تهذيب التهذيب (٨/٦٦)، وفي السند الثاني محمد بن الباقر لم يدرك أحدا ممن ذكر في الحديث من الصحابة، وحكم عليه بالإرسال: الزيلعي في نصب الراية (٣/٢٦٨)، ، والألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/١٧٩)، وبناء على ذلك تصبح قصة حجل الصحابة واهية، للجهالة والتدليس، فلا يص الاحتجاج بها، والله أعلم!

(٢) اليمن والإسعاد بولادة خير العباد (١٠٣).

ينكره شرع، ولا يتوجه قبل من يفعله زجر ولا ردع، كما اختاره غير واحد من أئمة المذاهب المقتدى بهم في سائر الأقوال والأفعال وجميع المطالب.

وقد رأى بعض مشائخ الإسلام رسول الله-صلى الله عليه وسلم-في المنام، وسأله عما يفعله الناس في مولده الشريف، مما يدل على الفرح والسرور بولادته الكريمة ومنصبه المنيف، فقال عليه السلام: من فرح بنا فرحنا به"(١).

وأقر على كون الاحتفال بالمولد لم يُفعل في القرون المفضلة حيث نقل عن السخاوي(٢) فقال: "قال السخاوي: "لم يفعله في القرون الثلاثة أحد من السلف، ،إنما حدث بعده في زمن الخلف"، قالوا: "وأول من أحدثه من الملوك: الملك المظفر(٣) أبو سعيد صاحب إربل(٤)، وهي كإثمر بلد من بلاد الموصل"، قال ابن كثير في تاريخه: "كان يعمل المولد الشريف في ربيع الأول، ويحتفل به احتفالا هائلا، وكان مع ذلك شهما شجاعا بطلا عاقلا عالما عادلا -رحمه الله تعالى-، وقد صنف الشيخ أبو الخطاب بن دحية له مجلدا في المولد النبوي سماه " التنوير في مولد السراج المنير "، فأجازه على ذلك بألف دينار، وقد طالت مدته في الملك في زمان الدولة الصلاحية، وقد كان محاصرا مدينة عكا، وإلى هذه السنة محمود السيرة والسريرة"" (٥)، ...

---

(١) إسعاف الراغب الشائق (٨١).

(٢) هو: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر شمس الدين السخاوي، أبو عبد الله، فقيه شافعي محدث أصله من سخا من قرى مصر، من مؤلفاته: المقاصد الحسنة في الأحاديث المشتهرة على الألسنة، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، توفي عام: ٩٠٢هـ. ينظر: شذرات الذهب (١٥/٨)، الأعلام (٦٧/٧).

(٣) هو: الملك المظفر أبو سعيد كوكبري بن زين الدين علي كوحك التركماني، اشتهر بعمل المولد والاحتفال به، توفي عام٦٣٠هـ، ينظر: وفيات الأعيان (١١٣/٤)، شذرات الذهب (١٣٨/٥).

(٤) إربل: قلعة حصينة من أعمل الموصل، قام ببنائها الأمير الكوكبي وتقع شمال العراق شرق مدينة الموصل، ينظر: معجم البلدان (١٣٧/١).

(٥) البداية والنهاية (٢٠٥/١٧).

وهذا كله مالم ينته الأمر إلى ارتكاب المحرمات، والبدع المنكرات، من السرف بإيقاد الشمع نهارا، واختلاط النساء بالرجال خفية أو جهارا، واتخاذ الستور المفضضة والمذهبة، والجلوس على فرش الحرير المنتخبة، وارتفاع الأصوات بالولاول، ونحو ذلك مما هو له آيل، وإلا فالترك أوجب، وأسلم في هذا الباب وأصوب، إذ ترك معصية واحدة، خير من ارتكاب طاعات وإن كانت متعددة، وتعظيم الرسول إنما هو باتباع سنته، والوقوف مع شريعته، والله سبحانه وتعالى أعلم، وهو حسنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"(١).

وقال في احتفاله بالمولد في رحلته: "قرأنا بردة المديح، قرأها بعض أصحابنا ممن حج معنا، وأحضرنا لهم الشاه وماء الورد والبخور والطعام، وحصلت هناك ساعة طيبة فالحمد لله"(٢).

النقد:

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج المبتدعة في الاحتفال بالمولد النبوي، وما قرره من كون الاحتفال بالمولد النبوي من البدع الحسنة، التي لا ينكرها شرع، باطل متعقب بما يلي:

-أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يحتفل لنفسه إحياء لمولده أو مولد غيره من الأنبياء، ولم يأمر أمته به، ولما لم يقع منه، ولم يأمر به في وقته كان عمله بعد ذلك بدعة منكرة.

-أن الاحتفال بالمولد لم يفعله السلف الصالح، وقد أقر الكتاني بهذا -مع حثه على اتباع السلف وأهل القرون المفضلة، وتقديم تقريراتهم على غيرهم، وتحذيره من زلة العالم، وأن الأصل الرجوع إلى الشرع-، وهذا كاف في ذم الاحتفال به، ولو كان خيرا محضا أو راجحا لكان السلف أحق به منا، فهم أشد محبة للنبي-صلى الله عليه وسلم- وتعظيما، وهم على الخير أحرص منا (٣).

---

(١) إسعاف الراغب الشائق (٨٣)، وينظر: اليمن والإسعاد (١٠٣).

(٢) الرحلة السامية (٣٢١).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (٢٩٨/٢٥)، اقتضاء الصراط المستقيم (١٢٣/٢)، المدخل (١٠/٢).

-أن أول من أحدث المولد من المسلمين هم الخلفاء الفاطميين، بعد قيام دولتهم العبيدية في مصر، وأول من أحدثه بالقاهرة المعز لدين الله الفاطمي(١) سنة اثنين وستين وثلاثمائة، لا كما ذكر الكتاني بأن أول من أحدثه الملك المظفر أبو سعيد، وما نقله عن ابن كثير لا يدل على أنه أول من أحدثه؛ لأن ابن كثير ذكر أنه كان يعمل المولد، ولم يقل بأنه أول من أحدثه(٢)، وقد توفي هذا الملك سنة ثلاثين وستمائة والاحتفال بالمولد بدأ قبله عند المسلمين بثلاثمائة سنة، مع أن عمل الموالد ظاهرة معروفة منذ العصور المتقدمة، وقد اشتهر ذلك عند النصارى في احتفالهم بميلاد عيسى-عليه السلام- ثم تسربت هذه الظاهرة عند المسلمين بعد مضي القرون الثلاثة الأولى المشهود لهم بالخير، فأصبح المسلمون يحتفلون بمولد النبي-صلى الله عليه وسلم- إلى يومنا هذا مضاهاة لعمل النصارى، وقد نهينا عن اتباع سننهم(٣).

-أن المؤرخين اختلفوا في يوم مولده-صلى الله عليه وسلم-وعلى التسليم باستحسان الاحتفال له فإن إقامته في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول غير مقطوع بوقوعه فيه، وقد جرّ هذا إلى الاحتفال في سائر أيام ربيع الأول ولياليه!

-أن النبي-صلى الله عليه وسلم-ولد في ربيع الأول على الصحيح وهو الشهر الذي توفي فيه، فليس الفرح بأولى من الحزن فيه(٤).

-أن الاحتفال بالمولد يتضمن كثيرا من الأعمال المنكرة وقد أقر الكتاني بهذا في تقريره السابق وذكر بأن الاحتفال بالمولد إذا صحبه منكرات فتركه أوجب وأسلم، مع أنه قد روّج لبعض

---

(١) هو: المعز معد بن إسماعيل بن سعيد بن عبد الله، أبو تميم، المدعي زورا أنه فاطمي، تولى الخلافة بعد أبيه المنصور، وكان مظهرا الرفض، ومبطنا الكفر المحض، توفي عام٣٦٥هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء (١٥/١٥٩)، وفيات الأعيان (٥/٢٢٥).

(٢) ينظر: البداية والنهاية (١٧/٢٠٥).

(٣) ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، لتقي الدين المقريزي (٢/٣٣٣)، صبح الأعشى للقلقشندي (٣/٥٧٦)، للاستزادة ينظر: القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، إسماعيل الأنصاري (٦٤).

(٤) ينظر: المورد في عمل المورد (١٤)، المدخل لابن الحاج (٢/١٥١)، أصفى الموارد (٢٢١).

المنكرات فيه، فقد قرر مشروعية الرقص في ليلة المولد، وقرر بأن الرقص له أصل أصيل في الشرع(١).

-أنه لو قدّر خلّوه من المنكرات فهو بدعة في نفسه، يقول ابن الحاج:" فإن خلا منه وعمل طعاما فقط ونوى به المولد ودعا إليه الإخوان وسلم من كل ما تقدم ذكره فهو بدعة بنفس نيته فقط؛ إذ أن ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السلف الماضين، واتباع السلف أولى، بل أوجب من أن يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه"(٢).

– قول محمد بن جعفر الكتاني بأن ليلة المولد والمعراج خير ليالي الدنيا خلاف القرآن والسنة في فضل ليلة القدر، فقد قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ **[سورة القدر:٣]**، كما أنه خلاف الأحاديث الصحيحة الصريحة في أن أفضل الأيام العشر الأوائل من ذي الحجة (٣)، ومع ذلك لم تتخذ أيامها عيدا(٤).

– استدلاله بما حكي عن أبي لهب لا تثبت به الحجة؛ لأنه في المنام، وقياسه لا يصح، وقد رد عليه الشيخ النتيفي الجعفري في قياسه هذا فقال: " هذا القياس لا يصح؛ لأن ما وقع من أبي لهب قربة لأهله وأبيه، إذ لا قربة لله لأنه كافر إذ ذاك، ولا لرسول الله لأنه ليس برسول إذ ذاك، ولا له يقين لأنه سيكون رسولا، وما يفعل في المواليد عندكم قربة لله رسوله، والطاعة لله لا تقاس على غيرها، وعند من يقول إنها ليست بقربة، بل يقول لا فائدة لقياسها بها إلا الاشتراك

---

(١) ينظر: أصفى الموارد (٢٠٨، ٢١٠).

(٢) المدخل (١٠/٢)، وينظر: المورد في عمل المولد (١٠).

(٣) ومن ذلك ما رواه البخاري، كتاب: العيدين، باب: فضل العمل في أيام التشريق، رقم (٩٢٦)، ومسلم، كتاب: الصيام، باب: استحباب ثلاثة أيام من كل شهر وصوم يوم عرفة وعاشوراء والاثنين والخميس، (١١٦٢).

(٤) ينظر: أصفى الموارد (٢٠٦).

في الثواب، ولا ثواب في هذه ولا في هذه، ...وإذا كانت قصة أبي لهب هذه صحيحة، فلم لم تروى بالتواتر؟ وبالأقل بالخبر الصحيح عن رسول الله عمن رآه مسلما"(١).

– أن محمد بن جعفر الكتاني نفسه قد ذكر في موضع بأن من الجائز المقطوع بعدمه إيمان أبي لهب وأبي جهل، وهذا تناقض، حيث قال مما قاله في بيان لفظ الجائز:" الجائز المقطوع بعدمه: كإيمان أبي لهب وأبي جهل، ودخول الكافر الجنة ونحو ذلك"(٢).

–أن ما استدل عليه محمد بن جعفر الكتاني على قوله باستحسان الاحتفال بالمولد لا يصح من وجوه:

– ما ذكره من استحسان بعض المشائخ للمولد وقيامهم بعمله، معارض بذم غيرهم له، كما أن استحسانهم ليس دليلا في نفسه، بل يحتاج في إثباته إلى دليل، مع أنهم كما يقول الشيخ النتيفي في الرد عليه:"والشيوخ الذين ذكر أنهم استحبوا المولد وألّفوا فيه ظاهر أنهم من المتساهلين في تمييز الصحيح من غيره، والقوي من الضعيف"(٣).

– أن احتجاجه بعمل صاحب إربل للمولد واستدلاله بكلام ابن كثير فيه وأنه ملك عادل، يرد عليه بأن عمل أهل العلم والعدل ليس دليلا، كما قال هو بنفسه في موضع:"معلوم أن عمل أهل الأقاليم والبلدان إذا كان مخالفا لما دلت عليه السنة الكريمة والقرآن لا يعول أبدا عليه، ولا يبيح أمرا أومأت الشريعة بالتحريم إليه، وإن العوائد لا تنسخ سنة ثابتة ولا تبدل حكما، وأن اتباع الآباء والأجداد والأشياخ وغيرهم فيما ذمه الشرع لا يفيد ولا يرفع إثما"(٤).

---

(١) ينظر: المرجع السابق (٢١١).

(٢) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٤/أ).

(٣) أصفى الموارد (٢١٢).

(٤) التدخين عند الأئمة الأربعة (٢٤٩).

كما لا يلزم من كونه ملكا عادلا أن يكون معصوما من الخطأ(١).

- احتجاجه بأن ابن حجر العسقلاني وغيره خرجوه على أصل ثابت في الصحيحين باطل من وجوه:

الأول: أن ابن حجر -رحمه الله- أقر بأن الاحتفال بالمولد بدعة لم يفعلها السلف، وهذا كاف في ردها(٢).

الثاني: أن ابن حجر في فتواه خرج عمل المولد على حديث صيام عاشوراء، وهذا لا يصح، وهو من التكلف المذموم؛ لأن العبادات مبناها على الشرع والاتباع ولا على الاستحسان والابتداع، وكلامه هنا مردود بما قرره في فتح الباري، حيث قال في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: **((من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد))**:" وهذا الحديث معدود من أصول الإسلام وقاعدة من قواعده فإن معناه من اخترع في الدين ما لا يشهد له أصل من أصوله فلا يلتفت إليه، ... وفيه رد المحدثات وأن النهي يقتضي الفساد لأن المنهيات كلها ليست من أمر الدين فيجب ردها"(٣).

-أن النبي -صلى الله عليه وسلم- صام عاشوراء ورغب فيهن بخلاف الاحتفال بالمولد، لم يفعله ولم يرغب فيه(٤).

- أن الأدلة التي استدل بها على مشروعية الرقص لا وجه فيها على ذلك، وبيان ذلك ما يلي:

---

(١) ينظر في الرد على الاحتجاج بصاحب إربل: حكم الاحتفال بالمولد النبوي، لابن إبراهيم، ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (١/٣٤)، القول الفصل (٨٨)، أصفى الموارد (٢٢٩).

(٢) ينظر كلامه كاملا في الحاوي للفتاوى (١/١٨٨).

(٣) فتح الباري (٥/٣٠٢-٣٠٣)، ينظر: مجموع الفتاوى (١/٨٠)، الرد القوي ضمن رسائل في حكم الاحتفال بالمولد (٩٤)، أصفى المواد (٢٥٩).

(٤) ينظر: الرد القوي (٩٥)، الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، أبو بكر الجزائري (٦٣)، ينظر في رد النتيفي الجعفري على الكتاني في تقريره بالمولد: أصفى الموارد (٢٠٠-٢٥٩).

- أن لعب الحبشة بالحراب في المسجد، لم يكن رقصا، ولا ضربا بالأقدام، بل كان لعبا بالسلاح، تدريبا على استعماله، وتمرينا على الكر والفر(١).

وقد كان هذا اللعب في المسجد في يوم عيد، وقد أطلق عليه اسم اللعب، وإن كان أصله التدريب، لما فيه من شبه اللعب لكونه يقصد الطعن ولا يفعله، فلا دليل فيه على مشروعية الرقص، بل هو من اللهو المرخّص فيه، وإن كان الأصل التنزه عن اللهو واللعب(٢).

فتقرير الكتاني لمشروعية الرقص بهذا الحديث لا وجه له فيه، لأن هذا الحديث في ترخيص اللهو واللعب بيوم العيد، وقد كان لعبا وتمرينا، لا رقصا وتواجدا.

وقد رد على استدلال الكتاني بلعب الحبشة على مشروعية الرقص، الشيخ عبد الرحمن النتيفي الجعفري -رحمه الله- حيث يقول في رده على رأي الكتاني بأن الرقص له أصل أصيل في الشرع:" ونحن نقول عليه: لا يكون الأصل دليلا للفرع عموما أو قياسا، إلا إذا شمله العموم، وجمعتهم العلة في القياس، وأنت إذا نظرت إلى الأصل والفرع تجدهما متباينين في المعنى والعلة، فرقص الحبشة ليس هو رقص الفقراء والمتصوفة ولا أهل المواليد، لأنه بالحراب والدف، والارتفاع بكل الجسد والانحطاط بكله، وتتابع البعض للبعض كأنه يريد ضربه، والمشي والسرعة إلى الأمام ثم الانقلاب بها إلى خلف، وأكثر ما يفعل ذلك للتدريب على الحرب، وقد يكون مجرد لعب، والرقص المذكور اهتزاز من أسفل إلى أعلى تارة بقوة، وتارة بحركة غير قوة، مع تراص أهله ولصوق بعضهم ببعض وهم دائرة واحدة كالحلقة، بل تسمى حالهم هذه بالحلقة والعمارة، وهناك غالبا قوالون يغنون لهم على حسب ما حفظوا وناسب الوقت كان من الأشعار الحكمية أو الباطلة، ولا شك أن هذه الحالة ليست نفس لعب الحبشة ولا جزءا منه"(٣).

وقال أيضا: "وقوله: ولذا صدر في هذا الموضوع من غير واحد ممن يقتدى به...إلخ، يقال عليه: إن كان يريد الجمهور جمهور المتصوفة، أو هم والدهماء فلا حجة في فعلهم وقولهم،

---

(١) ينظر: كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، للقرطبي (٤٧)، النهي عن الرقص والسماع (٤٢٦/٢).

(٢) ينظر: فتح الباري (٤٤٣/٢).

(٣) أصفى الموارد في الرد على غلو المطرين لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأهل الموالد، عبد الرحمن النتيفي الجعفري (ص٢٧٣-٢٧٤).

وقد عارضهم السلف وجمهور الخلف من أعلم الأمة والمجتهدين"(١)، فلا عبره بما عليه الصوفية، وإنما العبرة بما كان عليه السلف الصالح.

- أن استدلال الكتاني بفعل الجاريتين اللتين تضربان بالدف، لا يصح؛ لكونهما جاريتين دون البلوغ، غير مكلفتين، كما أن هذا مرخص فيه للنساء والصبيان، وهو أمر خاص، فلا ينبغي جعل الخاص عاما، كما أن قياس هذا الحديث بالرقص قياس فاسد، وتشبيه للشيء بما ليس مثله(٢).

- أن "الدليل لا يدل للمدلول؛ لأن المدلول الرقص والسماع، وهاهنا الدف والسماع"(٣).

- أن استدلاله على جواز الرقص بحَجْل علي وجعفر وزيد-رضي الله عنهم، لا يصح لوجهين:

- تضعيف العلماء للحديث بهذه الرواية(٤).

- أنه على فرض صحته لا وجه فيه على مشروعية الرقص، لأن الرقص تثنٍّ وتكسُّر، والحَجل ليس كذلك؛ لأنه كما ذكر العلماء إما أنه: نوع من المشي يفعل عند الفرح، أو هو أن يرفع رجلا، ويقفز على الأخرى من الفرح (٥).

فليس فيه دلالة على مشروعية الرقص، وإنما فيه أنهم عبَّروا عن فرحهم بثناء النبي -صلى الله عليه وسلم- بقفزة على رِجل واحدة، وهو فعل مباح في نفسه، وإنما الحكم عليه يكون تبعاً لسبب فرحتهم(٦)، والكتاني عندما قرر مشروعية الرقص، قرره فرحا بمولده -صلى الله عليه وسلم-، كما قرر مشروعية الاحتفال بالمولد، فالسبب بدعة، والرقص تبعا له

---

(١) المرجع السابق (٢٧٧-٢٨٨).

(٢) ينظر: الاستقامة (٢٨٩/١).

(٣) أصفى الموارد (٢٧٥).

(٤) ينظر: تخريجه آنفا، ولفظه في البخاري بدونها، كما سبق بيانه.

(٥) السنن الكبرى للبيهقي (٢٢٦/١٠)، تلبيس إبليس (٢٣٠)، النهي عن الرقص والسماع (٤٢٩/٢)، كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، لابن حجر الهيتمي (ص٤٤)، لسان العرب (١٤٣/١١).

(٦) ينظر: السنن الكبرى للبيهقي (٢٢٦/١٠).

بهذا يتبين بطلان ما قرره محمد بن جعفر الكتاني في فضل ليلة المولد وحثه على الاحتفال والرقص فيها.

رأيه في ليلة الإسراء والمعراج:

يقرر محمد بن جعفر الكتاني في كتابه"نيل المنى وغاية السول بذكر معراج النبي المختار الرسول"، فضل ليلة الإسراء والمعراج ومضاعفة الأعمال فيها، ويحث على الاحتفال وإظهار الفرح والسرور، ومما قاله:"ذكر الشيخ أبو أمامة ابن النقاش أنها أفضل من ليلة القدر في حق الجناب النبوي العظيم، وليلة القدر أفضل في حق أمته؛ لما في العمل فيها من الثواب وكثرته، ولكن كلام غيره يفيد أنها بخصوصها أفضل من ليلة القدر بالإطلاق؛ لأنه حصل له-صلى الله عليه وسلم- فيها مالم يحصل له في غيرها من الليالي بطريق الاستغراق، بل وما لم يحصل لغيره أصلا، من اختراق الطباق السبع والأفق الأعلى، والعلو إلى قاب قوسين أو أدنى، ... فيحصل للعامل فيه إذا كان موجودا حينه من الثواب والأجر، ما لم يحصل في ليلة القدر، وأما نظائرها في كل عام فليلة القدر أفضل منها بالطريق العام؛ لأن العمل فيها خير من ألف شهر، كما قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾ [سورة القدر:٣].

ولم يرد في أرجحية العمل في نظائر ليلة الإسراء ولا يومها آية قرآنية ولا خبر، لا صحيح، ولا حسن، ولا ضعيف، ولا أثر، إلا أنه ينبغي أن يقال: إن العمل فيها له مزية على غيرها، بل مطلق الليالي والأيام، كما ينبغي الجزم به في هذا المقام.

وإذا كان اليوم الذي وقع فيه إنجاء موسى-عليه السلام-وأتباعه، وإغلاق فرعون وأشياعه، وهو يوم عاشوراء الفاضلة، يُتأكد في الصوم وغيره من الطاعات الكاملة شكرا لله تعالى على هذه النعمة الكبرى، ...فليلة الإسراء التي وقع فيها الإنعام العظيم على هذا النبي الكريم بالرؤية والمكالمة وغيرها من أنواع الفضائل والمكارمة أولى بأن يضاعف في مثلها، ومثل يومها وشهرها، ثواب الأعمال الصالحة، وما ينشد فيه من الأمداح النبوية الرابحة، وبأن تقرأ فيه قصة الإسراء والمعراج، ويتلى على الأسماع ما كرم الله به نبيه السراج الوهاج وما خصصه به من الخصائص والمزايا، ...

وقد اختلف في ليلة هذا الإسراء المعظم، والمعراج النبوي الكريم المكرم، فقيل: كان ليلة سبع عشر، وقيل: سبع وعشرين من ربيع الأول، وصحح كلا منهما جماعة من العلماء وعليه عندهم المعول.

وقيل: ليلة السابع والعشرين من ربيع الآخر، وقيل: من شهر رمضان، وقيل من شهر رجب الفرد، واختاره جماعة من الأعيان، وبه العملة في الأقطار المشرقية في هذه الأزمان، وقيل غير ذلك، من أقاويل محكية عنهم هنالك"(١).

وحث على قراءة دلائل الخيرات، في ليلة الإسراء على قول أنها في رجب أو شعبان، فقال:" فهاذان الشهران شهرا الصلاة والسلام عليه -صلى الله عليه وسلم-، وقراءة كتب الصلاة عليه فيهما كهذا الكتاب[يعني: دلائل الخيرات]، فيها من المناسبة ما لا يخفى فيهما، وهما من الأشهر الجليلة، والتي العمل فيها أزكى من العمل في غيرها، وأشرف الأعمال الصلاة عليه -صلى الله عليه وسلم-، فالاشتغال بها فيهما كرمضان وغيره من الأشهر المعظمة ذِكرًا وقراءة، وتدريسًا ومذاكرة، وتعليمًا وتعلُّمًا؛ حسن جميل، بل من أفضل ما يشتغل به الإنسان، وينفق فيه بضاعة عمره، والله أعلم"(٢).

- **النقد:**

نهج محمد بن جعفر الكتاني منهج المبتدعة في القول بمضاعفة الأجر في ليلة الإسراء والمعراج، وحثه على الاحتفال به كما يفعل في ليلة المولد، وما قرره باطل لما يلي:

-أن ما قرره كما أقر بنفسه لم يدل عليه آية ولا خبر صحيح ولا حسن ولا ضعيف، ولا أثر، بل هو من البدع الدينية التي عرفها بقوله: "يقصد بها إثبات دين جديد اعتقادي، أو فعلي، أو قولي ليس على وفق الدين الثابت"(٣).

(١) نيل المنى وغاية السول (١٣٣-١٣٥).

(٢) شرح على دلائل الخيرات (ل ١٩).

(٣) حكم التدخين عند الأئمة الأربعة (١٢٣).

ومحمد بن جعفر الكتاني مع إقراره بأنه لا دليل عليها قال: "إلا أنه ينبغي أن يقال: إن العمل فيها له مزية على غيرهما، بل مطلق الليالي والأيام، كما ينبغي الجزم به في هذا المقام"(١)، وهذا تناقض! فكيف يجزم بفضل شيء لم يدل عليه آية ولا حديث ولا أثر؟

يقول أبو شامة المقدسي(٢)-رحمه الله-:"ولا ينبغي تخصيص العبادات بأوقات لم يخصَّها بها الشرع، بل يكون جميع أفعال البر مرسلة في جميع الأزمان، ليس لبعضها على بعض فضل إلا ما فضّله الشرع وخصّه بنوع من العبادة، فإن كان ذلك اختص بتلك الفضيلة تلك العبادة دون غيرها، كصوم يوم عرفة، وعاشوراء، والصلاة في جوف الليل، والعمرة في رمضان، ومن الأزمان ما جعله الشرع مفضلاً فيه جميع أعمال البر، كعشر ذي الحجة، وليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، أي: العمل فيها أفضل من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، فمثل ذلك يكون أيُّ عمل من أعمال البر حصل فيها، كان له الفضل على نظيره في زمن آخر، فالحاصل أن المكلّف ليس له منصب التخصيص، بل ذلك إلى الشارع، وهذه كانت صفة عبادة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم-"(٣).

-أن جماهير أهل العلم والمؤرخين اختلفوا في تعيين ليلة الإسراء والمعراج كما ذكر الكتاني، فقد اختلفوا في السنة والشهر واليوم، والجزم بأنها ليلة السابع والعشرين من شهر رجب مما لا أصل له، وقد أنكر كبار الحفاظ والمؤرخين الجزم بهذا التاريخ بالتحديد (٤)، وقد قال تقي الدين

---

(١) نيل المنى وغاية السول (١٣٤).

(٢) هو: عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي، الدمشقي، شهاب الدين، أبو القاسم، المشهور بأبي شامة، من أئمة الشافعية في وقته، من مؤلفاته: الباعث على إنكار البدع والحوادث، المرشد الوجيز، توفي عام ٦٦٥هـ. ينظر: تذكرة الحفاظ (١٦٨/٤)، شذرات الذهب (٥٥٣/٧).

(٣) الباعث على إنكار البدع والحوادث (٥١).

(٤) ينظر: الابتهاج في أحاديث المعراج، لابن دحية الكلبي (ص٩) أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب، لابن دحية (٥٤)، الباعث على إنكار البدع والحوادث (٧٤)، حكم صوم رجب وشعبان، لابن العطار الشافعي (٣٤)، البداية والنهاية (٢٧٠/٤)، زاد المعاد (٥٧/١)، لطائف المعارف (٩٥، ١٢١)، فتح الباري (٢٠٣/٧)، فتاوى ورسائل ابن إبراهيم (٩٧/٣-١٠٢)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٢٩٦/٢-٢٩٧).

السبكي بعد ذكره للخلاف في تاريخه، أن إحياء المصريين لليلة السابع والعشرين:" بدعة منضمة إلى جهل"(١)، وذلك لأنه مختلف في تعيين ليلته.

-أنه لو ثبت تعيين ليلة الإسراء والمعراج لما شرع لأحد تخصيصها بشيء، لأنه لو كان هنالك خير في تخصيصها بعبادة أو احتفال لكان أولى الناس بذلك نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم-إذا كان هذا التعظيم في أجل الإسراء والمعراج، ولو كان من أجل النبي-صلى الله عليه وسلم- ومحبته فأولى الناس به أبو بكر وعمر وعثمان وعلي-رضي الله عنهم- ومن بعدهم من الصحابة والتابعين من أهل القرون المفضلة، ولم يعرف عن أحد منهم شيء من ذلك، مع أنهم أحرص الناس على الخير، فما قرره محمد بن جعفر الكتاني خلاف منهج السلف الصالح (٢).

-احتجاج محمد بن جعفر الكتاني بما قرره ابن النقاش في فضلها تلبيس باطل، لأنه مقتضب من كلامه، ولو أنه نقله كاملا لكان فيه رد عليه، فقد قال ابن النقاش في نص عبارته:" ليلة الإسراء أفضل في حق النبي- صلى الله عليه وسلم-، وليلة القدر أفضل في حق الأمة، لأنها لهم خير من عمل في ثمانين سنة لمن قبلهم.

وأما ليلة الإسراء فلم يأت في أرجحية العمل فيها حديث صحيح ولا ضعيف، ولذلك لم يعينها النبي- صلى الله عليه وسلم- لأصحابه، ولا عينها أحد من الصحابة بإسناد صحيح، ولا صح إلى الآن ولا إلى أن تقوم الساعة فيها شيء، ومن قال فيها شيئا فإنما قاله من كيسه لمرجح ظهر له استأنس به، ولهذا تصادمت الأقوال فيها وتباينت، ولم يثبت الأمر فيها على شيء، ولو تعلق بها نفع للأمة- ولو بذرة- لبينه لهم نبيهم- صلى الله عليه وسلم-"(٣).

-أن قياس فضل ليلة الإسراء والمعراج على يوم عاشوراء باطل؛ لأن النبي-صلى الله عليه وسلم- صام عاشوراء ورغب فيه بخلاف ليلة الإسراء والمعراج، لم يرغب فيه النبي-صلى الله عليه وسلم-ولم يذكر له مزية على غيره(٤).

---

(١) السيف المسلول على من سب الرسول لتقي الدين السبكي (٤٩٥).

(٢) ينظر: زاد المعاد (١/٥٧-٥٨)، مجموع الفتاوى (٢٥/٢٩٨).

(٣) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني (٢/٤٣١).

(٤) ينظر: الرد القوي (٩٥)، الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، أبو بكر الجزائري (٦٣).

المطلب الثالث: موقفه من الفرق والطوائف والمذاهب

موقفه من المتكلمين والفلاسفة:

موقفه من المعتزلة:

أنكر محمد بن جعفر الكتاني بعض عقائد المعتزلة، فقد ذكر بأن المعتزلة يرون أن الشك أول الواجبات، وقال:" ولا يخفى ضعف هذا القول؛ فإنَّ الشك في وجود الله وفي صفاته كفر، والكفر مطلوب الإزالة، فكيف يكون مطلوب الحصول، لا سيما عند أهل المعتزلة القائلين بقبح الكفر لذاته، إلَّا أن يتأوَّل هذا القول بأنَّ مراد قائله المجاز، من باب التعبير بالملزوم على اللازم، أي: الواجب أولًا أن يأتي المكلَّف يلازم الشك في أمرٍ عظيم مضطر إلى معرفته، وهو القصد إلى تحصيله بالنظر الصحيح"(١).

وذكر بأنهم يرون العقل قوة يقع بها التمييز، وقال:" هذا هو مذهب بعض المعتزلة، بناء على مذهبهم الفاسد، من أن الحسن والقبيح وصف يكنى نقله من غير جهة الشرع، ومن المعتزلة من قال: العقل ما يميز به خير الخيرين وشر الشرين، وفيه احتراز عن البهائم، فإنها وإن ميزت بين الخير والشر؛ فلا تميز خير الخيرين وشر الشرين"(٢).

وقال: "والتحسين العقلي هو أصل كفر البراهمة من الفلاسفة، حتى نفوا النبوة، وهو أصل ضلالة المعتزلة، حتى أوجبوا على الله مراعاة الصلاح والأصلح لخلقه"(٣).

ونقل بأن من الجهل:" من أثبت الأحكام بدون الصفات، فقال: الله عالم بغير علم، قادر بغير قدرة، وهو مذهب المعتزلة، ولمالك والشافعي في تكفيرهم قولان"(٤)، وقال:" قلت والراجح كما ذكره عياض في الشفا وغيره عدم تكفيرهم، لكنه يغلظ عليهم بوجيع الأدب،

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ١٧/أ).

(٢) المرجع السابق (ل ٢١/أ).

(٣) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٧٠/أ).

(٤) الكشف والبيان (٢٣٦)، عمدة الراوين (٩/٤٠)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٤/أ).

وشديد الزجر والهجر، حتى يرجعوا عن بدعتهم"(١)، ونقل بأن من الجهل تخصيص المعتزلة متعلق القدرة والإرادة ببعض الممكنات (٢).

وذكر بأنهم أنكروا تأثير السحر فيه -عليه السلام-، وقال:" وفي ذلك نظر؛ فإنَّ الروايات بذلك صحيحة، وهو لم يؤثر في نبوَّته وعقله وقلبه، وإنَّما أثَّر في بدنه، وهو -عليه السلام- بشر، يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر"(٣)، كما ذكر بأنهم أنكروا الكرامات(٤).

وقال عن مذهبهم في الرؤية أنهم:" حكموا باستحالتها بناء على أصلهم الفاسد من أن الرؤية إنما تكون بانبعاث أشعة من العين تتصل بالمرئي، وذلك يستلزم أن يكون جسما، والباري تعالى ليس بجسم، فلا يُرى عندهم"(٥).

وذكر تفصيل مذهب المعتزلة في وجوب فعل الأصلح فذكر بأنهم قالوا:" بوجوب الصلاح والأصلح على الله، ثم بعد اتفاقهم على الوجوب اختلفوا:

فزعم البغداديون منهم: أنه يجب عليه تعالى رعاية الأصلح لعباده في دينهم ودنياهم، فلا يجوز في حكمه تبقيه وجه من وجوه الصلاح في العاجل والآجل إلا ويفعله.

قالوا: لأن ابتداء الخلق واجب، ومن علم من خلقه أنه يكلفه فيجب عليه إكمال عقله وإزاحة علله وخلق الألطاف له.

ثم قالوا: إن كل ما ينال العبد من الأمور المضرات فهو الأصلح له، وإذا ارتكب معصية فهو الذي اختار لنفسه الفساد، وتجب على الله معاقبته إن لم يتب.

قالوا: والعقاب هو الأصلح في حق الفاسد، وقد ورد الوعيد به وعدم وقوعه خلف.

---

(١) الكشف والبيان (٢٣٦)، وينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٤/أ).

(٢) ينظر: الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان (٢٣٧)، حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٢٤/أ).

(٣) تفسير مختصر للمعوذتين والإخلاص (ل ٦).

(٤) ينظر: حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٦١/ب).

(٥) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٣/أ)، وينظر: تشنيف المسامع بشرح كتاب الجامع (ل ١٦).

وهؤلاء أخذوا مذاهبهم من الفلاسفة، وهو: أن الله تعالى جواد، وإن الواقع في الوجود هو أقصى الإمكان، ولو لم يقع ذلك لم يكن جوادًا، وقد ألزمت المعتزلة فيما قالوه إن الله تعالى لا يكون له اختيار في ترك فعل البتة، بوجوب ابتداء الخلق، ووجوب اختصاصه بالوقت المعين، ووجوب فعل الأصلح، ووجوب الثواب والعقاب.

ولما استبعد البصريون منهم ذلك قالوا: لا يجب أصل الخلق، لكن متى أراد تكليف عبد، فيجب عليه إكمال عقله، وإزاحة علله، وما يترتب على فعله من الثواب والعقاب"(١).

وقال في كون "ال" في الحمدله للاستغراق:" هذا مذهب أهل السنة، خلافًا للمعتزلة في قولهم بخلق العباد أفعالا لهم، ولأجل هذا منع الزمخشري كونها للاستغراق"(٢).

وذكر رأي المعتزلة في مسألة تفضيل الأنبياء على الملائكة، وأنهم يرون كما قال: "تفضيل الملائكة مطلقا"(٣).

وقال في القدرية:" وهم قدريتان: أولى: وهم ينكرون علم الله بالأشياء قبل وجودها، ويزعمون أن الله لم يقدر الأمور أزلًا، ولم يتقدم له علم بها، وإنما يأتنفها -أي: يعلمها- حال وقوعها، وهؤلاء انقرضوا قبل ظهور الشافعي.

وفرقة ثانية: وهم مطبقون على أنه تعالى عالم بأفعال العباد قبل وقوعها، إلا أنهم قالوا: إنها مخلوقة لهم، واقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الإقدار والتمكين"(٤).

الأشاعرة والماتريدية:

تبين من خلال هذا البحث بأن محمد بن جعفر الكتاني يعد أئمة الأشاعرة هم أئمة أهل السنة والجماعة، ويتبنى آراءهم الاعتقادية، وقد ذكر الخلاف بين الأشاعرة والماتريدية في موضع حيث يقول: "ثم وجدتهم ذكروا في المسائل التي وقع الاختلاف فيها بين إمامي أهل السنة والجماعة أبي الحسن الأشعري، والشيخ أبي منصور الماتريدي وهي ثلاثة وسبعون مسألة

---

(١) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٤٣/ب).

(٢) المرجع السابق (ل٣/ب)، ينظر: الكشاف (١/١٠).

(٣) جلاء القلوب (٢/٢٣٨).

(٤) حاشية على شرح ميارة للمرشد المعين (ل ٥٠/أ)، وينظر المرجع نفسه (ل ٨٧/ أ).

على ما جمعه بعض العلماء في رسالة له، وذكره أيضا جماعة من الأساتذة، وإن كان بعضها قد يرجع إلى بعض، إن من جملتها قول جمهور الماتريدية، خلافا لجمهور الأشاعرة أنه يجوز أن يعمل النبي في الأحكام الشرعية بالوحي، أو الرأي أو الاجتهاد، وإن اختلف في تفصيله"(١).

الفلاسفة:

لم أجد -حسب بحثي- لمحمد بن جعفر الكتاني كلاما حول الفلسفة سوى براءته من أقوال الفلاسفة، ومن ذلك قوله في شرح المتواتر:" وخرج به ما كان عن أمر معقول، أي يدرك بالعقل، فإنه يجوز الغلط فيه، بل قد يتيقن الغلط كخبر الفلاسفة بقدم العالم، أو بانتفاء الحشر للأجساد، فلا يسمى متواترا ولو بلغوا في الكثرة ما عسى أن يبلغوا، بل لا يسمى بذلك ولو تيقن صوابه كإخبار أهل مصر من الأمصار بحدوث العالم أو بوجود الصانع"(٢).

وقال في أحاديث فتح أبواب السماء:" وفيه: إبطال لقول الفلاسفة والمبتدعة: إن الأجرام العلوية لا تقبل الانخراق والالتئام، وأنكروا سبب ذلك معجزة انشقاق القمر، وفتح أبواب السماء ليلة الإسراء، والأدلة العقلية والنقلية قاضية بخلاف قولهم، بل يجب التصديق بلما أفاده حديث الأصل وغيره؛ لورود السمع به"(٣).

وقال:" أفعاله تعالى للكائنات بطريق الاختراع لا بطريق اللزوم؛ كفعل العلة والطبيعية عند الفلاسفة والطبائعيين؛ لأن القادر هو الذي يصح منه الفعل والترك بحسب إرادته، فلا تسمَّى العلة قادرة على معلولها، ولا الطبيعية قادرة على فعل مطبوعها لعدم الإرادة منهما، وعدم تأتي تركهما لأثرهما لو أثرا"(٤).

---

(١) جلاء القلوب (١٤٨/٣).

(٢) نظم المتناثر (١١).

(٣) حاشية على شرح ميارة (ل ٦٣/أ).

(٤) المرجع السابق (ل ٣١/أ).

وقال في إنكارهم لانشقاق القمر:" وإنكار جمهور الفلاسفة ومن تبعهم من المبتدعة لانشقاقه، مبني على إنكارهم خرق الأجرام العلوية والتئامها، وذلك من جملة كفرهم وتقولهم بمقتضى عقولهم، معاندين للشرائع فيما وردت به"(١).

موقفه من الخوارج:

قرر محمد بن جعفر الكتاني بأن من المتواتر كما يقول:" أحاديث ذم الخوارج والأمر بقتالهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية في نصيحته الكبرى ما نصه: [ثبت عنه صلى الله عليه وسلم في الصحاح وغيرها من رواية أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب، وأبي سعيد الخدري، وسهل بن حنيف، وأبي ذر الغفاري، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن عمر، وابن مسعود -رضي الله عنهم-، وغير هؤلاء أن النبي -صلى الله عليه وسلم- ذكر الخوارج فقال: ((**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقراءته مع قراءتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم**)) (٢)، أو قال: ((**فقاتلوهم فإن في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد**))] (٣) اهـ.

وقال في رسالة الفرقان ما نصه: [والأحاديث في ذمهم يعني الخوارج والأمر بقتالهم كثيرة جداً وهي متواترة عند أهل الحديث، مثل أحاديث الرؤية، وعذاب القبر وفتنته، وأحاديث الشفاعة، والحوض] (٤)" (٥).

وقال:" والمارقون: الخوارج؛ لأنَّهم مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية"(٦).

---

(١) حاشية على شرح ميارة (ل ٣١/أ).

(٢) رواه البخاري، كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٤)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم: (١٠٦٤)، من حديث أبي سعيد الخدري-رضي الله عنه-.

(٣) كما رواه البخاري كتاب: المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، رقم (٣٤١٥)، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: التحريض على قتل الخوارج، رقم (١٠٦٦) من حديث علي رضي الله عنه.

(٤) مجموع الفتاوى (٣٥/١٣).

(٥) نظم المتناثر من الحديث المتواتر (٤٧-٤٨)، وينظر المرجع نفسه (١٤١).

(٦) ختم البخاري (ل٢٣).

ونقل عن الخطابي وغيره "التحذير من مخالفة السنن التي سنها رسول الله-صلى الله عليه وسلم-مما ليس في القرآن ذكر، ردا على ما ذهب إليه الروافض والخوارج فإنهم تعلقوا بظاهر القرآن وتركوا الأحاديث التي تضمنت بيان ما في الكتاب فتحيروا وضلوا وأضلوا"(١).

وقال عن مذهبهم في حكم مرتكب الكبيرة بعد ذكره لحكمه:" خلافًا للمعتزلة في قولهم: إن هذا خارج عن دائرة الإسلام، ولم يدخل في الكفر؛ بل اسمه الفاسق، وهو على منزلة بين المنزلتين، وهو مخلد في النار عندهم، ووافقهم الخوارج"(٢).

وأنكر -كما سبق- الخروج على الحاكم المسلم، وله رسالة في ذلك، كما ردّ على من جوّز الاستنصار بالكفار على من يريد ظلمهم من الولاة في رسالته: جواب في حكم الاحتماء بالنصارى (٣).

-موقفه من العلمانية:

أنكر محمد بن جعفر الكتاني العلمانية، وفصّل -كما سبق- في حالات الحكم بغير ما أنزل الله، فذكر بأن من أسباب خذلان المسلمين التمذهب بمذاهب الكفار والعمل بقوانينهم، وقال في الحرية بمفهومها الغربي: "من جملة تلك القوانين البائدة، والآراء الباردة ما يسمونه بالحرية، وهي عندهم عبارة عن أن كل واحد يتدين بما شاء من الأديان، و يتمذهب بما أحب من المذاهب، ويفعل في نفسه ما شاء من غير تحجير عليه من أحد، ذكرا أو أنثى، بحيث لا عليه في الانتقال من دين الإسلام إلى دين النصرانية مثلا، ولا عليه في التمذهب بمذهب المعتزلة أو القدرية مثلا، ولا عليه في ترك الصلاة أو الصوم أو غيرهما مما ثبت في الدين المحمدي، ولا عليه في فعل الزنى أو اللواط، أو التعامل بالربى أو غير ذلك مما نهى عنه فيه، ولا يخفى ما في هذا من النسخ للشريعة المحمدية، بل والإبطال لها بالكلية، والإلغاء لأوامرها، والنبذ لزواجرها، والتعطيل لأحكامها، والانسلاخ عن رسومها ومعالمها، نسأل الله العافية"(٤).

---

(١) جلاء القلوب (٨٤/٣).
(٢) حاشية على شرح ميارة (ل ٧٩/ب).
(٣) ينظر: جواب في حكم الاحتماء بالنصارى (ل ٣-٤).
(٤) نصيحة أهل الإسلام (١٩١).

موقفه من الاحتلال الغربي وتحذيره من النصارى:

سبق بيان شيء من موقف محمد بن جعفر الكتاني من المحتلين ومن عاونهم(١)، وقد حذر الكتاني من هجوم الاحتلال على الأقطار الإسلامية، ومن احتلال المغرب في كتابه "نصيحة أهل الإسلام"، فمما قاله في هجوم الاحتلال:

"وإنه يا أمة سيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم-قد نزل بنا من قِبل أعداء الله تعالى، وأعداء رسوله-صلى الله عليه وسلم-وأعدائنا مما هو غير خاف عليكم بل هو معلوم بالتواتر والعيان لديكم، فإنهم دمرهم الله قاموا على ساق الجد والاجتهاد، في أخذ الأهبة والاستعداد، وقصدوا بلاد المسلمين في كل جهة، وانتحوا نحوها على كل وجهة، لا يرون فرصة في الإسلام إلا انتهزوها، ولا شاردة فيها إلا أخذوها واقتنصوها، ولا حكومة ضعيفة إسلامية ليس لها حام إلا محوها وضبطوها، ولا حيلة أو خديعة تضر بالمسلمين، وتوهن قواهم إلا أجروها وفعلوها، ولا طائفة من جهلة المؤمنين أمكنهم إدخالها في التنصر إلا نصروها وكفروها، ولا طريقا تنتهي إلى معادن الثروة ومنابع الغنى إلا سلكوها، لا يقفون في ذلك عند حد، ولا ينتهون فيه إلى عد، حتى إن الأمة الإسلامية التي كانت متركبة من ثلاثمائة مليون نفس تركيبا لم يبق منها الآن (١٣٢٦هـ-١٩٠٨م) على حال الحرية والاستقلال إلا نحو من الثلث تقريبا، والباقون قد ألجأهم اشتغالهم بما يوهن قواهم، واتباعهم لحال نفوسهم وهواهم، أو مجرد ضعف دينهم، وقلة إيمانهم ويقينهم، إلى تجرع كاسات الذل والهوان والصغار، بالدخول تحت أسر أعداء الله الكفار"(٢).

وقال في التحذير من احتلال المغرب الأقصى: "وقد كان هذا المغرب الأقصى قبل هذه الأوان في عزة عظيمة، وسطوة كبيرة، وقوة منعه، ورفعة سلطان، والآن قد وجهوا وجه التوجهات بسياستهم الكفرية إليه، وقصدوا نحوه من كل جهة وخيموا عليه، طامعين في الأنفس والبلاد، قاصدين الاستيلاء على مافيه من الأموال والأهل والأولاد، عامدين إلى إظهار الخمر والخنزير والصليب، والتحكم في الشريف والمشروف والأمير والمأمور والبعيد والقريب، عازمين

---

(١) ينظر (ص ٢٥) من هذا البحث.

(٢) نصيحة أهل الإسلام (٨٨).

على إطفاء نور الإسلام، واستيصال أمة سيدنا محمد-عليه الصلاة والسلام-ويأبى الله ورسوله والمؤمنون: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ۝٨﴾ [سورة الصف:٨]، ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ۝٣٣﴾ [سورة التوبة:٣٣].

كيف وأهل الإسلام والحمد لله ببلادنا وغيرها لا يحصون كثرة وعددا، ونور الإسلام في قلوبهم يربوا أبدا، والأموال والخيول والأسلحة متيسرة، والقوة حاصلة وليست متعذرة، فكيف معها نتحمل الذل والهوان، ونخضع لعبدة الصلبان؟ أو نجعل لهم السبيل إلينا، ونرضى بظهور كلمتهم وبولايتهم علينا؟ كلا والله لا يرضى بهذا ذو همة دنية، فضلا عن أرباب الهمم العلية"(١).

وقال في التحذير من النصارى خاصة ودورهم في تحريك أسباب الخلاف بين المسلمين: "واعلم أيضا أن النصارى دمرهم الله لم يدركوا في المسلمين ثارا، ولم يدفعوا عن أنفسهم عارا، ولم يخربوا من البلاد الإسلامية منازل وديارا، ولم يستولوا عليها بلادا جامعة وأمصارا إلا بعد تحريكهم بين المسلمين أسباب الخلاف، واجتهادهم في حصول التفرقة بين المؤمنين والاختلاف، وأنه مهما كانت كلمتهم مؤتلفة، وأهوائهم لا مفترقة ولا مختلفة، فلا سبيل لأحد من أهل الملل عليهم، ولا يطمع في توصيل شيء من المكائد إليهم.

وقد دل الاستقصاء لأحوالهم، والنظر إلى ما يصدر من أفعالهم على أنه لا أمل لهم قبحهم الله إلا في التمرس بين الإسلام والمسلمين، وإعمال الحيلة على المؤمنين، وإضمار المكيدة للموحدين، واستبطان الخديعة للمجاهدين، ويظهرون مع ذلك أنهم ساعون للإسلام في العاقبة الحسنى، وأنهم منطوون لأهله على المقصد الأسنى، وأنهم مهتمون بمراعاة أمورهم، وناظرون بعين المصلحة لخاصتهم وجمهورهم"(٢).

وقد ذكر غدر النصارى الأسبان وخيانتهم لشروط المعاهدة في الأندلس عام٩٠٤هـ، حتى صارت كلها دار كفر، وحذر من أن تكون المغرب كحال الأندلس، وحث على وجوب

---

(١) نصيحة أهل الإسلام (٨٩).

(٢) المرجع السابق (١٠١-١٠٢).

نصرة المسلمين في كل مكان، وحذر من خذلان المسلم، وذكر بأن العدو إذا نزل بأرض الإسلام وجب الجهاد، كما حذر من ترك الاستعداد الحربي، وذكر بأن الاستعداد للجهاد من فروض الكفايات(١).

ومما قاله في التباعد عن عباد الصليب وأهل الفسق والطغيان: "ولا مصيبة يا عباد الله أعظم من مصيبة الدين، إذ هي أشد من الجذام والبرص والجنون، وفقد المال والأهل والبنين، ومن أصيب في دينه فهو المصاب على التحقيق، ومن خذل في إيمانه فهو المخذول عند ذوي التوفيق، ...في التنزيل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ﴾ [سورة النساء:٤٨]، ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴿٨٩﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا۟ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [سورة مريم:٨٩-٩١]، ومن المتقرر المعلوم لدى كل أح من خاصة الدين وعامته، أنه لا رذيلة أقبح من رذيلة الكفر وطريقته، أعاذنا الله منها بمنه، وأن فسادها لا يعدلها في الدنيا فساد، لجرهما إلى بث الشرك والتثليث، ونسخ كلمة التوحيد، ومحق أثر قائلها من الأرض والبلاد.

ومن المتقرر أيضا إن الدين هو أحد الكليات الخمس التي أجمع العقلاء وأهل الملل على وجوب حفظها، والدفاع عن ساحتها، وعلى أنه أعظمها جلالة وحرمة، وأولاها صيانة وكرامة وعصمة، كيف ولا نجاة في العقبى إلا به، ولا حياة حقيقية في الدنيا إلا بسببه، وهو النعمة التي تغني عن غيرها من سائر النعم، ولا يغني غيرها عنها وإن كثر وعمّ، ولم ينعم الحق تبارك وتعالى على عبده بنعمة أعظم من نعمة الإيمان والإسلام، ولا امتنّ عليه بشيء أولى من منة الدخول في أمة حبيبه سيدنا-صلى الله عليه وسلم-فإنها أساس السلامات، وأصل جميع الخيرات والكرامات، أما السلامات فبها تكون إن شاء الله تعالى النجاة من أهوال الموت والقبر والحشر والقيامة، ومن الطرد والبعد والغضب، وكل بلية خاصة وعامة"(٢).

(١) ينظر: نصيحة أهل الإسلام (١٠٣-١٢٢).

(٢) المرجع السابق (٩٠-٩١).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فقد من الله علي بإنجاز هذا البحث وبيان مسائله عرضا ونقدا بحول منه سبحانه وعونه، ولا أدّعي فيه الكمال، ولكن حسبي أني بذلت فيه جَهدي، فإن أصبت فهو من الله سبحانه وفضله وتوفيقه، وإن خطأت فأستغفر الله وأتوب إليه، وأحسن الله تعالى إلى من دلني على خطئي ونبهني إليه مشكورا مأجورا!

ويحسن عرض نتائج البحث بتقسيمها على ما وافق فيه الحق وما خالف، أما ما وافق فيه الحق فما يلي:

- موافقته للفرق المنتسبة إلى الإسلام في وجوب العمل بالقرآن الكريم والأخذ به.
- موافقته لعامة المسلمين في القول بحجية الإجماع ووجوب العمل به.
- موافقته لمنهج الأشاعرة في الإيمان بأركان الإيمان الموافقة لما قرره السلف الصالح في الجملة.
- موافقته لما قرره السلف الصالح في القول بعدم نبوة ذي القرنين، ولقمان.
- موافقته لمنهج الأشاعرة في مسائل اليوم الآخر والحياة البرزخية، الموافق لما قرره أهل السنة والجماعة في الجملة.
- نهجه لمنهج الاشاعرة في الصحابة الموافق لمنهج أهل السنة والجماعة في الجملة.
- موافقته لما قرره السلف الصالح في تحريم الحكم بغير ما أنزل الله.
- نهجه لمنهج الأشاعرة في التبرؤ من عقائد المعتزلة والخوارج والفلاسفة، وتحذيره من النصارى والعلمانية، الموافق لمنهج السلف الصالح.
- نهجه لمنهج الأشاعرة في الإمامة الموافق لمنهج أهل السنة والجماعة في الجملة.

وقد خالف الحق بما يلي:

- إنكاره للأخذ بظواهر نصوص الكتاب والسنة، بدون عرضها على القوانين العقلية.
- عدم الاحتجاج بخبر الآحاد في العقائد.

- حكاية بعض الاجماعات غير المنعقدة، أو التي يكون الاجماع فيها منعقد على خلافها، ورده لبعض الاجماعات.

- تقديم التقريرات العقلية على كتاب الله تعالى، وسنة رسوله-صلى الله عليه وسلم-تارة، وإلغاء دلالة العقل في تقريراته الصوفية تارة أخرى.

- عدّ المصادر الصوفية مصادر للتلقي عن الله، والتسوية بينهما وبين نصوص الكتاب والسنة بالاستدلال.

- القول بفرضية علم الكلام، وإعمال التأويل والتفويض.

- قوله بالحقيقة والشريعة، وإعمال التفسير الباطني.

- إطلاق الألفاظ والمصطلحات المجملة.

- عداوته للمنهج السلفي، ومناصرته للبدع والمبتدعة.

- مخالفته لمنهج السلف في تعريف التوحيد وأقسامه، ونهجه لمنهج المتكلمين.

- تقريره لعقيدة وحدة الوجود.

- القول بوجوب المعرفة أو القصد إليها، ونهجه لمنهج المتكلمين في كون النظر على طريقتهم دليل صحيح يعتمد عليه، وقوله بإيجابه وجوبا كفائيا.

- إثبات الربوبية بدليل حدوث الأجسام، والحكم بصحة إيمان المقلد مع إثمه.

- انحرافه بمعنى الشرك والعبادة، بحصر الشرك بالشرك بالربوبية، وجعل العبادة مشروطة باعتقاد الخالقية والربوبية.

- نهجه لمنهج المبتدعة في تقريره لجملة من المسائل المتعلقة بالقبور، كاتخاذها مساجد وشد الرحال إليها، وبناء القباب ودفع الأموال وإقامة المواسم والقراءة عليها.

- نهجه لمنهج المبتدعة وأهل الشرك في جملة من الأعمال والأقوال التي تناقض توحيد العبادة، كإقرار الذبح لغير الله، والسحر والتنجيم، والاستغاثة، والتوسل، والتبرك بغير الله.

-نهجه لمنهج الأشاعرة في تقسيم الصفات، والقول بأن إثبات بعض الصفات يقتضي التجسيم، وبأن ظواهر النصوص غير مراد، والقول بحلول الحوادث.

- موافقته للمتصوفة في القول بإمكان رؤية الملائكة ومحادثتهم.

-مخالفته لما اتفق عليه أهل الملل في القول بأن الله لم يأمر بعض الملائكة بالسجود لآدم، لفنائهم فيه.

-نهجه لمنهج الأشاعرة في معنى نزول القرآن، وكيفيته.

-القول بعصمة الأنبياء مطلقا، وعموم تفضيل النبي-صلى الله عليه وسلم-على كل شيء حتى الملائكة!

- حصر دلائل النبوة بالمعجزات.

-التقرير بأن معجزات الأنبياء دليل على تصرفهم في الكون وربوبيتهم!

-التقرير بختم نبوة التشريع، وختم الولاية، والقول بإحاطة علم النبي-صلى الله عليه وسلم- وبعض مدعي الولاية بوقت الساعة، وأشراطها، وأمور الآخرة، والروح، وسر القدر.

-نهجه لمنهج غلاة المتصوفة في تقريراته بخصائص النبي-صلى الله عليه وسلم-.

-نهجه لمنهج الأشاعرة والمتصوفة في الكرامات.

- القول بولاية الخضر وتعميره.

- نهجه لمنهج الأشاعرة في القول بأن رؤية الله تعالى في الآخرة بلا مقابلة.

- نهجه لمنهج غلاة المتصوفة في سؤاله لرؤية الله تعالى في الدنيا.

- نهجه لمنهج الأشاعرة في القول بالكسب، ونفي تأثير الأسباب في المسببات، وأن الهدى والضلال بخلق الله تعالى وإرادته وحده، وكون التحسين والتقبيح شرعيا لا عقليان، ونفي الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى.

- نهجه لمنهج المتصوفة في القول بصحبة الجني شمهروش وروايته للأحاديث والتلقي عنه.

- نهجه لمنهج الشيعة في القول بعصمة آل بيت النبي-صلى الله عليه وسلم-، واختصاص بعض الصحابة بالعلم المخير.

- نهجه لمنهج الأشاعرة في مسمى الإيمان، وزيادته ونقصانه، والتفريق بين الإيمان والإسلام، وحكم مرتكب الكبيرة،.

- نهجه لمنهج الصوفية في الحكم على معين بجنة أو نار، ونهجه لمنهج المرجئة والأشاعرة في حصر الكفر بالنية والاعتقاد.

- مخالفته لمنهج السلف الصالح في جعل محور البراء من اليهود والنصارى.

- تشريعه لكثير من الأمور المبتدعة، وإلحاق البدع المحدثة بالعمل المشروع، كالقول بمشروعية الاحتفال بالمولد والرقص، وفضل ليلة الإسراء والمعراج.

وقد تناقض محمد بن جعفر الكتاني واضطرب كلامه فيما يلي:

- تناقضه فيما قرره من وجوب تقديم تقريرات السلف الصالح على غيرهم، باحتجاجه في مسائل الدين بأقوال وأفعال الرجال.

- تناقض تقريراته بالاحتجاج بالآحاد، حيث قصر حجية الآحاد في الأحكام دون العقائد.

- تناقض تقريراته في العمل بالحديث الضعيف، وموافقته لأهل البدع في الاحتجاج به.

- تناقض موقفه من العقل، حيث قرر تقديم النقل عليه، ثم قدم العقل على النقل وجعله حاكما عليه تارة، وألغى دلالة العقل في تقريراته الصوفية تارة أخرى.

- تناقض منهجه في توحيد الأسماء والصفات، حيث يرجح مذهب التفويض، ثم يفوض بعض الصفات، ويؤول بعضها، أو يقررها تارة مع النفي بالألفاظ المجملة، وتارة على منهج السلف الصالح كما في صفة النزول.

- تقريراته في المفاضلة بين الأولياء والأنبياء، وموافقته لحقيقة قول غلاة المتصوفة.

- تناقض تقريراته في علم وقت الساعة ووقت أشراطها.

- **توصية البحث:**

أوصي بدراسة آراء محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني الاعتقادية؛ لمنزلته السياسية والعلمية في المملكة العربية السعودية، فهو مستشار الملك فيصل، والأستاذ في الجامعة الإسلامية، وجامعة الملك عبد العزيز، وأم القرى، المستشار في رابطة العالم الإسلامي، والمدرس في الحرمين الشريفين.

والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية.
- الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الفرق والطوائف.
- فهرس الألفاظ والمصطلحات الغريبة.
- فهرس الأبيات الشعرية.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦	﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ ﴾	٢٥٨	٣٢٣
١٧	﴿۞ لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ ﴾	٢٧٢	٧٨١

٣-سورة آل عمران

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨	﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ ..﴾	٢٨	٨٥٦
١٩	﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ ﴾	٣٠	٥٤٦
٢٠	﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ ﴾	٣١	١٢٤، ١٢٤، ١٥٥، ٤٢٥، ٤٤٧
٢١	﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ﴾	٣٧	٦٨٠
٢٢	﴿ذَٰلِكَ نَتۡلُوهُ عَلَيۡكَ مِنَ ٱلۡأٓيَٰتِ وَٱلذِّكۡرِ ٱلۡحَكِيمِ ٥٨﴾	٥٨	٥٢١
٢٣	﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ ﴾	٦٩	٨٦٥
٢٤	﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ..﴾	٧٨	١٥٨
٢٥	﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ ..﴾	٨١	٦٢٩
٢٦	﴿ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ ١٠٠﴾	١٠٠	٨٦٦
٢٧	﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ ﴾	١٠٣	٥٥
٢٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةٗ مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالٗا ﴾	١١٨	٨٥٦
٢٩	﴿وَمَا كَانَ قَوۡلَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسۡرَافَنَا فِيٓ ..﴾	١٤٧	٤٠٢
٣٠	﴿ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ١٤٩﴾	١٤٩	٨٦٦

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣١	﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطۡلِعَكُمۡ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجۡتَبِي مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُۖ﴾	١٧٩	٦٧١

٤-سورة النساء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٣٢	﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي ..﴾	١٨	٦٥٧
٣٣	﴿ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾	٤٠	٧٤٠
٣٤	﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾	٥١	٣٩١
٣٥	﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ ..﴾	٦٥	١٦١، ٨٦٤
٣٦	﴿ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ﴾	٧٨	٧٧١
٣٧	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾	٨٢	٥٥
٣٨	﴿وَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ كَمَا كَفَرُواْ فَتَكُونُونَ سَوَآءٗۖ﴾	٨٩	٨٦٦
٣٩	{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ ..﴾	٩٤	٨٥٥
٤٠	﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا ..﴾	١٠٨	٥٥٦
٤١	﴿ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ ١١٣﴾	١١٣	٦٣٢
٤٢	﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾	١١٥	٨٦٥
٤٣	﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن﴾	١١٦	٧٣٠
٤٤	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ أَتُرِيدُونَ أَن ..﴾	١٤٤	٨٥٧
٤٥	﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾	١٦٣	٦٠٦، ٦١٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٥-سورة المائدة		
٤٦	﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾	٥	٣٣٢
٤٧	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾	٤٤	٨٦٤
٤٨	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾	٤٥	٨٦٤
٤٩	﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾﴾	٤٧	٨٦٤
٥٠	﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ ..﴾	٤٩	٨٦٤
٥١	﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ ..﴾	٥١	٨٥٧، ٨٦٢، ٨٦٣
٥٢	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ ..﴾	٥٧	٨٥٧
٥٣	﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾	٦٧	،٢٣٢
٥٤	﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ﴾	٧٥	٣٢٣، ٤١٢
٥٥	﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾	٧٧	٦٧٣
٥٦	﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ ﴾	٨٠	٨٥٧
٥٧	﴿وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ ..﴾	٨١	٨٦٠
٥٨	﴿ ۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ ..﴾	١٠٩	٦٦٩
	٦-سورة الأنعام		
٥٩	﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾	٣	٢٦٧، ٢٨٨
٦٠	﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ﴾	٣٨	٧٦٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	وَٱلْبَغْىَ ..﴾		
٧٨	﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ..﴾	٥٧	٣٩٢
٧٩	﴿لَن تَرَىٰنِى﴾	١٤٣	٢٦٧، ٧٥١
٨٠	﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾	١٥٧	٧٨٧
٨١	﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ..﴾	١٧٢	٣٠١
٨٢	﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾	١٨٧	٦٩٨، ٦٩٩

٨-سورة الأنفال

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٨٣	﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾	١٧	٤٦٨
٨٤	﴿وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾	٤٠	٤٧١

٩-سورة التوبة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٨٥	﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	٦	٥٢٤
٨٦	﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ..﴾	١٨	٣٥١، ٨٧٢
٨٧	﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾	٣١	١٩٧
٨٨	﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا﴾	٤١	٨٢١
٨٩	﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ ..﴾	١٠٠	،١٩١
٩٠	﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ ..﴾	١١٣	٦٥٨
٩١	﴿عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾	١١٤	٦٥٨
٩٢	﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ﴾	١٢٠	٨٢١

١٠-سورة يونس

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٣	﴿قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى	١٨	٤٣٠، ٥١٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾		
٩٤	﴿ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾	٢٥	٧٨٠
٩٥	﴿وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ..﴾	٦١	٧٦٧
٩٦	﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣ ﴾	٦٢-٦٣	١٣٩، ٢٨٦، ٦٩١، ٨٢٧
٩٧	﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ ..﴾	١٠١	٢٦٧

١١-سورة هود

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٨	﴿وَيَٰقَوۡمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمۡ ءَايَةٗۖ ﴾	٦٤	٦٣٧

١٢-سورة يوسف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٩٩	﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤۡمِنٖ ﴾	١٧	٨٢٦، ٨٣٣

١٣-سورة الرعد

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٠	﴿ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ﴾	٣١	٢٧٢
١٠١	﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ ﴾	٣٩	٧٦٨

١٤-سورة إبراهيم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٢	﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ ..﴾	١٨	٧٣٩
١٠٣	﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ ٢٧﴾	٢٧	٧١٣، ٧١٤

١٥-سورة الحجر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٤	﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٣٠﴾	٣٠	٥٩١

١٦-سورة النحل

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٥	﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ٩٨ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ ..﴾	٩٨-١٠٣	٥٩٧
١٠٦	﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ﴾	٣٦	٣٠٤، ٣٢٨
١٠٧	﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ﴾	٥٠	٥٧١

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٠٨	﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ..﴾	٥٤	٤٣١
١٠٩	﴿وَأَوۡحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحۡلِ﴾	٦٨	١٦٧
١١٠	﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾	٩٠	٨٦٦

١٧-سورة الإسراء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١١	﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥﴾	١٥	٧٨٦
١١٢	﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ٣٢﴾	٣٢	٧٨٧
١١٣	﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ ..﴾	٣٦	٧١٢
١١٤	﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾	٧٩	٧٣١ ،٧٢٩
١١٥	﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ٨٥﴾	٨٥	٢٣٧، ٤٨٣، ٤٨٤، ٧١٧، ٧١٧،

١٨-سورة الكهف

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٦	﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ ..﴾	٦٦-٧٠	٦٢٧
١١٧	﴿إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا ٧﴾	٧	٦٥٤
١١٨	﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ ..﴾	٢٨	٤٤٧
١١٩	﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ﴾	٢٩	٧٨١، ٧٨٣، ٢٥٣
١٢٠	﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥﴾	٦٥	٦٢٧
١٢١	﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ﴾	٨٢	٦٢٨
١٢٢	﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ}	٨٤	٦٢٣

١٩-سورة مريم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٣	﴿فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧﴾	١٧	٥٧٤، ٥٧٦
١٢٤	﴿سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾	٤٧	٦٥٨

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٢٥	﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾	٥٢	٥٢٤
١٢٦	﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا ..﴾	٥٨	٦٢٣
١٢٧	﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾	٦٠	١٣٩، ٨٢٧
١٢٨	﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ٦٥﴾	٦٥	٢٤٥، ٤٦٢،
١٢٩	﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾	٧١	٧٤٢

٢٠-سورة طه

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٣٠	﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ٥﴾	٥	٢١٤، ٤٨٤، ٤٨٦،
١٣١	﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾	٣٩	٢١٤، ٤٨٦
١٣٢	﴿يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ٦٦﴾	٦٦	٣٧٩، ٣٨٣
١٣٣	﴿وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ٦٩﴾	٦٩	٣٩١
١٣٤	﴿فَيَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبِيۖ ٨١﴾	٨١	٢٧٢
١٣٥	﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا ١١٠﴾	١١٠	٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٤، ٦٧٣
١٣٦	﴿فَأَكَلَا مِنۡهَا فَبَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَعَصَىٰٓ ..﴾	١٢١	٦١٢
١٣٧	﴿ثُمَّ ٱجۡتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيۡهِ وَهَدَىٰ ١٢٢﴾	١٢٢	٦١٢

٢١-سورة الأنبياء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٣٨	﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ١٤﴾	١٤	٧٨٣
١٣٩	﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ٢٠﴾	٢٠	٥٦٩
١٤٠	﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ ..﴾	٢٥	٣٠٤، ٣٢٨
١٤١	﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧﴾	٢٧	٦٧٨
١٤٢	﴿وَمَا جَعَلۡنَا لِبَشَرٖ مِّن قَبۡلِكَ ٱلۡخُلۡدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلۡخَٰلِدُونَ ٣٤﴾	٣٤	٦٢٨
١٤٣	﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ ..﴾	٤٧	٧٣٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	﴿٢٣﴾		
١٥٩	﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ..﴾	٤٨	٣٩٢

٢٦-سورة الشعراء

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٠	﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾	٢١٤	٨١٠

٢٧-سورة النمل

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦١	﴿ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾﴾	٩	٢٦٧
١٦٢	﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾	٦٢	٣٩٣، ٣٩٣
١٦٣	﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾	٦٤	٣٢٣
١٦٤	﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشۡعُرُونَ ..﴾	٦٥	٣٩١، ٦٦٨، ٦٧٥
١٦٥	﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ ﴾	٨٢	٧٠٥

٢٨-سورة القصص

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٦٦	﴿ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ ..﴾	١٥	٤٠٦، **خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.**
١٦٧	﴿ٱسۡلُكۡ يَدَكَ فِي جَيۡبِكَ تَخۡرُجۡ بَيۡضَآءَ مِنۡ غَيۡرِ سُوٓءٖ وَٱضۡمُمۡ إِلَيۡكَ جَنَاحَكَ ..﴾	٣٢	٦٣٧
١٦٨	﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ ﴾	٥٦	٧٨١
١٦٩	﴿ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ ﴿٨٨﴾﴾	٨٨	٢١٤، ٤٨٦، ٥٨٢، ٥٨٣

٢٩-سورة العنكبوت

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٠	﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ..﴾	٦٥	٤٣١

٣٠-سورة الروم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧١	﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾	١٩	٧٢٤
١٧٢	﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	٦٥٠

٣١-سورة لقمان

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٣	﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾	١١	٣٢٣، خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.
١٧٤	﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ وَمَا ..﴾	٣٤	٦٦٧، ٦٦٩

٣٢-سورة السجدة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٥	﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾	٢	٦١٧
١٧٦	﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾	٣٠	٨١٠
١٧٧	﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾	٣٣	٨٧، ٨٠٧، ٨٠٩، ٨١١، ٨١٢
١٧٨	﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ ..﴾	٣٦	٨٦٥
١٧٩	﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾	٤٠	٦٤٣، ٦٤٣

٣٤-سورة سبأ

٣٥-سورة فاطر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٠	﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾	١	٥٦٨، ٥٧٣

٣٦-سورة يس

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨١	﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾	١٢	٧٦٧
١٨٢	﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾﴾	٢٠	٦٠٦
١٨٣	﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم﴾	٧٩-٨٠	٧٢٤
١٨٤	﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾	٨١	٧٢٤

٣٧-سورة الصافات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٥	﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾﴾	٧٧	٦٣٠
١٨٦	﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾﴾	١٠٣	٧٨٦

٣٨-سورة ص

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٧	﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾	٢٩	٤٣٩،
١٨٨	﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾	٨٦	٧٠٩

٣٩-سورة الزمر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٨٩	﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ..﴾	٣	٣٣٨، ٤٢٧،
١٩٠	﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾	٢٢	٧٨٠
١٩١	﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ﴾	٣٦	٤٣٢
١٩٢	﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ..﴾	٤٥	٢٨٠
١٩٣	﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ۖ ﴾	٦٢	٢٧٨، ٧٧١
١٩٤	﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾	٦٥	٣٣٢،
١٩٥	﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ ﴾	٦٧	٢١٤، ٤٨٣، ٤٨٦

٤٠-سورة غافر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٦	﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ ﴾	١٦	٥٨٢
١٩٧	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ ..﴾	٥٦	٧٠٥
١٩٨	﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ ﴾	٧٨	٦٠٧

٤١-سورة فصلت

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
١٩٩	﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ ﴾	١٧	٧٨٠

٤٢-سورة الشورى

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٠٠	﴿لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾﴾	٤	٤٧٠، ٥٥٦
٢٠١	﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ ﴾	٢١	٤٠٤
٢٠٢	﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ ﴾	٢٣	٨٠٥، ٨٠٦
٢٠٣	﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن	٤٩	٦٥٤

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢١٩	﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ۝٤﴾	٤	٥٧٠، ٥٧١
٢٢٠	﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ ..﴾	٢٥	٥٧٦
٢٢١	﴿فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤﴾	٥٤	٢٣٣

٥٣-سورة النجم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٢	﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣﴾	٣	١٢٤، ٤٦٨، ٦٣٢
٢٢٣	﴿ وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾	٤	٦٣٢
٢٢٤	﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ ﴾	٥-٨	٧٥٢، ٧٥٩، ٧٦٠
٢٢٥	﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾	١١	٧٥٨
٢٢٦	﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣﴾	١٣	٧٥٨، ٧٥٨

٥٤-سورة القمر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٧	﴿حِكۡمَةُۢ بَٰلِغَةٞۖ﴾	٥	٧٩٠

٥٥-سورة الرحمن

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٢٨	﴿عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾	٤	٥٩٥
٢٢٩	﴿وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ۝٢٧﴾	٢٧	٢١٤، ٤٨٦
٢٣٠	﴿ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ۝٢٩﴾	٢٩	٢٦٧، ٤٦٩

٥٧-سورة الحديد

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣١	﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾	٤	٥٥٥،

٥٨-سورة المجادلة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٢	﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ ..﴾	٧	٥٥٥

٥٩-سورة الحشر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٣	﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ ۝٧﴾	٧	١٢٤، ٦٣٢

٦٠-سورة الممتحنة

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٤	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ﴾	١	٨٥٧
٢٣٥	﴿إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ۝٢﴾	٢	٨٦٦

٦٥-سورة الطلاق

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٦	﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ ..﴾	١٢	٧٩٠

٦٦-سورة التحريم

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٧	﴿ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾	٦	٥٨٠، ٦٧٨

٦٧-سورة الملك

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٨	﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾	١٦	٢٨٨

٧٢-سورة الجن

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٣٩	﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا ١٠﴾	١٠	٧٧١
٢٤٠	﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾	٢٧	٦٢٢، ٦٦٣، ٦٧١، ٦٧٣

٧٤-سورة المدثر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤١	﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ٢٥﴾	٢٥	٥٢٩
٢٤٢	﴿لَا تُحَرِّكۡ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعۡجَلَ بِهِۦٓ ١٦﴾	١٦	٥٩٥

٧٨-سورة النبأ

٧٩-سورة النازعات

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٣	﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾	٥	٥٧٠، ٥٧١

٨١-سورة التكوير

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٤	﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣﴾	٢٣	٧٥٧
٢٤٥	﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾	٢٩	٧٧٢

٨٣-سورة المطففين

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٦	﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾	٤-٦	٦٩٤، ٧٢٤، ٧٢٣
٢٤٧	﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ ﴾	٢٦	٦٤٢

٨٩-سورة الفجر

٩٣-سورة الضحى

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٤٨	﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ٥﴾	٥	٢٣٦
٢٤٩	﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ٧﴾	٧	٦٠٩

٩٧-سورة القدر

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٥٠	﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ٣﴾	٣	٨٨٢، ٨٨٧

م	طرف الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	٩٨-سورة البينة		
٢٥١	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ⁧٧⁩﴾	٧	٥٨٦
	٩٩-سورة الزلزلة		
٢٥٢	﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ⁧٧⁩ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ⁧٨⁩﴾	٧-٨	٨٦١
٢٥٣	﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ⁧٧⁩﴾	٧	٧٣٧
	١٠١-سورة القارعة		
٢٥٤	﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ⁧٦⁩ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ⁧٧⁩ وَأَمَّا مَنۡ ..﴾	٩-٦	٧٣٥
	١٠٦- سورة قريش		
	١١١-سورة المسد		
٢٥٥	﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ⁧١⁩ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ⁧٢⁩ ..﴾	١-٣	٨١٠
	١١٢-سورة الإخلاص		
٢٥٦	﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ⁧١⁩﴾	١	٢٥٦
٢٥٧	﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ⁧٢⁩﴾	٢	٤٦٩
٢٥٨	﴿لَمۡ يَلِدۡ﴾	٣	٥٠٢
٢٥٩	﴿ أَحَدُۢ ⁧٤⁩﴾	٤	٢٤٥، ٤٧٨
	١١٣-سورة الفلق		
٢٦٠	﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ⁧٢⁩﴾	٢	٧٦٩، ٧٧١، ٧٧١
	١١٤-سورة الناس		
٢٦١	﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ⁧٢⁩ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ⁧٣⁩﴾	٣-٢	٢٦١،
٢٦٢	﴿ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ⁧١⁩﴾	١	٢٦١، ٧٦٩

فهرس الأحاديث النبوية والآثار

م	طرف الحديث/ الأثر	الصفحة
٦٤-	ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام	٧٦٧
٦٥-	حجابه النور-وفي رواية النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه	٥٣٦
٦٦-	حوضي مسيرة شهر	٧٤٥
٦٧-	خرج النبي -صلى الله عليه وسلم- غداة وعليه مرط مرحّل	٨١٢
٦٨-	خرج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالهاجرة إلى البطحاء	٤٣٩
٦٩-	خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعا	٥٤٢، ٥٤٦
٧٠-	خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار	٥٦٨، ٥٧٣، ٦٥٠
٧١-	خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم	٣٠٢
٧٢-	خير القرون قرني الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم	٧٩٩
٧٣-	خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم	٧٩٨
٧٤-	الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة المسلمين	٨٢١
٧٥-	رأيت ربي في أحسن صورة	٥٤٣، ٥٤٤
٧٦-	رفع القلم عن ثلاثة	١٨٥
٧٧-	سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب	٧٤٤
٧٨-	شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة	٧٣٠
٧٩-	الصور قرن ينفخ فيه	٧٢٧
٨٠-	الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان	٧٣٥
٨١-	العبد إذا وضع في قبره وتولي وذهب أصحابه، حتى إنه ليسمع	٧١٤
٨٢-	فأقول: رب، إنه من أمتي فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك	٦٧٢
٨٣-	فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله	٥٤٠
٨٤-	فإن الله خلق آدم على صورته	٥٤٢، ٥٤٥
٨٥-	فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم	٥٧٧

فهرس الأعلام

م.	العلم	الصفحة
٢١-	أحمد جمال باشا	١٦
٢٢-	إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن أبي طالب	٤٠
٢٣-	إدريس بن الطائع الكتاني	٣
٢٤-	إدريس بن محمد بن جعفر الكتاني	٤٦
٢٥-	إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد النيسابوري الصابوني الشافعي	٢٥٢
٢٦-	إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني الشافعي	٤٥٦
٢٧-	توفيق بن محمد بن سعدي الأيوبي الدمشقي	١٠٧
٢٨-	أبو جعفر الأسترابادي	٣٨٣
٢٩-	جمال الدين بن صفدر الحسيني الأفغاني	٤٨
٣٠-	الجيلاني بن عبد السلام الزرهوني	٧
٣١-	حافظ بن أحمد بن علي الحكمي	٣٥٤
٣٢-	حبيبة بنت محمد بن جعفر الكتاني	٤٦
٣٣-	الحسن بن علي بن خلف البربهاري، أبو محمد	٢١١
٣٤-	الحسن بن محمد العلوي	٩٨
٣٥-	الحسن بن محمد بن عبد الرحمن بن هشام ابن الشريف	٣
٣٦-	حسن تحسين باشا	٢٠
٣٧-	الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الفقيه	٧٠٠
٣٨-	الحسين بن جعفر الكتاني	٤٥
٣٩-	الحسين بن علي بن محمد بن عبد المعين	١٣
٤٠-	الحسين بن منصور أبو مغيث	٢٧١
٤١-	حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي الخطابي الشافعي	٣٠٩
٤٢-	خديجة بنت محمد بن جعفر الكتاني	٤٦

م.	العلم	الصفحة
١٧٤-	محمد سعد الدين بن محمد بن جعفر الكتاني	٤٦
١٧٥-	محمد عز الدين بن محمد بن جعفر الكتاني	٤٦
١٧٦-	محمد ناصر الدين بن نوح الألباني	٤٠٣
١٧٧-	محمد يحيى بن محمد بن جعفر الكتاني	٤٦
١٧٨-	محمود بن عمر بن محمد الزمخشري	٢٠٠
١٧٩-	محمود شكري الألوسي	٦٥
١٨٠-	مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف بن أحمد الكرمي المقدسي	٧١٠
١٨١-	مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي	٦٣٩
١٨٢-	مصطفى كامل باشا	٢٢
١٨٣-	المعز معد بن إسماعيل بن سعيد بن عبد الله، أبو تميم	٨٨١
١٨٤-	منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد السمعاني التميمي المروزي	٥٥
١٨٥-	موحى أوحمو الزياني	٢٣
١٨٦-	نعمان خير الدين الألوسي	١٤٨
١٨٧-	هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي	٤٦٠
١٨٨-	وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي	٥٤٠
١٨٩-	يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي	٢٩٤
١٩٠-	يحيى بن شرف بن مُري بن حسن بن حسين الحزامي النووي	١٨٦
١٩١-	يحيى بن عمران	٣٤
١٩٢-	يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري	٢٠٩
١٩٣-	يوسف بن الحسن	٢
١٩٤-	يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النميري المالكي	١٣٢

فهرس الفرق والطوائف

فهرس الألفاظ والمصطلحات الغريبة

فهرس الأبيات الشعرية

الشطر الأول	الشطر الثاني	الصفحة
وضـــــدها ممتنـــــع ثم الكمـــــال	لله والـــنقص قـــد غـــدا محـــال	٧١
نهايـــة إقـــدام العقـــول عقـــال	وغايـــة ســـعي العـــالمين ضـــلال	٢١١
كـــذا باقـــي ضـــدها محـــال	إذ لهـــم مـــن ربنـــا الكمـــال	٧١، ٦٠٧
أنــتم حمــاة الحـــي يا غـــوث الـــورى	نصـرا لنـا عـونا عيـانا عـن عجـل	٣٩٧، ٤٠٦
إني أتيـــت لبـــابكم مستصـــرخا	يا مـــن بهـــم كـــل الأمـــاني والأمـــل	٣٩٧، ٤٠٦
تطلـب الفقـه كـي تصـحح حكمـا	ثم أغفلـــت منـــزل الأحكـــام	٢١٠
وسمعـــــه والبصـــــر الكـــــلام	دليلهـــــا نقلـــــه الأعـــــلام	٧١
أيُّهـــا المقتـــدي لتطلـــب علمـــا	كـــل علـــم عبـــد لعلـــم الكـــلام	٢١٠
حمـــدا لمـــن أوجـــدنا مـــن العـــدم	وخصـــنا بخـــير مـــن لـــه القـــدم	٧١
محمـــد جُلِّيـــت بالنـــور طينتـــه	محمـــد لم يـــزل نـــورا مـــن القـــدم	٧٧، ٢٨٤
السلام عليك يا كعبة الطواف والمقام	صـلى الله عليـك وعلـى آلـك وسـلم	٧٧
الســلام عليــك قبلــة كــل موجــود	صـلى الله عليـك وعلـى آلـك وسـلم	٧٧
محمـــد زينـــة الـــدنيا وبهجتهـــا	محمـــد كاشـــف الغمـــات والظلـــم	٧٧، ٢٨٤
إن مـــن جـــودك الـــدنيا وضـــرتها	ومـــن علومـــك علـــوم اللـــوح والقلـــم	٦٦٣
والتمســـوا الحاجـــات مـــن مـــوتاهم	واتخـــــذوا إلههـــــم هـــــواهم"	٣٥٤
يختـــار هـــذا القـــول في تفســـيره	أدرى مـــــن الجهمـــــي بالقـــــرآن	٥٦١
وهـــــي اســـــتقر وقـــــد عـــــلا	كـذلك ارتفع الـذي مـا فيـه مـن نكـران	٥٦١
فلهـــم عبـــارات عليهـــا أربـــع	قـــد حصـــلت للفـــارس الطعـــان	٥٦١
وهـــو المغيـــث لكـــل مخلوقاتـــه	وكـــذا يجيـــب إغاثـــة اللهفـــان	٤٠٧
لله حـــق لا يكـــون لغـــيره	ولعبـــده حـــق همـــا حقـــان	٦٣٤
لا تجعلـــوا الحقـــين حقـــا واحـــدا	مـــن غـــير تمييـــز ولا فرقـــان	٦٣٤
فهـــذا شـــقي وهـــذا ســـعيد	وهـــذا قبـــيح وهـــذا حســـن	٧٦٨
خلقـــت العبـــاد علـــى مـــا علمـــت	ففـــي العلـــم يجـــري الفـــتى والمســـن	٧٦٨

فهرس المصادر والمراجع

– أولا: القرآن الكريم.

– ثانيا: كتب محمد بن جعفر الكتاني:

١. الأربعون الكتانية في فضل آل بيت خير البرية، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: الشريف محمد بن حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٩م.

٢. إرشاد العوام لما به العمل في الصيام، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: فاطمة البقالي، ليلى الونسعيدي، ومراجعة حمزة بن علي الكتاني، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٩هـ.

٣. إرشاد المالك لما يجب عليه من مواساة الهالك، أو تنبيه الأغنياء والسادات على ما يجب عليهم وقت المجاعة من المواساة، محمد بن جعفر الكتاني، مطبعة الترقي، دمشق ١٣٣٦هـ.

٤. إعلان الحجة وإقامة البرهان على منع ما عمّ وفشا من استعمال عشبة الدخان، أو حكم التدخين عند الأئمة الأربعة وغيرهم، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد الفاتح الكتاني، مكتبة الغزالي، دمشق، ط١، ١٤١١هـ.

٥. الأقاويل المفصلة لبيان حال حديث الابتداء بالبسملة، محمد بن جعفر الكتاني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٣٢٩هـ.

٦. تفسير مختصر لسورة الإخلاص والمعوذتين، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٩٩جك-٠٧١).

٧. تقريظ المسامع بشرح كتاب الجامع، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٩٧جك-٠٧١ -).

٨. تقييد تفسير الاستطاعة في الحج، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط.

٩. جلاء القلوب من الأصداء الغينية ببيان إحاطته عليه السلام بالعلوم الكونية، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: أحمد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٠. جواب عن خمس مسائل تتعلق بالعيد، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٩٢جك-٠٧١-).

١١. حاشية على شرح ميارة الصغير للمرشد المعين، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٥٧جك-٠٦٨-).

١٢. حكم الاحتماء بالنصارى، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٨٦جك-٠٧١-).

١٣. الدعامة في أحكام سنة العمامة، لمحمد بن جعفر الكتاني، مطبعة الفيحاء، دمشق، ط١،

١٣٤٢هـ.

١٤. الرحلة السامية إلى الإسكندرية ومصر والحجاز والبلاد الشامية، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

١٥. الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لمحمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد بن محمد الزمزمي الكتاني، دار البشائر الإسلامية، بيروت ط٥، ١٤١٤هـ.

١٦. رسالة في أجوبة مسائل فقهية ثلاث، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٩٣جك-٠٧١).

١٧. رسالة في شرح البسملة بما يناسب مدح النبي -صلى الله عليه وسلم-، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٦٧جك-٠٧١).

١٨. رفع الملامة ودفع الاعتساف عن المالكي إذا بسمل في الفريضة خروجا عن الخلاف، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (تحت١٥٦جك-٠٦٨-).

١٩. السفر الصوفي، يتضمن: الإجازة الأيوبية، اسعاف الراغب الشائق بخبر ولادة خير الأنبياء وسيد الخلائق، اليمن والإسعاد بمولد خير العباد، نيل المنى وغاية السول بذكر معراج النبي الرسول، الورد الشريف، محمد بن جعفر الكتاني، جمعه: أسامة بن محمد الكتاني، محمد الزمزمي الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٠. سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمر أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: عبد الله الكتاني وآخرون، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢١. سلوك السبيل الواضح لبيان أن القبض في الصلوات مشهور وراجح، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٥٢جك-٠٦٨-).

٢٢. شرح أول حديث في صحيح البخاري، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٨١جك-٠٧١).

٢٣. شرح ختم الموطأ، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٧٨جك-٠٧,٣)

٢٤. شرح ختم شمائل الترمذي، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٨٠جك-٠٧١).

٢٥. شرح ختم صحيح البخاري، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٧٧جك-٠٧١).

٢٦. شرح ختم صحيح مسلم، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط،

(١٧٩جك-٠٧١).

٢٧. شرح على دلائل الخيرات، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٨٣جك-٠٧١).

٢٨. شفاء الأسقام والآلام بما يكفر ما تقدم وما تأخر من الذنوب والآثام، ويليه بلوغ القصد والمرام ببيان بعض ما تنفر عنه الملائكة الكرام، محمد بن جعفر الكتاني، المطبعة الحسينية، مصر، ط١ ١٣٢٥هـ.

٢٩. فتــــــوى في مســــــــألة خلــــــع الحــــــاكم منشــــــــورة:(https://islamsyria.com/site/show_consult/512).

٣٠. الكشف والبيان لما يرجع لأحوال المكلفين في عقائد الإيمان، محمد بن جعفر الكتاني، دراسة وتحقيق: عبد الرحمن علوش، إشراف إدريس خليفة، رسالة دكتوراه، كلية أصول الدين، جامعة القرويين، عام١٤٢٢-١٤٢٣هـ.

٣١. مجموع مسلسلات في الحديث، محمد بن جعفر الكتاني، تخريج وتعليق: أبي الفضل بدر بن عبد الإله الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٣٢. مسائل تتعلق بسلب الإرادة وطريق القوم، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٦٧جك-٠٧٠).

٣٣. المطالب العزيزة الوفية في تكلمه -صلى الله عليه وسلم- بغير اللغة العربية، محمد بن جعفر الكتاني، مخطوط، المكتبة الوطنية العامة بالرباط، (١٧٥جك-٠٧١-).

٣٤. النبذة اليسيرة النافعة التي هي لأستار جملة من أحوال الشعبة الكتانية رافعة، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: محمد الفاتح الكتاني، محمد عصام عرار، دار الثقافة، دمشق، ط١، ١٤١٩هـ.

٣٥. نصيحة أهل الإسلام بما يدفع عنهم داء الكفرة اللئام، محمد بن جعفر الكتاني، تقديم: محمد إبراهيم الكتاني، تحقيق: إدريس الكتاني، مكتبة بدر، الرباط، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

٣٦. نظم المتناثر من الحديث المتواتر، محمد بن جعفر الكتاني، تحقيق: شرف حجازي، دار الكتب السلفية، مصر، ط٢ (بدون تاريخ الطبع).

- **ثالثا: المصادر والمراجع الأخرى:**

١. الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: فوقية محمود، دار الأنصار، القاهرة، ط١، ١٣٩٧هـ.

٢. الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة، ابن بطة العكبري، تحقيق: مجموعة من

المحققين، دار الراية، الرياض، ط٢، ١٤١٥هـ.

٣. الابتهاج في أحاديث المعراج، لابن دحية الكلبي، تحقيق: رفعت فوزي عبد المطلب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.

٤. الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز الدباغ، تأليف سيدي أحمد المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٣هـ.

٥. إبطال التأويلات لأخبار الصفات، لأبي يعلى الفراء، تحقيق: محمد الحمود النجدي، إيلاف الدولية، الكويت، ط١، ١٤١٠هـ.

٦. البحر المسجور في الرد على من أنكر فضل الله بالمأثور، محمد بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.

٧. اتباع السنن واجتناب البدع للضياء المقدسي، تحقيق: محمد الأرنؤوط، دار ابن كثير، دمشق، ط١، ١٤٠٧هـ.

٨. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لعبد الرحمن بن زيدان، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٩. اتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة، حمود التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ.

١٠. إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، لابن سودة عبد السلام بن عبد القادر، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

١١. اتحاف ذوي العناية، محمد العزوزي، مطبعة الإنصاف بيروت، ١٣٧٠هـ.

١٢. الاتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ.

١٣. إتمام الأعلام، ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي، لنزار أباظة، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

١٤. آثار ابن باديس، تحقيق: عمار طالبي، دار الشركة الجزائرية، ط١، ١٣٨٨هـ.

١٥. آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧م.

١٦. الآثار النبوية، أحمد تيمور باشا، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٣٧٠هـ.

١٧. الآثار لمحمد بن الحسين، تحقيق: أبو الوفاء الأفغاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

١٨. إثبات الأشاعرة صفتي السمع والبصر لله تعالى عرض ونقد، صالح سندي، دار اللؤلؤة، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
١٩. إثبات الشفاعة، للذهبي، تحقيق: إبراهيم عبد المجيد، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٠. إثبات صفة العلو، لابن قدامة، تحقيق: بدر البدر، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.
٢١. إثبات عذاب القبر وسؤال الملكين، للبيهقي، تحقيق: شرف القضاة، دار الفرقان، عمان، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٢٢. إثبات علو الله ومباينته لخلقه، لحمود التويجري، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.
٢٣. اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.
٢٤. الاجتهاد والمجتهدون بالأندلس والمغرب، محمد بن إبراهيم الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٢٥. الحكمة والتعليل في أفعال الله، لمحمد بن هادي المدخلي، مكتبة لينة، ط١، ١٤٠٩هـ.
٢٦. الاحتجاج بالأثر على من أنكر المهدي المنتظر، حمود التويجري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ط١، ١٤٠٣هـ.
٢٧. أحكام الجنائز، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٦هـ.
٢٨. أحكام الرقى والتمائم، فهد السحيمي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
٢٩. الأحكام السلطانية لأبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢١هـ.
٣٠. الأحكام السلطانية للماوردي، دار الحديث، القاهرة، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٣١. أحكام القرآن للجصاص، تحقيق: محمد قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ.
٣٢. أحكام القرآن، لابن العربي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.
٣٣. الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، تحقيق: أحمد شاكر، دار الآفاق الجديدة، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٣٤. الإحكام في أصول الأحكام، للآمدي، تحقيق: عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت.
٣٥. إحياء علوم الدين، للغزالي، دار المعرفة، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٣٦. أخبار الآحاد في الحديث النبوي، لابن جبرين، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.
٣٧. أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، أحمد القرماني، تحقيق: فهمي سعد، أحمد حطيط، عالم

الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٣٨. الاختيارات العلمية في اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية، تأليف: علي بن محمد البعلي الدمشقي، مطبعة كردستان، ١٣٢٩هـ.

٣٩. أخلاق العلماء للآجري، تحقيق: إسماعيل الأنصاري، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٠. أداء الحق الفرض في الذين يقطعون ما أمر الله به ويفسدون في الأرض، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، دار البصائر. القاهرة، مصر، ط١-٢٠١٤م.

٤١. أداء ما وجب من بيان وضع الوضاعين في رجب، لابن دحية الكلبي، تحقيق: محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٢. آداب البحث والمناظرة محمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: سعود العريفي، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٦هـ.

٤٣. الآداب الشرعية، لابن مفلح، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ.

٤٤. آداب المريدين، للسهروردي، تحقيق: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٥م،

٤٥. الأدب المفرد، للبخاري، دار البشائر، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط٣، ١٤٠٩هـ،

٤٦. الأدب في ظل الحكم العثماني، أحمد كيلاني، دار الفرجاني، القاهرة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٧. أدلة معتقد أبي حنيفة الأعظم في حق أبوي الرسول، للقاري، تحقيق: مشهور بن حسن بن سلمان، مكتبة الغرباء الأثرية، ط١، ١٤١٣هـ.

٤٨. أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨٤م.

٤٩. الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة، محمد صديق خان القنوجي، عناية: بسام عبد الوهاب، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٠. الأربعون النووية، للنووي، تحقيق: قصي الحلاق، أنور الشيخي، دار المنهاج، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.

٥١. الأربعين في أصول الدين، للرازي، تحقيق: أحمد حجازي، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٩٨٦م.

٥٢. إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، للقسطلاني، المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٥٣. إرشاد الطالب إلى أهم المطالب، لابن سحمان، مطبعة المنار، مصر، ١٣٤٤هـ.

٥٤. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، تحقيق: أحمد عناية، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٩هـ.
٥٥. الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، للجويني، تحقيق: أحمد السايح وآخرون، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ.
٥٦. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، إشراف: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.
٥٧. الأزهر في ألف عام، محمد خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر، ط٣، ١٤٣٠هـ.
٥٨. أساس البلاغة، للزمخشري، دار الكتب العلمية، تحقيق: محمد باسل، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٥٩. استجلاب ارتقاء الغرف بحب أقرباء الرسول-صلى الله عليه وسلم-وذوي الشرف، للسخاوي، تحقيق: خالد بابطين، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١.
٦٠. الاستذكار الجامع لمذهب فقهاء الأمصار، لابن عبد البر، تحقيق: سالم محمد عطا، وآخرون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
٦١. الاستعمار الفرنسي في أفريقيا السوداء، فونداسي فيليب، باريس عام ١٩٥٩، ترجمة ونشر دار الفكر، دمشق.
٦٢. الاستغاثة في الرد على البكري، لابن تيمية، تحقيق: عبد الله السهلي، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.
٦٣. الاستقامة، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٣هـ.
٦٤. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، لأحمد بن خالد الناصري، تحقيق: جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، والدار البيضاء، ١٤١٨هـ.
٦٥. الاستيطان والحماية، لمصطفى بوشعراء، تقديم عبد الوهاب بومنصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٩٨٤م.
٦٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، تحقيق: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
٦٧. أسرار الانقلاب العثماني، مصطفى طوران، ترجمة: كمال خوجة، دار السلام، مصر، ط٤، ١٤٠٥هـ.
٦٨. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة المعروف: بالجوزي الكبرى، لعلي القاري، تحقيق: محمد الصباغ، دار الأمانة، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٩. إسعاف الإخوان الراغبين بتراجم ثلة من علما المغرب المعاصرين، لابن الحاج السلمي، تقديم عبد الله كنون، مطبعة الدار البيضاء، ط١، ١٤١٢هـ.
٧٠. اسم الله الأعظم، لعبد الله الدميجي، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
٧١. أسماء الله الحسنى، لعبد الله الغصن، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
٧٢. الأسماء والصفات، للبيهقي، تحقيق عبد الله بن محمد الحاشدي، مكتبة السوادي، جدة، ط١، ١٤١٣هـ.
٧٣. أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، لأبي عبد الرحمن الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٧٤. أسنى المطالب في شرح روض الطالب وبهامشه حاشية الرملي، لزكريا الأنصاري، دار الكتاب الإسلامي، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٧٥. الاشاعة لأشراط الساعة، للبرزنجي، تحقيق: حسين محمد شكري، دار المنهاج، ط٢، ١٤٢٦هـ.
٧٦. الأشباه والنظائر للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
٧٧. اشتقاق أسماء الله، للزجاجي، تحقيق: عبد الحسين المبارك، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٧٨. الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف، للقاضي محمد الطالب ابن الحاج، تحقيق: جعفر ابن الحاج السلمي، المكتبة الحيدرية، قم الجمهورية الإيرانية، ط١، ١٤٢٦هـ.
٧٩. أشرف الوسائل إلى فهم الشّمائل، ابن حجر الهيتمي، تحقيق: أحمد بن فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٨٠. أصفى الموارد في الرد على غلو المطرين لرسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأهل الموالد، عبد الرحمن النتيفي الجعفري، تحقيق: محمد الجندبي، رسالة علمية، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ١٤٣٦هـ.
٨١. أصول الإيمان، لمحمد بن عبد الوهاب، تحقيق: باسم الجوابرة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٠هـ.
٨٢. أصول الفلسفة الإشراقية عند شهاب الدين السهروردي، محمد على أبو ريان، مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ط١، ١٩٥٩م.
٨٣. الأصول الثلاثة وأدلتها لمحمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط١٠، ١٤٢٠هـ.
٨٤. أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت،

ط١، ١٤٢٣هـ.

٨٥. أصول السنة، لابن أبي زمنين، تحقيق: محمد بن عبد الله البخاري، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٥هـ.

٨٦. أصول السنة، للإمام أحمد بن حنبل، دار المنار، الخرج، ط١، ١٤١١هـ.

٨٧. أصول الكافي، للكليني، منشورات الفجر، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ.

٨٨. أصول مذهب الشيعة الإمامية الإثني عشرية – عرض ونقد، لناصر القفاري، ط١، ١٤١٤هـ.

٨٩. الأصول المنهجية للطرق الصوفية، سليمان بن صفيه، مجلة الدراسات العقدية، إصدار الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، العدد١٨، محرم، عام ١٤٣٨هـ.

٩٠. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، دار الفكر، بيروت، عام ١٤١٥هـ.

٩١. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، صالح الفوزان، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٢٣هـ.

٩٢. العلمانية والمذهب المالكي، مصطفى باحُّو السلاوي المغربي، جريدة السبيل، المغرب، ١٤٣٣هـ.

٩٣. الاعتصام للشاطبي، تحقيق: محمد الشقير وآخرون، دار ابن الجوزي، ١٤٢٩هـ.

٩٤. اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، للرازي، تحقيق: علي النشار، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢هـ.

٩٥. إعجاز القرآن، للباقلاني، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط٥، ١٩٩٧م.

٩٦. أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، تحقيق: محمد آل سعود، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٨هـ.

٩٧. أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، حافظ حكمي، تحقيق: حازم القاضي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٩٨. الأعلام الشرقية في المائة الرابعة عشرة الهجرية، زكي محمد مجاهد، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

٩٩. أعلام العراق، محمد بهجت الأثري، المطبعة السلفية، مصر، ١٣٤٥هـ.

١٠٠. أعلام المغرب العربي، عبد الوهاب منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ١٣٩٩هـ.

١٠١. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٣م.

١٠٢. أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع الهجري، عبد الله المعلمي، مؤسسة الفرقان، ط١، ١٤٢١هـ.

١٠٣. أعلام النبوة، للماوردي، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١،

١٩٨٧م.

١٠٤. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، لابن القيم، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، ط٢، ١٣٩٥هـ.

١٠٥. الغنية عن الكلام وأهله، الخطابي، دار المنهاج، مصر، ١٤٢٥هـ.

١٠٦. الفجر الصادق المشرق المفلق في إبطال ترهات الثرثار المتشدق المتفيهق، جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق: عدنان بن عبد الله زهار، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

١٠٧. أقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات والآيات المحكمات والمتشابهات، لمرعي الكرمي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

١٠٨. الاقتصاد في الاعتقاد، لابن قدامة المقدسي، تحقيق: أحمد بن عطية الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ.

١٠٩. الاقتصاد في الاعتقاد، لأبي حامد الغزالي، تحقيق: عبد الله محمد الخليلي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

١١٠. الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، للطوسي، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١١١. اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لابن تيمية، تحقيق: ناصر العقل، دار العاصمة، الرياض، ط٦، ١٤١٩هـ.

١١٢. إكليل الكرامة في تبيان مقاصد الإمامة، لصديق حسن القنوجي، مجموعة من المحققين، ط١، ١٤١١هـ.

١١٣. الإكليل في المتشابه والتأويل، ابن تيمية، تحقيق: محمد الشيمي شحاته، دار الإيمان، مصر (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

١١٤. إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، مصر، ط١، ١٤١٩هـ.

١١٥. الألفاظ الموضحات لأخطاء دلائل الخيرات، عبد الله الدويش، تحقيق: عبد العزيز المشيقيح، دار العليان، ط١، ١٤١١هـ.

١١٦. الأم، للشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ.

١١٧. الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع للسيوطي، تحقيق: ذيب القحطاني، مطابع الرشيد، ١٤٠٩هـ.

١١٨. الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٨هـ.

١١٩. انتفاضة الشاوية سنة ١٩٠٩هـ، دراسة ووثائق تاريخية، ملاحق أدبية، لأحمد زيادي، دار قرطبة،

الدار البيضاء، ط١، ١٩٨٦م.
١٢٠. الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء مالك والشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهم، لابن عبد البر، دار الكتاب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
١٢١. الإنسان الكامل للجيلي، تحقيق: صلاح عويضة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
١٢٢. الإنسان مسير أم مخير، محمد سعيد البوطي، دار الفكر، ط٢، ١٤٢٢هـ.
١٢٣. الانصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف، للصنعاني، تحقيق: عبد الرزاق البدر، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢١هـ.
١٢٤. الإنصاف في مسائل الخلاف، لكمال الدين الأنباري، دار الفكر، دمشق (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
١٢٥. الإنصاف فيما قيل في المولد من الغلو والإجحاف، أبو بكر الجزائري، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤٠٥هـ.
١٢٦. الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: محمد زاهر الكوثري، المكتبة الأزهرية، القاهرة، ط٢، ١٤٢١هـ.
١٢٧. الأنوار الجلية في مختصر الأثبات الحلبية، لراغب الطباخ، تحقيق: عبد الستار أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ.
١٢٨. الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية، لعبد الوهاب الشعراني، المطبعة العامرة الشرفية، مصر، ط١، ١٣١٧هـ.
١٢٩. الأنوار في نسب آل النبي المختار، لابن جزي الكلبي، تحقيق: مهدي الرجائي، مكتبة سماحة آية الله العظمى المرعشي، إيران، ط١، ١٤٣١هـ.
١٣٠. الأنور القدسية في معرفة قواعد الصوفية، لعبد الوهاب الشعراني، تحقيق: طه عبد الباقي سرور، محمد عيد الشافعي، مكتبة المعارف، بيروت، ١٤٠٨هـ.
١٣١. أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور، لابن رجب، تحقيق: خالد العلمي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.
١٣٢. أوائل المقالات، للمفيد بن محمد بن النعمان، تحقيق: إبراهيم الأنصاري، ط١، ١٤١٣هـ، المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد.
١٣٣. أوثق عرى الإيمان، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار القاسم، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ.
١٣٤. الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف، لابن المنذر، تحقيق: أبو حماد صغير أحمد حنيف، دار

طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٣٥. الآيات البينات في شرح وتخريج الأحاديث المسلسلات، عبد الحفيظ الفاسي، المطبعة الوطنية، الرباط (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

١٣٦. إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى مذهب الحق من أصول التوحيد، لابن الوزير اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

١٣٧. إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة، للصنعاني، تحقيق: محمد صبحي حلاق، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٣٨. الإيمان لابن منده، تحقيق: علي الفقيهي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ،

١٣٩. الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام، تحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٤٠. الإيمان، لابن تيمية، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، الأردن، ط٥، ١٤١٦هـ.

١٤١. الإيمان للعدني، تحقيق: حمد الجابري، الدار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٤٢. الباعث الحثيث إلى اختصار علوم الحديث، لابن كثير، تحقيق: احمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.

١٤٣. الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة، تحقيق: عثمان عنبر، دار الهدى، القاهرة، ط١، ١٣٩٨هـ.

١٤٤. بحار الأنوار للمجلسي، تحقيق: محمد الباقر البهبودي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٣هـ.

١٤٥. بحر الكلام، للنسفي، تحقيق: ولي الدين الفرفور، مكتبة دار الفرفور، دمشق، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٤٦. البحر المحيط في أصول الفقه، للزركشي، تحقيق: محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ.

١٤٧. البحر المحيط، الفيروز أبادي، تحقيق مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسُوسي، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ.

١٤٨. البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٩هـ.

١٤٩. بدائع السلك في طبائع الملك، لابن الأزرق، تحقيق: علي النشار، وزارة الإعلام، العراق، ط١.

١٥٠. بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، للكاساني، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ.

١٥١. بدائع الفوائد، لابن القيم، تحقيق: هشام عبد العزيز عطا، وآخرون، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٦هـ.

١٥٢. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، دار المعرفة، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
١٥٣. بدع القراء، بكر أبو زيد، دار الفاروق، الطائف، ط١، ١٤١٠هـ.
١٥٤. البدع والنهي عنها، لابن وضاح، تحقيق: عمرو عبد المنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.
١٥٥. البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها، لعزت علي عطية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ.
١٥٦. البردة للبوصيري، تعليق عبد الرحمن محمود، مكتبة الآداب، القاهرة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
١٥٧. البرهان في أصول الفقه، للجويني، تحقيق: عبد العظيم الديب، دار الوفاء، مصر، ط٤، ١٤١٨ هـ.
١٥٨. البرهان في بيان القرآن، لابن قدامة، تحقيق: سعود الفنيسان، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية، الرياض، ط٢، ١٤٠٩هـ.
١٥٩. البرهان في علوم القرآن، للزركشي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦هـ.
١٦٠. البرهان في معرفة عقائد الأديان، لأبي الفضل السكسكي، تحقيق: بسام عموش، مكتبة المنار، ط٢، ١٤١٨هـ.
١٦١. بصائر الدرجات الكبرى، للصفار، شركة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ.
١٦٢. بغية المرتاد، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: موسى سليمان الدويش، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٤٠٨هـ.
١٦٣. بهجة الناظرين وآيات المستدلين، مرعي الكرمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٦هـ.
١٦٤. بهجة النفوس وتحليها بمعرفة مالها وما عليها، لابن أبي حمزة، مطبعة الصدق الخيرية، مصر، ط١، ١٣٤٨هـ،
١٦٥. بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب، لشمس الدين الأصفهاني، تحقيق: محمد مظهر بقا، دار المدني، السعودية، ط١، ١٤٠٦هـ.
١٦٦. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أو نقض تأسيس الجهمية، لابن تيمية، مجموعة من المحققين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٦هـ.
١٦٧. بيان تلبيس الجهمية، لابن تيمية، مؤسسة قرطبة، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
١٦٨. البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات للباقلاني، المكتبة الشرقية، بيروت، ١٩٥٧م.
١٦٩. البيان المبدي لشناعة القول المجدي، لسليمان بن سحمان، مطبعة القرآن والسنة، ١٨٩٧م.

١٧٠. البيان والتبيين، للجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، ط٢، ١٩٦٨م.
١٧١. البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، لابن رشد، تحقيق: محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.
١٧٢. بين التصوف والتشيع، هاشم معروف الحسني، دار التعارف، ١٤٢٧هـ.
١٧٣. تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، مجموعة محققين، دار الهداية، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
١٧٤. التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، القنوجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤٢٨هـ.
١٧٥. التاج والإكليل لمختصر خليل، للمواق المالكي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.
١٧٦. التاريخ الأدبي لمنطقة جازان، محمد العقيلي، نادي جازان الأدبي، ١٩٩٠م.
١٧٧. تاريخ الأستاذ الإمام محمد عبده، لمحمد رشيد رضا، دار الفضيلة، القاهرة، ط٢، ١٤٢٧هـ.
١٧٨. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
١٧٩. التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٢١هـ.
١٨٠. تاريخ التراث العربي، لفؤاد سزكين، طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ.
١٨١. تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٨هـ.
١٨٢. تاريخ الخلفاء، للسيوطي، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤٢٥هـ.
١٨٣. تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، خليل اينالجيك، ترجمة محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
١٨٤. تاريخ الدولة العثمانية، ميمونة ميرغني حمزة، عايدة كمال الدين، دار الأندلس، حائل، ط١، ١٤٣٢هـ.
١٨٥. تاريخ الدولة العثمانية، يلماز أوزتونا، ترجمة عدنان محمود، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ١٩٩٠م.
١٨٦. تاريخ المملكة العربية السعودية، عبد الله الصالح العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١٣، ١٤٢٦هـ.
١٨٧. التاريخ السياسي للمغرب العربي الكبير، لعبد الكريم الفيلالي، شركة ناس للطباعة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.
١٨٨. تاريخ الشعراء الحضرميين، عبد الله بن محمد السقاف، مطبعة العلوم، القاهرة (بدون رقم وتاريخ

الطبعة).

١٨٩. تاريخ المغرب السياسي في العهد الفرنسي، الطيب العلوي، مراجعة: أحمد علوي، مطبعة القرويين، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٩م.

١٩٠. تاريخ المغرب تحيين وتركيب؛ لمحمد القبلي، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، ط١، الرباط، ٢٠١١م.

١٩١. تاريخ المغرب محاولة في التركيب، عبد الله العروي، ترجمة: ذوقان قرقوط، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

١٩٢. تاريخ أمراء البلد الحرام عبر عصور الإسلام، عبد الفتاح بن حسين راوة، مكتبة المعارف، الطائف، ١٤٠٧هـ.

١٩٣. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

١٩٤. تاريخ تطوان، لمحمد داود، تطوان، ١٣٧٩هـ.

١٩٥. تاريخ سوريا الحديث، هاشم عثمان، رياض الريس للكتب والنشر، ط١، ٢٠١٢م.

١٩٦. تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر، لنزار أباظة ومحمد مطيع الحافظ، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٤٣٧هـ.

١٩٧. تاريخ مكة دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران، أحمد السباعي، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة العربية السعودية، ١٤١٩، مكتبة الملك فهد الوطنية.

١٩٨. تأويل مختلف الحديث، لابن قتيبة، تحقيق: محمد النجار، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٣هـ.

١٩٩. تأويل مشكل القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٢٠٠. التبرك المشروع، والتبرك الممنوع، علي نفيع العلياني، دار الوطن، ط١، ١٤١١هـ.

٢٠١. التبرك أنواعه وأحكامه، ناصر الجديع، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٢٠٢. التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين، للإسفراييني، تحقيق: كمال الحوت، عالم الكتب، لبنان، ط١، ١٤٠٣هـ.

٢٠٣. التبيان لعلاقة العمل بمسمى الإيمان، علي أحمد سوف، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٠٤. التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، دار الفكر، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٢٠٥. التبيان في علوم القرآن، للصابوني، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٠٦. تتمة الأعلام للزركلي، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط٢، ١٤٢٢هـ.
٢٠٧. التثبيت عند التبييت، للسيوطي، دراسة وتحقيق وتعليق: محمد عوض الشهري، مجلة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، العدد ٤١، ١٤٣٧هـ.
٢٠٨. تجريد التوحيد المفيد، للمقريزي، تحقيق: طه الزيني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩هـ.
٢٠٩. تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد، لمحمد ناصر الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ.
٢١٠. تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، لابن جماعة، تحقيق: عبد الله العبيد، في الرياض، مكتبة دار المنهاج، ١٤٣٣هـ.
٢١١. تحرير المقال والبيان في الكلام على الميزان للسخاوي، تحقيق: بدر العماش، مجلة البحوث الإسلامية، عدد٥٦.
٢١٢. التحرير الوجيز فيما يبتغيه المستجيز، محمد زاهد الكوثري، مطبعة الأنوار، ١٣٦٠هـ.
٢١٣. تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، أبو القاسم الزياني، تحقيق: رشيد الزاوية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، مطبعة الأمينة، الرباط، ط١، ٢٠٠٨م.
٢١٤. تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران، حمود التويجري، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، الرياض، ط١ (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٢١٥. تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، لأبي القاسم الزياني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ط١، ١٤٢٩هـ.
٢١٦. تحفة السالكين ودلائل السائرين لمنهج المقربين، لمحمد السمنودي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢١٧. تحفة المريد على جوهرة التوحيد، للبيجوري، تحقيق: علي جمعة، دار السلام، مصر، ١٤٢٢هـ.
٢١٨. تحفة المودود بأحكام المولود، لابن القيم، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٩١هـ.
٢١٩. تحقيق البرهان في إثبات حقيقة الميزان، لمرعي الكرمي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن القيم (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٢٢٠. التحقيق التام في علم الكلام، محمد الحسيني الظواهري، مكتبة النهضة المصرية، ط١، ١٣٥٧هـ.
٢٢١. تحقيق منيف الرتبة لمن ثبت له شريف الصحبة، للعلائي، تحقيق: عبد الرحيم القشقري، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٢٢٢. التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، دار البيان، دمشق، ط٢، ١٤٠٩هـ.

٢٢٣. تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، للسيوطي، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٢، ١٣٨٥هـ.

٢٢٤. التدمرية، لابن تيمية، تحقيق: محمد السعوي، مكتبة العبيكان، ط٦، ١٤٢١هـ.

٢٢٥. تذكرة الحفاظ، للذهبي، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٢٢٦. التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي، تحقيق: الصادق بن محمد إبراهيم، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٢٢٧. ترتيب المدارك وتقريب المسالك، عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق: عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة، المغرب، ط١(بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٢٢٨. تراث المغاربة في الحديث وعلومه، لمحمد عبد الله التليدي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٢٩. ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد" أشرف الأماني بترجمة سيدي محمد الكتاني"، لمحمد الباقر بن محمد الكتاني، تقديم محمد الخطابي، تحقيق: عبد الرحمن الكتاني، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٣٠. ترجمة الشيخ محمد الكتاني الشهيد المسماه: أشرف الأماني بترجمة سيدي محمد الكتاني، تحقيق: عبد الرحمن الكتاني، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٣١. ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، لابن الوزير، مطبعة المعاهد، مصر، ١٣٤٩هـ.

٢٣٢. الترغيب والترهيب، للمنذري، تحقيق: مصطفى عمارة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٣٨٨هـ.

٢٣٣. ترقية المريدين بما تضمنته سيرة السيدة الوالدة من أحوال العارفين. عبد الحي الكتاني. تحقيق: محمد عزوز، مركز التراث الثقافي المغربي، دار بن حزم، بيروت، لبنان، ط١-٢٠٠٧.

٢٣٤. التسعينية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد العجلان، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٣٥. تسهيل العقيدة الإسلامية، عبد الله الجبرين، دار الصميعي، الرياض، ط٤، ١٤٢٩هـ.

٢٣٦. تشنيف الأسماع بشيوخ الإجازة والسماع، لمحمود سعيد ممدوح، دار الكتب المصرية، بيروت، ط٢، ١٤٣٤هـ.

٢٣٧. تصحيح الدعاء، بكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٢٣٨. التصديق بالنظر إلى الله تعالى بالآخرة، للآجري، تحقيق: سمير الزهيري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٢٣٩. التصور والتصديق بأخبار سيدي محمد بن الصديق، لأحمد بن الصديق الغماري، مكتبة الخانجي، ١٣٦٦هـ.

٢٤٠. التصوف المنشأ والمصادر، إحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة، باكستان، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٤١. التصوف بين الحق والخلق، محمد شفقة، الدار السلفية، تونس، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٢٤٢. تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد، للصنعاني، تحقيق: عبد المحسن العباد، مطبعة سفير، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٢٤٣. التعرف على مذهب أهل التصوف للكلابذي، عناية: آرثر أديري، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٥هـ.

٢٤٤. تعريف المؤتسي بأحوال نفسي، عبد العزيز الصديق الغماري، دار الروضة الإسلامية، اندونيسيا، ١٤٣٧هـ.

٢٤٥. التعريفات، للجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٤٦. تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، تحقيق: عبد الرحمن الفريوائي، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٢٤٧. التعليق على السياسة الشرعية لابن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

٢٤٨. التعليق على القواعد المثلى، عبد الرحمن البراك، عبد الله المزروع، التدمرية، ط١، ١٤٣١هـ.

٢٤٩. تفسير أسماء الله الحسنى، للزجاج، تحقيق: أحمد يوسف الدقاق، دار الثقافة العربية، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٢٥٠. تفسير البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

٢٥١. تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تحقيق: سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٢٥٢. غريب القرآن، لابن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٢٥٣. التفسير والمفسرون في غرب أفريقيا، محمد بن رزق الطرهوني، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٥٤. التقرير والتحبير على التحرير في أصول الفقه، لابن الحاج، ضبطه عبد الله عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٢٥٥. التقليد في باب العقائد وأحكامه، لناصر الجديع، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٢٥٦. تلبيس إبليس، ابن الجوزي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
٢٥٧. التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٢٥٨. تلخيص كتاب الاستغاثة في الرد على البكري، لابن تيمية، تحقيق: محمد علي عجال، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٧هـ.
٢٥٩. التمائم في ميزان العقيدة، علي العلياني، دار الوطن (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٢٦٠. التمسك بالسنن والتحذير من البدع، للذهبي، تحقيق: محمد باكريم، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢٧، عدد١٠٣-١٠٤.
٢٦١. تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، ١٤٠٧هـ.
٢٦٢. التمهيد في أصول الفقه، لأبي الخطاب، تحقيق: مفيد محمد أبو عمشة، محمد بن علي بن إبراهيم، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٦هـ.
٢٦٣. التمهيد لشرح كتاب التوحيد، صالح آل الشيخ، دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ.
٢٦٤. التمهيد لقواعد التوحيد، لأبي المعين النسفي، تحقيق محمد الشاغول، المكتبة الأزهرية للتراث، جامع الأزهر.
٢٦٥. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق: مصطفى العلوي، ومحمد البكري، مؤسسة قرطبة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٢٦٦. تنبيه الحذاق على بطلان ما شاع بين الأنام من حديث النور، محمد أحمد الشنقيطي، الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، ط٢.
٢٦٧. تنبيه القاري إلى فضائح الغماري، مصطفى اليوسفي، تقديم: محمد المغراوي، عام ١٩٩٦م.
٢٦٨. تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار، صالح السحيمي، دار ابن حزم، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
٢٦٩. تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المبتدعة الوخيمة، لسليمان بن سحمان (، دار العاصمة، الرياض (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٢٧٠. التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، للملطي، تحقيق: الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٢، ١٩٧٧م.
٢٧١. التنبيهات اللطيفة فيما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، عبد الرحمن السعدي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.

٢٧٢. التنجيم والمنجمون وحكمهم في الإسلام لعبد المجيد المشعبي، أضواء السلف، الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.
٢٧٣. تنزيه الأنبياء، للشريف المرتضى، منشورات المدرسة العليا، ط١، ١٤٢٢هـ.
٢٧٤. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة، لابن عراق، تحقيق: عبد الوهاب بن عبد اللطيف، وعبد الله الغماري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.
٢٧٥. التنزيه في إبطال حجج التشبيه، لابن جماعة، تحقيق: محمد أمين علي، رسالة ماجستير، كلية أصول الدين، القاهرة، ١٤٣١هـ.
٢٧٦. التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل، لعبد الرحمن المعلمي اليماني، تحقيق، محمد ناصر الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ.
٢٧٧. تنوير الحلك في رؤية النبي والملك، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد زينهم عزب، دار الأمين القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.
٢٧٨. تنوير العقول في الفرق بين النبي والرسول، لمحمد بن عبد الله الإمام، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ.
٢٧٩. تهذيب الآثار، للطبري، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٢٨٠. تهذيب الأسماء واللغات للنووي، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٢٨١. تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
٢٨٢. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، للمزي، تحقيق: بشار معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
٢٨٣. تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت –، ط١، ٢٠٠١م.
٢٨٤. التوحيد للماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ٢٠١٠م.
٢٨٥. التوسل أنواعه وأحكامه، للألباني، تحقيق: محمد عيد العباسي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
٢٨٦. التوصل إلى حقيقة التوسل لمحمد نسيب الرفاعي، دار لبنان للطباعة والنشر، ط٣، ١٣٩٩هـ.
٢٨٧. توضيح المقاصد وتصحيح القواعد، لابن عيسى، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٦هـ.
٢٨٨. التوضيح عن توحيد الخلاق، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.

٢٨٩. التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ.
٢٩٠. التيارات السياسية والفكرية بالمغرب، خلال قرنين ونصف قبل الحماية، إبراهيم حركات، دار الرشاد الحديثة، الدا البيضاء، ط٢، ١٤١٥هـ.
٢٩١. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن محمد بن عبد الوهاب، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.
٢٩٢. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لابن سعدي، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٩٣. الثمر الداني شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، صالح الأزهري، المكتبة الثقافية، بيروت.
٢٩٤. الثورة العربية الكبرى، أمين سعد، مكتبة مدبولي، القاهرة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٢٩٥. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، ط١.
٢٩٦. جامع الإمام الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر، وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٢٩٧. جامع الأمهات، لابن الحاجب، تحقيق: عبد الرحمن الأخضري، دار اليمامة، ط٢، ١٤٢١هـ.
٢٩٨. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تحقيق: أحمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
٢٩٩. جامع التحصيل في أحكام المراسيل، للعلائي، تحقيق: حمدي عبد المجيد، دار الكتب، بيروت، ط٢، ١٤٠٤هـ.
٣٠٠. جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، تحقيق: محمد الأحمدي، دار السلام، مصر، ط٢، ١٤٢٤هـ.
٣٠١. جامع المسائل، لابن تيمية، تحقيق: محمد عزير شمس، إشراف: بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد، ططا، ١٤٢٢هـ.
٣٠٢. جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٤هـ.
٣٠٣. جامع كرامات الأولياء، يوسف النبهاني، عناية: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٣٠٤. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وآخرون، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٣، ١٣٨٤هـ.
٣٠٥. جدول أمراء مكة وحكامها من منذ فتحها إلى الوقت الحاضر، مساعد بن منصور، مطبعة

النهضة الحديثة، ط١، ١٣٨٨هـ.

٣٠٦. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، أحمد المكناسي، دار المنصور، الرباط، ١٩٧٣م.

٣٠٧. الجرح والتعديل لابن أبي حاتم، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٢٧١هـ.

٣٠٨. جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عبد القادر الأرنؤوط، دار العروبة، الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

٣٠٩. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، للألوسي، تقديم: علي السيد صبح المدني، مطبعة المدني، ١٤٠١هـ.

٣١٠. جمع التشتيت شرح أبيات التثبيت للصنعاني، تصحيح: حسن المشاط، ط١، ١٣٨١هـ، مطابع دار الثقافة، مكة.

٣١١. جمع الوسائل في شرح الشمائل، لعلي ملا قاري، وبهامشه شرح عبد الرؤوف المناوي، المطبعة الشرفية، مصر.

٣١٢. جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

٣١٣. جناية التأويل الفاسد على العقيدة الإسلامية، لمحمد أحمد لوح، دار ابن عفان، ١٤١٨هـ،

٣١٤. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ، تحقيق: علي حسن ناصر، وآخرون.

٣١٥. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، دار المعرفة، المغرب، ط١، ١٤١٨هـ.

٣١٦. جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، للهاشمي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط٢.

٣١٧. الجواهر الباهرة في النسب الشريف وما تفرع من آدم إلى أزمنتنا الحاضرة، عبد السلام العمراني الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٢م.

٣١٨. جواهر البحار في فضائل النبي المختار، ليوسف النبهاني، مطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ١٣٧٩هـ.

٣١٩. حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون ورقم وتاريخ الطبعة).

٣٢٠. حاشية العدوي على شرح كفاية الطالب الرباني، لأبي الحسن العدوي، تحقيق: يوسف البقاعي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.

٣٢١. الحاوي للفتاوى، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٢٢. الحبائك في أخبار الملائك، للسيوطي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، المكتبة العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٣٢٣. حجة الله على العالمين للنبهاني، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ.

٣٢٤. الحجة في بيان المحجة، لأبي القاسم الأصبهاني، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، ١٤١هـ.

٣٢٥. الحدود، للباجي، تحقيق: نزيه حماد، مؤسسة الزعبي، بيروت، ط١، ١٣٩٢هـ.

٣٢٦. الحديث الضعيف وحكم الاحتجاج به، عبد الكريم الخضير، دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٢٧. الحذر في أمر الخضر، للقاري، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١١هـ.

٣٢٨. الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، علال فارس، مؤسسة علال فارس، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط٦، ٢٠٠٣م.

٣٢٩. الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق، تقي الدين الهلالي، دار الفتح، الشارقة، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٣٠. حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٦٨هـ.

٣٣١. الحق المبين والخبر اليقين، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، مطبعة النهضة، تونس، ١٣٣٩هـ.

٣٣٢. حقوق النبي صلى الله عليه وسلم على أمته في ضوء الكتاب والسنة، لمحمد التميمي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.

٣٣٣. حكم صوم رجب وشعبان، لابن العطار الشافعي، تحقيق: جاسم الفجي، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٣٤. حكمة الإشراق، شهاد الدين السهروردي، تقديم: إنعام حيدورة، دار المعارف الحكمية، مصر، ط١، ١٤٣٠هـ.

٣٣٥. الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها غير المتناهية، لمحمد مصطفى المشرفي، تحقيق: إدريس بوهليلة، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط، ط١، ٢٠٠٥م.

٣٣٦. حلية الأبرار وشعائر الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار المستحبة في الليل والنهار، المعروف بالأذكار النووية، للنووي، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مطبعة الملاح، دمشق، ط١٣٩١هـ.

٣٣٧. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١،

١٤٠٥هـ.

٣٣٨. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، تحقيق محمد بهجة البيطار، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ.

٣٣٩. الحوادث والبدع للطرطوشي، تحقيق: علي الحلبي، دار ابن الجوزي، ط٣، ١٤١٩هـ.

٣٤٠. حوار الماضي والمستقبل، عبد السلام ياسين، ط١، مطبوعات الأفق، الدار البيضاء، ١٩٩٧م.

٣٤١. حواشي على شرح الكبرى للسنوسي، إسماعيل الحامدي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٣٥٤هـ.

٣٤٢. حياة الأنبياء بعد وفاتهم، للبيهقي، تحقيق: أحمد الغامدي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٤٣. حياة الحيوان الكبرى، للدميري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٣٤٤. خبر الواحد وحجيته، لأحمد الشنقيطي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٤٥. ختم الأولياء، للحكيم الترمذي، تحقيق: عثمان إسماعيل يحيى، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٣٤٦. خزانة الأدب ونهاية الأرب، لعبد القادر البغدادي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ.

٣٤٧. الخصائص الكبرى للسيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ (بدون رقم الطبعة).

٣٤٨. خصائص المصطفى بين الغلو والجفاء، للصادق بن محمد إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٣٤٩. خطط الشام، محمد عبد الرزاق علي، مكتبة النوري، دمشق، ط٣، ١٤٠٣هـ.

٣٥٠. خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي، دار صادر بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٣٥١. خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل، للبخاري، تحقيق: فهد بن سليمان الفهيد، دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٥٢. الدر الثمين والمورد المعين، لمحمد بن أحمد ميارة المالكي، تحقيق: عبد الله المنشاوي، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٣٥٣. الدر الملتقط في تبيين الغلط، للصنعاني، تحقيق: عبد الله القاضي، دار الكتاب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٣٥٤. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي، دار الفكر، بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٣٥٥. الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، للشوكاني، تحقيق: أبو عبد الله الحلبي، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٤هـ.

٣٥٦. درء تعارض العقل والنقل أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لابن تيمية، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٧هـ.

٣٥٧. دراسات في التصوف، إحسان إلهي ظهير، دار الإمام المجدد، ط١، ١٤٢٦هـ.

٣٥٨. الدرر البهية والجواهر النبوية، لإدريس الفضلي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية، ط ١٤٢٠هـ.

٣٥٩. الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لعبد الرحمن بن قاسم، ط٦، ١٤١٧هـ.

٣٦٠. الدر السني، في بعض من بفاس من النسب الحسني، عبد السلام القادري، طبعة حجرية، فاس، ١٣٠٨هـ.

٣٦١. الدرر الفاخرة بمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، لعبد الرحمن ابن زيدان، المطبعة الاقتصادية، الرباط، ١٣٥٦هـ.

٣٦٢. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: دائرة العارف العثمانية، حيدر أباد، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٣٦٣. الدرر المنيفة في الآباء الشريفة، للسيوطي، دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد، ١٣١٦هـ.

٣٦٤. دعاوى الإجماع عند المتكلمين في أصول الدين، عرض ونقد، لياسر بن عبد الرحمن اليحيى، دار الميمان، الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.

٣٦٥. دقائق التفسير، لابن تيمية، محمد السيد الجليند، مؤسسة علوم القرآن، دمشق، ط٢، ١٤٠٤هـ.

٣٦٦. دلائل التوحيد، للقاسمي، صحة وضبطه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٣٦٧. دلائل النبوة، للبيهقي، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٦٨. الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك، لسليمان آل الشيخ، تحقيق: الوليد الفريان، مكتبة دار الهداية، الرياض.

٣٦٩. الدليل المشير إلى فك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير، لأحمد بن حسين الحبشي العلوي، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٨هـ.

٣٧٠. الدواهي المدهية للفرق المحمية، لجعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق: محمد حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٣٧١. الدولة العثمانية، تاريخ وحضارة، إكمال الدين علي، ترجمة: صالح سعداوي، مركز الأبحاث للتايخ

والفنون والأبحاث الإسلامية، إسطنبول، ١٩٩٩م.

٣٧٢. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لابن فرحون، تحقيق: محمد الأحمدي، دار التراث، القاهرة، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٣٧٣. الديمقراطية وموقف الإسلام منها، محمد نور الرهوان، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٠٣هـ.

٣٧٤. الدين الخالص، لصديق خان القنوجي، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

٣٧٥. دولة الأدارسة في المغرب، سعدون عباس نصر الله، دار النهظة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٣٧٦. ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ.

٣٧٧. ديوان الإمام الشافعي المسمى "الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس"، تعليق: محمد سليم، مكتبة ابن سينا، مصر (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٣٧٨. ديوان شاعر فاس، عبد الرحمن بن جعفر الكتاني، تحقيق: عبي المنتصر الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.

٣٧٩. ديوان لبيد بن ربيعة العامري، اعتنى به: حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٨٠. الذخيرة، للقرافي، تحقيق: محمد بوخبزة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٤م.

٣٨١. الذكر الجماعي بين الاتباع والابتداع، محمد الخميس، دار الهدي النبوي، مصر، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٨٢. ذم التأويل، لابن قدامة، تحقيق: بدر البدر، دار السلفية، الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.

٣٨٣. ذو القرنين وسد الصين، لمحمد راغب الطباخ، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار غراس، الكويت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٨٤. الذيل على طبقات الحنابلة، للحافظ ابن رجب، تحقيق: عبد الرحمن العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٣٨٥. الرؤية، للدار القطني، تحقيق: إبراهيم العلي، وآخرون، مكتبة المنار، الأردن (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٣٨٦. الرحلة المراكشية، أو مرآة المساوئ الوقتية، محمد بن عبد الله المؤقت، تقديم أحمد الشقيري، (بدون دار ورقم وتاريخ الطبعة).

٣٨٧. رد شبهات حول عصمة النبي-صلى الله عليه وسلم- لعماد الشربيني، مطابع دار الصحيفة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٣٨٨. الرد على الأخنائي، لابن تيمية، تحقيق: أحمد العنزي، دار الخراز، ط١، ١٤٢٠هـ.
٣٨٩. الرد على الجهمية، للدارمي، تحقيق: بدر البدر، دار ابن الأثير، الكويت، ط٢، ١٩٩٥م.
٣٩٠. الرد على الرفاعي والبوطي في كذبهما على أهل السنة ودعوتهما إلى البدع والضلال، عبد المحسن العباد، دار ابن الأثير، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.
٣٩١. الرد على الزنادقة والجهمية، لأحمد بن حنبل الشيباني، تحقيق: محمد حسن راشد، المطبعة السلفية، القاهرة، عام١٣٩٣هـ.
٣٩٢. الرد على الشاذلي في حزبيه، وما صنفه في آداب الطريق، لابن تيمية، تحقيق: علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، مكة، ط١، ١٤٢٩هـ.
٣٩٣. الرد على القائلين بوحدة الوجود، علي القاري، تحقيق: علي رضا، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٩٩٥م.
٣٩٤. الرد على المنطقيين، لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٣٩٥. رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه، لابن القيم، تحقيق: عبد الله المديفر، مطابع الشرق الأوسط، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
٣٩٦. رسالة السجزي إلى زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، للسجزي، تحقيق: محمد باكريم با عبد الله، دار الراية، ط١، ١٤١٤هـ.
٣٩٧. رسالة الشرك ومظاهرة: مبارك الميلي، تحقيق: عبد الرحمن محمود، دار الراية، ط١، ١٤٢٢هـ.
٣٩٨. رسالة شريفة فيما يتعلق بـ (الأعداد للحروف، والأوفاق، وكم بقي من عمر الدنيا، وذكر المهدي المنتظر)، محمد بن إسماعيل الصنعاني، تحقيق: مجاهد بن حسن، مراجعة: مقبل الوادعي، مكتبة دار القدس، صنعاء، ط١، ١٤١٢هـ.
٣٩٩. الرسالة القشيرية، لعبد الكريم القشيري، تحقيق: عبد الحليم محمود، محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٤٠٠. الرسالة الواضحة في الرد على الأشاعرة، لابن الحنبلي، تحقيق: علي الشبل، مجموعة التحف النفائس، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
٤٠١. الرسالة الوافية لمذهب أهل السنة في الاعتقادات وأصول الديانات، لأبي عمرو الداني، دار الإمام أحمد، الكويت، ط١، ١٤٢١هـ.
٤٠٢. رسالة إلى أهل الثغر، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق: عبد الله شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم، دمشق، ط١، ١٩٨٨هـ.
٤٠٣. رسالة في أصول الفقه، ابن بطة العكبري، تحقيق: موفق عبد القادر، المكتبة المكية، مكة، ط١،

١٤١٣هـ.

٤٠٤. رسالة في حق أبوي النبي-صلى الله عليه وسلم- لإبراهيم الحلبي، تحقيق: علي المدني، دار المعارج، القاهرة، ط١، ١٤٢٠هـ.

٤٠٥. رسالة في فضل أهل البيت وحقوقهم، لابن تيمية، تعليق: أبي تراب الظاهري، دار القبلة للثقافة الإسلامية، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٠٦. الرسالة، للشافعي، تحقيق: أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٠٧. رسائل في حكم الاحتفال بالمولد، لمجموعة من العلماء، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٠٨. رسائل العدل والتوحيد، للقاضي عبد الجبار، لمجموعة من المؤلفين، تحقيق: محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٤٠٩. رفع الأساطين في حكم الاتصال بالسلاطين للشوكاني مع تعليقات الشيخ ابن عثيمين، عناية: سليمان الخراشي، دار الوطن، ١٤٣٠هـ.

٤١٠. رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله وتحقيق معنى التوحيد والشرك بالله، للمعلمي، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤١١. الرقى على ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، علي العلياني، دار الوطن، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤١٢. روح البيان، إسماعيل حقي، دار الفكر بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤١٣. روح المعاني للألوسي، تحقيق: علي عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.

٤١٤. الروح في الكلام على أرواح الأحياء والأموات، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٥هـ.

٤١٥. روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

٤١٦. روضة الناظر وجنة المناظر، لابن قدامة، تحقيق: يوسف السعيد، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٣٩٩هـ.

٤١٧. الروضة الندية شرح الدرر البهية، لصديق حسن خان، دار المعرفة، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤١٨. رؤية النبي-صلى الله عليه وسلم- لربه، محمد التميمي، أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤١٩. رياض الصالحين، للنووي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

٤٢٠. زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.

٤٢١. الزاوية الكتانية والمخزن، زهير شمشوب، إفريقيا الشرق، المغرب، ط٢٠١٠م.

٤٢٢. الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة، محمد الزمزمي، مطبعة أسبارطيل، ١٩٩٩م.

٤٢٣. زعماء الإصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٢٤. الزهر النضر في حال الخضر، لابن حجر العسقلاني، صلاح مقبول أحمد، مجلة البحوث الإسلامية، نيودلهي، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٢٥. الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٤٢٦. زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور، لابن تيمية، دار طيبة، الرياض، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٢٧. سبل السلام شرح بلوغ المرام، للصنعاني، مدار الحديث، بيروت، بدون رقم وتاريخ الطبعة.

٤٢٨. سبيل التوفيق في ترجمة عبد الله بن الصديق، لعبد الله بن الصديق الغماري، مكتبة القاهرة، ط٣، ١٤٣٣هـ.

٤٢٩. سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، حمد بن عتيق، تصحيح إسماعيل بن سعد بن عتيق، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٧، ١٤٢٣هـ.

٤٣٠. سراج الملوك، للطرطوشي، المطبوعات العربية، مصر، ١٢٩٨هـ.

٤٣١. سر العالمين وكشف ما في الدارين، أبي حامد الغزالي، مطبعة النعمان، ١٩٦٥م.

٤٣٢. سل النصال للنضال، بالأشياخ وأهل الكمال، المعروف بفهرس الشيوخ لابن سودة عبد السلام بن عبد القادر، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٤٣٣. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١.

٤٣٤. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، للألباني، دار المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٤٣٥. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر، للمرادي، دار الكتاب الإسلامي القاهرة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٣٦. سلم الوصول إلى علم الأصول في توحيد الله واتباع الرسول، لحافظ الحكمي، دار الآثار، القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٤٣٧. السلطان عبد الحميد الثاني وأثره في نشر الدعوة الإسلامية، محمد قربان نيازملا، مكتبة المنارة. مكة. ط١. ١٤٠٨هـ.

٤٣٨. السنة للخلال، تحقيق: عطية الزهراني، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٤٣٩. سنن ابن ماجه، لابن ماجه القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، دار الرسالة العلمية، ط١، ١٤٣٠هـ.

٤٤٠. سنن أبو داود، لأبي داود السجستاني، تحقيق وتعليق الألباني، دار الكتاب العربي، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٤٤١. سنن الترمذي، تحقيق: أحمد شاكر وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.
٤٤٢. سنن الدارمي، تحقيق: نبيل هاشم الغمري، دار البشائر، بيروت، ط١، ١٤٣٤هـ.
٤٤٣. السنن الكبرى، للبيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار الباز، مكة، ١٤١٤هـ.
٤٤٤. سنن النسائي، للنسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦هـ.
٤٤٥. السنن والمبتدعات المتعلقة بالأذكار والصلوات، محمد عبد السلام الحوامدي، تحقيق: محمد خليل هراس، دار الفكر، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٤٤٦. سوريا والانتداب الفرنسي، فيليب خوري، ترجمة: مؤسسة الأبحاث العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٧م.
٤٤٧. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، وزارة الشؤون الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.
٤٤٨. سيدي أحمد بن موسى الكرزازي، لابن موسى تيه الادريس، أدرار، الجزائر، ٢٠١١م.
٤٤٩. سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ.
٤٥٠. السيف المسلول على من سب الرسول، تقي الدين السبكي، تحقيق: إياد أحمد الغوج، عمان، ط١، ١٤٢١هـ.
٤٥١. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني، دار ابن حزم، بيروت، ط١.
٤٥٢. شأن الدعاء، للخطابي، تحقيق: أحمد الدقاق، دار الثقافة العربية، ط٣، ١٤١٢هـ.
٤٥٣. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن مخلوف، تعليق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، يروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
٤٥٤. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمد الأرنوؤط، دار ابن كثير، دمشق، ١٤٠٦هـ.
٤٥٥. الشرب المحتضر من معين أهل القرن الثالث عشر، جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق: محمد حمزة الكتاني، ويليه منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني، لمحمد حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.
٤٥٦. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، تحقيق: أحمد حمدان الغامدي، دار طيبة،

الرياض، ١٤٠٢هـ.

٤٥٧. شرح الأصبهانية، لابن تيمية، تحقيق: محمد السعودي، مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٣٠هـ.

٤٥٨. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار، تحقيق: عبد الكريم عثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٣٨٤هـ.

٤٥٩. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٧هـ.

٤٦٠. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ،

٤٦١. شرح الزركشي على مختصر الخرقي، تحقيق: عبد المنعم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ.

٤٦٢. شرح السنة للبربهاري، تحقيق: محمد سعيد القحطاني، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤٠٨هـ.

٤٦٣. شرح السنة، للبغوي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٤٦٤. شرح الشمائل المحمدية، المسمى منية السائل خلاصة الشمائل، عبد الحي الكتاني، عناية: إبراهيم بوسبيع، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٦٥. شرح الصاوي على جوهرة التوحيد، تحقيق: عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

٤٦٦. شرح الصدور بتحريم رفع القبور، للشوكاني، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٤، ١٤٠٨هـ.

٤٦٧. شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور، للسيوطي، تحقيق: عبد المجيد حلبي، دار المعرفة، لبنان، ١٤١٧هـ.

٤٦٨. شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية، تحقيق: إبراهيم سعيداي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٦٩. شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز، تحقيق: عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٤٧٠. شرح العقيدة الطحاوية، لصالح آل الشيخ، دار الحجاز، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ.

٤٧١. شرح العقيدة الواسطية، لمحمد خليل هراس، تحقيق: علوي السقاف، دار الهجرة، الخبر، ط٣، ١٤١٥هـ

٤٧٢. شرح الفقه الأكبر، لأبي حنيفة، شرح علي القاري، تحقيق: علي دندل، دار الكتب العلمية،

بيروت، بدون تاريخ ورقم الطبعة.

٤٧٣. شرح الكوكب المنير، لابن النجار، تحقيق: محمد الزحيلي وآخرون، مكتبة العبيكان، ط٢، ١٤١٨هـ.

٤٧٤. شرح المفصل، لابن يعيش، إدار الطباعة المنيرية، مصر (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٧٥. شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ط٢، ١٤١٩هـ.

٤٧٦. شرح حكم ابن عطاء الله، للشرنوبي، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤١٠هـ.

٤٧٧. شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين، دار الوطن، الرياض، ط١٤٢٦هـ.

٤٧٨. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري، عبد الله الغنيمان، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤٧٩. شرح كشف الشبهات، لمحمد بن إبراهيم آل الشيخ، تحقيق: محمد بن قاسم، ط١، ١٤١٦هـ.

٤٨٠. شرح مسائل الجاهلية، لصالح الفوزان، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٤٨١. شرح المواقف في علم الكلام، للجرجاني، تحقيق: محمود الدمياطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.

٤٨٢. شرح مشكل الآثار للطحاوي، تحقيق: شعيب الأنؤوط، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ.

٤٨٣. شرح معاني الآثار، للطحاوي، تحقيق: محمد النجار وآخرون، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٨٤. شرح نهج البلاغة لابن أبي حديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٨٥. الشرح والإبانة على أصول السنة الديانة، لابن بطة، تحقيق: رضا نعسان معطي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ.

٤٨٦. شروط قبول العمل الصالح، صالح سندي، دار اللؤلؤة، لبنان، ط١، ١٤٣٤هـ.

٤٨٧. شعب الإيمان، للبيهقي، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٨٨. الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض، دار الفيحاء، عمان، ط٢، ١٤٠٧ هـ.

٤٨٩. الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٤٩٠. شفاء السقام في زيارة خير الأنام، تقي الدين السبكي، تحقيق: حسين شكري، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٩١. شفاء الصدور في زيارة المشاهد والقبور، مرعي الكرمي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة مزار

مصطفى الباز، مكة المكرمة، ط٢، ١٤١٨هـ.

٤٩٢. شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٨هـ.

٤٩٣. الشفاعة عند أهل السنة والجماعة والرد على المخالفين، لناصر الجديع، دار أطلس الخضراء، ط٣، ١٤٣٠هـ.

٤٩٤. الشفاعة، لمقبل الوادعي، دار الآثار، اليمن، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٤٩٥. الشهادة الزكية، لمرعي الحنبلي، تحقيق: نجم خلف، دار الفرقان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ.

٤٩٦. شواكل الحور في شرح هياكل النور للسهروردي، شرح: جلال الدين الدواني، تحقيق: محمد كوكن، بيت الرواق، بغداد، ٢٠١٠م.

٤٩٧. الشيخ محمد عبده وآراءه في العقيدة الإسلامية عرض ونقد، حافظ محمد حيدر الجعبري، رسالة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٠٢هـ.

٤٩٨. شيوخ الأزهر، أشرف فوزي، الشركة العربية للنشر (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٤٩٩. الصاحبي في فقه اللغة العربية، لابن فارس، تحقيق: أحمد حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٠٠. الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، تحقيق: محمد عبد الله الحلواني، محمد كبير شودري، رمادي للنشر، الدمام، ط١، ١٤١٧هـ.

٥٠١. الصارم المنكي في الرد على السبكي، لابن عبد الهادي، تحقيق: عقيل بن محمد اليماني، تقديم: مقبل الوادعي، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٥٠٢. صبح الأعشى في صناعة الانشاء، للقلقشندي، تحقيق: يوسف طويل، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٩٨٧هـ.

٥٠٣. الصحاح صحاح اللغة وتاج العربية، للجوهري، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٥٠٤. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

٥٠٥. صحيح الأدب المفرد، محمد ناصر الدين الألباني، دار الصدّيق، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٠٦. صحيح البخاري «الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه»، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دار اليمامة،

بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٥٠٧. صحيح سنن أبي داود، للألباني، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٠٨. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٥٠٩. الصراط المستقيم في إثبات الحرف القديم، لابن قدامة، تحقيق: محمد الخميس، مكتبة الفرقان، عمان، ط١، ١٤١٩هـ.

٥١٠. صريح السنة، للطبري، تحقيق: بدر المعتوق، دار الخلفاء، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٥١١. الصفات الإلهية في الكتاب والسنة النبوية، لمحمد أمان الجامي، الجامعة الإسلامية، المدينة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥١٢. صفحات من الجهاد الوطني، محمد بن بلحسن، مطبعة أنفو، فاس، ط١، ٢٠٠١م.

٥١٣. صفحات من الجهاد والكفاح المغربي ضد الاستعمار، محمد داهش، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١، ٢٠٠٢م.

٥١٤. صفحات من تاريخ مكة المكرمة، سنوك هورخرونيه، أعاد صياغته: محمد علي السرياني، راجعه: محمد إبراهيم علي، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤١٩هـ.

٥١٥. الصفدية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، مصر، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٥١٦. الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فضلها وكيفيتها، عبد المحسن العباد، مجلة الجامعة الإسلامية، ط٧، العدد١، ١٣٩٤هـ.

٥١٧. الصلاة وحكم تاركها، لابن القيم، تحقيق: بسام الجابي، دار ابن حزم، قبرص، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٥١٨. الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة، لابن حجر الهيتمي، تحقيق: عبد الرحمن التركي، وآخرون، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط١، ١٤١٧هـ.

٥١٩. الصواعق المرسلة الشهابية، لابن سحمان، دار العاصمة، الرياض (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٥٢٠. الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، تحقيق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة – الرياض، ط٣، ١٤١٨هـ.

٥٢١. الصوفية معتقدا ومسلكا، صابر طعيمة، مكتبة المعارف، الرياض، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٥٢٢. صون المنطق والكلام، جلال الدين السيوطي، تحقيق: علي سامي النشار، مجمع البحوث الإسلامية السنة الأولى (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٥٢٣. صيانة الإنسان عن وسوسة الشيخ دحلان، لمحمد بشير السهسواني الهندي، للسهسواني، المطبعة السلفية، ١٣٧٨هـ.

٥٢٤. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط وحمايته من الإسقاط والسقط، لابن الصلاح، تحقيق: موفق عبد القادر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ.

٥٢٥. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين السخاوي، دار الجبل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٢٦. الضياء الشارق في الرد على شبهات المارق، لسليمان بن سحمان، تحقيق: عبد السلام برجس، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ط٤، ١٤١٤هـ.

٥٢٧. الطبقات الكبرى ابن سعد، تحقيق: محمد بن عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

٥٢٨. طبقات الحنابلة لأبي يعلى، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٥٢٩. طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، تحقيق: محمود الطناحي، عبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ.

٥٣٠. طبقات الشافعية، للإسنوي، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥٣١. طبقات الصوفية، للسلمي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١/ ١٤١٩هـ.

٥٣٢. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد أبو عبد الله البصري، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨ م.

٥٣٣. الطبقات الكبرى، المسماه بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار، لعبد الوهاب الشعراني، تحقيق: عبد الغني الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ٢٠١٣م.

٥٣٤. طبقات المدلسين (تعريف اهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس)، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عاصم القريوتي، مكتبة المنار، عمان، ط١، ١٤٠٣هـ.

٥٣٥. طبقات النسابين، بكر أبو زيد، دار الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.

٥٣٦. الطرق الصوفية، محمد البشير الإبراهيمي، مكتبة الرضوان، الجزائر، ط١، ٢٠٠٨م.

٥٣٧. طريق الهجرتين، لابن القيم، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ط٢، ١٤١٤هـ.

٥٣٨. الطريقة الكتانية-عرض ونقد- بدرية حمدان الدوسري، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الدعوة وأصول الدين١٤٤١هـ.

٥٣٩. الطريقة النقشبندية عرض وتحليل، لعبد الرحمن دمشقية، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٤هـ.

٥٤٠. عالم الملائكة أسراره وخفاياه، مصطفى عاشور، مكتبة الفرقان، القاهرة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٥٤١. العبر في خبر من غبر، للذهبي، تحقيق: محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.

٥٤٢. العبرة مما جاء في الغزو والشهادة والهجرة، للقنوجي، تحقيق: محمد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٥٤٣. عداء الماتريدية للعقيدة السلفية، وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات، للشمس الأفغاني، مكتبة الصديق، الطائف، ط٢، ١٤١٩هـ.

٥٤٤. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن القيم، دار التراث، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٠٩هـ.

٥٤٥. العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى الفراء، تحقيق: احمد المباركي، ط٣، ١٤١٤هـ.

٥٤٦. العرش وما روي فيه، لابن أبي شيبة، تحقيق: محمد التميمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

٥٤٧. العرش، للذهبي، تحقيق: محمد التميمي، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٥٤٨. العصرانيون بين مزاعم التجديد وميادين التغريب، محمد الناصر، مكتبة الكوثر، الرياض، ط٢/ ١٤٢٢هـ.

٥٤٩. عصمة الأنبياء، للرازي، مطبعة الشهيد، قم، مطبوعات الكتبي النجفي، ١٤٠٦هـ.

٥٥٠. عصمة غير الأنبياء في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة، يوسف السعيد، مجلة جامعة الإمام، العدد (٣١)، ١٤٢١هـ.

٥٥١. العصمة في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة منصور راشد التميمي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٣٥هـ.

٥٥٢. العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، للفاسي، تحقيق: محمد حامد الفقي وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٦هـ.

٥٥٣. عقد اليواقيت الجوهرية بذكر طريق السادات العلوية، لعيدروس، دار الفتح، عمان، ط١، ١٤٣٠هـ.

٥٥٤. عقيدة التوحيد الكبرى في عقائد أهل السنة والجماعة، محمد المكي المالكي، تحقيق: محمد رشيد بوغزالة الجزائري، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤٢٩ هـ.

٥٥٥. عقيدة السلف أصحاب الحديث، للصابوني، تحقيق: أبو اليمين المنصوري، دار المنهاج، مصر، ط١، ١٤٢٣هـ.

٥٥٦. عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها على العالم الإسلامي، صالح العبود، ط٤، الجامعة الإسلامية، ١٤٢٧م.

٥٥٧. عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، أحمد القصير، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٥٨. العقيدة الواسطية، لابن تيمية، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
٥٥٩. عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، أحمد الغامدي، دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.
٥٦٠. العقيدة في أهل البيت، بين الإفراط والتفريط، سليمان السحيمي، مكتبة الإمام البخاري، ط١، ١٤٢٠هـ.
٥٦١. علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين، لرضا نعسان معطي، دار الهجرة، الرياض، ط٦، ١٤١٦هـ.
٥٦٢. علم الغيب في الشريعة الإسلامية، أحمدة الغنيمان، مكتبة العلوم والحكم، المدينة النبوية، ط١، ١٤٢٥هـ.
٥٦٣. علماء نجد خلال ثمانية قرون، عبد الله البسام، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
٥٦٤. العلو للعلي الغفار، للذهبي، تحقيق: أشرف عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ.
٥٦٥. عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، لأبي العباس أحمد الرهوني، تحقيق: جعفر ابن الحاج السلمي، مطبعة الخليج العربي، تطوان، ١٤٣٢هـ.
٥٦٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٥٦٧. العمدة في أصول الفقه، للفراء، تحقيق: أحمد المباركي، ط٢، ١٤١٠هـ.
٥٦٨. عمر المختار، أحمد محمود، مطبعة عيسى البابي، مصر، ط١، ١٣٥٣هـ.
٥٦٩. العنبر من عظماء زيان وأطلس البربر، أحمد بن قاسم المنصوري، مطبعة الكرامة، الرباط، ط١، ١٤٢٥هـ.
٥٧٠. العقيدة السلفية في كلام رب البرية، لعبد الله الجديع، دار الصميعي، ط٢، ١٤١٦هـ.
٥٧١. العواصم من القواصم، لابن العربي المالكي، قدم له: محب الدين الخطيب، مكتبة العلوم والحكم، مصر، ط١، ١٤٢٩هـ.
٥٧٢. عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم أبادي، ومعه حاشية ابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
٥٧٣. غاية الأماني في الرد على النبهاني، محمود شكري الألوسي، تحقيق: الداني بن منير آل زهوي، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
٥٧٤. غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف، المجلس الأعلى لشؤون الإسلامية، القاهرة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٥٧٥. غريب الحديث لابن الجوزي، تحقيق: عبد المعطي أمين القلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٥٧٦. الغزو الفكري في مناهج التعليم في مصر والمغرب في القرن ١٣/١٤هـ العلوم الإنسانية، محمد أمين إسماعيلي، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في جامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة، ١٤٠٠هـ.

٥٧٧. فاس قبل الحماية، لروجي لوطورنو، ترجمه محمد حجي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٢هـ.

٥٧٨. فتاوى الإمام الشاطبي، تحقيق: محمد أبو الأجفان، ط٢، تونس، ١٤٠٦هـ.

٥٧٩. الفتاوى السعدية، عبد الرحمن السعدي، مكتبة المعارف الرياض، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٥٨٠. فتاوى الشيخ ابن عثيمين، إعداد وترتيب: أشرف عبد المقصود، دار عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤١١هـ.

٥٨١. الفتاوى الكبرى، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، وآخرون، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٨٢. فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش، دار المؤيد، ١٤٢٤هـ.

٥٨٣. فتاوى مهمة لعموم الأمة، ابن باز، ابن عثيمين، تحقيق: إبراهيم الفارس، دار العاصمة الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

٥٨٤. فتاوى ورسائل الشيخ محمد ابن إبراهيم، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مطبعة الحكومة، مكة المكرمة، ط١، ١٣٩٩هـ.

٥٨٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد فؤد عبد الباقي، تعليق عبد العزيز ابن باز، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٥٨٦. فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن رجب، تحقيق: طارق بن عوض الله، دار ابن الجوزي، الدمام، ١٤٢٢هـ.

٥٨٧. الفتح الرباني من فتاوى الإمام الشوكاني، جمع محمد صبحي، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء (بدون رقم وتريخ الطبعة).

٥٨٨. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، للشوكاني، تحقيق عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء، ط٢، ١٤١٨هـ.

٥٨٩. فتح القدير لابن الهمام الحنفي، دار الفكر، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٥٩٠. الفتح المبين في طبقات الأصوليين، لعبد الله المراغي، محمد أمين وشركاه، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ.

٥٩١. فتح المتعال في مدح النعال، لأحمد المقري، تحقيق: علي عبد الوهاب، دار القاضي عياض، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.

٥٩٢. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط٧، ١٣٧٧هـ.

٥٩٣. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي، تحقيق: علي حسين علي، مكتبة السنة، مصر، ط١، ١٤٢٤هـ.

٥٩٤. فتح المنان تتمة منهاج التأسيس رد صلح الإخوان، محمود شكري الألوسي، تحقيق: عمر آل عباس، دار التوحيد، ط١، ١٤٣٠هـ.

٥٩٥. فتح الملك العلام في تراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام محمد الحجوجي، تحقيق: أنور ترفاس، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٥٩٦. الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية، ابن عجيبة، تحقيق: عبد الرحمن حسن محمود، عالم الفكر، القاهرة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٥٩٧. الفتوحات المكية، لابن عربي، دار صادر، بيروت، ١٩٠٠م.

٥٩٨. الفتوحات المكية، لابن عربي، تحقيق: عثمان يحيى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٥٩٩. الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، تحقيق: حمد التويجري، دار الصميعي، ط٢، ١٤٢٥هـ.

٦٠٠. الفتوى المالكية في أفعال الصوفية، لمحمد القيرواني المالكي، تحقيق: علي الكندري، مؤسسة بينونة، الإمارات، ١٤٣٠هـ.

٦٠١. الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي من الفتح العربي حتى اليوم، الفرد بل، ترجمة عبد الرحمن بدوي، دار الغرب الإسلامين بيروت، ط٣، ١٩٨٧م.

٦٠٢. الفرق بين الفرق للبغدادي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧م.

٦٠٣. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، لغالب عواجي، المكتبة العصرية الذهبية، جدة، ط٤، ١٤٢٢هـ.

٦٠٤. الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ.

٦٠٥. الفروع لابن مفلح، معه تصحيح الفروع لمرداوي، تحقيق: عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٤هـ.

٦٠٦. الفروق اللغوية، لأبي الهلال العسكري، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة (بدون رقم

وتاريخ الطبعة).

٦٠٧. الفروق للقرافي (أنوار البروق في أنواء الفروق)، عالم الكتب، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٠٨. الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، تحقيق: محمد إبراهيم نصر وآخرون، دار الجيل، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٠٩. فصوص الحكم لابن عربي بشرح الكاشاني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٨٦هـ.

٦١٠. الفصول المهمة في أصول الأئمة، للحر العاملي، تحقيق: محمد القائيني، مؤسسة معارف الامام الرضا، ط١، ١٤١٨هـ.

٦١١. فضل أهل البيت وعلو مكانتهم عند أهل السنة والجماعة، عبد المحسن البدر، دار ابن الأثير، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦١٢. فضل علم السلف على الخلف، لابن رجب الحنبلي، إدارة الطباعة المنيرية، ط٢، ١٣٤٧هـ.

٦١٣. فقه أشراط الساعة، محمد إسماعيل المقدم، دار العالمية، ط٦، ١٤٢٩هـ.

٦١٤. فقه الأدعية والأذكار، لعبد الرزاق البدر، الكويت، ط٢، ١٤٢٣هـ.

٦١٥. فقه الأسماء الحسنى، لعبد الرزاق البدر، دار التوحيد، الرياض، ط١، ١٤٢٩هـ.

٦١٦. فقه السنة، سيد سابق، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٣٩٧هـ.

٦١٧. الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تحقيق: عادل العزازي، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٧هـ.

٦١٨. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد الحجوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٦١٩. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي الكتاني، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٩٨٢م.

٦٢٠. فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية، منشورات المكتبة الوطنية للمملكة المغربية، ط١، عام٢٠١٠م-٢٠١١م،

٦٢١. فهرسة جعفر بن إدريس الكتاني، تحقيق محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

٦٢٢. فهرسة

٦٢٣. الفواكه الدواني على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، شهاب الدين النفراوي المالكي، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.

٦٢٤. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، للشوكاني، تحقيق: عبد الرحمن اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٢٥. الفوائد الموضوعة في الأحاديث الموضوعة، للكرمي، تحقيق: محمد بن لطفي الصباغ، دار الوراق،

الرياض، ط٣، ١٤١٩هـ.

٦٢٦. الفوائد، لابن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.

٦٢٧. في تاريخ التشريع الإسلامي، كولسون، ترجمة محمد أحمد سراج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

٦٢٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي، المكتبة التجارية، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ.

٦٢٩. القاموس المحيط، الفيروز أبادي، تحقيق: محمد نعيم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٨، ١٤٢٦هـ.

٦٣٠. قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة لشيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، مكتبة الفرقان، عجمان، ط١، مكتبة الفرقان،١٤٢٢هـ.

٦٣١. قاعدة في المحبة، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٣٢. قاعدة في المعجزات والكرامات لابن تيمية، تحقيق: حماد سلامة، مكتبة المنار، الأردن، ط١، ١٤١٠هـ.

٦٣٣. قانون التأويل، لابن العربي المالكي، تحقيق: محمد السليماني، دار القبلة، جدة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٦٣٤. القائد إلى تصحيح العقائد، عبد الرحمن المعلمي اليماني، تحقيق: محمد الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، ١٤٠٤هـ.

٦٣٥. القرآن فوق كل شيء، محمد بن الحسن الثعالبي، تحقيق: محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.

٦٣٦. قرة عيون الموحدين، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق: سعيد بن نصر أبو البخاري، مكتبة الرشد، الرياض (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٣٧. قطر الولي على حديث الولي، للشوكاني، تحقيق: إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة، مصر (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٣٨. قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر، لمحمد صديق حسن خان القنوجي، تحقيق: عاصم القريوتي، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٤هـ.

٦٣٩. قواعد الأحكام في مصالح الأنام، للعز بن عبد السلام، تحقيق: طه عبد الرؤوف، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤١٤هـ.

٦٤٠. القواعد الحسان لتفسير القرآن، لابن سعدي، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦٤١. القواعد الكلية للأسماء والصفات عند السلف، لإبراهيم البريكان، دار ابن القيم، الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.

٦٤٢. القواعد المثلى في أسماء الله وصفاته الحسنى، لابن عثيمين، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٢١هـ.

٦٤٣. القواعد النورانية، لابن تيمية، تحقيق: أحمد خليل، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٢٢هـ.

٦٤٤. قواعد في بيان حقيقة الإيمان عند أهل السنة والجماعة، عادل الشيخاني، دار أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ.

٦٤٥. قواعد معرفة البدع، لمحمد الجيزاني، دار المتحدة، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ.

٦٤٦. القول السديد شرح جوهرة التوحيد، اللقاني، مراجعة بسام الحمزاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٣٤هـ.

٦٤٧. القول السديد شرح كتاب التوحيد، لابن سعدي، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ط٢، ١٤٢١هـ.

٦٤٨. القول السديد في الرد على من أنكر تقسيم التوحيد، لعبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، تقديم: صالح الفوزان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.

٦٤٩. القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل، إسماعيل الأنصاري، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٦هـ.

٦٥٠. القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٤هـ.

٦٥١. القول في علم النجوم للخطيب البغدادي، تحقيق: يوسف السعيد، دار أطلس، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦٥٢. قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، أبو طالب المكي، تحقيق: عاصم الكيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٦٥٣. الكافي في فقه الإمام أحمد، لابن قدامة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.

٦٥٤. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، لابن القيم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢، ١٤١٧هـ.

٦٥٥. الكبائر للذهبي، دار الندوة الجديدة، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٥٦. كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، لمحمد بن عبد الوهاب، دار ابن خزيمة، ط١، ١٤١٤هـ.

٦٥٧. كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، ط٥، ١٤١٤هـ.

٦٥٨. كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته على الاتفاق والتفرد، لابن مندة، تحقيق: علي الفقيهي، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٥٩. كتاب العين، للفراهيدي، تحقيق: مهدي المخزومي وآخرون، طبعة دار ومكتبة الهلال (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٦٠. كتاب الغيبة للطوسي، منشورات دار الفجر، ط١ (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٦١. كتاب الكليات لأبي البقاء الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ.

٦٦٢. كتاب المجموع شرح المهذب للشيرازي، لنووي، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، دار الإرشاد (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٦٣. كتاب سيف الله على من كذب على أولياء الله، لصنع الله الحلبي، تحقيق: علي بن رضا المدني، دار الكتاب والسنة، مصر، ط١، ٢٠٠٧م.

٦٦٤. كتابه قيد الأوابد في مختلف العلوم والفوائد، لمحمد الناصر الكتاني، تحقيق: أسامة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٤٢٤هـ.

٦٦٥. كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق: إبراهيم أحمد عبد الحميد، دار عالم الكتب، الرياض، ١٤٢٣ç.

٦٦٦. كشاف الكتب المخطوطة بالخزانة الحسينية، إنجاز: عمر عمرو، تقديم: أحمد شوقي بنبين، منشورات الخزانة الحسينية (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٦٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، للزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ.

٦٦٨. الكشف عن حقيقة الصوفية، محمود القاسم، دارالصحابة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٦٦٩. كشف الخفاء ومزيل الإلباس، للعجلوني، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦٧٠. كشف الشبهات، لمحمد بن عبد الوهاب، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٨هـ.

٦٧١. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٤١م.

٦٧٢. كشف القناع عن حكم الوجد والسماع، للقرطبي، دار الصحابة للتراث، طنطا، ط١، ١٤١٢هـ.

٦٧٣. كشف القناع عن متن الإقناع، للبهوتي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٣هـ.

٦٧٤. كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس، لعبد الرحمن بن حسن،

تحقيق: عبد العزيز آل حمد، دار العاصمة، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٧٥. كف الرعاع عن محرمات اللهو والسماع، لابن حجر الهيتمي، تحقيق: عادل عبد المنعم أبو العباس، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٧٦. الكلام المنتقى مما يتعلق بكلمة التقوى، لابن حجي الحنبلي، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٧٧. الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة، نجم الدين الغزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٦٧٨. كنز اليواقيت الغالية في الأسانيد العالية، لمحمد الحجوجي، تحقيق: عبد الإله أبو شامة، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٩م.

٦٧٩. اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير، دار صادر، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٦٨٠. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ.

٦٨١. لسان الميزان، لابن حجر العسقلاني، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، ط١، ٢٠٠٢م.

٦٨٢. الشوقيات لأحمد شوقي، دار العودة، بيروت، ط١، ١٩٨٨م.

٦٨٣. لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف، لابن رجب، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٦٨٤. لطائف المنن، في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن، لابن عطاء الله السكندري، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار المعارف، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٦م.

٦٨٥. اللمع في التصوف، لأبي السراج الطوسي، تحقيق: عبد الحميد محمود، طه عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، ١٣٨٠هـ.

٦٨٦. لمعة الاعتقاد، لابن قدامة، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة وللجويني، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ،

٦٨٧. لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، مؤسسة الخافقين، دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٦٨٨. لوامع النور نخبة من أعلام حضرموت، أبو بكر العدني، دار المهاجر، اليمن (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٨٩. لوائح الأنوار السنية شرح قصيدة ابن أبي داود الحائية، محمد بن أحمد السفاريني، تحقيق: عبد الله البصيري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٦٩٠. المسودة في أصول الفقه، ابن تيمية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتاب العربي،

بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٩١. متصوفة استهوتهم السلطة الرابعة؛ لمصطفى الريس، مجلة الصباح، ١١ يوليو ٢٠١٢.

٦٩٢. المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، للآمدي، تحقيق: حسن الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ

٦٩٣. متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين على الضروري من علوم الدين، لأبي محمد عبد الواحد ابن عاشر، مكتبة القاهرة، مصر (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٩٤. متن العقيدة الطحاوية، للطحاوي، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٥م.

٦٩٥. المنثوني والبتّار في نحر العنيد المعثار الطاعن فيما صح من السنن والآثار، لأحمد الغماري، المطبعة الإسلامية بالأزهر، ١٣٥٢هـ.

٦٩٦. مجموع الفتاوى، لابن تيمية، تحقيق: أنور الباز، عامر الجزار، دار الوفاء، ط١، ١٤٢٦هـ.

٦٩٧. مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين، جمع فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن، الثريا، ١٤١٥هـ.

٦٩٨. مجموع فتاوى ومقالات متنوعة، لابن باز، أشرف على جمعه: محمد الشويعر، ط٢، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٦٩٩. مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مكتبة ابن تيمية (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧٠٠. مجموعة الرسائل والمسائل النجدية، لبعض علماء نجد، دار العاصمة، الرياض، ط٢، ١٤١٢هـ.

٧٠١. مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية، تعليق: محمد رشيد رضا، لجنة التراث العربي، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧٠٢. مجموعة الرسائل الكبرى، ابن تيمية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧٠٣. المحدث الكبير العلامة السيد محمد بن جعفر الكتاني الحسني الفاسي، شيخ مشايخ العصر في المغرب والحجاز وبلاد الشام، محمد بن عزوز، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ.

٧٠٤. المحرر الوجيز، لابن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧٠٥. محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين للرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧٠٦. المحصول في علم أصول الفقه، الرازي، تحقيق: طه العلواني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ.

٧٠٧. المحلى بالآثار، لابن حزم، دار الفكر، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧٠٨. محمد محمود بن التلاميد التركزي الشنقيطي، لأحمد سالم، مجلة آفاق الثقافة والتراث، عدد١٠، ١٩٩٥م.

٧٠٩. مختصـر التجانيـة، دراسـة لأهـم عقائـد التجانيـة في ضـوء الكتـاب والسـنة، علـي السـويلم، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧١٠. مختصر الصواعق المرسلة، لابن القيم، اختصار محمد الموصلي، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤١٢هـ.

٧١١. مختصر العروة الوثقى في مشيخة أهل العلم والتقى، محمد الحسن الحجوي، تحقيق: محمد عزوز، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.

٧١٢. مختصر العلو للعلي العظيم، للذهبي، اختصار: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ.

٧١٣. مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، اختصار: أبو عبد الله محمد بن علي البعلي، تحقيق: محمد الفقي، دار ابن القيم، الدمام، ١٤٠٦هـ.

٧١٤. مختصر كتاب الدر والياقوت في معرفة بيوتات عرب المهجر وحضرموت، لابن جندان، اختصار: عمر باحاذق، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٢١هـ.

٧١٥. المخصص في اللغة، لابن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٧١٦. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.

٧١٧. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد، لابن بدران، تحقيق: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.

٧١٨. المدخل لابن الحاج، مكتبة دار التراث، القاهرة، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧١٩. مـذكرات جمـال باشـا السـفاح، تعريـب علـي شـكري، تحقيـق: عبـد المجيـد خالـد، الـدار العربيـة للموسوعات، بيروت، ط١، ٢٠٠٤م.

٧٢٠. مـذاهب فكريـة معاصـرة دراسـة تأصيلية نقديـة، آمـال العمـرو، مطبعـة الحميضـي، الـرياض، ط١، ١٤٣٩هـ.

٧٢١. مـذهب أهـل التفـويض في نصـوص الصـفات (عـرض ونقـد)، لأحمـد القاضـي، دار العاصـمة، الرياض، ط١، عام ١٤١٦هـ.

٧٢٢. مرآة الحرمين، إبراهيم رفعت باشا، دار الكتب المصرية، ط١، ١٣٤٤هـ.

٧٢٣. مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن؛ لمحمد العربي الفاسي، تحقيق: محمد حمزة الكتاني، دار ابن حزم، يبروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧٢٤. مراتب الإجماع في العبادات والاعتقادات والمعاملات، لابن حزم، دار الكتب العلمية، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧٢٥. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، علي قاري، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

٧٢٦. مسألة القرآن لابن عقيل، تحقيق: سليمان العمير، مكتبة دار السلام، الرياض، ط١، ١٤١٣هـ.

٧٢٧. مسائل الإيمان لأبي يعلى، تحقيق: سعود الخلف، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

٧٢٨. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة، جمع: عبد الإله الأحمدي دار طيبة، الرياض، ط١، ١٤١٢هـ.

٧٢٩. المستدرك على الصحيحين، مع أحكام الذهبي في التلخيص، للحاكم، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

٧٣٠. المستدرك على مجموع الفتاوى لابن تيمية، جمع: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٨.

٧٣١. المستدرك على معجم المناهي اللفظية، سليمان الخراشي، دار طيبة، ط١، الرياض، ١٤٢٧هـ.

٧٣٢. المستصفى في علم الأصول، للغزالي، تحقيق: محمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٧٣٣. مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

٧٣٤. مشارق أنوار العقول للسالمي الإباضي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٣٥. مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، دار اليمامة، ط١، ١٣٩٢هـ.

٧٣٦. مشتهى الخارف الجاني في رد زلقات التجاني الجاني، محمد الخضر الشنقيطي، دار البشير، عمان، ط٢، ١٤١٤هـ.

٧٣٧. المشروع والممنوع من التوسل، لعبد السلام برجس، دار الإمام أحمد، القاهرة، ط١، ١٤٢٧هـ.

٧٣٨. المصادر العربية لتاريخ المغرب، محمد المنوني، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ١٤١٠هـ.

٧٣٩. المصادر العامة للتلقي عند الصوفية-عرض ونقد-صادق سليم صادق، مطبعة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٥هـ.

٧٤٠. مصرع التصوف، لبرهان الدين البقاعي، تحقيق وتعليق: عبد الرحمن الوكيل، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء، الرياض، ١٤١٥هـ.

٧٤١. مصنف عبد الرزاق، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.

٧٤٢. المصنف لابن أبي شيبة، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.

٧٤٣. المطالب العالية في العلم الإلهي للرازي، تحقيق: أحمد حجازي السقا، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.

٧٤٤. المطلب الحميد في بيان مقاصد التوحيد، عبد الرحمن بن حسن، دار الهداية، ط١، ١٤١١هـ.

٧٤٥. مظاهر الانحرافات العقدية عند الصوفية وأثرها السيء على الأمة الإسلامية، إدريس محمود إدريس، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٦هـ.

٧٤٦. مظاهر يقظة المغرب الحديث، محمد المنوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٧٤٧. معارج القبول بشرح سلم الوصول، لحافظ الحكمي، تحقيق: عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ط١، ١٤١٠هـ.

٧٤٨. معالم أصول الفقه عند أهل السنة والجماعة، محمد الجيزاني، دار ابن الجوزي، ط٥، ١٤٢٧هـ.

٧٤٩. معالم أصول الدين، الرازي، تحقيق: طه عبد الرؤوف، دار الكتاب العربي، لبنان (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧٥٠. معالم التنزيل، للبغوي، تحقيق: محمد النمر وآخرون، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ.

٧٥١. المعالم الدينية في العقائد الإلهية ليحيى بن حمزة، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٨٨م.

٧٥٢. معالم السنن، أبو سليمان أحمد بن محمد الخطابي البستي، المطبعة العلمية، حلب، ط١، ١٣٥١ هـ.

٧٥٣. معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.

٧٥٤. معتقد أهل السنة والجماعة في توحيد الأسماء والصفات، محمد بن خليفة بن علي التميمي، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٩هـ.

٧٥٥. معتقد فرق المسلمين واليهود والنصارى والفلاسفة والوثنيين في الملائكة المقربين، لمحمد العقيل، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤٢هـ.

٧٥٦. المعتمد في أصول الدين، لأبي يعلى، تحقيق: وديع زيدان حداد، دار المشرق، بيروت، ط١، ١٩٨٦هـ.

٧٥٧. المعتمد في أصول الفقه، لأبي الحسين البصري المعتزلي، تحقيق: محمد حميد الله وآخرون، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، ١٣٨٤هـ.

٧٥٨. معجم اصطلاحات الصوفية، للكاشاني، تحقيق: عبد العال شاهين، دار المنار، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ.

٧٥٩. معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، ط٢، ١٤٠٠هـ.

٧٦٠. معجم الأدباء الإسلاميين، أحمد الجدع، دار الضياء، عمان، ط١، ١٤٢١هـ.
٧٦١. معجم الأعلام، الزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ١٤٢٤هـ.
٧٦٢. معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
٧٦٣. معجم الشيوخ، المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب، عبد الحفيظ بن محمد الفاسي، تحقيق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ.
٧٦٤. المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط٢.
٧٦٥. معجم المطبوعات العربية والمعربة، يوسف إليان سركيس، مطبعة سركيس، مصر ١٣٤٦هـ.
٧٦٦. معجم المطبوعات المغربية، إدريس ابن الماحي الحسني، تقديم عبد الله كنون، مطابع سلا ١٩٨٨م.
٧٦٧. معجم المناهي اللفظية، ويليه فوائد في الألفاظ، لبكر أبو زيد، دار العاصمة، الرياض، ط٣.
٧٦٨. معجم المؤلفين المعاصرين في آثارهم المخطوطة والمفقودة وما طبع منها أو حقق بعد وفاتهم، وفيات (١٣١٥هـ-١٤٢٤هـ) لمحمد خير رمضان يوسف، الرياض، ١٤٢٥هـ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية السلسلة الثالثة.
٧٦٩. معجم المؤلفين، لعمر رضا كحاله، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٧٧٠. المعجم الوجيز للمستجيز، لأحمد الصديق الغماري، راجعه عبد الله الصديق، دار العهد الجديدة، القاهرة، ١٣٧٣هـ.
٧٧١. المعجم الوسيط، مجموعة من المؤلفين: مراجعة مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٧٧٢. معجم مصطلحات الصوفية، عبد المنعم الحنفي، دار المسيرة، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
٧٧٣. معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٧٧٤. معراج التشوف إلى حقائق التصوف، لابن عجيبة، تحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٧٧٥. معلمة الفقه المالكي، عبد العزيز بنعبد الله، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٣هـ.
٧٧٦. معلمة المغرب، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، المغرب، ١٤٢٦هـ.
٧٧٧. معلمة التصوف الإسلامي، عبد العزيز بنعبد الله، دار نشر المعرفة، ط١، ٢٠٠١م.
٧٧٨. معيد النعم ومبيد النقم، عبد الوهاب السبكي، مؤسسة المكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
٧٧٩. المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، شوقي عطا الله الجمل، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٧٨٠. المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات، دار الرشاد الحديثة، الدا البيضاء، ط٢، ١٤١٥هـ.

٧٨١. المغني في أبواب التوحيد والعدل، للقاضي عبد الجبار، تحقيق: خضر محمد نبها، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧٨٢. المغني، للموفق ابن قدامة، مكتبة القاهرة، ١٣٨٨هـ.

٧٨٣. مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

٧٨٤. مفاكهة ذوي النبل والإجادة، عبد الحي الكتاني، تحقيق: محمد العلمي، دار أبي قراق، ط١، ٢٠١٣م.

٧٨٥. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، تحقيق: علي بن حسن الحلبي، وآخرون، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٦هـ.

٧٨٦. المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان داودي، دار العلم–الدار الشامية، بيروت، ١٤١٢هـ (بدون رقم الطبعة).

٧٨٧. المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، للقرطبي، تحقيق: أحمد محمد السيد وآخرون، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٧٨٨. المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، للسخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.

٧٨٩. مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرانز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط٣، ١٤٠٠ هـ.

٧٩٠. مقدمة ابن خلدون، تحقيق: عبد الله الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.

٧٩١. خبيئة الكون؛ لمحمد بن عبد الكبير الكتاني، تقديم؛ محمد حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية. بيروت، لبنان. ط١-٢٠٠٩م.

٧٩٢. معرفة أنواع علوم الحديث، ويُعرف بمقدمة ابن الصلاح، لابن الصلاح، تحقيق: نور الدين عتر، دار الفكر، سوريا، عام١٤٠٦هـ.

٧٩٣. مكة في القرن الرابع عشر الهجري لمحمد عمر رفيع، منشورات نادي مكة الثقافي، ط١، ١٤٠١هـ.

٧٩٤. ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز في القرن الرابع عشر، محمد علي مغربي، دار تهامة، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٧٩٥. ملحق إحياء علوم الدين للغزالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٧، ٢٠١٣م.

٧٩٦. الملل والنحل للشهرستاني، تحقيق: سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، ١٤٠٤هـ.

٧٩٧. ملوك العرب رحلة في البلاد العربية، أمين الريحاني، دار الجيل، بيروت، ط٨، ١٩٨٧م.

٧٩٨. ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم، لأمين محمد سعيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٩م.

٧٩٩. من أعلام المغرب في القرن الرابع عشر ونبذة عن حركة العلماء الإسلامية، لعبد الرحمن بن محمد الباقي الكتاني، تحقيق محمد حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠١٧م.

٨٠٠. من الشعر الإسلامي الحديث، رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتبة العبيكان، ط١، ١٤٢٦هـ.

٨٠١. من أئمة الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة، عبد الله العقيل، تقديم مصطفى مشهور وآخرون، دار البشير، ط٨، ١٤٢٩هـ.

٨٠٢. المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٣٩٠هـ.

٨٠٣. مناهل العرفان في علوم القرآن، للزرقاني، مطبعة علي بابي الحلبي وشركاؤه، ط٣.

٨٠٤. منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، لعلي السنجاري، تحقيق: جميل المصري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٩هـ

٨٠٥. المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي السامرائي، محمود الصعيدي، مكتبة السنة القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨٠٦. منتخبات التواريخ لدمشق، تقي الدين الحصني، قدم له كمال سليمان الصليبي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط١، ١٩٧٩م.

٨٠٧. منطق الأواني بفيض تراجم عيون آل كتاني، لمحمد حمزة الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٥هـ.

٨٠٨. المنتقى شرح الموطأ، للباجي، مطبعة السادة، مصر، ط١، ١٣٣٢هـ.

٨٠٩. المنقذ من الضلال، للغزالي، تحقيق: عبد الحليم محمود، دار الكتب الحديثة، مصر (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٨١٠. منهاج السلامة في ميزان القيامة لابن ناصر الدمشقي، تحقيق: مشعل المطيري، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤١٦هـ.

٨١١. منهاج السنة النبوية، لابن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، مؤسسة قرطبة، ط١، ١٤٠٦هـ.

٨١٢. المنهاج شرح صحيح مسلم، للنووي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.

٨١٣. المنهج السوي شرح أصول طريقة السادة آل باعلوي، لزين بن إبراهيم باعلوي، دار الفتح، عمان، ط١، ١٤٢٦هـ.

٨١٤. المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فوده، دار الفكر، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ.

٨١٥. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، عثمان علي حسن، مكتبة الرشد، ط٢، ١٤١٠هـ.

٨١٦. منهج الحافظ أبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني وجهوده في السنة النبوية، لديان سوفهمي بن عبد الله الإندونيسي، إشراف: يسري سعد عبد الله، رسالة جامعية، كلية أصول الدين، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، ٢٠٠٣م.

٨١٧. منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل وأثر المنهجين في العقيدة، لجابر إدريس أمير، دار أضواء السلف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٨١٨. منهج ودراسات لآيات الأسماء والصفات، لمحمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: عطية سالم، دار السلفية، الكويت، ط٤، ١٤٠٤هـ.

٨١٩. مهمة الحركة السلفية في المغرب، للحسن السايح، مجلة دعوة الحق؛ العدد الثاني؛ أغسطس ١٩٥٧م، ذو الحجة ١٣٧٦هـ.

٨٢٠. المنية والأمل في شرح كتاب الملل والنحل، لأحمد المرتضى، تصحيح: توما أرنلد، دائرة المعارف النظامية، حيدر اباد، ١٣١٦هـ.

٨٢١. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية، لتقي الدين المقريزي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

٨٢٢. الموافقات، للشاطبي، تحقيق: مشهور آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.

٨٢٣. المواقف في علم الكلام، للإيجي، تحقيق: عمر عميرة، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

٨٢٤. الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية، محماس الجلعود، دار اليقين، ط١، ١٤٠٧هـ.

٨٢٥. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، للقسطلاني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٨٢٦. الموجز في تحصيل السؤال وتلخيص المقال في الرد على أهل الخلاف، لأبي عمار الإباضي، ضمن كتاب: آراء الخوارج الكلامية، عمار طالبي، موفم للنشر، الجزائر، ٢٠١٣م.

٨٢٧. موسوعة أعلام القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجري في العالم العربي والإسلامي، إبراهيم الحازمي، دار الشريف، الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

٨٢٨. موسوعة أعلام المغرب، تنسيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

٨٢٩. الموسوعة العربية العالمية، مجموعة من الباحثين، مؤسسة أعمال الموسوعة، ط١، ١٤١٩هـ.

٨٣٠. الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس٣، تحقيق: حمزة علي الكتاني، دار الحديث الكتانية، ط٣.

٨٣١. موسوعة المدن العربية والإسلامية؛ ليحيى شامي، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٣م.

٨٣٢. موسوعة تاريخ المغرب العربي، عبد الفتاح الغنيمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٤١٤هـ.
٨٣٣. الموضوعات لابن الجوزي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط١، ١٣٨٨هـ.
٨٣٤. موقف الطوائف من توحيد الأسماء والصفات، لمحمد التميمي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة١، ١٤٢٢هـ.
٨٣٥. موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، لسليمان الغصن، دار العاصمة، ط١، ١٤١٦هـ.
٨٣٦. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، للذهبي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ.
٨٣٧. النبوات، شيخ الإسلام بن تيمية الحراني، دراسة وتحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الناشر: أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٠هـ.
٨٣٨. نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، يوسف مرعشلي، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٧هـ.
٨٣٩. نزهة النظر في توضيح نخبة الفكر، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عبد الله الرحيلي، مطبعة سفير، الرياض، ط١، ١٤٢٢هـ.
٨٤٠. نشأة الفلسفة الصوفية وتطورها، عرفان عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
٨٤١. نشر المحاسن الغالية في فضل مشائخ الصوفية، لليافعي، تحقيق: خليل عمران منصور، دار الكتب العلمية، بيروت (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٨٤٢. نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي، للزيلعي، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
٨٤٣. النصيحة الكافية لمن خصة الله بالعافية، لأحمد زروق، قيس بن محمد آل الشيخ مبارك، مكتبة الإمام الشافعي، الرياض، ط١، ١٤١٤هـ.
٨٤٤. النصيحة في صفات الرب جل وعلا، أحمد بن إبراهيم الواسطي، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٣٩٤هـ.
٨٤٥. نظام الدولة الإسلامية المسمى بفتية طارق والغافقي، للمنتصر بالله بن الزمزمي الكتاني، تحقيق: حمزة علي الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ٢٠٠٨م.
٨٤٦. نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، سارة بن جلوي آل سعود، دار المنارة، جدة، ط١، ١٤١١هـ.
٨٤٧. نعت البدايات وتوصيف النهايات، ماء العينين الشنقيطي، دار الفكر، بيروت (بدون رقم وتاريخ

الطبعة).
٨٤٨. نقض الإمام عثمان بن سعيد الدارمي على المريسي، تحقيق: رشيد بن حسن الألمعي، مكتبة الرشد، ١٤١٨هـ، (بدون رقم الطبعة).
٨٤٩. نقض المنطق، لابن تيمية، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
٨٥٠. نقض عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله في التوحيد، للدارمي، تحقيق: أبو عاصم الشوامي، المكتبة الإسلامية، القاهرة، ط١، ١٤٣٣هـ.
٨٥١. نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني حرره وصححه: ألفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ١٤٣٠هـ.
٨٥٢. نهاية السول في خصائص الرسول، لابن دحية الكلبي، تحقيق: عبد الله الفاداني، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١، ١٤١٦هـ.
٨٥٣. النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير، تحقيق: محمد أحمد عبد العزيز، دار الجيل، بيروت، ط ١٤٠٨هـ.
٨٥٤. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق: طاهر الزاوي وآخرون، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ.
٨٥٥. النهج الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لمحمد الحمود النجدي، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، ط١، ١٤١٣هـ.
٨٥٦. النهي عن الرقص والسماع، لأبي القاسم الدمشقي، تحقيق: علي مصري سيمجان فوترا، دار السنة، الرياض، ط١، ١٤٢٨هـ.
٨٥٧. نور السنة وظلمات البدعة في ضوء الكتاب والسنة، سعيد بن وهب القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).
٨٥٨. النور السافر عن أخبار القرن العاشر، عبد القادر العيدروس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
٨٥٩. النور المحمدي، بين هدي الكتاب المبين وغلو الغالين، عداب الحمش، دار حسان، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.
٨٦٠. نيل الابتهاج بتطريز الديباج، أحمد بابا التنبكتي، تحقيق: عبد الحميد الهرامة، دار الكاتب، ليبيا، ط٢، ٢٠٠٠م.
٨٦١. نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، للشوكاني، تحقيق: عصام الصبابطي، دار الحديث، مصر،

ط١، ١٤١٣هـ.

٨٦٢. هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم، طبعة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٨٦٣. هدية العارفين، للبغدادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٨٦٤. الهدية الهادية إلى الطائفة الجانية، محمد تقي الدين الهلالي، مكتبة الأقصى ط٢(بدون تاريخ الطبعة).

٨٦٥. هذه هي الصوفية، عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ١٩٨٤م.

٨٦٦. الوافي بالوفيات، للصفدي، تحقيق: أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

٨٦٧. الوافي في اختصار شرح عقيدة أبي جعفر الطحاوي، صالح آل الشيخ، اختصار: مهدي الشمري، دار البينة، الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.

٨٦٨. وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية في كل عصر، صالح بن غانم السدلان، دار بلنسية، الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

٨٦٩. الوجود الحق، للنابلسي، تحقيق: بكري علاء الدين، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق، ١٩٩٥م.

٨٧٠. الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط٥، ١٩٨٨م.

٨٧١. وفيات الأعيان، لابن خلكان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٧١م.

٨٧٢. وقفات مع الكتاب المسمى دلائل الخيرات، محمد مغراوي، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، ط١، ١٤١٦هـ.

٨٧٣. وكل بدعة ضلالة، محمد المنتصر الريسوني، تقديم: عبد الرحمن المحمود، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط٣، ١٤٢٨هـ.

٨٧٤. الوسيط في تراجم أدباء شنقيط، محمد الأمين العلوي، الشركة الدولية للطباعة، ط٥، ١٤٢٢هـ.

٨٧٥. الولاء والبراء في الإسلام، محمد سعيد القحطاني، تقديم: عبد الرزاق عفيفي، الفتح للإعلام العربي، القاهرة، ط٧، ١٤١٧هـ.

٨٧٦. الولاء والبراء، صالح الفوزان، تعليق عادل نصار، جمعية دار الكتاب والسنة، فلسطين، (بدون رقم وتاريخ الطبعة).

٨٧٧. الوهابيون والحجاز، طائفة من المقالات التي نشرت في المنار والأهرام، لمحمد رشيد رضا، مطبعة المنار، مصر، ط١، ١٣٤٤هـ.

٨٧٨. ينابيع النصيحة في العقائد الصحيحة، للناصر لدين الله، تحقيق: المرتضى بن زيد، مكتبة بدر،

صنعاء، ط٢، ١٤٢٢هـ.

٨٧٩. اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، لمحمد البشير الأزهري، مطبعة الملاجئ العباسية، ١٣٢٤هـ.

٨٨٠. اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، عبد الوهاب الشعراني، تحقيق: عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٨م.

فهرس الموضوعات

تم بحمد الله